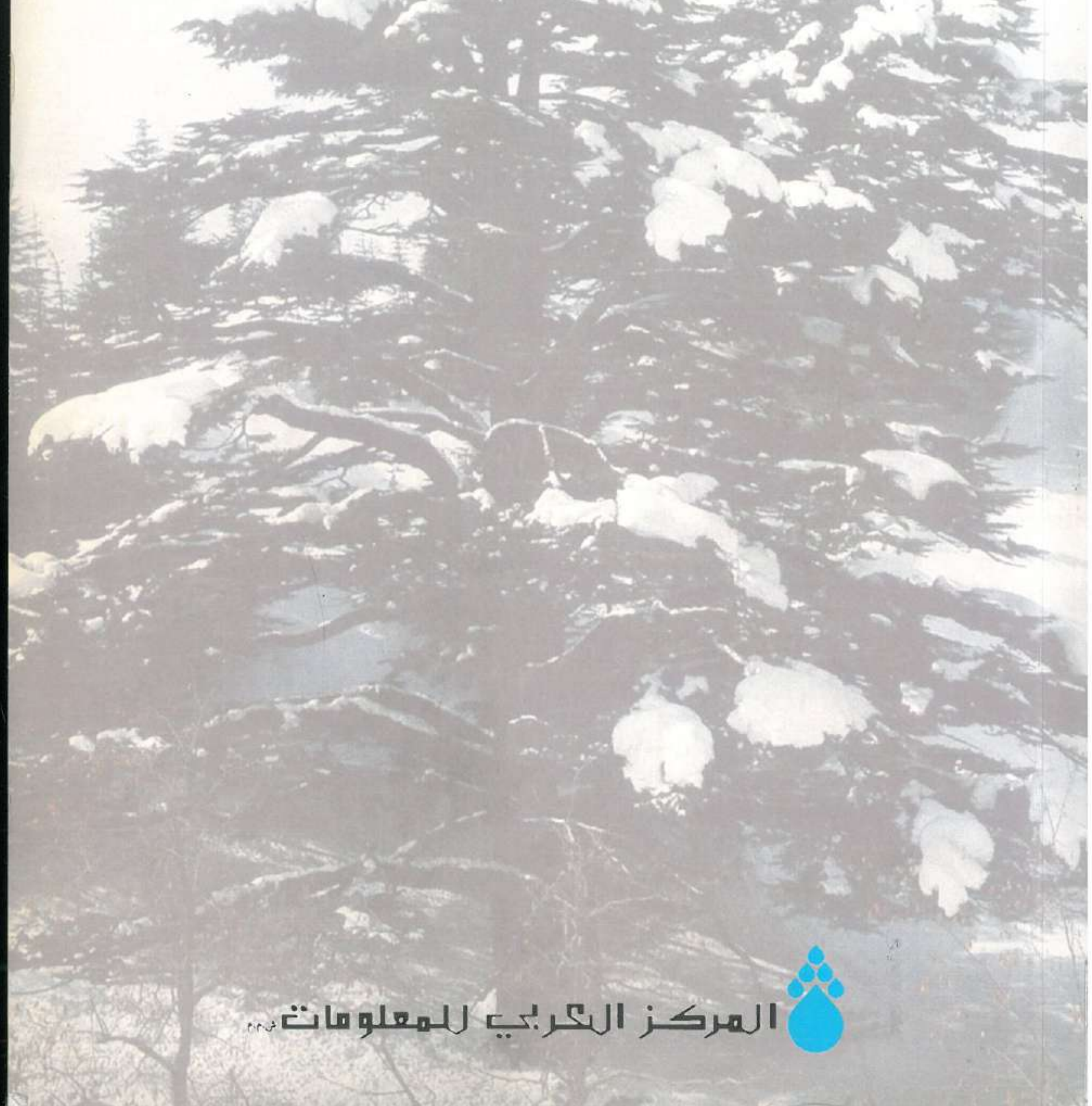
صقر يوسف صقر

عائلات حكمت لبنان



المركز العربي للمعلومات ش.م.م

صقر يوسف صقر

عائلات حكمت لبنان

المركز العربي للمعلومات ش.م.م

إخراج وتنفيذ:
أحمد رياض سلمان

المركز العربي للمعلومات

بيروت - الحمراء - نزلة الساورلا
هاتف: ٠١/٣٥٠٠٨٠ - ٠١/٧٤٣٦٠١
ص. ب.: ٨٢٨ / ١٣٥ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
بيروت، كانون الأول / ديسمبر 2008

ISBN: 978-9953-0-1376-3

لشراء النسخة الالكترونية:
www.arabicebook.com

الإهداء

إلى زوجتي وولديَّ ..

والأجيال الجديدة الطامحة لبناء دولة

لا تحكمها العائلية والطائفية والتدخلات الأجنبية ..

والحالمة بدولة اسمها دولة الحق ...

صقر

المحتويات

القسم الثاني
.. وعائلات كان لها دور

تقريم

لا أزعم مطلقاً ولا أدعي أني أحطت بهذا العنوان: «عائلات حكمت لبنان» إحاطة كاملة شاملة. بقيت عائلات كثيرة أخرى ذات شأن وتأثير كبير في إدارة وحكم العديد من المقاطعات والمدن والقرى اللبنانية. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- بنو عساف التركمان (سنة) وقاعدتهم في غزير.
- آل الحنش (سنة) حكموا البقاع.
- آل القاضي (دروز) حكموا إقليم جزين.
- بنو صعب (شيعة) حكموا منطقة الشقيف.
- آل علم الدين (دروز) زعماء الحزب اليمني.
- بنو الفريخ (سنة) حكموا البقاع العزيزي.
- بنو منكر (شيعة) في الجنوب.
- بنو الشدياق (موارنة) في الشمال.
- أمراء راس نحاش الأكراد في البترون.
- بنو سودون (شيعة) في الجنوب.

ولم يسهُ عن بالي عائلات أخرى سنية بيروتية، مثل: آل بيهم وآل الداعوق واليافي وسواها. هذه العائلات لم أتطرّق لها في هذا البحث ليس لأنها عائلات صغيرة أو ثانوية أو أن دورها هامشي فتجاوزتها إلى العائلات الكبيرة.. هذا غير صحيح! والصحيح أن المعيار الذي اتخذته هو العمر السياسي للعائلة، ومواصلة أبنائها العمل في الشأن الوطني العام، على مدى حقب وسنوات طويلة، فلم تنقطع سلسلتهم، وإذا ما انقطعت فلفترة قصيرة، ثم يعودون، يموتون أو يستشهدون، أو يدخلون السجون، أو يضطرون إلى الهرب والعيش في المنافي بعيدين عن الوطن والأهل والأحباب.

وهناك فقط عائلة وحيدة من هذه العائلات انقرضت بالكامل، فلم تعد موجودة هي عائلة آل الحرفوش في بعلبك، توقفت عندها لأمرين: الأول لعمرها المديد الذي تجاوز الثلاثة قرون، والثاني أهمية الدور السياسي الذي لعبته، فكانت نقطة توازن في الصراع بين ولاية الشام وإمارة الجبل.

أما العائلات الأخرى، فما زالت تتجدّد وتعطي المزيد من الأجيال، فحافظت على استمراريتها وعلى التراث الذي ورثته. وإذا ما أتيح لنا أن ندخل منازل هذه العائلات اليوم، لوجدنا جدرانها مرصوفة برسوم الأوائل من أبنائها، وإلى جانبها نياشينهم وفرماناتهم السلطانية، وسيوفهم المطعّمة، وبنادقهم الإبراهيمية، وبراءات عديدة أعطيت لهم تقديراً لخدماتهم وتضحياتهم وولاءاتهم لأسيادهم.

عن هذه العائلات تحدثنا، وفي مرحلة لاحقة ربما نتحدث عن تلك العائلات التي أشرت إليها، إذا ما توفرّت المراجع المطلوبة وهي نادرة ونادرة جداً.

صقر يوسف صقر

بيروت في الأول من تموز/يوليو ٢٠٠٨

القسم الأول

عائلات لها حضور سياسي مطرّد

آل شهاب

في ٢ تشرين الأول من العام ١٩٤٧م. استقبل لبنان حكومة وشعباً رفات الأمير بشير الثاني الشهابي الكبير، لمناسبة مرور مئة سنة على وفاته. وترأس حفلة الاستقبال رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الوزراء، ورئيس مجلس النواب، والوزراء، والنواب، والهيئات الرسمية، وأعضاء الأسرة الشهابية، وسفراء وقناصل الدول الأجنبية، ورجال الدين، وأصحاب الصحف. وتولت مفرزة من الجيش نقل الرفات على عربة، حيّاها الجيش بالتحية العسكرية والموسيقى بنشيد الموت ثم بالنشيد اللبناني، ومشى الموكب على أتمّ ترتيب إلى ساحة الشهداء. وأمام النصب التذكاري ألقى رئيس مجلس الوزراء كلمة الحكومة، ثم تابع الموكب سيره إلى قصر بيت الدين حيث استقبلته جماهير غفيرة. ثم أودع النعش في الضريح الفخم إلى جانب زوجته الست جهان.

وقد كتبت جريدة *La Revue du Liban* (وهي جريدة أسبوعية تصدر باللغة الفرنسية، لصاحبيها الأخوين مخلوف) تحقيقاً بالمناسبة عرضت فيه سيرة الأمير بشير السياسية والاجتماعية والدينية، كما عرضت لتاريخ الأسرة الشهابية ودورها وعلاقاتها وانقساماتها وتحالفاتها مع الأسر اللبنانية الأخرى. وإني أذكر أنها طلعت بطرفة سياسية تقول: «إن الشهابي يولد سنياً ويعيش درزياً ويموت مارونياً».

هذا الأمير الذي كرّمت الدولة اللبنانية رفاته كأحد الأبطال القادمين من معارك الاستقلال والحرية والسيادة، ونسجت حول اسمه الكثير من الأساطير والأخبار التي تشيد بعدله وصدقه ومحبته لشعبه، هو من عائلة كبيرة حكمت لبنان ١٤٤ سنة بدءاً بالأمير بشير بن الأمير حسن (بدأت ولايته سنة ١٦٩٧ م.) وانتهاء بالأمير بشير الثالث (الملقب أبو طحين) (١٨٤٠ ـ ١٨٤١ م.).

من هم الشهابيون؟

من هم الأمراء الشهابيون؟ متى جاءوا إلى لبنان؟ وكيف تسلّموا مقاليد الحكم فيه؟

جاء في **تاريخ الأمراء الشهابيين**، وهو بقلم أحد أمرائهم من وادي التيم ما يلي: «إن جدهم

الأول مالك الملقب بشهاب من سلالة مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر المسمى قريشاً ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان المنتسبة إليه العرب المستعربة، بن أد بن أدد، بن اليسع بن الهميسع بن سلامان. وقيل سليمان بن نبت المقول له نايف بن حمل بن قيذار بن اسماعيل السرياني جد العرب المستعربة بن ابراهيم الخليل مسلسلاً إلى سلم بن نوح البار.

أما مرّة فولد له ثلاثة أولاد: كلاب وتيم ويقظة. أما كلاب فولد له قصيّ المسمى زيداً ولقصيّ عبد مناف، ولعبد مناف عمرو الملقب بهاشم، ولهاشم عبد المطلب، ولعبد المطلب، عبد الله، ولعبد الله محمد نبي العرب صاحب الشريعة الإسلامية (صلى الله عليه وسلم).

«أما يقظة فولد له مخزوم، ولمخزوم عمر، ولعمر عبد الله، ولعبد الله مغيرة، ولمغيرة هشام، ولهشام الأمير الحارث الذي أمّره أبو بكر الصديق. ولحارث مالك الملقّب بشهاب الذي أمّره عمر بن الخطاب أميراً في حوران، وقد انتقل بأقاربه وعشيرته من الحجاز إلى حوران». وذلك في القرن السابع الميلادي أيام الفتح العربي.

ولمالك بن الأمير الحارث أولاد وذرية كبيرة انتقلت بدورها من حوران إلى وادي التيم في القرن الثاني عشر وقطنت حاصبيا وراشيا، وتقرّبت من الأمراء العنيين حكام الشوف في ذلك العهد، وكان بين الأسرتين عهود مودة، وتحالفات وصداقات زادت من تلاحمهما فأصبحا عيلة واحدة. إن التعاون الوثيق بين الأسرتين ـ في جميع المجالات ـ قد عاد بفوائد كبيرة على المعنيين الذين يدينون باستمرار إمارتهم وطول عمرها إلى حلفائهم. وفي مقدمتهم الحلفاء الشهابيون.

مصاهرات وعلاقات

لقد توطّدت تلك الصداقات بعدّة مصاهرات حدثت بينهما خلال أجيال وأجيال. وأول مصاهرة عقدت بين الأسرتين عام ١١٧٥ م. وذلك عندما اقترن الأمير محمد بن منقذ الشهابي بابنة الأمير يونس المعني، كما اقترن في اليوم نفسه الأمير يوسف بن يونس المعني بابنة الأمير منقذ الشهابي. وقد تجدّدت تلك الروابط العائلية في عهد الأمير فخر الدين المعني الاول عندما وقع مع الأمير منصور الشهابي صكاً كتب فيه: «إنهما يكونان وعيلتهما حالاً واحداً». واستناداً إلى المصاهرات السابقة استطاع الشهابيون أن يخلفوا المعنيين عام ١٦٩٧ م. وبالإضافة إلى المصاهرات والعلاقات الوثيقة التي قامت بين العائلتين منذ أن حلّ الشهابيون في وادي التيم، هناك عامل آخر جمع بينهما هو النزعة القبلية. لقد كان الشهابيون من الحزب القيسي كما كان المعنيون من الحزب نفسه.

الأمير حيدر صاحب الحق

كان الحزب القيسي، في إمارة الشوف، يضم أسراً ذات شأن مثل اللمعيين والجنبلاطيين

والتلحوقيين والخازنيين وسواهم. وكانت هذه الأسر متحالفة مع المعنيين في الحكم، إلا أن التنافس في ما بينها جعلها تتطلع إلى خارج الإمارة، حيث الشهابيون يتبوأون مركز الصدارة في الحزب. لذا اجتمع أعيان تلك الأسر، وأعيان الإمارة المعنية وهم: أعيان الشوف والمناصف والعرقوب والجرد والمتن والشحار والغرب، واختاروا لحكم الإمارة خلفاً للأمير المعني المتوفّى أميراً شهابياً من وادي التيم، هو الأمير بشير، أمير راشيا، ورفعوا قرارهم هذا إلى مصطفى باشا، والي صيدا، الذي رفعه بدوره إلى الباب العالي بالآستانة. ولكن الباب العالي الذي يعود إليه القرار في هذا الأمر اختار لهذا المنصب الأمير حيدر بن الأمير موسى أمير حاصبيا باعتباره أحق من الأمير بشير في إرث الإمارة عن جدّه الأمير أحمد. ولكن الأمير حيدراً كان لا يزال حينئذ قاصراً (١٢ سنة) مما جعل الباب العالي يقرّر إسناد الإمارة، بالوكالة، إلى الأمير بشير، ريثما يبلغ الأمير حيدر السن التي تخوله استلام الحكم فيها. ويرى بعض المؤرخين أن ذلك قد تم برأي من الأمير حسين بن الأمير فخر الدين.

تسلم الأمير بشير حكم الإمارة في مطلع العام ١٦٩٨ م. فاستطاع التغلب على معارضة الحزب اليمني بزعامة آل علم الدين. وأقام علاقات جيدة مع والي صيدا قبلان باشا، وأخيه والي طرابلس أرسلان باشا، ما أتاح له التصرف كأمير أصيل للبلاد، حيث أطلق على نفسه لقب «بشير الأول»، ثم أخذ يتوسع جنوباً باتجاه جبل عاملة، وشمالاً باتجاه جبل لبنان، فقاتل الشيخ مشرف ابن علي الصغير زعيم جبل عاملة في قرية الزيرعة عام ١٦٩٨ م، على إثر خلاف بينه وبين والي صيدا، حيث انتصر عليه، وتمكن من اعتقاله وسوقه إلى الوالي الذي سجنه، وأقطع الأمير بشيراً البلاد من صفد إلى العاملتين مكافأة له. ثم تولّى بلاد جبيل والبترون بتفويض من أرسلان باشا والي طرابلس. وكان مشايخ هذه البلاد من آل حمادة قد تمرّدوا على الوالي فأخضعهم، وفوّض إلى الأمير حق توليته على تلك البلاد، وحق جباية الأموال السلطانية ودفعها إليه. وقد توفي الأمير بشير في حاصبيا مسموماً عام ١٧٠٦ م. فانتقلت الإمارة بعده إلى حيدر الأمير الأصيل.

معركة غزير (١٧١١)

تسلّم الأمير حيدر الإمارة سنة ١٧٠٦ وهو في الحادية والعشرين من عمره، ولم يكن أقلّ طموحاً وذكاء ومقدرة من سلفه الأمير بشير، إلا أن حظه مع الوالي الجديد لصيدا بشير باشا (وهو أخ لقبلان وأرسلان) لم يكن كحظ سلفه مع والي صيدا وطرابلس، لذا ما إن تسلّم الولاية عام ١٧٠٦ م. (وهو العام نفسه الذي تولى فيه الأمير حيدر الإمارة) حتى انتزع من الأمير كل المقاطعات الجنوبية التي ألحقت بإمارة الشوف في عهد سلفه قبلان باشا، فأعاد مشايخ بني علي الصغير إلى حكم بلاد بشارة، وولى الشيخ ضاهر العمر الزيداني (ضاهر بن عمر بن أبي زيدان) على صفد وعكا، وأقر مشايخ بني منكر (من جبل عاملة) على إقليمي الشومر والتفاح، وبني صعب على مقاطعة الشقيف، وهكذا لم يبق للأمير الشهابي سوى

إمارته الأصلية في الشوف وتوابعه. ولكن الأمير استطاع بعد ذلك إرضاء الوالي واسترداد بلاد بشارة (أو مقاطعات جبل عاملة) إلى حكمه، وقرّر إزاحة أولئك المشايخ عن مقاطعاتهم، وقصدهم إلى النبطية فقاتلهم فيها مجتمعين عام ١٧٠٨ م. وانتصر عليهم، ثم وضع على بلاد عاملة متسلماً من قبله هو الشيخ محمود أبو هرموش».

أتت النتائج العسكرية لوقعة النبطية في صالح الأمير حيدر، إلا أن نتائجها السياسية لم تكن كذلك، فقد أثار انتصار الأمير على العامليين في هذه الموقعة إحساساً لدى الوالي بتعاظم شأن الأمير، وتفاقم قوته، وهو لا يرغب في أن يراه بالقوة التي ظهر فيها تجاه خصومه، إضافة إلى أن الأمير أساء اختيار متسلمه على تلك البلاد، مما أتاح للوالي إغراء هذا المتسلم بالانحياز إلى صفه ضد الأمير. وهكذا نشأت بين الوالي والمتسلم علاقة تحالف وطيدة انتهت إلى خصام عنيف ثم إلى حرب شرسة بين العسكرين: اليمني بزعامة الأمير يوسف علم الدين ومعه الشيخ محمود أبو هرموش ويدعمهما الوالي، والقيسي بزعامة الأمير حيدر ومعه حلفاؤه: القيسيون من الدروز، والخازنيون والحبيشيون من الموارنة. وكانت وقعة غزير (١٧١١ م.) أولى المعارك بين العسكرين. وقد جرت هذه الوقعة بعد أن عزل الوالي الأمير حيدراً من إمارة الشوف، وسلّمها إلى الأمير يوسف علم الدين، ما اضطر حيدراً إلى الفرار والالتجاء بكسروان. ولكن الأمير يوسف وحليفه أبا هرموش داهماه فيها معززين بعسكر الوالي، فهزم الأمير الشهابي، وعاد الأمير اليمني إلى دير القمر حاكماً. وكان ذلك في مطلع العام ١٧١١ م.

معركة عين دارة

ولكن حكم الأمير يوسف علم الدين لإمارة الشوف لم يستمر طويلاً، إذ عزله الوالي بعد أشهر فقط من تعيينه عليه (أيار ١٧١١ م.) وعين بدلاً منه الشيخ محموداً أبا هرموش بعد أن منحه لقب الباشوية.

باشر محمود باشا أبو هرموش حكم الإمارة بالتحالف مع اليمنيين من جهة، وبدعم من والي صيدا من جهة أخرى، إلا أنه أساء ممارسة الحكم، ما حدا الاهالي ـ وكان معظمهم من القيسيين ومن مؤيدي الامير حيدر ـ على أن يتّصلوا بالأمير الهارب ويفاتحوه بأمر عودته إلى الحكم، فخرج الأمير حيدر من مخبأه إلى المتن، وجمع حوله جيشاً من أنصاره ـ اللمعيين والعماديين والخازنيين وغيرهم من أعيان الشوف وكسروان ـ قدّر بأربعة آلاف رجل. كما خرج أبو هرموش بجيشه مدعوماً بعسكر بشير باشا والي صيدا، وعسكر نصوح باشا، والي دمشق، وتدليلاً على تحالف الواليين مع محمود باشا، انتقل بشير باشا بعسكره إلى حرج بيروت، كما انتقل نصوح باشا بعسكره إلى صحراء قب الياس، وأبديا استعدادهما للتدخّل في القتال لمصلحة محمود باشا، ما دفعه الى الانتقال بجيشه إلى عين دارة استعداداً للمعركة. بينما حشد الأمير حيدر رجاله في ثلاث فرق تجمعت في كل من عين زحلتا ورأس المتن.



الأمير بشير الشهابي الثاني
(من كتاب لبنان في تاريخه وتراثه)

انطلق الأمير حيدر بجيشه باتجاه عين دارة، فوصل إلى مشارفها عند آخر الليل، فحاصرها من الشمال والشرق والغرب، وعند الفجر أطبق على مداخلها مباغتاً أبا هرموش وحلفاءه اليمنيين. ودارت بين الفريقين معارك انتهت بهزيمة أبي هرموش وجيشه. دخل الامير حيدر البلدة منتصراً بعدما قتل العديد من خصومه، ومن بينهم ثلاثة من الامراء اليمنيين، كما أسر أربعة أمراء من آل علم الدين ومعهم أبو هرموش بعد أن قطع لسانه و«باهميه»، ثم عاد إلى دير القمر ليستعيد حكم الإمارة.

أما الواليان بشير باشا ونصوح باشا فلم يتدخلا في المعركة لصالح أبي هرموش، ولم يكونا صادقين في تحالفهما معه ـ على ما يقول الدكتور ياسين سويد في مقالة بعنوان: «الإمارة الشهابية في جبل لبنان» نشرها في كتاب **لبنان في تاريخه وتراثه** ـ صدر عن مركز الحريري الثقافي في بيروت ١٩٩٣) وتجدر الإشارة إلى أن معظم معلومات هذا البحث مستقاة منه.

الحزب القيسي ينتصر

كانت نتائج معركة عين دارة حاسمة ومصيرية على الصعيدين الحزبي والسياسي في إمارة الشوف وجبل لبنان. سواء بالنسبة إلى حكم الإمارة أو إلى صراع الحزبين المتنافسين عليها: القيسي واليمني، إذ قضي على الحزب اليمني نهائياً، واستقر الحكم للقيسيين في البلاد بزعامة الشهابيين. أجرى الأمير حيدر بعد انتصاره تغييرات جذرية في هيكلية الإمارة بغية توطيد الحكم الشهابي فيها على أسس متينة وثابتة. فأعاد توزيع الإقطاعات على العائلات التي أبلت بلاء حسناً في وقعة عين دارة، فأقطع آل عبد الملك إقليم الجرد ومنحهم لقب المشيخة، وآل تلحوق إقليم الغرب الأعلى، ومنحهم أيضاً لقب المشيخة، بعد أن أنهى حكم الأرسلانيين فيه بسبب انحيازهم إلى جانب خصومه اليمنيين، وأقطع النكديين منطقة الناعمة جنوب بيروت، بالإضافة إلى إقطاعة المناصف التي كانت لهم، وأقطع آل القاضي إقليم جزين وأبقى آل حمادة على بلاد جبيل والبترون مضيفاً إليها جبة بشري والمنيطرة، وذلك



كير كبريانوس شهاب: أول من تنصّر من الأمراء الشهابيين (من كتاب تنوير الأذهان)

مكافأة لهم، إذ آووه في بلادهم مختبئاً في مغارة الهرمل بعد معركة غزير.

وأبقى الأمير حيدر العائلات الإقطاعية المسيحية التي ناصرته في قتاله ضد اليمنيين على الإقطاعات التي كانت لها. فأبقى الخازنين على كسروان والحبيشيين على غزير وضواحيها، وآل الدحداح على الفتوح، وآل عازار، على الكورة، وآل الضاهر على الزاوية، كما منح آل الخوري من رشميا لقب المشيخة. أما اللمعيون الذي آزروه في محنته ورافقوه في مخبأه، فمنحهم لقب الإمارة وصاهرهم بأن تزوج ابنة كبيرهم المقدم حسين اللمعي، ثم أقطع أحدهم، وهو المقدم عساف بن حسين المذكور، إقطاعة بيت شباب.

استقر الحكم للأمير حيدر بعد معركة عين دارة، كما أقرّت ولايته على مقاطعات جبل عاملة جنوباً وكسروان شمالاً. وقد حكم الأمير طوال ست وعشرين سنة حكماً هادئاً، فكان حاكماً عادلاً حليماً كريماً أحبه أهالي البلاد، وأرضى الدولة، واستراح في ولايته إلى النهاية. ولما أحسّ بالعجز والمرض سلم الإمارة إلى ابنه ملحم عام ١٧٢٩ م. وتوفي الأمير بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات أي في العام ١٧٣٢ م. وهو بعمر الخمسين عاماً.

تميز حكم الأمير ملحم بطموحات توسّعية على حساب المقاطعات المجاورة أدّت إلى حروب مستمرة مع أربابها، فقد تسلم هذا الأمير الحكم خلفاً لأبيه في حياته، لذا ظل ملتزماً بالخط الذي اتبعه أبوه ومارسه في السلطة، وذلك حتى وفاة هذا الاخير عام ١٧٣٢ م، حين وافق والي صيدا على تنصيبه أميراً، وأرسل له خلعة الولاية، فاعترف به باقي الأمراء في البلاد، وكذلك زعماء الشوف، أميراً عليهم.

طموح الأمير ملحم

لقد تجاوز طموح الأمير ملحم إمكاناته المادية والعسكرية. فقد كان يطمح إلى التوسع في البقاع، وجبل عاملة، وجبل لبنان، وبيروت. وكان لا بد لهذا الطموح من أن يستند إلى جيش قوي. وليست لدينا معلومات موثوقة عن جيش الأمير، إذ اختلف المؤرخون في تحديد عدده، فقال بعضهم إنه بلغ ستة آلاف رجل، وقال آخرون ١٥ ألفاً، وبالغ آخرون في تقدير عدده

فجعلوه ٤٥ ألفاً، وفي هذا الرقم مغالاة كبيرة. وما يمكن تأكيده في هذا المجال هو أن الامير الشهابي سعى لان يجعل من نفسه أميراً على كل المقاطعات المجاورة التي كان يعتبرها المدى الحيوي لإمارته، كما كان بحاجة إلى البقاع لخصب أرضه وإلى مرفأي بيروت وصيدا ليتصل بواسطتهما بالغرب وتجارته. لذا نراه يسعى مع الولاة تارة ومع زعماء البلاد المجاورة تارة أخرى، بالسلم حيناً وبالحرب حيناً آخر ليتولى البقاع وجبل عاملة وبيروت وجبل لبنان الشمالي (كسروان وبشري وجوارهما) فيمد إلى تلك المقاطعات نفوذه وسلطته. وقد خاض من أجل ذلك العديد من المعارك والحروب.



الأمير خالد شهاب: جاع وَمَا باع ... في فلسطين

تولى الأمير ملحم الحكم في مقاطعة جبل عاملة بواسطة والي صيدا سعد الدين باشا العظم، وخاض ضد مشايخها معارك عديدة انتصر في معظمها وأهمها: وقعة يارون عام ١٧٣٤ م. ووقعة أنصار ١٧٤٣ م. ووقعة مرجعيون ١٧٤٤ م. ووقعة جباع الحلاوة ١٧٤٩ م. وتولى مقاطعة البقاع عام ١٧٤٨ م. بواسطة والي دمشق أسعد باشا العظم، ووضع عليها أخويه الأميرين أحمد ومنصور.

بعد أن حقق الأمير طموحه بتولي مقاطعة جبل عاملة ثم البقاع، تحالف مع إقطاعيي جبل لبنان الشمالي، ثم وجه جهوده نحو بيروت للإستيلاء عليها. وكان يقوم على المدينة وال تركي يدعى ياسين بك، وكان خصماً للشهابيين، فأوعز الأمير إلى أحد حلفائه شاهين تلحوق ببث رجاله في بيروت ليثيروا فيها الفتن والاضطرابات. ولم يكن باستطاعة الوالي أن يضع حداً لها. ولما تفاقم أمرها، قرّر والي صيدا حينذاك عثمان باشا المحصل، أن يسلم المدينة للأمير فأصبحت بيروت في عهدته عام ١٧٤٩ م.

لم يستمر الأمير ملحم في الحكم مدة طويلة إذ أصيب بداء «ريح الشوكة» أفقده القدرة على ممارسة مسؤوليات الإمارة، فتنازل عنها عام ١٧٥٤ م. إلى أخويه الأميرين أحمد ومنصور. وتوفي في العام ١٧٧٦ م.، ودفن في جامع الأمير منذر التنوخي في بيروت.

حكم الأميران أحمد ومنصور البلاد مشاركة من عام ١٧٥٤ م. إلى عام ١٧٦٣ م. حيث تفرّد الأمير منصور بالحكم حتى العام ١٧٧١ م، ثم اعتزل بسبب عجزه الصحي، فخلفه الأمير يوسف ابن الأمير ملحم، وكان هذا الأمير تنصّر على المذهب الماروني.

تنصّر الأمراء الشهابيين



اللواء فؤاد شهاب

وعلى ذكر تنصّر الأمراء الشهابيين يقول الدكتور عادل إسماعيل نقلاً عن رسالة القنصل استيل قنصل فرنسا بصيدا، إلى الكونت دي بونتشارتران الوزير وسكرتير الدولة الفرنسية في ٥ اب/اغسطس ١٧٠٧ م، إن أوّل عملية تنصير حصلت كانت في العام ١٧٠٧ م إذ تنصّرت أرملة الأمير بشير الأول مع ابنها وابنتيها. ويذكر الشدياق انه في عام ١٧٥٤ م نصّر الخوري مخايل فاضل الماروني الأمير علي حيدر، ثم تنصّر من أولاد الامير ملحم: الامير قاسم والأمير سيد أحمد والأمير حيدر، وتبعهم أكثر الامراء الشهابيين ثم الامراء اللمعيون، أما الدكتور إدمون ربّاط فيذكر أن الأميرين اللذين تنصّرا من أبناء الأمير ملحم في ذلك العام (١٧٥٤) هما الامير يوسف والأمير قاسم دون أن يذكر تنصّر الباقين. ولكن اسماعيل حقي يؤكد أنه في أيام الامير ملحم «دان أولاده بالنصرانية وتابعهم عليها غيرهم من أمراء بني شهاب». واقتدى بهم بعض الأمراء اللمعيين تاركين مذهبهم الدرزي. ويذكر الشدياق أيضا انه في العام ١٧٦٤ م. «نصّر البطريرك يوسف اسطفان الغسطاوي الماروني الأمير قاسم عمر والد الأمير بشير الثاني الكبير». وهكذا تخلت أسرتان من أشهر الأسر الإسلامية وأقواها عن الدين الإسلامي لتعتنقا المسيحية، فأثرتا بذلك تاثيراً حاسماً ومصيرياً في الخط السياسي والاجتماعي العام في لبنان ولزمن طويل. أما الأكليروس الماروني فإنه سوف يدعم من الآن وصاعداً، وبهمّة لا تكلّ، الشهابيين في كل سياستهم وضد الاعيان بخاصة.

ويرى الدكتور إدمون رباط أن تنصّر الشهابيين واللمعيين في إمارة الشوف «أحدث انعطافاً في تطوّر لبنان»، فقد أعاد الشهابيون بتنصّرهم «وصل السلك الذي انقطع مع الغرب والذي ورثوه عن فخر الدين الثاني، واتجهوا بأنظارهم نحو أوروبا باستمرارية أكثر» كما أنهم «أدخلوا إلى إمارتهم بفضل الموارنة، وبواسطة البعثات الدينية تيارات سياسية وثقافية جديدة هيأت الجبل ليقوم في القرن التالي بدور الخلية المحرّكة للنهضة العربية».

ونعود إلى معركة عين دارة (١٧١١ م.) التي أدّت إلى القضاء نهائياً على الحزب اليمني، وأتاحت للحزب القيسي، بزعامة الشهابيين، أن يحكم البلاد بلا منازع، إلا أن حكم الحزب الواحد لم يستمر في البلاد مدّة طويلة، إذ سرعان ما برزت فيه بوادر الشقاق، وتفاقم الصراع بين الأسر الإقطاعية.

ولم يكد القرن الثامن عشر الميلادي يشارف على الانتهاء حتى نشأ في الجبل حزبان جديدان هما الجنبلاطي واليزبكي، ولم تكن الحزبية الجديدة استمراراً للحزبية السابقة القيسية واليمنية كما توهم بعض المؤرخين، بل إنها نتجت عن خلاف في الحزب القيسي نفسه، بين يزبك بن عبد السلام جدّ آل العماد وزعيمهم، وبين جنبلاط جنبلاط جدّ آل جنبلاط وزعيمهم في عهد فخر الدين المعني الثاني. وقد استمرّ هذا الخلاف بين الأسرتين حتى العهد الشهابي حيث ظهر إلى العلن بشكله الجديد في عهد الأمير ملحم نتيجة استئثار الحزب القيسي بالسلطة بعد معركة عين دارة.

يزبكي - جنبلاطي

لم تتّضح معالم هذه الحزبية الجديدة إلاّ بعد أن دبّ الخلاف بين الأميرين الحاكمين أحمد ومنصور، إذ انقسم الشوفيون من جرّاء ذلك إلى فئتين: فئة تؤيد الأمير منصوراً وعلى رأسها آل جنبلاط بزعامة الشيخ علي جنبلاط، والثانية تؤيد الأمير أحمد وعلى رأسها آل العماد بزعامة الشيخ عبد السلام العماد. وقد شملت هذه الحزبية أو «الغرضية» كما يسمّونها جميع الأسر الشوفية على اختلاف طوائفها، كما تفرّعت عن هذه الغرضية، غرضيات أخرى ثانوية شملت الطبقات الدنيا من مختلف الأسر في جميع أنحاء البلاد. أمّا أهم العائلات التي انضوت تحت لواء كل من الحزبين المتنافسين فهي:

- الحزب الجنبلاطي بزعامة آل جنبلاط في (المختارة) ويضم من الدروز: آل أبو شقرا، آل تقي الدين، طليع، البعيني، أبو كرّوم، سيف، هلال، أبو الحسن، يقظان، تاج الدين وغيرهم. ومن المسيحيين: آل الخازن، أبو عبسي، آل القهوجي وحبيش وغيرهم.
- الحزب اليزبكي بزعامة آل العماد ويضم من الدروز: آل أرسلان، عبد الصمد، الأعور، حمادة، علامة، ناصر الدين، هاني وتلحوق. ومن المسيحيين: آل الدحداح.

ولزمت أسر كثيرة في الجبل موقف الحياد من الحزبين الجنبلاطي واليزبكي. وكان هؤلاء الحياديون متماسكين في مواقفهم بزعامة آل النكدي في عبيه. فإذا مالوا لأحد الفريقين ضمنوا له النصر على خصمه، لذا لقّب هذا التجمّع بـ«بيضة القبّان» في السياسة الشوفية.

الجزّار أقوى الولاة

بعد اعتزال الأمير منصور الحكم عام ١٧٧١ م. خلفه الأمير يوسف بن الأمير ملحم، ولم يكن أقل طموحاً من سلفه الأمير ملحم. فقد كان حاكماً على بلاد جبيل قبل أن يتسلّم إمارة الشوف سنة ١٧٧٠ م. في ظروف محلية وإقليمية معقّدة. وكان ينافسه على الحكم فيها أمراء آخرون لا يقلّون عنه قوة ولا نسباً، ويحيط به ولاة أقوياء كالشيخ ضاهر العمر صاحب عكا، وعلي بك الكبير حاكم مصر، وأحمد باشا الجزّار أقوى الولاة وأعتاهم في بلاد الشام، الأمر الذي حدّ من طموحه، وجعل منه في النهاية قطباً يدور في فلك الولاة تارة، وفي فلك القوى الإقليمية تارة أخرى. حاول

إنشاء جيش قوي لم تعرف الإمارة مثيلاً له منذ عهد فخر الدين الثاني المعني الكبير. وقد قدّره الرحالة فولني بين ١٥ و٤٠ ألف رجل من القادرين على حمل السلاح.

شنق الأمير يوسف

كانت علاقة الأمير يوسف بالولاة العثمانيين في دمشق وطرابلس وصيدا علاقةَ ولاء مستمر. فقد أوصى به عثمان باشا الصادق الكرجي والي دمشق، عند ولده محمد باشا والي طرابلس، فولاه بلاد جبيل عام ١٧٦٣ م.، ثم أوصى به عند ولده درويش باشا والي صيدا فولاه إمارة الشوف عام ١٧٧١ م.، ولكن ما إن تولى أحمد باشا الجزار ولاية صيدا عام ١٧٧٥ م. حتى بدأ الصراع المضني بين الأمير والوالي الجديد. وانتهى هذا الصراع بأن ترك الأمير جبيل، وانتقل إلى الزبداني، ومنها إلى قرية منين بالشام حيث استقر. ولكن الجزار أوفد رسولاً يوهمه بالصفح عنه واستدعاه، فلبى الطلب، وجاءه إلى عكا، وأقام في ضيافته خمسة أشهر تمّ الاتفاق خلالها على أن يعود الأمير يوسف إلى حكم الشوف. ولما علم الأمير بشير بذلك عزم على التخلص من قريبه، فأوغر صدر الجزّار عليه وعلى مدبّره الشيخ غندور السعد الذي كان وافاه إلى عكا. وفي حزيران ١٧٩٠ م. أمر الجزّار بقتل الشيخ غندور، ثم بشنق الأمير يوسف، وكان في الأربعين من عمره.

الأمير بشير الكبير

تسلّم الأمير بشير الثاني الكبير حكم الإمارة عام ١٧٨٨ م. وكان في الحادية والعشرين من عمره. وكان أبوه الأمير قاسم عمر قد نصّره على المذهب الماروني في عام ولادته ١٧٦٧ م. وكان على قسط كبير من الدهاء والحنكة والذكاء، ما أهّله للقيام بدور كبير في السياستين المحلية والإقليمية، وللتأثير في مسار السياسة في بلاد الشام.

أمضى الأمير بشير في حكم الإمارة زهاء نصف قرن ونيف (٥٢ سنة) (١٧٨٨ - ١٨٤٠ م.) وكان خلال ممارسته الحكم بارعاً في الدهاء السياسي، يقيم التحالفات الداخلية والإقليمية عند الضرورة، ويقف على الحياد عندما يرى ذلك مناسباً، وينضمّ إلى حلف المحاربين عندما يتطلب الأمر موقفاً جريئاً. ولكن الفترة التي قضاها الأمير في الحكم خلال ولاية الجزار (١٧٨٨ - ١٨٠٤ م.) كانت مشحونة بالقلاقل والاضطرابات، إذ كانت الحرب سجالاً بين الأمير وخصومه، وذلك بسبب المناورات التي كان الجزّار يمارسها تارة مع الأمير وتارة ضده، ولكنها كانت في كلا الحالين لمصلحة الجزّار نفسه. وهذا ما حمل الأمير على عقد تحالفات مختلفة ردّ بواسطتها على مناورات الجزّار.

ولم تستتب السلطة للأمير إلا بعد وفاة الجزّار عام ١٨٠٤ م. فاستمر في الحكم من دون انقطاع حتى العام ١٨٢١ م. عرف أثناءها فترة من الاستقرار لم يعرفها أمير قبله في تلك الإمارة. وأقام في هذه الفترة علاقات ود وتحالف مع ولاة عكا، وبخاصة مع سليمان باشا الذي خلف

الجزّار سنة ١٨٠٤ م. فقاتل إلى جانبه ضد الوهابيين حين هاجموا دمشق عام ١٨١٠ م.، كما سانده ضد والي دمشق يوسف باشا في العام نفسه. وقد كافأه سليمان باشا بتوليته حكم الشوف وكسروان مدى الحياة، وبتولية ولديه قاسم على بلاد جبيل والأمير خليل على البقاع، وحليفه الأمير جهجاه الحرفوش على بعلبك. وامتد حكمه مباشرة أو بالواسطة من حدود دمشق شرقاً إلى حدود طرابلس شمالاً، وإلى البحر غرباً فحدود صيدا جنوباً. واستطاع بحنكته أن يجمع حوله أهل البلاد جميعاً من جنبلاطيين ويزبكيين. ولم يُعرف عنه أنه جابه، في خلال هذه الفترة، تمرداً أو عصياناً من أي فريق أو من أي حزب أو عائلة من أبناء البلاد.

لكن رياح الخصومات ما لبثت أن هبّت على الأمير من داخل إمارته، حيث تمرّد عليه نصارى الجبل، وعقدوا ضده سنة ١٨٢١ م. «عاميتي أنطلياس» الشهيرة وعامية لحفد، على الرغم من أن هاتين العاميتين لم تكونا ضد الأمير بقدر ما كانتا ضد حليفه عبد الله باشا الذي أرهق كاهل أبناء البلاد بالضرائب، الأمر الذي هزّ مركز الأمير الشهابي وزعزع سلطته. وفي العام نفسه ١٨٢١ انضم الشيخ بشير جنبلاط، حليف الأمير التقليدي إلى والي دمشق، ما أتاح لهذا الأخير أن يخلع بشيراً عن الإمارة، ويمنعه من البقاء في الجبل، ويولي مكانه نسيبه عباس أسعد شهاب. فاضطر الأمير للارتحال منفياً إلى مصر، وبقي لدى واليها محمد علي إلى أن توسّط له عبد الله باشا والي عكا مع الباب العالي، فعاد إلى الحكم سنة ١٨٢٢ م.

بين البشيرين

لقد أدّت تلك الأزمة إلى انفصام عرى التحالف الذي استمر مدة طويلة بين البشيرين، وبلغ الخلاف ذروته عام ١٨٢٤ م. حين أعلن الشيخ بشير ومعه آل العماد الثورة على الأمير. ووقعت معارك عنيفة بينهما في السمقانية وبقعاتا انتهت بهزيمة الشيخ بشير ولجوئه إلى حوران ثم إلى عكا مع حليفه الشيخ أمين العماد حيث أمر عبد الله باشا سنة ١٨٢٥ م. «بشنقهما» على بوابة عكا تنفيذاً لأمر محمد علي باشا حاكم مصر واستجابة لطلب بشير الثاني». (راجع: أبو شقرا، الحركات في لبنان، ص ١٣، وميخائيل مشاقة، **منتخبات من الجواب على اقتراح الاحباب**، ص ١٠٣، **والتاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية** للدكتور ياسين سويد).

ابراهيم باشا في بلاد الشام

وهكذا توطدت العلاقات بين الأمير بشير ومحمد علي. وعندما أخذت الجيوش المصرية عام ١٨٣١ م. تزحف إلى بلاد الشام بقيادة ابراهيم باشا ابن محمد علي، وانضم الأمير بشير بقواته إلى الجيش المصري، وشارك إلى جانبه في حصار عكا (تشرين الثاني ١٨٣١ - أيار ١٨٣٢ م.) وفي الدفاع عن طرابلس ضد هجوم قام به الجيش العثماني لاسترجاعها من الجيش المصري (آذار ١٨٣٢ م.) وفي احتلال دمشق (حزيران ١٨٣٢) وحمص (تموز ١٨٣٢) كما أسهم الأمير

وجيشه في إخماد الثورات التي قامت ضد الحكم المصري في الشوف (نيسان ١٨٣٢) وفي صفد بفلسطين (تموز وآب ١٨٣٤) وفي طرابلس وعكار (تموز أيلول ١٨٣٤) وفي بلاد النصيرية (آب ـ كانون الاول ١٨٣٤) وفي عكار وبعلبك وحوران وبلاد بشارة (١٨٣٩) كما أسهم إسهاماً فعالاً في مقاومة الثورة الكبرى التي عمت سنة ١٨٤٠ بلاد الشام ضد الحكم المصري، وغذّاها الباب العالي وبريطانيا بالمال والسلاح. وقد أدّت هذه الثورة إلى خروج محمد علي نهائياً من بلاد الشام، وانسحاب الأمير بشير من الحكم بعد أن كان ربط مصيره بمصير عزيز مصر. ولعل أسوأ قرار اتخذه الأمير في تحالفه مع القائد المصري هو محاربة الدروز الثائرين في حوران ووادي التيم (١٨٣٨ م.) وجرّ النصارى إلى هذه الحرب بعد أن قدّم لهم ابراهيم باشا ستة آلاف بندقية، أسلحة مؤبدة لهم ولذريتهم. وقد حاول ابراهيم باشا دون نجاح سنة ١٨٣٩ م. استرداد هذه الأسلحة من النصارى بعد أن أنهى ثورة الدروز، فكان تصرّفه هذا دافعاً للمسيحيين وللدروز معاً للقيام بثورة عامة عليه عام ١٨٤٠ م. وقد اعتبر المؤرخون أن وقوف الأمير ومعه نصارى الشوف والجبل إلى جانب المصريين في حربهم ضد الدروز سنة ١٨٣٨ من أهم الأسباب التي قادت البلاد، بعد عامين فقط على خروج ابراهيم باشا من بلاد الشام وإلى حرب طائفية مدمرة بين الدروز والنصارى أنفسهم. ويقول مؤرخون آخرون: لقد خسر محمد علي معركة سوريا بعد التحالف الرباعي ضده في معاهدة لندن في ١٥ تموز ١٨٤٠، وعاد مهزوماً إلى مصر، وخسر الأمير بشير إمارة الجبل، ونقل منفياً إلى مالطة في السنة نفسها، ثم إلى الآستانة حيث وافته المنية سنة ١٨٥٠ م. عن عمر يناهز الثالثة والثمانين.

الأمير بشير الثالث (أبو طحين)

في التاسع من تشرين الأول عام ١٨٤٠ م. تسلّم الأمير بشير الثالث الفرمان السلطاني الذي عيّن بموجبه أميراً على «قبائل الدروز»، وتضمن الفرمان أيضاً القرار بعزل الأمير بشير الثاني من الحكم. وكان عرابا الأمير الجديد المستر ريتشارد وود والسير بولدوين ووكر، وهما إنكليزيان، قد حملا صورة الفرمان السلطاني، وراحا يقتفيان أثر الأمير بشير الذي كان على رأس القوات التي تطارد فلول المصريين في الجبل، فلحقا به في ميروبا حيث زفا إليه بشرى تعيينه أميراً على البلاد.

أقام بشير الثالث في بعبدا، وقد اتخذها مقرّاً لإمارته. وكان هذا الأمير ضعيف الشخصية عاجزاً عن مواجهة الظروف الصعبة التي تمرّ بها الإمارة، ما جعله طيعاً للسياسة البريطانية وخاضعاً لنفوذ ممثليها في سوريا، ولاسيما ريتشارد وود قنصلها العام في بيروت. انتدب هذا الأخير أحد أعوانه من آل مسك ليقيم في بعبدا كمستشار لدى الأمير، فتولى فعلاً إدارة البلاد. وكان بشير الثالث لا يصدر أمراً إلا بعد الرجوع إليه.

ومن أبرز أخطاء الأمير في إدارة البلاد والحكم سوء معاملة زعماء الدروز، ولاسيما أولئك الذين كان سلفه بشير الثاني قد نفاهم إلى مصر، وعلى رأسهم نعمان جنبلاط وعبد السلام

وخطار العماد وناصيف النكدي وولده عباس وغيرهم. ولما عاد هؤلاء إلى لبنان، بعد زوال الحكم المصري، ونفي الأمير بشير إلى مالطة، أساء استقبالهم، ورفض تلبية مطالبهم باستعادة حقوقهم الإقطاعية التي كان سلفه الشهابي الكبير قد انتزعها منهم بتأييد من محمد علي. وما لبث بشير الثالث أن اعتقل بعضهم وجرّد بعضهم الآخر مما كان قد تبقى له من امتيازات. ومما زاد الأمر تعقيداً أن زعماء الموارنة رفضوا التنازل عن الامتيازات التي كان بشير الثاني قد أغدقها عليهم على حساب أخصامه الدروز. هذه المواقف السلبية حملت زعماء الدروز على إشعال نار الثورة ضد الأمير، فهاجموا دير القمر في ١٣ تشرين الأول ١٨٤١ ولم ينج بشير الثالث إلا بحماية القنصلية البريطانية. وقد استغل العثمانيون هذه الفتنة، وكانوا قد ساعدوا على إشعالها، فأصدر والي صيدا فرماناً في ١٣ كانون الثاني ١٨٤٢ م. بعزل بشير الثالث، وإنهاء الحكم الشهابي في الجبل.

غادر قصره في بعبدا إلى الآستانة ليقيم فيها لاجئاً، ولكنه ما لبث أن آثر العودة إليه، ليلقى مصرعه على يد أخصامه الدروز في أثناء الحرب الأهلية التي عصفت بالجبل سنة ١٨٦٠ م. وكان عمره ثلاثاً وثمانين سنة.

في ظل الحكم الشهابي

في ظل الحكم الشهابي، قام اللبنانيون بدور رائد في الحركة الفكرية والثقافية، وأغنوا التراث العربي واللغة العربية بروائع نتاجهم في شتى حقول العلوم الإنسانية. وقد ساعد على نهوض هذه الحركة وازدهارها انتشار المدارس في الجبل وبيروت ومدن الساحل، سواء عن طريق الإرساليات الأجنبية، الكاثوليكية والإنجيلية، أو المدارس الوطنية الدينية التي يشرف عليها أحبار ورهبان الكنائس الشرقية، ولاسيما بعد مجمع اللويزة سنة ١٧٣٦ م.الذي خصّ التعليم بباب كامل في مقرراته، أو علماء المسلمين، ولاسيما في بيروت وصيدا وحواضر جبل عاملة، كما شارك في هذه النهضة كبار رجال الفكر والأدب أمثال: بطرس البستاني وناصيف اليازجي وأحمد فارس الشدياق وسواهم.

وقد رافق هذه النهضة الفكرية نشاط كبير في الطباعة والنشر تميّز به لبنان من سائر الدول العربية. وكان هذا النشاط قد بدأ في العهد المعني. وأبرز المطابع في ذلك الزمان مطبعة عبد الله زاخر في الخنشارة سنة ١٧٣٧ والمطبعة الأميركية التي نقلت من مالطة إلى بيروت ١٨٣٤ وتبعتها المطبعة اليسوعية سنة ١٨٤٨ م.

إن جذور تلك النهضة تعود بالتأكيد إلى ما قبل ذلك بأجيال، وبالتحديد إلى أيام فخر الدين الثاني الكبير وإلى الحقبة الشهابية، ولاسيما في عهد الأمير بشير الثاني، إذ تميز عهده بانفتاح على الثقافة والعلم اقتداءً بكبار السلاطين والأمراء، وبحليفه المصري محمد علي باشا الذي قرّب إليه أهل القلم، وجعل من بلاطه في دير القمر ثم في بيت الدين محور الحركة الفكرية والأدبية في لبنان.

وجوه شهابية معاصرة

فؤاد شهاب

ولد في غزير عام ١٩٠٣. والده: عبد الله بن حسن بن عبد الله بن حسن (شقيق الأمير بشير الشهابي الكبير) بن عمر بن حيدر الشهابي. والدته: بديعة حبيش. شقيقاه: شكيب وفريد.

تزوج فرنسية تدعى روز - رينه اليان بواتيو (توفيت في ١٨/ ٢/ ١٩٩١) ولم يرزقا أولاداً.

التحق بالمدرسة الحربية في دمشق في ١٢/ ١٠/ ١٩٢١ وتخرج برتبة ملازم في ٢٠/ ٩/ ١٩٢٣. والتحق باللواء السوري المشترك في اللاذقية، ثم رقي إلى رتبة ملازم أول ثم إلى نقيب. رقي إلى رتبة عقيد في ٢٥/ ١/ ١٩٤٢ وإلى رتبة زعيم ٢٢/ ١١/ ١٩٤٤. وفي أول آب ١٩٤٥ أصبح قائداً للجيش اللبناني.

في العام ١٩٤٨ قاد قوات الجيش اللبناني في حرب فلسطين. وفي ١٨/ ٩/ ١٩٥٢ وبعد استقالة الشيخ بشارة الخوري من رئاسة الجمهورية، كلف بتشكيل حكومة انتقالية متسلماً وزارتي الدفاع والداخلية. وفي ١٨/ ١١/ ١٩٥٦ عيّن وزيراً للدفاع في حكومة رشيد كرامي مع احتفاظه بقيادة الجيش.

انتخب رئيساً للجمهورية في ٣١/ ٧/ ١٩٥٨ بعد أحداث دامية شهدتها البلاد استمرت خمسة أشهر. وفي ٢٥ آذار ١٩٥٩ التقى الرئيس جمال عبد الناصر على الحدود اللبنانية - السورية.

في ٢٠/ ٧/ ١٩٦٠ قدم استقالته من الرئاسة، غير أنه عاد عنها تحت ضغط أكثرية النواب. وفي العام ١٩٦٤ رفض تجديد ولايته. أنجزت في عهده عدة مشاريع: مجلس الخدمة المدنية، هيئة التفتيش المركزي، هيئة الإصلاح الإداري، المشروع الأخضر، مصلحة الإنعاش الاجتماعي، مصلحة الأبحاث والتوجيه، مجلس البحوث العلمية، مجلس تنفيذ المشاريع الإنشائية، مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت. معهد الدروس القضائية، مصرف لبنان، مرفأ جونية، تنفيذ الحوض الثالث في مرفأ بيروت، تنفيذ أوتوستراد ضبيه - المعاملتين، أوتوستراد فاريا، أوتوستراد القليعات - بكفيا، وطرق أخرى في عكار.

توفي في العام ١٩٧٣ ، وأقيم له تمثال في الملعب البلدي في جونية.

خالد شهاب

ولد في حاصبيا عام ١٨٩٢. والده نجيب. زوجته: سارية شهاب، وله سهيل، نجيب، سمية ولميس. تلقى علومه في الكلية البطريركية في دمشق. وانتخب نائباً عام ١٩٢٢ عن

دائرة حاصبيا. عين وزيراً للمال في حكومة الشيخ بشارة الخوري عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨. وأعيد انتخابه نائباً عن حاصبيا عام ١٩٢٨. انتخب رئيساً للمجلس النيابي عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧.

عين رئيساً لمجلس الوزراء عام ١٩٣٧. وترأس حكومة الموظفين عام ١٩٥٢ والتي عرفت بحكومة المراسيم الاشتراعية. وانتخب لثالث مرة عن منطقة مرجعيون - حاصبيا.

كان أول نائب لبناني نادى تحت قبة البرلمان إبان الانتداب باستقلال لبنان عن فرنسا، ودعا إلى رفض معاهدة سياسية أرادت بها فرنسا تقييد إرادة اللبنانيين. وكان أول لبناني تمنع عن بيع أراض واسعة كان يملكها في فلسطين على الرغم من الإغراءات القومية التي قدمتها له الصهيونية. ولذلك قال عنه الناس: «جاع وما باع». توفي في ٧/ ٧/ ١٩٧٨.

فريد حارس شهاب

ولد في الحدث عام ١٩١٠. والده: حارس شهاب. والدته ماري شهاب. تزوج عام ١٩٥٢ من يولند نكد ولهما ولدان: حارس ويمنى. نال إجازة الحقوق عام ١٩٣٤ من الجامعة اليسوعية. وتوظف في الأمن العام، وترأس شعبة مكافحة الشيوعية عند بدء الحرب العالمية الثانية، كما تولى رئاسة مكافحة الجاسوسية. وعين مديراً للأمن العام. سجن خلال عامي ١٩٤٢ و١٩٤٣ عند إعلان الاستقلال. في العام ١٩٤٣ تولى وظيفة مدير البوليس العدلي ونائب رئيس الأنتربول. وعين محافظاً للبقاع، وعين سفيراً للبنان: في غانا، نيجيريا، كاميرون، تونس، قبرص. تقاعد عام ١٩٦٩.

عبد العزيز شهاب

ولد في بعبدا في كانون الأول ١٩١٣. والده: فائق شهاب. والدته: فرنسية الأصل. شقيقه عبد القادر، ضابط في الجيش اللبناني. متزوج كتي عفيف وله خمسة أولاد: زهير، زياد، سعد، منى وندى. نال إجازة في الحقوق من الجامعة اليسوعية عام ١٩٣٧. عام ١٩٣٩ عيّن قاضياً للتحقيق في جبل لبنان، ثم انتقل إلى بيروت. في العام ١٩٤٦ عين محافظاً للشمال، وفي العام ١٩٤٧ محافظاً للجنوب. وفي العام ١٩٤٨ بصفته محافظاً للجنوب تسلم حاكمية الجليل (فلسطين) لمدة تزيد عن أربعة أشهر.

في العام ١٩٥٥ عين مديراً للداخلية. وفي العام ١٩٦٠ - ١٩٦٨ انتخب نائباً عن الشوف.

يعتبر الوريث الشرعي للأمير بشير الشهابي، لذلك أقام دعوى على الدولة وطالبها بإعادة ملكية قصر الأمير الشهابي في بيت الدين إلى الوقف.

عادل شهاب

ولد في الحدث عام ١٩٠٣. والده عامر شهاب. والدته إميلي مسك. متزوج من كارين لطيف ولهما ولدان: عامر ووليد. تخرّج من المدرسة الحربية عام ١٩٢٣ وتابع دروسه العسكرية في فرنسا وألمانيا. وكان قائداً للمنطقة الشرقية خلال حرب فلسطين ١٩٤٨.

عين رئيساً للمحكمة العسكرية. وعين قائداً للجيش اللبناني بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٥. وعين وزيراً للدفاع عام ١٩٦٠.

سهيل خالد شهاب

ولد في حاصبيا عام ١٩٢٠. والده: الأمير خالد شهاب. والدته سارية. متزوج من عالية العريسي في العام ١٩٥٨ ولهما ثلاثة أولاد: منى، خالد ومهى. انتخب نائباً بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٣.

أعيد انتخابه عن دائرة مرجعيون عام ١٩٦٤. توفي في ١٩٩٦/٨/٩.

طارق شهاب

ولد في حاصبيا عام ١٩٣٢. والده: محمد. والدته: وداد (توفيت في ١٩٩٥/٤/٧). نال الإجازة في الحقوق من جامعة القديس يوسف عام ١٩٦٠. وعمل موظفاً في مديرية التعليم الابتدائي، ثم استقال من وظيفته ليمارس المحاماة.

ترشح للانتخابات عن دائرة مرجعيون ـ حاصبيا في دورتي ١٩٦٨ و١٩٧٢. وترشح في دورة العام ١٩٩٦ عن محافظة الجنوب، ونال ٢٠١٩٥ صوتاً، ولم يحالفه الحظ. وكذلك لم يحالفه الحظ في دورة العام ٢٠٠٠.

هو عضو قيادي في الحزب التقدمي الاشتراكي الذي انضم إليه عام ١٩٦٠. وقد شغل عدة مناصب سياسية في الحزب الاشتراكي آخرها النائب الأول لرئيس الحزب من ١٩٧٥ لغاية ١٩٨٥. له دراسات ومقالات في القانون الدولي حول القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي وحول الوضع الدولي في الجنوب.

عماد فؤاد شهاب

ولد في حاصبيا عام ١٩٥٠. متزوج منى خالد شهاب، ولهما ولدان: فؤاد وعمر.

مارس مهنة المحاماة قبل أن يتدرّج ليصبح قاضياً عام ١٩٩٢. وقد عين عضواً في هيئة محكمة جنايات لبنان الجنوبي.

اغتيل مع ثلاثة قضاة آخرين في قصر العدل في مدينة صيدا بتاريخ ١٩٩٩/٦/٨.

المراجع

١ ـ **تاريخ الأمراء الشهابيين بقلم أحد أمرائهم من وادي التيم** ـ الكتاب دون توقيع ـ نشرته دار لحد خاطر عام ١٩٨٤، وأشرف على تحقيقه الدكتور سليم هشي.

٢ ـ «الإمارة الشهابية في جبل لبنان» (بحث مطول نشره الدكتور ياسين سويد في كتاب **لبنان في تاريخه وتراثه** ـ صدر عن مركز الحريري الثقافي في بيروت عام ١٩٩٣).

٣ ـ كتاب **تاريخ الأعيان في جبل لبنان** لطنوس الشدياق، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، جزآن، تحقيق فؤاد الشافي.

٤ ـ **الحركات في لبنان**، تأليف يوسف أبو شقرا، بيروت، ١٩٥٢.

٥ ـ **منتخبات من الجواب على اقتراح الأحباب** ـ ميخائيل مشاقة، تحقيق أسد رستم وصبحي أبو شقرا، بيروت، مديرية الآثار، ١٩٥٥.

٦ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل أبي اللمع

ذات يوم وقف الأمير فاروق أبي اللمع محاضراً في باريس، بدعوة من رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي، عن الأحداث الدامية التي حصلت في لبنان بين المسلمين والمسيحيين، وعما إذا كان بالإمكان إعادة اللحمة والعيش المشترك بينهم، يومذاك استهل كلامه بالقول:

«الواقف أمامكم هو سفير الجمهورية اللبنانية في فرنسا. وأسمح لنفسي بأن أقول إنني ماروني، وأجدادي لأبي هم من التنوخيين الذين اعتنقوا المذهب التوحيدي (مذهب الموحّدين الدروز) وظلوا عليه على مدى أجيال، وجدتي زلفا شهاب من بني قريش الذين كانوا من أوائل الدعاة للدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية. والدتي بروتستانتية من الولادة حتى الموت. وقد أوصتني أن يُشرف على جنازتها قسيس بروتستانتي».. ويستطرد المير فاروق فيقول: «أذكر أني زرت البطريرك الماروني بولس المعوشي وأخبرته بوصية والدتي، فاستغرب وقال لي: «هذه زوجة المير رئيف فهل يعقل أن نحضر قسيساً بروتستانتياً... سنرسل مطراناً مارونياً. فأجبته: «كلامك اوامر.. ولكن فليبق بجوار القسيس في مذبح كنيسة مار جرجس، على أن لا يتخلل الجناز أي خطب وكلمات». وهذا ما حصل فقد حضر القسيس بهنام، وحضر المطران صفير (البطريرك الحالي).

بنية عربية

هذه البطاقة التي تعرّف بعائلة أبي اللمع، العائلة اللبنانية العربية التنوخية المارونية تؤكد حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل، وهي أن البنية الأساسية للأسر في لبنان - أسر سياسية أكانت أم غير سياسية - هي بنية عربية سواء من حيث عمق الانتماء إلى القبائل العربية التي انطلقت من اليمن أو نجد أو بادية الشام، أو الأحساء باتجاه هذه المنطقة، أو من حيث الإصرار الدائم على الاحتفاظ بالأسماء العربية الواضحة لكثير من أبناء هذه الأسر، على رغم التبدلات الاقتصادية والإجتماعية التي طرأت على حياتها اليومية في لبنان. يضاف إلى ذلك أن الغالبية الساحقة من أبناء هذه الأسر لم تتنازل قط عن ألقابها العربية القديمة كالأمير أو الشيخ بشكل خاص، وذلك على رغم

وصولها إلى مناصب تفوق تلك الألقاب أهمية كرئاسة الجمهورية أو رئاسة مجلس الوزراء أو رئاسة الحكومة أو النيابة او غيرها.

قبل معركة عين دارة

هذه العائلة لعب أبناؤها دوراً قيادياً بارزاً في تاريخ لبنان السياسي منذ ما قبل معركة عين دارة الشهيرة، وأول ما ذكرتهم التواريخ المكتوبة كان على عهد المماليك. فبعد سفر البطريرك الماروني إرميا الدملصاوي إلى روما سنة ١٢٨٢ م. استناب مكانه المطران تادروس العاقوري الذي قال في تاريخه: «إن بيت ابي اللمع مقدمي الشحار والجرد والبقاع حاربوا في السنة ١٢٩٤ م. إلى جانب الكسروانيين الجيش الدمشقي الزاحف على كسروان فكسروه شر كسرة في عين صنين. (راجع الخوري بولس قرالي - **المجلة البطريركية** - السنة السادسة ص ٣٣).

وفي العام ١٦٠٠ م. تحدث طنوس الشدياق في **أخبار الأعيان** عن إحراق دور اللمعيين وغيرهم فيقول: «أما العساكر فطفقوا يجولون في بلاد جبيل وكسروان ويدهمون المواضع التي يُظنّ أن الامراء مختبئون فيها. وأحرقوا دور اللمعيين والخوازنة والحمادية والمعنية ومدبريهم وقطعوا أشجارهم وعاثوا في تلك الديار وخربوها».

وفي العام ١٦١٦ ولى الامير يوسف المعني مقدمي كفرسلوان اللمعيين المتن.

بعد معركة عين دارة

إثر معركة عين دارة (١٧١١ م.) وانتصار الحزب القيسي ومشاركة اللمعيين فيها مشاركة فعالة، ساوت الإمارة الشهابية بين الإقطاعين الماروني والدرزي. ورفع الامير حيدر بيت جنبلاط إلى رتبة مشايخ ومنحهم الشوفين كإقطاع لهم ولذريتهم، ورفع بيت تلحوق أيضاً إلى رتبة المشيخة، واقطعهم الغرب الفوقاني، واقطع الشيخ علي النكدي قرية الناعمة، واقطع الشيخ قبلان القاضي إقليم جزين، ورفع جنبلاط عبد الملك إلى رتبة شيخ، ومنح مقاطعة كسروان إلى المشايخ بيت الخازن، وثبت المشايخ آل حبيش في قاطع غزير. أما بالنسبة إلى اللمعيين فيقول الأمير حيدر شهاب في كتابه **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: «رفع أمير البلاد، بعد معركة عين دارة، بيت أبي اللمع إلى رتبة الامراء، بعد أن كانوا مقدمين، ووسع إقطاعهم في المتن».

متى جاءت العائلة إلى لبنان؟

وعن مجيء هذه العائلة إلى لبنان، وهي فصيل من قبيلة تنوخ العربية، واستقرارها في ربوعه يحدثنا الأب أنطون ضو مؤلف **تاريخ الأمراء اللمعيين** (١٩٩٥): «في سنة ٨٢٠ م. رحل التنوخيون من الجبل الاعلى قرب حلب إلى لبنان، بسبب الضرائب التي فرضها العباسيون على

الأهالي بشكل تعسفي، وبسبب تعرض أحد العمال المكلفين بالجباية لإحدى السيدات، فقامت قيامة أحد الرجال البواسل، ويُدعى نبا على هذا التصرف الذي يتنافى مع الأخلاق العربية، ومن فرط غيظه وغضبه قتل العامل عقاباً وهرب بعياله إلى لبنان خوفاً من عقاب الوالي».

ويؤكد هذه الحكاية طنوس الشدياق إذ قال: سنة ٨٢٠ م.أرسل والي حلب مشداً (أحد الجباة) إلى الجبل الأعلى ولما تعرض لبعض حريمهم نهض عليه رجل منهم اسمه نبا وقتله وفرّ بعياله إلى لبنان، فبنى له قرية شرقي كسروان سميت قصرنبا واستوطنها، فطلبه الوالي من عشيرته، فنهضوا جميعاً إلى لبنان وتفرقوا في جنوبيه وعمروه حسب المناشير الصادرة (راجع **أخبار الأعيان**، ص ٤٩٧).

أتى الأمير تنوخ (الملقب بالمنذر) بعشيرة نبا وأتى معهم بعض أمراء القبيلة وكانوا عشر طوايف، فوجههم نبا إلى الديار الخالية. فتوطن الأمير تنوخ حصن سرحمول وتوطن الباقون في البلاد.

الطوائف العشر

والطوايف العشر التي رافقت الأمير تنوخ هم: بنو فوارس (التي منها يتحدر بنو اللمع) وبنو عزايم، وبنو عبد اللـه، وبنو تطير، وبنو خضر، وبنو هلال، وبنو شجاع، وبنو نمر وبنو شرارة، وبنو كاسب. وتشاء الصدف أن يتزامن مجيء الموارنة إلى لبنان من سوريا مع مجيء التنوخيين. وتشاء الصدف كذلك أن يكون سبب هجرتهم الاضطهاد السياسي أكثر منه الاضطهاد الديني، فالعباسيون أرادوا القضاء على الأمويين وحلفائهم، وبما أن الموارنة والتنوخيين كانوا حلفاء الأمويين اضطروا إلى الهرب من ظلم الاضطهاد العباسي ولجأوا إلى لبنان. فالموارنة نزلوا في بلاد جبيل والبترون والشمال، والتنوخيون نزلوا في وادي التيم والجرد. ولعل هذا سر التحالف الدرزي ـ الماروني الذي تبلور في عهد الأمير فخر الدين المعني الكبير.

جنود الأمبراطورية الأموية

ولا بد من التوقف والإشارة إلى أن مسيحيي لبنان وسوريا ناصروا المسلمين بكل قواهم، باستثناء مسيحيي قبيلة تغلب قوم الأخطل الذين حاربوا تحت رايتي الصليب ومار سرجيس. كان مسيحيو سوريا جنود الأمبراطورية الأموية، ومنهم عرب من القبائل العربية التي هاجرت من اليمن قبل الفتح الإسلامي. ولولاهم لسقطت الأسرة الأموية عند موت يزيد بن معاوية في أثناء حصاره مكة لإخضاع ابن الزبير (٦٨٣ م.) لما تنكر القيسيون فاتحو سوريا لابنه معاوية (٦٨٣ ـ ٦٨٤ م.) ثم لمروان بن الحكم (٦٨٤ ـ ٦٨٥ م.) الذي كسر شوكتهم.

من هنا كان التسامح الأموي الذي وصل إلى حد إبقاء كل شيء في سوريا على ما هو عليه، الدين والكنائس والمدارس، ومنها المدرسة الشهيرة التي خرّجت صفرونوس بطريرك أورشليم ويوحنا الدمشقي حفيد منصور بن سرجون، كما ترك الأمويون للمسيحيين قوانينهم ورؤساءهم،

بل هم جعلوا بطاركتهم وطنيين مستقلين عن القسطنطينية، فأقاموا لهم بطاركة بينما أقام الموارنة بطريركاً لهم في جبل لبنان. وظلت لغة الدواوين في أول عهد الأمويين اليونانية وكذلك ظل التعامل بالنقود الرومانية الشرقية. ولم يشجع الأمويون رعايا المسيحيين على اعتناق الدين الإسلامي، ولم يمنحوا معتنقي الإسلام مركزاً مماثلاً لمركز المسلمين». هذا التسامح الديني بدأ مع العهد الراشدي، واستمر في العهد الأموي. ويروى عن عمر بن الخطاب أنه استقدم أبا موسى الأشعري من البصرة (وكان عاملاً عليها) ليحاسبه دخل عليه وهو في المسجد، واستأذن عليه لكاتبه وكان نصرانياً فقال له: قاتلك اللـه، وضرب بيده على فخذه وجعل يقول: وليت ذمياً على المسلمين ألا اتخذت حنفياً» فقال له أمير المؤمنين: لي كتابته وله دينه». وهكذا بقي جبل لبنان مستقلاً طيلة العهود الأموية، وظل أكثر سكان لبنان مسيحيين لغتهم الآرامية، بينما خضعت السهول لبني أمية، وانتشر فيها الإسلام، وحلت اللغة العربية فيها محل الآرامية (**الأصول التاريخية ـ تاريخ الشيخ شيبان الخازن** ـ قدم له وحققه: نسيب وهيبة الخازن).

وأعود إلى قبيلة فوارس التي تتحدر منها الأسرة اللمعية والتي برز منها الأمير المقدم أبي اللمع في كفرسلوان جد اللمعيين، والذي قيل إنه لمع واشتهر من جراء فتكه ببني الصواف. ومن صلبه كانت الفروع اللمعية الثلاثة:

١ ـ قيد بيه
٢ ـ مراد
٣ ـ فارس

قيد بيه: الأمير حسن بن عبد اللـه، هو أصل فرع قيد بيه في صليما. سلالته انتشرت في رأس المتن والشبانية وبرمانا وبيت شباب وبكفيا. ومراد: الأمير مراد بن عبد اللـه هو أصل فرع مراد في المتين سلالته انتشرت في قرنايل وفالوغا والعبادية وروميه وبيت شباب وبحنس. وفارس: الأمير فارس بن محمد بن بللمع، هو أصل فرع فارس في بسكنتا وسكن فرعه في بسكنتا وحكمها.

من الوثنية إلى المارونية

وعن المذهب الديني الذي اعتنقه التنوخيون يقول الأب ضو: «في الأساس كانوا من القبائل العربية الوثنية ثم تقبلوا الدين المسيحي في القرن الخامس، وتحديداً بعد تنصّر الملك النعمان حوالى ٤١٠ م.. وعندما بزغ فجر الإسلام سنة ٦٢٤ م. دخل بعضهم الدين الإسلامي عن قناعة، وبعضهم الآخر اكره على الدخول فيه على ما يقول المؤرخ السرياني ابن العبري.

في القرن الحادي عشر ظهر مذهب الموحدين الدروز، فاعتنق التنوخيون بكاملهم هذا المذهب وصاروا من أركانه ودعاته في وادي التيم وحيث وجدوا. وقد أرسل المقتنى بهاء الدين علي بن أحمد بن الضيف الطائي السموقي الذي تقلد مقاليد الدعوة بعد سنة ١٠٢١ م.رسالة إلى ثلاثة أمراء تنوخيين هم أبو الفضائل وأبو اسحق ابراهيم بن أبي عبد اللـه محمد وهي الرسالة الموسومة

بالجمهيرية وتاريخها سنة ١٠٢٧ م. فوصفت الأمراء الثلاثة قائلة: «الأمراء السادة آل تنوخ الأصفياء المحقين والدعاة والشيوخ».

بدء عملية التنصر

في مطلع القرن الثامن عشر بدأ اللمعيون الدروز يدخلون في الدين المسيحي، وذلك بسبب احتكاكهم بالمرسلين الأجانب والموارنة وبعض الطوائف المشرقية. وأول من تنصر هو الامير عبد اللـه قيد بيه أبي اللمع الذي مات سنة ١٧١٧، وإن عملية التنصر مرّت بمرحلة دقيقة وطويلة بدأت في القرن الثامن عشر وانتهت في أواخر القرن التاسع عشر.

ويرجع بعض المؤرخين أسبابها إلى أربعة:

١ ـ فقدان الرعاية الروحية في أوساط العائلات الدرزية فيما كانت حالة التبشير بالدين المسيحي ناشطة وتعمل في أرض خصبة.

٢ ـ تمدّد المسيحيين بين الدروز، ولاسيما الموارنة منهم، ساهم في التعايش الأخوي والعمل المشترك والانفتاح والتفاعل الروحي.

٣ ـ انتشار المرسلين اللاتين في لبنان، وفي الأوساط الدرزية بالذات ساهم في عملية التنصر، وذلك من خلال التعليم والطبابة والتقديمات الاجتماعية: وأبرزهم: الكبوشيون واليسوعيون.

٤ ـ انتشار الرهبان الموارنة في حدود الإمارة، ساهم كثيراً في تكثيف عملية الارتداد. وبالأخص الرهبان الأنطونيون وأديرتهم المنتشرة في برمانا، وبيت مري، وقرنايل والدكوانة وبحرصاف وشملان.

مشكلة بين الموارنة والكاثوليك

بعد تنصر الأمير عبد اللـه قيد بيه أبي اللمع، تبعه أولاد الأمير نصر مراد اللمعي من المتين بواسطة المطران بولس كرم من بسكنتا والأمراء اللمعيون في قرنايل (وكان أولهم الأمير بشير حسن يوسف مراد وذلك حوالى ١٧٩٠ م.ثم لحق بهم لمعيو برمانا وبيت مري على يد الرهبان الانطونيين، ولمعيو رأس المتن على يد الرهبان اللبنانيين. أما تنصر اللمعيين في فالوغا فقد أوقع مشكلة بين الموارنة والروم الكاثوليك في هذا الشأن وصلت أصداؤها إلى الفاتيكان. وقد شكا المطران اغابيوس الرياشي مطران الروم الكاثوليك في رسالة بعثها إلى مجمع انتشار الإيمان، عرض فيها «اختلاس الامراء الكاثوليكيين أولاد الامير شديد القصر بفالوغا والامير مصطفى والأمير محمد في الشبانية من حضرة إخوتنا المطران بطرس كرم والمطران عبد اللـه بليبل المارونيين إلى طقسهم الماروني وجملة أشخاص غيرهم من أبناء طائفتنا». وردّ عليه المطران بولس كرم موضحاً بدون اشتباه بأن جناب الأمراء الومي إليهم موارنة، وأخرج الحكم بذلك وإنهم يكونوا جميعهم «تحت ولايتنا ولا يحق لسيادة المطران أغابيوس ولا لكهنته التولي عليهم بوجه من الأوجه».

أوقاف الأمراء اللمعيين

في القرن الثامن عشر، ترسخت العلاقات المسيحية ـ الدرزية بعامة، والمارونية ـ الدرزية بخاصة. هذه العلاقات نتج منها وقف بعض العائلات الدرزية من أموالها وأملاكها إلى بعض الاديار. الرهبان الكبوشيون كانت لهم علاقات خاصة مع الامير عبد اللـه أبي اللمع كذلك الرهبان اليسوعيون لهم علاقات مع الامير حيدر أبي اللمع في بكفيا. ثم كانت علاقة الرهبنة الأنطونية، ومن بعدها الرهبانية اللبنانية المارونية، والرهبانية المخلصية والرهبانية الشويرية. كل هذه الرهبنات فتحت ابواب أديارها الموزعة في مناطق المتن والبقاع والشوف وجزين للأمراء الدروز، وقدمت لهم الخدمات الجلى في التدريس والتطبيب والإرشاد، وبادلهم الدروز حسن المعاملة وفي طليعتهم أمراء بيت اللمع، حيث قدموا للأديار أوقافاً وهبات ومساعدات. وقبل أن يتنصروا أوقفوا الكنائس والاديار، وبعد أن تنصروا ظلوا أسخياء وعلى علاقات وطيدة بالرهبان والمطارنة، وسهروا على الوقفيات كونهم حكام المناطق، وهذه لائحة بالأديار التي أوقفها عدد من الأمراء اللمعيين:

١ ـ دير مار جرجس الحرف. أنشأه الأمير عبد اللـه ابن الأمير قيد بيه الشهير بابن اللمع ١٦٩١ م.

٢ ـ دير الكبوشيين في صليما: أنشئ بمعاونة الأمير عبد اللـه أبي اللمع ١٧٠٥ م..

٣ ـ دير مار افرام للسريان في الشبانية ساعدهم في إنشائه الأمير عبد اللـه.

٤ ـ دير مار شعيا في برمانا ١٦٩٨ ساعد الرهبان الأنطونيون على إنشائه الأمير عبد اللـه.

٥ ـ دير مار يوحنا القلعة في بيت مري، في سنة ١٧٤٨ اشترى الأمير يوسف مراد القلعة القديمة في بيت مري ووهبها للرهبانية الانطونية، حيث شيدت عليها دير مار يوحنا.

٦ ـ دير مار روكز في الدكوانة تم تشييده على أنقاض حصن عسكري قديم. ويرجع تاريخه إلى زمن المردة والصليبيين والأرسلانيين.

٧ ـ دير مار الياس في انطلياس. وإلى جانب مار الياس أنطلياس شيد اللمعيون مدفناً خاصاً بهم لا يزال قائماً إلى أيامنا الحاضرة.

٨ ـ دير مار يوسف في زحلة ١٧٧٣ م.شيدته الرهبانية الأنطونية بمساعدة من الأمير بشير أبي اللمع.

٩ ـ دير مار سمعان في عين القبو ١٧٥٠ (كان الدير مخصصاً للراهبات وبعد قرار المجمع اللبناني بفصل الرهبان عن الراهبات تم تسليمه إلى الرهبانية الأنطونية. الأمير مراد أبي اللمع قدم البستان والارض المجاورة للدير.

١٠ ـ دير مار الياس في قرنايل سنة ١٧٤٩ م. قدم الأمير يوسف مراد أبي اللمع بيتاً وأرضاً إلى الرهبانية الانطونية بشخص رئيسها العام الأب سمعان عريض. وبني الدير.

١١ ـ دير مار أنطونيوس في زحلة في ١١ أيلول ١٧٧٢ وهب الأمراء اللمعيون شديد وحسن وسلمان، ونصر وأحمد ومنصور أبي اللمع رئيس عام الرهبانية اللبنانية، قطعة في زحلة لأجل تأسيس دير لسكن الرهبان وتشييد كنيسة لخدمة الموارنة وشركاء الأمراء.

١٢ ـ دير مار يوحنا في زكريت من الأديار المارونية الأثرية كان ديراً للراهبات العابدات. في القرن الثامن عشر وقع الدير تحت دين هائل وتعطلت فيه الحياة الرهبانية، وتعهد الأمراء، فارس، اسماعيل وسلمان إلى رئيس عام الرهبانية الاب مرقس الكفاعي برد جميع أملاك الدير وترميمه.

١٣ ـ دير مار أنطونيوس في بيت شباب. هذا الدير سلمه بيت الاشقر إلى الرهبانية اللبنانية في عهد الأمير اسماعيل قيد بيه أبي اللمع وأعلن الأمراء: علي وفارس واسماعيل أبي اللمع موافقتهم ورضاهم بتسلم الرهبان اللبنانيين، كما أعلنوا عن وقف أراض لهم للدير لتعزيز مداخيله.

١٤ ـ مار تقلا المروج في سنة ١٧٩٣ م. تسلمت الرهبانية اللبنانية كنيسة مار تقلا في بلدة المروج من بعض المحسنين مع أملاكها فوافق الأمير بشير أبي اللمع على هذا التسليم.

١٥ ـ دير سيدة النجاة في بكفيا. في سنة ١٨٣٣ اشترى الامير حيدر اسماعيل أبي اللمع محبسة قديمة في بكفيا مع املاك حولها وقدّمها للرهبان اليسوعيين. وتوسعت المحبسة حتى أصبحت ديراً بمساعدة الأمير حيدر.

١٦ ـ كرسي مطرانية دمشق: الأمير ملا أبي اللمع من بسكنتا وشقيقته الأميرة نسيم وقفا أملاكاً طائلة لمطرانية دمشق المارونية في عهد المطران نعمة الله الدحداح. والأمير حسن الذي تولى وكالة قائمقامية النصارى من ١٤ أيلول ١٨٥٨ م. إلى سنة ١٨٦١ كان غنياً بالمال والأملاك وشقيقته نسيم مشهورة بتقواها، فأوقفا أملاكهما إلى كرسي مطرانية دمشق في عشقوت.

١٧ ـ وآخر عملية وقف حصلت كانت وقفية الأمير يوسف مراد أبي اللمع، (توفي الأمير يوسف مراد علي بللمع في بيروت فنقل جثمانه إلى بيت مري ومنها نقل إلى المدفن الخاص في قرية بحنس). وقف أكثر أملاكه على اسم الست ورد ابنة الأمير سعيد بللمع بيت مري إذ هي لم تتزوج. وبعد حياتها أو بعد أن تعطي يدها لسواه يجري ريع الوقف على بتولات أسرته الفقيرات تحت إشراف غبطة البطريرك الماروني، فهو يبني لهن من ريع الوقف ديراً ينضوين إليه.

الدور السياسي

اكتفي بهذا القدر من ذكر الأوقاف التي قدمها اللمعيون للمؤسسات والأديار المسيحية مارونية أكانت أم غير مارونية، لانتقل للكلام على الدور السياسي الذي قامت به هذه العائلة بعد انهيار الحكم الشهابي في لبنان الذي امتد من ١٦٩٨ م. إلى ١٨٤٢ م.، وكانوا حلفاء له كما كانوا حلفاء للحكم المعني الذي سبقه. في ١٣ كانون الثاني ١٨٤٢ م. أعلنت الدولة العثمانية نهاية حكم الأسرة الشهابية بعد نفي الامير بشير قاسم شهاب المعروف بالأمير بشير الثالث إلى اسطمبول.

لا لعمر النمساوي

وفي ١٦ كانون الثاني من العام نفسه ١٨٤٢ أعلن عن تعيين أحد الضباط العثمانيين عمر باشا النمساوي حاكماً على جبل لبنان. المسيحيون رفضوا هذا التعيين، وطالبوا تعيين حاكم


الأمير حيدر إسماعيل أبي اللمع أول قائمقام للنصارى (كتاب تاريخ الأمراء اللمعيين)

شهابي. الدبلوماسية الإنكليزية وقفت موقف المعارض من هذا التعيين، كما عارضت فرنسا معتبرة القرار الجديد منافياً لرغبة اللبنانيين في حكم ذاتهم. والأمير حيدر أبي اللمع زعيم الأسرة اللمعية، رفض التعاون مع الحاكم الجديد. لم يطل حكم عمر باشا النمساوي. ففي ١٣ كانون الثاني ١٨٤٢ استدعاه أسعد باشا من بيت الدين معتبراً الحكم العثماني المباشر لجبل لبنان قد انتهى، وأن محاولة جعل لبنان ولاية تركية قد باءت بالفشل كذلك.

نظام القائمقاميتين

بعد فشل كل المحاولات لإعادة الأمراء الشهابيين إلى الحكم، تمّ طرح مشروع جديد هو نظام القائمقاميتين. هذا النظام قضى على وحدة لبنان، وولد الانقسامات والفتن والمشاكل التي لا تحصى.

أن يقسم لبنان إلى قائمقاميتين، مسيحية ودرزية مشروع من وحي إثنين: الأول: رشيد باشا والي عكا العثماني ثم والي القدس ثم الوزير في الآستانة، وقد قال: إن تقسيم لبنان إلى منطقتين درزية ومسيحية، هو وضع الحرب في صلب الدستور اللبناني (وهذه رغبته). والثاني هو الأمير كلمنس مترنيخ رئيس وزراء النمسا الذي كلف سفير بلاده في الآستانة إبلاغ سفراء الدول الكبرى عن مشروع التقسيم. قبلت الحكومة العثمانية بمشروع التقسيم شرط الا يكون الحاكم من الشهابيين. واتخذ قرار التقسيم في الآستانة بتاريخ ٧ كانون الأول ١٨٤١ م.، وهو أحد القرارات الخطيرة التي اتخذت بشأن الوضع اللبناني. وعندما قرر أسعد باشا (والي صيدا والمكلف بالإشراف على القائمقاميتين) تنفيذ تعليمات الباب العالي في اختيار قائمقام مسيحي، دعا الزعماء المسيحيين إلى اجتماع وطلب إليهم اختيار الحاكم الذي يرغبون فيه. الاختيار كان صعباً والدولة العثمانية ترفض عودة الشهابيين إلى الحكم، والتنافس كان على أشدّه بين العائلات المسيحية.

المير حيدر اسماعيل اللمعي

وأخيراً استقر الرأي على انتخاب أحد اللمعيين حاكماً، فأرسل مصطفى باشا رسولاً إلى



الأمير قبلان سعد أبي اللمع: قائمقام المتن
(كتاب تنوير الأذهان)

البطريرك يوسف حبيش لأخذ رأيه فيمن يصلح من الأمراء اللمعيين للولاية. فأجابه البطريرك: إن الأمير حيدر اسماعيل اللمعي هو الموافق لها والخبير في السياسة على ما ذكر في المقاطعة الكسروانية. الروم الأرثوذكس لم يقبلوا بالأمير حيدر، لانهم طالبوا بقائمقامية أرثوذكسية مستقلة في الكورة وقد دعم طلبهم قنصل روسيا. وفي الأول من كانون الثاني ١٨٤٣ م. تسلم الأمير حيدر اسماعيل أبي اللمع قائمقامية النصارى. لم تكن في بادىء الامر حدود القائمقامية المسيحية واضحة. التقسيم وضع حدود القائمقامية المسيحية من طريق بيروت - الشام حتى الشمال وحدود القائمقامية الدرزية من طريق بيروت - الشام إلى جزين. هذه الحدود أطلقت الاعتراضات من كل جانب، ولاسيما من طائفة الروم الأرثوذكس.

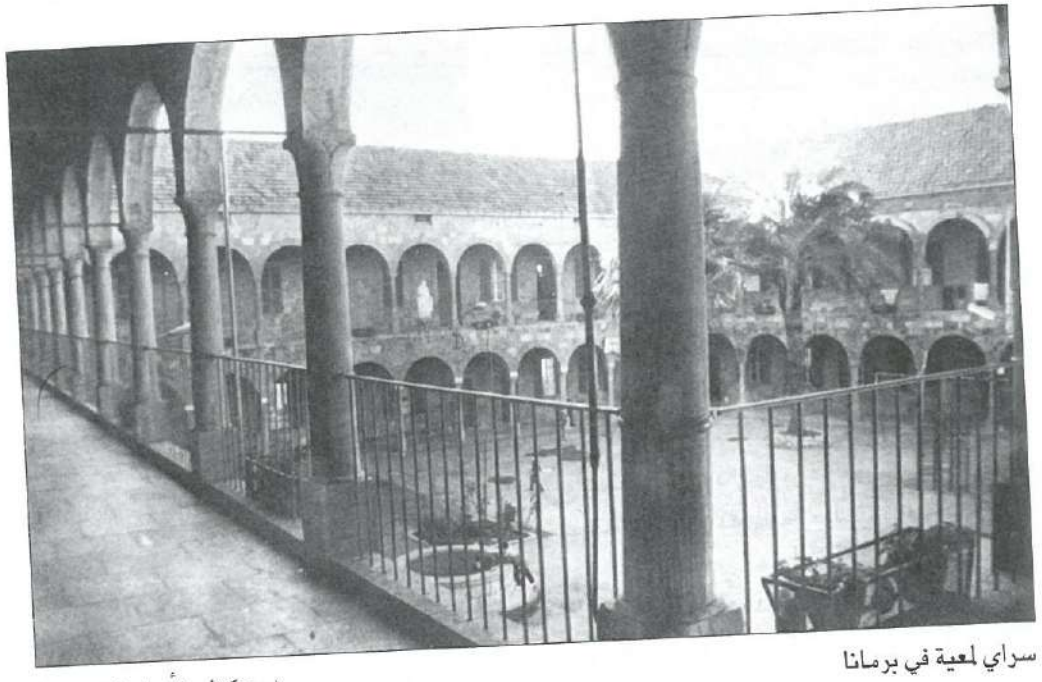
استعاد أسعد باشا البيورلدي القاضي بتعيين الأمير قائمقاماً على النصارى، وأصدر مرسوماً جديداً سماه فيه قائمقام على الموارنة، وسلخ مناطق جبيل والكورة وإهدن وبشري من صلاحيات الأمير حيدر وجعلها مرتبطة مباشرة بوالي صيدا أو بوالي طرابلس، وعهد بها إلى الأمير الآي قدري بك.

تهديد بالاستقالة

اعترض الأمير حيدر على تقليص صلاحياته واقتطاع جزء من قائمقاميته، وهدّد بالاستقالة إن لم يرجع كل شيء إلى أصله. وقف إلى جانب القائمقام، البطريرك الماروني يوسف حبيش وقنصل فرنسا، والعديد من رجالات البلاد، وطلبوا من الأمير حيدر عدم تقديم استقالته لئلا تستفيد الدولة من الفراغ الدستوري وتضع الجبل تحت حكمها المباشر. وأجمع الرأي على إرسال وفد إلى الآستانة ليطالب بعودة المناطق المسلوخة إلى القائمقامية المسيحية وعدم مضايقة الأمير حيدر والحد من صلاحياته، وانتدبوا لهذه المهمة المطران نقولا مراد.

وافق الباب العالي على إعادة جبيل والبترون والكورة وإهدن وبشري إلى القائمقامية المسيحية. وصدرت تعليمات صارم أفندي إلى فؤاد باشا بتاريخ أول آذار ١٨٤٣ م. تؤكد ذلك.

وبرزت مشكلة الدروز القاطنين في القائمقامية المسيحية، ومشكلة المسيحيين القاطنين في



سراي لمعية في برمانا
(من كتاب الأمراء اللمعين)

القائمقامية الدرزية. الأمير حيدر طالب أن تشمل صلاحيات القائمقام المسيحي المسيحيين أينما كانوا، وهذا كان مطلب القائمقام الدرزي أيضاً. أما الدولة العثمانية فرأت أن التقسيم الجغرافي هو القاعدة القانونية وصلاحيات كل قائمقام لا يجوز ان تتعدى طريق الشام. فهذه الطريق هي الفاصل الجغرافي والقانوني. والقاء نظرة على توزيع السكان في جبل لبنان سنة ١٨٤٢ يعطي فكرة واضحة عن عمق المشكلة، علماً أن الإحصاء يشمل السكان الذكور فقط. سكان القائمقامية المسيحية ١٢٩٥٣٥. المسيحيون ١١٥٩٣٠، الدروز ٥٣٩٠، المتاولة ٦٢٩٥، السنة ٢٩٢٠. سكان القائمقامية الدرزية ١٨٥٧٥٠، المسيحيون ١٣٢٧١٥، الدروز ٢٠٠٨٠، السنة ٥٨٥٥، المتاولة ١٠٠.

توفي الأمير حيدر اسماعيل أبي اللمع في ١١ أيار ١٨٥٤ من جراء مرض الفالج. ونقل إلى قصره في بكفيا حيث أقيم له مأتم حافل، ودفن فيها.

وجوه لمعية

الأمير بشير عساف أبي اللمع
قائمقام النصارى ١٨٥٤

من مواليد صليما. عين واصف باشا والي بيروت قائمقام جديداً على النصارى الأمير بشير عساف أبي اللمع، وهو ابن شقيق الأمير حيدر، دام حكمه أربعة أشهر ونصف فقط لأن خورشيد



الأمير يوسف شديد أبي اللمع: كاتب ومؤلف
(من كتاب تنوير الأذهان)

باشا الذي خلف واصف باشا لم يرض به، فكتب إلى الآستانة يلتمس منها تعيين الأمير بشير أحمد أبي اللمع. في هذه الأثناء استغل طلاب الحكم في القائمقامية المسيحية الظرف وراح كل فريق يسعى للوصول إلى هدفه. بطريرك الروم الارثوذكس راح يطالب بقائمقامية للروم الارثوذكس، وإذا لم يحصلوا عليها فليأخذها المسلمون. وطالب الخازنيون بالقائمقامية لأسرتهم لأنهم أعرق نسباً من اللمعيين واقدم شأناً في سياسة الجبل، واستغلوا وجود بطريرك خازني على رأس الكنيسة المارونية (البطريرك يوسف الخازن).

الأمير بشير أحمد أبي اللمع
قائمقام النصارى ١٨٥٤ ـ ١٨٦٠

من مواليد برمانا. تولى الحكم في شهر آب ١٨٥٤، بناء على التماس واصف باشا. وأول عمل قام به القائمقام الجديد هو نقل مقرّ القائمقامية من بكفيا إلى بلدته برمانا. القسم الاكبر من الأمراء اللمعيين وقف ضده كما عارضه المشايخ الخوازنة والحبيشيون، ووقف ضده قنصل دولة الإنكليز، أما قنصل دولة فرنسا فوقف إلى جانبه. وفي الحادي عشر من أيار ١٨٥٨ هرب من برمانا إلى بيروت بعدما طرده الشعب. وفي ٢٧ أيار ١٨٥٨ إجتمعت الأسرة اللمعية في العرعار في بعبدات، وأجمعوا على رفض عودته إلى مقره مهما كلف الأمر.

بعد خلعه من القائمقامية المسيحية وتعيين وكيل يتعاطى أعمالها بأمر من الدولة العلية هو الأمير حسن أبي اللمع، أراد الأمير بشير أحمد معاقبة أخصامه مشايخ كسروان، فأشعل نار الثورة ضدهم، وهي الثورة المعروفة بثورة الفلاحين أو ثورة طانيوس شاهين. ونتيجة للخلافات الداخلية الشديدة والتدخلات الخارجية والتشكيلات عزله الباب العالي من القائمقامية وعين الأمير حسن بالوكالة.

الأمير منصور أبي اللمع
١٨١٨ ـ ١٨٨١

ولد في برمانا سنة ١٨١٨. ولاه نسيبه الأمير بشير أحمد أبي اللمع رئاسة مجلس القائمقامية فقام بأعبائها خير قيام. وفي عهد رستم باشا تولى رئاسة مجلس الإدارة. وتولى منصب قائمقام على قضاء البترون في عهد داود باشا. توفي في بتدين في شهر أيلول سنة ١٨٨١.

الأمير عبد اللـه قيد بيه أبي اللمع

هو ابن الأمير قيد بيه الذي نزل من كفرسلوان إلى صليما في أوائل القرن السابع عشر، حيث سكن وشيد قصره المعروف هناك. نشأ في صليما. وسع دار والده وبنى قصراً في كفرسلوان. في سنة ١٦٩١ أنشأ دير مار جرجس في قرية دير الحرف. وفي سنة ١٧٠٥ وهب الرهبان الكبوشيين أرضاً في صليما وأنشأ لهم ديراً.

لعب دوراً بارزاً في السياسة اللبنانية. كان من أنصار الحزب القيسي، وفي معركة عين دارة الشهيرة تمكن مع أقاربه وأنصاره من كسب المعركة ودحر الحزب اليمني والقضاء عليه. توفي في العام ١٧١٧.

الأب مبارك أبي اللمع الأنطوني

هو ابن الأمير خليل مصطفى قيد بيه أبي اللمع. ولد في الشبانية. لبس الاسكيم الرهباني في دير مار شعيا في ١٥ تشرين الأول ١٨٩٦. في العام ١٩٠١ انتخب رئيس معاملة المتن.

وفي العام ١٩٠٩ أوفده الرئيس العام عمانوئيل البعبداتي إلى الولايات المتحدة لاسترجاع قطعة أرض تخص الرهبانية ولكنه لم يوفق، إلا أنه بقي فيها يخدم النفوس ويؤسس الرعايا وقد بنى ثلاث كنائس. في العام ١٩٣٢ عاد إلى لبنان انتجاعاً للصحة بعد مرض. وعين رئيساً على دير مار يوسف زحلة. وعاد مجدداً إلى الولايات المتحدة، وتوفي فيها عام ١٩٣٤.

الأرشمندريت باسيليوس أبي اللمع

ولد في العام ١٨٨١ في جديدة المتن، من أبويه الأمير حيدر منصور أبي اللمع والسيدة مريم عبد اللـه مراد أبي اللمع. دخل الرهبنة الحناوية الشويرية سنة ١٨٩٦ رغم ممانعة والديه.

في العام ١٩٠٣ ارتسم شماساً إنجيلياً، وكاهناً عام ١٩٠٤. وفي العام ١٩١٢ عين كاتماً لأسرار المطران أثناسيوس صوايا متروبوليت بيروت وجبيل. وفي العام ١٩٢٢ عين نائباً أسقفياً على أبرشية حمص. وفي العام ١٩٢٩ عين نائباً أسقفياً على أبرشية بيروت وجبيل.

الأمير قبلان أسعد أبي اللمع

ولد في العام ١٨٥٠. والده أسعد موسى مراد أبي اللمع. كان وحيداً لوالديه. وتزوج من ورد وله مراد وأسعد. عين قائمقام على المتن في عهد المتصرف نعوم باشا، وفي عهد مظفر باشا نصبه رئيساً لمجلس إدارة لبنان. واتهم بأنه طعن في يوم عيد الجلوس الهمايوني. اضطر للذهاب إلى الآستانة لتبرئة ساحته. وعاد ظافراً لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه. توفي سنة ١٩١٢ في منزله في بيت الدين.

الأمير سليم أمين منصور أبي اللمع

ولد في برمانا ١٨٧٩. تلقى علومه الأولية في منزله على معلم خاص ثم انتقل إلى مدرسة الآباء اليسوعيين في بيروت. أدخلته والدته إحدى دوائر الحكومة لكي يتمرن في طرق الإدارة والسياسة، ولكنه رفض سلوك الوظيفة وقرر الاشتغال بالأعمال التجارية. اشترى من والدته المطحنة المعروفة بطاحون السلطنة في أنطلياس، وحوّلها إلى معمل للدقيق بحسب الطريقة الأفرنجية. زوج من الأميرة شفيقة إحدى كريمات الأمير قبلان أبي اللمع وولد له منها: ادوار وجورج، وثلاث بنات: أولغا، فيكتوريا وجورجيت.

الأمير يوسف اسماعيل أبي اللمع

ولد في ١٥ آب ١٨٤٨ في بيت شباب. والده الأمير اسماعيل ابن الأمير حسن. والدته: أسماء وحيدة الأمير حيدر خليفة الأمير بشير الشهابي الكبير في حكم لبنان. تلقى مبادىء العربية والفرنسية على يد الأستاذ الشهير الياس حبالين، ورزق الله خضرا.

استقدمه إليه نسيبه الأمير بشير عساف قائمقام المتن، ومرّنه على إدارة الشؤون والتضلع في إدارة الأحكام. وبقي ملازماً له مدة طويلة. ولما ألمّ بصحة القائمقام ما أعاقه عن مزاولة عمله، أدار الأمير يوسف أحوال القائمقامية وقام بها أحسن قيام. وبعد مجيء فرنكو باشا، اعتزل الوظيفة وانصرف لتحصيل العلوم والمعارف. وعهد إليه رستم باشا بمديرية القاطع لمدة عامين. ثم أسند إليه مديرية المتن الأعلى. وفي العام ١٨٨٥ أقامه واصا باشا قائمقاماً على كسروان وأمضى فيها ست سنوات. توفي في الجديدة في ٢٠ نيسان ١٩١٢ ودفن في بكفيا. أولاده: قيصر، نسيب، خليل.

الأمير خليل يوسف أبي اللمع

ولد في بكفيا في ١٥ آب ١٨٨٠. أنهى دروسه الثانوية في معهد القديس يوسف للآباء اليسوعيين. سافر إلى باريس ودرس الحقوق فيها. وبعد تخرجه مارس المحاماة في المحاكم المختلطة في مصر. تزوج من ايلين موصللي من مصر ولم ينجب أولاداً. عاد إلى لبنان نهائياً سنة ١٩٣٠ وراح يهتم بالشؤون السياسية. عينه الرئيس إميل اده في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٦ نائباً في المجلس النيابي خلفاً له علماً أن إميل اده كان من النواب المعينين في ٥ حزيران ١٩٣٧. وعين نائباً في المجلس النيابي للمرة الثانية ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٧. انتخب عضواً في لجنة الإدارة والعدل. وعين وزيراً للمالية والبريد والبرق في ٥ كانون الثاني ١٩٣٧. وعين وزيراً للصحة والتربية، كما كلف بوزارتي الخارجية والدفاع في ١٠ تموز ١٩٣٧. شارك في مفاوضات المعاهدة اللبنانية - الفرنسية ١٩٣٦. توفي في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٧، ودفن في بكفيا.

الأمير يوسف شديد أبي اللمع

ولد في ١٦ حزيران ١٨٧٦ في بسكنتا. تزوج نظيرة حاتم ورزق ابنتين: فيوليت وأدلين.

سافر إلى الولايات المتحدة في خريف العام ١٨٩٨ للأعمال التجارية. أصدر مجلة «**الفجر**» سنة ١٩٣١ مع شقيقته الأميرة نجلا أبي اللمع في مدينة مونريال باللغتين العربية والإنكليزية.

بعد عودته إلى بيروت أعاد إصدار مجلة «**الفجر**» مع شقيقه رئيف وتوفيق. من مؤلفاته المطبوعة:

- **فتاة الغاب** (رواية).
- **الطفل المسروق** (رواية).
- **قوة الإرادة**.
- **مأثورات فرانكلين** (مترجمة عن الإنكليزية).

من مؤلفاته المخطوطة:

- خلايا النحل.
- أوراق متناثرة (ديوان شعر).

توفي في العام ١٩٤٣.

الأمير رئيف شديد أبي اللمع

ولد في العام ١٨٩٧ في بيروت وهو من فرع مراد. درس الطب، ونال الدكتوراه، ثم عين أستاذاً للطب في الجامعة الأميركية في بيروت. وانتخب نائباً في المجلس النيابي عن دائرة بيروت من ٢٥ أيار ١٩٤٧ إلى ٢٠ آذار ١٩٥٦. وعين وزيراً للصحة والإسعاف العام في أول تشرين الأول ١٩٤٩ في حكومة رياض الصلح، وبعد تعديل الوزارة عين وزيراً للتربية الوطنية والفنون الجميلة حتى ١٤ شباط ١٩٥١. وعين أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية ١٩٥٣ - ١٩٥٧. وفي سنة ١٩٥٧ عينته الحكومة اللبنانية سفيراً في البرازيل. وفي العام ١٩٦٠ عين سفيراً في سويسرا. توفي في العام ١٩٨٠.

الأمير يوسف موسى أبي اللمع

ولد في العام ١٨٧٩. في الرابع والعشرين من عمره انصرف للعمل الصناعي في حقل السيارات. وفي سنة ١٩٣٣ أسس «كروسري أبي اللمع» وهي مؤسسة صناعية متطورة تعنى بتجهيز السيارات بشتى أنواع الصناديق. بعد وفاته عام ١٩٧٥ تابع أولاده سمير ونبيل الإشراف على نمو الشركة، وعلى تنويع الإنتاج في صناعة تجهيز السيارات.

الست زهر أبي اللمع

من صليما. صاحبة الوقفية الشهيرة. حافظت على دينها الدرزي بعد تنصر جميع اللمعيين. يعتبرها الدروز كولية، ويضيئون على قبرها السرج. وتكنى بأم سليمان علماً ان البعض ينفي زواجها. والدها: الامير منصور مراد أبي اللمع. وقف أملاكه عليها، وهي وقفت أملاكها على مجلس الدروز.

الأميرة أسماء شديد أبي اللمع

ولدت سنة ١٨٧٩ في برمانا. درست في مدارس راهبات المحبة ومدرسة رأس بيروت. ثم انتقلت إلى مدرسة الشويفات حيث نالت الشهادة العالية ١٩٠٢. هي شقيقة رئيف ونجلا. درست في مدارس بيروتية مختلفة. راهبات الزيارة زهرة الإحسان، المقاصد الخيرية. تولت إدارة مدرسة الشويفات مدة نصف قرن فرّبت جيلاً من المواطنات. وكانت رائدة في تربيتها وأخلاقها. كتبت في عدة مجلات منها: «**الفجر**»، «**فتاة الشرق**»، «**الحسناء**»، «**مدرسة التهذيب**».

توفيت في العام ١٩٥٩.

الأميرة نجلا أبي اللمع

ولدت في برمانا ١٨٩٥. وتلقت العلم على يدي المعلم بطرس البستاني. لقبت بأميرة المنابر. وأنشأت مجلة «**الفجر**» عام ١٩١٩ واستمرت في إصدارها ست سنوات. سافرت إلى أميركا، وتزوجت الأديب يوسف نعمان المعلوف صاحب جريدة «**الأيام**». توفيت ١٩٦٧.

الأمير فاروق أبي اللمع

ولد في بيروت عام ١٩٣٤. والده: الأمير رئيف أبي اللمع (أديب وطبيب وسياسي). والدته: ايميه منسى بروتستانتية من برمانا (علي مذهب الكويكرز). تزوج عام ١٩٦٠ غيلدا تمرشما (والدها ملك المانغانيز وخالها باولو معلوف) أنجب منها بنتين: ليا ومايا. انتهى زواجه منها بالطلاق. أنجز دراساته في اليسوعية ونال إجازة الحقوق من الجامعة اليسوعية أيضاً. سافر إلى الولايات المتحدة حيث قضى سنة تخصص في القانون الدولي في جامعة كولومبيا عام ١٩٥٩. وعاد إلى لبنان وتدرج في مكتب الدكتور ادمون رباط. وفي ١٧ نيسان ١٩٧٧ عينه صديقه الرئيس الياس سركيس مديراً عاماً للأمن العام. وفي ١٥ كانون الأول ١٩٨٢ عين سفيراً للبنان في باريس. في ٦ نيسان ١٩٨٨ عين أميناً عاماً لوزارة الخارجية.

في العام ١٩٨٨ رشح نفسه لرئاسة الجمهورية. توفي في ٢/٥/٢٠٠٧.

الأمير سمير أبي اللمع

من مواليد المتين - المتن الشمالي في ٢٠/٤/١٩٤٣. والده: شفيق كان موظفاً في وزارة البريد والبرق والهاتف. والدته: عفيفة عبيد (توفيت في ٢٦/٢/١٩٩٣). تزوج عام ١٩٧١ مارلين ميشال تلحمي ولهما ولدان: زينة وشفيق. هو مجاز في الحقوق من جامعة القديس يوسف، وفي العلوم السياسية ١٩٦٥. انتخب عام ١٩٨٣ عضواً في مجلس نقابة المحامين.

وانتخب نقيباً للمحامين في بيروت خلفاً للنقيب مرسال سيوفي في ١٧ تشرين الثاني ١٩٩١.

المراجع

١ ـ «فاروق أبي اللمع يروي ذكرياته من الأمن العام إلى الأمانة العامة». (٣٢ حلقة من إعداد مايا صفا جابر في جريدة «**الديار**» من ٢٢ آذار ٢٠٠٠ إلى ٦ أيار ٢٠٠٠)

٢ ـ الخوري بولس قرألي ـ **المجلة البطريركية** ـ السنة السادسة. الخوري بولس قرألي، كاهن ماروني من بلدة زغرتا. أنشأ في القاهرة مجلة تاريخية أطلق عليها اسم «**المجلة السورية**»، ولما عاد الى لبنان استبدل اسمها بـ«**المجلة البطريركية**». وكانت لا تنشر إلا الأبحاث التاريخية بالاستناد الى أرشيف بكركي.

٣ ـ **أخبار الأعيان في جبل لبنان** ـ جزآن لطنوس الشدياق، تحقيق فؤاد افرام البستاني، بيروت، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠.

٤ ـ **كتاب تاريخ الأمراء اللمعيين**، الأب أنطون ضو الراهب الأنطوني، ١٩٩٥.

٥ ـ **الأصول التاريخية ـ تاريخ شيبان الخازن**، قدم له وحققه: نسيب وهيبة الخازن.

٦ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل أرسلان

من أبرز عوائل الموحدين الدروز في لبنان، بل أعرقها وأكثرها توغلاً في أبعاد التاريخ العربي - الإسلامي. وهي عائلة سياسية مقاتلة اشتهر أفرادها كمحاربين أشداء، وشاركوا في معظم المعارك التي خاضها العرب. شاركوا في وقعة أجنادين واليرموك وقنسرين، ومرج الديباج والزاب التي انهزم فيها مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية.

والارسلانيون من القبائل العربية التنوخية القحطانية التي يعود أصلها إلى بلاد اليمن، وإلى قبائل الازد وقضاعة، وانضم إليها من البحرين بطون من نمارة بن لخم. وهي تتحدر من بني حمير الذين رحلوا في ظروف مختلفة من اليمن، وتوجهوا شمالاً نحو شواطئ الخليج العربي الشرقية، وكانت منطقة الاحساء هي المكان الاول الذي ضم هذه القبائل، حيث تحالفت وتعاقدت على التناصر والتساعد فصارت يداً واحدة، واتخذت من «تنوخ» المكان الذي اجتمعت فيه اسماً لها. ومن ثم رحلت إلى جنوب العراق إلى مملكة الحيرة، أهم ممالك العرب قبل الإسلام، واستقرت فيها. وتعاقب على حكمها ملوك عديدون، وكانت تخضع في أكثر الأحيان للحكم الفارسي، إلى أن تعرفت على الديانة المسيحية عن طريق الرهبان، فتنصرت في عهد ملكها المنذر الثالث الذي لقب بذي القرنين.

مملكة الحيرة

تناوب على حكم مملكة الحيرة ملوك أشدّاء كان آخرهم النعمان بن المنذر الذي بموته انقرض حكم التنوخيين واللخميين. وكانت نهايتهم على يد كسرى الذي شدّد الخناق عليهم بعد تنصرهم حتى نزحوا إلى حلب واللاذقية. ولما انتشر الإسلام في بلاد الشام قاتلوا الجيوش الإسلامية، ثم قبلوا الدعوة، وقاتلوا مع المسلمين ضد الروم، وبخاصة قبيلتا تنوخ وربيعة اللتان برز فيهما الأمراء التنوخيون والمعنيّون الذين استوطنوا الجبل الأعلى (جبل السماق) في سوريا، وبنوا الحصون والقلاع فيها.

السجل الأرسلاني

نشر «السجل الأرسلاني» في كتاب **الروض الشقيق** للأمير شكيب أرسلان عام ١٩٣٥ (وهو عبارة عن مجموعة أوراق قديمة وحجج صادرة عن قضاة الشرع في معرة النعمان ودمشق وبيروت وطرابلس وصيدا تتعلق بنسب الارسلانيين وأخبار اللخميين الذين قدموا إلى لبنان سنة ١٤٢ هجرية / ٧٥٩ ميلادية)، وهو حافل بأقدم الأخبار وأوثقها عن اللخميين جدود الفرع الأرسلاني منذ الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام. وجاء في هذا السجل أن الأمير عوناً اللخمي سار برفقة خالد بن الوليد من العراق إلى الشام لنجدة الجيش الإسلامي ومعه نحو ألف وخمسماية فارس من اللخميين، واستشهد في موقعة أجنادين ٦٣٤ ميلادية / ١٣ هجرية. وخلف الأمير عوناً ابنه الامير مسعود الملقب بقحطان الذي اشترك في عملية فتح دمشق وموقعة اليرموك الحاسمة، ودخل مع الجيش الإسلامي إلى القدس، ثم سار برفقة القائد أبي عبيدة بن الجراح لفتح حلب حيث أبلى بلاء حسناً في القتال. واستقر مع عشائره في معرة النعمان، كما وعده بذلك الخليفة عمر بن الخطاب.

وبقي اللخميون في المعرة حتى قيام الدولة العباسية حيث انحاز أحد أمرائهم المدعو مالكاً إلى العباسيين، وقاتل في صفوفهم في معركة الزاب الفاصلة سنة ١٣٢ هجرية / ٧٥٠ ميلادية. ولكن استقرار اللخميين في المعرة لم يدم طويلاً بعد قيام الدولة العباسية، إذ سرعان ما كلفهم أبو جعفر المنصور بمهمة في لبنان، ذلك أن الخلافة العباسية وضعت في مطلع عهدها خطة عسكرية للدفاع عن تخومها ضد غزوات البيزنطيين وأعوانهم المردة.

مهمة عسكرية في لبنان

كانت الثورات التي اندلعت في بداية الحكم العباسي داخل لبنان، ومنها ثورة المنيطرة ١٤٢ هجرية / ٧٥٩ ميلادية برهاناً على أن سياسة الأمويين لإرضاء البيزنطيين وأعوانهم بالمال ليست بالحل الدائم، وأن حماية سواحل بلاد الشام من الخطر البيزنطي تستوجب وجود قوة عسكرية مستعدة للتدخل فوراً ضد أي عمل عسكري يقوم به البيزنطيون على الساحل. وطالما أن مثل هذه القوة لا يمكن أن تبقى وتستمر في فاعليتها الدفاعية إلا بين سكان موالين لها وللسلطة الحاكمة معاً، فالحل العملي كان يقضي بإسكان عدد من القبائل العربية الموالية للسلطة في المواقع الاستراتيجية، ومنها المنطقة الجبلية المطلة على الشاطئ اللبناني والتي كانت لا تزال قليلة السكان. فمثل هذه القبائل تستطيع أن تدافع عن هذا الجزء المهم من الدولة الإسلامية، وأن تستنجد بجيش الخليفة عند الضرورة. ويبدو من سياق الأحداث أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور كان أول من تبنى هذه الاستراتيجية الدفاعية الجديدة ضد الخطر البيزنطي على السواحل، وذلك عندما طلب من الاميرين أرسلان وأخيه المنذر اللخميين النزول (بعشائرهما) في المناطق الجبلية المحاذية لبيروت.

يروي **السجل الأرسلاني**: «إن الأميرين اللخميين منذر وأرسلان استجابا لطلب الخليفة العباسي في حدود السنة ١٤١ هجرية / ٧٥٨ ميلادية، ورحلا بعشائرهما من المعرة إلى لبنان، ونزلا أولاً في حصن أبي الجيش في وادي التيم ثم في المغيثة (بالقرب من صوفر) ولا ندري ما هو عدد الرجال الذين جاءوا في عداد هذه العشائر إلى لبنان، ولكن قد يصح تقديرها بعدة الاف إذا ما تذكرنا أن الامير عوناً اللخمي لما سار برفقة خالد بن الوليد إلى فتح الشام سنة ١٣ هجرية / ٦٣٥ ميلادية كان بحوزته نحو ألف وخمسماية فارس من اللخميين. فإذا كان الهدف من مجيء الأمراء اللخميين هو رد غزوات المردة ودرء خطر البيزنطيين على السواحل، وتأمين الطريق التي تربط دمشق ببيروت والساحل، فلا بدّ والحالة هذه أن تكون لدى الأمراء اللخميين قوة كافية للقيام بهذه المهمة.

الزعامة الأرسلانية

يستنتج من إحدى حجج **السجل الأرسلاني** أنه جاء إلى لبنان مع الأميرين المذكورين أولاد إخوتهما: الأمير خالد بن الأمير حسان، والأمير عبد الله بن الأمير النعمان، والأمير فوارس بن الأمير عبد الملك. واستوطن الأمير منذر بن مالك في حصن سرحمول (الغرب) بينما استقر أخوه الأمير أرسلان في سن الفيل. أما الأمير خالد فقد سكن طردلا والامير عبد الله في كفرا والأمير فوارس في عبيه. وجرت بينهما وبين المردة مواقع عديدة أشهرها معركة نهر الموت، ومعركة أنطلياس. وكان النصر حليف هؤلاء الأمراء فتمكنوا من إحكام سيطرتهم على القسم الأوسط من لبنان، وأجبروا المردة على الانكفاء عن ساحل بيروت. ومنذ سنة ١٨٤ هجرية / ٨٠٠ ميلادية أصبحت الزعامة بين هؤلاء اللخميين للفرع الأرسلاني.

عشائر «تنوخية»

وفي كتاب **أخبار الأعيان في جبل لبنان** لطنوس الشدياق أن قدوم الأمير تنوخ جد الأمراء البحتريين إلى لبنان كان في حدود السنة ٢٠٥ هجرية الموافق ٨٢٠ ميلادية، وقد كانت معه عشر عشائر هي: فراس، عزايم، عبد الله، عطير، خضر، هلال، كاسب، شجاع، نمر وآل شرارة.

وجاء في **تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي** (ص ٢٤-٢٨) «أن العشائر المشار إليها نزلت أولاً في منطقة عين دارة حيث شيد بنو تنوخ البلدة هناك، وتقدم آل عبد الملك إلى جوار نبع الصفا حيث بنوا قرية عين زحلتا، وعشيرة بنو فوارس التي ينتسب إليها اللمعيون حلت في المتن، أما آل عبد الله وآل هلال فقد استقروا في كفرمتى ورمطون وطردلا وعرمون وعين كسور وعبيه وسرحمول». ويذكر أن زعامة هذه العشائر بقيت إلى زمن بعيد، معقودة اللواء والولاء للفرع الارسلاني من اللخميين، واستمرت هذه الزعامة إلى ما بعد ظهور الخلافة الفاطمية في بلاد الشام.

نكبة في العهد الصليبي

في العهد الصليبي، وتحديداً في العام ١١١٠ م. حاصر بلدوين بيروت براً وبحراً وفتحها بالسيف بعد محاصرتها شهرين، وقتل الكثيرين من أبناء هذه العائلة نذكر منهم: موسى بن ابراهيم بن أبي بكر بن المنذر وأولاده الصغار، والأمير القاسم بن هشام بن أبي بكر وولده الأمير إدريس، والأمير مودود بن سعيد بن قابوس وولداه أسد والأمير زهير، والأمير مالك بن مصطفى بن عون، والأمير عبيد بن معضاد بن حسام، والأمير يحيى بن الخضر بن الحسين بن علي، وأخوه الأمير يوسف، والأمير علي بن حليم بن يوسف بن فارس الفوارسي وأولاده وأخوته، فانقطعت بهم سلالة بني فوارس. وأسر الأمير ثابت بن معروف بن علي وحفيده الأمير عبد الرحمن بن فراس بن ثابت. ولم يبق من الأمراء الموجودين في الغرب سوى الأمير بحتر بن الأمير عضد الدولة علي، إذ أخفته أمه في عرمون حتى جلا الإفرنج عنها. قتل الأمير بحتر في ما بعد في أرض البرج، فولي الإمارة بعده ناهض الدين أبو العشائر بن عضد الدولة علي. وقد كانت له معارك كبيرة مع الإفرنج من أعظمها واقعة راس التينة (جرت سنة ٥٤٦ هجرية عند نهر الغدير) قتل فيها من الإفرنج خلق كثير.

مع صلاح الدين

هذه الكارثة التي تعرّض لها التنوخيون، ومنهم الأرسلانيون، لم تثبط من عزائمهم وبالأخص بعد ظهور صلاح الدين الأيوبي، فعادوا إلى مواقعهم الدفاعية والهجومية. وعندما حاصر صلاح الدين بيروت وافتتحها، كان إلى جانبه جمال الدين التنوخي. وعندما قرر السلطان برقوق الاستيلاء على دمشق عام ١٣٩٠ م. شاركوه في القتال للسيطرة عليها. كما شاركوا في معركة عين جالوت ضد التتر. كما شارك سيف الدين أبو المكارم أرسلان الملك الظاهر للقضاء على تركمان كسروان وأمراء بني الأعمى ولقب «بمفرج القلوب». وفي العام ١٥١٤ م. وقف الأرسلانيون إلى جانب المماليك في معركة مرج دابق، بينما وقف المعنيون موقف المتفرّج، وكان هذا الموقف على ما يقول المؤرخون، بداية غياب شمس الإمارة التنوخية وإشراق شمس الإمارة المعنية.

مشاهير من العائلة

أبرز مشاهير هذه العائلة في الزمن القديم: الأمير ابراهيم بن إسحق الذي حصل على كتاب بالولاية على الغرب سنة ٨٥٧، ثم النعمان بن عامر بن مسعود الذي نجح في الحفاظ على إمارته بعد قيام الدولة الطولونية والدولة الأخشيدية ووصول القرامطة إلى لبنان. وكان مرجعاً في فقه الإمام الاوزاعي، وله ديوان شعر. ثم الأمير منذر بن النعمان الذي بنى في حارة العمروسية في الشويفات داراً كبيرة، ونجله الأمير تميم الذي تولى إمارة طرابلس سنة ٩٩٧، والأمير مقطوع بن

تميم الذي خلف والده وابنه موسى.

وعن مشاهير هذه العائلة في القرن الثامن عشر وصولاً إلى اليوم، نفسح في المجال أمام شجرة العائلة الارسلانية وهي عبارة عن لفافة ورق طولها خمسة أمتار ونصف المتر، نشرها الصحافي نقولا ناصيف في **سلسلة رئاسيات** ١٩٩٥. واللفافة موجودة لدى الأمير فيصل أرسلان. وتحمل اللفافة تاريخاً لعائلة أرسلان على امتداد ١٣٠٠ عام. وكانت هذه اللفافة في حوزة الأمير فؤاد ابن الأمير رفيق (محافظ بيروت) ابن الأمير سعيد شقيق الأمير توفيق والد الأمير مجيد أرسلان. هي بمثابة سجل نفوس للعائلة. عندما توفي الأمير فؤاد أعطت أمه التي هي خالة الأمير مجيد اللفافة إلى الأمير فيصل. تتوقف سيرة العائلة عند الأمراء شكيب وعادل ومجيد أرسلان الجد.

وفي ما يلي ما جاء في اللفافة وفقاً للغة ذلك الزمان ومفرداته:

«إنه سنة ١٢١٦ هجرية / ١٨٠١ ميلادية توفي الأمير ابن الأمير يونس بن فخر الدين بن حيدر شاباً عازباً في سن العشرين في قرية كفر قاهل في كورة ـ طرابلس، حيث كان توجه إلى هناك مع أولاد الامير يوسف الشهابي وكان نجيباً ذكياً.

الأميرة حبوس

وإنه في سنة ١٢٢٤ هجرية / ١٨٠٩ ميلادية توفي الأمير عباس ابن الأمير فخر الدين ابن حيدر بن سبحان بن فخر الدين بن يحيى بن مرهج وعمره ثمان وخمسون سنة ودفن في الشويفات وله أربعة أولاد: منصور وحيدر وأحمد وأمين. وكان طويلاً حسن الخلق عاقلاً فطناً عادلاً كريماً فصيح اللسان. وأقيم له مأتم حافل، فتولت بعد وفاته على مقاطعة الغرب زوجته الأميرة حبوس لذكائها وصغر أولادها. فساست الرعية أحسن سياسة واشتهرت بالصفات الحسنة وصارت ملجأ وعوناً.

وإنه في سنة ١٢٣٧ هجرية / ١٨٢١ ميلادية توفي الأمير يونس ابن الأمير فخر الدين أخو الأمير عباس وله من العمر ستون سنة وله حسن وكان فصيحاً شجاعاً محباً للاطلاع.

وإنه في سنة ١٢٤٩ هجرية / ١٨٣٣ ميلادية توفي الأمير قاسم ابن الامير بشير بن محمد ابن حيدر بن سليمان بن فخر الدين وعمره سبع وأربعون سنة، وله محمد فكان عاقلاً يحب الفكاهة.

وإنه في سنة ١٢٥٤ هجرية / ١٨٣٨ ميلادية توفي الأمير علي ابن الأمير بشير بن محمد ابن حيدر بن سليمان بن فخر الدين شاباً عازباً لطيفاً، وكان لطيفاً سليم القلب. وبعد سنتين من وفاته توفي أخوه الأمير خليل، وانقطعت بوفاتهما سلالة الأمير بشير المعروف بأبي علي، وبعد سنة من وفاة الأمير خليل توفي والدهما المكنى بأبي علي بعد أن ثكل بولديه. وكان وديعاً تغلب عليه السذاجة.

قائمقام على الدروز


الأمير شكيب أرسلان: المفكر القومي
(من كتاب لبنان في تاريخه وتراثه)

وإنه في سنة ١٢٦٤ هجرية / ١٨٤٨ ميلادية توفي الأمير أحمد ابن الأمير عباس بن فخر الدين في الغدير من أرض الشويفات وذلك بالمرض المسمى الريح الاصفر ودفن في مقام أبي عمرو (...) رضي الله عنه وله خليل وعمره إحدى وخمسون سنة، وكان هزيلاً نحيلاً، مهاباً باسلاً رؤوفاً محباً سريع الرضا، عالي الهمة مقداماً عانى السياسة والأحكام وخاض لجج الأخطار منذ نعومة أظفاره حتى واقعة المزة الشهيرة مع الامير بشير عمر الشهابي حاكم لبنان سابقاً وامتاز بالشجاعة وحضر وقايع عديدة في أوقات مختلفة. وعند قدوم العساكر المصرية تحت قيادة ابراهيم باشا ابن محمد علي عزيز مصر، سار إلى دمشق ومنها إلى حمص حيث العساكر القادمة لمحاربة ابراهيم باشا وحضر جميع الوقايع التي جرت بينها وبين ابراهيم باشا، عاد إلى البلاد بعد اثنتي عشرة سنة من غيبة، وعينته الدولة العلية قائمقام على الدروز أو حاكماً على القسم الجنوبي من لبنان حين قسمت الجبل شطرين فاصلاً بينهما طريق الشام. وجعلت الأمير أحمد حاكماً للقسم الجنوبي، والأمير حيدر اللمعي حاكماً للقسم الشمالي، وهما أول من ولي الجبل بعد فصل الامير بشير الثاني الشهابي عن ولاية لبنان.

وإنه في سنة ١٢٦٩ هجرية / ١٨٥٢ ميلادية توفي الأمير حسن ابن الأمير يونس بن فخر الدين بن حيدر في الشويفات فجأة ودفن في القبة المعروفة وعمره أربع وخمسون سنة. وله من ابنة عمه أربعة أولاد: سعيد ومسعود وحمود ومحمود، وكان طويلاً أسمر مقداماً في الحروب لا يهاب الأخطار.

وفاة الأمير أمين

وإنه في سنة ١٢٧٥ هجرية / ١٨٥٨ ميلادية ليلة عيد الفطر توفي الأمير أمين ابن الأمير عباس بن فخر الدين بن حيدر بن سليمان بن فخر الدين يحيى بن مرهج بن محمد بن جمال الدين أحمد بن بهاء الدين خليل بن صلاح الدين مفرّج بن سيف الدين يحيى بن نور الدين صالح بن سيف الدين مفرّج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح بن قوام الدين علي، بن


الأمير عادل أرسلان: العربي الصميم

ناهض الدين يحيى ولي عهد الدولة علي ابن شجاع الدولة عمر بن عيسى بن موسى ابن مطوع بن تميم بن المنذر بن النعمان بن عامر بن هاني بن مسعود أرسلان بن مالك ابن المنذر بن مسعود بن عون أمين الملك المنذر ابن الملك النعمان ابن قابوس ابن الملك المنذر ابن ماء السماء اللخمي. وكان واسطة عقد آل أرسلان ومجد سلالة النعمان وفخر أمراء لبنان، وممدوح شعراء الزمان، وشهرته تغني عن التعريف ومقامه لا يحتاج إلى التنويه وقد جمع الصفات الكريمة من كرم ضربت به الامثال وعقل امتاز به على الاقران والامثال، وشجاعة الاسد الرئبال وإقدام تنقطع دونه أعناق الرجال. تفرد بالنجابة منذ صباه وتقلبت به الاحوال في حوادث جبل لبنان منذ ولاية الأمير بشير عمر الشهابي. وشهد الحروب والمعارك منذ قدوم ابراهيم باشا ابن محمد علي وقبل ذلك وبعده، وتولى مقاطعة الغرب. وبعد حادثة الدروز مع عمر باشا المجري سار من حوران إلى بغداد، ونزل عند واليها نجيب باشا، ومنها إلى الأستانة العلية وعاد من الأستانة إلى وطنه مكرّماً.

وإنه في سنة ١٢٦٢ هجرية / ١٨٤٥ ميلادية عند حصول حوادث لبنان الأولى وحضور شكيب أفندي من الأستانة العلية، مفوّض ترتيب أمور جبل لبنان، جعله قائمقام على الدروز أو حاكماً على جنوب لبنان وقد خلف من الولد اثنين محمد ومصطفى فتولى بعد الأمير محمد.

بعد حوادث الستين

وإنه في سنة ١٢٧٩ هجرية / ١٨٦٦ ميلادية توفي الأمير محمد ابن الأمير قاسم بن أفندي ابن بشير بن محمد منفياً في مدينة بلغراد قاعدة بلاد الصرب مع من نفي من أعيان جبل لبنان على أثر الحوادث المعروفة بالستين وله من العمر خمس وخمسون سنة، وكان كريماً جداً ذا بسالة ومروة. تزوج بابنة الأمير حيدر ابن عباس فلم يعقب ولداً.

وإنه في سابع رمضان في سنة ١٢٨٥ هجرية / ١٨٦٨ ميلادية توفي الأمير محمد ابن الأمير أمين بن عباس بن فخر الدين في الأستانة العلية شاباً عزباً وله من العمر إحدى وثلاثون سنة، وكان قد خلف والده في ولاية القسم الجنوبي من لبنان وله من العمر إحدى وعشرون


الأمير مجيد أرسلان

سنة، وبقي فيها إلى حين حصول الحوادث اللبنانية المعروفة بحوادث الستين ومجيء فؤاد باشا مفوضاً فوق العادة لترتيب أحوال سوريا من قبل ساكن الجنان السلطان عبد الحميد خان العثماني وتعيين داود باشا الأرمني متصرفاً على جبل لبنان. فعند ذلك انقسم الجبل إلى سبع قائمقاميات، وجعل الأمير ملحم بن حيدر بن عباس الأرسلاني قائمقام قضاء الشوف أهم قضاء في الجبل، وأقام الأمير محمد ببيروت مشتغلاً بالمطالعة والتأليف والمآثر العلمية حتى أنهك جسمه وبصره وبقي في بيروت إلى ان انتدبته الدولة ووجهت عليه عضوية مجلس شورى الدولة مع الرتبة الاولى وذلك في العاشر من ربيع الاخر سنة ١٢٨٥ هجرية / ١٨٦٨ ميلادية فتوجه إلى دار السلطنة وهناك في سابع رمضان من السنة المذكورة توفي بداء القلب (...)

وإنه في سنة ١٢٨٨ هجرية / ١٨٧١ ميلادية توفي الأمير ملحم بن حيدر مراهقاً في الرابعة عشرة من عمره وكان نجيباً.

وإنه في سنة ١٢٩٢ هجرية / ١٨٧٥ ميلادية توفي الأمير سليم بن عباس وله من العمر خمس وستون سنة ودفن في القبة المعروفة، وكان عالما نحوياً شاعراً ذا نظم دقيق (...)

وإنه في سنة ١٢٩٤ هجرية / ١٨٧٧ ميلادية توفي الأمير سعيد بن حسن بن يونس بن فخر الدين في بيروت ونقل إلى الشويفات ودفن في القبة المعروفة وله فندي وعمره ثمان وخمسون سنة وكان شجاعاً.

وإنه في سنة ١٢٩٦ هجرية / ١٨٧٨ ميلادية توفي الأمير ملحم بن حيدر بن عباس بن فخر الدين عن إحدى وستين سنة وله ولدان: مجيد ورشيد. وقد ولي قائمقامية الشوف ثلاث عشرة سنة وذلك مدة متصرفية داود باشا ثم فرنكو باشا إلى مجيء رستم باشا الذي استبدله بابن عمه مصطفى بن أمين بن عباس، وكانت وفاته ببيروت، حيث انتقل بعد انفصاله عن القائمقامية ونقل إلى الشويفات ودفن في القبة المعروفة. وكان عاقلاً حكيماً حازماً لبيباً كاتباً فقيهاً خبيراً بالسياسة والأحكام قادراً على مزاولة الأشغال، وحصل من الرئيس على الرتبة الأولى.

وإنه في سنة ١٣٠١ هجرية / ١٨٨٣ ميلادية توفي الأمير رشيد بن ملحم بن حيدر بداء عصبي في عين عنوب ونقل إلى الشويفات، وكان عازباً. وله من العمر ثمان وثلاثون سنة. وكان بعيداً عن الشر.



السراي الأرسلانية في الشويفات

مدير ناحية الغرب الأسفل ٣ مرات

وإنه في سنة ١٣٠٥ هجرية / ١٨٨٧ ميلادية توفي الأمير حمود بن حسن بن يونس بن فخر الدين في الشويفات ودفن فيها في القبة المعروفة وله من العمر ثمان وخمسون سنة وخلف أربعة أولاد: نسيب وشكيب وحسن وعادل وكان عاقلاً كريماً جسوراً ذا همة ومروءة. وتعين ثلاث مرات مديراً لناحية الغرب الأسفل. وقرأ العربية على المرحوم الشيخ الإمام محيي الدين عمر اليافي وتعلم التركية فكان يحسن الإنشاء ويقرض الشعر.

وإنه في سنة ١٣٠٧ هجرية / ١٨٨٩ ميلادية توفي الأمير سامي بن عباس بن سليم بن منصور في عين عنوب يافعاً في الثانية عشرة من العمر. فهذا ما ثبت لدى الحاكم الشرعي الحنفي الموقع بخطه مع ختمه أعلاه وذلك ثبوتاً شرعياً صحيحاً بحضور السادة العدول الآتية أسماؤهم وحرر في الحادي عشر من ذي القعدة الحرام أحد شهور سنة ١٣١٣ هجرية / ١٨٩٥ ميلادية من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة (...)».

في كعب الوثيقة توقيع ستة شهود «على هذا النسب الشريف» هم: أحمد بن عمر محمد الخطيب اللبناني، ومحمد بن محمد بن قاسم، وعلي بن أحمد بن محمد الحسين قاضي مذهب الشيعة في جبل لبنان، وعمر محمد الخطيب عضو الإسلام في محكمة قضاء الشوف، وأحمد مصطفى العريس البيروتي.

تتوقف السيرة الأرسلانية في اللفافة عند ثلاثة جذوع:

الأمير حمود أرسلان، وله نسيب وعادل وحسن وشكيب الذي ولد له غالب (شقيق زوجة كمال جنبلاط وأم وليد جنبلاط).

الأمير رشيد شقيق مجيد والد أمين وفؤاد وسعيد وتوفيق الذي له مجيد، الذي له توفيق وفيصل وطلال.

الأمير سامي الذي انقطع عقبه، هو ابن عباس بن سليم بن منصور.

بعد هؤلاء الثلاثة لم يضف أحد من الأرسلانيين إلى السيرة وإلى البيوت التي طلعت منها بيوت.

وجوه أرسلانية

الأمير أحمد أرسلان

اسمه بالكامل: أحمد بن عباس بن فخر بن حيدر بن سليمان بن يحيى بن مرهج بن جمال الدين أحمد. والدته الست حبوس ابنة الأمير بشير بن محمد بن حيدر الارسلاني. ولد في سنة ١٧٩٨ في بشامون ونشأ في الشويفات. فرّ مع أخويه الأميرين حيدر وأمين إلى حوران هرباً من بطش الأمير بشير. عاد إلى لبنان سنة ١٨٣١. وفي العام ١٨٤١ اعتقل وسجن ببيروت. وعندما قسم لبنان إلى قائمقاميتين، عين قائمقام على المنطقة الدرزية سنة ١٨٤٣. في العام ١٨٤٥ عزله شكيب أفندي وعين أخاه الامير أميناً مكانه. توفي سنة ١٨٤٨.

أمين أرسلان

اسمه بالكامل: أمين بن مجيد بن ملحم بن حيدر أرسلان. ولد في الشويفات سنة ١٨٦٨ وتوفي سنة ١٩٤٣. تلقى دروسه في كلية الآباء اليسوعيين وفي مدرسة الحكمة، وأكمل علومه السياسية في باريس. انتدبته حكومة السلطان عبد الحميد الثاني لتولي القنصليات الاربع الكبرى وهي «بوردو، باريس، بروكسيل، وبيونس أيرس». زاول مهنة الصحافة فأنشأ في ١٩ آب ١٨٩٤ في باريس جريدة: **كشف النقاب** وكان يكتبها بخط يده. ثم أوقفها ليؤسس في ١٣ كانون الأول ١٨٩٥ جريدة **تركيا الفتاة** مع صديقه خليل غانم. وفي العام ١٩١٤ قدم استقالته من السلك الدبلوماسي. أتقن اللغة الإسبانية كأحد أبنائها. أنشأ مجلة **نوطا** ثم مجلة **القلم الأزرق**. بالإسبانية بين عامي ١٩١٥ و١٩٢٥. وفي العام ١٩٢٦ أصدر جريدة **الاستقلال**. مؤلفاته باللغة العربية:

- **حقوق الملل ومعاهدات الدول.**
- **تاريخ نابليون الأول.**
- **أسرار القصر (رواية).**
- **المرأة وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية.**
- **مذكرات.**

شكيب أرسلان

أطلق عليه لقب «أمير البيان». اسمه الكامل: شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة. ولد في الشويفات في ٢٥ كانون الأول ١٨٦٩ ونشأ فيها. تلقى دروسه في مدرسة الاميركان في حارة العمروسية بالشويفات، ثم في مدرسة الحكمة ثم انتقل إلى المدرسة السلطانية حيث تعلم اللغة التركية. وأتقن من اللغات: الفرنسية والتركية وألم بالإنكليزية والألمانية. في العام ١٨٨٧ ولاه واصا باشا مديرية الشويفات. وفي العام ١٨٩٠ ترك الوظيفة وسافر إلى مصر، كما سافر إلى الآستانة حيث أمضى سنتين وتعرف في أثنائها على جمال الدين الأفغاني.

في العام ١٩١٣ انتخب نائباً عن حوران في البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان). وفي العام ١٩٣٠ أنشأ في جنيف مجلة **الأمة العربية** باللغة الفرنسية، ولكن الحكومة السويسرية مانعت في استمرار صدورها بحجة الحياد فصارت تطبع في النمسا وتوزع من هناك. صدر له أكثر من عشرين مؤلفاً أبرزها: **لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟**. توفي في ١٩٤٦/١٢/٩.

عادل أرسلان

ولد في العام ١٨٨٧ في بلدة الشويفات. والده: حمود بن حسن أرسلان. تلقى علومه في مدارس الحكمة والفرير والكلية العثمانية. وأتقن اللغتين: التركية والفرنسية. عيّن موظفاً في وزارة الداخلية في بيروت ثم قائمقام في الشوف سنة ١٩١٢. وانتخب نائباً عن جبل لبنان في مجلس المبعوثان في الآستانة (١٩١٦ ـ ١٩١٨). هو من مؤسسي المنتدى الأدبي. في العام ١٩١٩ التحق بالأمير فيصل في دمشق فعينه سكرتيره الخاص. وجعله الأمير عبد الله رئيس ديوانه ومستشاره الشخصي. التحق بالثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ وتولى قيادة إقليم البلان. وحكم عليه بالإعدام غيابياً ثلاث مرات. عاد إلى دمشق فعينته الحكومة الوطنية سفيراً لها في أنقرة (١٩٣٧ ـ ١٩٣٨). اعتقله الفرنسيون وأبعدوه إلى تدمر عقب انهيار الحكم الوطني. تقلد الوزارة في سوريا مرتين: وزارة المعارف في ١٧ حزيران ١٩٤٦ ووزارة الخارجية ١٩٤٧. وانتخب نائباً عن الجولان في البرلمان السوري عام ١٩٤٧. اعتزل العمل السياسي عقب الانقلاب الأول الذي قام به حسني الزعيم سنة ١٩٤٩. توفي في ١٣ كانون الثاني ١٩٥٤.

مؤلفاته:

- **مذكرات سياسية** (٣ أجزاء).
- **ذكريات الأمير عادل أرسلان عن حسني الزعيم.**

مجيد أرسلان

ولد في الشويفات عام ١٩٠٨. والده: الأمير توفيق أرسلان (كان قائمقام على الشوف أيام

المتصرفية). ووالدته: نهدية شهاب. تزوج مرتين: الأولى من لميس شهاب (ابنة الأمير خالد شهاب) ولهما ولدان: توفيق (توفي في ٢٠٠٣/٢/٢٦) وفيصل. والثانية من خولة جنبلاط عام ١٩٥٦ ولهما أربعة أولاد هم: زينة، ريما، نجوى، طلال (نائب ووزير سابق).

انتخب نائباً عن عاليه منذ العام ١٩٣١ وفي الدورات: ١٩٣٤، ١٩٣٧، ١٩٣٩، ١٩٤٣، ١٩٤٧، ١٩٥١، ١٩٥٣، ١٩٥٧، ١٩٦٠، ١٩٦٤، ١٩٦٨، ١٩٧٢. وعين وزيراً للدفاع في معظم الحكومات التي تشكلت، ووزيراً للزراعة والصحة والتعاونيات والإسكان والأشغال العامة. توفي في ١٨ أيلول ١٩٨٣.

طلال أرسلان

ولد في ١٢ حزيران ١٩٦٣. والده: مجيد أرسلان. والدته: خولة جنبلاط. تزوج في ١٩٩٣/٧/١٧ زينة سليم خير الدين ولهما: مجيد (١٩٩٤) وكندة (١٩٩٦). تلقى دروسه الابتدائية والمتوسطة في ثانوية الشويفات الدولية (شارل سعد) ثم انتقل إلى لندن بسبب ظروف الحرب لمتابعة دروسه الثانوية. حصل على شهادة (B.A) من جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة. وعين وزيراً لأول مرة في الحكومة التي شكلها عمر كرامي في ١٩٩١/١٢/٢٤. وعين نائباً في ١٩٩١/٦/٧ عن قضاء عاليه. في ٢٠٠١/٧/١ أعلن تأسيس «الحزب الديمقراطي اللبناني».

المراجع

١ ـ **السجل الأرسلاني**، حققه وفهرسه وضبط حواشيه محمد خليل الباشا ورياض غنام، بيروت، ١٩٩٩.

٢ ـ **تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي**، عباس أبو صالح بالاشتراك مع الدكتور سامي مكارم، منشورات المجلس الدرزي للبحوث، ١٩٨١.

٣ ـ **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، طنوس الشدياق، (جزآن، تحقيق فؤاد افرام البستاني، بيروت، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠.

٤ ـ حسين حمية، «آل أرسلان رأس الجسر في الحرب على الروم»، مجلة **«الأفكار»** (بيروت)، ٢٠٠٣/١١/١٧.

٥ ـ نقولا ناصيف، **رئاسيات ١٩٩٥: الأمير طلال أرسلان**، (جريدة **النهار**، ١٩٩٥).

٦ ـ جريدة **«السفير»** ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل جنبلاط

في العام ١٩٤٧ زار الزعيم الوطني رياض الصلح مع وفد من المرشحين للنيابة قصر المختارة، والتقى سيدته نظيرة جنبلاط، فأعجب بذكائها وحكمتها ودهائها. ولما عاد إلى بيروت قال للرئيس بشارة الخوري: «يا فخامة الرئيس كنا نظن أنفسنا كباراً في ألاعيب السياسة، ولكن لما التقينا نظيرة جنبلاط رأينا أنفسنا صغاراً أمامها».

هذا الإعجاب بالسيدة نظيرة جنبلاط وامتداحها بالذكاء والدهاء والحكمة في ألاعيب السياسة (وهي تستحق ذلك، لأنها استطاعت من خلال الأسلوب الذي ابتدعته: الابتسامة الدبلوماسية من حل وفكفكة العديد من العقد الصعبة التي واجهتها في تدبير شؤون العائلة الإقطاعية وتسيير أمورها) هذا الإعجاب، ينسحب أيضاً على القادة الذين سبقوها أو الذين أتوا بعدها، وسلكوا طرقاً مختلفة في معالجة القضايا المطروحة على الساحة الوطنية اللبنانية. لكل منهم نهجه وأسلوبه. بعضهم من كان صلباً وعنيداً لا يتزحزح قيد أنملة عن مواقفه ومواقعه، وبعضهم من كان عنيفاً شرساً ومغامراً حتى القتل. وقد كان القتل نصيب عدد من هؤلاء نذكر منهم: قاسم جنبلاط، وحسين جنبلاط، وعلي جنبلاط، ومصطفى جنبلاط (صهر السلطان) بشير جنبلاط (عمود السماء)، وسعيد جنبلاط (توفي في السجن في ١١ أيار ١٨٦١)، وفؤاد جنبلاط، وأخيراً كمال جنبلاط.

ولكن السيدة نظيرة تبقى النموذج المتميز من القادة الجنبلاطيين الذين أطلعتهم هذه العائلة على مدى أربعمئة سنة وأكثر منذ قدومها إلى لبنان، وشاركت مشاركة فعالة في تكوين النسيج الوطني اللبناني، وباتت تشكل جزءاً أساسياً من المعادلة السياسية فيه بدءاً بعهد الإمارتين (المعنية والشهابية)، ومروراً بفترة القائمقاميتين والمتصرفية، ووصولاً إلى حقبة الاستقلال، وما بعد الاستقلال إلى أيامنا الحاضرة.

جدهم الأول: جان بولاد

هذه العائلة اللبنانية العريقة هي من طائفة الموحدين الدروز، يعود نسبها إلى الأمراء الأيوبيين الأكراد الذين تربطهم بالسلطان صلاح الدين الأيوبي صلة متينة. وجدّهم الأول: «جان بولاد»

الكردي الأيوبي المعروف بابن العربي الذي تولى معرّة النعمان، وحرّف العامة الاسم إلى جنبلاط تسهيلاً للفظ ومعناه: الروح الفولاذية، وهو لقب يمنح للقادة العسكريين البواسل. وقد كانوا فعلاً من العسكريين البواسل. ففي عهد السلطان سليم قاتل قاسم بك جنبلاط إلى جانبه، وحقق انتصارات باهرة في معارك طاحنة في «مرج دابق» شمالي حلب، واستبسل في معارك حماة ـ الرستن ـ حمص ودخل مع السلطان دمشق دون مقاومة، بعد أن جلا عنها المماليك في ٢٢ أيلول ١٥١٧ م. وبعد سقوط العاصمة المصرية، وتحطيم سلطة المماليك، وانضمام مكة المكرمة والمدينة طوعاً إلى الامبراطورية العثمانية، وانتقال الخلافة للمرة الأولى من العرب ـ بل من قريش ـ إلى الأتراك، وامتداد سلطان العثمانيين إلى سائر البلاد العربية، كالعراق والحجاز واليمن وأفريقيا الشمالية بأسرها، بعد هذه الفتوحات دخل السلطان سليم عاصمة السلطنة حيث استقبل استقبالاً حماسياً عزّ نظيره. لم يغب قاسم جنبلاط عن هذه الاحتفالات، بل كان يقف دائماً وباعتزاز إلى جانب السلطان، ومعه ابنه البالغ من العمر الثالثة عشرة.

مقتل قاسم جنبلاط

أثار المشهد الاحتفالي حسد الحسّاد، وأشعل نار الغيرة والضغينة عند زعيم العشائر الكردية عز الدين اليزيدي، فسعى لدى حاكم حلب وأمير أمرائها قراجه باشا، ووشوا بقاسم جنبلاط، وأوغروا صدر السلطان ضده، وأوهموه بأن ابن جنبلاط يُعدّ محاولة لاغتياله. واستطاعوا إقناعه، فأصدر قراراً بقتله، فقتل وصودرت ممتلكاته. أما ابنه جنبلاط جنبلاط فقد أودع نظراً الى صغر سنه قصر السلطان حيث ترعرع وشب.

وبموت قاسم جنبلاط أسندت زعامة الأكراد إلى الشيخ عز الدين اليزيدي.

جنبلاط جنبلاط رئيس التشريفات

مات السلطان سليم وخلفه السلطان سليمان القانوني، فاستدعى جنبلاط جنبلاط ابن قاسم جنبلاط، وعينه رئيساً للتشريفات، ثم دعاه لمرافقته إلى بلغراد ورودس، وملدافيا، حيث أبلى بلاء حسناً في معظم المعارك، فأعاد له زمام أمور الأكراد، كما أعاد أملاك آبائه وأجداده، وعرض عليه سنجقية حلب مكافأة له، فأسندت إلى حسين خان باشا الخادم الذي ترأس لجنة بأمر السلطان لاختيار الشخص الصالح لحكم مناطق كلس، عينتاب وضواحيهما فوضعت اللجنة تقريراً جاء فيه: إذا لم تسند زعامة الأكراد في هذه المنطقة، إلى ابن جنبلاط فليس هناك من يستطيع القيام بمقاومة وإخماد الثورات والفتن والقضاء على الأشقياء، وقاطعي الطرق وما أكثرهم.

بعد صدور هذا التقرير أنعم السلطان على جنبلاط بإيالة كلس مهد آبائه وأجداده، فأدار شؤونها بقوة وحزم ومن دون أن يبتعد عن السلطان الذي عينه قائداً لجيشه، على الرغم من محاولات التفريق بينهما. ظل قريباً منه باقياً في خدمته حتى وافاه الأجل عام ١٥٦٦.

بطل معركة فماغوستا

مات جنبلاط جنبلاط في معركة فماغوستا، وهو ابن تسعين سنة، ميتة بطولية حيكت حولها الأساطير والحكايات الشعبية. وبهذه الميتة الاستشهادية اقتحم الجيش العثماني القلعة الحصينة وافتتحتها. وقد حفظ العثمانيون ذكره وأقاموا له التماثيل، كما أقاموا متحفاً يحمل اسمه إلى اليوم.

ترك جنبلاط جنبلاط بعد موته سبعين ولداً مات معظمهم في سن مبكرة، والذين بقوا أحياء منهم لعبوا أدواراً هامة في مختلف مرافق الدولة العثمانية، وقدّموا لها أجل الخدمات ومنهم: جعفر جنبلاط، وحبيب جنبلاط، وعمر جنبلاط، وعبد الله جنبلاط، وغضنفر جنبلاط، وزانيل جنبلاط، وحيدر جنبلاط، وخضر جنبلاط، وحسين جنبلاط.

استلم جعفر بك جنبلاط مناطق كلس، وساهم مساهمة فعالة في ضبط الأمن. وفي عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٥ _ ١٥٩٥ م) قاد جيوش الدولة وحاصر مدينة تبريز عاصمة الصفويين واستمر الحصار عشرة أشهر استطاع جعفر خلالها من إسقاط المدينة والدخول إليها ومصادرة كميات هائلة من الجوهرات من قصر حمزة ميرزا عاهل الفرس.

حاكم تبريز

بعد هذا الانتصار الرائع صدر فرمان سلطاني عيّن بموجبه جعفر جنبلاط حاكماً عاماً على تبريز مطلق الصلاحيات، بعد أن استقال زميله ورفيقه في السلاح فرهاد باشا، بخلاف طارئ مع السلطان، فاغتاله العسكر الانكشاري، ومثلوا بجثته ورموها على قارعة الطريق. ثار جعفر لموت رفيقه فرهاد وقرر الانتقام له فقتل من العسكر الانكشاري ٨٠٠ نفر، فلم تقم بعدها قائمة لهم في بلاد فارس.

اعتزل جعفر الميدان العسكري والسياسي بعد خسارته معركة «إيرلو» (في المجر)، وانسحب إلى بيت ريفي في أعالي جبال الروملي تاركاً مقدرات مقاطعاته بيد أخيه حبيب. وكان حبيب رجلاً لسناً وداهية من دهاة عصره وقع خلاف مع أخيه الأصغر حسين جنبلاط بسبب إرث والده، فاحتل كلس بقوة السلاح، واستولى على كنوز والده بالقوة.

السلطان مراد يتدخل شخصياً

تدخّل السلطان مراد شخصياً لفض النزاع الحاصل بين الشقيقين. وأصدر فرماناً يمنح فيه إيالة كلس إلى حبيب على أن يستقل أخوه حسين بسنجق سلمية وضواحيها. رفض حسين استلام سلمية، وذهب إلى اسطمبول شاكياً محتجاً على إبعاده من كلس، أرض آبائه وأجداده. فتأثر السلطان من كلامه، وأصدر فرماناً جديداً يعزل فيه حبيب عن ولايته، ويسندها إلى أخيه الأصغر حسين.

الصدر الأعظم يقتل حسين جنبلاط

توفي جعفر في غياب أخيه حبيب الساعي أبداً لاستعادة سنجق كلس. وكان قصد الأعتاب السلطانية حاملاً خمسة آلاف ليرة ذهبية عثمانية وقدّمها إلى شيخ مشايخ البلاد الذي كان له حظوة عند السلطان، واستطاع حبيب بفضل هذه الرشوة من استعادة سنجق كلس وإسناد سنجق سلمية وضاحيته إلى أخيه حسين. وكان حسين باشا جنبلاط مشمولاً برعاية السلطان لما أبداه للدولة من خدمات في مختلف الحقول الوطنية، فعطف عليه السلطان وعينه والياً على الموصل، ثم أنعم عليه في أواخر العام ١٥٩٣ م. بولاية طرابلس الشام. وفجأة ظهر له منافس من أعيان طرابلس اسمه قمبيزه، كما ظهر له خصم آخر هو سعد الدين بن حسين الملقب بالخواجه. انزعج قمبيزه من حاكم ولايته، وقرر الذهاب إلى اسطمبول ومقابلة السلطان مطالباً بولاية طرابلس بصفته أحد أبنائها وأولى من غيره بإدارة شؤونها. قتل قمبيزه وهو في الطريق إلى اسطمبول، فاستغل الخواجه هذه المناسبة واتهم حسين بقتله، وأفضى إلى السلطان بكل ما عنده من أحقاد فأمر السلطان بتنحية حسين، وأودع سجن قلعة حلب. ولكن التحقيق حول مقتل قمبيزه لم يؤد إلى إدانة حسين باشا، فأطلق سراحه وعين والياً على حلب برتبة «أمير الأمراء»، وكلف إضافة إلى ذلك، بالمشاركة في الحروب ضد الصفويين في «وان» و«تبريز». تباطأ حسين باشا للمشاركة في المعارك الطاحنة، وكان هذا التباطؤ سبباً في اندحار الجيوش العثمانية وعلى رأسها الصدر الأعظم سنان باشا. وما إن وقعت عينا هذا الأخير على ابن جنبلاط حتى استل سيفه وقطع رأسه، فثارت ثائرة ابن أخيه علي باشا جنبلاط، وأعلن الثورة على العثمانيين.

ثورة علي باشا

ثار زعيم كلس علي باشا جنبلاط بوجه الدولة العثمانية بعد مقتل عمه حسين باشا عام ١٦٠٥ م. وازدادت ثورته عنفاً عندما علم أن والياً جديداً سيحل محله في إيالة حلب، فجمع ما ينوف على عشرة آلاف من السكمان، وأعلن استقلاله عن الدولة العثمانية، واحتل حلب وأعزاز وكلس وأدنه، وعينتاب والمعرة، وسك النقود باسمه وتحالف مع الأمير فخر الدين ضد ابن سيفا، وأمر أئمة المساجد بالدعاء له في خطبة الجمعة.

استولى علي باشا جنبلاط على أكثر الأراضي السورية، وحاول احتلال دمشق عام ١٦٠٧م.، ثم عقد تحالفاً آخر مع الأمير فرديناند الأول غراندوق توسكانا مما جعل السلطات العثمانية تجند جيشاً جراراً بقيادة مراد باشا الصدر الأعظم ضده. وجرت معارك طاحنة تغلبت فيها قوات مراد باشا على قوات علي باشا، واقتحمت حلب وأجرت فيها مذبحة رهيبة وأجهزت على عائلة علي باشا جنبلاط وأنصاره ولم تنج من القصاص حتى والدته. فباعها العثمانيون بثلاثين غرشاً، ولكن علي باشا تمكن من الهرب وتفادى الوقوع في الأسر. وبعد سلسلة من الوساطات

والإغراءات سمح له السلطان بمقابلته قائلاً له: ما سبب عصيانك على ولي نعمتك وظل اللـه على الارض؟. فأجاب باعتداد: «ما أنا عاص إنما اجتمعت علي فرقة من الاشقياء ما خلصت منهم إلا بأن أرميهم في فم جنودكم، وفررت إليك فرار المذنبين فإن عفوت فأنت لذلك أهل وإن أخذت فحكمك الاقوى». فعفا السلطان عنه وأعطاه حكومة طمشوار في بلاد النمسا. وبذلك نجا من الموت بفضل فصاحته وطلاقة لسانه.

إعدام علي باشا

بقي علي حاكماً لتلك الولاية إلى أن قامت بها ثورة ضد الدولة العلية، فأمره السلطان بقمعها فتلكأ ولم يلب الأوامر، فاستغل ذلك مراد باشا القبوجي، عدوه اللدود، وأوغر صدر السلطان عليه فصدر أمر بقتله في أول آذار ١٦١٠م.، فخنق بوتر قوس في إحدى زنزانات بلغراد كما هي عادة العثمانيين في إعدام الشخصيات البارزة.

أما مصطفى باشا جنبلاط، ابن عمه، فقد احتفظ به السلطان في قصره حيث ترعرع فعينه وزيراً، وأصبح فيما بعد «دامادا» أي صهر السلطان، إذ تزوج إحدى بناته، ثم عينه حاكماً لبلاد الروملي، ثم قائداً أعلى للأسطول العثماني.

بعد مقتل علي باشا جنبلاط بدأت مرحلة جديدة من تاريخ العائلة الجنبلاطية، إذ اضطر من بقي حياً منهم التوجه إلى لبنان عام ١٦٠٧ م. وقيل أيضاً عام ١٦٣٠ م. مستنجدين بالامير فخر الدين المعني الثاني صديق علي باشا جنبلاط. وكان أول القادمين جنبلاط بن سعيد بن مصطفى بن حسن بن جنبلاط، وحل مع ابنه الوحيد رباح وزوجته في بيروت أول الامر، وكانت بصحبته عائلتان من أخلص أنصاره وهما من آل نصر اللـه وآل سليم، وعدد من العائلات الدرزية الصغيرة.

على اثر انتشار قدومهم جاء إليهم أكابر الجبل من مشايخ وأشراف ودعوهم إلى الإقامة في بلاد الشوف، فنزلوا في قرية المزرعة المجاورة لبعقلين حيث مركز الإمارة، وابتنوا داراً لا تزال قائمة إلى يومنا هذا. اما آل نصر اللـه فقد سكنوا في الجديدة، بينما سكن آل سليم قرية جباع الشوفية.

رحب الأمير فخر الدين بجنبلاط جنبلاط، ومنحه لقب «شيخ»، وعينه محافظاً على قلعة أرنون الشقيف وقائداً لحاميتها. وكان الشيخ أبو نادر الخازن قائداً لجيش الأمير، فأحب جنبلاط لشجاعته وكرمه ولطفه، وربطته به صداقة. وتوطدت هذه الصداقة بينهما حتى أضحت العائلتان وكأنهما عائلة واحدة، وما زالت المودة قائمة إلى يومنا هذا.

غير أن العلاقة بين الشيخ الجنبلاطي والأمير فخر الدين بدأت تسوء شيئاً فشيئاً حين علم فخر الدين بأن جنبلاط ألف حزباً انضوى تحت لوائه معظم العائلات الشوفية. فاعتقله مدة ثم أفرج عنه. وحين وقع الخلاف بين فخر الدين والعثمانيين فضل جنبلاط وأنصاره التفاهم مع العثمانيين، وكان من نتائج هذا الخلاف سفر الامير فخر الدين إلى إيطاليا.

أبو قاووق

توفي الشيخ جنبلاط سنة ١٦٤٠ م. تاركاً ولداً وحيداً هو رباح الذي عاش في قصر أبيه في مزرعة الشوف معتزلاً السياسة، ثم ما لبث أن توفي سنة ١٧٠٠ م. تاركاً أبناء ثلاثة هم: علي وفارس وشرف الدين.

كان علي أشهر أبناء رباح وهو الذي عُرف بـ «أبو قاووق» لارتدائه قاووقاً مذهباً، كما عُرف بـ«الشيخ طبق» نظراً الى سخائه وكرمه. صادق الشيخ قبلان القاضي التنوخي، وكان حاكم الشوف آنذاك وتزوج ابنته الوحيدة عام ١٧٠٢، وانتقل معها إلى المختارة حيث ابتنى القصر الذي توجد فيه قصور آل جنبلاط، وتولى مشيخة العقل. ولما حصلت معركة عين دارة الشهيرة ١٧١١م. اشترك فيها وساهم بقدر في ترجيح كفة القيسية. ويبدو أن إقامته في المختارة لم تدم طويلاً لأنها كانت محفوفة بالمخاطر، فآثر الانتقال إلى قرية بعدران، فاشترى الحارة القبلية من بني أبو حسن، وشاد في تلك الارجاء قصراً منيفاً.

ولما مات عمه والد زوجته (الشيخ قبلان) سنة ١٧١٢ م. وكان بلا عقب اتفق أكابر الشوف أن يكون صهره علي في مرتبة عمه رأساً عليهم، والتمسوا ذلك من الأمير حيدر، فولاه مقاطعات الشوف التي سلك فيها جميعها منهج العدل والرحمة ورفع التعدي، فحصلت الراحة والأمان. وكان أن مالت الناس إليه وكثر أعوانه من جميع الطوائف، وصار «شيخ المشايخ» الجامع بين السلطتين الروحية والزمنية.

يزبكيون وجنبلاطيون

وقد أثر عن هذا الشيخ الكثير من الأفعال المجيدة منها: أنه حين التجأ إليه رئيس دير الرهبان الكاثوليك، وطلب منه أن يأذن له ببناء دير في إحدى مقاطعاته لبى طلبه، وأنعم عليه بأرض من أملاكه، فبنى الرئيس فيها الدير الذي يدعى دير المخلص الآن، وإنه حين ادعى الامراء الشهابيون بتركة الأمير اسماعيل أرسلان، إنه أوصى بها لهم، وتعصب لهم المشايخ اليزبكية، وطلب منه الأمراء الارسلانيون المساعدة على استخلاص حقهم توجه إلى الشويفات وساعدهم على استخلاص هذا الحق. وأنه حين أحدث الأمير يوسف الشهابي سنة ١٧٧٤ مالاً على البلاد وهاجت الرعايا، والتمس من الشيخ العمل عند الأمير لإلغائها، وأبى الأمير إلغاءها دفعها الشيخ من ماله الخاص، مما زاد من محبة الناس له، فخشي الأمير منه، وأوقع الفتنة بينه وبين الشيخ عبد السلام يزبك العماد. ومنذ ذلك التاريخ انقسم الناس بينهما إلى يزبكيين وجنبلاطيين انضم إلى الحزب الجنبلاطي بيت الخازن، وانقسم الشهابيون واللمعيون ونصارى الإمارة بين موالاة ومعارضة (إذا جاز التعبير) وآل حبيش والدحداح ناصروا الحزب اليزبكي.

توفي الشيخ علي بك جنبلاط عام ١٧٧٨ م. في بعدران مخلفاً ستة أولاد، هم: يونس، جنبلاط، نجم، محمد، قاسم، وحسين. وكان قاسم هو الوجه الأبرز في تولي زمام الأمور، فاتخذ من المختارة

مقراً له: لكن خلافاً نشب بين الأمير يوسف وأخويه أحمد وفندي الدعومين من آل جنبلاط، وأدى الخلاف إلى التجاء الأمير يوسف إلى أحمد باشا الجزار والي عكا الذي أعاده إلى الولاية، ما اضطر الجنبلاطين للانسحاب إلى قرية قب الياس.

عمود السماء

إن الفترة التي حكم فيها قاسم جنبلاط كانت قصيرة بعدما شهد عصره صراعاً مريراً في سبيل الحفاظ على السلطة، وتوفي في السجن عام ١٧٩٣. تسلم الزعامة بعد قاسم ابنه بشير (١٧٧٥ ـ ١٨٢٥) الذي تصدى للجزّار بعد تحالفه مع الأمير بشير الشهابي الثاني، وأصبح زعيم الشوف الأوحد ولقب بـ«شيخ المشايخ» و«عمود السماء». وقد أغضب ذلك الجزّار فطالب باعتقال البشيرين، فثار أنصارهما واضطرب حبل الأمن في الجبل، فاضطر الجزّار إلى إطلاق سراح البشيرين، وأعادهما إلى الإمارة، لكن الدسائس بين البشيرين أفسدت العلاقة بينهما والتحالف القائم، على اعتبار أن الجبل لا يتحمل بشيرين، فنشب القتال مجدداً بينهما عام ١٨٢٤م. تغلّب الأمير على الشيخ، فرّ هذا الأخير إلى الشام ثم سلم نفسه إلى والي عكا المدعو عبد الله باشا الذي أعدمه مع الشيخ بشير العماد بعد أسرهما وسجنهما في عكا بتدخل من والي مصر محمد علي باشا اثر تحالفه مع بشير الثاني، وذلك في العام ١٨٢٥م.

بعد موت بشير جنبلاط، اضطربت أحوال الجنبلاطيين في الشوف، وتشتت كلمتهم، وتولى المشيخة نعمان بن بشير، لكن الأمر لم يستتب له كما جرت العادة أيام أجداده. وحين قرروا العودة إلى البلاد، والانتقال إلى الشوف وجدوا البيوت مهدمة والمزارع محروقة، فحلوا ضيوفاً في المختارة على أهلهم وأصدقائهم، وطلبوا من الأمير بشير الثالث إعادة أملاكهم التي صودرت، فحاول التآمر عليهم بعد مؤامرة بشير الثاني، وكاد يوقع بهم لولا مساعدة الكولونيل الإنكليزي «روز» ممثل بريطانيا في لبنان، وتعهده بحمايتهم.

الأكليروس الماروني بقبرص

وعند ظهور القائمقاميتين اقترح الوالي العثماني تعيين سعيد بك جنبلاط ابن بشير (١٨١٣ ـ ١٨٦١) لإدارة القائمقامية الدرزية نظراً الى شعبيته، فعارض الاكليروس الماروني هذا الاقتراح. وحدث خلاف بين الأخوين الشقيقين نعمان وسعيد انتهى باعتزال الاول السياسة وتولي الثاني القائمقامية، فتدخل الفرنسيون، وحذروا العثمانيين من سعيد بك، وأقنعوهم بأنه من دعاة الانفصال عنهم، فأرسلوا قواتهم لضربه، ما جعل آل جنبلاط يتشتتون من جديد، ولكن الزعامة ما لبثت أن عادت مع ولدي سعيد: نجيب بك (١٨٥٩ ـ ١٨٩٣) الذي عين مديراً للشوف الحيطي ونسيب بك (ثم باشا) (١٨٥٢ ـ ١٩٢٢) الذي عين مديراً للشوف السويجاني، ثم إلى فؤاد بك والد كمال بك الذي تولى قائمقامية الشوفين، وقتل على ما قيل

خطأ برصاص كان موجهاً إلى الضابط كسبار، واضطلعت بدور الزعامة بعده زوجته السيدة نظيرة جنبلاط (١٨٩٠ ـ ١٩٥١).

فؤاد بك جنبلاط

ولد فؤاد بك جنبلاط في المختارة عام ١٨٨٥، وهو ابن حفيد الزعيم الدرزي المعروف الشيخ بشير جنبلاط الذي جعلت جهوده الخارقة آل جنبلاط يبلغون ذروة النجاح السياسي في الربع الاول من القرن التاسع عشر. وهو حفيد سعيد بك جنبلاط آخر بكوات الدروز وأعيانهم الذي حاول أن يستعيد تلك الأمجاد بعد هزيمة والده وإعدامه عام ١٨٢٥ واتهم سعيد بك بتدبير النزاعات الدموية بين الدروز والموارنة وحكم عليه بالسجن المؤبد. وتوفي في ١١ أيار ١٨٦١ في مستشفى السجن إثر إصابته بداء السل ودون أن يطول العمر لإطلاقه وإعادة الاعتبار إليه. وتولت أرملته بدر أمين الدين تربية طفليهما نسيب ونجيب، متحملة أعباء ديون كبيرة خلفها لها زوجها، إلا أن هذه الأرملة الفذة لم تفقد للحظة صفاء الذهن وقوة العزيمة. وتلقى نجلاها بفضل تفانيها تحصيلاً علمياً راقياً بمقاييس ذلك الزمان في الكلية الوطنية التي أنشأها رجل النهضة المعلم بطرس البستاني، واحتفظا بالزعامة في الطائفة الدرزية.

قصر المختارة روضة للكناري

توفي نجيب عام ١٨٩٣ وهو في الرابعة والثلاثين، وترك صبيين هما فؤاد وعلي، فتولى شقيقه نسيب مهمات الوصاية عليهما، ووفر لابني أخيه تعليماً خاصاً في المنزل حتى التحقا بالجامعة الأميركية في بيروت. ولم يتمكن فؤاد من إكمال دراسته فيها لإصابته بمرض جعله يعود إلى المختارة قبل نيل الشهادة.

كان عمه نسيب أرستوقراطياً بكل معنى الكلمة، يتحلى بالفطنة وحيوية الذهن ومنتهى التأدب واللياقة. وكان مولعاً بالعنادل والطيور المغرّدة حتى صار قصر المختارة روضة للكناري والبلابل والشحارير وأقفاصها منتشرة في كل أنحائه. وكان الصيادون ينصبون شرك «الدبق» للطيور، ويحضرون له ما يعلق بها فيختار من بينها أجملها تغريداً، ثم يمد يده المعطرة بالكولونيا الإنكليزية فيقبلونها شاكرين، ويتلقى كل واحد منهم ليرة ذهبية.

كان نسيب بك معروفاً بالسخاء منذ نعومة أظفاره، وعرف عنه أيضاً حسن التدبير والاهتمام بحاجات الآخرين. فعندما كان مديراً للشوف أنفق من ماله الخاص على بناء جسر عين مرشد الذي ربط بين المختارة وقرية عين قني المجاورة. وعندما صار قائمقام في ما بعد بنى أيضاً سرايتين أو مقرين رسميين، صيفياً في بعقلين وشتوياً في الشويفات. ومدّ أنابيب المياه إلى بعقلين، وشقّ الطريق بين بيت الدين والمختارة، كما شيّد مساجد وكنائس عدة في مناطق الشوف وصيدا وجزين.

استعادة الزعامة الجنبلاطية

أما نشاطه على الصعيد السياسي فقد وفق إلى تحقيق ما لم يوفق أبوه سعيد بك في تحقيقه. فقد تمكن عن طريق الدبلوماسية وليس بحد السيف من أن يعيد الزعامة إلى آل جنبلاط بعدما كانت تزعزعت في السنوات الأولى لنظام المتصرفية.

في بادئ الأمر لم يكن المتصرفون العثمانيون راضين عن آل جنبلاط، ولذا لم يتسلم أبناء هذه العائلة طوال ٢٣ عاماً أي إذن سلطاني من الباب العالي بتسلم منصب القائمقام. وكانت غالبية الأذونات لهذا المنصب من حصة أبناء عائلة درزية قوية أخرى هم الأرسلانيون الذين تمكنوا من تعزيز مواقعهم في الشوف بعدما تضاءل النفوذ السياسي للمختارة. ولكن الموقف تبدل عام ١٨٧٣ م.عندما أصدر المتصرف رستم باشا (إيطالي المنشأ) مرسوماً يجعل ناحية الشوف السويجاني وحدة إدارية منفصلة، ويعيّن نسيب جنبلاط مديراً لها. وفي عهد واصا باشا عيّن نسيب بك قائمقامَ للشوف كله في ٢٥ أيار ١٨٤٤. في ذلك اليوم عاد آل جنبلاط إلى واجهة المسرح السياسي في جبل لبنان. ومنحه السلطان عبد الحميد لقب باشا، وقد ظل المتصرفون العثمانيون يثقون بنسيب باشا، وقد عينوه عام ١٩١١ مجدداً قائمقامَ بدلاً من الأمير شكيب أرسلان الذي ارتحل إلى الأستانة نائباً عن حوران.

استقال نسيب باشا من منصبه، بعد أن تلقى تقريعاً في سرايا بيت الدين لعجزه عن مكافحة النهب والسلب على طريق الشوف. وغادر المختارة واستقر في قصر البرامية الجديد المطل على صيدا معتزلاً العمل السياسي ومكتفياً بالمشاركة في الأعمال الخيرية لمساعدة الجياع وعائلات اللبنانيين المجندين في الجيش العثماني.

في تلك الأثناء كبر ابنا أخيه فؤاد وعلي، وصار لهما مركز مرموق في المجتمع، إلا أنهما كانا على طرفي نقيض. فالأصغر علي كان لا يعبأ بالسياسة، فاستقال من منصبه مديراً لأحد شطري الشوف، وغادر المختارة ليقيم في بيروت، فيما كرّس شقيقه فؤاد حياته على قصرها لخدمة الناس، فصار السيد الفعلي للمختارة في مطلع العشرينات، وأخذ صوت زوجته نظيرة التي أنجبت له صبياً (هو كمال) يتردد من الثقة والتسلط في قسم الحريم.

أول اغتيال سياسي

في ٦ آب ١٩٢١ اغتيل فؤاد بك في وادي عينبال في مكمن نصبه رجال شكيب وهاب من غريفة، وقيل يومها بأنه أول اغتيال سياسي يحصل في تاريخ لبنان الحديث. وكانت آخر عبارة لفظها: «بلغ نظيرة أن تحافظ على الأولاد».

فرّ شكيب وهاب إلى حوران، وظل بقية حياته متهماً بقتل فؤاد بك، إلا أنه رفض رفضاً باتاً رواية القتل المتعمد قائلاً إن رجاله أعدّوا الكمن لمدير الشرطة يوسف كسبار، وأن الرصاصة التي كانت تستهدفه صرعت فؤاد جنبلاط بسبب الشبه العجيب بين حصانيهما.



نسيب باشا جنبلاط

(كتاب تنوير الأذهان)

ما إن ووري جثمان فؤاد بك التراب حتى طرحت مسألة خلافته في منصب القائمقام. وعرض هذا المنصب على أخيه الأصغر علي بك فتقبله على مضض نزولاً عند رغبة صديقه المندوب السامي غورو وإصرار عمه نسيب باشا.

توفي نسيب باشا جنبلاط في ١١ تشرين الثاني في منزل علي بك في بيروت. ووجد علي بك نفسه أنه غير قادر على الاستمرار في أداء المهمة التي أوكلت إليه، فقدّم استقالته من القائمقامية عام ١٩٢٣ وغادر المختارة وعين مكانه فايز بن حسين عماد. وبذلك شغر كرسي الزعامة التقليدية لدى آل جنبلاط، وللمرة الأولى في تاريخ الدروز تعيّن على امرأة أن تسد فراغ الزعامة. وقد استطاعت أن تملأ هذا الفراغ، وتؤدي بأسلوبها وطريقتها الدور المطلوب منها.

الست نظيرة

كان عمر كمال لا يتجاوز الرابعة حين صممت الست نظيرة على أن تحتفظ بالزعامة السياسية في المختارة، وتصون، مهما كلف الأمر، توارث الزعامة التي انقطع حبلها بمقتل زوجها. انطلقت من رؤيتها الشخصية المتميزة للتاريخ، والتي تعود أصولها إلى عهد الإمارة. والمجال السياسي الرئيسي بالنسبة إليها هو جبل لبنان وحده. وأي ذكر للأحزاب والحركات السياسية الناشئة في بيروت كان يقابل منها بابتسامة ساخرة. والأحداث الأساسية بالنسبة إليها هي تلك التي تجري على رقعة المختارة وبيت الدين ودير القمر. وكانت تعتبر النصيحة الطيبة من المطران الماروني أوغسطينوس البستاني الذي يزور قصرها بانتظام من أثمن النصائح والإرشادات التي كانت تأخذ بها وتعمل بهديها.

شعرة معاوية

كانت تتصور الفرنسيين، شأن العثمانيين سابقاً، شراً لا مفرّ منه، لكن سلامة الدروز تتوقف على إمكان التفاهم معهم. وقد اضطلعت الست نظيرة بهذا الدور بأروع شكل. كانت في أحرج المواقف الخصامية تتقن دوماً فن الحفاظ على شعرة معاوية معهم. كانت بحاجة إلى الإفادة من



علي بك جنبلاط

(كتاب تنوير الأذهان)

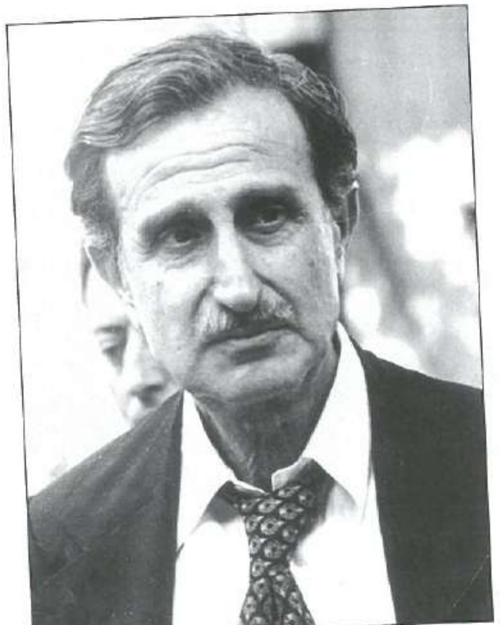
تأييد الفرنسيين لكي تعزز مواقعها في الشوف الذي يشير كل حجر فيه إلى ماضي الدروز وأمجادهم. وإن رسالة الجد الأكبر الشيخ بشير، ذلك «العماد» الذي سعى إلى استعادة سطوة الدروز في جبل لبنان ودفع ثمناً لسعيه هذا، إنما تهيب بهم أن يواصلوا المهمة. لكن ذلك من شأن الرجال، ومن شأن ابنها، كما تعتقد حين يكبر. أما هي فقد كتب لها أن تصون وتحمي ما خلفه زوجها، وتعد كمال لمستقبل باهر. وكان كمال لا يزال يخطو خطواته الأولى حين أمرت الست نظيرة الجميع بأن يخاطبوه بكل مقتضيات الاحترام الذي يليق بمنزلة العائلة. وأضافت إلى ذلك لقباً جديداً «ابن العماد».

كانت في الثانية والثلاثين عندما قتل فؤاد بك، ووفقاً للعادات المرعية، أخذت في الآونة الأولى تستقبل المراجعين من وراء الحجب، بيد أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، وجاء في مذكرات الجنرال غرانكور الذي زارها في أواسط العشرينات، أنها صارت تخرج لاستقبال الضيوف الأجانب في فستان مخملي أسود على الطراز الأوروبي، وتتجاذب معهم أطراف الحديث، لكن وجهها يغمره وشاح، ولا يرى الناظر إليها سوى عينيها اللتين توحيان بالثقة والاطمئنان والفطنة. وكانت ترحب بالضيوف دوماً بالفرنسية أولاً، وما إن تنتهي من الترحيب بهم والاستفسار عن صحتهم حتى تبدأ الكلام بإنكليزية لا تشوبها شائبة.

كانت تشبه ملكات الشرق

كانت الست نظيرة تشبه ملكات الشرق، مهيبة القوام واتزان الحركة عندما يقترنان لديها بعدم التكلف وبساطة الخطاب. وهي تتحلى بالتطلع والاستقصاء، وبذاكرة خارقة، إذ هي تتذكر أسماء جميع الذين يزورونها، وإن مرة واحدة، بل تثير دهشة الناس باطلاعها على مشاكلهم الخاصة ومعرفتها بأهلهم وذويهم الأقربين والأبعدين، وتمسكاً بالقاعدة التي تعودتها والقائلة بحل أعقد المشاكل بالتي هي أحسن، لم تكن الست نظيرة تبخل بحسن المعاملة والكلمة الطيبة أياً كان محدثها، وعلى هذا النحو بالذات كانت تتصرف في السياسة، فتفرض رأيها على محدثها بابتسامة رقيقة ولهجة ودية. وغالباً يتبنى الآخرون وجهة نظرها، وينصرفون واثقين من أن أحداً لم يمارس ضغطاً عليهم.

في أيام الست نظيرة كانت قاعات الاستقبال في قصر المختارة تغص بالمراجعين كل يوم، ولا



كمال بك جنبلاط: قائد الحركة الوطنية اللبنانية

أحد ممن يأتون طلباً للنصح أو المعونة يعود خائباً. كان المعوزون يغادرون مزودين بالمال لحفل زفاف أو لجنازة، والجيران المتخاصمون يترددون عليها ويسوّون خلافاتهم عندها قبل أن تتحول إلى مناوشات دامية. والأزواج يجدون سبل الصلح مع زوجاتهم، وحتى المجرمون التائبون يتلقون منها رسائل موجهة إلى الحاكم العسكري في الشوف للعفو عنهم أو لتخفيف العقاب. لقد تجلت شرعية سلطتها أمام الجميع مذ صار شيخ عقل الدروز يتردد إلى مجالسها، ومع أنه لم يحاول أن يلقي على كتفيها العباءة السوداء رمز الزعامة الدرزية حفاظاً على التقاليد، إلا أن مجرد حضوره كان اعترافاً فعلياً بحقوقها.

في عهد الست نظيرة غدت المختارة أحد أهم المراكز السياسية في لبنان. نعتها القناصل الفرنسيون في تقاريرهم بسيدة القصر، وكان المندوب السامي الفرنسي، بعد كل زيارة يقوم بها إلى بطريرك الموارنة في مقره الصيفي في بيت الدين، يعرّج على المختارة. وكثيراً ما كانوا يقولون في صالونات بيروت: إذا وصلت إلى لبنان ولم تزر بكركي والمختارة، فكأنك زرت روما ولم تر الفاتيكان.

مبادئ الثورة الفرنسية

هكذا حافظت الست نظيرة على الإرث الجنبلاطي، ومهدت الطريق لابنها الوحيد كمال لتسلم هذا الإرث والإضافة إليه، ولكن ما حدث أن الشاب المثقف المنفتح على الحضارات العالمية، المهووس بمبادئ الثورة الفرنسية، وبأفكار الاشتراكية المسيحية التي أطلقها البابا لاوون الثالث عشر في رسالته الشهيرة «ريروم نوفارم» وتأثرت بها معظم الأحزاب الاشتراكية الأوروبية، أدرك هذا الشاب أن الأنظمة الإقطاعية التي حكمت لبنان لفترة طويلة هي إلى زوال. وأن العمل بها لن يرضي الثقافة التي اكتنزها من مطالعاته ولقاءاته الشخصية مع كبار مفكري الغرب والشرق. ورأى من الضروري تأسيس «حزب سياسي، يحمل كل هذه الأفكار والمبادئ، فالتقى عدداً من المثقفين اللبنانيين: من محامين، ومؤرخين، ورجال فكر ومثقفين وأسسوا «الحزب التقدمي الاشتراكي». وتم الاحتفال الرسمي بإعلان قيام هذا الحزب في الأول من أيار ١٩٤٩.

وحالما بلغ نبأ تأسيس الحزب المختارة، غادرتها السيدة جنبلاط إلى بيروت، واستهدف غضبها



قصر المختارة التاريخي

بالدرجة الأولى الشيخ عبد اللـه العلايلي الذي كان له، في اعتقادها الأثر الفتاك في ابنها. وفي حديث قال الشيخ العلايلي: «عندما أعلنا عن «الحزب التقدمي الاشتراكي» (...) نزلت المرحومة الست نظيرة جنبلاط من المختارة وهي كلها انفعالية على نحو المثل العامي القائل: «يا قاتل يا مقتول» وكانت تسأل عني وتقول: أين هذا الذي اسمه العلايلي؟» وأنا للمرة الأولى اجتمع بهذه السيدة السياسية الكبيرة: ما معنى هذا التقدمي الاشتراكي وإن ابني كمال يتمتع بكتلة ضخمة هي الجنبلاطية؟ لماذا تصفه بالتقدمية والاشتراكية وغيرهما؟» وهي منفعلة. ويومها أوضحت لها ما هي الغاية إلى أن كانت راضية عما كانت تسمعه، وكان ذلك الاجتماع في منزل كمال بك خلف المتحف (...) ثم وجهت إلي دعوة إلى قصر المختارة، وأمضيت فترة أسبوع هناك».

الرفيق كمال بك

خففت زيارة الشيخ العلايلي إلى المختارة من أوار الخلاف لأمد قصير، إلا أن ذلك لم يتمكن من إزالة سوء التفاهم بين الأم وابنها. فالسيدة نظيرة تعودت على كون نفوذ المختارة يتوقف على علاقاتها الطيبة مع السلطات، لذا كانت تتألم للمواجهة التدميرية في رأيها، بين كمال والنظام القائم، والأفظع من ذلك هو تمسك ابنها بالأفكار الاشتراكية التي تهدد زعامة آل جنبلاط في اعتقادها. وبعد افتتاح فرع للحزب التقدمي الاشتراكي في المختارة عام ١٩٥٠ خرجت حياة القصر عن مجراها المعتاد. وكانت السيدة نظيرة تنفعل خصوصاً لتردد أعضاء الحزب المحليين على القصر في غير مواعيد

الزيارة والمراجعة. وكان كثيرون منهم يتعاملون مع كمال خلافاً للأصول المرعية. وذات مرة كانت الست نظيرة تهبط السلم فصادفها فتى من العامة تكاد لا تعرفه وسألها: «أين الرفيق كمال؟» فجاء سؤاله بلهجة كأن كمال بك رفيق له بالفعل، فأجابته بمنتهى البرودة:

- «بعدما صار كمال «رفيقاً» لم أعد أعرف أين هو».

كانت كلمة «الرفيق» درجت على الألسن فعلاً منذ تأسيس الحزب، إلا أن الكثيرين من القريبين من كمال جنبلاط وجدوا صعوبة في مخاطبته «يا رفيق»، فظلوا يسمونه كالسابق «كمال بك». وكان الزعيم الواثق من ضرورة إلغاء الألقاب الإقطاعية يتظاهر بالزعل في البداية، لكنه رضخ للواقع في ما بعد مدركاً أنه سيظل في كل الأحوال «بيكاً» بالنسبة إلى السواد الأعظم من الدروز.

في ٢٧ آذار ١٩٥١ توفيت السيدة نظيرة جنبلاط بعدما استمر عهدها في قيادة هذه العائلة زهاء ٣٠ عاماً، وتسلم الراية بعدها كمال جنبلاط، ولكن بأسلوب مختلف وطريقة مختلفة..

كمال جنبلاط

في السادس من كانون الأول ١٩١٧ ولد كمال جنبلاط، ابن فؤاد بك جنبلاط (مدير منطقة الشوف الجبلية الكبرى) وبولادته عمّت الفرحة قصر المختارة، وتقاطرت إليه فور انتشار الخبر وفود الأقارب والوجهاء من الجيران وبعض أعيان بيروت وفلاحي الضيع المجاورة. وفي الساحة أمام القصر راح الشعراء يتبارون بالأزجال والمواويل الارتجالية معبرين عن فرحتهم. وكانت تقدّم إلى الضيوف مرات عدة في اليوم أطباق الأرز المطهو بلحم الضأن الساخن. ويتلقى الفلاحون الكسوة، ويتسلم الفقراء منهم بيضاً وعسلاً وزيتوناً وصابوناً فواحاً.

وكانت السيدة نظيرة والدته قد أنجبت في أواخر العام ١٩١٦ بنتاً أسموها ليلى، ولم تقابل ولادتها بالتهليل والاستبشار كما قوبلت ولادة شقيقها كمال. فالدروز، وجميع أبناء المشرق العربي، يعتقدون أن وجود البنت في العائلة مؤقت، فهي سوف تتزوج عاجلاً أم آجلاً وتترك والديها. والمرأة الدرزية التي تنجب بنتاً يواسيها الآخرون بالقول: «اللي جابت بنت بتجيب صبي».

وما إن انتهت الاحتفالات بولادة الصبي حتى مرضت البنت فجأة فاستدعى الدكتور جرجس طحيني على عجل من دير القمر، وأفاد بعد الكشف على ليلى أنها مصابة بالتيفوس الطفحي. ولم يتمكن من إنقاذ حياتها رغم الجهود التي بذلها. وكان فؤاد بك حينذاك في رحلة صيد، وعندما عاد إلى المختارة في اليوم التالي استقبلته الست نظيرة في ثوب أسود ومنديل أبيض وبادرته بالقول: «البقاء في حياتك. اللـه يخلي لك كمال»، فردّ بمرارة وألم: «من يدري؟ فقد لا يطول بي العمر لأراه رجلاً».

صحّ توقع فؤاد بك، ولم يطل به العمر ليرى ابنه كمال رجلاً، بل تركه طفلاً يلهو ويلعب في ساحات قصر المختارة، ويتعلم على يد مربيته المبادئ الأولى للقراءة والكتابة، فيما كانت والدته الست نظيرة تعمل على ملء الزعامة الجنبلاطية والمحافظة عليها وتأمين استمرارها. وفي الحادية عشرة من عمره، أدخل معهد الآباء اللعازاريين في عينطورة، أهم مدرسة ثانوية في جبل لبنان. وقد أظهر

نباهة وتفوقاً في جميع دروسه، إلا أنه كان ميالاً الى الرياضيات والعلوم التطبيقية كالجبر والهندسة والفيزياء.

ويتحدث رفاقه عنه في تلك المرحلة فيقولون: «لم يكن يبدي أي ميل عملي نحو السياسة، ولكنه كان يبدي عطفاً خاصاً وتعلقاً بالقضايا العربية. فكان شديد الإعجاب بسعد زغلول. وقد حمله هذا الإعجاب على أن يذهب إلى رئيس المعهد ويطلب منه إعلان يوم عطلة احتفاء بذكرى استقلال أول دولة عربية (١٩٣٤). وقد استجاب رئيس المعهد لطلبه، لكنه اشترط عليه ألا يذيع سبب العطلة على التلاميذ، خوفاً من حدوث بلبلة «هو بغنى عنها». وكان هذا أول تعبير سياسي له في ما يتعلق بالقضايا الوطنية. كان ينوي التخصص في الهندسة، والسفر إلى البلدان العربية كي يساهم في إعمارها، غير أن والدته طلبت من صديقها وصديق العائلة المطران أغوسطينوس بستاني، مطران دير القمر أن يحاول إقناع كمال بالعدول عن دراسة الهندسة، والاستعاضة عنها بالمحاماة. وقد تمّ لها ما أرادت.

في العام ١٩٣٨ التحق بجامعة السوربون في باريس، وبدأ دراسة السنة الأولى في الحقوق.. فأعادته والدته إلى بيروت، وأكمل دراسته الحقوقية في الجامعة اليسوعية، ونال الإجازة عام ١٩٤٢، كما نال شهادات في الفلسفة، وعلم الاجتماع وعلم النفس.

مارس المحاماة في مكتب المحامي إميل إده (رئيس جمهورية أسبق) غير أن عمله في المحاماة لم يستمر أكثر من سنة، إذ توفي ابن عمه حكمت جنبلاط (نائب ووزير) واضطر إلى خوض المعترك السياسي، فانتخب نائباً عام ١٩٤٣. وأعلن في أول خطاب ألقاه في المجلس النيابي تأييده لسياسة بشارة الخوري ورياض الصلح الهادفة إلى الاستقلال التام، كما هنأ الحكومة على ربطها بين استقلال لبنان وعروبته. وفي ١٦ كانون الأول ١٩٤٦، اشترك للمرة الأولى في الحكم كوزير للاقتصاد الوطني والزراعة والشؤون الاجتماعية في وزارة رياض الصلح الثانية. وفي ٢٥ أيار ١٩٤٧ أعلن أن الانتخابات التي جرت هي مزورة ولا تمثل رأي الشعب، وقدم استقالته من الحكومة.

في العام ١٩٤٨ شارك بقيادة التيار الداعي لإسقاط الشيخ بشارة الخوري من رئاسة الجمهورية. وانتخب نائباً في الدورات التالية: ١٩٤٣ و١٩٥١ و١٩٥٣ و١٩٦٠ و١٩٦٤ و١٩٦٨ و١٩٧٢.

سطع نجمه السياسي في العام ١٩٥٢، إذ كان بين أبرز قادة الجبهة الاشتراكية الوطنية التي أسقطت الرئيس الشيخ بشارة الخوري وأعلنت تأييدها لكميل شمعون. أخذ خط الموالاة في القنوات الأولى للعهد الشمعوني، ثم انقلب عليه في أعقاب انتخابات العام ١٩٥٧ النيابية، وهي الانتخابات الوحيدة التي يسقط التي فيها كمال جنبلاط منذ العام ١٩٤٣.

تعاون مع الرئيس فؤاد شهاب، فأسندت إليه في هذا العهد حقائب وزارية عدة. عين وزيراً للتربية بين أول آب ١٩٦٠ و٢٠ أيار ١٩٦١ ثم وزيراً للأشغال العامة والتصميم بين ٢٠ أيار ١٩٦١ و٣١ تشرين الأول ١٩٦١ وبين ٣١ تشرين الأول ١٩٦٦ و٤ تشرين الثاني من العام نفسه، أسندت إليه حقيبة وزير دولة للشؤون الداخلية والعلاقات مع بعثة «إرفد» وبين ٤ تشرين الثاني ١٩٦١ و١٩ شباط ١٩٦٤ تسلم وزارة الداخلية في أطول حكومات العهد الشهابي.

بدأت علاقاته بالشهابية تفتر في العام ١٩٦٥، بعد أن أخذت سياسته منحى يسارياً. فقد أعلن

عن قيام جبهة الأحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية التي ضمت «الحزب الشيوعي اللبناني» وعدداً من الاحزاب اليسارية. واستمرت هذه العلاقات بالتدهور بعد أحداث ١٩٦٨-١٩٦٨ وبعد وقوفه مع المقاومة الفلسطينية.

وبين ١٠ نيسان ١٩٦٦ و٢ كانون الأول ١٩٦٦ تولى وزارتي الأشغال العامة والبريد والبرق والهاتف. وفي العام ١٩٧٠ تكرست القطيعة مع الشهابية، فأيد الرئيس سليمان فرنجية على منافسه حاكم مصرف لبنان الياس سركيس.

كل هذه المناصب الوزارية التي تولاها، وكل هذه النشاطات والمواقف السياسية التي أطلقها لم تبعده يوماً عن بعض الهوايات الخاصة التي يحبها ويرتاح إليها، مثل نظم الشعر باللغتين العربية والفرنسية، أو ممارسة اليوغا، أو القيام برحلات استجمام إلى الهند، يتصل خلالها بكبار المفكرين والمتصوفين في العالم.

كان كمال جنبلاط يدرك ويعرف أنه سيموت. ويروي أحد المقربين إليه «أنه قبل أسبوع واحد من استقباله الرصاص في فجأة الغدر كان يودع رفيق نضال بمناسبة سفر في مهمة. صافحه جنبلاط ولبث يشيعه بعينيه حتى كاد أن يغيب في أسفل سلم المنزل. ثم ناداه فجأة أن اصعد إلي. صعد الرفيق إلى حيث كان المعلم واقفاً بقامته المديدة المنحنية قليلاً كالسنبلة الملأى بحبات القمح. قال له بنبرة غير مألوفة:

- دعني أقبل وجنتيك. أشعر أنني سأقتل قريباً قبل أن تعود. وقبل جنبلاط الرجل لأول مرة وآخر مرة في حياته».

اغتيل الرجل الكبير في ١٦ آذار ١٩٧٧ في قرية دير دوريت على طريق بلدته المختارة. ولم يخلف بعده سوى ولد وحيد وواحد، هو وليد من زوجته مي ارسلان، ابنة الأمير شكيب أرسلان. وجاء في نعي الوليد لوالده: «مات كمال جنبلاط. قضى في سبيل ما كان يبشر به، ورهن حياته من أجله. عاش كبيراً وبسيطاً. ومات شهيداً عظيماً. أناشد جميع إخواننا الالتزام بالهدوء وضبط الأعصاب حتى نفوّت على المتامرين الحقيرين فرصة تحقيق مؤامرتهم في ضرب وحدة البلد، وأن نثبت لهم أن كمال جنبلاط لا يزال حياً بنهجه ومبادئه. وأن نكون اوفياء له بعد مماته، بالتزامنا بما كان يعمل من أجله في حياته».

وليد جنبلاط

تسلم وليد جنبلاط مسؤولية الرئاسة في «الحزب التقدمي الاشتراكي» فور اغتيال المؤسس كمال جنبلاط، وتسلم زعامة الطائفة الدرزية في الوقت نفسه. وقد برهن انه كان على قدر المهمة التي اوكلت إليه. سار على الدرب الذي سار عليه والده، وأضاف، لأن أموراً كثيرة تبدلت على الأرض وحصلت تطورات سياسية هامة على الساحة الوطنية اللبنانية، كان ابرزها اتفاق الطائف عام ١٩٨٩. صحيح أن وليد جنبلاط لم يشارك مباشرة في الاجتماعات التي حصلت، لأن المشاركة اقتصرت على النواب اللبنانيين فقط، وهو لم يكن نائباً آنذاك، ولكنه كان حاضراً بقوة في هذا

المؤتمر الذي توصل إلى اتفاق صار بالإمكان بعده وقف الحرب الأهلية، وحل الميليشيات، والشروع في بناء الدولة الواحدة. ولولا موافقة وليد جنبلاط على هذا الاتفاق، على الرغم من الانتقادات الكثيرة التي وجهها إليه، لما كان في الإمكان السير نحو السلم الأهلي والمصالحة الوطنية.

ولد وليد جنبلاط في المختارة ـ الشوف في ٧ آب ١٩٤٩. تزوج عام ١٩٨١ من جيرفت جنبلاط (أردنية) ولهما: تيمور (١٩٨١) وأصلان (١٩٨٢) وداليا (١٩٨٩). حصل على بكالوريوس في العلوم السياسية من قسم التاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت. وانتخب رئيساً لـ«الحزب التقدمي الاشتراكي» في ١٩٧٧/٤/٢٩ وأشارت بعض المصادر أنه رفض في البداية أن يرث والده سياسياً، مكتفياً بالارث المادي عازماً على مغادرة البلاد غير أن جهات نافذة عربية ومحلية ساهمت في ثنيه عن عزمه وقبوله الإرثين معاً.

تعرض لمحاولة اغتيال بواسطة سيارة مفخخة في ١٩٨٢/١٢/٢١ فجرّت لاسلكياً قرب كلية الحقوق أثناء مروره وزوجته في سيارته المصفحة، فأصيب بجروح طفيفة، وقتل مرافقه جمال صعب إضافة إلى خمسة مواطنين آخرين.

انتخب نائباً لعدة مرات، وعين وزيراً لعدة مرات في حكومات الرؤساء رشيد كرامي، وسليم الحص، ورشيد الصلح ورفيق الحريري. وعارض وصول عسكري إلى رئاسة الجمهورية، كذلك عارض الطريقة التي تم فيها التوافق على العماد اميل لحود ليكون رئيساً للجمهورية. وأعلن في ١٩٩٨/١٠/٧ أنه لن يحضر جلسة مجلس الوزراء التي سيتم فيها إحالة مشروع قانون التعديل الدستوري إلى مجلس النواب، وأنه ونواب «الحزب التقدمي الاشتراكي» لن يقترعوا لاي مرشح.

كان من بين الأقطاب الذين حضروا مؤتمري الحوار في جنيف ١٩٨٣/١٠/٣١ ولوزان في ١٩٨٤/٣/١٢ لإيجاد حل للأزمة اللبنانية. وبعدها شارك في خلوات بكفيا للغاية نفسها. وأعلن من المختارة في ١٩٨٢/٦/٩، عقب الاجتياح الإسرائيلي، الاستنفار العام: «قرارنا مواجهة العدوان والتصدي له ولن نمكنه من تحقيق شروطه السياسية». وفي ١٩٨٢/٦/١٤ أكد في بيان من المختارة، وهو في الإقامة الجبرية على وحدة الصف. وأدان التعامل على العدو الإسرائيلي ودعا إلى استمرار النضال. وقال في حديث إلى مجلة **الشراع** في ١٩٩٣/٣/٢٢: «أدعو المسيحيين إلى نظام رئاسي»، وأضاف: «إن الطائف انتهى وأنا مع إلغائه أو تطويره».

واقترح صيغة توافقية لمشكلة الوجود السوري في لبنان، بحيث تنفذ سوريا تموضعاً عسكرياً في أماكن ترى أنها استراتيجية لأمنها، مقابل إرضاء بعض الرأي العام اللبناني الرافض لهذا الوجود. (**النهار** أول أيلول ٢٠٠٠).

في ٢٠٠٠/١١/٧ ألغت السلطات كافة التسهيلات التي كان يتمتع به في أثناء دخوله إلى الأراضي السورية. وفي ٢٠٠١/٥/٢٢ زار دمشق، والتقى الرئيس بشار الاسد. وفي ٢٠٠١/٨/٣ استقبل البطريرك مار نصر الله صفير في المختارة على رأس حشد كبير من الناس، وشارك في ٢٠٠١/٨/٤ في القداس الذي أقامه صفير في دير القمر.

وفي محاضرة له في الجامعة اليسوعية في ٢٠٠٥/١/٢٦ دعا إلى خروج مشرف للقوات السورية من لبنان، وإلى إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين، وإلى التفاهم على نزع السلاح من

المخيمات الفلسطينية في لبنان لقاء الحد الأدنى من الحقوق المدنية والضمانات الاجتماعية.

وفي ٢٠٠٥/٢/١٤ اتهم سوريا والحكومة اللبنانية باغتيال الرئيس رفيق الحريري وقال: لا أستطيع أن أبرىء الاستخبارات السورية واللبنانية من هذا الامر. وفي ٢٠٠٥/٢/١٥ دعا إلى تحقيق دولي في عملية اغتيال الرئيس رفيق الحريري وقال: «إما أن يكون للبنان حماية دولية كما جرى في أوكرانيا وأن يوضع لبنان تحت الوصاية الدولية والانتداب الدولي، أو أن يغرق لبنان أكثر من هذا النظام البوليسي إلى أجل غير مسمى».

لا أود أن أختم هذه اللمحة عن العائلة الجنبلاطية بالتوقف عند وليد جنبلاط، وحسب، بل هناك جنبلاطيون آخرون أطلعتهم هذه العائلة وأغنوا تراثها الفكري والسياسي والاجتماعي. منهم: السيدة نايفة بنت بشير جنبلاط (١٨١٠ ـ ١٩٣٠) التي تولت زعامة منطقة حاصبيا بعد وفاة زوجها الشيخ أمين شمس، كبير تلك البلاد، وشكيب علي جنبلاط (١٨٥٥ ـ ١٩١٥) عضو مجلس الإدارة، ومحمود بك جنبلاط (١٨٦٦ ـ ١٩٣٠) عضو مجلس الإدارة عن قضاء جزين سنة ١٩٠٨، ورشيد بن داود جنبلاط (توفي ١٩٥٩) أحد الذين تولوا قائمقامية راشيا وحاصبيا، وانتخب عضواً في أول مجلس نيابي سنة ١٩٢٢ ثم أعيد انتخابه مرتين، والدكتور سعيد بن فريد جنبلاط (١٨٩٣ ـ ١٩٦٤) المتخصص في فرنسا بأمراض العين، واكتشف دواء ناجحاً لمرض التراخوما، والوزير السابق خالد جنبلاط (١٩٣٤ ـ ١٩٩٢) مدير عام الأوقاف ومدير عام المجلس المذهبي، وحكمت جنبلاط، وزير الزراعة عام ١٩٣٨ لدورتين، ووزير البريد والبرق، والصحة والدفاع الوطني.

المراجع

١ ـ **علي باشا جنبلاط**، تأليف د. سليم هشي، منشورات لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٦.

٢ ـ **أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات**، الدكتور أحمد أبو سعد، ١٩٩٧.

٣ ـ **كمال جنبلاط: الرجل والأسطورة**، ترجمة خيري الضامن تأليف إيغور تيموتييف، دار النهار، ٢٠٠١.

٤ ـ **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ابراهيم الأسود، ١٩٢٧.

٥ ـ «آل جنبلاط وزن مع الاتراك ووزن مع فخر الدين»، حسين حمية، **الأفكار**، ٥ كانون الأول ٢٠٠٤.

٦ ـ «سيدة قصر المختارة الست نظيرة جنبلاط»، **النهار** في ٢٦ آذار ٢٠٠٥، بقلم الدكتورة مفيدة العابد.

٧ ـ **الزعامة الجنبلاطية من كمال جنبلاط إلى وليد جنبلاط** (مجموعة من ١٤ مجلداً أعدها «المركز العربي للمعلومات»، ونشرها كريس قازان).

٨ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل الصلح

يقول الرئيس تقي الدين الصلح في حديث له عن الدور السياسي الذي اضطلعت به أسرته: «انتشرت العائلة في بلدان عربية كثيرة، وذلك بسبب الوظائف التي تولاها أهلنا في الإدارة العثمانية، وبسبب الأراضي التي امتلكوها في غير بلد عربي. ابن عمنا سامي الصلح ولد في عكا، وابن عمنا الآخر عفيف كان أميناً عاماً للكتلة الوطنية بالشام، وهو من قادة النضال الوطني السوري طوال خمس وعشرين سنة. عفيف هذا ابن كامل الصلح، ولد في طرابلس الغرب. وولد آخرون أقل منهم شهرة، بعضهم في اسطمبول، والبعض الآخر في بغداد. وأنا أرى أن هذه الولادات المنتشرة غدت طموحاً عائلياً الى أفق أوسع. ونشأنا على فكرة مداها مدى هذه البلدان كلها، فكنا نرى بيتنا يمتد من المحيط الى الخليج. وهذا بخلاف بعض أبناء بيروت المشتغلين بالشأن العام ممن لم يغادروا دوائرهم الانتخابية، ويعرف عنهم أنهم يقسمون بغربتهم اذا جاوزت أقدامهم حدود هذه الدائرة».

هذه العائلة نشأ أفرادها على فكرة مداها مدى البلدان التي ولدوا فيها (اسطمبول، بغداد، عكا، الشام، طرابلس الغرب، بيروت) وصار كل فرد من آل الصلح يرى بيته يمتد من المحيط الى الخليج، وغدا طموحه العائلي أكبر وأوسع وأشمل من القطر الضيق الصغير الذي نزلت فيه عائلته وراحت تتطلع الى الأفق الأرحب، الى الوطن العربي الكبير، فكانوا رواداً في الدعوة الى إحياء الحلم التاريخي في الوحدة. «هذا الحلم حمله كبار من عندنا، وحملناه نحن الذين أصبنا بلوثة الشعور القومي العربي في الخمسينات والستينات، قبل أن يسقط تحت ضربات الأصوليين والانفصاليين عملاء المخابرات الأميركية والصهيونية، وما أعدوا لها من مشاريع تقسيمية مشبوهة والشاهد على ما أقول، ما نسمعه في هذه الأيام عن العراق وتجزئته الى ثلاث دويلات. واحدة في الشمال، وثانية في الوسط، وثالثة في الجنوب».

هذه العائلة اللبنانية العربية كيف انطلقت؟ من أين أتت؟ ومتى ظهرت على المسرح السياسي والدبلوماسي والإداري والاجتماعي في لبنان والمنطقة؟

تعدّد المراجع التاريخية

تعدّدت المراجع التاريخية واختلفت حول أصول هذه العائلة: بعض هذه المراجع يقول: إن التسمية ترجع الى قبيلة يمنية تدعى الصلحيين «حكمت اليمن فترة من الزمن أيام حكم الفاطميين لمصر. وهم يرجعون بجذورهم الى آل بيت الرسول الكريم بالتسلسل، وتحديداً الى الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب ابن فاطمة الزهراء بنت رسول اللـه. وبالتالي هم من السيّاد وإن كانوا لا يحملون هذه الصفة».

وجاء في **منتخبات التواريخ لدمشق** (ص ٨٤٠) أن «أسرة الصلح من الأسر الشهيرة في سوريا ودمشق، وقد استحقت الذكر في تاريخ هذا العصر لما قام به رجالها من الخدمة السامية والهمم العالية في قضية سوريا التي شغلت جمعية الأمم في بلاد العرب. وظهر أحمد باشا بن محمد افندي مؤسس مجد هذا البيت، وقد تولى وظيفة المستشار في الجيوش العثمانية التي أتت البلاد السورية لمحاربة ابراهيم باشا المصري. وتقلد بعدها وظائف عالية في عهد هذه الدولة، وحاز من الرتب أولاها والأوسمة أعلاها، واشتهر بالزعامة وسداد الرأي يستشار في مهام الأمور في إدارة شؤون البلاد».

وورد في بعض التواريخ على ما يقول الدكتور أحمد ابو سعد في معجمه: **أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات**: الصلح او«السلح» (هكذا كانت تكتب) وهو مختصر السلحدار أي المشرف على دار السلاح. اسم أسرة من الأسر الإسلامية البارزة في لبنان، أصلها الأول من صيدا التي كان لقلعتها حامية يرأسها منذ العام ١٦٦٠ آغا من هذه الأسرة، ومنذ القرن الثامن عشر وحتى مطلع القرن العشرين كان فرع من آل الصلح الصيداويين يسكن بيوتاً في حرم القلعة، وقد انتقل بعض منها الى بيروت بانتقال أحمد باشا الصلح إليها وسكن مع أولاده فيها. وقال الرئيس تقي الدين الصلح يوماً: إن آل الصلح كانوا يقيمون في صيدا عندما كان مركز الحكم في صيدا. ولما انتقل الحكم إلى بيروت انتقلت العائلة معه إلى بيروت».

منح الصلح يروي

ويروي المفكر منح الصلح سيرة عائلته في حديث له في جريدة **الشرق الأوسط** قال فيه: «لا أعرف أن أحداً من أقربائي لا يتعاطى السياسة او حتى يمارس مهنة لا علاقة لها بالسياسة. لا بل إن عائلة الصلح اختارت بيروت مسقط رأس لها بسبب سياسي. فهي كانت بالأصل في مدينة صيدا، ومنذ مائة وأربعين عاماً جاء جدّ العائلة الكبير أحمد باشا الى بيروت ومعه أولاده الثلاثة: كامل ومنح ورضا، وشقيقه عبد الرحيم، بمناسبة تحول مركز الولاية من صيدا الى بيروت. فأصبحوا من أهلها وإن كانوا قد احتفظوا بعلاقات خاصة لهم في المدينة الأخرى. كذلك كان رياض الصلح في الاربعينات نائباً عن صيدا والجنوب اللبناني. هذا مع العلم أن عائلتنا ظلّت

وثيقة الروابط والعلاقات مع المناطق اللبنانية، والطوائف. وشيوخ العائلة يقولون إن فرنسا اختارت أثناء الحكم العثماني صيدا كموقع تنشئ فيه الميناء الرئيسي على الساحل، نظراً لكون صيدا هي الطريق القديم الى دمشق، وكونها الطريق الاقصر من ساحل البحر الى الداخل السوري.

ولكن أهل المدينة تخوفوا من أن يرافق إنشاء الميناء تغلغل النفوذ الأجنبي أو قيم وممارسات لا يألفونها، فكانوا قبل الإمام يحيى حميد الدين هم رواد سياسة الباب المغلق. فقاوموا إنشاء المرفأ الرئيسي في صيدا وتحوّل الامر الى بيروت. فأصبحت السياسة هنا، والاقتصاد هنا أيضاً».

وفي ملفّات المحكمة التي أنشأها فؤاد باشا التركي على أثر حوادث ١٨٦٠ ، والتي حكم فيها على أحمد باشا الصلح بالنفي إلى رودس سبع سنوات، نجد أن محضر الاجتماع عقد في دمشق لخمسة زعماء من بلاد الشام، بينهم الوالي. شكا فيها أحمد باسم إيالة صيدا من نفوذ القناصل الاجانب واستفحال شأنهم، بما يشكل خطراً على دولة الخلافة.

حركة عربية للاستقلال

«وبعد ذلك بخمسة عشر عاماً تقريباً»، يقول منح الصلح «أطلق أحمد وابنه منح عام ١٨٧٦ حركة عربية للاستقلال ببلاد الشام عن اسطمبول، وأقاما في دمشق مؤتمراً حضره أعيان من مختلف المناطق لمبايعة الامير عبد القادر الجزائري أميراً على البلاد في إطار المحافظة على وحدة الدولة العثمانية المركزية. ويوضح الرئيس تقي الدين الصلح هذه النقطة فيقول: «إن المؤتمر كان سرّياً»، وتم انعقاده في بيت جدّ والده لامه في دمشق السيد حسن تقي الدين الحصني. وحضره من لبنان: الحاج علي عسيران، وعلي الحرّ، وشبيب باشا الأسعد والسيد محمد الأمين والشيخ محمد عباس الازهري «أبو الشهداء»، وقد أطلق عليه هذا الإسم بسبب أن جميع الشهداء الذين أعدموا بين ١٩١٦ و١٩١٧ كانوا من خرّيجي مدرسته التي أسسها وكان مديراً لها». ويضيف: «في هذا المؤتمر تقرّر إعلان الانفصال عن السلطنة العثمانية، وتعيين الأمير عبد القادر الجزائري أميراً على البلاد، إلا انه – أي الجزائري – زار جدّي واعتذر عن تولى هذا المنصب لأنه كان قد وعد السلطة العثمانية والفرنسيين بالكفّ عن القيام بالنشاط السياسي. خشي الاتراك كثيراً عندما اكتشفوا هذه الحركة، وأرسلوا مدحت باشا ليصلح الأحوال، ويتقرّب من الناس لتخفيف النقمة عليهم. وكانت هذه أول حركة قومية حيث قامت بعدها عدة حركات».

مع الشريف فيصل

ويتابع منح الصلح الحديث عن مسيرة عائلته السياسية: «وقد ترأس كامل الصلح «جمعية الإصلاح» الشهيرة في بيروت التي دعت عام ١٩١٣ للامركزية في السلطنة. وكان في المؤتمر التأسيسي الذي بايع الشريف فيصل ملكاً على القطرين السوري والعراقي ثلاثة من آل الصلح هم رضا مندوباً عن مدينة بيروت، ورياض عن صيدا، وعفيف عن صور. وقد بقي الثالث في دمشق

وجهاً من رعيلها المجاهد، كما لعب سامي ومختار ولدا عبد الرحيم دوراً في الحركة العربية أيام تركيا».

«ولقد ولدت»، والكلام لا يزال لمنح الصلح «في هذه العائلة منشدّاً منذ طفولتي الأولى الى الوطن العربي كله، فبيتنا تتحرك في ذاكرة أفراده أسماء تاريخية كأنها في عرفي أنا الطفل الصغير شخصيات حية. فيصل الأول الهاشمي ودولته ورعيله في دمشق ثم في بغداد، أحاديث وأخبار لا تنضب، ويوسف العظمة وقصّة استشهاده وتفاصيلها، لم أقرأها في الكتب، وعندما بدأت أقرأ، بدأت بكتاب **ملوك العرب** لأمين الريحاني، يبسط أمام عيني بلادي العربية الساحرة ويتحدث عن عظمائها وساداتها. ويعطي كلاً مداه. فسلطان نجد، الملك عبد العزيز بن سعود يوّحد الجزيرة ويقيم المملكة العربية السعودية، ويجعل من زعماء العرب مستشاريه، والشريف حسين يتشدّد مع الانكليز، ويدفع ثمناً لصلابته وسلامة نيته وموقعه وحياته».

الحلم العربي

وأفاض منح الصلح في الحديث عن الحلم العربي الذي ارتبط به وهو صغير، مشيراً الى تحفظات والدته التركية واعتدال زوج خالته صبحي بركات حول قضية انطاكية واسكندرون المسروقتين من سوريا. وقال «كل ما كان يحيط بي كان يجعلني مرتبطاً بالحلم العربي الكبير حتى تحفظات والدتي التركية، المتمسكة بتعالي العائلات العثمانية الحاكمة في اسطمبول كانت تغذّي في نفسي ردّ فعل يزيدني تعلقاً بالحلم العربي. وعندما أتذكر الأحداث التي ذهبت آثارها عميقاً في نفسي وستمكث بذرة في دمي، لا أؤرخ للنكبة الفلسطينية أولاً، بل أؤرخ قبلها لاستيلاء تركيا على انطاكية واسكندرونة السوريتين. فقد كنت صغيراً لم أصل الى العاشرة من عمري عندما تحوّلت منطقة السنجق الجميلة من سوريا الى تركيا. ولعل تركية والدتي كانت من أسباب طرح هذه القضية بشكل دائم في البيت. وكانت حماستي كبيرة للحفاظ على عروبة الأرض هناك. وربما كان من أسباب ذلك أيضاً أن زوج خالتي صبحي بركات رئيس الدولة السورية في وقت من الأوقات هو من أهالي إنطاكية ونائبها في المجلس النيابي السوري لمدة طويلة من الزمن. إلاّ أنني كنت أسمع من والدي وأعمامي ما يجعلني أتحزّب على صغري ضد اعتدال زوج الخالة مع الفرنسيين خصوصاً وقد كان زعيم العائلة والبلد رياض في المنفى في العاصمة السورية لتعارض سياسته مع الانتداب. وكان عمّي كاظم لاجئاً الى العراق يعمل مع معشر العرب في بغداد على تحقيق مشروع التحرير والتوحيد القومي النامي هناك. ووالدي عادل في باريس يعمل مع أحرار فرنسا لاستقلال بلاده من آخر فرنسي. وكان كل أفراد العائلة بشكل أو بآخر مقاتلين في الخندق الأمامي ضد الوجود الانتدابي الفرنسي، بمن فيهم سامي القاضي الأول في لبنان الذي كانت شعبيته تحميه من غضب الفرنسيين وتبقي له منصبه وتجعله أول أحد أفراد عائلة الصلح يصل الى رئاسة الحكومة».

جريدة «النداء»

ويضيف منح الصلح: «والدم السياسي الذي كان يغلي في عروقهم كان من غير شك سرّ إقبالهم على النزول الى الميدان بأسلحة العصر، فكانوا من أوائل العائلات اهتماماً بالثقافة والأفكار وبتأسيس الصحف والنوادي والأحزاب مما كان خروجاً على تقاليد العائلات الكبرى. فعندما فكّرت العائلة بإصدار جريدة **«النداء»** عام ١٩٣٠ دعا الوجيه البيروتي عمر بيهم عمي تقي الدين الى بيته لمفاتحته في أمر خطير. وقال له بلهجة من لا يصدق، أصحيح أنكم يا أبنائي تعتزمون إصدار جريدة؟ ومنذ متى كان إصدار الصحف من شأن عائلة مثل عائلتكم؟ واللـه يا تقي لو كان والدكم حياً لما رضى بهذا التصرّف. وعندما سافر سعد اللـه الجابري وعمي كاظم الى المملكة العربية السعودية في أعقاب فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني استقبلهما الملك عبد العزيز وباسطهما في أحوال العراق وسوريا ولبنان. واتفق أن أخذ عمي الحديث فبدأ يقول للملك إنه عندما كان يعدّ **«النداء»** كان يحرص على نشر الرأي الفلاني. وفوجئ عمي كاظم بالزعيم السوري يعضّ على شفتيه من بعيد علامة الرغبة في طي الحديث والانطلاق الى آخر. وبعد المقابلة ولم يكونا قد تجاوزا عتبة القصر الملكي بعد إذا بسعد اللـه الجابري يعاتب العم الأصغر سناً وتجربة. أهكذا يا كاظم؟ الملك يحادثنا كزعماء ونحن نقول له إننا صحفيّون. وكنت وأنا أستمع الى مثل هذه الأحاديث أفهم منها أن السياسة في هذا الزمن اذا أرادت أن تفعل، فالصحافة من أسلحتها الحديثة، والساسة الذي لا يهتمّون بالصحافة والإعلام والرأي يمكن أن ينتصروا ولكن في عصر آخر غير هذا العصر».

حزبان عربيان

وعن الأحزاب القومية التي تأسست والنضالات التي خاضوها ضد الانتداب يقول: «وفي بيتنا في رأس بيروت، تأسس حزبان لعلهما كانا الوحيدين اللذين اتبعا النهج الذي أثبتت الأيام صحته في لبنان، وهو نهج لبنان العربي. الأول «حزب الاستقلال الجمهوري» الذي أسسه والدي والمرحوم الشيخ عزيز الهاشم عام ١٩٣٠، وأقضّا به مضجع الانتداب الفرنسي وأثارا عليه حتى الأحزاب الفرنسية والرأي العام الفرنسي، فاتهم النواب الفرنسيون المفوضية الفرنسية في بيروت بأنها تنشئ دولة أخرى غير تابعة للدولة الفرنسية، كما نجحا في أخذ بيان من البطريرك عريضة بأن لبنان دولة عربية وأنه يناصر قضية الوطنين المطالبين بالاستقلال من سورية (حزب الاستقلال الجمهوري) والحزب الآخر الذي تأسس عام ١٩٤٦ في بيتنا هو حزب «النداء القومي». وقد تعاقب على رئاسته كاظم الصلح والدكتور إدمون ربّاط ونجيب الصايغ وقبولي الذوق وتقي الدين الصلح، وكان هذا الحزب ناشطاً سواء في المطالبة

بإصلاح الدولة من الداخل أو الدعوة الى اتحاد الأحزاب العربية من الخارج. وأذكر أنه اجتمع في مكتب حزب «النداء القومي» في شارع اللنبي في بيروت عام ١٩٤٩ عدد من ممثلي الأحزاب العربية منهم: حزب الاستقلال الوطني الديمقراطي في العراق وأحزاب الشعب والوطني والبعث في سوريا والنداء القومي في لبنان. وكنت كشاب وكعامل في الحركة الطلابية أكثر الناس تفاؤلاً بهذا الاتحاد لأنني رأيت الأحزاب المجتمعة تمثل الأجيال كلها وليس جيلاً واحداً فحسب. وهذا كان من جملة تأثيرات النكبة الفلسطينية التي طرحت بقوة ضرورة الوحدة وتجدد الأطر السياسية والكيانات. وكانت هذه المشاريع السياسية مكلفة كثيراً من الناحية المادية ابتلعت الأحزاب والجرائد والنوادي والعصبيات أراضي شاسعة كانت تملكها العائلة في رأس بيروت وفي الجنوب وفي صيدا، وفي طرابلس حيث كانت العائلة تملك «تراموي» عاصمة الشمال، انتقل اليها بالإرث عن وجيه طرابلس الأكبر اسماعيل الشمبور الذي تزوّج من زهية بنت أحمد باشا الصلح المتحمسة لدور العائلة».

أموال ابتلعتها السياسة

وعن حمّى السياسة التي ابتلعت أموال عائلة الصلح وأموال أصهارها وأنسبائها يتابع منح الصلح: «وكانت حمى السياسة لا تبتلع أموال عائلة الصلح وحدها بل أموال الأصهار والأنسباء. فجاء مرة أحد هؤلاء المتضررين بسياسة الاندفاع العنيف ضد الانتداب الفرنسي يدعو شاباً نابهاً من الأسرة الى التروي والاعتدال قائلاً: الحكمة أكل العنب لا قتل الناطور فأجابه مازحاً ومهدئاً وواعداً بالخير: ولكن ألا ترى أن من يتخلص من الناطور يأكل الكرم كله؟

وجدي لوالدتي رشدي درويش باشا ملك (الجفتلك) باسمه في البقاع لم ينج من نار السياسة الصلحية، فقد صادر الانتداب مزرعة عنجر منه، وأعطوها للأرمن الآتين من تركيا مهاجرين الى لبنان. وكان السبب الحقيقي في رأي والدي حقد السلطة الانتدابية على هذا التركي الذي أسس صندوقاً لأقربائه الشاكسين..وقد ترشح والدي في أول الثلاثينات للنيابة عن منطقة البقاع وضمن الفوز، فمنعه المفوض السامي الفرنسي من الاستمرار مصرّحاً أنه لا مكان في المجلس النيابي التشريعي لسياسي «شريفي» أي موال لسياسة الشريف فيصل بن الحسين. وهذا ما كانت ترمي به فرنسا أخصامها في ذلك الزمن. وقد ظلّ طيلة عمره معتزاً بمقاومة الفرنسيين له. حتى إذا انتخبه أهل بيروت بعد ذلك لرئاسة البلدية أيام أهميتها، اعتز أيضاً بمحبة أهل العاصمة له. وكان يروي لنا دائماً أن السياسي الفرنسي الكبير ادوار هريو كان أكثر اعتزازاً برئاسته لبلدية ليون من اعتزازه برئاسة الوزارة ورئاسة المجلس النيابي. وكما نفهم من حديثه أن المنصبين كليهما كان عزيزين على قلبه، وأنه ككل فرد من آل الصلح صحيح الجدين كان يتساءل دائماً في سره لماذا هو ليس رئيس وزراء؟».

كلام مجانين

«وبالمناسبة كان الجدّ لجهة الوالدة لا يستسيغ أسلوب المصادمة مع السلطة الذي يسلكه الساسة الطامحون. فذات مرة على جلسة عشاء كثيرة الحضور كان جدّي يتصدّر المائدة، وكان صهره زوج ابنته صبحي بركات يصبّ غضبه على المفوض السامي الفرنسي فيقول: والله إنني لمرسل من أنصاري في انطاكية من يقتل المسيو دي مارتيل، فعبق وجه الجدّ وقال بعصبية ما هذا الكلام يا صبحي إنه كلام مجانين. ووجم الحضور فكبير يهاجم كبيراً. وإذا بصبحي بركات ينطلق ضاحكاً، أرجوك يا باشا كل شيء ولا جنوني. خذ مني ما تشاء وأبق لي هذا الجنون. فإني به صرت رئيساً للجمهورية».

عن هذا الجنون السياسي تحدث منح الصلح وقال: «الجنون عند اللزوم ليس هو الشيء الوحيد الذي تعلمته في عائلتي من أسرار السياسة. فقد روى لي والدي أنه عندما فاز عمه رضا بعضوية مجلس المبعوثان عن ولاية بيروت كأحد إثنين من ممثلي الولاية الممتدة في ذلك الحين من اللاذقية حتى حدود يافا نظم العم رحلة الى الجنوب يزور بها الزعماء والذوات الذين أيدّوه في معركته الانتخابية الشديدة الاهمية في زمنها. فكان العم وقد اصطحب نجله وأبناء أخيه وأبناء شقيقته إذا حل ببلدة دعاهم جميعاً في الصباح وأعطى كلاً منهم خمس ليرات ذهبية واشترط عليهم أن ينفقوها كلها في يوم واحد فأنفقوا بسعة في اليوم الاول من أيام الرحلة فيما عجزوا عن أن ينفقوا كل ما أعطاهم إياه. وبّخهم في المساء. وبعد هذا التوبيخ صار الفتيان الصغار يذهبون الى السوق كل صباح ويشترون الخيل والجمال من غير ضرورة. وكان الامر يتكرر في كل حاضرة وقرية وظلّوا على مدة طويلة من الزمن لا يعرفون ماذا دهى عمهم ليتصرف معهم بهذا الشكل. ولكن الايام فيما بعد كشفت لهم أن العم كان يقصد أن يجعل من مروره بيوم واحد في بلدة أو قرية ذكرى نعمة لا تنسى وعلامة عزّ لا يزول. فهو سر سياسي آخر علمه العم لأقربائه الأقربين. ولكن هذا السرّ بقي غير قابل للانتفاع به بعد أن «أتلفت السياسة الأخضر واليابس» من أملاكهم وأموالهم.

تعلمت العائلة علمها العالي إما في تركيا في الزمن الماضي أو في الجامعات أو المدارس الفرنسية. أما أنا فقد أنفقت عمري الدراسي كله تقريباً في الجامعة الاميركية في بيروت وفي منطقة راس بيروت بالذات الذائعة الصيت في العالم العربي. فأنا ابن هذا المحيط وقيمه واهتماماته بقدر ما أنا ابن عائلتي. وبالفعل كنت دائماً في طليعة المطالبين بالإصلاح في لبنان، ومن أصحاب العلاقات الوثيقة بكل العواصم والأجيال العربية. أرعى الود للصداقات القديمة وأضيف اليها الجديد. وقد قال لي ذات يوم صحفي في حديث نشره في إحدى الجرائد اللبنانية: الآن جاء دورك فأنت الصلحي الخامس، معدداً أربعة من آل الصلح وصلوا الى رئاسة الحكومة. فقلت: أنا أول الجديد لا آخر القديم. وسألني الرئيس صائب سلام ممازحاً في اليوم التالي: ما رأي عمك تقي بك بهذا الكلام؟ فأجبته مثل رأيك. فابتسم وقال: إنه يعتز دائماً بالجديد».

شجرة العائلة

هذه السيرة التي رواها المفكّر منح الصلح لا تشمل كل عائلة الصلح، ولا تتناول إلا فرعاً من فروعها، هو الفرع الذي ينتمي إليه. لذلك كان لا بد لنا من اللجوء الى صلحيّ آخر عارف بشؤون عائلته مطلّع على أخبارها وأسرارها، سواء الذين انتقلوا إلى بيروت أو الذين بقوا في صيدا، وهو إلى ذلك كاتب ومثقف وصاحب صالون سياسي شهري.

هذا الصلحي الآخر هو سميح الصلح، قصدناه إلى منزله في بيروت فاستقبلنا أجمل استقبال وأجاب عن أسئلتنا، وزوّدنا مشكوراً بكتاب له بعنوان: **خمسون عاماً بين الإدارة والسياسة،** وبشجّرة نسبية لعائلة الصلح كنا نسعى إليها ونبحث عنها. بالعودة إلى هذه الشجرة نرى: أن الاغا خضر سلحدار قلعة صيدا أنجب الحاج محمد الكبير.

* الحاج محمد الكبير ولد عبد الرحيم وعبد الله (جناحا العائلة بين بيروت والخارج).

- عبد الرحيم ولد محمد العتيق.
- محمد العتيق ولد أحمد باشا وعبد الرحيم.
- أحمد باشا، وله منح وكامل ورضا.
- منح بن أحمد باشا ولد ثلاث بنات وأربعة صبيان هم: عادل، كاظم تقي الدين، عماد الدين، نزار.
- عادل بن منح، وله منح وهشام.
- كاظم بن منح، وله خلدون، رغيد.
- عماد بن منح، وله غالب وهادي.
- تقي الدين تزوج من أرملة محمد العبود الرعبي ولم يرزق أولاداً. (عمل رئيس حكومة من ٨ تموز ١٩٧٣ حتى ٢٥ أيلول ١٩٧٤).
- كامل، وله منيف وعفيف.
- رضا، وله رياض (رئيس حكومة الاستقلال الأولى) وأحمد الذي غرق في البحر وله من العمر ١٧ سنة. ويعلّق تقي الدين الصلح على هذه الحادثة بالقول: «لذلك فإننا جميعاً لا نعرف السباحة بسبب تلك الكارثة».

أمّا الأخ الثاني لأحمد باشا فهو عبد الرحيم، كان موظفاً كبيراً في السلطنة العثمانية ثم عيّن متصرفاً في عكا التي كانت تابعة إدارياً لولاية بيروت. ونقل إلى مراكز في أضنة وبيروت وسالونيك ومقدونيا.

* عبد الرحيم بن محمد العتيق شقيق أحمد باشا له: جميل، منيب (توفيا باكراً) حسين ممدوح، أحمد مختار، نسيب ممتاز، علي سامي (رئيس حكومة عدة مرات).

- جميل بن عبد الرحيم لم ينجب.
- محمد بن عبد الرحيم لم ينجب كذلك.
- حسين ممدوح بن عبد الرحيم، وله عبد الرحيم، منير، فريد، مفيد، سميح.

- أحمد مختار بن عبد الرحيم، وله نزيه، عدنان، صافي.
- نسيب بن عبد الرحيم، وله منيب، حسيب، وحيد.
- منيب بن نسيب، وله قطين.
- وحيد بن نسيب، وله سليم ونسيب.
- ممتاز بن عبد الرحيم، وله عبد العزيز، محمد فاروق، علي خلدون، أحمد مروان.
- علي سامي بن عبد الرحيم، وله عبد الرحمن (السفير).

* عبد اللـه بن الحاج محمد الكبير، أبناؤه: مصطفى، الحاج عمر، محمود، صالح، الحاج محمد.

- مصطفى بن عبد اللـه، وله خليل، عبد الهادي.
- خليل بن مصطفى، وله عثمان ورشيد وحسن ويوسف.
- عثمان بن خليل، وله رشاد وعز الدين.
- عز الدين، وله سهيل.
- رشيد بن خليل، وله أنيس، بشير، خليل.
- أنيس بن رشيد، وله رشيد (رئيس حكومة) ومحمد.
- خليل بن رشيد، وله زهير وهاني.
- عبد الهادي شقيق خليل، وله أحمد صبري، محمد راغب.
- أحمد صبري، وله توفيق معتصم، شفيق.
- معتصم بن أحمد صبري، وله عزمي، وآخرون...
- شفيق بن أحمد صبري، وله أحمد.
- محمد راغب بن عبد الهادي، وله ولد عبد الهادي.
- عبد الهادي، وله محمد، وعدنان.

* الحاج عمر بن عبد اللـه، وله عبد الرحمن وعبد المولى.

- عبد الرحمن، وله عمر.
- عمر، وله محمد وأحمد وزكي.
- عبد المولى، وله الشيخ سعد الدين، رشيد، الحاج عمر.
- الشيخ سعد الدين بن عبد المولى، وله محمود عفيف، أحمد شفيق، عبد المولى، محمد بهيج.
- محمود عفيف بن الشيخ سعد الدين، وله الحسين.
- أحمد شفيق شقيقه، وله منح وهلال.
- عبد المولى.
- محمد بهيج، وله حليم.
- يوسف بن خليل بن مصطفى، وله محمد وأكرم.
- حسن بن خليل بن مصطفى، وله حكمت ونهاد ووداد.
- رشيد بن عبد المولى رشقيق سعد الدين، وله كامل، محمد.

- كامل بن رشيد، وله رشيد، ورشيد له بشير ونعيم.
- محمد بن رشيد، وله محمد، ومحمد له رامي.
- الحاج عمر بن عبد المولى شقيق سعد الدين، وله عبد المولى، عدنان وآخرون وعدنان له محمد علي.

* محمود بن عبد اللـه بن الحاج محمد الكبير، وله محمد، مصطفى عبد اللطيف، عبد اللـه، يونس.

- محمد بن محمود، وله محمد.
- محمد، وله سليمان وأحمد.
- سليمان بن محمد، وله نور الدين، بشير، نعيم، منير.
- بشير بن سليمان، وله رفاعي، محمود، محمد.
- نعيم بن سليمان، وله محمد.
- منير لم ينجب.
- أحمد بن محمد، وله جودت.
- مصطفى بن محمود بن عبد اللـه، وله عبد الغني، محمود.
- عبد الغني، وله مصطفى.
- مصطفى بن عبد الغني، وله سميح، عبد الغني محمد.
- سميح بن مصطفى، وله محمد ومصطفى.
- محمود بن مصطفى محمود، وله عبد الرحمن، ومحمد.
- عبد اللطيف بن محمود بن عبد اللـه، وله عبد اللطيف.
- عبد اللطيف، وله خضر، رجب، سعيد.
- خضر بن عبد اللطيف، وله جمعة، أحمد، محمود، عبد الرحمن.
- رجب بن عبد اللطيف، وله شفيق، توفيق.
- سعيد بن عبد اللطيف، وله مصطفى، أحمد، زكي.

* عبد اللـه بن محمود بن عبد اللـه بن الحاج محمد الكبير، وله عبد اللـه.

- عبد اللـه، وله يوسف، وأحمد البدوي.
- يوسف، وله نجاتي، زكائي وآخرون...
- أحمد البدوي، وله نصوحي.

* يونس ين محمود بن عبد اللـه بن محمد الحاج الكبير، وله عبد الغني.

- عبد الغني، وله محيي الدين.

* صالح بن محمود بن عبد اللـه بن محمد الحاج الكبير، وله محمود.
* الحاج محمد بن عبد اللـه بن محمد الحاج الكبير لم ينجب.

من المؤكد أن هذه الشجرة النسبية لآل الصلح ليست كاملة بسبب الولادات الجديدة التي حصلت ولم تضف إليها، وبسبب المفهوم الشائع لدى بعض الأجيال الطالعة وسؤالها: « ما

الفائدة من دراسة موضوع الحسب والنسب. الحسب والنسب لا يفيدان المرء شيئاً إذا كان خاملاً، بل كثيراً ما ترى النسب مدعاة تأخر الأسر إذا اتكلت على أنساب من تقدمها ولم تزينها بأحسابها ولذلك قال الرسول العربي «من أسرع بعمله لم يبطء بنسبه ومن أبطأ بعمله لم يسرع بنسبه».

و«للنسب عند العرب» كما يقول الدكتور مصطفى جواد «شأن كبير، فعلى نسب المرء في الصحراء تقوم حقوق الإنسان بل حياته في الغالب: فنسب الإنسان هو الذي يحميه وهو الذي يحافظ على حقوقه، ويردع الظالم عنه، ويأخذ حق المظلوم منه. هذا الحرص على سلامة النسب يبدو أمراً مستغرباً للإنسان المتحضّر اليوم، بل يعتبره عملا شاذاً غير مألوف. ولكن شعور الاستغراب هذا يزول من نفسه عندما يعلم انه هو يعمل بالنسب دون أن يدري. فجنسيته هي نسبه تحميه وتحفظ حقوقه».

ويروى عن النعمان بن المنذر قوله لكسرى ملك الفرس: «إن العربي ليذكر آباءه أباً أباً، ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدخل في غير قومه».

وإلى أبرز الاعلام والشخصيات الذين حملتهم هذه الشجرة وأولهم:

رياض الصلح

هو رئيس أول حكومة استقلال. ولد في صيدا عام ١٨٩٤ . والده رضا الصلح من رجال السياسة البارزين في عهده. ووالدته نظيرة مفتي زادة (تركية من أصل أوزبكستاني). زوجته فائزة بنت نافع باشا الجابري، شقيق الزعيم سعد الله الجابري، رئيس وزراء سوريا لمرات عديدة. وأولاده: لميا، عليا، منى، ليلى، وبهيجة.

في العام ١٩١٣ سافر الى اسطمبول لمتابعة دراسته، ولكنه تخلى عنها بسبب الخطر على حياته من قبل جمعية الاتحاد والترقي، ثم انتقل الى باريس لإتمام دارسة الحقوق. وفي العام ١٩١٥ اقتاده جمال باشا الى ديوان الحرب العرفي في عاليه، وسجن مع قافلة الشهداء الأولى، ولكن صغر سنه انقذه من حبل المشنقة.

أمضى سنتين في المنفى (١٩١٦-١٩١٨) عاد بعدهما الى لبنان ليمارس نشاطه السياسي.

في ١٠ تموز ١٩٢٠ جرت محاكمته غيابياً أمام مجلس حربي فرنسي والحكم عليه بالسجن خمس سنوات، وتغريمه أربعماية ألف فرنك فرنسي مع نفقات المحاكمة. وفي العام ١٩٢٦ قبضت عليه السلطات الفرنسية ووضعته في الإقامة الجبرية في جزيرة أرواد، لكنه استطاع الإفلات والتوجه الى القدس فالقاهرة ثم جنيف.

في ٥/٤/١٩٣٥ قرر المفوض السامي الفرنسي إبعاده الى القامشلي، ووضعه في الإقامة الجبرية والمراقبة. وفي العام ١٩٣٧ رشح نفسه للانتخابات النيابية عن بيروت مع عمر بيهم، إلا أن الضغوط التي مورست عليه من رجال الانتداب حملته على مغادرة لبنان الى أوروبا والغياب عن المسرح السياسي اللبناني لمدة سنتين. انتخب نائباً عن صيدا عام ١٩٤٣. كلف

بتأليف أول حكومة في «لبنان المستقل» (استمرت من ٢٥ أيلول ١٩٤٣ الى ٣ تموز ١٩٤٤). اعتقلته السلطات الفرنسية في ١١/١١/١٩٤٣ مع الرئيس بشارة الخوري وسليم تقلا وكميل شمعون وعبد الحميد كرامي، وعادل عسيران وأودعتهم قلعة راشيا. وفي ٢٢/١١/١٩٤٣ أفرج عنه مع رفاقه تحت ضغط التظاهرات والاحتجاجات الشعبية.

في أيلول ١٩٤٤ مثل لبنان بصفته رئيساً للحكومة اللبنانية في مؤتمر مشاورات الوحدة العربية الذي عقد في الإسكندرية، وكان من المشاركين في وضع بروتوكول الإسكندرية. وفي العام ١٩٤٦ دعي ثانية الى الحكم، فألف حكومة ائتلافية. بعد انتخابات ١٩٤٧ استقالت حكومته، وكلف تأليف الحكومة من جديد.

اغتيل وهو في زيارة رسمية للاردن في ١٦ تموز ١٩٥١. وكان معه في السيارة أثناء عملية الاغتيال الدكتور نسيب البربير ومرافقه عبد العزيز العرب.

سامي الصلح

رئيس حكومة لمرات عدة. ولد في عكا (فلسطين) عام ١٨٨٧ حيث كان والده متصرفاً لعكا بالوكالة. تزوج بلقيس الصلح، شقيقة رياض الصلح، ومن أبنائه السفير عبد الرحمن الصلح. درس الحقوق في اسطمبول (تركيا) ثم في جامعة السوربون (فرنسا). وانتخب نائباً للمرة الأولى عن بيروت عام ١٩٤٣ وأعيد انتخابه في جميع الدورات اللاحقة وكان آخرها عام ١٩٦٤.

في ٢٢ آب ١٩٤٥ شكل الحكومة التي استمرت حتى ٢٢ أيار ١٩٤٦ وتولى فيها وزارة التجارة والصناعة والتموين ووزارة البرق والبريد. وفي ١١ شباط ١٩٥٢ شكل حكومة استمرت حتى ١٩ أيلول ١٩٥٢ وتولى فيها وزارة الداخلية. وفي ١٦ أيلول ١٩٥٤ شكّل حكومة استمرت حتى ٩ تموز ١٩٥٥. وفي ٩ تموز ١٩٥٥ شكّل حكومة استمرت حتى ١٩ أيلول ١٩٥٥ واحتفظ لنفسه بوزارة التعمير. وفي ٨ تشرين الثاني عام ١٩٥٦ شكّل حكومة استمرت حتى ١٨ آب ١٩٥٧، واحتفظ لنفسه فيها بوزارتي الداخلية والعدل والاعلام.

كان الزعيم السني الوحيد الذي تعاون مع الرئيس كميل شمعون. وفي آخر أيام عهده كلف بتشكيل الوزارة التي استمرت من ١٨ آب ١٩٥٧ حتى ١٤ آذار ١٩٥٨. وشكل حكومته الأخيرة في ١٤ آذار ١٩٥٨ واستمرت حتى ٢٤ أيلول ١٩٥٨ واحتفظ لنفسه فيها بوزارة الداخلية.

توفي في ٦ تشرين الثاني ١٩٦٨.

تقي الدين الصلح

هو ابن منح الصلح. ولد في بيروت عام ١٩٠٩ - رأس بيروت - ميناء الحصن. تزوّج فدوى البرازي (أرملة محمد عبود المرعبي) عام ١٩٥٧ ولم يرزق أولاداً. في العام ١٩٣٠ أسّس مع شقيقه كاظم جريدة «**النداء**». عام ١٩٣١ شارك في تأسيس جريدة «**الديار**» وظلّ يكتب فيها

حتى العام ١٩٣٥. وبين عامي ١٩٣٥ و١٩٤٣ عمل أستاذاً للآداب في الليسيه الفرنسية.

في العام ١٩٣٧ شارك في تشكيل حركة «الميثاق القومي» مع يوسف السودا والدكتور سليم إدريس. وفي عامي ١٩٤٣ و١٩٤٤ تسلّم المديرية العامة للأنباء (وزارة الإعلام). في العام ١٩٤٥ شارك في تاسيس حزب «النداء القومي». وتولّى رئاسته لفترة من الزمن. وفي العام ١٩٤٧ انتخب رئيساً لاتحاد الصحافة. وفي العام ١٩٥٧ انتخب نائباً للمرة الأولى عن دائرة زحلة والبقاع الغربي. وفي العام ١٩٦٤ انتخب نائباً عن منطقة بعلبك – الهرمل.

في العام ١٩٦٤ عيّن وزيراً للداخلية في حكومة حسين العويني (من ١٩ تشرين الأول حتى تموز ١٩٦٥). وفي ١٥ حزيران ١٩٧٣ شكّل الحكومة في عهد الرئيس سليمان فرنجية (من ٨ تموز ١٩٧٣ حتى ٢٥ أيلول ١٩٧٤) وتسلّم وزارة المالية. في ٢٠ تموز ١٩٨٠ كلّفه الرئيس الياس سركيس بتشكيل الحكومة فاعتذر بعد ٢٠ يوماً من المشاورات.

فجّرت سيارته في ٥/٦/١٩٨٦ وهي متوقفة أمام منزله. وفي ٩ تشرين الثاني ١٩٨٨ أصيب بنوبة قلبية أثناء وجوده في باريس. توفي في ٢٧/١١/١٩٨٨. من مواقفه:

- «علاقة لبنان مع البلدان العربية تقوم على أساس عدم الارتباط مع الوفاء للانتساب العربي الثابت».
- يرفض إقامة علاقات دبلوماسية بين لبنان وسوريا.
- «السلاح الفلسطيني في لبنان شرعي ومستمد من القضية والاتفاقات».
- «بشير الجميل كان بداية التحوّل ومشى عشرين سنة في عشرين يوماً». (الحوادث، ١٥/٤/١٩٨٣)
- «من تجاوزات الفلسطينيين انطلقت شرارة حرب لبنان». (الأسبوع العربي، ١٥/١١/١٩٨٤)

رشيد الصلح

ولد في بيروت عام ١٩٢٤. والده أنيس. تخصّص وأخويه: بشير وخليل في استانبول. وعملوا أثناء الحرب العالمية الأولى كضباط في الجيش العثماني. وبعد الحرب استقرّ في بيروت، وعمل في سلك القضاء. والدته منيفة الصلح. تزوّج عام ١٩٥٧ عائدة حسن شاتيلا ولهما ابنة وحيدة منى ولدت عام ١٩٥٨ وهي متزوّجة من أسامة حسن النصولي. ولهما ولدان: حسن وعائدة. في العام ١٩٤٥ نال إجازة في الحقوق من جامعة القديس يوسف. عرف في بداية عمله السياسي بميوله الناصرية وتقرّبه من «الحزب التقدمي الاشتراكي». وهوعضو في «التجمع الإسلامي». في العام ١٩٦٠ استقال من القضاء.

انتخب نائباً عن بيروت الثانية عام ١٩٦٤ وعام ١٩٧٢. وشكّل أوّل حكومة له في تشرين الأول ١٩٧٤. فواجهته أحداث صيدا (اغتيال معروف سعد في شباط ١٩٧٥)، وبعدها أحداث عين الرمانة (٣ نيسان ١٩٧٥) فقدّم استقالة حكومته في أيار ١٩٧٥. وفي بيان استقالة

حكومته اتهم «الكتائب اللبنانية» بارتكاب مجزرة البوسطة، وحمّلها مسؤولية تفجير الحرب الأهلية، ما أثار حفيظة النائب أمين الجميّل حيث تعرّض له شخصياً. في العام ١٩٨١ تعرّض لمحاولة اغتيال.

هو عضو في حركة التوعية البيروتية في جمعية المقاصد الإسلامية. وعضو الكتلة البرلمانية الديمقراطية التي تشكّلت في ١٣/٢/١٩٩١. شكّل الحكومة للمرّة الثانية في ١٦/٥/١٩٩٢ وأشرفت على الانتخابات النيابية. اعيد انتخابه نائباً عن محافظة بيروت في دورة العام ١٩٩٢.

من مواقفه:

- «الياس سركيس تفرّد بالسلطة وسياسته دمّرت الجيش وليس عليه الاّ الرحيل». (السياسة الكويتية، ١١/١٢/١٩٨١)
- رحّب بالاتفاق الثلاثي الذي وقّع في دمشق بين الأطراف اللبنانية المتحاربة.
- طالب بتطوير صيغة العام ١٩٤٣ وإلغاء الطائفية السياسية على مراحل. (الخليج، ١٤/٢/١٩٨٦)
- «يوم تنتهي الحرية في لبنان لا يعود هناك مبرّر لوجوده». (الأنوار، ٢٥/٩/١٩٩٤)
- «نحن وسوريا شعب واحد في دولتين». (الديار، ١٤/١٠/١٩٩٤)
- «اتفاق الطائف أرسى توازناً بين السلطات لكنّ الذين تولوا تنفيذه أساءوا إلى مضمونه». (الأنباء، ١/٢/١٩٩٨)
- «اغتيال القضاة الأربعة في صيدا وعلى قوس العدالة أول جريمة من نوعها في تاريخ العالم». (الكفاح العربي، ١٤/٦/١٩٩٩)

عادل الصلح

ولد في العام ١٩٠٣ في بيروت. والده: منح الصلح، قاض سابق ونائب رئيس مجلس إدارة ولاية بيروت في العهد العثماني. وهو كبير أشقائه يليه: كاظم، والرئيس تقي الدين وعماد. متزوّج من نازلي درويش كوجاتونا (تركية) والدها صاحب الجفتلك المعروف باسمه في البقاع ولهما ثلاثة أولاد: منح (أديب ومفكر) وهشام ومها.

يحمل إجازة في الحقوق. أسّس عام ١٩٣١ مع الشيخ عزيز الهاشم ورفاق لهما «حزب الاستقلال الجمهوري»، وكان أوّل حزب لبناني عربي. وترشّح عن البقاع ونزل اسمه على اللائحة التي فازت، ولكن المفوّض السامي منعه من الاستمرار في الترشيح بحجّة أنّه «شريفي» (أي من أنصار الشريف فيصل بن الحسين). وفي العام ١٩٣٤ شارك في الوفد الاستقلالي إلى باريس مع الشيخ عزيز الهاشم حيث أجرى مفاوضات مع الجانب الفرنسي الرسمي ومع الأحزاب الاشتراكية والراديكالية الفرنسية المتعاطفة مع قضية التحرّر.

ساهم مع أخوته: كاظم وتقي الدين وعماد في تاسيس جريدة «النداء». وفي العام ١٩٥٥ انتخب رئيساً لبلدية بيروت حتى العام ١٩٦١. وهو عضو مجلس إدارة مرفأ بيروت (١٩٦٨).

ومفوّض الحكومة في مرحلة لبننة بنك سوريا ولبنان. ورئيس المركز الثقافي الإسلامي (١٩٧١). توفي في ٢٨ كانون الاول ١٩٧٥. مؤلفاته:

- **سطور من الرسالة (١٩٦٦).**
- **حزب الاستقلال الجمهوري (١٩٧٠).**
- **السموأل وجبلة بن الأيهم.** (مسرحيات مخطوطة)



رضا بك الصلح: رئيس حكومة صيدا بعد الانسحاب التركي.

كاظم الصلح

ولد في بيروت عام ١٩١٠. والده منح الصلح. متزوّج ولد أربعة أولاد: خلدون، رغيد، هناء ونوال. مجاز في الحقوق من جامعة القديس يوسف عام ١٩٣١. مارس الصحافة وأسّس جريدة **«النداء»** وشارك مع أخوته: تقي الدين وعادل وعماد في تمويلها وإصدارها.

في العام ١٩٣٧ افتتح مكتباً للمحاماة. وفي العام ١٩٣٩ أقفل الفرنسيون جريدته، فترك إلى العراق هرباً من السلطات الفرنسية حتى العام ١٩٤١. وفي العام ١٩٤٢ أنشأ حزب «النداء القومي» وتولّى رئاسته. وفي العام ١٩٤٧ عيّن وزيراً مفوضاً للبنان لدى حكومة العراق، وأصبح سفيراً عندما أصبحت المفوضية سفارة.

مثّل لبنان في مؤتمر «ابن سينا» في بغداد، وكان رئيس الوفد. في العام ١٩٣٦ قدّم مذكرة شهيرة إلى «مؤتمر الساحل» الذي انعقد في منزل «أبو علي سلام» في بيروت، وكانت هذه المذكرة بمثابة الصيغة التي نشأت عليها الدولة اللبنانية. توفي في العام ١٩٧٦.

عماد الصلح

ولد في بيروت عام ١٩١٦. هو شقيق الرئيس تقي الدين الصلح وعادل وكاظم. أكمل دراسته العليا في السوربون، وحصل على دكتوراه دولة كان موضوعها أحمد فارس الشدياق. أسهم في تأسيس الحركة الشعبية بين المواطنين والطلاب في الثلاثينات التي احتلّت ساحة الكفاح الشعبي، ووجّهت قواها ضدّ المصالح الانتدابية الفرنسية. واعتقل من قبل سلطة الانتداب، وأدخل السجن ثلاث مرّات. من مؤسّسي «المؤتمر الوطني» الذي أنشئ أثناء معركة الإستقلال.



رياض الصلح: رئيس أول حكومة بعد الاستقلال

أقام لفترة في العراق مدرّساً، ووضع مع قافلة من الشباب القومي أهداف ثورة رشيد عالي الكيلاني. أسّس مع رفاق له مكتب فلسطين الدائم عام ١٩٤٨. وهو من أصحاب جريدتي **«النداء»** و**«الديار»**. ومن مؤسّسي «النادي الثقافي العربي» بعد الاستقلال، وقد تولّى إدارة مجلة **الثقافة العربية** الصادرة عنه. وهو رئيس لقدامى الكشاف المسلم، وأمين عام المركز الثقافي الإسلامي لمدّة خمس عشرة سنة. شارك في قضايا الحوار المسيحي - الإسلامي. توفي في ١٨/٥/١٩٨٧.

منح الصلح

من مواليد العام ١٩٢٧ في بيروت. والده عادل بن منح الصلح، نائب رئيس ومؤسّس حزب «الاستقلال الجمهوري»، وهو من أصحاب جريدة **«النداء»**، ورئيس لبلدية بيروت عام ١٩٥٤. والدته نظلة ابنة رشدي باشا درويش، صاحب الجفتلك في البقاع. أعمامه: كاظم، وتقي الدين، وعماد. أكمل دراسته الجامعية في الجامعة الأميركية في بيروت، ثمّ درس في جامعة السوربون.

أسّس مع عمّه عماد الصلح ومحمد البعلبكي ومنير تقي الدين سنة ١٩٤٧ إذاعة على شاحنة في تلّة الخياط في بيروت لمخاطبة المجاهدين الفلسطينيين. وتسبّبت إحدى مقالاته في طرده من الجامعة عندما اتّهم أحد أساتذته اليهودي «أنافي» بالانتماء إلى منظمة شتيرن الصهيونية الإرهابية. واعتقل سنة ١٩٥١ بسبب تظاهرة خرجت من الجامعة الأميركية وشارك فيها جورج حبش وعاطف دانيال ووديع حداد وسعدون حمادي.

تقدّم خلال دراسته بطلب انتساب إلى «حزب البعث العربي» ثمّ تراجع عن طلبه بعد عملية الدمج التي حصلت بـ«الحزب العربي الاشتراكي» بقيادة أكرم الحوراني. وشارك في مؤتمر الخريجين العرب الذي عقد في القدس عام ١٩٥٥، كما شارك في أعمال مؤتمر تضامن الشعوب الأسيوية والافريقية في القاهرة ١٩٥٧. وفي أثناء ثورة العام ١٩٥٨ كان من الشباب القياديين فيها. وعندما جاء الأسطول الأميركي كتب في **«الحوادث»** مقالة بعنوان: «عار اللامقاومة».

بعد تسلّم فؤاد شهاب رئاسة الجمهورية عيّن مديراً للإرشاد والتوجيه في وزارة الإعلام ثمّ مستشاراً في القصر الجمهوري. التقى الرئيس جمال عبد الناصر خلال زيارته العاصمة السورية


سامي بك الصلح: أبو الفقراء

أيام الوحدة ١٩٥٨. وأسّس «نادي العروة الوثقى» في رأس بيروت في أوائل الستينات. ومن رفاقه فيها: خالد الشرطي، وعبد المحسن بوميزر، ونقولا الفرزلي.

بعد حركة ٨ آذار ١٩٦٣ في سوريا اختاره صلاح البيطار ومجلس قيادة الثورة وزيراً للإعلام في الحكومة السورية. كتب خطاب الرئيس السوري أمين الحافظ في أحد مؤتمرات القمة العربية. وكان عضواً في المؤتمر الإسلامي، وصوّت مع الذين صوّتوا بالإجماع لانتخاب أمين الجميل رئيساً للجمهورية.

أسّس في العام ١٩٩٢ اللقاء الوحدوي اللبناني. وهو رئيس مجلس إدارة «دار الندوة» التي تاسّست عام ١٩٨٨. له عدّة مؤلفات عدة أبرزها:

- **المارونية السياسية.**
- **الإسلام وحركة التحرر العربي.**
- **مصر والعروبة.**

من مواقفه السياسية:

- «المسيحيون أعضاء أصلاء في المجتمع العربي وفي المنطقة العربية، ولا يجوز النظر اليهم كفئة تختلف عن سواها من حيث قوة الارتباط التي تشدها إلى هذه الارض». (الشرق الأوسط، ١١/١١/١٩٨٩)
- «في لبنان ضرورتان لا ضرورة واحدة. الضرورة الأولى: هي أن يكون في لبنان وفاق. والضرورة الثانية أن تقوم في لبنان صيغة سلطة صيغة حكم. فالوفاق وحده لا يكفي».
- «استقلال لبنان ما كان عام ١٩٤٣ انفصالاً عن العرب، بل قرار لبناني اتّخذه اللبنانيون بالاتفاق مع العرب وفي طليعتهم السوريون والمصريون». (الشرق الأوسط، ١٨/١١/١٩٨٩)
- «العروبة كانت فاعلة في قلب اللبناني الماروني الجبلي عندما كانت تأتي إلى لبنان بثوب المثقف الغيور على الانفتاح أو مقرونة بثوب العربي الشعبي الحقيقي. وعندما أصبحت العروبة مرادفة للتعامل السلطوي المتعالي وعندما أصبحت التعامل المالي تراجعت كثيراً عما كانت عليه». (الشرق الأوسط، ٢٧/١/١٩٩٠)
- «هناك فرق بين مسلم وإسلامي. نحن نجد أن كثيراً من الملحدين وكثيراً من غير المسلمين ومن هواة السلطة من أجل السلطة يدعمون ما يسمّى بالإسلامية، وينظرون ويمهدون لها بما


تقي الدين بك الصلح

يجعلها متناقضة مع الفهم البسيط وعبر المصنوع للإسلام في عين المواطن المسلم». (الشرق الأوسط، ٦/٣/١٩٩٢)

- اقترح مؤتمراً وطنياً لبنانياً شاملاً لتزكية «اتفاق الطائف» ودعا المسيحيين في لبنان إلى اتّخاذ موقف إيجابي من الدولة كي لا يصلوا إلى ما كان يشكو منه المسلمون سابقاً. (الوطن العربي، ١٩/٦/١٩٩٢)
- «في العروبة من الإسلام ما يغنيها عن التطرف الإسلامي، والعرب مشغولون بمشاكل حدودهم عن قضايا وجودهم». (القبس، ٤ شباط ١٩٩٦)
- «العلمانية كما أنتجها التاريخ الغربي تطرّف من نوع آخر، فالعروبة برأي كل منصف هي الظاهرة الاحق في تاريخ هذه المنطقة بأن توصف بالعلمانية». (السفير، تشرين الثاني ١٩٩٧)
- «ندعو الإسلاميين إلى العروبة كما ندعو العلمانيين إلى عدم ظلم الإسلام في تاريخه».
- «الذين حكمونا باسم الإسلام وباسم العلمانية لم يحلوا المشكلات بل عقّدوها». (الكفاح العربي، ٢٠ نيسان ١٩٩٩)
- أعلن يوم تكريمه في معرض بيروت العربي الدولي للكتاب: «الخوف على لبنان ليس من ديكتاتورية بل من ديمقراطية ناقصة المشاركة والمحاسبة والحريات». (النهار، ٢٩ تشرين الثاني ٢٠٠٤)

علياء الصلح

ولدت في بيروت عام ١٩٢٧. والدها: رياض الصلح. ووالدتها فائزة ابنة نافع باشا الجابري (شقيق سعد الله الجابري) من حلب. وشقيقاتها: لميا، متزوّجة من عبد الله شقيق ملك المغرب الملك الحسن الثاني. وبهيجة، زوجة السفير الدكتور سعيد الأسعد. وليلى، أرملة الوزير ماجد صبري حمادة. ومنى، زوجة الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود ووالدة الثري الكبير الأمير الوليد ابن طلال.

تزوّجت ناصر الدين النشاشيبي ثمّ تطلّقا. ولهما من الأولاد فايزة ورياض. عرفت بمواقفها

المعارضة الحادة للمكتب الثاني في عهد الرئيس فؤاد شهاب. وترأست تحرير مجلة «**الحسناء**» عام ١٩٦٩. وفي العام ١٩٨٣ غادرت لبنان إلى فرنسا.

عادت في العام ٢٠٠١ إلى لبنان، والتقت شقيقاتها الأربع في ذكرى اغتيال والدها، ولم تلبث أن غادرت بيروت إلى باريس. توفيت في ٢٦/٤/٢٠٠٧ في باريس، ودفنت في بيروت إلى جانب ضريح والدها.

عبد الرحمن الصلح

ولد في بيروت في ١٣ كانون الأول ١٩٣٤. والده سامي الصلح. ووالدته: بلقيس الصلح، شقيقة رئيس الوزراء الراحل رياض الصلح. توفيت والدته وهو بعمر الشهرين، فربّته امرأة مسيحية من بلدة الكحالة تدعى خولة مكرزل هو وشقيقته مي. امتنع والده عن الزواج ثانية خوفاً على سعادة ولديه. وكانت جدّته نظيرة (أم رياض) تعامله كابن لها، وتغدق عليه العطف والمحبة. متزوّج من مي ياسين، ولهما ولدان: سامي ورياض.

عمل سكرتيراً في سفارة لبنان في طهران ١٩٥٣. ومثّل لبنان في منظمة U.N.O التابعة للأمم المتحدة في نيويورك (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤). وهو قنصل عام لبنان في القاهرة (١٩٥٤ ـ ١٩٥٧). ووزير مفوّض لدى منظمة الأونروا والمنظمة العالمية في جنيف (١٩٥٧ ـ ١٩٥٩). ووزير مفوّض مطلق الصلاحية في سفارة لبنان في باريس ١٩٦٠. وأمين عام وزارة الخارجية (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦). وسفير لبنان في أوستراليا (١٩٦٦ ـ ١٩٧٢). ومدير مكتب الجامعة العربية في بيروت ١٩٩٤.

وعيّن أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية، ورئيساً للمركز العربي للبحوث القانونية والقضائية في بيروت.

ليلى الصلح

ابنة رياض الصلح، أول رئيس حكومة بعد الاستقلال عام ١٩٤٣، وهي صغرى بناته. ولدت في بيروت في ٢٥/٩/١٩٤٦. متزوّجة من الوزير ماجد صبري حمادة، ولهما ثلاثة أولاد: صبري، وهيا، ومها. توفي زوجها في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٤.

شقيقاتها: منى، وبهيجة، ولميا، وعليا. كلفها ابن شقيقتها الأمير الوليد بن طلال بأن تدير مؤسسته الإنسانية في لبنان.

عيّنت للمرة الأولى وزيرة للصناعة في حكومة الرئيس عمر كرامي التي تشكّلت في ٢٦/١٠/٢٠٠٤. وتجدر الإشارة إلى أنّها المرة الأولى التي تدخل فيها المرأة الحكومة اللبنانية مع وفاء الضيقة حمزة.

سميح الصلح

والده مصطفى الصلح. ووالدته: بهيجة الصلح. من مواليد صيدا عام ١٩٢٧ وسكان بيروت. متأهل من فريدة عمر سلام، وله ثلاثة أولاد: مايا ومحمد ومصطفى. أتمّ دراسته الابتدائية والتكميلية والثانوية في كلية المقاصد الإسلامية ـ صيدا. حائز على الإجازة في الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٥٣.

تقلب في مناصب عديدة إدارية وسياسية. عام ١٩٥٤ عيّن سكرتيراً لرئيس مجلس النواب عادل عسيران. وعام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٩ عيّن أميناً للسر في لجنة الشؤون الخارجية والدفاع الوطني في مجلس النواب. وعام ١٩٥٩ عيّن قائمقام في وزارة الداخلية. وبين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٣ عيّن مستشاراً لرئيس مجلس الوزراء صائب سلام للشؤون الإدارية والسياسية. وعام ١٩٧٧ عيّن قائمقام لقضاء الشوف اثر اغتيال كمال جنبلاط. وعام ١٩٧٨ عيّن مديراً عاماً لوزارة الداخلية حتى عام ١٩٩١ عندما أحيل على التقاعد.

من عام ١٩٨٦ إلى نهاية خدماته الإدارية عيّن محافظاً لجبل لبنان إلى جانب وظيفته مديراً عاماً لوزارة الداخلية.

هو عضو مشارك دائم في مؤتمرات منظمة المدن العربية. وصاحب صالون سميح الصلح السياسي الشهري للبحث عن الذات». وقد شارك في عدة وفود لبنانية رسمية إلى مؤتمرات وندوات عقدت في البلاد العربية والبلاد الأجنبية. وله دراسات واسعة وأبحاث في علم الإدارة. وعلاقاته وطيدة مع مختلف الأفرقاء اللبنانيين، وصلاته واسعة مع المرجعيات السياسية والاجتماعية والمرجعيات الروحية وتربطه بهم روابط شخصية وعلاقات صداقة. له مقالات في الصحف والمجلات اللبنانية حول الشؤون الإدارية والشؤون اللبنانية والعربية. وهو حائز على وسام الاستحقاق اللبناني.

صدر له: كتاب بعنوان **بين الإدارة والسياسة** وآخر بعنوان **صالون سميح الصلح السياسي**.

منيرة الصلح

من مواليد بيروت في العام ١٩١٢. والدها ممدوح الصلح، شقيق رئيس مجلس الوزراء السابق سامي الصلح. ووالدتها مهيبة الأشقر من برمانا. تزوّجت وحيد الصلح، مدير عام البترول في لبنان الذي اغتيل في العام ١٩٥٨ في ساحة الدباس، ولهما: سليم (معوق) ونسيب وسناء.

حضرت مؤتمرات إقليمية ودولية في كينيا والبرتغال وطوكيو. وترأست المجلس النسائي اللبناني في العام ١٩٦٨ حتى العام ١٩٧٣. وانضمّت إلى الحركة العلمانية الديمقراطية التي تدعو إلى إلغاء الطائفية وحذف الدين من الهوية، وتنادي بالزواج المختلط بين الطوائف.

في العام ١٩٥٥ أنشأت مؤسسة «الأمل» (وهي مؤسسة تعنى بالمعوقين وتؤهلهم). وشاركت في التظاهرات النسائية من أجل حقوق المرأة مع رائدات جيلها: ابتهاج قدورة، ونجلا صعب، وإيفا بدر. وفي العام ١٩٦٠ ترشّحت للانتخابات عن المقعد السني في منطقة بيروت الثالثة. وكرّمتها مؤسسة الحريري في العام ٢٠٠٢، ومنحت جائزة المرأة العربية.

المراجع

١ ـ **تقي الدين الصلح: سيرة حياة وكفاح** (مجلدان)، تأليف عمر الزين، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٧.

٢ ـ جريدة **الشرق الأوسط**: تحقيق من عدّة حلقات مع المفكر منح الصلح. (الحلقة الثالثة) في ١٨/١١/١٩٨٩.

٣ ـ «آل الصلح أحفاد بيت الرسول»، حسين حمية، **الأفكار**، ٢٧ تشرين الاول ٢٠٠٣.

٤ ـ مقابلة شخصية مع السيد سميح الصلح والحصول منه على المشجّرة النسبية لآل الصلح.

٥ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل الأسعد

هي آخر الأسر اللبنانية العربية الشيعية الإسلامية التي حكمت الجزء الجنوبي من جبل عامل، بحسب النظام الإقطاعي المعمول به منذ عهد الصليبيين، والذي استمر في العهد الملوكي. وكان المماليك قد أقطعوا المناطق اللبنانية ووزعوها على مئات العشائر والأسر. من هذه العشائر والأسر التي استأثرت بالحكم في جبل عامل أسرة الأمير حسام الدين بشارة بن أسد الدين بن مهلهل بن سليمان بن أحمد بن سلامة العاملي، ثم خلفه محمد بن هزاع الوائلي، الجد الأول والأعلى لآل الأسعد، على ما يقول شبيب باشا الأسعد (وهو ابن العائلة) في ديوان **العقد المنضّد**.

جدنا محمد هزّاع

ورد في الصفحات (١٦ـ١٨) من **الديوان**: «كان على عهد الملك المجاهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، جاء من بادية نجد جدّنا محمد بن هزاع الوائلي من رؤساء قبائل عنزة بجيش من أعراب بوادي قبائله إلى بلاد جبل عامل بالديار الشامية، فدخل هذه البلاد والأمير عليها يومئذ بشارة بن مقبل القحطاني (وهي تعرف من عهده حتى اليوم ببلاد بشارة) فساق عليه حرباً انتهت بالغلبة على بشارة فاستولى جدنا على البلاد وحكمها وتزوج ببنت بشارة وأجرى عليه معاشاً يقوم بأوده إلى أن توفاه الله (فهو جدنا لجهة الام) وبقي جدنا محمد بن هزاع اميراً بها مدة حياته، وبعد وفاته تلقاها أبناؤه وأبناء ابنائه يقوم بها الولد بعد ابيه، وما برحوا إلى أن افضت حكومة البلاد إلى احمد بن مشرف الوائلي، ثم توفاه الله ولم يكن إذ ذاك في ذلك البيت رجل يقوم مقامه فترك زوجته بحال الحمل، وكان تزوجها من بني عمومته وهم بنو سالم المعروفون بالسوالمة فخذ من افخاذ عنزة، فجاء أخوتها وحملوها إليهم وكانت منازلهم يومئذ بأطراف بادية الشام مما يلي نجد فولدت غلاماً، وحيث كان لها أخ غائب اسمه علي، وكان إذ ذاك بديار اليمن لأمر من مهمات شؤونهم ولم تره منذ جيء بها وقد طال غيابه، ولها شغف به، فسمّت ابنها علي وعرف عنه بالصغير للفرق بين اسمه واسم خاله، فكان يقال له علي الصغير، فشب الغلام وامتاز بالنجابة عن أقرانه. وما صار في الخامسة عشرة من عمره حتى صار له مقام بحلّ المشكلات بين القبائل، وقد بلغ أشده، ووقف على حقيقة أمره وأمر أبيه

الذي كان حاكم بلاد جبل عامل، وأنه توفي عن والدته وهي بالحمل به، وقد أنبأته أمه أنه بعد أن خلت البلاد منهم تمرد جماعة من وجوهها يقال لهم بنو شكر، وأصبحوا يتصرفون بالاحكام بها، وأن سيرتهم قد ثقلت بالبلاد لما سلكوا به من الجور والتعسف، وأن العموم هم لخلو البلاد من حكم هذا البيت في غاية التأسف، ويتمنون من العمر منزلة تعينك على العود لحكومة أبيك وجدك وإنقاذهم من جور الظلمة المتسلطين عليهم، فحركته الاريحية والشهامة هنالك وسالها عن الذين كان لهم قرب حظوة وخلوص انتماء لدى أبيه، فأخبرته عن رجلين من وجوه البلاد فجهز قوماً من بني رحمه ونهض بهم وسار قاصداً تلك البلاد إلى أن دخلها، وارسل الخبر إلى ذينك الرجلين فعندما وافاهما خبره هاما على وجهيهما لاستقباله فرحين ولما لقياه قصا عليه قصص ما هي عليه حالة البلاد من الضنك والتلهف على لقائه، وأن العموم ما انفكوا يتذاكرون أيام أبيه ومن سلف من هذا البيت، وإخبره أن هؤلاء الجماعة في هذه الأيام مشغولون باعراس وافراح، منعقد قسم منها بنفس «تبنين» وآخر بقانا، فتقرّر أمره على أن يقسم جمعه إلى فرقتين كل فرقة تفاجئ موقعاً من الموقعين، وقد كان اجتمع إلى جموعه جمهور من البلاد بطريقه، ففعلوا ذلك، وقد قابلوا أولئك الجماعة مفاجاتهم هذه، فدارت عليهم الدائرة واستولى على البلاد، وقطع بفضل معونة اللـه، دابر الفساد، وما زال بحكومتها، وعنه تلقاها بنوه. ثم عندما أشرقت شموس الدولة العلية الشأن أعظم دول الزمان دولة آل عثمان خلد اللـه سرير ملكها لآخر الدوران، واستولت على هذه الديار الشامية، وقد كان خضع لشأن حضرة ساكن الجنان السلطان سليم خان الثاني وبقي من طرف الدولة العلية على حالته السالفة». (انتهى كلام **العقد المنضد**).

الأمين يرد على شبيب

أما العلامة السيد محسن الأمين فقد علق على رواية شبيب الأسعد: «أما ما يقوله بعض أفراد عائلة آل الصغير من أن اسم جدهم محمد بن هزاع، وإنه جاء إلى بلاد عاملة والأمير عليها بشارة ابن مقبل من قبل صلاح الدين الأيوبي، وهو الذي تنسب إليه بلاد بشارة فحاربه هزاع وغلبه، وتزوج ابنة بشارة وأجرى عليه معاشاً حتى مات، فلا يستند إلى مأخذ وما هو إلا نوع من الاقاصيص التي تخرجها المخيلات». (**أعيان الشيعة**، المجلد ١٥، ص ١٠٣).

وروى العلامة الأمين قصة علي الصغير فقال: «وأصل آل علي الصغير من عرب عنزة من بني سالم المعروفين بالسوالمة، جاء جدهم إلى جبل عامل وتحضر واتصل بالحكام وحارب معهم وصارت له عندهم مكانة انتهت إلى الإمارة في البلاد إلا أن اسمه ومبدأ إمارته فيها لا يزال مجهولاً. والذي يظن كما قال بعضهم أن حكمهم بعد حكم بني سودون الذين كانوا من جهة نواب دمشق المنصوبين من ملوك مصر المماليك الاتراك حوالى ٧٠٠هـ أما بشارة الذي تنسب إليه بلاد بشارة، فالظاهر انه بشارة بن أسد الدين بن عامر العاملي السبائي الذي كان في عصر صلاح الدين وحضر معه فتح هونين واقطعه بانياس وحضر معه فتح السواحل الشامية، واستمر حكمهم في بلاد بشارة إلى ما بعد الالف، فتغلب عليهم الشكريون، وهم سادة أشراف لا تزال ذريتهم في جبل عامل إلى اليوم، بعد حرب جرت بينهم وقتلوا رئيسهم ورجال عشيرته، وهربت زوجته التي كانت حاملاً إلى بني عمها السوالمة وولدت

ذلك الغلام عندهم في البادية وسمته علياً باسم أخيها الغائب، وعرف بالصغير تمييزاً له عنه أو عن آخر منهم كان قبله. فلما بلغ علي الصغير الخامسة عشرة من عمره صار له مقام سام بين القبائل، وكان قد علم من والدته وقومه أن أباه كان أمير بلاد بشارة وأن الشكريين قتلوه واستولوا على ملكه فحرّكته همته إلى الاخذ بالثار واستعادة ملك ابائه وأجداده. فسأل والدته عمن كان من خواص أبيه من وجوه تلك البلاد، فأخبرته عن رجلين فراسلهما وأخبرهما عن عزمه ففرحا بذلك، وأخبراه انهما ورجالهما طوع إشارته، وأن أهل البلاد عموماً يتمنون عوده إليهم ليخلصهم من ظلم الشكريين، فإنهم كانوا قد ظلموا كثيراً وساءت سيرتهم، فنهض بشجعان قومه السوالمة إلى أطراف البلاد. وجاءه ذانك الرجلان ومن لفّ لفيفهما وأخبراه أن الشكريين مشغولون بإقامة أفراح وأعراس قسم منها في عيناثا والقسم الاخر في قانا، فقسم رجاله إلى فرقتين كل منهما تهاجم موقعاً من الموقعين، وكان قد انضم إليه جمع كثير من أهل البلاد. فهاجم رجاله الشكريين في البلدين حال اشتغالهم بالاعراس، وجرت بينهم حرب كانت فيها له الغلبة على الشكريين فقتلهم وأبادهم وأخذ ثاره منهم، وعادت أفراحهم اتراحا واستولى على البلاد. وكانت هذه الوقعة سنة ١٠٩٥. وأبلى في هذه الواقعة أبو شامة العاملي مع علي الصغير بلاء حسناً وهو جد الطائفة المعروفة بآل شامي في بنت جبيل وعيثرون، والقبور التي راس العقبة بين عيناثا وبنت جبيل هي من قبور من قتل في تلك الوقعة واستمروا في الإمارة إلى سنة ١٢٨١هـ - ١٨٦٤م ولا تزال الوجاهة والرياسة في أعقابهم إلى اليوم».

أحمد حويشان أصل عائلة آل الصغير

وفي رواية ثالثة تختلف عن رواية شبيب الأسعد ورواية العلامة الأمين، هي رواية الحاج محمد سهيل (واضع **سلسلة نسب آل الصغير** في مجموعة من خطه وإنشائه). يقول الحاج محمد سهيل:

«تاريخ بداية عائلة آل الصغير، وهي عائلة قديمة تنسب إلى وائل بن ربيعة بن نزار. فمن سلالة وائل هجرس، ومنه هرمون، ومنه شامان، ومنه عبد اللـه، ومنه سالم، ومنه جندل، ومنه ناصيف ومنه حمد، ومنه جمعان، ومنه حويشان وحويشان تخلف بأحمد وبولد آخر غيره الذي منه فارس آغا، فأحمد تخلف بحسين. وحسين تخلف بعلي المدعو علي الصغير. فأصل وجودهم بهذه الديار هو أن أحمد بن حويشان وأخاه أتيا من البادية فنزل أخوه بغوطة الشام وهو اتى من ناحية الجيدور ونزل بقرية من قراها يقال لها (سكيك) وكان إذ ذاك بشارة المعني حاكماً على جبل عامل ومركزه بقرية (زبقين) (من أعمال صور الآن) فقام أحمد حويشان المرقوم من منزله في قرية (سكيك) ونزل بلاد بشارة حسب عادة العرب، فسمع بشارة به وبأوصافه فأتى زائراً له، وكان أحمد المذكور من البراعة والشيم والشجاعة والكرم على جانب عظيم، فبعد أن نزل بشارة برحابه تلقاه بالرحب والسعة، وقام بأود ضيافته حق القيام، فلما رآه بشارة على الحالة التي تقدم الذكر عنها طلب منه أن يكون بحاشيته برسم مستشار فأبى واعتذر له. واستعفى من ذلك. فلم يقتنع بشارة بأعذاره ولا اقتبلها منه، وأضمر في نفسه أنه إذا وجد عندي شخص نظير هذا استغني به عن عدة رجال يكونون من أفراد الناس لما رأى من استعداداته فلحّ عليه وأظهر له إمارات الحبّ والميل القلبي فأجابه لمسؤوله بعد محاورات

طويلة فتوجه هو وإياه، وقلب بشارة يرقص فرحاً على ما حصل بيده.

فبقي مدة عند بشارة وهو المقدّم في الإعزاز والإكرام برسم ولده وهو المتصرف بالأشغال والآمر الناهي بها كيف شاء، وكانت بذاك الوقت صيدا وزارة، فحصل بين وزير صيدا وبين بشارة مباينات لبعض أسباب اتصل بينهم الأمر للحرب، فكل منهم جرّد الجرود واستعدوا للقتال فجهز بشارة جيوشه وعساكره وجعل القائد على الجيش أحمد المرقوم، فعند مصادمة الجيشين فعل أحمد المذكور أفعالاً مستغربة تنذهل منها العقول من الشجاعة التي أظهرها ومن ترتيب عساكره وتنظيم جيوشه فكانت الغلبة على وزير صيدا، وما النصر إلا من عند اللـه، فانكسر الوزير هو وعساكره وولوا الأدبار، فتبعهم أحمد إلى أرض خيزران موقع محل بقرية السكسكية، فهناك ظفر بالوزير فذبحه وأخذ ما كان معه من السلب والمهمات. وكان بيد الوزير خاتم الحكم فقطع خنصره والخاتم بها ليقدمه إلى بشارة. والذي هرب من عسكر الوزير فاز بالحياة، والذي أبى الهرب ورد التهلكة.

ورجع أحمد الحويشان غانماً كاسباً منصوراً فازدادت محبته عند بشارة حتى أنه ما عاد تعاطى شيئاً وكلها صارت بيد أحمد. وكان بشارة المعني المرقوم ليس له أولاد ذكور، وكان له بنت فايقة بالمعارف والأدب والعفة وعلو النفس فبعد إياب أحمد من سفره الميمون فوراً عقد له عقد نكاح على ابنته السالفة الذكر. فبقي أحمد هو صاحب الحل والعقد والأمر والنهي مدة عمر بشارة، وما كان إلا قليل مات بشارة، فسبحان الحي الذي لا يموت، يهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، فتولى أحمد مكان عمه واستولى على جميع ما احتواه بشارة، راتعاً في رياض العزّ، فتخلف بحسين وحسين تخلف بعلي المدعو علي الصغير، الذي له الوقعة المشهورة مع بيت شكر».

أصول متناقضة

هذه الروايات الثلاث، وقد أوردتها خصيصاً بهدف تكوين صورة عن عائلة لعبت دوراً هاماً ورئيسياً في تاريخ لبنان السياسي الجنوبي، جاءت متناقضة ومختلفة ومشوشة إذا لم أقل غير مقنعة. والسبب على ما أعتقد هو عدم وجود مصادر مدوّنة، يرجع إليها المؤرخون، فكثرت المبالغات في نقل الحوادث التي رويت عن الآباء والأجداد أو عن أصدقاء الآباء والأجداد، إلى حد التغابي، عما يتخلل ذلك من تحريف أو اصطناع أو تمادٍ في الخيال واسترسال في العواطف القبلية أو استجابة لوحي الأنانية وحب العظمة.

هذه الصورة المشوشة التي أحدثتها الروايات المختلفة والمتناقضة عن أصول هذه العائلة اللبنانية العريقة، لم تلغ الصورة الزاهية التي أحاطت بأبناء هذه العشيرة بدءاً بالأمير محمد هزاع الوائلي، مروراً بحفيده علي الصغير وانتهاء بأحمد بك الأسعد (المتوفى عام ١٩٦١) وسواهم كثر. وقد عرفت بهذا الاسم الأسعد عندما شردوا في عهد الجزّار وأقاموا في عكار عند أسعد البيك وسموا كل من ولد لهم في ذلك الوقت أسعد تيمناً بأسعد البك وتكريماً له.

وأبدأ بمحمد بن هزاع الذي أتى إلى البادية، طلباً للكلأ إلى بلاد لم يعرفها ولم تطأها قدمه، يختلف أهلها عنه عرقاً ونسباً، فتوطن البلاد وامتزج مع أهلها امتزاج الماء بالماء، فصاهر حكامها وأمراءها ثم استولى على الإمارة وأحسن التصرف وأورثها أعقابه من بعد.

محمد بن هزّاع ولد حمداً، حمد ولد أحمد، أحمد ولد حسيناً الذي قتله آل شكر مع عائلته (وآل شكر أسرة نشأت في عيناتا، وترجع بنسبها إلى الإمام الحسن بن علي).

القصة الطريفة

بعد مقتل الشيخ حسين وعائلته حصلت قصة طريفة رواها معظم مؤرخي جبل عامل وتوقفوا عندها. بعضهم أيّدها، واعتبرها صحيحة، وبعضهم رفضها رفضاً باتاً، غير مصدّق لها، ومعتبراً أنها من نسج الخيال، والبعض الآخر وضع أكثر من علامة استفهام حولها. ومختصر القصة أن زوجة حسين التي كانت حُبلى هربت قاصدة عشيرة أهلها من عرب السوالمة، ووضعت طفلاً أسمته علي الصغير تيمناً باسم أخيه الأول الذي فقدته يوم مقتل والده وإبادة عشيرته ويقول آخرون إنها أسمته على اسم جده لأبيه.

علي الصغير هو الذي نشأ في حماية أخواله السوالمة يعتبر الجد الثاني للعائلة الأسعدية، عاد واستعاد تراث أجداده وفتك بخصومه آل شكر عام ١٦٤٨. وقد تفرع منه أولاد وأحفاد.

شجرة العائلة

- علي الصغير ولد له حسين، نصار، أحمد، مشرف، نصار، أحمد.
- أحمد بن علي الصغير ولد له حسين، نصار، مشرف، فارس، سهيل، عباس.
- حسين بن أحمد علي الصغير ولد له نصار، نصار ولد له أحمد، أحمد ولد له مشرف.
- مشرف بن أحمد بن علي الصغير ولد له أحمد، أحمد ولد له حسين، حسين ولد له قبلان.
- نصار بن أحمد بن علي الصغير ولد له حسن، محمد ونصار.
- محمد بن نصار بن أحمد ولد له عباس، عباس ولد له سلمان، سلمان ولد له حسن، حسن ولد له تامر (زعيم مشهور كان على خلاف مع علي بك الأسعد)، تامر ولد له محمد، محمد ولد له رضا الثامر.
- نصار بن نصار بن أحمد بن علي الصغير ولد له ناصيف (قتله الجزار ١٧٨٣)، محمود، ظاهر، مراد.
- ناصيف بن نصار بن نصار أحمد ولد له عقيل، فارس، شبيب، نصار، خليل.
- محمود بن نصار بن نصار أحمد ولد له حمد، محمد.
- خليل بن ناصيف نصار نصار ولد له أسعد (توفي ١٨٥٢).
- أسعد بن خليل بن ناصيف بن نصار ولد له محمد، خليل.
- خليل بن أسعد بن خليل بن ناصيف ولد له كامل، عبد اللطيف، محمود.
- محمود بن خليل بن أسعد بن خليل بن ناصيف ولد له محمد.
- عبد اللطيف بن خليل بن أسعد بن خليل بن ناصيف ولد له أحمد الأسعد (رئيس مجلس النواب).



علي نصرت بك الأسعد
(كتاب تنوير الأذهان)

- أحمد الأسعد ولد له كامل الأسعد (رئيس مجلس النواب).
- كامل الأسعد ولد له أحمد.
- محمود بن نصار بن نصار بن أحمد ولد له أحمد، محمد.
- محمد بن محمود بن نصار بن نصار ولد له أسعد.
- أسعد بن محمد بن محمود بن نصار نصار ولد له علي (زعيم مشهور خلف حمد البك توفي ١٨٦٥).
- علي بن أسعد بن محمد بن محمود بن نصار نصار ولد له ناصيف، نجيب، شبيب.
- ناصيف بن علي بن أسعد ولد له حسيب، محمد، فارس، سامي، عاطف، رضا.
- شبيب بن علي ابن أسعد ولد له علي نصرت، نزيه، نبيه.
- علي نصرت بن شبيب بن علي ولد له نصار، حكمت، وائل.
- نبيه بن شبيب بن علي ولد له عدنان بسام.
- حسيب بن ناصيف بن علي ولد له محمود.
- محمود بن حسيب بن ناصيف ولد له بسام سعيد الأسعد (نائب سابق).
- سعيد بن محمود بن حسيب بن ناصيف ولد له رياض، حسن.

هذه المشجرة النسبية لآل الصغير، أعدها مؤلف كتاب **عين قانا** صافي عبد المرتضى حبحاب، وقد استند الى عدة كتب عاملية لتنفيذها مثل **للبحث عن تاريخنا** للشيخ علي الزين **وجبل عامل** للعلامة محمد تقي آل الفقيه.

توزّع عائلة آل الصغير

وجاء في مخطوطة «الدلالة العاملية» للشيخ عبد المحسن الظاهر أن هذه العائلة الكبيرة توزعت في خمسة فروع:

١- فرع ناصيف بن نصار الأحمد، وإليه ينتمي آل الأسعد (فرع الطيبة) وآل سلطان. وهاتان العائلتان تنتشران في قرى الطيبة والمطربية وطير فلسيه.

٢- فرع محمود بن نصار بن الاحمد وإليه ينتمي آل الأسعد (فرع الزرارية) وهم ينتشرون في قرى الزرارية وصيدا والخرايب.



عبد اللطيف بك الأسعد وولده أحمد

٣- فرع حسن بن نصار الأحمد، وإليه ينتمي آل الظاهر، الهادي المحمود، حمد، قبلان، والفارس. وهم ينتشرون في الحلوسية وطير فلسيه والمطرية ومعروب.

٤- فرع حمزة بن محمد بن نصار الأحمد، وإليه ينتمي آل حمزة، آل الفاعور، آل بندر، آل مانع، وآل كريكر. وهم ينتشرون في معروب ودبعال والجميجمة والمنصوري، ودير كيفا، وزبقين والمطرية ومجدل زون.

٥- فرع عباس بن محمد بن نصار الأحمد، وإليه ينتمي آل الأمين، آل سهيل، آل شهيل، آل التامر وآل السلمان، وهم ينتشرون في العديسة وتولين والتامرية والطيبة والمطرية وعدلون وخربة الدوير والغسانية والسكسكية.

وكذلك فإن أسرة بزيع تنتمي الى الدوحة الوائلية في جبل عامل، ويقال بأنها تفرعت من أحد أجداد نصار الأحمد وهو أحمد الثاني والد الشيخ مشرف.

ومن مشاهير هذه العائلة:

الشيخ أحمد بن علي الصغير

هو أول شخص من آل علي الصغير يسميه لنا التاريخ منذ ابتدأ يتردد اسم أولاد علي الصغير على السنة المؤرخين، وهو أيضاً أول شخص منهم يعبر عنه المؤرخون (بالشيخ) أما قبل ذلك فكان يعبرون عنهم بأولاد علي الصغير أو أبناء علي الصغير، ولم يذكروا اسم أحد منهم، ولا نعتوهم بالمشايخ. ابتدأ حكمه من يوم وقعة عيناتا سنة ١٠٥٩ ودامت مشيخته نحو ثلاثين سنة، وتوفي في سنة ١٠٩٠ هجرية.

نصّار الأحمد

هو نصّار بن الشيخ أحمد بن نصار بن مشرف بن أحمد بن نصار بن حسين بن علي الصغير.

وصفه شبيب باشا الأسعد بالقول: «كان رئيس البلاد وحاكمها من طرف الدولة العلية، كان شهماً هماماً، بلغ من الشهامة أقصى الغاية من حكمة ودراية، واشتهر ذكره وارتفعت منزلته. في



أحمد بك الأسعد: رئيس مجلس النواب اللبناني الأسبق

زمانه حدثت «وقعة البحرة» توفاه الله وله ثلاثة أولاد هم: ناصيف، ومحمد الشهير بأبي حمد، ومراد».

فارس النصّار

هو ابن ناصيف النصّار، أثار حرباً عواناً على والي عكا أحمد باشا الجزار بعد مقتل أبيه في معركة يارون (سنة ١١٩٥ هـ ـ ١٧٨٠م) فجمع فلول العشائر التي فرت من ظلمه وألف العصابات لشن الغارات على بلاد الجزار والفتك بعماله. هاجم قلعة تبنين بعد سقوطها بيد الأتراك، وذبح عامل الجزار فيها، وهزم عسكره وضيق الخناق على ولاة الاتراك فألجأهم إلى عقد المعاهدة بعد وساطة الأمير بشير الشهابي، ومداولات كثيرة بينه وبين سليمان باشا الذي خلف الجزار. استعاد حكومة البلاد، ونال الرتب والألقاب والمساعدات المالية، وانجد الوالي عبد الله باشا الذي خلف سليمان باشا على خصمه درويش باشا والي الشام، واشترك جيشه في معركة المزة، وكان النصر حليفه.

حمد البك

كان من أعظم أمراء آل الصغير مقاماً وأوسعهم شهرة وأوفرهم علماً وفضلاً.

درس على الشيخ حسن القبيسي في مدرسة الكوثرية، وبكوثرية السياد، وكان فقيهاً وشاعراً أديباً ومديراً حكيماً.

قضى الشطر الأول من عمره منزوياً في إحدى قرى جبل عامل بعد سقوط سوريا بيد الفاتح المصري إبراهيم باشا الذي ألغى حكومة الإقطاعات من جبل عامل، وألحقه بولاية الأمير بشير الشهابي الثاني. بقي حمد البك في عزلته يقاسي شظف العيش، ويتحين الفرص حتى إذا لاح له وهن الحكومة المصرية، وعلم بوصول العساكر العثمانية بقيادة عزت باشا لطرد المصريين نهض بخيله ورجاله، وانضم للجيش التركي، وأبلى بلاء حسناً، ما دعا قادة الترك عزت باشا ومحمد باشا القبرصي وجقمق باشا أن يقدروه حق قدره ويولوه قيادة الجيش الجنوبي، ويأخذ على عاتقه محاربة المصريين وطردهم من فلسطين وجنوب سوريا. وقد نجحت خطته وانتصر على المصريين في عدة معارك ذكرها المؤرخون ونظم فيها الشعراء. لم يكن له ولد، وكنيته أبو فدغم على عادة



قصر آل الأسعد في الطيبة

العرب القدماء.

ولحمد البك قصائد، وأشهر قصائده «السالفية» وهي قصيدة طويلة امتدح بها السلطان عبد المجيد أولها:

توّرد خد الظبي واخضرّ سالفه

له الخال قد أضحى سميراً بسالفه

وله تشطير «البردة» في مدح النبي. توفي حمد البك سنة ١٢٦٩ هـ ـ ١٨٥٢م ودفن في مقام النبي يوشع بالقرب من قرية قدس.

علي بك الأسعد

خلف عمه حمد البك في حكومة جبل عامل، وأحرز مقاماً رفيعاً ومنزلة سامية في الديار العربية.

ولد في العام ١٨٢١ وتوفي بدمشق عام ١٨٦٥ وعمره خمس وأربعون سنة. والده أسعد البك بن محمد بن محمود المعروف بأبي حمد بن نصار. مدى حكومته ثلاث عشرة سنة، وكان لقبه الرسمي في المراسلات الحكومية: رئيس العشائر وشيخ مشايخ بلاد بشارة كما كان أسلافه

من قبله. واللقب الأول منح لهم من طرف الباب العالي بعد الاتفاق الذي عقد في عكا بين عشائر جبل عامل وسليمان باشا والي إيالة صيدا سنة ١٨٠٤. وأول من ناله فارس الناصيف. واللقب الثاني منح لهم بعد جلاء المصريين عن سوريا سنة ١٨٤٠. وقد بلغ من العزّ والصولة وكثرة الأتباع والحشم ما لم يبلغه زعيم قبله من زعماء الشيعة بعد الزعيم الأكبر الشيخ ناصيف النصار.

درس علي بك الأسعد علوم العربية على أساتذة من علماء جبل عامل، فشبّ أديباً شاعراً حسن السبك متين العبارة. له قصائد ومقطوعات كثيرة أشهرها القصيدة العينية التي يفاخر فيها بقومه وعشيرته وقد عارض فيها قصيدة الفرزدق.

وضمنها البيت المشهور:

أولئك آبائـي فجـئني بمثلـهم ... إذا جمعـتنا يا جريـر المجامع

ومنها:

سموت بآباء كـرام شعارهـم ... بناء المعالي حيث كيوان ساطعُ

لهم شرف يسمو على هامة السهى ... ومجـدهم فوق المجـرّةِ طالعُ

هم القوم من عليـا نزار وطفلهم ... عمائمه البيض الرقاق القواطع

هم مهدوا من عامل كل صـعبةٍ ... وهم شـيدّوها والرمـاح شوارع

محمد بك الأسعد

كان الساعد الأيمن لعلي بك الأسعد وصاحب الحول والطول في جبل عامل. في الحرب الأهلية التي نشبت بين الدروز والنصارى سنة ١٨٦٠ التجأ كثيرون من منكوبي المسيحيين اللبنانيين إلى جبل عامل فحلوا فيه ضيوفاً على الرحب والسعة، فحماهم الشيعيون وآووهم ودافعوا عنهم دفاعاً مجيداً. حاول أن ينتصر للمسيحيين ويكبح جماح الدروز لما هاجموا جباع «آخر بلاد الشيعة الشمالية» ونهبوا الأموال والأمانات التي كان أودعها المسيحيون النازحون في دار العلامة شيخ الطائفة عبد الله نعمة. أسرع محمد بك الأسعد على رأس ألف فارس إلى جباع لمهاجمة الدروز غير أن سياسة الدولة يومئذ قضت بإيقاف الهجوم، وحال دونه خورشيد باشا والي إيالة صيدا. فسوّى القضية وأعاد المنهوب. توفي في دمشق عام ١٨٦٥.

تامر بك الحسين

هو تامر بن حسين بن سلمان بن عباس (مجدد بناء صور) بن محمد بن نصار الأحمد.

هو صاحب مقاطعتي جبل هونين ومرج عيون ، وكانت بنت جبيل مقرّ حكومته كما كانت لأبيه من قبله، وفيها قضى نحبه. هو من أشهر زعماء جبل عامل وأكثرهم جراءة. كان يتقلد سيفاً عريضاً يعرف (بالبالا) لا يفارقه في سفر أو حضر حتى لقب بأبي بالا. وهو الزعيم الوحيد الذي نافس علي بك الأسعد في زمن صولته وزاحمه ومزاحمة شديدة على رئاسة العشائر، وشهر عليه حرباً عواناً فلم يكتب له الفوز.

كان يرى نفسه أحق بالزعامة من علي بك الأسعد لأنه أكبر زعماء العشائر سناً، ولأنها كانت لأبيه الشيخ حسين السلمان في عهد الحملة المصرية على سوريا ١٨٣٢. والشيخ حسين هذا هو الزعيم الوحيد من زعماء الشيعة الذي سالم المصريين وانضم إليهم وكان من أنصارهم. وخدم الحملة المصرية بالاتفاق مع الأمير بشير الشهابي الثاني. وكانا صديقين حميمين. حل ضيفاً على الصدر الأعظم محمد نديم باشا في الآستانة، وعاد منها وقد أنعمت عليه الدولة براتب قدره ١٥ ليرة ذهبية يقبضها من خزينة الإيالة في كل شهر. ونال من الرتب لقب (سر دركاه عالي) أي رئيس حجاب الحضرة العلية، وأعطي أمراً بإبقائه مقاطعجياً، وقيل بحكومة جبل عامل كلها بدلاً من علي بك الأسعد.

خليل بك الأسعد

هو ابن الشيخ أسعد الخليل بن خليل الناصيف بن ناصيف النصار. انتهت إليه رئاسة العشائر بعد وفاة علي بك ومحمد بك. دخل وظائف الدولة فأحرز مقام المتصرفية، وعين متصرفاً للواء البلقاء (نابلس). اشتهر بكرم الأخلاق وطيب المزايا وسعة الصدر. عمل على إنشاء مدرسة كلية داخلية لتهذيب ناشئة جبل عامل على الأصول الحديثة واختار مكاناً لها الربوة الواقعة جنوبي النبطية المعروفة (بالرويس) وكان رضا بك الصلح (والد رياض الصلح) أول من اقترح عليه القيام بهذا المشروع سنة ١٨٩٣، وعقد فيها اجتماعاً حافلاً بوجهاء البلاد أسفر عن لا شيء لمعاكسة بعض العلماء الرجعيين الجامدين الذين كانوا يرون التدريس في هذه المدارس على الأساليب العصرية خطراً على العقائد الدينية.

توفي خليل بك في الطيبة سنة ١٩٠٠ وخلفه في زعامة جبل عامل نجله الأكبر كامل بك الأسعد.

كامل بك الأسعد

ولد كامل في الطيبة عام ١٨٧٠ وتوفي فيها عام ١٩٢٤ وعمره ٥٦ عاماً، ودفن في مقبرة خاصة بجانب القصر الذي شيده على الرابية الجنوبية من الطيبة. والدته سعدى بنت الحاج

محمد الفارس من أُسرة علي الصغير. تخرّج من المكتب السلطاني الإعدادي في بيروت، وكان يدعى المدرسة السلطانية برئاسة الإمام محمد عبده. انتهت إليه زعامة جبل عامل بعد أبيه فقام بها خير قيام.

عين مديراً للنبطية سنة ١٣٠٩هـ ـ ١٨٩١م ثم استقال منها، وانتخب عضواً للمجلس العمومي في بيروت، ثم عضواً لمجلس المبعوثان التركي. سافر إلى مصر وأُوروبا انتجاعاً للصحة. وأحرز من الرتب في عصر السلطان عبد الحميد الرتبة الأُولى من النصف الثاني التي تعادل رتبة أمير اللواء العسكرية ولقبها «سعادتلو». لمع اسمه خلال اجتماع مجلس المبعوثان. وانتظم في سلك حزب الائتلاف فكان من أركانه. كان على رأس وفود جبل عامل التي قابلت لجنة «كينغ ـ كراين» عام ١٩١٨ ورفعت بيانها إلى اللجنة بطلب الانضمام إلى الوحدة السورية ورفض الانتداب.

شبيب باشا الأسعد

هو أكبر أنجال علي بك الأسعد. توفي والده وهو بعمر الثالثة عشرة، ولد عام ١٨٥٢ وتوفي في صيدا عام ١٩١٧ ودفن فيها. كان ذكياً مهاب الطلعة، أديباً شاعراً يميل بطبعه لتكريم العلماء وأهل الأدب. اختلف مع أخويه نجيب بك وناصيف باشا ثم مع خليل بك الأسعد. سافر إلى الآستانة وأقام فيها ٢٢ سنة. عاد إلى الوطن بعد نشر الدستور التركي الثاني ١٩٠٩، ورشح نفسه لعضوية مجلس الأمة (المبعوثان) عن لواء بيروت، فزاحمه كامل بك الأسعد مزاحمة شديدة وفاز عليه. سكن في صيدا وتوفي فيها. من مؤلفاته: **العقد المنضّد**.

نجيب بك الأسعد

ولد سنة ١٨٤٩ وتوفي سنة ١٨٨٤. من أكرم أبناء العشائر أخلاقاً. أديب عارف بأخبار العرب. ينظم الشعر تولى عدة وظائف في لواء نابلس وآخرها: قائمقامية صهيون لواء اللاذقية. توفي في سن الفتوة.

ناصيف باشا الأسعد

هو النجل الثالث لعلي بك الأسعد، يشابه أخاه نجيب بك أخلاقاً وسيرة. درس في المدرسة البطريركية في بيروت. هو أول من نهض بخيله ورجاله في حادثة الخيام ١٨٩٦ ولبى داعي النخوة والحمية، ولم يبال بسخط السلطة الحكومية فاكتسب بإقدامه ثناء الشعب. انتخب لعضوية مجلس إدارة صيدا غير مرة. توفي في الزرارية عام ١٩١٨.

أحمد الأسعد

ولد في العام ١٩٠٨ في الطيبة (قضاء مرجعيون). والده عبد اللطيف الأسعد (نائب سابق) توفي عام ١٩٣٦. تزوج فاطمة ابنة عمه كامل وهو بعمر السابعة عشرة (تكبره بأربع سنوات) ورزقا ٣ اولاد: كامل (نائب ورئيس مجلس النواب لعدة دورات) وزينب (زوجة صبري حمادة) وسعدى.

انتخب نائباً لعدة مراتٍ، ورئيساً لمجلس النواب لعدة دورات، وعين وزيراً لأكثر من وزارة. وصفته زوجته بالقول: «كان طيباً إلى درجة البساطة وذكياً إلى درجة الأسطورة».

أسس «حزب النهضة» وترأسه وهو عبارة عن مجموعة من كبار القبضايات على رأسهم: خضر الجوني (والد الفنان شوشو) وعباس الحاج (ابو أمين) وعاكف السبع وغيرهم. له آراء طريفة في بعض رجال السياسة من معاصريه. «كمال جنبلاط مثل المنام المخربط كل يوم شكل. ما حدا عارف شو بدو. مواقفه كالبالون المنفوخ بيطير ثم بيفقع لوحده». «كميل شمعون سياسي بارع محنك عميق، لا فيك تقعد معو ولا فيك تقعد بلاه». «رياض الصلح: سياسي غامض». «بيار الجميل: طفل كبير». توفي في ١٦ آذار ١٩٦١.

إن عائلة الاسعد، هذه العائلة اللبنانية العربية الشيعية الكبرى التي أطلقت هذا الكم الهائل من الشخصيات السياسية التي حكمت جبل عامل على مدى أعوام وحقب طويلة، وكانت لها مواقف مؤثرة وفاعلة في سياسة لبنان وسوريا وفلسطين، والمنطقة العربية على الإجمال، هذه العائلة اليوم غائبة عن المسرح السياسي اللبناني والعربي، أو مغيبة، فيما يحاول اثنان من فرسانها: رياض سعيد الاسعد، وأحمد كامل الاسعد استعادة بعض ما كان لها من بريق ووهج.

المراجع

١ـ **للبحث عن تاريخنا في لبنان**، علي الزين، بيروت ١٩٧٣.
٢ـ **جبل عامل في التاريخ**، تأليف الشيخ محمد تقي الفقيه، بيروت ١٩٨٦.
٣ـ **تاريخ جبل عامل**، محمد جابر آل صفا، دار متن اللغة.
٤ـ **عين قانا ـ قرية .. وتاريخ**، دار الخلود، ٢٠٠٠.
٥ـ **تاريخ الزرارية والبلاد العاملية**، خليل شرف الدين، ١٩٩٥.
٦ـ «عائلة الاسعد نبتت من ظهر فارس ملثم اسمه محمد بن هزاع»، بقلم حسين حمية، «**الأفكار**»، ٦ تشرين الأول، ٢٠٠٣.
٧ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل حبيش

هي عائلة لبنانية عربية عريقة ترقى أصولها إلى قبيلة هوازن من قبائل قيس عيلان. أبناؤها عرب أقحاح، لا لبس ولا غموض في انتمائهم القومي. جاء معظمهم إلى جنوب الجزيرة العربية، ومنه إلى منطقة حوران وغيرها من سوريا. ومن هناك إلى قرى البقاع، فجبل لبنان انطلاقا من شماله، وخلال فترات لاحقة إلى كسروان.

وهي عائلة مسيحية مارونية اعتنقت النصرانية على يد الرسولين «برتلماوس» و«توما» وهما في طريقهما الى الهند. وبعد استقرارهم في لبنان التفّوا حول بطاركتهم الأوائل، من البطريرك الرابع حتى البطريرك الحادي والعشرين الذين جعلوا من دير سيدة يانوح كرسياً ومقرّاً، وكانوا لهم حماة.

من يانوح الى غزير

يظهر أن يانوح كانت عامرة قبل القرن السادس عشر، بدليل أن البطريرك يوحنا مارون الثاني الذي كان يقيم في دير القديس «مارون» على ضفاف نهر العاصي (بجوار مدينة انطاكية) هرب من الدير المذكور إلى قرية يانوح. وظل بطاركة الموارنة من بعده زمناً طويلا يتوارثون هذا الكرسي خلفاً من سلف.

أقام الحبيشيون طويلاً في يانوح، على أن خلافات وقعت بينهم وبين جيرانهم الشيعة، أفضت إلى اختلال الامن. وتفاقمت الحال بعد مقتل أحد الزعماء الشيعة على يد الشيخ خليل حبيش، واشتدت الخصومة حتى اضطرّ الحبيشيون إلى الهجرة من يانوح، فنزلوا بلدة غزير، حيث صادفوا الراحة والأمان بعد معركة مرج دابق التي انتهت بانتصار السلطان العثماني سليم الأول ومصرع قانصو الغوري. وحين انتقل الحبيشيون إلى غزير، انتقل الكرسي البطريركي من يانوح إلى ميفوق.

كانت غزير في مطلع القرن السادس عشر قاعدة حكم الأمراء العسافيين، فيها نشأ الأمير بشير الثاني الكبير، وتولّى الامير حسن شقيق الأمير بشير بعض مسؤوليات الحكم في كسروان. وكانت

قاعدة حكمه في غزير. وكان له قصر عرف بقصر «المزار»، اشتراه في ما بعد المونسنيور لويس زوين، وحوّله إلى معهد وبقي إلى أوائل الحرب الكبرى ١٩١٤. وهذا الامير هو جد والد الامير اللواء فؤاد عبد الله شهاب رئيس الجمهورية الأسبق. وجاء في **تاريخ الأزمنة** للبطريرك اسطفان الدويهي ما نصّه: «في سنة ١٥١٦ قدم الشيخ حبيش بن موسى بن عبد الله بن مخايل مع عياله من يانوح إلى غزير كسروان واستوطنوها، وكان له أربعة أولاد وثلاثة أخوة. أمّا أولاد الشيخ حبيش المشار إليهم فهم: سليمان أبو يونس، ويوسف أبو منصور، وخليل أبو إبراهيم، والزين أبو مهنا.

أمّا خليل حبيش، الملقّب باللاط، بعد قتله الزعيم الشيعي فذهب واستوطن قرية «فالوغا» في قضاء المتن الجنوبي مع سلالته، واتخذ بلدة بعبدا مقراً له. ولا يزال اللاطيون من سكانها حتى اليوم. ومنهم رجال علم وأدب وشعر وقانون.

أمّا يونان أخو الشيخ حبيش فقد لقّب بالحاج لأنه زار القدس الشريف، واختار ناحية «جبيل» مقاماً فنزل في قرية «إدّه» المعروفة. ولكنّه أخفى على الناس كنيته الحبيشية تفادياً للانتقام، إذ كانت جبيل وقراها في ذلك الحين تعجّ بالعشائر الشيعية. فلقّب بلقب إدّه تميزاً عن سواه باسم القرية التي استوطنها وتملّك فيها».

وقد جاء في مقالة للأستاذ جرجي نقولا باز بجريدة **البيرق** تاريخ ٣و٤ تشرين الأول سنة ١٩٤٩ ما يلي: «جاء يونان بن موسى عبد الله، أخو الشيخ حبيش جد الأسرة الحبيشية الكريمة فجر الجيل السادس عشر من دير الاحمر في بلاد بعلبك إلى يانوح، وتوطن إدّه وتكاثر نسله فيها، واشتهر منهم عدد كبير». أمّا القليلون ممن بقوا من عائلة حبيش اليانوحية، فلم يلحقوا بنسيبهم الشيخ حبيش وأولاده وإخوته، وإنّما تفرّقوا، فمنهم من عاد إلى دير الاحمر حيث تكاثرت سلالتهم، وعرفوا بعائلة حبشي الحالية، ومنهم من استوطن في قرية كفرزينا في زاوية «بشرّي» وحافظوا على اسم حبيش، ومنهم مختار البلدة وهيب حبيش الذي قتل خطأً في المعركة التي حدثت بكنيسة «مزيارة» سنة ١٩٥٧، ومنهم من ركب البحر واتخذ بعض الجزر التركية واليونانية وسواها مقاماً، ومنهم من استوطن فلسطين ويعرفون هناك ببيت الكسّار.

العلاقة مع العسّافيين

أما الدور الهام الذي لعبه المشايخ الحبيشيون في حكم لبنان، فيبدأ مع أمراء آل عساف، وتحديداً مع الأمير عسّاف التركماني. يقول الشيخ خليل رشيد اسكندر حبيش، مؤلف كتاب **آل حبيش في التاريخ**، وناشره في العام ١٩٧٨: «في سنة ١٥١٦ حكم الأمير عسّاف التركماني، كسروان وجبيل والبترون وعكار، وامتدّ حكمه بعدئذ إلى بيروت وحمص وحماه. فجعل عاصمته «غزير» واستعان بالمشايخ أبناء حبيش، فقرّبهم إليه واتخذ منهم مستشارين أو معاونين له في الحكم. ومن مستشاريه الشيخ أبو منصور (يوسف) وأخوه الشيخ أبو يونس (سليمان) لما اتصفا به من حصافة في الرأي ورباطة في الجاش وحسن التدبير. فوثق الأمير بمعاونيه من آل «حبيش» وأطلق يدهم في الحكم. وقد ذكر الخور اسقف بولس قرالي بأنهم افتتحوا أعمالهم بمساعدة

الموارنة الذين كانوا محاصرين في شمالي لبنان، ما بين البترون وجبيل وجبة بشري، فنزحت كثرة منهم على الأثر إلى كسروان والفتوح».

أشدّاء طوال القامة

«ومن مآثرهم الكثيرة أنهم اتخذوا غرفة في قصر الأبراج مسكنهم في غزير ثمّ حوّلوها إلى كنيسة أطلقوا عليها اسم «سيدة الأبراج». وكان الحبيشيون يتفرّدون بالأحكام من دون اللجوء الى العسّافين، بل كانوا هم المرجع لأبناء الطائفة في شؤون الحياة العامة والخاصة، فكانوا رجال دين وسيف وقلم وإدارة في آن واحد، وشغلوا أعلى المراكز. قال فيهم الأب غودار اليسوعي إنهم كانوا أشداء، طوال القامات، من النصارى المتمسكين بدينهم. فبسطوا نفوذهم عدة قرون برهنوا خلالها عن قدرة سياسية فذة وبارزة. وفي سنة ١٥١٨ لما تولّى الحكم الأمير «قيتبيه» ابن الأمير عساف التركماني، قضى على الشيخين يوسف وأخيه سليمان حبيش بالنفي إلى مصر لأنهما تعاونا مع أخويه الأميرين حسن وحسين اللذين قتلهما غدراً في بيروت. وفي سنة ١٥٢٣ توفي الأمير «قيتبيه» العسافي فتولّى الحكم مكانه الأمير منصور، وهو ابن أخي الأمير حسن.

وفي سنة ١٥٢٨ غضب محمد آغا شعيب، والي طرابلس، على الأمير منصور عساف، لأنه ناصر الأمراء أولاد سيفا الأكراد الذين قتلوا أهل عرقا أقاربه، فأوفد الأمير منصور إليه الشيخ يوسف والشيخ سليمان الحبيشيين على رأس حملة مؤلفة من خمسماية مقاتل. فكمن الجند عند حارة الحصارنة ولما دخل الشيخان جامع طيلان (بطرابلس) لإجراء المحاسبة، وثبا على محمد آغا فقتلاه هو وابنه. وسنة ١٥٣٤ طفق عبد المنعم يسعى لدى الأمير منصور العسّاف في إهلاك ولدي «حبيش». فلمّا بلغهما ذلك أعلما الأمير منصور بالمؤامرة المدبّرة بين عبد المنعم والأمراء الحرافشة فأمرهما الأمير بقتله. فداهماه في داره ليلاً بجوار سراي الأمير وقتلاه، وقتلا معه أحد عشر رجلاً من بني عمّه. فطاب خاطر الأمير، وجعل الشيخ أبا منصور (يوسف) وأخاه الشيخ أبا يونس (سليمان) حبيش مدبّرين له».

استيلاء على الكنائس والأديرة

«وفي سنة ١٥٧٢ صدرت الأوامر من السلطان سليم تقضي بتوزيع واحد وعشرين ألف سلطاني على البلاد إسعافاً للعسكر العثماني المحاصر. وبالاستيلاء على جميع الكنائس والأديرة ووقوفات النصارى، وتملّكها أو بيعها، فاغتاظ النصارى، وأحزنهم أن يذهب هدراً ما جمعه آباؤهم بعرق الجبين وعجزوا عن المحافظة عليه. ولم ينج من هذه المصادرة سوى رزق دير سيدة قنوبين الذي استفكه البطريرك بنفوذ الشيخ أبو منصور يوسف حبيش.

وفي سنة ١٥٧٠ لما استولى أهالي بيروت على كنيسة الموارنة التي كانت تقع داخل السور في سوق أبي النصر وحولوها إلى قيسارية تجارية، لم يبق للموارنة سوى كنيسة واحدة خارج السور

هي كنيسة مارجرجس. ولما كانت أبواب المدينة تقفل عند غياب الشمس، اتفق الشيخ أبو منصور يوسف حبيش (الماروني) مع مشايخ بيت الرهبان (الأرثوذكس) على الاشتراك في الصلاة معهم في الكنيسة الارثوذكسية، وهكذا تعاون الموارنة والأرثوذكس في إقامة الصلوات. وفي ١٩ أيلول ١٥٨٣ توفي الشيخ أبو منصور يوسف حبيش الذي كانت له دالّة على الأميرين، منصور ومحمد، فتولّى الكوخنة من بعده أخوه الشيخ أبو يونس (سليمان)».

حبيش: الأسرة الأولى

يقول المؤرخ الدكتور كمال الصليبي في ملحق «النهار» عدد ٤٠ تاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٧٠ عن الأمراء العسّافين وآل حبيش ما يلي: «وكان الشيخ حبيش من موارنة يانوح في جبة المنيطرة قد انتقل في أوائل العهد العثماني إلى كسروان واستقرّ في غزير قاعدة آل عساف. ودخل أبناؤه وأحفاده في خدمة الأمراء، فاستعان بهم الأمير منصور الذي ولي الإمارة عام ١٥٢٣ في القضاء على مناوئيه من الشيعة وغيرهم. وهكذا عظم شأن آل حبيش حتى أصبحوا الأسرة الأولى بعد الأمراء في المنطقة. وأصبحت لآل عساف عن طريق آل حبيش صلة بالموارنة في بلاد طرابلس، فأخذ ملتزمو الحكم في طرابلس يلزمون المناطق المارونية للأمير منصور، موكلين إليه تدبيرها وحماية أموالها. ونجح منصور بمساعدة آل حبيش في ضبط المناطق الموكولة إليه، وامتد حكمه مع الزمن حتى شمل جميع بلاد طرابلس عدا المدينة، كما شمل مدينة بيروت. وكان الموارنة في جميع هذه الأنحاء يرون في الأمير العسّافي صديقاً وحامياً لهم. وصارت لآل حبيش زعامة يعترف بها جميع أبناء الطائفة.

وكانت زعامة آل حبيش من نوع جديد لا يألفه الموارنة من قبل، إذ لم تكن دينية كهنوتية كزعامة البطاركة، كما أنها لم تكن محلية ضيقة كزعامة المقدمين. ولم يكن هناك أي تنافس بين البطاركة والمقدمين، بل على العكس، إذ كان آل حبيش شديدي الغيرة على مصلحة الكنيسة المارونية، ويحمونها من جور حكّام طرابلس، ويدعمون بطاركتها ضد مقدمي بشرّي الذين استمرّوا يناوئونهم من وقت إلى آخر. وكان المقدمون منذ عهد المماليك في بشرّي وغيرها من القرى والمناطق أشبه ما يكونون برؤساء وعصابات يفرضون هيبتهم على الشعب بالقوة ولو كان ذلك على حساب كنيستهم وطائفتهم. أمّا آل حبيش فارتكزت مكانتهم بين الموارنة على قربهم من آل عساف، وقدرتهم على خدمة مصالح الكنيسة والطائفة عن طريق الأمراء.

وعطف الأمراء العسافيون على الموارنة، واعتنوا بهم اعتناء لم يصدر عن حاكم من قبل. ولم يكن حكم آل عساف من النوع ذاته الذي عهده الموارنة عند حكام طرابلس. ذلك أن نواب طرابلس المماليك، ومن بعدهم الولاة وملتزمو السنجقية في العهد العثماني، كانوا يمثلون حكماً إسلامياً قائماً على الشرع، يضع مصلحة الإسلام والمسلمين مبدئياً فوق كل مصلحة، أمّا آل عساف فكانوا مسلمين سنيين من ناحية الدين، إلاّ أن حكمهم كان قائماً على عرف إقطاعي وتقاليد محلية بعيدة كل البعد عن الشرع. وكانت مصالحهم كأمراء مصالح إقليمية لا تمت إلى العصبية الدينية بصلة،

وهذا ما أفسح في المجال لدخول الموارنة كعنصر فعّال في الإمارة العسافية. والتقت مصالح الطائفة المارونية ومصالح آل عساف مادياً ومعنوياً، فنشأت بين الفريقين وحدة حال لم يأنس لها المسلمون وممثلو الدولة العثمانية في طرابلس ودمشق».



الشيخ يونس أبا ضاهر حبيش وزير المالية في عهد فخر الدين المعني (من كتاب آل حبيش في التاريخ)

نهاية العصر الذهبي

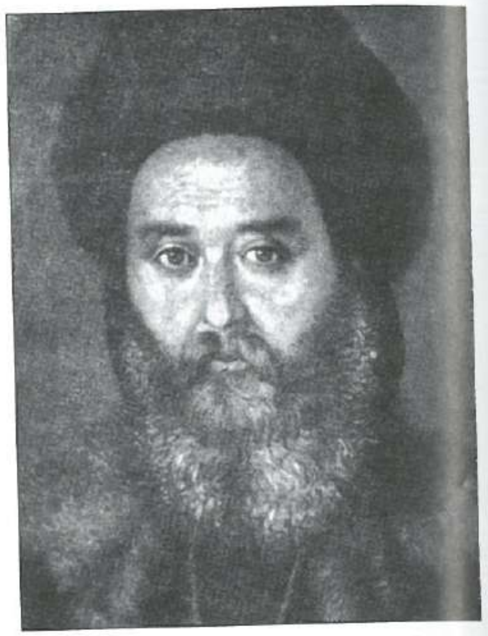
انتهى العصر الذهبي لمشايخ آل حبيش الموارنة بانتهاء دولة بني عسّاف. ففي العام ١٥٩٠ قتل محمد عساف في كمين بين البترون والسيلحة، وغدر به يوسف باشا سيفا، ووضع يده على جميع أملاك العسافيين وأموالهم، وقتل من كواخيهم الشيخ سليمان، والشيخ منصور والشيخ مهنا أولاد حبيش. ولجأ الشيخ يونس والشيخ حبيش أولاد الضحايا الى الامير محمد بن جمال التنوخي في المناطق الدرزية.

«وفي عهد الأمراء المعنيين»، يقول الخور اسقف بولس قرألي، «إن الأمير فخر الدين الثاني حذا في سياسته حذو الأمراء العسافيين، وأحاط نفسه بمستشارين ومدبّرين من الموارنة. وقلد عام ١٦١٣ الشيخ يونس أبا ضاهر حبيش أمانة خزانة الدولة، وعيّن ولده الشيخ ضاهر حبيش وكيلاً للشيخ أبي نادر الخازن حاكم بيروت. وفي سنة ١٦٢٨ أرسل البابا أوربانس الثامن سيفين إلى الشيخين أبي نادر الخازن وأبي ضاهر حبيش صاحبي النفوذ الكبير لدى الأمير.

وبهذا أمّن الموارنة كنيسة وشعباً للأمير الدرزي، وأصبحوا أنصاراً له حيثما كانوا، وبعد قليل طرد فخر الدين يوسف سيفا من بيروت عام ١٥٩٨ واستولى على كسروان نهائياً عام ١٦٠٥، فأصبح له في بلاد الموارنة قاعدة حكم. لكن الدروز لم يقفوا صفاً واحداً إلى جانبه، بل منهم من ناوأه بشدة فانقسموا الى فريقين: قيسي وهو الصف المؤيد، ويمني وهو الصف المعارض. وبالطبع كانت أكثرية الموارنة من الحزب القيسي نصير الأمير.

الحلف الماروني ـ المعني

أقطع المعنيّون على كسروان المشايخ آل خازن، وعلى غزير وتوابعها المشايخ آل حبيش، كما أن آل الخازن اتبعوا في كسروان تجاه طائفتهم السياسة نفسها التي اتبعها قبلهم آل حبيش،



البطريرك يوسف حبيش

(من كتاب آل حبيش)

فسهروا على تعزيز شأن الموارنة وخدمة مصالحهم (راجع الدكتور كمال الصليبي).

وبعد أن اقطع المعنيون على غزير وما يليها المشايخ الحبيشيين استحصلوا سنة ١٦٤٠ على فرمان من اسطمبول، وبنوا في ملكهم كنيسة سميّت «السيدة الحبيشية» ورافقها هذا الاسم لغاية عهد المتصرف مظفّر باشا سنة ١٩٠٢ الذي أوصى سرّاً للخصوم السياسيين بتأليف الجمعيات الماسونية ضد الاكليروس الماروني الذي كان يعضد الشيخ يوسف عباس حبيش ضد مرشح مظفر باشا اللاتيني المذهب لعضوية مجلس إدارة جبل لبنان، وهو المرحوم جورج بك زوين. ونتج عن ذلك أن الخصوم حطموا مدافن الحبيشيين التي كانت تحيط بالكنيسة، وأبدلوا اسمها فجعلوه الحبشية بدلاً من الحبيشية. ووجد المتصرّف فرصة مناسبة لمحاربة الحبيشيين، فأخذ يذكي نار الفتنة لأن الشعب كان لا يزال متأثراً بالخلاف الذي حصل بين الحبيشيين والأهالي في غزير عام ١٨٥٨، وبثورة الأهالي على المشايخ في كسروان. وبالرغم من تبدل الأوضاع، تقول إحدى المخطوطات المحفوظة عند المشايخ الحبيشيين، ان معلّم البناء في الكنيسة المذكورة، بذل جهده في البناء، فبنى في يوم واحد مدماكاً كاملاً من أربعة أوجه الحيطان داير ما دار، فسرّ منه الشيخ منصور حبيش وخلع عليه خلعه.

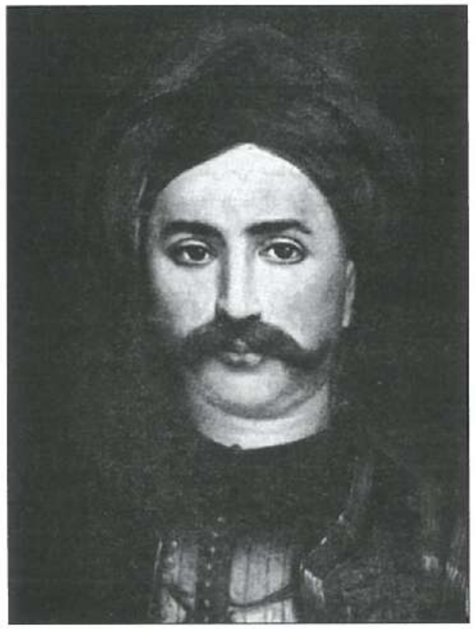
وفي ٣ تموز ١٦٥٣ توفي الشيخ يونس بن سليمان حبيش. وفي سنة ١٦٣٤ أسّس المشايخ بنو حبيش دير مار يوحنا حراش ـ على ما ذكر الخوري منصور الحتّوني في المقاطعة الكسروانية ليكون مدرسة علمانية وكهنوتية، ولكن الاضطرابات منعتهم من إتمام هذا المسعى. وسنة ١٦٤٢ اشترى الأسقف يوسف العاقوري (الذي أصبح بطريركاً في ما بعد) من الشيخ أبي موسى حبيش الدير المذكور، وأنشأ فيه كنيسة على اسم السيدة.

إلغاء الامتيازات

إن التقليد المتبع في اشتراك المشايخ من آل حبيش والخازن في المشورة لتثبيت البطريرك الماروني لم ينقطع العمل به إلا في العام ١٧٣٣ تاريخ انتخاب البطريرك يوسف ضرغام الخازن. ولكن بتاريخ ١٣ آب ١٨١٦ قررّ المجمع الشرقي بعض التنظيمات، أبرزها توزيع المطارنة على

الأبرشيات، وتحديد أماكن إقامتهم، والغاء جميع الامتيازات المعطاة للمشايخ الحبيشيين والخازنيين. وكلّف السمعاني تسليم رسائل لهاتين الاسرتين، وإبلاغهما التدبير الجديد، كما سلّم رسالة بهذا المعنى الى الامير بشير على سبيل الاطلاع.

وعلى صعيد الصراع القيسي - اليمني، والاصطدامات الدامية التي حصلت على مدى أربع وثلاثين سنة كان الموارنة في أغلبيتهم الساحقة يميلون الى الفريق القيسي، وعلى رأسهم آل حبيش وآل الخازن آملين عودة الامير فخر الدين الى الحكم بعد ان كانت جيوشه انهزمت أمام الجيوش العثمانية، واقتيد من ثم الى الأستانة. وفي سنة ١٦٣٦ حصلت موقعة بين القيسية واليمنية في مرحاتا قرب بكفيا قتل فيها الشيخ أبو فارس ابن حبيش.



الشيخ شاهين طالب حبيش ياور السلطان
(من كتاب آل حبيش)

آل حبيش ولاة غزير

في سنة ١٦٨٠ ولّى الأمير أحمد المعني الشيخ طربيه حبيش والشيخ أبا شديد سيف حبيش على غزير وما يليها ، وأعطاهما صكّاً. وقد امتاز الشيخ طربيه بنفوذه الواسع وباتصالاته وحبه للدين وتشييده للأديرة والكنائس، فقد بنى من ماله الخاص كنيسة مار الياس غزير مع الدير، ووقف لها عقارات كثيرة في جوارها. وقد تمّ البناء سنة ١٦٨٩، كما بنى في قرية فتقا (كسروان) كنيسة على اسم مار يعقوب المقطّع. وفي سنة ١٧١٣ سلّم المشايخ أولاد طربيه حبيش دير مار الياس غزير للرهبان الانطونيين مقابل قفة صابون تعطى سنوياً هدية رمزية للمشايخ المذكورين تثبيتاً لملكيتهم.

استمر الرهبان في تقديم هذه الهدية الرمزية حتى سنة ١٩٤٣ تاريخ اعمال تحديد وتحرير بلدة غزير. فنشأ خلاف بين الفريقين على الملكية فصلت فيه المحاكم في حينه.

انقرضت السلالة المعنية بوفاة الأمير أحمد المعني في دير القمر بتاريخ ١٥ أيلول ١٦٩٧، دون عقب، فاجتمع أعيان المناطق، واختاروا مكانه ابن أخته الأمير بشير الشهابي(وهو من الأمراء الشهابيين السنيين في وادي التيم). وما إن تم الاتفاق على إسناد الإمارة إلى بشير الشهابي،

حتى تدخلت الأستانة على الفور وأمرت بأن ينصّب الأمير الصبي حيدر الشهابي مكان جده الأمير فخر الدين، على أن يكون وكيلاً عنه في الحكم نسيبه بشير حتى يبلغ سن الرشد. وهكذا تسلّم الأمير بشير التزام المناطق الدرزية وكسروان حتى وفاته مسموماً عام ١٧٠٦. فخلفه الأمير حيدر وهو في الحادية والعشرين من العمر. وفي العام ١٧١٠ عزل الأمير حيدر بدسائس، وأرسل بشير باشا والي صيدا جيشاً لمحاربته، وذلك بالاتفاق مع الدروز اليمنيين، ففرّ إلى غزير واعتصم هو وعياله بالمشايخ آل حبيش. فقاتل المشايخ بنو حبيش الباشا قتالاً شديداً، وقاتل معهم، الأمير حيدر وأصحابه. وثبتوا من الصباح إلى الظلام مع قلة عددهم.



الشيخ فؤاد حبيش الأديب والصحافي
(من كتاب آل حبيش)

في مغارة فاطمة

ولما دخل الظلام انفضّ الحبيشيون إلى نواحي طرابلس، ونهض الأمير حيدر بأصحابه إلى جهة الهرمل، واختفى في مغارة فاطمة التي في سفح جبلها. ولما خلت غزير من المانع (كذا) دخل إليها العسكر عند السحر فنهبها وحرق محلاتها وتركها بلاقع مقفرة. ورجع العسكر الى دير القمر. وقد أرّخ أحد الشعراء هذه الهجمة على غزير بالقول:

«نكب الحبيشيون أعظم نكبة ... لما أغار عليهم الجمع الغفير
هذا جزاء من زاد في طغيانه ... فلأجل ذا أرّختها ندمت غزير»

وقد وصف الأب بطرس ضو تفاصيل هذه المعركة في الجزء الرابع من **تاريخ الموارنة** ص ٤٠١ بما يأتي: «هذه المعركة وإن لم تنته وفق المرغوب توضّح قوة بني حبيش العسكرية، الذين وحدهم مع بعض مرافقي الأمير حيدر، صدّوا عسكراً جراراً وافراً زحف على غزير للقبض على الأمير حيدر

شهاب. ومنعوا العسكر من دخول المدينة وهزموه إلى البحر وأهلكوا منه «جماعة وافرة» ولو كان أنجد الحبيشيون لكان قضي على العسكر المهاجم تماماً. هذه المعركة وان تلاها خراب غزير فإنها أنقذت حياة الأمير حيدر الذي عاد إلى المسرح الحربي والسياسي عام ١٧١١، وانتصر على أبي هرموش وحلفائه وجيش الدولة العثمانية في موقعه عين دارة الشهيرة.

ولما خرج الأمير حيدر من مخبأه، وظفر باليمنيين بعد معركة عين دارة وراقت الأحوال، رجع المشايخ الحبيشيون إلى غزير، وأخذوا في ترميم دورهم بحجارة سرايا العسافيين. وقد بقي من الحبيشيين أفراد في عكار، وسلالتهم تعرف هناك بالمشايخ بني حبيش، وآخرون استوطنوا اللاذقية، ويعرفون باسم آل الحبيشي».

حبيشيو عكّار

أما حبيشيو عكار فهم من سلالة الشيخ يوسف بونصّار حبيش حتى غزير، وكانت دار سكنهم الأصلي في غزير بالقرب من قصر حسن شهاب في الزار. وبعد هجرتهم الى عكار لحق بهم نسيبهم الشيخ شمسين حبيش ليعيدهم الى غزير، فأبوا بعد أن تزوجوا واستقروا هناك. وفي القبيات (عكار) تكاثر هذا الفرع وهاجر قسم منه إلى القارة الأميركية حيث تبوأ بعضهم مراكز إدارية وعسكرية مهمة، ولا سيما في الأورغواي والبرازيل. ومن هذه العائلة حالياً المحامي هادي حبيش، نائب في «كتلة المستقبل النيابية» عن منطقة عكار، وهو ابن الموظف الإداري الكبير فوزي حبيش.

أما حبيشو اللاذقية فيعرفون هناك بآل الحبيشي، اعتنقوا المذهب الأرثوذكسي لعدم وجود كنائس مارونية وأكليروس ماروني. فتكاثر نسلهم وأصبحوا أصحاب جاه وأملاك واسعة. منهم الأطباء والصيادلة والمهندسون والمحامون والسياسيون. ومنهم الشيخ خليل الحبيشي الذي شغل منصباً مهماً في عهد الانتداب، وكان من المطالبين بالسيادة والاستقلال. ترك اللاذقية، وسكن بيروت مع عائلته، وتوفي فيها عام ١٩٥٥.

وفي سنة ١٧١٢ أعطى الأمير حيدر شهاب الرهبان الكبوشيين سراي الأمراء العسافيين في غزير بواسطة المشايخ الحبيشيين. فبنوا فوقها ديراً باسم مار فرنسيس. وفي العام ١٩٣٦ كان للحبيشيين دور في المجمع الماروني الذي انعقد في دير اللويزة. فوافقوا على نصوص قانون المجمع، وترى عليه توقيع بعض الحبيشيين. مشايخ غزير الآتي ذكرهم: يوسف حبيش (رئيس دير مار جرجس – علما. أصبح في ما بعد مطراناً ورئيساً لأساقفة صيدا شرفاً). ومنهم: نصّار أبو جنبلاط حبيش، وشديد سيف حبيش، وباز شديد حبيش، وصادق مظفّر حبيش، ويوسف حبيش، ونمر حبيش، ومنذر حبيش، ونصّار ياغي حبيش، وكيوان نصار حبيش، وياغي قنصوه حبيش، واسكندر باز حبيش.

مشاهير من آل حبيش (رجال دين)

المطران يوسف ياغي حبيش

هو يوسف بن ضاهر بن يونس بن سليمان بن حبيش، أبصر النور في ساحل علما سنة ١٦٧٥. في سنة ١٧١٨، بعد اتمامه بناء دير القديس جرجس ـ علما، رقي الى الدرجة الكهنوتية. وفي العام ١٧٥٦ عيّن مطراناً شرفاً على مدينة صيدا. ومما يروى عنه أنه خرج يوماً من ديره فلاقاه متسول فقير واستعطاه، ولما لم يكن يحمل شيئاً من النقود عمد الى ردائه ودفعه للفقير. ولما وصل الى الدير سألته الرئيسة عن الرداء فأجابها أعطيته يا أختي للمسيح. توفي في أول شباط ١٧٧٠.

البطريرك يوسف حبيش

هو ابن الشيخ جوان بن نمر بن ياغي بن فرح بن بولس بن سليمان حبيش. ولد في ساحل علما في ٢٣ نيسان ١٧٨٧. تلقى علومه في مدرسة عين ورقة. رقي الى درجة الكهنوت في ٢٦ حزيران ١٨١٤ ثم الى أسقفية طرابلس في ٣٠ كانون الثاني ١٨٣٠. انتخب بطريركاً في ٢٥ أيار ١٨٢٣، وهو في سن الخامسة والثلاثين، وهي سن لم تكن تجيز له أن يكون بطريركاً وفقاً لقانون المجمع اللبناني. ولكن استصدر له إذن من قداسة البابا، فأثبت قداسته انتخابه. من مآثره: جعل من دير بكركي بعد ترميمه مقراً شتوياً للبطريركية، وهو الذي بني دير الديمان، وجعله مصيفاً للبطاركة... توفي في ٢٣ أيار ١٨٤٥ في دير الديمان. ودفن في كنيسة قنوبين مع بعض أسلافه البطاركة.

المطران فيلبوس حبيش، رئيس أساقفة حماه (١٧٩١-١٨٥٨)

هو نقولا ابن الشيخ جوان بن نمر شقيق البطريرك يوسف حبيش. وأمه ظريفة ابنة الشيخ ياغي ابن جنبلاط حبيش. ولد في قرية ساحل علما ١٧٩١. دخل مدرسة عين ورقة في عهد المطران يوسف اسطفان. سامه كاهناً المطران انطوان الخازن. عينه البطريرك يوحنا الحلو مديراً لشؤون دير حراش. وفي سنة ١٨٣٦ استدعاه أخوه البطريرك يوسف حبيش وأقامه رئيساً على دير مار جرجس. رقاه شقيقه الى مركز الأسقفية في ١٨ آذار ١٨٤١ وجلّاه باسم فيلبوس. توفي في ٨ شباط سنة ١٨٥٧.

الخوري اسطفان حبيش

كان من الشخصيات الفذّة في عهد الأمير بشير الثاني الكبير. هو من تلامذة روما، أرسله البطريرك يوسف حبيش الى روما وكيلاً مفوضاً له أمام المجمع المقدس. وحين رجوعه الى لبنان

التحق بالأمير بشير الشهابي فكان مرشداً روحياً له ولزوجته الأميرة حسن جهان. ولما نفي الأمير الى مالطة ومنها الى اسطمبول كان الخوري اسطفان برفقته، وهو الذي حرر وصيته ولازمه حتى وفاته. توفي في الجيّة سنة ١٨٦٢.

مشاهير من آل حبيش (رجال دنيا)

الشيخان يوسف وشاهين طالب حبيش

هما شقيقا الخوري اسطفان طالب حبيش. كانا من كبار موظفي الأمير الشهابي ومعاونيه. كان يوسف أحد أعضاء اللجنة المكونة من زعماء لبنان والتي شكلها فؤاد باشا المفوض السلطاني للبحث في منشأ فتنة ١٨٦٠ وأسبابها وتحديد مسؤولية كل من زعمائها وإنزال القصاص بهم، واقتراح ما يجب إدخاله من تعديلات على نظام جبل لبنان كما أقرّته الدول في سنتي ١٨٤٢و١٨٤٥. توفي ١٨٦٣.

الشيخ شمسين حبيش

كان من قادة الثورة التي اندلعت في أواسط شهر حزيران عام ١٨٤٠.

خليل حمزة حبيش

هو أحد أصحاب السيوف القاتلة في ذلك العهد اشترك في معارك كثيرة بجانب الأمير خليل ابن الأمير بشير شهاب الكبير. وأهم هذه المعارك التي شارك فيها معركة: «جسر السن» التي جرت سنة ١٨٣٣ بين الأمير خليل وبين الطائفة النصيرية، وكانوا عصاة على الحكومة المصرية، وانتصر عليهم واسترد البيرق. أعجب الأمير بشير ببطولة حمزة وقبله قائلاً له: عفاك يا ابو محمود أطلب ما تريد. فطلب الشيخ خليل إعفاء بلدته غزير من دفع الميرة. فاستجاب الأمير طلبه، وعيّنه حاكماً على منطقة الزاوية في شمال لبنان. توفي سنة ١٨٨٠.

الشيخ شديد معتوق حبيش

من المقاتلين ضد الجزّار في نابلس، وسجل انتصاراً باهراً في معركة عجه بقيادة عبد الله شهاب.

الشيخ بطرس شمسين حبيش

نسيب الشيخ معتوق حبيش، وقاتل معه ضد الجزار في نابلس. عيّن مديراً على جبيل ونواحيها الساحلية.

شرفان حبيش

هو ابن الشيخ ابراهيم بن شديد بن حمزة بن كسروان بن طالب حبيش شقيق المشايخ ملحم وشديد بك قنصل عام الدولة العثمانية في باريس، ونعمان بك القائمقام والمدعي العام الاستئنافي في عهد المتصرفية. لبس الثوب الكهنوتي على الرغم من حداثة سنه (١٤ سنة) قتل في الأحداث الطائفية ١٨٦٠.

حيدر حبيش

هو ابن نقولا بن حيدر بن خالد بن فارس بن سليمان بن فرج بن يزبك بن طاهر بن سليمان حبيش. قضى زهرة شبابه في البذخ واللـهو والملذات. ولد في ٣١ أيار ١٨١٥. أصبح راهباً يسوعياً وصار يعرف باسم الأخ الفونس. توفي في دير القمر في الأحداث الطائفية التي حصلت آنذاك (١٨٦٠).

الشيخ غالب حبيش

هو ابن سليمان بن أسعد بن الشيخ طربيه حبيش كان بارعاً في اللغة العربية، والسريانية والتركية والفارسية. وكان يحسن علم الطب. وقد اشتهر بجودة الخط. وتشهد له بذلك مخطوطاته القديمة. وظفته الحكومة مدرساً أول في مدارسها الرسمية في مزرعة كفرذبيان ١٨٧٦ وفي مدرسة رعشين ومدرسة غزير، في العام ١٨٨٤ ارسلته الدولة العثمانية مدرساً للغة العربية والتركية في الاردن. توفي سنة ١٨٩١.

الشيخ اسكندر بك حبيش

هو ابن الشيخ يوسف بن طالب حبيش. ولد في غزير سنة ١٨٢٤. درس الحقوق في اسطمبول. في العام ١٩٦٣ استدعاه داود باشا متصرف جبل لبنان ومنحه لقب بك، وجعله رئيساً للقلم العربي. ثم نصّبه مديراً على جبيل، ثم دعاه المتصرف الثاني فرنكو باشا وقلده رئاسة

مجلس المحاكمة الكبير سنة ١٨٦٩و١٨٧٠. نقل أيام المتصرف رستم باشا الى مديرية عبيه. توفي في ١٧ تشرين الاول ١٨٨٦.

الشيخ يوسف يعقوب حبيش

أتقن اللغة الفرنسية اتقاناً بالغاً. عيّن رئيساً للقلم الأجنبي في متصرفية جبل لبنان. سافر الى مصر حيث شغل وظيفة رئيس دائرة أملاك الدولة. وضع قاموساً فرنسياً ـ عربياً كان الأول من نوعه، اشترك مع داود بركات، رئيس تحرير **الاهرام** بوضع رواية **افريقيا**. من مؤلفاته أيضاً: **الفرائد الأدبية**، في اللغتين العربية والفرنسية. توفي في القاهرة عام ١٩١٥.

الشيخ أسد حبيش

ولد في غزير. سافر الى اسطمبول حيث تابع دروسه الجامعية فيها. ونال شهادة الحقوق. عيّن رئيساً للقلم التركي في عهد نعوم باشا. توفي في حدث بيروت، ودفن فيها سنة ١٩٠٨.

الشيخ طالب بك حبيش

هو الابن البكر للشيخ شاهين طالب حبيش ولد عام ١٨٤٤ وتوفي سنة ١٨٩٩. دخل المدرسة الحربية في اسطمبول وتخرّج فيها برتبة «قول اغاسي». بعد تخرجه من المدرسة الحربية ألحق بالسلطان عبد العزيز بصفة ياور أي مرافق. صحب السلطان في رحلاته لزيارة ملوك أوروبا ونال عدة أوسمة رفيعة . عاد الى لبنان فشغل فيه مناصب إدارية منها مديريات نواحي جبيل وجونية.

الشيخ علوان بك حبيش

هو الابن الثاني للشيخ شاهين طالب حبيش ولد في غزير سنة ١٨٤٧. تقلب في عهد المتصرفية بمناصب عسكرية بصفة ضابط (برتبة ملازم أول مرافق للمتصرف داود باشا. توفي عام ١٩٠٦.

الشيخ يوسف عباس حبيش

ولد في غزير، وتلقى علومه عند الآباء اليسوعيين. شغل منصب مدير ناحية، ثم أصبح زعيماً سياسياً. انتخب عضواً في مجلس الإدارة في عهد المتصرفية. عاش عازباً، توفي في غوسطا سنة ١٩٣٩.

الشيخ شديد بك حبيش

هو ابن الشيخ ابراهيم شديد طالب حبيش. ولد في غزير ١٨٤٥. تلقى علومه عند اليسوعيين ومن رفاقه البطريرك الياس الحويك. دخل السلك الخارجي للدولة العثمانية، وأصبح قنصلاً عاماً لهذه الدولة في عدة عواصم أوروبية. عيّن قنصلاً في المجر ١٨٧٥ وفي فيينا ١٨٧٩ وفي الجبل الاسود، واليونان وفي نابولي ١٨٨٧. هو الذي اهتمّ بتحنيط جثة البطل اللبناني يوسف بك كرم. عاش عازباً، وتوفي في بيروت سنة ١٩٢٠.

نعمان بك حبيش

هو شقيق شديد بك حبيش من مواليد ١٨٧٥. مجاز في الحقوق من اسطمبول. تولى أعلى المناصب في عهد المتصرفية. عيّن قائمقام على البترون ثم جزين. استدعاه يوماً المتصرف مظفر باشا وطلب منه الحكم على أحد كبار الموظفين وكان قد احاله على القضاء. فأجابه على الفور: «يا دولة المتصرف انك تمون على وظيفتي وليس على ضميري، تفضّل هذه هي استقالتي». فأوفد المتصرف المرحوم حبيب باشا السعد ليقنعه بسحب الاستقالة والبقاء في القضاء، ولكنه رفض واستقال فعلاً. توفي في غزير عام ١٩٤١.

المونسنيور اسطفان حبيش

هو اسكندر بن الشيخ ملحم ابراهيم حبيش. ولد في غزير عام ١٨٦٨. تعلم فن التصوير في مدينة روما. وكان من رفاق الرسام الشهير حبيب سرور. عاد إلى لبنان ودخل مدرسة مار يوحنا مارون في بلاد البترون، وسيم كاهناً باسم الخوري اسطفان. عيّن رئيساً لكهنة مار جرجس في بيروت، فاعتذر، وفضل الرجوع إلى غزير لخدمة كنيسة أجداده «سيدة الأبراج» وكان مرشداً لاخوية الشبان الغزيرية. توفي في ١٣ تموز ١٩٢٢.

الشيخ يوسف اسكندر حبيش

هو النجل الأكبر لاسكندر بك حبيش. ولد عام ١٨٦٦. شغل في مطلع شبابه منصب مدير لبلاد جبيل بعد وفاة والده واستقال بعد قليل. انتخب رئيساً لمجلس بلدية جونية. توفي في جونية عام ١٩٢٥.

اليوزباشي الشيخ رشيد اسكندر حبيش

هو الابن الثاني لاسكندر بك حبيش ولد في غزير سنة ١٨٦٨. تقلّب في مناصب عسكرية

وإدارية عالية. في الحرب الكونية الأولى عيّن مديراً للسجون في جبل لبنان، ومديراً لفتوح كسروان. توفي في العاملتين في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٧ ودفن في سيدة الابراج في غزير.

الشيخ بديع حبيش

هو الابن البكر للشيخ طالب بك حبيش. ولد في سنة ١٨٧٧ وتلقى دروسه في معهد عينطورة. استدعاه المتصرف مظفر باشا ليكون مرافقاً له برتبة ملازم ثان في الجندية اللبنانية. اختلف مع المتصرف. استقال وسافر الى لندن ومن ثم الى باريس حيث استقر فيها. استدعته الحكومة اللبنانية كسائر اللبنانيين الذين هم على الاراضي الفرنسية للالتحاق بالفرق الأجنبية، عقب اندلاع الحرب العالمية، لم يعط المنصب الذي يستحقه، فاستقال ورجع إلى لبنان ١٩٢١. توفي في ٢٨ تشرين الاول ١٩٢٨.

الشيخ فريد حبيش

أديب وشاعر ولد في غزير عام ١٨٨٥. هاجر الى مصر والتحق بشركة مياه القاهرة بوظيفة عالية، وبجانبها زاول الشعر ومهنته الصحافة. له عشرات المقالات في الصحف والمجلات. توفي عام ١٩٥٦.

الشيخ خليل نعمان حبيش

ولد عام ١٨٨٥ وتلقى علومه عند اليسوعيين. سافر الى باريس لإكمال علومه. ونال شهادة الدكتوراه في العلوم والادب، ثم عاد الى لبنان والتحق بالبنك العثماني في بيروت. عاون السيد جورج فيسيه في تحرير جريدة **لاسيري**. وكانت مقالاته تنشر باسم مستعار(سرحان). توفي عازباً في بيروت عام ١٩٥٨ ودفن في غزير.

الشيخ وديع طالب حبيش

ولد عام ١٨٩٠. تلقى علومه في عينطورة، نفته السلطات التركية في مطلع شبابه الى «أنقرة» مع بعض رفاقه من الساسة اللبنانيين. رجع بعد الحرب. وعيّن مديراً لبلاد جبيل. شغل منصب قائمقام بالوكالة. توفي في ٩ أيلول ١٩٥٩.

الشيخ فؤاد حبيش

ولد في غزير عام ١٩٠٤. تلقى علومه في مدرسة المزار في بلدته، وفي مدرسة الحكمة،

وبعدها انتقل الى مصر حيث أتم دروسه في المدرستين: المارونية والعلمانية الفرنسية. ذهب الى دمشق، ودخل المدرسة الحربية. عاد الى بيروت وانصرف كلياً الى الآدب والصحافة. فكتب وأنشأ العديد من الصحف والمجلات. تولى تحرير مجلة **الوطن** لصاحبيها ميشال أبو شهلا وميشال زكور. أسس مجلة **المكشوف** كما أسس الى جانبها داراً صدر عنها عدة مجلات: **المدرسة، الراديو، الحرب الجديدة المصورة، الجندي اللبناني، الشرق العسكري، قرأت لك، السياحة والاصطياف**. له عدة مؤلفات أبرزها: كتابه **رسول العري**. توفي في ٧ شباط ١٩٧٣.

الكولونيل الشيخ حمزة حبيش

هو ابن الشيخ يوسف بشارة عبس حبيش والدته خازنية شقيقة الدكتور حنا الخازن. ولد في المكسيك، ثم انتقل الى الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الثانية. التحق بالجيش برتبة رفيعة، وعهد اليه بالمحافظة على قناة بناما. عيّن مديراً لمديرية الطيران المدني. رافق الرئيس كينيدي في رحلته الى المكسيك.

فوزي اسكندر حبيش

من مواليد القبيات ـ عكار ١٩٣٦ متزوج من تيريز ضاهر حبيش. أولاده: زياد، وهادي، ولينا. مجاز في الحقوق من جامعة القديس يوسف في بيروت ١٩٦٢، ويحمل شهادة تخصص في الإدارة العامة من الولايات المتحدة الاميركية وكندا ١٩٦٨. استاذ القانون الاداري في معهد الحكمة للحقوق في العام ١٩٩١. عيّن رئيساً لمجلس الخدمة المدنية ورئيساً للتفتيش المركزي عام ١٩٩٢. في العام ١٩٩٩ استقال من وظيفته وترشح للانتخابات العامة. انتخب نائباً عن محافظة الشمال (قضاء عكار) في دورة العام ١٩٩٦. عيّن وزيراً للثقافة والتعليم العالي في حكومة الرئيس رفيق الحريري في ١٧/ ١١/ ١٩٩٦. من مؤلفاته: **مبادئ الإدارة العامة** (١٩٧٧). **الوظيفة العامة وإدارة شؤون الموظفين، الإدارة العامة والتنظيم الإداري** (١٩٩١).

هادي حبيش

هو ابن فوزي حبيش من مواليد القبيّات ـ عكار ١٩٧٤. ترشح للانتخابات النيابية لدورة العام ٢٠٠٥ على «لائحة الوحدة الوطنية» المدعومة من «تيار المستقبل»، وفاز وهو أصغر نائب في البرلمان اللبناني.

المراجـع

١ ـ **آل حبيش في التاريخ**، تأليف خليل رشيد إسكندر حبيش، ١٩٧٨.

٢ ـ **تاريخ الأزمنة** للبطريرك اسطفان الدويهي. نظر فيها وحققها الأباتي بطرس فهد (د. ت)

٣ ـ «الأمراء العسافيون وآل حبيش» (مقالة للدكتور كمال الصليبي نشرها في ملحق **النهار** ـ العدد ٤٠ في ٥ كانون الثاني ١٩٧٠).

٤ ـ **تاريخ غزير السياسي والحضاري والاجتماعي** تأليف أنطون بطرس الخويري، بيروت، ٢٠٠٧.

٥ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل الخازن

الكتابة في تاريخ العائلة الخازنية والإحاطة به إحاطة شاملة كاملة يفرض الإطلاع على الأرشيف الخاص لهذه العائلة، وهو أرشيف ضخم موجود في بكركي، ودائرة المحفوظات الوطنية، وأديار الرهبانيات المارونية والكاثوليكية، وهو موزع عند بعض أفراد العائلة: الشيخ سليم الخازن في فاريا، والدكتورفيليب الخازن في جونية، والشيخ كلوفيس الخازن في عجلتون، والشيخ كسروان الخازن في النقاش، والشيخ سرحال الخازن في البوار. بالإضافة إلى مجموعة الشيخ حرب الخازن، وهي في الأصل أوراق الكونت حصن الخازن في درعون (بعض هذه الأوراق استعملها دومينيك شيفاليه، وفؤاد أفرام البستاني وأسد رستم ويوسف إبراهيم يزبك) وتوجد مجموعات صغيرة أخرى مثل مجموعة سيدة البشارة في زوق مكايل، وهو دير تسكنه راهبات محصنات. وهو وقف خازني.

ولما وجدت أن الإحاطة بهذا الأرشيف الواسع يتطلب سنوات من العمل البحثي الدؤوب، رأيت من المفيد أن أتوقف عند المعلومات الوافية والمحققة التي قدمتها مجلة **الأصول التاريخية** لمنشئيها: الأب بولس مسعد والشيخ نسيب وهيبة الخازن (وهي مجلة متخصصة في نشر الوثائق التاريخية). وفيها عرض شامل عن علاقة الأسرة الخازنية بتاريخ لبنان، منذ عهد السلاجقة والأيوبيين إلى عصر المماليك والفتح العثماني. وفيها نبذتان عن تاريخ الأسرة الخازنية، الأولى بقلم البطريرك بولس مسعد، وقد اعتمدتها، والثانية من قلم الشهيد فيليب قعدان الخازن. وجاء في تقديم النبذة الثانية: «أكدّ لنا العلامة الخوري لويس الخازن أن هذه النبذة هي من قلم الشهيد فيليب قعدان الخازن وضعها في أوائل هذا القرن وطبعها في مطبعة «الأرز» في جونية. والحق يقال إننا بعد مقارنة هذه النبذة بكتابات الشيخ الشهيد وجدنا أن الأسلوب واحد وطريقة التفكير واحدة وبما أن هذه الكراسة قد أصبحت نادرة فقد رأينا إحياء لذكرى الشهيد أن نعيد طبعها في هذا الكتاب».

أربع مخطوطات

وعرضت المجلة في جملة ما عرضت لأربع مخطوطات خازنية. الأولى عثر عليها الأب بولس

مسعد، في مدرسة القديس بطرس وبولس، وهي مدرسة خاصة تابعة لآل مسعد في عشقوت، لمؤلفها شيبان بن الياس بن نمر بن نوفل أبي ناصيف بن أبي نوفل الخازن، وليس شيبان الحكيم الذي مات بدون عقب. وهو ابن نور بن شيبان الأول. وناسخها والمعلق عليها زيادات هامة أنطون ابن غازان بن صخر بن فياض أبي قانصوه بن نادر أبي نوفل الخازن وقد انقرضت سلالته بابنه الشيخ قسطنطين بك. وقد عرفت هذه المخطوطة بنسخة بكركي (هذه المخطوطة نشرت بكاملها في المجلة المذكورة بعد أن قدم لها وحققها وعلق على حواشيها المؤرخ نسيب وهيبة الخازن).

والمخطوطة الثانية هي مخطوطة كفرذبيان، وجدت عند الشيخ صالح الخازن، وهي عبارة عن مسودة من أوراق الشيخ شيبان على ما يقول أحد المؤرخين المهتمين بتاريخ هذه العائلة.

والمخطوطة الثالثة هي مخطوطة غوسطا وجدت عند الشيخ يوسف أبي جبر الخازن.

والمخطوطة الرابعة هي مخطوطة بقعتوتة. وجدت عند الشيخ أمين فرنسيس الخازن مدير ناحية غوسطا سابقاً وقد استهلها بالقول:

من عرب النصارى

«المفهوم أن تاريخ عائلتنا الخازنية أنها طائفة من عرب النصارى بالحجاز من بني حسان (وقيل إن الصواب غسان) ومنهم مقري الوحش والبطل المشهور برفقة عنتر بن شداد، والامير قيس العبسي. والجد المعروف الذي تسللت منه العائلة إلى الآن يدعى نمر، ونمر هذا تولى الخزينة في زمن حكومة بني غسان ومن بعده ولده يوسف. وحين تولوا الخزينة الابن بعد أبيه لزمن طويل تلقبوا بالخازن. والقرية التي سكنوها دعيت باسم الخازنية (وهي خازنية بني غسان) التي أصبحت قرية كبيرة من عهد نمر الجد الأول المعروف عندنا، وبعده صارت ولاية كبيرة بهذا الاسم. وهذه النواحي اكتسحها المسكب سنة ١٤٤٨ حين توفي الملك وذلك بعد يوسف بن نمر الأول وفي سنة ١٤٥٠ بسبب الخوف الزائد الذي حصل بذلك الحين، انتقل نمر بن يوسف من الخازنية التي هي بإمارة بني غسان إلى الحولانية في حوران هو وأولاده الياس ويوسف وسركيس، وجرجس وابن أخيه يوحنا المسمى وهيبة وكان قد توفي والده في الخازنية كما مرّ. وأقاموا في تلك الناحية مدة ومنها رحلوا إلى جهات اليمونة ودير الاحمر ونحلة في بلاد بعلبك واقاموا هناك إلى سنة ١٤٧٥. رحل الياس وابن عمه وهيبة إلى جاج وذلك في زهرة دولة المقدمين في جبل لبنان كما يذكر البطريرك اسطفان الدويهي وابن عمه وهيبة توجه إلى بلاد عكار، وغانم بن وهيبة توجه إلى كسروان إلى قرية عجلتون».

«الياس تزوج في جاج على مريم ابنة المقدم الياس وجيه محله وبقي فيها نحو ٣٥ سنة وخلف سركيس والعازار. وقد توفي الياس. فسركيس بعد وفاة أبيه تزوج دعد ابنة رزق الله كبير حاقل وبقي في جاج وولد له إبراهيم. وفي سنة ١٥٤٥ رحل سركيس مع عائلته من جاج إلى قرية البوار ومنها إلى قرية صربا، ومنها رحلوا إلى مزرعة البلانة وأنطلياس، وفيها تزوج إبراهيم على صفية ابنة فارس الجميل، وولد له صقر وخازن وعبد الله وسليمان وخاطر. ومن أنطلياس نقلوا إلى

برج درج نهر الكلب، ومنها إلى مزرعة بلونة في كسروان حيث توفق إبراهيم من إخفاء الأميرين: فخر الدين ويونس ولدي الامير قرقماز معن، وتربيتهما كأولاده، ولم يفرقهما عن أولاده بشيء لا باللباس ولا بالكسوة وخلافهما. ودعا الأول فخر والثاني يونان إلى أن بلغا أشدهما وتولى الامير فخر الدين الإمارة وله من العمر اثنتي عشرة سنة، وكان نبيلاً وذكياً ومقداماً، وكريماً جداً. ولم يولد أحسن منه لا قبل ولا بعد. (هنا يذكر أن نصر ابن غانم وهيبة سكن في كسار عجلتون قرب بلونة. ولم يرد أكثر مما تقدم بشأنه وشأن سلالة وهيبة) أما عازار المار ذكره فمجهول. هل هو جد المشايخ بيت عازار حكام ناحية الكورة أو غير ذلك كما هو معروف عندهم حيث يقولون إن تاريخ عائلتهم يذكر أنهم وبيت الحنا والخوازنة كانوا عائلة واحدة في نحلة، فانتقل حنا إلى الحصن وتولى حكومته ومن بعده ولده موسى ولم تزل كنيتهم موسى الحنا وحنا الموسى. وعازار توجه إلى الكورة وصاروا بيت عازار حكاماً على ناحية منها كما سبق. وعازار هذا لم يعرف له نسب أو أنه توفي بدون عقب».

نبذة أحمد أبو سعد

أما الدكتور أحمد أبو سعد، فيقول في مادة خازن في **معجم أسماء الأسر والأشخاص، ولمحات من تاريخ العائلات** نقلاً عما كتبه الشيخ شيبان الخازن باسم **تاريخ المشايخ الخوازنة** وهو محفوظ في بكركي أنهم طائفة من عرب النصارى، غسانيو الاصل، كان لهم شأن في بلاد حوران وتولوا عام ١٣١٠ على أذرعات (درعا) وتوابعها وأقاموا هناك حتى السنة ١٤٤٠، وبعدها انتقلوا من بلاد حوران إلى ضواحي بعلبك ودير الاحمر واليمونة وأقاموا هناك زهاء خمس وثلاثين سنة ثم انتزحوا عام ١٤٧٥ إلى قرية جاج بجبل لبنان، وكان ممن انتزح معهم ابن عمهم وهيبة الذي أقام معهم في جاج زهاء سبعين عاماً. وفي السنة ١٥٤٥ زايل الخوازنة هذه القرية وشخصوا إلى كسروان بقيادة جدّهم الشدياق سركيس الخازن الذين يتخذون أصلهم منهم (توفي سنة ١٥٧٠) أما ابن عمهم وهيبة فذهب إلى بلاد عكار، وبقي ابنه غانم مع أبناء عمّه وانتقل معهم إلى كسروان. وهناك انتشرت ذرية بني الخازن في قرى عجلتون وسهيلة وعشقوت وغوسطا وغادير وغيرها (راجع **أصدق ما كان في تاريخ لبنان** (الصفحات ٢٤ ـ ٢٧) والعينطوريني، **في المشرق** ٤: ٨٣٤).

ويضيف الدكتور أبو سعد: «في قرية البوار سكن الشدياق سركيس الخازن حين شخص مع أبناء اسرته إلى كسروان، ثم انتقل منها وسكن مزرعة بلونة في أرض قرية عجلتون. وفيها صار له مال وبنون، وظفر هو وأسرته بالنعمة من أمراء بيت معن بسبب أن أحد أبنائه خبأ ولدي الأمير قرقماز (فخر الدين ويونس) عنده حين هرب قرقماز من وجه إبراهيم باشا المصري، وهكذا ما إن عاد المعنيون إلى استلام الولاية حتى اتخذوا بعض أبناء الخازن كواخي عندهم، ثم ولوهم بعد بضع سنين بلاد جبيل والبترون وغيرها من البلاد التي امتد إليها حكمهم. وبعد انقضاء عهد المعنيين وتولي الشهابيين الحكم لم يتغير شيء على الخازنيين، بل بقوا كواخي عند الشهابيين

أيضاً، وظلوا كذلك من حاكم إلى حاكم حتى استحقوا بسبب تعاونهم أن يتحرر لهم من بيت شهاب «الأخ العزيز» ويشيخوا (انظر العينطوريني في **مختصر تاريخ جبل لبنان**).

نبذة البطريرك مسعد

وجاء في النبذة التي كتبها البطريرك بولس مسعد، وهو من كبار النسّابة، وكانت له معرفة وثيقة «بتاريخ هذه العائلة التي عايشها وكانت له علاقات معها بحكم موقعه الديني من جهة ومجاورته لها من جهة أخرى. وكثيراً ما اتهم بأنه وقف ضدّها حين اندلعت ثورة الفلاحين بقيادة طانيوس شاهين: «إن العائلة الخازنية الشريفة يقول البطريرك تتخذ أصلها من الشدياق سركيس الخازن الماروني. فهذا الرجل الشهير كان مستوطناً في قرية تدعى جاج من معاملة جبيل في جبل لبنان. ولاجل صروف الزمان وتقلباته بارح وطنه المذكور ١٥٤٥ وسكن مع أولاده أولاً في قرية البوار الكائنة في الفتوح بالقرب من كسروان. ثم انتقل من المحل المذكور إلى قرية تسمى بلونة في أرض عجلتون في ارض كسروان، وفيها وطدّ سكناه مع أولاده الذين من جملتهم أبو سقر إبراهيم وأبو صافي رباح إذ كان حاكماً الامير منصور بن عساف التركماني في غزير. وقد أحسن الشدياق سركيس وأولاده الموما إليهم سلوكهم بهذا المقدار، حتى استمالوا إليهم مودة الجميع وكانوا عندهم بمنزلة عظمى من الاعتبار».

ويتابع البطريرك: «وفي سنة ١٥٨٤ إذ كان الأمير قرقماس حاكم بلاد الشوف، هرب من وجه إبراهيم باشا والي مصر إلى مغارة ما في بلاد الشوف ومات فيها عن ولدين صغيرين هما الامير فخر الدين والامير يونس. وقد كانت البلاد وقتئذ منقسمة إلى غرضين قيسي ويمني. كانت نسب والدة هذين الاميرين والشيخ كيوان الماروني الذيّ كان كاخية عند زوجها الامير قرقماس ومتقلداً تدبير أعماله، لاختشائهما من وقوع غدر ما على هذين الأميرين الصغيرين من الغرض اليمني، قد خبآهما عند أولاد الشدياق سركيس الخازن المشار إليه. أولاً لأنهم من الغرض القيسي. ثانياً لاشتهارهم بالأمانة والتقوى. ثالثاً لبعد محلهم عن الشوف. فلا تقع عليهم الشبهة ولئن كانوا قيسية لوجودهم في كسروان محل ولاية بن عساف اليمني. فأولاد الشدياق سركيس الخازن قد اقتبلوا في محلهم الأمير فخر الدين والأمير يونس المذكورين، واحتفظوا عليهما كدرّة ثمينة، وربوهما أحسن تربية وثقفوهما تدريجاً بكل ما يلزم لحال مقامهما. وفي هذه الفترة كان الذلّ مستولياً على الغرض القيسي ولم يكونوا يتظاهرون بشيء مخالف للغرض اليمني لخلوهم من سند يعضدهم. وكان الغرض اليمني يظن بأن آل معن قد انقرضوا بالكلية، ولم يبق منهم بقية بعد موت الامير قرقماس معن المذكور.

الغرض القيسي

ولكن لما شب الأمير فخر الدين وأخوه الأمير يونس، وصارت بهما الأهلية لمعاطاة الأحكام وبلغ

ذلك أولي الغرض القيسي وعقدوا الروابط الموصلة إلى الغاية فتظاهر هذان الأميران للوجود، وأحدهما الامير فخر الدين تولى الحكم على بلاد الشوف واستخدم عنده المشايخ بني الخازن وأقام أحدهم الشيخ خازن المكنى بأبي نادر ابن إبراهيم بن الشدياق سركيس كاخية له ومدبراً لاعماله كأنه شريك له في الحكم. لان الشيخ خازن هذا كان ذا سطوة وبأس وموسوماً بالحكمة والفطنة. فبحسن تدبيره ومزيد درايته وحكمته قد عظم أسهم الأمير فخر الدين وكبر شأنه ومقداره، حتى أمتد حكمه إلى بلدان كثيرة في جبل لبنان، والانطيليبان (السلسلة الشرقية) وخارجاً عنها. ومن جملتها بلاد كسروان وبلاد جبيل، والبترون وجبة بشري وطرابلوس مع باقي إيالتها لحد المرقب».

إلى بلاد توسكانا

«وفي سنة ١٦١٢ التزم الأمير فخر الدين لأجل أسباب موجبة أن يتوجه إلى بلاد توسكانا من أعمال إيطاليا لمحل الغراندوكا، والي توسكانا ويوكل أخاه الامير يونس في الحكم فجعل مناظراً عليه وشريكا له بمعاطاه أحكام البلاد الشيخ أبي نادر الخازن الموما إليه. وبعد برهة من الزمان أرسل الأمير يونس المذكور الشيخ خاطر المكنى بأبي رحال الخازن إلى توسكانا مصحوباً إلى أخيه فخر الدين بها يخبره عن أحوال أهل البلاد ويمدح له من حسن معاطاة الشيخ أبي نادر الخازن واجتهاده في المهام المقتضية. ثم إن الامير يونس المذكور ارسل الشيخ ابا نادر الخازن إلى كسروان ليكون متعاطياً بذاته إدارة أحكامها كمقاطعة خصوصية له، وبجعل سكناه في غزير. وأما الامير فخر الدين فبعد أن أقام في توسكانا خمس سنين رجع إلى بلاد الشوف سنة ١٦١٧، وإظهاراً لحظوظيته من أعمال الشيخ أبي نادر الخازن ووفاء لصدق الخدمات التي قد أبداها في الحضرة والغيبة، في كل ما به تشييد أموره وامتداد سطوته، فقد أثبت موطداً له ولنسله مقاطعة كسروان التي تبتدىء من نهر الجمعاني وتنتهي إلى المعاملتين، وفوّض إليه إدارة أعمالها. وعدا ذلك فقد ولاه على بلاد جبيل والبترون والمرقب مدة توليه عليها. وقيل عن الشيخ أبي نادر الخازن أنه وقتئذ بنى قلعة المسيلحة لاجل محافظة الطريق ومنع كل تعدي».

«ثم في سنة ١٦٢١ ولاه الأمير فخر الدين أيضاً على جبة بشري بمشاركة عمه الشيخ أبي صافي الخازن. وجعل مقدمي البلاد تحت تدبيرهما. فشرع الشيخ ابو نادر الخازن بمعية باقي المشايخ اقاربه يجدّون بعمار بلاد كسروان مقاطعتهم وبترقية أحواله على نوع أخص. ويقيمون به كنائس واديرة ويقدمون لها أوقافاً، ويحامون عن الاكليروس ويتغايرون على نمو الديانة الكاثوليكية المقدسة في كل محل اتصلت إليه سطوتهم في جبل لبنان وخارجاً عنه حتى اشتهر اسمهم شرقاً وغرباً».

الشيخ أبو نادر

«وكان للشيخ أبي نادر ابن يدعى الشيخ نادر المكنى بأبي نوفل. فهذا كان ذا عقل ثاقب وتدبير

صائب وله خبرة عجيبة في إدارة الأحكام كأنه متربّ في أوروبا كما يشهد له مؤرخو أوروبا أنفسهم. وكان والده الشيخ أبو نادر يستند عليه في كل أمر ويقلده المشاغل المهمة بالحضرة والغيبة في كل محل مختص بحكم ابن معن. وتارة يرسله نيابة عنه لقضاء المهام اللازمة في إيالة طرابلس وغيرها بخدامة الامير حسين ابن الأمير فخر الدين. ويقيم بها مدات طويلة وكان ينفذ في كل أمر بحسن تدبيره، ولئن كان الأمر مشكلاً ومستعصياً كما هو مشهور عنه نقلاً وتاريخاً. وأكثر الآونات كان يجعل سكناه في قلعة أسمار جبيل الكائنة في بلاد البترون. وعندما عرضت سنة ١٦٣٠ زلزلة على القلعة المذكورة وعطلتها، ومات بسببها ولده الشيخ نوفل الأول ووالدته امرأة الشيخ أبو نوفل التي كانت من العائلة الحبيشية، ففي سنة ١٦٣١ جدد بناءها الشيخ أبو نوفل الخازن المذكور».

في مغارة جزين

«وهكذا بواسطة حسن تدبّر الشيخ أبي نادر الخازن وابنه الشيخ أبي نوفل ومساعيهما الحميدة حازت جميع البلاد كمال الرفاهية والراحة. ومع ذلك فالغرض اليمني ما زال ينصب خفية المكامن للأمير فخر الدين، ويقدم به وشايات لطرف الدولة العلية. ولذلك السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٣ أمر كجك أحمد أن يجرد العساكر ويلقي القبض عليه. فحضرت العساكر من الشام وقدم جعفر باشا قبطان البحر في الأغربة فالتقته بالترحاب السيفيلية (أي حزب آل سيفا حكام كسروان سابقاً) وجميع أصحاب الغرض اليمني. وأما الأمير فخر الدين لما اعتلم بذلك، وكان دائماً يجتهد ويجتنب قتال العساكر التي تكون من طرف الدولة العلية فاختبأ حينئذ هو وأولاده الصغار وكاخيته الشيخ أبو نادر والشيخ أبو صافي الخازن في مغارة جزين. وأما الأمير حسين ابن الأمير فخر الدين بما انه كان وقتئذ في بلاد المرقب وبمعيته كاخيته الشيخ أبو نوفل الخازن فاحتمى كلاهما في قلعة المرقب. فحضرت عساكر الدولة إلى نواحي الشوف وغيرها من البلاد، ونهبوا وقتلوا وتولوا على القلع التي أمكنهم التولي عليها، ومسكوا الامير حسين المذكور وكاخيته الشيخ أبا نوفل المرقومين وأرسلوهما إلى حلب. وبعد بلوغهما إليها، فالشيخ أبو نوفل فرّ هارباً منها بسلامة إلى جبل لبنان. ثم ولوا الأمير علي بن علم الدين اليمني على بلاد الشوف. وانعكفوا إلى مغارة جزين حيثما كان مختبئاً الامير فخر الدين وخواصه، ولما لم يمكنهم أخذها بقوة الحصار فشرعوا ينقرون ظهر صخر المغارة حتى بلغوا أخيراً إلى الموجودين فيها فكجك أحمد عند ذلك أوثق الامير فخر الدين وأولاده الذين كانوا بمعيته وكاخيته الشيخ أبا نادر وسار بهم مسروراً إلى الشام. وبعد وصولهم أرسلوا الامير فخر الدين وأولاده إلى اسلامبول. وفي نيسان سنة ١٦٣٥ أمر السلطان بقتله وقتل أولاده وكان عمره يومئذ ٥٢ سنة».

وأما الشيخ أبو نادر الخازن فكفله الأمير علي اليمني وأخرجه من قلعة الشام ورجع إلى لبنان. وإذ كان حدث هذا التغيير بالاحوال، و«تبشللت» أمور البلاد ووقع الضبط على ارزاق كل من كان مختصاً بآل معن. ففي السنة المذكورة عينها توجه الشيخ أبو نادر الخازن وبمعيته ولده الشيخ أبو

نوفل نادر الخازن وأخوه الشيخ أبو خطار إلى توسكانا لمحل الغرندوكا والي توسكانا. وبعد سنتين رجعوا إلى جبل لبنان، وتظاهر الامير ملحم ابن الأمير يونس معن أخي الأمير فخر الدين، وقد كان ارتفع الضبط عن أرزاق المنتمين إلى آل معن وقبل الجميع عن أرزاق المشايخ بني الخازن وتمكنوا في مقاطعتهم كسروان وبإدارة أعمالها بموجب أوامر علية.

وفي تموز سنة ١٦٤٧ كانت وفاة الشيخ أبي نادر الخازن كاخية الأمراء آل معن وحافظ سرهم. وبوفاته لبس شعار الحزن الشديد والاكتئاب المزيد، ليس فقط المنتمين إلى صداقته بل الحائدين عنها لانه كان يجتهد دائماً في أن يجعل الجميع يقرون بالمنونية لمعروفه وجميله، وكان يحب العفو عن أعدائه.

وتخلف بعده في حكم كسروان وبالكوخنة عند الأمراء آل معن ابنه الشيخ أبو نوفل نادر المومى إليه، فازداد غيرة ومكارم على والده واشتهر بالسطوة والمروءة في كل أمر. وأكثر اعتنائه بتشديد الديانة الكاثوليكية ونموها في الأقطار الشرقية قاصداً بذلك إعطاء النموذج الكامل لكامل أبناء ذرّيته جيلاً بعد جيل».

«وكان الشيخ أبو نوفل الخازن سنة ١٦٥٨ قد استورد مال عكار والجبة والبترون وقدمته بحسب التعهد إلى الدولة التي لم تكن تثق إلا بتعهده في مثل هذه الأحوال لتأكيدها صدقه في وفاء العهود. وبهذه السنة توفي الأمير ملحم معن وخلفه في حكم البلاد الأمير أحمد والأمير قرقماس وأيدا الأمير علي ابن الأمير فخر الدين معن. فكان الشيخ أبو نوفل الخازن متسلماً تدبيرهما ومتعاطياً أمور البلاد كما كان على عهد سلفيهما».

معركة برج بيروت

«وفي سنة ١٦٦٠ التي بها صيدا مقرّ باشوية، فبوسيلة اليمنية حصل ضيق على الأمير قرقماس (الذي مات مقتولاً في سنة ١٦٦٢ من محمد باشا والد صيدا) والأمير أحمد من المذكورين، وعلى كواخيهما المشايخ بيت الخازن وباقي القيسية، من حريق حاراتهم ونهب أموالهم وقطع أشجارهم.

ولكن سنة ١٦٦٧ وقعت معركة شديدة ما بين الغرض القيسي والغرض اليمني عند برج بيروت، وكانت الكسرة على اليمنية فولوا مدبرين إلى الشام. ورجع الأمير أحمد تولى على بلاد الشوف والغرب والجرد والمتن وكسروان. والمشائخ بيت الخازن قائمون بخدامته ومتعاطون تدبير أعماله وأحكام مقاطعة كسروان على الخصوص وبرؤوس جميعهم الشيخ أبو نوفل الخازن».

«وكان للشيخ أبي نوفل الخازن» - والكلام لا يزال للبطريرك مسعد - «ثمانية أولاد وهم: فياض المكنى بأبي قانصوه، ونوفل الثاني المكنى بأبي ناصيف، وخازن الذي مات بغير ولد، وخاطر، وطربيه، وبنصر، وسليمان وقيس. فالشيخ أبو نوفل المومى إليه قسم مقاطعة كسروان عليهم وهو حي، وتصرفوا بإدارة أحكامها كتصرف والدهم. ومنهم اتصلت إلى كامل أبناء ذريتهم خلفاً عن سلف، بنوع أن لجميعهم حقاً متساوياً بمقاطعة كسروان دون تمييز واحد من الآخر».

«وبعد ذلك في ١٣ آب ١٦٧٩ توفي الشيخ أبو نوفل نادر بن خازن بن ابراهيم بن الشدياق سركيس الخازن المدوح الذكر الذي فاق أهل عصره في الغيرة والمروءة والمكارم. فحزن الجميع لفقده. وقد خلفه أولاده بالتقدم عند الامير أحمد معن وبتدبير اعماله كما كان والدهم. وقد ماثلوا والدهم الشيخ أبا نوفل وجدهم الشيخ أبا نادر الخازن، وباقي المشايخ أقاربهم في كل عمل جميل، ولاسيما بإظهار الغيرة على نمو الديانة الكاثوليكية والمحاماة عنها وعن الاكليروس بهذا المقدار حتى أن كثيرين من اكليروس الطوائف الكاثوليكية: كالملكيين والأرمن والسريان قصدوا السكنى في مقاطعتهم كسروان، ليستظلوا تحت كنف حمايتهم هرباً من اضطهاد أعدائهم لهم. فاقتبلهم المشايخ بنو الخازن بكل مودة، وكانوا يفرّجون عن ضيقاتهم ويقدمون لهم محلات في كسروان للسكنى وأرزاقاً لمعيشتهم، كما كان الشيخ أبو نادر وابنه الشيخ أبو نوفل الخازن يقتبل المرسلين اللاتين الذين في أيامهم وطدوا سكناهم في كسروان».

«ثم عندما في سنة ١٦٩٣ تغلث خاطر الدولة على الأمير أحمد معن لحادثة ما، وتولى الأمير موسى اليمني المقاطعات السبع المختصة بالأمير أحمد معن وأمرت أن تجمع عليه العساكر بوطا عرموش في البقاع، وحضر عليهم الشيخ حصن ابن الشيخ فياض أبي قنصوه ابن أبي نوفل الخازن مع باقي المشايخ القيسية. فحصل للشيخ حصن المذكور قبول زايد عند درسن محمد باشا التفتجي وبحسب رجائه لديه أمر بأن لا تدخل العساكر كسروان وتسليمه. وليس هذا فقط، بل إن أرسلان باشا فوض الشيخ حصن الخازن الأمر على بلاد جبيل ليستوفي من أهاليها ما كان عندهم من المال ويسعى براحة البلاد. فالشيخ حصن أتمّ المأمورية بكل اجتهاد وأحمى في البلاد كل من التجأ إليه من أمراء وعامة بني قيس. ثم قد تشرف الشيخ حصن الخازن المذكور بقنصلية فرنسا كما ابنه الشيخ نوفل أيضاً. وأما الأمير أحمد معن إذ كان اختبأ من وجه العساكر، فلم يتظاهر إلا بعد خمسة أشهر حينما حضر له خط شريف عفو نامه من السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وحينئذ رجع إلى مقام حكمه والمشايخ بيت الخازن ملازمون خدمته».

«وفي أيلول سنة ١٩٩٦ توفي الأمير أحمد معن بغير ابن، وفيه انتهت ولاية آل معن، وقد خلفهم في حكم البلاد الأمراء آل شهاب وأولهم الأمير بشير شهاب الذي توفي سنة ١٧٠٦».

مغر عزرائيل

«ثم الأمير حيدر الذي هو جد جميع الأمراء الشهابيين الموجودين الآن في جبل لبنان. فهذا الأمير لما قامت عليه اليمنية وولوا مكانه الامير يوسف علم الدين، فهرب واختفى في مغر عزراييل الكائنة في الهرمل وأرسل عياله إلى محلات المشايخ الخوازنة الذين أخفوهم في بعض قرى كسروان، وكانوا يقدمون لهم كل ما يلزمهم ويرسلون إلى الامير حيدر المذكور الذخائر وينجدونه بالتدابير والآراء السديدة. وفي ذاك الغضون أرسل الأمير يوسف اليمني المرقوم أربعين فارساً حوالية الخوازنة في طلب الاموال الميرية. فوجه الشيخ نادر بن خاطر بن أبي نوفل الخازن رسالة فرفع الحوالية عنهم، وصار له قبول زايد عند الأمير يوسف المذكور. وبعد سنة من حكمه تظاهر الأمير

حيدر الشهابي المشار إليه في المتن وأرسل إلى القيسية ومن الجملة المشايخ الخوازنة فحضر إليه منهم الشيخ سرحان بن نوفل المكنى بأبي ناصيف الخازن برجاله من كسروان لمحاربة اليمنية. وثارت نار الحرب حنيئذ في عين دارة التي في مقاطعة الجرد فانكسرت اليمنية من وجه القيسية. (كان ذلك في سنة ١٧١١)».

«وبعد هذه الغلبة رجع الأمير حيدر الشهابي المذكور. تولى على حكم البلاد، وأثبت المشايخ الخوازنة على مقاطعتهم كسروان، وأطلق لهم ولباقي مناصب البلاد كتابة «الأخ العزيز» وكان للمشايخ الخوازنة عنده التقدم وكانوا أصحاب مشورته».

«وفي سنة ١٧٣١ توفي الامير حيدر في دير القمر وتولى بعده حكم البلاد ابنه الأمير ملحم. وكان المشايخ الخوازنة على عهده متعاطين إدارة مقاطعتهم كسروان كجاري عوايدهم، وكانوا عنده مسموعي الكلام ومرفوعي المقام».

«وفي سنة ١٧٥٥ ترك الامير ملحم الولاية وسلمها إلى أخيه الأمير منصور برضى مناصب البلاد الذين من جملتهم المشايخ بيت الخازن. فأخذ الأمير منصور هذا بتعاطي الاحكام، ونصب كاخية له ومدبراً لاعماله الشيخ أسد المكنى بأبي أنطون بن سليمان بن ابي نوفل الخازن. وكان المشايخ الخوازنة عنده باعتبار كلي، وهم على ايامه متعاطون إدارة مقاطعتهم كسروان كمألوف عادة سلفائهم».

«وفي سنة ١٧٧١ ترك الأمير منصور الولاية للأمير يوسف ابن أخيه الأمير ملحم برضى مناصب البلاد الذين من جملتهم المشايخ بيت الخازن. فشرع الأمير يوسف يدير البلاد بأحكامه، وجمع لخدمته كل من كان عند عمه الامير منصور ومن جملتهم المشايخ الخوازنة الذين حازوا عنده كل عزازة وما زالوا على ايامه يتعاطون إدارة مقاطعتهم كسروان كالسابق. وكان الأمير يوسف يتعاطى معهم في كل أمر مهم. وهم ملازموه في حالة السراء والضراء. وقد ولى الامير يوسف المذكور أحدهم الشيخ رامح بن حيدر بن قيس بن قيس أبي نوفل الخازن على ثلاث قرى في بلاد جبيل والبترون، وهي لحفد وجاج وترتج وجعلها مقاطعة خصوصية له ولم يتخلفه من ذريته من المشايخ الخوازنة. ولم يزل أبناء ذريته متولين على هذه القرى الثلاث التي هي مقاطعتهم الخصوصية للآن».

«في سنة ١٧٩٢ (وفي رواية أخرى ١٧٩٠) مات الامير يوسف المذكور مشنوقاً في عكا من أحمد باشا الجزار، وحكم البلاد بعده الامير بشير بن الامير قاسم بن الأمير عمر بن الامير حيدر الشهابي المشار إليه».

أسئلة وتحفظات

إلى هنا تتوقف النبذة التي كتبها البطريرك بولس مسعد (١٨٥٤ ـ ١٨٩٠) عن العائلة الخازنية. وقد بدا لي أنه توقف غير طبيعي، الامر الذي أثار لدي بعض التحفظات والأسئلة، وهي تحفظات وأسئلة هامة شكلت محطات رئيسية في تاريخ لبنان والطائفة المارونية. منها:

- إغفال البطريرك الحادثة التي حصلت في وادي قنوبين سنة ١٧٠٤ مع البطريرك

اسطفان الدويهي، وإقدام عيسى حمادة على إهانته. وكيف ترجعت أصداء هذه الإهانة في كسروان. وكيف جهز الشيخ حصن الخازن عسكراً، وبعث أخاه الشيخ ضرغاماً ومعه اثنان من أبناء عمه، وهما الشيخ موسى طربيه والشيخ نادر ابن خاطر ترافقهم جموع غفيرة وهموا بالفتك بالمعتدين. فنهاهم عن ذلك البطريرك، على اعتبار أن الشيخ عيسى عاد واستغفر من البطريرك، والبطريرك غفر له. فجاءوا به من دير قنوبين إلى كسروان، حيث أمضى بضعة أشهر، عاد بعدها إلى مقره في قنوبين.

- إغفال البطريرك عامية أنطلياس الشهيرة، فلم يأت على ذكرها بشيء وعامية أنطلياس حصلت في العام ١٨٤٠ حين فاجأت الجيوش المصرية الديار الشامية، يومذاك اجتمع أهالي لبنان على اختلاف مذاهبهم، من إسلام ودروز ونصارى ومتاولة في أنطلياس، للاتفاق على محاربة الجيوش المذكورة إظهاراً لإخلاصهم للدولة العثمانية. وكان في مقدمة الجماهير الشيخ فرنسيس أبو نادر الخازن، فانتخبوه قائداً لهم، ولقب سر عسكر النصارى، وطلبوا من الامير بشير ألا يستوفي منهم إلا مالاً واحداً، وأن يعين في ديوانه اثنين من كل طائفة من الطوائف الموجودة في حكومته، وأن يرفع السخرة والتشغيل كرهاً في المعادن الفحمية والحجز عن الصابون. فانضم إلى الشيخ فرنسيس أبناء عمه وأخلصوا الخدمة للدولة.

- حركة طانيوس شاهين ١٨٥٨ وثورة الفلاحين على المشايخ الخوازنة وطردهم من بيوتهم، ونهب أرزاقهم، وضبط غلالهم، وقتل بعض أفرادهم، ومن ثم لجوؤهم إلى بيروت وعودتهم منها بعد سنتين. هذه الحركة تجاهلها البطريرك مسعد تجاهلاً مطلقاً في نبذته كأنها لم تكن. والسؤال المطروح: لماذا؟ من كان وراء هذه الحركة؟ من شجع الفلاحين على القيام بحركة التمرد التي قاموا بها؟ هل صحيح أن الكنيسة المارونية كانت من المحرضين على قيامها؟ هل كانت حركة داخلية صرفة أم أن لها أبعاداً خارجية فرنسية بريطانية أو عثمانية أو سواها؟

القوى العظمى

لا بد من الإقرار بأن الاحتلال المصري لسورية أفضى إلى تدخل القوى العظمى في الشؤون السياسية في لبنان، كما أدى إلى دخول بضائع أوروبية كثيرة إلى الأسواق اللبنانية، وإلى تسويق السلاح الذي دخل بطرق غير مشروعة عن طريق التهريب. وعلى صعيد الداخل حصلت تغيرات تسببت في قلب النظام الاجتماعي التقليدي الذي كان قائماً في لبنان كلياً. التغير الأول تمثل ببروز الكنيسة المارونية كقوة سياسية، والتغيير الثاني كان في النظام السياسي الجديد الذي وضعه مترنيخ وهو نظام القائمقاميتين. والتغيير الثالث كان في تنظيم حركة الفلاحين الثائرة على الضرائب والتجنيد الإجباري.

لقد حصلت تغيرات لافتة في الكنيسة المارونية خلال هذه الفترة، إذ أصبحت منظمة وغنية، وعلى الأخص في أواسط القرن الثامن عشر، وبدأت تلعب دوراً مهماً على عهد الأمير

بشير الشهابي الثاني. ولعل انتماء اثنين من أعضاء هذه الأسرة (الشهابية) سنة ١٧٥٦ إلى الدين المسيحي والطائفة المارونية بالذات هو خير دليل على أهمية الانتماء إلى هذه الكنيسة. ولم يكن الامر مقتصراً على عضوين شهابيين، بل تبعهما آخرون حتى ازداد نفوذ البطريرك الماروني على الأسرة الشهابية، غير أن هذا الدور السياسي لم يتبلور ويخرج إلى العلن إلا في أوائل القرن التاسع عشر.

هنري غيز

وكتب هنري غيز حوالى العام ١٨٥٠ أنه كان في جبل لبنان ثلاثة أنواع من الملكية، أهمها ممتلكات الأمراء والكنيسة. وفي هذا السياق جاء ترتيب المشايخ في الدرجة الثانية. ممتلكات الكنيسة كانت توازي ممتلكات الأمراء حكام المناطق، وتفوق ممتلكات أي شيخ.

وثمة أمر آخر أفادت منه الكنيسة، وهو أن أراضي «الوقف» كانت معفاة من الضرائب فيما اليد العاملة مؤمنة في الكنيسة نفسها. فكان الرهبان الشبان يقومون بأعمال الحراثة. ولما كانت الكنيسة المارونية الحليف التقليدي لفرنسا، فقد ازدادت قوة ونفوذاً في الشأن الدنيوي. كان البطريرك الماروني عام ١٨٤٢ قوياً إلى مدى كان يستطيع فيه أن يقف في وجه الحاكم العثماني عمر باشا النمساوي، ويفضح المنشورات التي كان يوزعها وهي تغرر الناس بحكمه، وكان ينهى الموارنة عن التوقيع عليها.

حرب أهلية

في العام ١٨٤٥ برزت مشكلة تتعلق بالسكان المختلطين في نظام القائمقاميتين. هناك شخص ماروني يعيش في قائمقامية درزية غير راض عن وضعه لمن يكون ولاؤه؟ الحاكم العثماني قرر أن يكون ولاؤه للقائمقام الدرزي، ومثله الشخص الدرزي الذي يعيش في قائمقامية مسيحية يجب أن يكون ولاؤه للقائمقام المسيحي. لكن البطريرك الماروني رفض هذا القرار، ووجه رسائل إلى المسيحيين يحضهم فيها على عدم إطاعة الأمراء الدروز، الأمر الذي أنتج حرباً أهلية. تدخل العثمانيون لوقفها تحت ضغط القوى الخارجية. عندها وصل إلى لبنان وزير الخارجية العثماني شكيب أفندي لتسوية وضع القائمقاميتين، ووضع نظاماً بقي ساري المفعول حتى العام ١٨٦٠. وفقاً لمشكلة المقاطعات المختلطة، أمر كل قائمقام بتأليف مجلس يضم نائباً للقائمقام وقاضياً، ومستشاراً من كل من الطوائف: الأرثوذكسية والمارونية الكاثوليكية والسنية والدرزية، وكان للشيعة مستشار فقط. ونيط بهذه المجالس:

١ - تحديد الضرائب وجبايتها.

٢- الاستماع إلى الشكاوى القانونية.

وكان يحق لكل طائفة أن تختار عضواً منها لترؤس الجلسة.

(نص هذا التنظيم مثبت في مجموعة المحررات السياسية عن سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠ إلى ١٩١٠ ـ الجزء الأول ـ جونية ١٩١٠).

في هذه الفترة أتيح للفلاحين، ولأول مرة، لعب دور فعال في السياسة، إذ تحقق ذلك بفضل التنافس الذي كان قائماً بين بشير الثاني الحاكم (١٧٨٨ ـ ١٨٤٠) والإقطاعيين. وقد حاول كل طرف استغلال الفلاحين لإضعاف خصمه. ففي عام ١٨٢٠ عندما طلب الوالي العثماني عبد الله باشا من بشير الثاني أن يجبي ضريبة باهظة من فلاحي جبل لبنان، ثار أهالي المتن وكسروان بتحريض من حسن وسلمان شهاب نسيبي الأمير الحاكم فلم يستطع الأمير الشهابي أن يقمع هذه الثورة إلا بعد سنة اختار خلالها المنفى إلى مصر (عامية لحفد نموذج).

وفي كسروان عندما رفع الفلاحون شكواهم إلى الأمير من كثرة دفع الضرائب إلى الخازنيين اهتم الأمير بشير بشكواهم، ووجه رسالة إلى المشايخ حدّد فيها القيمة الواجب عليهم جبايتها من كل قرية والمبلغ الواجب عليهم أن يدفعوه إليه». (دومينيك شفاليه).

وفي مرحلة لاحقة سنة ١٨٥٧ وفي كسروان أيضاً انقسمت أسرة الخازن على نفسها في القائمقامية المسيحية، وأخذت كل مجموعة تدفع فلاحيها إلى تنظيم أنفسهم، وتقديم عرائض تؤيد فيها هذا الطريق أو ذاك (أنطون ضاهر العقيقي، **لبنان في آخر سنوات الإقطاعية ١٨٤٠ إلى ١٨٦٠**).

الفلاحون في معترك السياسة

وهكذا دخل الفلاحون معترك السياسة. وقد لعب الاكليروس دوراً مهماً في جمع الفلاحين وإبعادهم عن أسيادهم الإقطاعيين. ثم إن تدخل القوى العظمى في شؤون لبنان أثر إلى حد بعيد في أسرة الخازن. ومع انقراض فرع الأسرة الذي كان يقوم بوظيفة قنصل فرنسا في بيروت فقد الخازنيون الحماية الأجنبية التي تمتعوا بها على امتداد أربعة أجيال. كما أن عداءهم المتزايد للكنيسة المارونية التي كانت تحظى بدعم فرنسا الكامل، زاد من التباعد بينهم وبين فرنسا. وفي العام ١٨٥٨ عندما ثار الفلاحون في كسروان ضد الإقطاعيين طلب الخازنيون المساعدة من فرنسا، فلم يلقوا أذناً صاغية، لأن فرنسا كانت تساعد الكنيسة، وهذه بدورها تساند الفلاحين. وبعد أن قضي على الثورة لجأ طانيوس شاهين إلى القنصلية الفرنسية حيث وجد الحماية (**الأصول التاريخية**، الجزء الأول ـ ص ٣٤٦) «**عندما** حاول الخازنيون التوجه إلى البريطانيين، غير أن هؤلاء لم تكن تعنيهم كثيراً قضية الإقطاعيين الموارنة، فقد كانوا منغمسين جداً مع الدروز، فأدار السفير البريطاني أذنه الصماء لمطالب الخازنيين في لحظات كانوا بحاجة إليها».

واللافت في هذه القضية، أن الفلاحين تنادوا عشية ثورة كسروان ١٨٥٨ وطلبوا اجتماعاً بآل الخازن لإجراء مصالحة. فما كان من المشايخ خلال هذا اللقاء إلا أن وجهوا تهديدات

قاسية إلى الحاضرين، ملوحين بطردهم من أرضهم وبقتل بعضهم، فيما تكلم الآخرون بلطف وأعلنوا أن واجبهم كحراس يمنعهم من القيام بأعمال شنيعة. (المصدر: أنطون ضاهر العقيقي: **لبنان آخر سنوات الإقطاعية**).

على الرغم من أن النظام الإقطاعي كان في طريقه إلى السقوط بفعل عوامل اجتماعية عديدة، إلا أنه كان بإمكان الخازنيين أن يكون مصيرهم أفضل لو أنهم تفهموا هذه المتغيرات واستطاعوا التأقلم معها. ولو أنهم تفاهموا مع الكنيسة، وحافظوا على دعمها ودعم فرنسا، ولبوا مطالب الفلاحين قبل فوات الأوان، لو فعلوا كل ذلك لما كان لثورة كسروان أن تحصل.

كان البطريرك بولس مسعد، وهو رأس الكنيسة المارونية آنذاك يدرك كل التفاصيل التي أحاطت بثورة الفلاحين في كسروان عام ١٨٥٨، كما كان يدرك الارتكابات التي حصلت بحق المواطنين الكسروانيين من قبل بعض المشايخ الذين لم يعودوا يقيمون أي اعتبار لرجالهم ولا حتى للقادة منهم. كانوا يعتبرون الفلاح وممتلكاته ملكاً لهم. وقد وصفهم بعض السياسيين البريطانيين آنذاك بأنهم أصبحوا «شديدي التمسك بامتيازاتهم الأرستقراطية».

شبه «غوغائية»

في اعتقادي أن البطريرك مسعد لم يشأ أن يعلن رأيه كتابة بهذه الحركة (حركة طانيوس شاهين) التي لم تدرس بعد دراسة موضوعية أكاديمية، لاقتناعه بأنها أصبحت حركة فوضوية شبه «غوغائية» إلى حد بعيد، وأنها ستجهض قبل أن تولد، مفضلاً إبقاء شعرة معاوية بينه وبين عائلة قدمت الكثير للطائفة المارونية ولغيرها من الطوائف الكاثوليكية الغربية ورعاياتها، وإلى غيرها من المؤسسات الكاثوليكية الشرقية، وتحديداً الملكيين الكاثوليك والسريان الكاثوليك والأرمن الكاثوليك الذين شيدوا الكنائس والأديار في كسروان. يشهد على ذلك على طول الطريق الممتدة من جونية صعوداً إلى بكركي، ومروراً ببزمار وغوسطا (أي مسافة بضعة كيلومترات) المراكز الكنسية والرهبانية الرئيسية للموارنة والكاثوليك والسريان والأرمن. ولقد تأسست جميعها ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

أما في الشأن الكنسي الماروني فلقد كان لآل الخازن مساهمات محورية. أوقاف العائلة على الطائفة المارونية عددها يفوق ١٠٥، وأوقافها على ذاتها عددها ٢٧ (٦ أديار و٢١ كنيسة) ولقد كان لآل الخازن الحق باختيار ثلاثة مطارنة لثلاث أبرشيات (بعلبك، دمشق، حلب) وبقي معمولاً بهذا الحق حتى أواخر القرن الثامن عشر. ولقد تحوّل هذا الامتياز إلى تقليد حراسة أبواب مجامع الأساقفة لانتخاب البطريرك الماروني. ومن العائلة أيضاً ثلاثة بطاركة (اثنان في القرن الثامن عشر وثالث في منتصف القرن التاسع عشر. وسبعة مطارنة. أولهم في منتصف القرن الثامن عشر وآخرهم في النصف الأول من هذا القرن. وكان من الخازنيين العديد من الكهنة والراهبات. ونشير إلى مسألة الراهبة هندية التي هزت الطائفة المارونية في القرن الثامن عشر ارتبطت في بعض أبعادها بوقف سيدة البزاز الخازني في ساحل علما.

مشاهير من آل الخازن (رجال دين)

أنجبت الأسرة الخازنية رجال دين ودنيا دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه. نذكر من رجال الدين:

البطريرك يوسف ضرغام الخازن

انتخب بطريركاً في ٢٤ شباط ١٧٣٣ . في أيامه انعقد المجمع اللبناني في دير سيدة اللويزة عام ١٧٣٦. توفي في ١٣ أيار ١٧٤٢.

البطريرك طوبيا الخازن

انتخب في ٢٨ شباط ١٧٥٦. توفي في عجلتون في ١٩ أيار ١٧٦٦.

البطريرك يوسف راجي الخازن

انتخب في دير ميفوق في ١٨ آب ١٨٤٥. أجرى صلحاً بين المشايخ الدحادحة والحبيشيين. وأنقذ تركة الشيخ بشارة جفال الخازن من مصادرة الأمير بشير شهاب الثاني. توفي في ٣ تشرين الثاني ١٨٥٤ في الديمان. ودفن في قبر الحبيشي.

المطران ميخائيل حرب الخازن

ارتسم أسقفاً على قيسارية في ١٥ تشرين الثاني ١٧٦٧. عين نائباً بطريركياً في ١٧ تموز مدة خمس سنوات طوال مدة توقيف البطريرك يوسف اسطفان. توفي عام ١٧٨٦.

المطران جرمانوس الخازن

سيم أسقفاً على دمشق عام ١٧٩٤ وعين قاصداً رسولياً على سوريا ولبنان. توفي عام ١٨٠٦.

المطران أغناطيوس الخازن

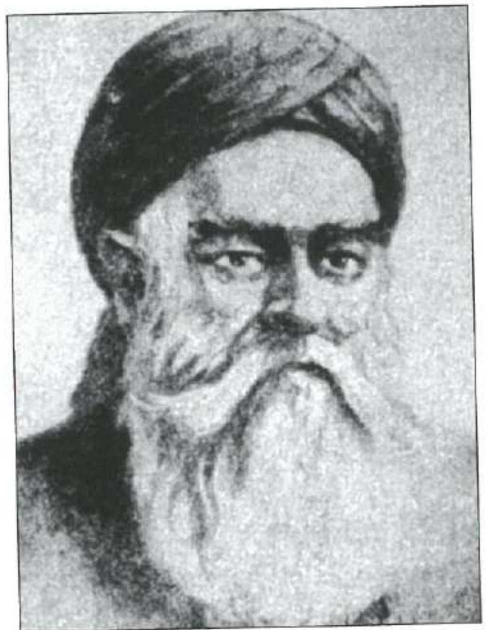
سيم أسقفاً على نابلس في ٢٩ حزيران ١٧٨٧. توفي في عجلتون ١٨١٩.

المطران اسطفان الخازن (الأول)

سيم أسقفاً عام ١٧٩٦. توفي في ٣١ كانون الاول ١٨٣٠.

المطران انطون الخازن

رسم أسقفاً على بعلبك. عرضت عليه البطريركية بإجماع المطارنة خلفاً للبطريرك يوسف حبيش، فرفضها زهداً وتحول الانتخاب إلى البطريرك يوسف راجي الخازن. توفي في ١٨ شباط ١٨٥٨.



الشيخ أبو نادر الخازن: قائد جيش الأمير فخر الدين
(من كتاب **دير القمر في ثنايا الزمن**)

المطران اسطفان الخازن (الثاني)

سيم أسقفاً على أبرشية دمشق في ٢ نيسان ١٨٤٨. توفي في ٨ كانون الاول ١٨٦٨ في مار موسى بلونة.

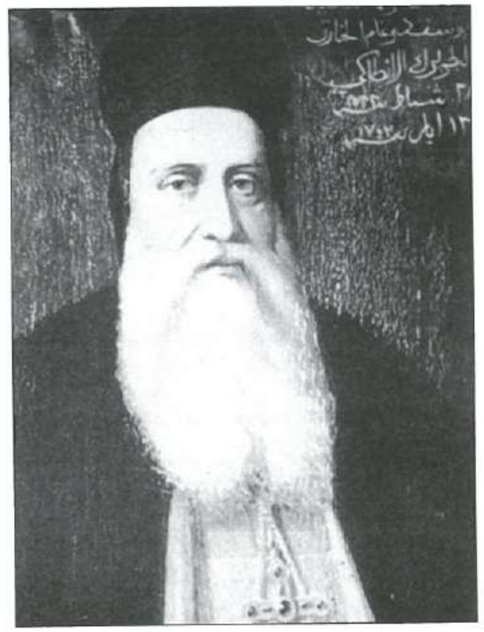
المطران يوسف شبل الخازن

سيم أسقفاً على عكا في رومية في ١٣ آب ١٩١٩، وتوفي في ٢٠ شباط ١٩٣٣ في دير البشارة.

مشاهير من آل الخازن (رجال دولة)

الشيخ أبو نادر

أبوه الشدياق سركيس وأمه صفية بنت فارس الجميل. تولى منصب مدير دائم لدى الأمير فخر الدين المعني الثاني وحافظ على المنصب بعد وفاة فخر الدين في ولاية الأمير ملحم. وتولى حكم كسروان وجبيل والبترون وبشري والمرقب وبيروت. اضطر أن يتوارى عن الأنظار عقب وفاة الأمير فخر الدين سنة ١٦٣٥. فسافر إلى إيطاليا فاستقبله غراندوق توسكانا فردينان الثاني حليف فخر الدين استقبال الأمراء. توفي في أول تموز ١٦٤٧.



البطريرك ضرغام الخازن
(من كتاب **دير القمر في ثنايا الزمن**)

الشيخ أبو نوفل

جدد بناء قلعة أسمر جبيل بعد أن دمرها الزلزال، وقتل فيها ابنه البكر نوفل. وأمه بنت الشيخ معتوق حبيش. عين مديراً ومستشاراً لدى الامير ملحم كما كان والده من قبل. في العام ١٦٥٥ عين نائباً لقنصل فرنسا في بيروت وثبته الملك لويس الرابع عشر في براءة مؤرخة في أول أيار ١٦٥٧. وقد ورثه في القنصلية: أبو قانصو فياض ١٦٧٩ - ١٦٩١ حصن بن أبي قانصوه ١٧٠٧ - ١٧٩١. نوفل بن حصن ١٧٥٣/١٧٠٨. توفي الشيخ أبو نوفل عام ١٦٧٩.

الشيخ أبو قانصوه الخازن

خلف والده في قنصلية فرنسا على بيروت عام ١٦٧٩. توفي في ٨ تشرين الأول ١٦٩١.

الشيخ حصن الخازن

هو ابن أبي قانصوه فياض. خلف والده في القنصلية في ١١ حزيران ١٦٩٧. توفي في ٢٦ تشرين الثاني ١٧٠٧.

الشيخ نوفل

ولد عام ١٦٨٧. طلب من الملك لويس الرابع عشر تعيينه خلفاً لأبيه في القنصلية. وهو في العشرين من العمر، فاستجاب الملك لطلبه وعينه في ٤ تموز ١٧٠٨.

بشارة جفال الخازن

تولى حكم كسروان من ١٨٠٨ إلى ١٨٢٢ بمساعدة الشيخ بشير جنبلاط. وكان قبلاً على علاقة طيبة بالأمير بشير شهاب، ولكن الأحوال تردت، لما حاول الامير حسن، شقيق الامير بشير أن يضيق مساحة كسروان، فتصدى له الخازنيون. وشد أزرهم جرجس باز.





الشهيدان فريد وفيليب قعدان الخازن
(من كتاب الأنساب للعائلة الخازنية)

الشهيدان الشقيقان فيليب وفريد قعدان الخازن

- فيليب ولد في عرمون عام ١٨٦٥. قاوم حكومة واصا باشا وزج في السجن، ثم أطلق سراحه. في ١٢ تشرين الأول ١٨٩٥ أصدر مع أخيه فريد جريدة **الأرز** في العام ١٨٩٦ سافر إلى فرنسا، وبعد عودته عين ترجماناً شرقياً لقنصليتها في بيروت. في العام ١٩٠٠ رافق الوفد الماروني إلى رومية وحظي بمقابلة البابا لاوون الثالث عشر. في العام ١٩١٢ اقترن بسليمة بنت الياس شيبان الخازن ورزق منها بصبي سماه كلوفيس. أعدم شنقاً مع أخيه فريد في ٦ حزيران ١٩١٦.

- فريد شقيق فيليب ولد في عرمون عام ١٨٦٩. سافر إلى رومية في وفد رافق البطريرك الياس الحويك ١٩٠٥. وحظي أيضاً بمقابلة البابا بيوس العاشر واستقبله أيضاً مع البطريرك السلطان عبد الحميد. اشترك في تحرير **الأرز** مع شقيقه وساهم في ترجمة **المحررات السياسية**. في ٣٠ حزيران ١٩١٣ اقترن بهند الخازن وحيدة الشيخ رشيد الخازن. في سنة ١٩١٦ أعدم مع أخيه شنقاً.

- قعدان الخازن: ولد في كفرذبيان عام ١٨٢٠. والده تولى زعامة عامية أنطلياس سنة ١٨٦٠ استدعاه فؤاد باشا وعينه حاكماً على حاصبيا وراشيا. في سنة ١٨٦١ عين قائمقام على جزين. توفي في ١٧ كانون الثاني ١٨٧٠.

داود عفيف الخازن

قنصل فرنسا انضم إلى رجال الثورة ضد الاحتلال المصري ١٨٤٠. وهرب إلى قبرص. فأعاده الأسطول العثماني عام ١٨٦٨. عين قائمقام على جزين، وكان قبلاً مدير إقليم الخروب.

فرنسيس أبو نادر وولده يوسف

هربا إلى قبرص بعد الثورة على المصريين وأعادهما العثمانيون. تولى فرنسيس حكم كسروان. وسنة ١٨٤٤ فصله الأمير حيدر وولى سواه. كان ميالاً إلى الإنكليز. وقد ورث ابنه هذه الصداقة وحافظ عليها. عين مديراً لجرود كسروان.



الشيخ يوسف سجيع الخازن: من أوائل الذين حذروا من الخطر الصهيوني (من كتاب الأنساب)

أمين كسروان الخازن

تولى قائمقامية جزين في مطلع عهد المتصرفية في أيام داود باشا.

نوفل وحصن قانصو الخازن

نوفل استدعاه واصا باشا وعينه قاضياً على بلاد البترون ونقل إلى جزين. استقال من الوظيفة ومارس المحاماة. توفي في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٠٥. أخوه حصن سافر إلى روما في آب ١٨٨٩. قابل كرادلة وملوكاً وأمراء. أنعم عليه البابا لاوون الثالث عشر لقب كونت. توفي في درعون بلا عقب ١٩١٢.

كسروان يوسف الخازن

ولد في عجلتون ١٧٧٢. وكان أديباً موهوباً. توفي في عجلتون ١٨٤٧.

رشيد صالح الخازن

ولد في غوسطا ١٨٣٩. استطاع الحصول على أمر بإعفاء كسروان من الضرائب الأميرية ١٨٤٢ على مدى ثلاثة أعوام. عين مديراً في الجنوب ثم نقل إلى مديرية جرود كسروان، ثم مديرية جونية، فمديرية زوق مكايل سنة ١٨٩٩ انتخب مع الشيخ كسروان الخازن لحراسة أبواب المجمع في انتخاب البطريرك الياس الحويك. توفي في جونية في ٧ نيسان ١٩٠٧.

رشيد كنعان بان الخازن

ولد في غوسطا في ١٠ شباط ١٨٤٣. عين حاكماً على كسروان في ١٤ شباط ١٨٥٦. تولى أيضاً قائمقاميات جزين وكسروان والبترون والمتن مدى ٣٥ سنة. توفي في ٣ تشرين الثاني ١٩١٢.

بربر فندي الخازن

عين مديراً لناحية الزوق. انتخب عضواً في مجلس الإدارة عن كسروان في عهد المتصرفية. انخرط في سلك الجندية وبلغ رتبة أميرالاي. تزوج من تريز ابنة غندور بك السعد.

الخوري منصور الخازن

ولد عام ١٨٣٨. أوقف لراهبات المحبة بيته الوالدي. توفي ١٩٣٢.

الأخت زبارة شبل الخازن

شقيقة المطران يوسف شبل الخازن. ولدت في ساحل علما ١٨٥٠. دخلت دير البشارة عام ١٨٦٧. انتخبت رئيسة في ٢٧ أيار ١٩٢٢. أوقفت على الدير ما أصابها من الإرث عن شقيقها المطران يوسف. توفيت ١٩٣٦.

يوسف سجيع الخازن

ولد في العام ١٨٧١ في سهيلة. درس في عينطورة والحكمة والجامعة الأميركية ومدرسة المزار في غزير. هاجر إلى مصر وعمل في الصحافة. أصدر جريدة «**الأخبار**» مع داود بركات ثم مجلة «**الخزانة**» ثم جريدة «**بريد الأحد**». في العام ١٩١٦ سافر إلى باريس وعمل في جريدة

«الطان» عاد إلى لبنان فعين عضواً في اللجنة الإدارية للبنان الكبير عام ١٩٢٠. انتخب نائباً عن الجبل ثلاث مرات: ١٩٢٢و ١٩٢٥و ١٩٢٩. أصدر جريدة **«الأرز»** ثم جريدة **«البلاد»**. صدر له كتاب باللغة الفرنسية حذر فيه من الخطر الصهيوني. توفي في روما عام ١٩٤٣ ونقلت رفاته إلى عجلتون حيث دفن.

فريد هيكل الخازن

ولد في غوسطا عام ١٨٩٤ انتخب نائباً عن كسروان عام ١٩٣٤ وظل انتخابه يتجدد حتى وفاته. توفي في ١٣ آب ١٩٤٨. وأقيم له تمثال في جونية.

خليل إبراهيم الخازن

ولد في غوسطا. دخل سلك الدرك عام ١٨٩٨ وبلغ رتبة أميرالاي. وكان صاحب نكتة سريع الخاطر. توفي في ١٩ تشرين الأول ١٩٦١.

الخور أسقف اسطفان الخازن

ولد في عجلتون في ٦ شباط ١٨٧٧. تولى رئاسة دير مار موسى بلونة خلفاً لعمه الخوري يوسف صقر الخازن. توفي في ٢٨ أيلول ١٩٥٤.

جميل سجعان الخازن

ولد في ريفون ١٨٩٦. عين مديراً عاماً لوزارة الأشغال. هو أول من فكر بشق طريق تصل كسروان بالمتن. توفي في ١٠ حزيران ١٩٥٧.

حنا ميلان الخازن

ولد في غوسطا عام ١٨٧٧. نال شهادة الطب من المكتب الفرنسي عام ١٩٠٢. كان وراء إنشاء مستشفى الجعيتاوي في الأشرفية. توفي عام ١٩٥٨.

الخوري بولس مسعود الخازن

ولد عام ١٨٨٥. تولى تحرير جريدة **«بيساريوني»** الإيطالية، وتحرير جريدة **«الأرز»** سنوات عدة. مارس المحاماة الكنسية حوالى عشرين عاماً. توفي في ٢٩ آذار ١٩٦١.

كلوفيس فيليب الخازن

ولد في شباط ١٩١٥. كان عمره سنة وأربعة أشهر لما استشهد والده. انتخب نائباً مرتين عن كسروان. تولى وزارة الأنباء عام ١٩٥٨. توفي في ٢٣ حزيران ١٩٦٣.

رشيد الخازن

ولد في غادير بكسروان في ١٩٣٥/١٢/٢٦ شقيقه هيكل رئيس بلدية جونية. ورث عن عائلته أملاكاً واسعة منها ٢٤٨ محلاً تجارياً في جونية. انتخب نائباً عن قضاء كسروان العام ١٩٩٢، أعيد انتخابه في العام ١٩٩٦. في ١٨ حزيران ١٩٩٩ أعلن اعتزاله السياسة، وأفسح في المجال أمام ابن شقيقه.

سليم الخازن

ولد في بلونة ١٩٠١. انتخب نائباً خلفاً للنائب فريد الخازن، ثم أعيد انتخابه في دورة العام ١٩٥١. توفي في ١٩٨٨/٧/٢٥.

فريد هيكل الخازن

ولد في غادير - جونية في ١٩٧٠/٩/١٣. فاز بالنيابة عن منطقة كسروان جبيل في ٢٠٠٠/٨/٢٧. عين وزيراً للسياحة في حكومة الرئيس عمر كرامي التي شكلها في ٢٠٠٤/١٠/٢٦.

فريد الياس الخازن

من مواليد كفرذبيان. دكتور في العلاقات الدولية من جامعة جونز هوبكنز الأميركية. أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأميركية - رئيس تحرير مجلة **«الأبحاث»** في الجامعة. انتخب نائباً عن دائرة جبيل - كسروان سنة ٢٠٠٥ على لائحة «الإصلاح والتغيير» التي يرأسها العماد ميشال عون.

نسيب وهيبة الخازن

ولد في عشقوت ١٨٩٦. في العام ١٩١٠ انتقل إلى مصر، ومنها إلى باريس حيث نال شهادة

الحقوق من السوربون. عين مديراً للقضايا المختلطة في الحكومة المصرية حتى تقاعده ١٩٥٦. أنشأ مع الآب بولس مسعد مجلة **الأصول التاريخية**. له عدة مؤلفات باللغة الفرنسية والعربية. توفي في ٢/٩/١٩٧٦.

المراجع

١ ـ **الأصول التاريخية** (المجلد الثالث)، عدد خاص عن «علاقة الأسرة الخازنية بتاريخ لبنان». حققه وعلق عليه نسيب وهيبة الخازن.

٢ ـ سيمون عواد، **دور الأسر في تاريخ لبنان ـ الخازنيون**، (د. ت).

٣ ـ **كسروان في التاريخ** للأب فيليب الخازن، بيروت، ١٩٧٠.

٤ ـ **كتاب الأنساب** للأب فيليب الخازن، بيروت، ١٩٦٢.

٥ ـ «أرشيف آل الخازن وأهميته في تاريخ لبنان» للدكتور فريد الخازن (مقالة نشرت في مجلة **دراسات** تصدر عن كلية التربية في الجامعة اللبنانية). عدد خاص ـ ٢٦ ـ ١٩٩٧.

٦ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل المرعبي

من هم المراعبة؟ أتركمان أم عرب أم أكراد؟

«المراعبة قوم أمجاد، وفرسان أجواد، وعلى ما قيل أن أصل شجرتهم الزكية، وسلالتهم السنية من بعض طوائف الاكراد الرشوانية، ومنازلهم بين مدينتي مرعش وبسنا (مدينتان في تركيا اليوم) وكان أهل بيتهم هم المقدّمين على باقي عشيرتهم. فقدم «مرعب» الذي هو جدّهم الأول ومعه بعض إخوته إلى الديار الطرابلسية، وكان ذا مال، فتقرّب إلى وزرائها في ذلك العصر. فمات أخو «مرعب» وبقي «مرعب» وحده. فطاب له المقام فيها إلى أن توفي بعد شهرته. فقام ولداه: داوود وناصر فاقتفيا أثر والدهما بالتقرّب إلى ذوي الصدور، وتوطّنا في سهول ديار عكار. فخلّف داوود أولاداً اشتهروا باسمه فقيل لهم: الدواودة. وخلّف ناصر أولاداً اشتهروا باسم أبي أبيهم فقيل لهم المراعبة. ومن أولاد ناصر شديد (المرعبي) الذي شاع ذكره بالفروسية والشجاعة».

شكوك حول النسب

هكذا عرّف المؤرخ الأمير حيدر الشهابي عن المراعبة في كتابه **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، وقد أخذ بهذه الرواية معظم المؤرخين لأنها أقدم رواية عن المراعبة، وربما تكون الوحيدة المتداولة. ونظراً الى معاصرة الشهابي لحكم المراعبة في أوج عظمتهم فقد ركن أكثرية المؤرخين لروايته وأخذ بها. وقد جعلهم الشهابي من «الاكراد الرشوانية» دون التأكد من ذلك ناسباً هذه الرواية إلى مجهول (على ما قيل) ونحن لا نشكك بمجمل ما جاء في الرواية. إذ قد تتضمن بعض الحقائق.. ولكن نسبتهم إلى الاكراد وتحديد فترة قدومهم تلك ما يزالان يشوبانهما كثير من الشكوك والريبة. وقد أخذ معظم المؤرخين رواية الشهابي هذه دون مناقشتها أو حتى التدقيق في صحتها وتمحيصها بشكل مقنع...ربّما بعدم أهمية الموضوع بالنسبة إليهم، باستثناء جرجي يني الذي ينفرد بالقول بأنّ أصلهم «تركمان» (مجلة **المباحث** عدد، ٢٠ سنة ١٩٠٩) دون توضيح ناسباً ذلك إلى قول أحد المراعبة».

المارد الأشقر!

والمراعبة أنفسهم يحفظون رواية شعبية خرافية تتحدث عن بطولة جدهم الكبير «مرعب» المارد الكردي الأشقر...! القادم من جبال هكاريا (منطقة جبلية في تركيا) منفياً من السلطات العثمانية بعد أن أتعبها وازعج الأمن في المنطقة، وكان اسمه: «شديد باي أوغلي».

ويقول الأب أغناطيوس الخوري نقلاً عن ما أسماه «تاريخ المراعبة المخطوط» أنّ مرعب من بيكات الأكراد من هكاريا. قدم إلى عكار في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة (القرن السابع عشر الميلادي) ومعه فريق من عشيرته وأقاربه، ونصب مضاربه في قرية «الشيخ جابر» في سواحل عكار. وكان أميراً خطيراً وشجاعاً فاشتهر أمره، وأجلّه ولاة طرابلس، ونفذ عندهم هو وأولاده.

عرب أقحاح

أمّا الدكتور فاروق حبلص فيؤكد أنّ المراعبة هم عرب أقحاح، وساق لذلك أدلّة متعدّدة. يقول الدكتور حبلص في كتابه **تاريخ عكار الإداري والاجتماعي والاقتصادي ١٧٠٠ ـ ١٩١٤** (صفحة ٢٨٤) ما يلي: «تضاربت الآراء حول أصل آل المرعبي، واختلف المؤرخون والبحّاثة في نسبهم. فروى بعضهم، بناء على ما قيل له وليس استناداً الى أدلّة واضحة، أنّهم من الأكراد الرشوانية الذين كانوا يسكنون بين مدينتي مرعش وبسنا، وأنّهم كانوا مقدمين في عشيرتهم. وكان منهم الأمير مرعب الذي قدم إلى طرابلس وأقام فيها مع بعض إخوته، وتقرّب إلى وزرائها ثمّ استقرّ فيها. وخلفه أخواه ناصر وداوود اللذان توطنا سهل عكار. فعرفت ذرية الثاني بالدواودة، بينما عرفت ذرية الأول بالمراعبة نسبة إلى جدّهم مرعب. وقد اشتهر من المراعبة شديد الذي استولى على عكار، وخلفه في إدارة شؤونها أولاده واحفاده من بعده (راجع **تاريخ حيدر أحمد شهاب**) وقد أخذ العديد من المؤرخين بهذه الرواية دون التأكد من صحتها، وتبنّوا فكرة انتماء المراعبة إلى الأكراد الرشوانية. بالإضافة الى ذلك، ذكر رفيق التميمي، نقلاً عن المراعبة أنفسهم أنّهم من الأكراد دون الإشارة إلى رشوان أو غيرها من عشائر الأكراد هذا بالإضافة إلى الرواية الشعبية في عكار، والتي ترجع المراعبة إلى أصل كردي كذلك.

من أصل تركماني

«إلاّ أنّ جرجي يني خالف هذا الرأي واعتبر أنّ آل المرعبي يتحدّرون من أصل تركماني».

ويتابع الدكتور حبلص: «أمّا أوراق آل المرعبي أنفسهم، فهي متضاربة ومختلفة أيضاً، ولا تتفق مع رأي واحد لتسلسل أجدادهم. فالبعض منهم يحتفظ بوثائق لنسبهم، إلاّ أنّ أغلبها غير كاف وغير صحيح، وأقربها إلى الصحة تلك التي دوّنت نقلاً عن ذاكرة محمد باشا المحمد. أحد مشاهير رجالات هذه العائلة، نظراً إلى ما ورد فيها من معلومات يتوافق بعضها مع سجلاّت

المحكمة الشرعية في طرابلس. فقد ذكر محمد باشا أنّ جبال هكاريا هي موطنهم الأصلي، وأنّهم يتحدرون إمّا من القاضي عيسى، وإمّا من ابن أخيه علي اللذين كانا أميرين في جيش صلاح الدين الأيوبي، وحاربا إلى جانبه ضدّ الصليبيين في مناطق حلب وكاورضاغ، ثمّ استقرّوا قرب انطاكية في مناطق (قاضي يمن) و(بياش) ويتابع محمد باشا قائلاً إنّ عائلته حملت لقب «مرعبي» نسبة إلى جدّهم مرعب الذي يعود إلى القرن العاشر للهجرة. أمّا ناصر بن مرعب فقد نزح من كاورضاغ مع عشيرته إلى قرية الشيخ جابر في سهل عكار بعد أن عيّن دالي باش على طرابلس الشام. وفي عكار تزوّج ناصر من ابنة أحد الآغوات الدواودة في قرية البيرة ورزق منها شديداً الذي عيّن أيضاً دالي باش على طرابلس خلفاً لأبيه. وقد خلّف شديد عدداً من الأولاد. ويضيف الدكتور حبلص «إلاّ أنّ هذه الرواية تهمل ذكر انتماء آل المرعبي للأكراد، أم للتركمان أم للعرب».

سجلاّت المحكمة الشرعية

تؤيد وثائق سجلاّت المحكمة الشرعية في طرابلس جوانب من ممّا ذكرته رواية محمد باشا حول شخصية شديد الناصر. فقد ورد في أحد السجلاّت أنّ شديد الناصر هو من أحفاد القاضي عيسى ومن أقرباء الشيخ خليل مرعب، وأنّه قدم من منطقة حلب إلى ولاية طرابلس حيث شغل ضابط مقاطعات عكار وصافيتا التابعة لولاية طرابلس آنذاك عام ١٧١٥ (راجع سجلاّت المحكمة الشرعية في طرابلس بسجل رقم ٥) كما أنّ هناك وثائق أخرى تؤيد هذه الرواية فيما يتعلّق ببعض أولاد شديد الناصر أمثال سلهب آغا بن شديد آغا الناصري وأخوته أحمد وعثمان واسماعيل، وكذلك تتفق سجلاّت المحكمة الشرعية في طرابلس مع رواية محمد باشا على اعتبار منطقة حلب المكان الذي أتى منه أجداد آل المرعبي إلى عكار، ممّا يجدر بنا إلى تأييد صحة ما ورد في هذه الرواية من أنّ أجداد آل المرعبي قد انتقلوا من هكاريا في الموصل إلى حصون (قاضي يمن) و(بياش) في ولاية حلب.

حصن الأكراد

أمّا بالنسبة إلى تاريخ مجيء آل المرعبي إلى عكار، فالسجلاّت تخالف ما ورد في الروايات السابقة بمجملها. وحسب السجلاّت فقد قدموا من حلب إلى عكار عام ١٧١٥ بقيادة زعيمهم آنذاك شديد الناصر الذي نزل أوّل الأمر في محلّة (صاحب الطاحونة) في مقاطعة حصن الأكراد، فعيّن ضابطاً عليها بعد يومين من إقامته فيها. وبعد ذلك التزم مقاطعات عكار، وحصن الأكراد في العام عينه. وأعطيت الأوامر للوالي إبراهيم باشا بإشاعة الأمن وتهيئة الظروف اللائمة تسلّم شديد الناصر المنطقة ولإقامته في عكار مع إخوته وأقربائه (راجع سجلاّت المحكمة سجلّ رقم ٥) ومنذ ذلك التاريخ استقرّ آل المرعبي في عكار. أمّا

ذكر قدوم مرعب إلى طرابلس وإقامته فيها على خدمة ولاتها، وانتقال أولاد ناصر وداود إلى عكار، فهو أمر مستغرب ومستبعد لم نأخذ به لعدم إمكانية إسناده وتوثيقه بصورة صحيحة. بل على العكس من ذلك لم نعثر في سجلّات المحكمة الشرعية في طرابلس على أي دليل يشير إلى وجود آل المرعبي في عكار، وإلى تكليف أحد أجدادهم بمهام عسكرية في ولاية طرابلس قبل مجيء شديد الناصر إليها عام ١٧١٥. ولو كان مرعب وناصر وداود، أجداد شديد ناصر قد شغلوا وظائف عسكرية قيادية في عكار، لكانت سجلّات المحكمة الشرعية في طرابلس حفظت مراسيم تعيينهم وتكليفهم بوظائفهم.

القاضي عيسى

أمّا القاضي عيسى الذي اتّفقت السجلّات والروايات على انتماء المراعبة إليه، فهو يتحدّر من أصل عربي، ما يفيد أنّ آل المرعبي عرب ذوو أصل عربي، على خلاف ما ذكر البحّاثة والمؤرخون من أنّهم من أصل كردي أو تركماني، فقد تبيّن من تقصّي آثار القاضي عيسى وتتبّع نسبه أنّه ضياء الدين عيسى الهكاري، من هكاريا في بلاد الموصل، وأنّ عشيرته آل عيسى هم قوم أشدّاء (راجع ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**) وأنّه توفي في الخروبية في فلسطين عام ١١٩٠ وهو من أعيان أمراء جيش صلاح الدين الأيوبي ومن قدماء القبيلة الأسدية، وكان فقيهاً وجندياً شجاعاً كريماً ذا عصبية ومروءة. وقد منحه أسد الدين شيركوه إقطاعاً واسعاً. وكان له الفضل الأكبر في دعم صلاح الدين الأيوبي للوصول إلى حكم مصر بعد وفاة أسد الدين شيركوه. بناءً على ذلك يتبيّن لنا أنّ آل المرعبي يتحدرون من بني عيسى. إلاّ أنّ بني عيسى ليسوا أكراداً بل عرباً أسدية، سكنوا جبال هكاريا موطن الأكراد ومقر قبيلة هيكاري الكردية التي يدّعي بعض قادتها أنّهم من سلالة العباسيين. وهم على الأرجح من البدو العرب الذين امتزجوا بالأكراد في شمال سوريا والموصل نتيجة ظروف المعيشة عندما اضطرّ أكراد طوروس إلى الهبوط نحو بادية جزيرة ابن عمر في شمال سوريا وماردين ونصيبين.

قبيلة أسد العربية

وبناءً على ما تقدّم يمكننا سرد التسلسل التاريخي لنسب آل المرعبي بصورة منطقية وعلمية. فهم يتحدّرون من بني عيسى الذين ينتمون إلى قبيلة أسد العربية، وموطنهم الأصلي كان في الموصل. وقد برز منهم القاضي عيسى الذي تحدّر منه مرعب في القرن العاشر للهجرة. وقد هاجر أحفاد القاضي عيسى من الموصل إلى حلب ونذكر من أولاد مرعب خليلاً الذي خلف ناصر وداود، فعرفت ذرية الأول بالمراعبة وذرية الثاني بالدواودة. وقد اشتهر من أولاد ناصر ابنه شديد الذي هاجر مع عشيرته من حلب إلى عكار. فشغل وظيفة ملتزم جباية أموالها ونال شهرة واسعة في المنطقة بأكملها.

إبعاد الحمادية عن عكار

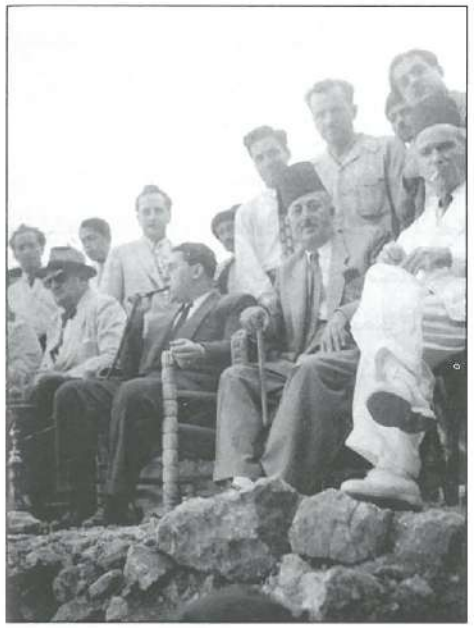
ورد في الرواية الشعبية أنّ الشيخ شديد نزل في البيرة أولاً فعرفت بيرة الحكم، في حين تدل سجلّات المحكمة الشرعية في طرابلس على أنّ الشيخ شديد الناصر المرعبي تمركز في البداية في محلّة صاحب «الطاحونة» التابعة لحصن الأكراد، الأمر الذي يدل على انتقال المراعبة من محلّة الطاحونة إلى قرية البيرة واتخاذ هذه الأخيرة مركزاً جديداً انطلقوا منه إلى سائر أرجاء عكار، وقد ساعدهم على ذلك النصر الذي حقّقه والدهم الشيخ شديد بعدما نجح في إبعاد الحمادية عن عكار والقضاء على نفوذهم فيها.

فروع المراعبة

ومن البيرة توزّعت فروع المراعبة أولاد الشيخ شديد في أنحاء عكار، حيث تزايد عددهم واشتدت المنافسة في ما بينهم. وكان الشيخ شديد تزوّج من السيدة فاطمة ابنة الحاج حسن وأنجب منها أولاداً بلغ عددهم العشرة على أبعد تقدير وهم حسب التسلسل: سلهب، وإسماعيل، وحسين وأسعد، وعثمان، وأحمد، وعبد القادر وناصر، والزبير وعبد السلام (أخذت هذه الأسماء من سجلّات المحكمة الشرعية في طرابلس - سجل رقم ١٤) الابن الأكبر سلهب آغا تابع التزام عكار بنفسه أولاً ثمّ بمشاركة أخوته وبخاصة اسماعيل وحسين وتمتعوا حتى تلك الفترة بلقب شيخ أو آغا ولكل من اللقبين مدلولات. فلقب شيخ كان يعني الوجيه المتكلّم باسم القرية أو المقاطعة التي يدير شؤونها، ويلتزم بدفع الضرائب المترتبة عليها. في حين كان لقب آغا يطلق على قوّاد المجموعات القتالية. ومع الوقت ازداد المراعبة قوة ونفوذاً بدليل ارتفاع ألقابهم حسب التدرّج المعروف آنذاك. من «شيخ» إلى «آغا» ثمّ إلى «بيك» في الربع الأخير من القرن الثامن عشر إلى لقب «باشا» وهو أرفع الألقاب الرسمية في السلطنة العثمانية آنذاك. ومن المهم التأكيد هنا بأنّ المراعبة لم يرثوا ألقابهم الرفيعة تلك، بل حصلوا عليها تدريجياً بقدراتهم الذاتية ومع رضى السلطنة عنهم. إذ أنّ شديداً والدهم كان يحمل لقب شيخ فقط وحتى وفاته...ثمّ جاء بعده أولاده ليحملوا لقب آغا ثمّ حمل أحفاده لقبي «بيك» و«باشا» ونرى من خلال عقود الالتزام أنّ سلهب شديد الناصر المرعبي..استمرّ في التزام جميع قرى عكار بصفته الأخ الأكبر وربّما بالنيابة أو الولاية عن اخوته، ثمّ بعد وفاته جاء الأخ الثاني إسماعيل ليلتزم جميع قرى عكار بصفته الأخ الأكبر الثاني بعد غياب أخيه سلهب ثمّ يبدأ اسم الشيخ حسين بن شديد المرعبي بالظهور في عقود الالتزام لمشاركة أخيه إسماعيل، وكذلك نجد اسم الشيخ أسعد يشارك مع أخيه في هذه العقود الالتزامية. ولجميع قرى عكار. وفي هذه المرحلة بدأ أبناء الشيخ شديد يتوزّعون مناطق عكار المختلفة.

أعلى مراتب السلطة

انتقل عثمان باشا الشديد المرعبي إلى منطقة «القيطع» وجعل مركزها وعاصمتها بلدة «برقايل» كما انتقل أسعد بن شديد إلى «الجومة» وجعل مركزها بلدة البرج. وبقي عبد القادر بن شديد في منطقة «الدريب» واتّخذ البيرة عاصمة له ومركزاً لالتزامه، وهي في الأساس مركز حكم والده سابقاً. وبدأت في هذه المرحلة عمليات استقطاب القوى وتوزّع مراكز النفوذ والسلطة بين الأخوة وبالتالي أبناء العم، مّا أدّى إلى تنافس على زعامة أركان العائلة. هذا التنافس الذي استمرّ فترات طويلة، أدّى إلى إضعاف نفوذهم وهيمنتهم، وعلى الرغم من ذلك تمكّن المراعبة أولاد الشيخ شديد الناصر المرعبي من الوصول إلى الحكم في طرابلس. ولعلّ السبب في ذلك إخلاصهم للسلطنة العثمانية وتفانيهم في خدمتها، الأمر الذي ساعد على تسهيل الطرق أمامهم للوصول إلى أعلى مراتب السلطة.



النائب خالد عبد القادر المرعبي بالطربوش في صورة جامعة (من مجموعة النائب السابق طلال المرعبي)

أوّل مرعبي

وأوّل مرعبي تولّى منصباً سياسياً عالياً على صعيد ولاية طرابلس هو أسعد آغا الشديد المرعبي (الابن الرابع للشيخ شديد) وجاء هذا التعيين على أثر التحالف الذي تشكّل بين أسرة «آل العظم» السورية وآل المرعبي، واستمرّ أسعد آغا متسلّماً منصبه في عهد يوسف باشا وعبد الله باشا العظم لمدّة ثلاث سنوات. وفي مدّة متسلّمية أسعد آغا الشديد المرعبي على طرابلس، كان النزاع قائماً على أشدّه بين يوسف باشا العظم والي طرابلس وأحمد باشا الجزّار والي صيدا. وفي عهده أيضاً اتّسعت شبكة علاقات المراعبة بالعائلات الحاكمة في ساحل بلاد الشام ووصلت جنوباً حتى بلاد عامل. فعندما نقم الجزّار على (المتاولة) الشيعة في جبل عامل فرّ هؤلاء من أمامه والتجأوا إلى المراعبة لأنّ عكار كانت خارجة عن نفوذه، بل أنّها كانت إلى جانب أخصامه آل العظم. وقد ظلّوا هناك حتى العام ١٧٨٥.



محمد بك العثمان المرعبي: زعيم الجومة
(من كتاب تاريخ عكار السياسي الحديث)

عثمان باشا المرعبي

وثاني مرعبي هو عثمان باشا الشديد (١٧٨٧ - ١٧٨٩) وهو الابن الخامس للشيخ شديد. وصل بسرعة شبه قياسية إلى أعلى مرتبة في حكم ولاية طرابلس، وهو منصب الوالي. وحاز لقب «وزير وباشا» وقد افتتح بذلك عهداً جديداً على المراعبة، بحيث كان هذا المنصب الطريق الواسعة التي مهّدت السبيل لمزيد من السلطات والمكاسب على صعيد الولاية الطرابلسية.

خضر بك عثمان المرعبي

وثالث مرعبي هو خضر بك عثمان باشا ابن عثمان باشا (١٧٨٨) تولّى منصب القائمقامية في طرابلس إبان حكم والده، فقد ناب عن والده في إجراء بعض عقود الالتزام لمختلف مقاطعات الولاية.

عبد القادر المرعبي

ورابع مرعبي هو عبد القادر بك (الملقّب بالقدور) هو أخو عثمان باشا أوكل إليه مهمة التسلّم خلال مدّة حكمه. وهو أحد أركان الحلف الثلاثي لأبناء الشيخ شديد آغا الناصر، والذي تألّف من أسعد، وعثمان، وعبد القادر. كان التنسيق تاماً بين الأخوة الثلاثة الذين احتكروا الزعامة والسلطة في العائلة، وتمكّنوا من فرض سلطتهم على بقية إخوتهم وانسبائهم.

محمد بك الأسعد

وخامس مرعبي، هو محمد بك الأسعد (١٧٨٨ - ١٧٩٦) هو ابن أسعد آغا المرعبي تولّى منصب التسلّمية في عهد عمه عثمان باشا المرعبي وبقي في المنصب أكثر من ٦ سنوات. وقد أثر عنه تحالفه مع الأمير بشير الشهابي وأخيه حسن.

حسن آغا اليوسف

وسادس مرعبي، هو حسن آغا اليوسف (١٧٩٠ ـ ١٧٩٢) هو حفيد الشيخ حسين آغا الشديد المرعبي، وصهر محمد بك الأسعد المرعبي عينه حسن درويش باشا متسلّماً على اللاذقية ثم نقل في أواسط سنة ١٧٩١ متسلّماً على مدينة طرابلس. ثم أسند إليه قيادة انكشارية المدينة الى جانب إبقائه في المتسلّمية.



محمد باشا المحمد المرعبي: زعيم القيطع
(تاريخ عكار)

شديد بك الأسعد

وسابع مرعبي، هو شديد بك الأسعد (١٨٢٢) هو أخو محمد بك الأسعد المرعبي وابن الشيخ أسعد آغا متسلّم طرابلس سابقاً. تسلم الحكم لفترة وجيزة قبيل وصول أخيه علي لرتبة الوزارة.

مصطفى بك الأسعد

وثامن مرعبي، هو مصطفى بك الأسعد. تولى منصب متسليمة طرابلس إبان حكم أخيه علي باشا وهو الابن الثالث لأسعد آغا تمكن من الحصول على رتبة قائد الإنكشارية. لانه كان يتمتع بصفات عسكرية فذة.

علي باشا الأسعد

وتاسع مرعبي، هو علي باشا الأسعد (١٨٢٤ ـ ١٨٢٦) شقيق محمد بك الأسعد المرعبي وخليفته في حكم طرابلس. وهو الابن الرابع والأخير لأسعد آغا، والذي يعتبره المراعبة من أبطالهم التاريخيين. وهو أمير الأمراء نظراً الى ما قدمه للعائلة ولمنطقته، وكان رجلاً مهاباً عاقلاً فصيحاً مغواراً مدحه الشعراء بقصائد عديدة. تولى ولاية طرابلس عام ١٨٢٤، ومنح لقب باشا ورتبة وزير اعترافاً بجهوده التي بذلها في سبيل السلطنة وفي حفظ الأمن وإخماد الفتنة التي نشبت

في طرابلس بتحريك من مصطفى آغا بربر، وكانت سراياه ملجأً لكل ملهوف وملاذاً لكل خائف.



معين بك القدور المرعبي: زعيم البرج
(كتاب تاريخ عكار الحديث)

عبود بك المرعبي

ومن أبرز شخصيات هذه العائلة عبود بك المرعبي (١٧٩٠ ـ ١٨١٢) بن عثمان باشا الشديد المرعبي. كان والده عثمان باشا أمير الأمراء ووالي ولاية طرابلس في الفترة الممتدة من ١٧٨٧ الى ١٧٩٠. نشأ وترعرع في بيت اعتاد الحكم والسياسة. تعرض بعد وفاة والده عثمان باشا (١٧٩٠) لمحنة كبيرة كادت تودي به وبإخوته وتقضي على نفوذهم السياسي. اذ تم الاستيلاء على أملاكه في طرابلس ونهر البارد، ومقاطعة الزاوية. أقصاه والي طرابلس الجديد درويش حسن باشا عن التزام عهدة «القيطع» وإدارتها وأسندت هذه العهدة إلى محمد بك الاسعد المرعبي في سنة ١٧٩١. لكن عبود استطاع مجابهة الوالي واستعاد أملاكه عن طريق القضاء الشرعي كما تمكن من استعاده نفوذه على مقاطعة القيطع التي استردها من محمد بك الأسعد المرعبي والتزم جباية أموالها وتسلّم ادارتها سنة ١٧٩٢. توفي عبود بك في حدود العام ١٨١٢.

وهناك مراعبة تعاونوا مع المصريين منهم:

- محمد بك العبد القادر (قدور) المرعبي كان قائمقام اللاذقية خلال فترة الحكم المصري بين ١٨٣٠و١٨٤٠.
- أسعد بك الخضر المرعبي قائمقام يافا.
- مصطفى بك الابراهيم المرعبي قائمقام عكار.
- حسين بك الإبراهيم المرعبي قائمقام البقاع ومتصرف حوران.
- محمود بك الإبراهيم المرعبي متسلّم يافا.
- أولاد محمد بك العبد القادر (قدور) هم حكام جباع وصور وبلاد الشقيف.
- يوسف بك العبد القادر حاكم بلاد الشقيف.
- محمد باشا المحمد قائمقام عكار.
- محمد بك العبود المرعبي قائمقام عكار.
- عثمان باشا المحمد المرعبي عضو مجلس «المبعوثان» ورئيس مجلس الإدارة العربية لعكار.

- محمد بك العثمان المرعبي عضو مجلس «المبعوثان».
- محمد رشيد بك الياسين المرعبي قائمقام يافا.
- عبد القادر بك الأحمد المرعبي زعيم القيطع - العيون.
- عبد الفتاح بك الشريف المرعبي حاكم عدة ولايات في بلاد الشام وعضو المؤتمر السوري العام.
- عمر باشا المحمد المرعبي، زعيم القيطع - بر قايل.

تدخل الشهابيين

وقبل أن أختم هذا القسم من أعلام وشخصيات المراعبة في العصر الجديد أود أن أشير إلى أن بعض الذين تعاونوا مع الحكم المصري وتولّوا المناصب والرتب كما رأينا قد برّر هذا التعاون بالقول: إن المصريين قبلوا إعلان ولاء بعض المراعبة لهم إثر تدخّل الأمير خليل الشهابي، وإن هذا التعاون بدأ يتبلور أكثر فأكثر فيما بعد حينما تابع المراعبة تنفيذ ما طلب منهم في إدارة شؤون مقاطعتهم. وعملوا جاهدين على استيعاب الأحكام والقرارات التي تصدر عن الإدارة المصرية الجديدة في بلاد الشام، دون أن تخبو في نفوسهم جذوة الثورة على المصريين. ومرّت سنوات من العسر في ظل الحكم المصري على بلاد عكار ثقيلة وقاتمة. أن مقاومة المراعبة للزحف المصري كان بدافع رغبتهم في الدفاع عن موقعهم كأمراء وحكّام لعكار بعدما سمعوا عن نيات ابراهيم باشا في القضاء على العائلات المحلية الحاكمة وانتزاع امتيازاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والاستعاضة عنها بموظفين عسكريين ومدنيين يخضعون ويعملون بتوجيهات مباشرة. لذلك اندفع المراعبة في مواجهة المصريين وأعوانهم وكانت معاركهم الأولى عام ١٨٣١ قبيل وصول الجيش العثماني المرسل لمواجهة الزاحفين. واستمرت هذه المواجهة طيلة سنوات الحكم المصري تقريباً.

الثورة على المصريين

ركن المراعبة ظاهرياً للحكم المصري في البداية، وكانوا يتحينون الفرص الملائمة للثورة عليه. وبالفعل ما إن ظهرت بوادر التمرد عليه في نابلس (راجع بازيلي: **سوريا ولبنان وفلسطين** ص١٤٧) حتى بادر المراعبة إلى إشعال نار الثورة ضد الإدارة المصرية ورئيسها ابراهيم باشا. كانت معارضة المراعبة للتوسع المصري في البداية تنطلق من حرصهم على موقعهم وتمسّكهم بنفوذهم ودورهم السياسي الذي أراد ابراهيم باشا القضاء عليه أسوة بما فعل بسائر العائلات السياسية في بلاد الشام. وبعد تجربة الحكم المصري في بلاد الشام وما رافقها من ممارسات تعسفية في فرض ضرائب إضافية وجبايتها على صورة بلص السكان ومضايقتهم، ازداد إيمان المراعبة بضرورة الثورة على المصريين من أجل إنقاذ الرعية من مظالمهم، أضف الى ذلك أن موقف السلطان العثماني وسائر الدول العظمى في ذلك الحين كانت من الأمور التي شجعت المراعبة

على الثورة. فالسلطان العثماني لم يفكّر لحظة بالتخلي عن الولايات الشامية مهما كانت الأسباب والظروف. لذلك حاول السلطان العثماني الإبقاء على الأمل قوياً في نفوس أبناء الولايات الشامية بأن السلطنة لن تترك المراعبة لوحدهم في مواجهة المحتلين المصريين. وجيّشت السلطنة لذلك عدداً هائلاً من العملاء فضلاً عن المتمسكين أصلاً بسلطتها من العائلات الحاكمة.

قمع الانتفاضة وإعدامات

وقد استغلّ العكاكرة ظروف انشغال المصريين بحروبهم مع الجيوش العثمانية، وأخذوا يستعدّون للثورة، خاصة وأن أبناء الثورة في مقاطعات الشام المختلفة قد زادت من رغبة العكاكرة في الانتفاضة والثورة. وعند نجاح الثورة في البداية أقيمت الافراح وقرأ الوجهاء في منازلهم قصة المولد النبوي الشريف احتفاءً بالنصر...ليس هذا فحسب، بل بادر الطرابلسيون مدعومين من فرسان عكار بحصر الحامية التي تمركزت في الميناء (راجع سميح وجيه الزين: **تاريخ طرابلس**، ص ٢٩٩) وبذلك خرجت معظم المقاطعات الطرابلسية على الحكم المصري. وتجمعت القوات خائفة من هجوم الناس الثائرين عليها. ولم ينفع تدخل بربر إيقاف النقمة الشعبية العارمة ضد أسياده المصريين. وعاش الناس في حلم الخلاف من تسلط ابراهيم باشا المصري مترقبين ذلك بفارغ الصبر. ولربما كان الأمر على وشك النجاح لو سارعت قوات عثمانية للتدخل داعمة التحرّك الشعبي، لكن محمد علي باشا جاء بنفسه من مصر فأنقذ أبنه من نابلس، وأعدّ خطة للاقتصاص من الثائرين، مستعيناً بالأمير بشير الشهابي عامله المخلص الذي تورّط بشكل كامل مع الوالي المصري. لذلك أرسل الباشا المصري أمراً صارماً الى الأمير بشير ليرسل ولده خليلاً بألف مقاتل إلى طرابلس لملاقاة سليم بك الملقب بالوزير وأحد أمراء المصريين فيسيروا من هناك لتأديب أهالي عكار وصافيتا وبلاد الحصن. فذهب الأمير خليل إلى طرابلس واجتمع فيها بسليم بك المذكور وألقيا القبض على ٢٥ رجلاً من الطرابلسيين وسجناهم في القلعة وبينهم من أعيان المدينة (راجع نوفل نوفل: **كشف اللثام**.. ص٤٧٤ / ٤٧٥) فقمع المصريون الحركة الانتفاضية بقسوة، وتتبعوا مراكز التوجيه العامة والمؤثرة في الجماهير، من أعيان وكبراء. ثم انتقموا انتقاماً فظيعاً من الناس، فأعدموا عدداً من هؤلاء الأعيان بشكل وحشي «فقطع رأس ثلاثة عشر رجلاً من أعيان المدينة، وطرحت جثثهم في الشوارع مدة ثلاثة أيام. وقد جرى صف رؤوسهم على بركة الملاحة الباقية في مكانها لليوم (راجع سميح الزين، **تاريخ طرابلس**، ص ٣٠٧) ولكن هذه الوحشية في الانتقام لم تضمن للمصريين راحة البال إلا لفترة قصيرة.

الحساب العسير

أما في عكار فكان الحساب عسيراً مع العكاكرة، وعلى رأسهم الأمراء المراعبة، حيث قرر المصريون هذه المرة اقتحام معاقل المراعبة الثائرين والقضاء على القيادة المحرضة على الثورة.

فزحف الأمير خليل الشهابي وسليم بك القائد المصري الى عكار فقبض على أسعد المرعبي وعلى أسعد بك الشديد وعلى اثنين من أولاد محمد بك القدور وعلى ثلاثين رجلاً وبعض وجوه عكار. ورجع سليم بك الى طرابلس واستحضر بكوات عكار ووجوهها المذكورين وأجرى محاكمتهم في مجلس الشورى فحكم بقتلهم، فقتلهم جميعاً وبينهم عبد الله آغا المحمود من آغوات الدنادشة. وضبط أملاكهم وأرزاقهم وموجوداتهم ومواشيهم وأرسلها لطرابلس وباعها في سوق المزاد. فكان ذلك الانتقام مريعاً للمراعبة الذين تعرضوا الى أخطر هجوم في حياتهم، وكانت طريقة القمع غاية في القسوة والإرهاب. لكن تأكد المصريون من عدم إمكانية تعاون المراعبة معهم، لذلك قرروا إنهاء المقاومة المرعبية نهائياً باكتساح مناطقهم، وقتل زعمائهم، ومصادرة أملاكهم وأرزاقهم وكان التهمة المسوّقة لذلك التحريض على الثورة ومجاراة العدو العثماني.

دولة لبنان الكبير

تلك هي باختصار قصة المراعبة القدماء وحكمهم وثورتهم، وقد انتهى حكمهم وثورتهم على الشكل الذي رأينا على أيدي المصريين وعملائهم في الداخل اللبناني، وذلك بهدف القضاء على هذه العائلة، ولكنهم فشلوا وبقي لهم حضور سياسي وثقافي واجتماعي منذ قيام دولة لبنان الكبير. ومنهم: عبود عبد الرزاق بك الذي انتخب لمرتين في المجلس التمثيلي الأول والثاني. وكان في عداد لجنة وضع الدستور اللبناني لعام ١٩٢٦. وهذا المجلس كان المجلس النيابي الاول. ثم جرت انتخابات العام ١٩٢٩ أو المجلس النيابي الثاني ففاز عبود عبد الرزاق مرة ثالثة. لكن مع انتخاب المجلس النيابي الثالث عام ١٩٣٣ مثل المراعبة محمد عبد الرزاق. وفي المجلس الرابع عام ١٩٣٧ وصل اثنان من المراعبة هما: محمد عبد الرزاق وخالد عبد القادر والد النائب السابق طلال المرعبي. أما في العام ١٩٩٢ فوصل طلال المرعبي لوحده، وكذلك الأمر عام ١٩٩٦. لكن انتخابات العام ٢٠٠٠ هي الوحيدة التي لم يصل معها أي مرشح من المراعبة الى الندوة اللبنانية. ونالت منطقة وادي خالد حصة تمثلت بنائبين هما جمال اسماعيل ومحمد يحيي على حساب طلال المرعبي.

وزراء مراعبة

أما على صعيد التمثيل الوزاري الذي بدأ عام ١٩٢٦ فلم تتمثل عائلة المرعبي الا بدءاً من العام ١٩٤٧ في حكومة رياض الصلح عندما عين محمد العبود وزيراً للمالية، ثم سمي في حكومة سامي الصلح ١٩٥٢ سليمان العلي، ووزيراً للاقتصاد والزراعة. وبشير العثمان وزيراً للبريد والبرق في حكومة سامي الصلح عام ١٩٥٨. ومن ثم سليمان العلي عام ١٩٦٠ وزيراً للاقتصاد في حكومة الرئيس صائب سلام، ومن ثم بشير العثمان وزيراً للزراعة في حكومة عبد الله اليافي عام ١٩٦٦. وسليمان العلي للزراعة في حكومة صائب سلام عام ١٩٧٢ ثم وزيراً للزراعة في حكومة رشيد

الصلح عام ١٩٧٤، وطلال المرعبي وزيراً للاقتصاد والتجارة والصحة العامة في حكومة الرئيس سليم الحص عام ١٩٧٩.

لعبة الحكم والسلطة

هذه العائلة السنّية التي حكمت إبان مراحل السيطرة العثمانية، وتمكنت من الوصول الى أرفع المراتب في السلطة السياسية على مستوى الولايات الشامية، واستطاعت أن تحقق بشكل تدريجي ومتصاعد الهدف الأسمى الذي يسعون اليه، وهو تبوء مركز الوالي في طرابلس، أحد أكبر الولايات الشامية وأكثرها أهمية. هذا المركز ساعدهم على توسيع نفوذهم وترسيخ سلطاتهم بحيث أمسكوا زمام الحكم ومقدرات منطقة عكار منذ أن وطئوا أرضها عام (١٧١٤). كما لاحظنا أن المراعبة امتهنوا السلطة والحكم ومارسوهما على أرض عكار في البداية، كملتزمين، وأثبتوا الى حين أنهم جديرون بذلك. وكانت لهم مواقع ومواقف أدت الى استمرار توليهم السلطة وكانت البداية بلا شك معركة عينطورة (١٧١٤) (بين المراعبة من جهة وآل شعيب وسيفا من جهة أخرى) هذه المعركة التي أعطت المراعبة بشخص جدهم شديد الناصر المرعبي الحق في تولي البلاد والسيطرة عليها. والمعركة بحد ذاتها لم تكن كافية وإن كانت ضرورية...حيث إن الوضع في عكار كان في حالة من الاهتراء والتآكل بفعل الأزمات المتواصلة والإنقسام والفوضى...وكان لا بد أن يستتبع العمل العسكري في عينطورة جهوداً متواصلة لإعادة الأوضاع الى حالة الاستقرار والهدوء، ومن ثم إعادة عجلة الحياة العادية للمنطقة العكارية. لذلك تابع المراعبة عمليات تحصين الوضع الأمني في عكار. وهكذا عادت للمنطقة وحدتها بوجود عائلة تحكمها. وهو النمط السائد في الحكم والسياسة آنذاك. والمنطقة العكارية كانت فعلاً تنتظر من يتولى شؤونها ويرتب أوضاعها. ولم تنفع محاولات فرض هيمنة بعض الفئات والقوى المحلية والأسر في إعادة الأمور الى مجاريها. وظلت المنطقة في حالة ضياع وتمزق...حتى جاءها المراعبة وتمكنوا بعد معاناة ومعارك وصولات وجولات من إعادة الاعتبار للإمارة العكارية. بدأ المراعبة عملهم كملتزمين، ودخلوا بقوة لعبة الحكم والسلطة، وكان نهجهم في حكم عكار طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ينطلق من العوامل التالية:

أولاً: عدم إغضاب السلطة السياسية العليا المتمثلة بالدولة العثمانية، والتعامل معها على أنها الدولة الحاكمة.

ثانياً: إقامة شبكة من العلاقات الحسنة على مراكز القوى المحلية في بلاد الشام.

ثالثاً: الحفاظ على علاقة طيبة مع أبناء عكار وسكانها وعدم إرهاقهم بالضرائب مما يفسّر لنا ظاهرة عدم ظهور حركات تمرد وعصيان ضدهم.

لهذه الأسباب رضيت الدولة العثمانية عن الأمراء المراعبة، وتركت لهم أمر قيادة المجتمع العكاري بعدما رأت فيهم عنصر استقرار رئيسياً في المنطقة، بل كانت تعتمد عليهم في إدارة ولاية طرابلس بكامل مقاطعتها وألويتها عندما كانت رياح التمرد والعصيان تهدد باضطراب الأوضاع الأمنية في البلاد.

المراجع

١ ـ خالد مطصفى مرعب، **الإمارة المرعبية ـ امتدادها الجغرافي وتطورها السياسي حتى سنة ١٨٤٠** (الجزء الأول)، دار البخاري.

٢ ـ **تاريخ عكار الإداري والاجتماعي والاقتصادي ١٧٠٠ ـ ١٩١٤**، تأليف الدكتور فاروق حبلص ـ صدر عن دار الدائرة، ودار لحد خاطر سنة ١٩٨٧.

٣ ـ **الغرر الحسان ـ لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**. لمؤلفه: حيدر أحمد الشهابي ـ تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني (ثلاثة أجزاء) منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٦٩.

٤ ـ جرجي يني، **مجلة المباحث** ـ العدد ٢٠، ١٩٠٩.

٥ ـ وثائق سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس. (فرمان للشيخ شديد الناصر المرعبي ـ سجل ٥)

٦ ـ «آل المرعبي من بني أسد وجدهم كان يلقب بالمرعب»، حسين حمية، «**الأفكار**»، ٨/١٢/٢٠٠٣.

٧ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل الحرفوش

يقول الدكتور أحمد أبو سعد في **معجم أسماء الأسر والأشخاص، ولمحات من تاريخ العائلات** في مادة «حرفوش»: اسم أسرة مشترك بين المسلمين الشيعة في بلاد بعلبك والهرمل، والمسيحيين في جزين وبكاسين وبعبدا ومجدليا (زغرتا) ونيحا (الشوف) والموحّدين الدروز في بعقلين. أمّا المسلمون الشيعة في قرى تمنين وسرعين وشعث وحربتا، والنبي رشادة، وكفردان من بلاد بعلبك الهرمل، فهم بقية من أسرة بني حرفوش الذين حكموا بعلبك والبقاع من أواخر العهد المملوكي حتى سنة ١٨٦٦م وهو التاريخ الذي قضت فيه الدولة العثمانية عليهم. ويذكر بعضهم أن أصلهم من خزاعة، وينسبهم إلى جدّهم الامير حرفوش الخزاعي القحطاني. (وهذا ليس بمتفق على صحته. أنظر **أعيان الشيعة** ٢:٢١٦) وقد برز منهم في التاريخ أشخاص كانوا من البأس والسطوة والفروسية في مكان عظيم. نذكر منهم: الأمير موسى الحرفوشي متولّي إمارة بعلبك الذي هزم يوسف سيفا في المعركة التي وقعت في نهر الكلب عام ١٥٩٥، وفي مرجع آخر ١٥٩٨. والأمراء شديد وحسين وحيدر الحرفوش، وتاريخ حكمهم مسجّل بتفاصيله في كتاب **تاريخ بعلبك** لمؤلفه ميخائيل موسى ألوف.

قرأت النص الكامل الذي وضعه ميخائيل ألوف عن أمراء آل الحرفوش، وهو نصّ طويل يزيد على العشرين صفحة. نص مليء بالأخبار والأحداث التي شغلت الوسط اللبناني والعربي والعثماني مدة أربعة قرون. وهو نصّ اعتمدت على بعض أجزائه. وإذا كان لي من ملاحظة أبديها حول هذا النص فهي: إن اللغة التي كتب فيها هي لغة إنشائية بحتة غير مألوفة في الكتابة التاريخية، بحيث يخيّل للقارئ لأول وهلة أنه يطالع قصّة الزير أبو ليلى المهلهل، أو سيرة عنترة. كقوله مثلاً: و«نعلوا الخيل بلبّاد ودخلوا في الليل، وهجموا على البلد، وكلما صادفوا أحداً قتلوه وأجروا الدماء كالسواقي فانهزم عسكر الجزّار، وقتل منه خلق كثير». وكقوله أيضاً: «وقال قبلان لفرسانه أحموا ظهري لأريكم كرّي وفرّي، ثم هجم فرسانه على الهنادي هجمة الضرغام، ومال عليهم بضرب الحسام. وكان يخترق صفوف الهنادي بهمة لا تعلوها همّة، وما زال السيف يعمل والرجال تقتل!! لله درّ قبلان وما فعل! حتى إذا لم تستطع الهنادي على الثبات فرّوا هاربين طالبين النجاة. أما قبلان فرجع عن مطاردتهم إلى أبيه والدم على أثوابه كشقيقة الأرجوان». وكقوله أيضاً وأيضاً:

«هجم عليهم هجمة قسورية وفرق جمعهم بضرب الحسام» إلخ...

هذه بعض النماذج، وهي كثيرة كنت أتمنى ألّا يكثر منها، ليظل للنص التاريخي رصانته وتأثيره.

الخزاعي القحطاني

وفي مرجع آخر: ينتسب بنو حرفوش إلى الأمير حرفوش الخزاعي القحطاني الذي قدم وأسلافه مع أيام عمر بن الخطاب إلى بعلبك واشتهر فيها. وهم أمراء متاولة حكموا تلك البلاد في القرن الثامن للهجرة والرابع عشر للميلاد. حالفوا الأمير فخر الدين الثاني المعني في القرن السابع عشر. نشبت الخلافات في ما بينهم بعد عام ١٨٦٠ فحكم عليهم السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦) بالنفي إلى رودس بعد أن أمر بشنق الأمير أسعد الحرفوشي في بعلبك. ويضيف المرجع نفسه، كانت السلطة موزعة على عدّة إقطاعات، وكان من الصعب على المحتل أن يمسك بيده سلطة مستقرة وحازمة في البلاد. ففي الجنوب: فلسطين والأردن يسيطر البدو. ويحكم محمد الحنش السنّي البقاع وآل حرفوش الشيعة حلفاء بني الحنش يسيطرون على جبل حرمون جنوباً حتى وادي التيم. وكان آل حرفوش يتولون منطقة بعلبك في شمالي البقاع.

عائلة شيعية

وبالعودة إلى **تاريخ بعلبك** فماذا يقول ميخائيل موسى ألوف عن آل حرفوش؟: «هم عائلة من الشيعة كانوا من البأس والسطوة والفروسية على جانب عظيم. والشايع بين الأهالي عن هذه العائلة أنّ الأمير حرفوش الخزاعي، جدّ هذه العائلة عقدت له راية بقيادة فرقة في حملة أبي عبيدة الجراح على بعلبك. واستوطن بعدئذ المدينة وكثر نسله وكانوا من أعظم الأعيان فيها إلى أن تيسّر لهم الاستقلال في المدينة وإقليمها. فسادوا وحكموا، وعتوا، وتسلّطوا على الرعية وأموالها، حتى نفرت الأهالي، ولا سيّما النصارى منهم. فمنهم من سكن زحلة فعمرت بهم، وهكذا تجد أكثر أهل زحلة بعلبكيين. ومنهم من رحل إلى بشرّي ودوما الجبل، ومنهم من استوطن الشام وصيدا وغيرهما من مدن سوريا. وهكذا قد أكملوا خراب هذه المدينة التي كانت من مدن سوريا العظام».

ونظراً الى عدم وجود تاريخ مخصوص لهم لا يمكنني إدراج تاريخ ولاتهم ووقائعهم الكثيرة بالترتيب، فأدرجت ما أمكنني درجه نقلاً من تواريخ مختلفة ومن ألسنة العامّة الذين يتناقلون أخبارهم خلفاً عن سلف فأقول:

بير هاشم

في سنة ١٥٣٤ ميلادية احتمى عند الحرافشة هاشم العجمي شيخ جبّة المنيطرة هرباً من

الأمير منصور العسّاف، ثمّ غدروا به وقتلوه فوق كرك نوح وطرحوه في بئر دعى بير هاشم إلى الآن.

وفي سنة ١٦٠٣ دهم الأمير موسى الحرفوش جبّة بشرّي، ونهب بيوتها ومواشيها. فجمع يوسف باشا سيفا خمسة آلاف مقاتل وزحف بهم على بلاد بعلبك فأحرق قرية الحدث. ثمّ دهم بعلبك فنهبها وقتل وشتّت أهلها، فتحصّن الحرافشة مع جماعة من أهل البلد في القلعة، وكانوا نحو ألف رجل ما عدا النساء والأولاد. فملكها يوسف باشا بعد حصار دام خمسين يوماً، وقتل جماعة من أعدائه، وأطلق الأمان للباقين، وعاد لبلاده ظافراً.

خراب غزير

ويحكى عن الأمير المذكور موسى الحرفوشي أنّه نبذ طاعة الدولة العليّة، فأرسلت عليه الجيوش، ووقفت له بالمرصاد. غير أنّه فقه بعدئذ أنّ لا مناص له من يدها، فتوجّه خفية إلى الأستانة العليّة. وكانت بلدة غزير عاصمة كسروان عاصية وقد استفحل أمرها. فاستأمن الأمير موسى للدولة هناك، وتعهّد لها بفتح غزير وخرابها، وأنّه ينال جزاء ذلك رضى الدولة عليه وتولّي أحكام بعلبك. فأجيب طلبه وقفل راجعاً إلى بعلبك وجمع نحو خمسة عشر ألف مقاتل من نفس المدينة وزحف بهم إلى غزير. وقد أنشده أحد الشعراء قبل ذهابه هذين البيتين:

غزير طورٌ ونار الحرب موقدةٌ ... وأنت موسى وهذا اليوم ميقاتُ

إلقِ عصاك ولا تخشَ لما أفكوا ... بأمرهـا وحبـال القـوم حيّاتُ

ودهم غزير، وشدّد عليها القتال، واستولى عليها بمدّة وجيزة حسبما وعد، ورجع لبعلبك ظافراً، وتولّى أحكامها.

وفي سنة ١٦٠٥ التجأ الأمير يونس الحرفوش إلى الأمير فخر الدين المعني والي جبل لبنان خوفاً من ابن عمّه الأمير موسى المذكور، فوقاه من ضرره وتولّى بلاد بعلبك بعدئذٍ بامداده وزوج الأمير أحمد بن الأمير يونس إبنته.

وفي سنة ١٦٠٦ جمع أحمد باشا الحافظ والي دمشق الجنود وحمل على الأمير يونس لضغينة بينهما، فاستنجد هذا بالأمير فخر الدين المعني فأنجده فكفّ حينئذ أحمد باشا عنه، وسبّب ذلك كدره منه.

وفي سنة ١٦١١ تولّى نصّوح باشا الصدارة فأول أمر طلبه من الأمير فخر الدين هو قتل الأمير يونس فتلافى الأمير المذكور الطلب.

وفي سنة ١٦١٣ جهّز الأمير يونس رجاله وسار بهم لإنجاد الأمير فخر الدين الذي كان يحارب

عسكر دمشق في حوران، غير أنّه في أثناء ذلك تقدّمت الشكوى على الأمير فخر الدين من أحمد باشا الحافظ فأنفذ ساكن الجنان السلطان سليم أربعة عشر باشا يقودون خمسين الف مقاتل لإبادة آل معن، فأخذ الهلع من الأمير يونس الحرفوش كل مأخذ، وقدّم الطاعة للدولة العلية، وسار برجاله مع أحمد باشا، فأرسله لسك الطريق على جنود الأمير فخر الدين الذين قدّموا نجدة لمن في قلعة شقيف أرنون، فالتقوا بهم ليلاً فوق جسر الخردلي وانتشب بينهم القتال، فقبض عسكر الأمير يونس على رجلين وانهزم الباقون. وبعد أن اصطلح الأمير فخر الدين مع الحافظ اصطلح أيضاً مع الأمير يونس.

وفي سنة ١٦١٧ قدم إلى مشغرة الأمير أحمد بن الأمير يونس وبنى داراً فيها واستقرب إليه مشايخ بلاد بشارة، فأنف الامير علي بن الأمير فخر الدين ذلك، وكتب إلى والده في بعلبك أن يمنعه السكن في مشغرة فأجابه، ومنع ابنه من سكناها. ولمّا أتى الأمير فخر الدين من إيطاليا إلى سوريا ذهب الأمير أحمد للسلام عليه وأهداه عدّة خيول كريمة.

وفي سنة ١٦١٨ كتب الأمير فخر الدين للأمير يونس أن يضبط ما لآل سيفا من المواشي والغلال في القيرانية والهرمل فلبّاه.

وفي سنة ١٦١٩ مرّ الامير فخر الدين بعساكره بأراضي بعلبك ذاهباً إلى عكار، فلمّا بلغ الأمير يونس اقام في حصنّ اللبوة هلعاً، فقصده الأمير بعشرة فوارس وواجهه وأمنه ودعاه إلى خيمته، فلم يلبث أن رجع حالاً إلى حصن اللبوة محتجّاً بتقديم الميرة للعسكر ولم يرجع ولا أرسل ما وعد به، ولم يلبث أن تنافرت القلوب بينهما قليلاً. وبعدئذٍ وفي السنة ذاتها توفي الامير أحمد زوج ابنة الأمير فخر الدين.

وفي سنة ١٦٢١ طلب الأمير يونس من الأمير فخر الدين أن يأذن للأمير حسين ولده أن يتزوّج بامراة اخيه أحمد المتوفى، ودفع له ثمانية الاف غرش على ذلك. فقبل وأزوج ابنته من الامير حسين. وفي السنة المذكورة أنعمت الدولة على الامير يونس بتولي سنجقية حمص.

صهر الأمير فخر الدين

وفي سنة ١٦٢٢ عزل الأمير فخر الدين عن صفد، وانهزمت رجاله في نابلس وعجلون، فكتب الأمير يونس لأحد أصحابه المسمّى كرد حمزة وهو رجل من ذوي المكانة يخبره بذلك، فأرسل كرد حمزة الكتاب إلى فخر الدين غلطاً مع كتبه، فلمّا قراه فخر الدين اغتاظ جداً من الامير يونس، ولاسيّما وقد ساعده كثيراً وتولّى بعلبك بإمداده. فلمّا اعتزّ منع أهل الشوف من الزراعة بأرض البقاع وضبط للأمير علي بن الامير فخر الدين تلّ النمورة الذي عند قب الياس، وقد نهاه ولده الامير حسين صهر الامير فخر الدين فلم ينته. ثمّ نهض الأمير فخر الدين برجاله من بيروت إلى قب الياس فدعاه الأمير حسين الحرفوش إلى وليمة في منزله بالقرية المذكورة فسار معه. وفي اثناء الكلام أبرز له صكاً وحكماً سلطانياً بمشترى حارة قب الياس من تركة الأمير منصور الفريخ، وقال له هذه الحارة ملكنا وقد أسكناك بها مدّة طويلة والآن احتجنا إليها، وقد قاسمتمونا على الاراضي

التي أدخلناكم إليها فاذهب إلى والدك. فاغتاظ الأمير حسين وذهب إلى والده. فأرسل الأمير فخر الدين ابنته زوجة الأمير حسين وولدها من قب الياس إلى صيدا حيث والدتها، وأمر بضبط غلال آل حرفوش التي في البقاع، وضبط مواشيهم أيضاً فبلغت ستمائة من البقر والجاموس، وأمر بهدم حارة قب الياس.

ثمّ سار إلى جسر المجامع فلمّا بلغ الأمير يونس ذلك سار مع كرد حمزة إلى دمشق والتمسا من واليها مصطفى باشا سنجقية صفد للامير يونس فأنعم عليه بها. فدفع الأمير يونس خمسة عشر ألف ذهب عن مال صفد وعجلون. ولما بلغ فخر الدين ذلك كتب إلى وزير دمشق قائلاً بلغني أن الامير يونس الحرفوش زاد على سنجقية صفد الف ذهب وقبلتم منه فانا ازيد على بلاد بعلبك والبقاع ماية ألف ذهب، وكتب إلى الدفتردار وكبير الإنكشارية بمثل ذلك، فلمّا وصلت كتبه ولم يعبأ بها أحد فكتب لمديره في الأستانة بهذا الشأن، فبعد الوسائل العديدة أخرج له فرماناً بسنجقية صفد وعجلون ونابلس. فعندها كتب مصطفى باشا للامير يونس أن يحضر بعساكره وتركمان بلاد بعلبك فحضر.

معركة المزار

أمّا الأمير فخر الدين فسار بعساكره إلى البقاع. وسار ذات يوم إلى كرك نوح بألف فارس لجلب العليق، وكان فيه ماية رجل من عساكر الأمير يونس، فتحصّنوا في المزار وأخذوا يطلقون الرصاص على فرسان الأمير فخر الدين، فقتلوا منهم نفراً، فأمر إذ ذاك الأمير جماعته بالهجوم عليهم فهجموا وقتلوا منهم ثلاثة وأربعين رجلاً وقتل من جماعة الأمير فخر الدين خمسة رجال وهرب الباقون من المزار واختبأوا في القرية، ثمّ فتّشوا عليهم فوجدوهم وكانوا سبعة وخمسين رجلاً، وأمر الامير بحرق القرية. وتوجه إلى قرية سرعين مقرّ الحرافشة ونهبها وأحرق القرى الشرقية في طريقه ببلاد بعلبك ثمّ رجع إلى قب الياس، وأرسل الأسرى إلى بيروت.

ولمّا بلغ الأمراء الحرافشة ذلك تحصّنوا في قلعة بعلبك، وكتبوا إلى الأمير يونس يخبرونه بما جرى فأرسل اليهم فرسانه لمحافظة البلاد وانضمّ الامير يونس إلى عسكر مصطفى باشا وزير دمشق وحضر معه واقعة عنجر سنة ١٦٢٣ التي انكسرت فيها عساكر الوزير أمام جنود فخر الدين. وأسر مصطفى باشا، فهرب الأمير يونس والأمير عمر سيفا وكرد حمزة إلى بعلبك، وأبقى الأمير يونس في القلعة ماية وعشرة أنفار، وظلّ سائراً إلى حصن اللبوة وأقام فيه. وأما مصطفى باشا فإنه أبان للأمير فخر الدين انّ كل المساوىء التي حصلت سببها كرد حمزة، فطيّب الأمير قلبه وأطلق له الحرية واحترمه.

حصار القلعة

ثمّ سار الأمير فخر الدين ومصطفى باشا والأمير أحمد الشهابي إلى قرية تمنين ولمّا بلغ الأمير

يونس قدومه فرّ من اللبوة بأولاده وعياله إلى قلعة الحصن ومعه كرد حمزة. ثمّ نهض الأمير فخر الدين إلى مدينة بعلبك وأذن بنهب غلال الحرافشة، فنهبها الدروز والبقاعيون والجبليون. وتوجّه الأمير يونس من قلعة الحصن إلى حماه وأقام ولده الأمير حسين في حمص، وحينئذ قدم الامير شلهوب الحرفوش على الأمير فخر الدين نزيلاً فطيّب خاطره. ثمّ توجّه الأمير يونس وكرد حمزة إلى حلب ورفعا الشكوى على فخر الدين إلى اسلامبول، فأرسل فخر الدين جماعته إلى اللبوة وحبة عسال فنهبوا من معزى الحرافشة اثني عشر ألف راس، ثمّ أرسل الأمير مدلج الجباري مدبره يستغيث بالأمير فخر الدين على آل فياض، فأبقى الأمير ولده الامير علياً والأمير أحمد الشهابي في مدينة بعلبك يمنعان سكمان الأمير يونس من الخروج من القلعة ويقطعان الوارد إليهم، وتوجّه بألفي فارس وثلثماية رجل إلى قرية الراس ومعه الأمير سليمان سيفا والأمير شلهوب الحرفوش. وبعد أن أنجد الأمير مدلجاً المذكور رجع بعساكره إلى بعلبك، ولمّا وصل إلى اللبوة أرسل رسولاً يخاطب الذين في حصنها بأن يسلّموا فأجابوه نحن توابع لمن في قلعة بعلبك فمتى سلّموا سلّمنا فتركهم وأتى إلى مدينة بعلبك وأمر سكمانه بحصار القلعة فتقاعسوا لأنّ الذين داخلها من جنسهم، فحنق الأمير منهم ونصب خيمة في خندق القلعة الجنوبي تجاه السور. ولمّا رأى السكمان شدّة اهتمامه وبأسه تبعوه بخيامهم وشرع ببناء أتراس وخنادق وأسوار، ووضع جسوراً عالية وصناديق مملوءة تراباً وغطّى الخنادق بخشب، وجعل يتنقل إلى أن وصل إلى حائط القلعة، وأخذ الفعلة ينقبون الحائط وهو لا يفارق المحاصرين أصلاً. ولمّا علم الأمير يونس بالضيق الحاصل على بلاده بسببه أتى نزيلاً على الأمير فخر الدين طالباً منه الصفح والرضى، فطيّب فخر الدين قلبه، وأمّا المحاصرون في القلعة فأبوا التسليم. ثمّ خاف الأمير يونس من تقلّب خاطره عليه لعدم تسليم القلعة فسار بعد عشرة ايام إلى معرّة النعمان فقبض عليه مراد باشا ورفعه إلى قلعة سلمية، ثمّ وجّهه إلى حلب. فلمّا بلغ الأمير حسين ذلك فرّ من حماه ليلاً إلى قلعة الحصن مذعوراً. وأرسل إلى الأمير شلهوب الحرفوش وأخيه الأمير علي أن يتوجّها إلى بعلبك ويلتمسا من الأمير صفاء الخاطر عليه. وأن يكتب إلى مراد باشا ملتمساً إطلاق والده وتعهّد له بدفع أربعين ألف غرش.

حصار حصن اللبوة

وفي تلك الأثناء قدم قبوجي باشا ومعه خلعة الولاية للأمير فخر الدين فخاطب المحاصرين في القلعة بأن يسلّموا فأبوا، وحينئذ وفد خبر يحقق إلقاء القبض على الأمير يونس الحرفوش فوهنت عزائمهم وتوجّه مقدامهم إلى الأمير فخر الدين يطلب الأمان له ولأرفاقه فطيّب قلبه وأعطاه وثيقة لأصحابه وأخرجهم من القلعة بالأمان وضبط ما للأمير يونس فقط وأدخل أولئك السكمان المسلّمين في خدمته. وقد قتل من جماعة الأمير فخر الدين في مدّة الحصار أربعون رجلاً. ثمّ أحضر ماية وخمسين من البنّائين وأمرهم بهدم بعض تحصينات القلعة ووعد السكان بصلات جزاء لحسن خدمتهم. وأرسل إلى المحاصرين في حصن اللبوة أن يخرجوا منه آمنين فأبوا فحنق منهم وأوعز إلى السكمان أن يسيروا إلى العين ليسير بهم لحصار اللبوة فوراً، وكانوا أربعة آلاف وخمسماية رجل.

دفع وتسلّم زوجته

وفي غضون ذلك قدم محمد باشا إلى راس بعلبك بأربعماية فارس فالتقاه الأمير بعسكره للسلام عليه، وساروا سوية لقرية العين ثمّ انطلق الوزير من هناك إلى الزبداني وأمر الأمير فخر الدين سكمانه بمحاصرة اللبوة. ولمّا بلغ الامير علي الحرفوش بن الأمير يونس ذلك توجّه لبلاد الحصن حيث كان أخوه الأمير حسين ليأتي بالمال المشترط به فكاك أبيهما الأمير يونس. ثمّ عاد ومعه الامير سيد أحمد ابن عمّه ودفع للأمير ستة عشر ألف غرش وطلب من الأمير حسين بالباقي عليه، والتمس منه الصلح ورفع الحصار عن قلعة اللبوة فقبل الأمير منه ذلك ونهض بعسكره إلى بعلبك إلى مرج عدوس ثمّ إلى مرج عيون. ورجع الأمير يونس الحرفوش إلى بلاده. ثمّ الأمير حسين ابن الامير يونس إلى الامير علي الشهابي وطلب منه أن يتوسط له عند الأمير فخر الدين بإرجاع زوجته ابنة الأمير المذكور، وأنّه يدفع ما تعهد به ببعلبك فأخبر الأمير علي الأمير فخر الدين بذلك فأجابه ليحضر وله الإكرام، فحضر الامير علي وولده الأمير قاسم بالأمير حسين إلى صيدا فأكرمهم الأمير ودفع له الأمير حسين عشرة آلاف غرش وكفله الأمير علي إلى شهر بالعشرة آلاف الباقية من الاربعين ألفاً فسلّمه الأمير زوجته فسار بها إلى بعلبك.

سلطان البرّ

وبعد أن تولّى الأمير فخر الدين المعني على ولايات عربستان ١٦٢٤ وأنعم عليه السلطان بلقب سلطان البر، أخذ يطوف بعساكره يتعهّد أحوال ولاياته، فلمّا وصل إلى بعلبك فرّ الحرافشة إلى المشرق مذعورين، فأطلق الأمان للرعية فحضروا لديه مسلّمين وقدّموا له الإقامات وتعهّدوا له بخمسة وأربعين ألف غرش خدمته. ثمّ أمر بترميم القلعة ومكث هناك شهراً إلى أن تمّ ترميمها فوضع فيها عسكراً وعلايف وسار إلى قب الياس.

وفي سنة ١٦٢٦ حضر الأمير حسين بن يونس الحرفوش إلى حاصبيا مستشفعاً بالأمير الشهابي يسترضي خاطر الأمير فخر الدين عليه فسار الأمير علي به إلى صيدا فأكرم الأمير فخر الدين مثواهم وطيّب قلب الأمير حسين فرجع لبلاده مسروراً.

ولمّا قدم أحمد باشا الحافظ سنة ١٦٣٣ بالعساكر السلطانية مأموراً بالقبض على الأمير فخر الدين لاستبداده، ولّى إذ ذاك الأمير حسين وأخاه الأمير محمداً الحرفوش على بلاد بعلبك. وهذا ما انتهى إلينا من أخبار الأمير يونس.

الأميرة نسب والحافظ

وهنا يقول الأب بولس مسعد ونسيب وهيبة الخازن في مجلة، **الأصول التاريخية** (جزء ٣ - ص ٣٧٧ - ٣٧٨):

«لمّا تولّى نصّوح باشا الصدارة العظمى عام ١٦١١ مكان مراد باشا أرسل الأمير فخر الدين خدمته، فلم يظهر لرسوله مصطفى كتخدا البشاشة المعهودة وذلك لأنه سبق وساعد الشاميين ضدّه لمّا أخرجهم من حلب. ولمّا أراد الحافظ أن يتسلّم قلعة بانياس، كلّف الأمير حسيناً اليازجي بالدفاع عنها. لكنّه لم يصمد في المعركة إذ هرب قسم من عسكره. عندئذ أرسل الحافظ حسين سيفا ويونس الحرفوشي بجماعتيهما لقطع الطريق على الهاربين، فقاتلا من تبقّى من رجال يونس معن، وتغلّبا عليهم. انتهت هذه الحملة بأن أرسل الأمير يونس والدته السيدة نسب لاستعطاف خاطر الحافظ برفع أذاه عن البلاد.

لم تكن علاقة موسى الحرفوشي مستقرّة بالأمير فخر الدين فكان تارة يعلن له العداء وأخرى يلجأ إليه ويسترضيه بالرغم من أن وشائج القربى كانت تجمع بينهما. فحسن موسى الحرفوشي كان متأهلاً من ابنة فخر الدين.

معركة عنجر

ومن المعارك الهامة التي خاضها فخر الدين ضدّ ابن الحرفوش معركة عنجر عام ١٦٢٣. ففي شهر محرّم من هذا العام اجتمعت مع عساكر الحرفوشي عساكر الشام وآل سيفا وعربان حمص وغيرهم، ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل فظفر بهم، فقتلوا (المعنيون) وشلحوا وأمسكوا نفراً كثيراً، وانهزم الباقي إلى أماكن مختلفة. لم يبق سوى مصطفى باشا قائد الحملة وحده، فأتى الأمير وأكرمه واصطحبه معه إلى قب الياس واستضافه فخلع عليه وعلى جماعته مقاطعات غزة والبقاع وسناجق عجلون وصفد ونابلس والجون وعاد إلى دمشق. (راجع **تاريخ الأزمنة** ص ٤٨٨).

يتابع ميخائيل موسى ألوف نبذته عن آل حرفوش فيقول: حاصر فخر الدين من ثمّ بعلبك وامتلكها وأمر بهدم قلعتها، ثمّ سار إلى حصن اللبوة الذي كان بيد ابن الحرفوش واستولى عليه.

اعتقال موسى الحرفوشي

«وفي هذه الأثناء، أرسل مراد باشا، صاحب حلب، وقبض على الأمير موسى الحرفوشي في المعرة (معرة النعمان) وسجنه في قلعة سلمية. تسلّمها فخر الدين من سكمانية السجين. وفي سنة ١٦٢٥ تقرّرت بلاد بعلبك على فخر الدين وهرب ابن الحرفوش إلى حلب وصار يفتن على ابن معن وأشرط على نفسه أن كان الأمير يسلّم القلاع يكون بقطع رأسه فرفعه الوزير إلى القلعة».

«وفي سنة ١٦٢٦ بعث حافظ أحمد الوزير يعزل مصطفى باشا عن إيالة طرابلس، وفي حال وصوله إلى ديار بكر قتله وأخذ ماله. وقدّمت الشكايات في ابن معن أنّه ظلم الرعايا ونهب مدينة السلطان طرابلس. إنّما انعزل الحافظ وتولّى مكانه خليل باشا. توجّه بالعساكر إلى حلب لأجل الركبة على فخر الدين ونهب بلاده. وفي حال وصوله عزل عمر باشا وأعطى إبراهيم باشا. وأمّا

الأمير فخر الدين فاستعطف الصدر الأعظم، وأرسل مع عبد الله بلكباشي يوعد في خزاين كثيرة وبتسليم قلعة الحصن وصافيتا وسلمية وشمسين والمرقب. وعندما صار الوقت على ذلك قطع راس يونس بن الحرفوش كما أنّه كان شارط على ذلك».

اعتداء على المحصّنات

وفي سنة ١٦٧٦ نهب الأمير شديد الحرفوش قرية راس بعلبك فورد الأمر لعلي باشا النكدلي والي الشام ووعد بمجازاته فأتى وحاربه وعاد ظافراً بعد أن قلّد زمام أحكام بلاد بعلبك للأمير فارس شهاب الذي حضر ومعه نحو ألفين من الدروز. ففرّ الحرافشة، وجمع الأمير شديد نحو ستين فارساً يأتمرون بأمره وأخذ يطوف البلاد متخفّياً. ولمّا خضعت البلاد للأمير فارس أخذت عساكره تقترف الفواحش حتى أنّه في أنّه في سنة ١٦٨٠ تعدّى أحد جنوده على إحدى المحصنات. فذهبت أمّها إلى الأمير شديد وكان في قرية نبحا وبيدها اليمنى شاش ناصع البياض، وبالأخرى حذاء عتيق، وقالت له إن أخذت بثار ابنتي فهذه رايتك وأرته الشاش، وان لم تقم به فهذه رايتك وأرته الحذاء. وقصّت عليه أمرها فدبّت الحمية برأسه وقام بجماعته الستين قاصداً الأمير فارس شهاب وعلم الأمير فارس فزحف بألف رجل على الأمير شديد ومن ورائه أحد اتباعه المسمّى يوسف السكّرية. ولاح ليوسف المذكور مضرب على الأمير فارس، فأطلق عليه الرمح من بعيد، فحلق الأمير شديد وأصاب الأمير فارس وجندله صريعاً».

توسط الصلح

ولمّا علم الدروز بقتل أميرهم فرّوا هاربين وقد قتل منهم خمسون رجلاً، ودفن الأمير فارس في محل هناك لم يزل يدعى «قلعة فارس» للآن. ولمّا بلغ الأمير موسى شهاب ذلك نهض برجاله من حاصبيا، ونهض الأمير علي نجم من راشيا قاصدين الأخذ بالثأر، وأخذوا ينهبون أطراف بلاد بعلبك فذهب وقتئذ الأمير عمر الحرفوش إلى الشوف مستغيثاً بالأمير أحمد المعني والتمس منه توسّط الصلح بينهم وبين الشهابيين، فتوجّه الأمير أحمد إلى بعلبك وأصلح الأمر بينهم بشرط أن آل الحرفوش يؤدون كل سنة لآل شهاب خمسة آلاف غرش وجوادين من أطايب الخيل ديّة عن الأمير فارس.

إحراق قرية العاقورة

في سنة ١٦٨٦ كتب علي باشا إلى الأمير بشير شهاب الأوّل أن ينجده بالرجال لمحاربة الأمير شديد الحرفوش فأنجده، فلجأ الأمير شديد إلى المشايخ الحمادية فأحرق علي باشا قرية العاقورة وأربعين قرية من قرى بني حمادة.

وفي سنة ١٧٠٢ كان الحاكم في بعلبك الأمير حسين الحرفوش هو الذي التجأ إليه الشيخ يوسف الدحداح وصار له مكانة عظيمة عنده، وقيل إنّه قتل بثورة من أهالي بعلبك وتولّى بعده الامير حيدر، وهو الذي ارتحل إليه سنة ١٨٤١ الشيخ منصور الشدياق، وفي زمن هذا الاخير رحل كثيرون من أهالي بعلبك إلى غيرها من البلاد لاشتداد وطأة الأمراء عليهم.
وفي سنة ١٧٤٨ جعل أسعد باشا أمور بلاد بعلبك متعلقة بالأمير ملحم شهاب، إلاّ أنّه عاد فغضب عليه وحاربه وانضمّ إليه الأمير حيدر، فانكسر عسكر أسعد باشا، وبعدما سار إلى الحج انتهز الفرصة الأمير ملحم وأرسل عسكراً إلى بلاد بعلبك فنهبها وأزاح الأمير حيدر عن الحكم وولّى مكانه الأمير حسين الحرفوش. ولمّا رجع أسعد باشا من الحج بلغه ما فعل الأمير ملحم في بعلبك فأخذ يجمع العساكر لمحاربة الأمير ملحم ، فلم تطل المدّة حتى نفذ الأمر السلطاني بضرب عنقه.
وفي سنة ١٧٥١ كان عدد سكان مدينة بعلبك خمسة آلاف نفس فقط بعد أن كانت تحتوي في زمن الرومانيين مئات الألوف. ثمّ أخذت تتناقص حتى بلغ سكانها في سنة ١٨٣٠ ثمانماية نفس فقط، ثمّ أخذت بالتقدم بعد أن تخلّصت من ربقة الحرافشة.

زلزلة في بعلبك

وفي سنة ١٧٥٩ حدثت ببعلبك زلزلة هائلة أخربت دورها وأبنيتها وأسوارها وأسقطت أعمدة هياكلها القديمة، وقد أثرت فيها هذه الزلزلة تأثيراً عظيماً، فانحطت على أثر الحروب والزلازل انحطاطاً لا قيام بعده على ما كانت عليه من العزّة والمنعة. وكانت هذه الزلزلة بأيام الامير مصطفى المشهور بالظلم والجور.

انهزام عسكر الجزار

وفي سنة ١٧٧٦ أرسل أحمد باشا الجزار قائد عسكره قرامنلا إلى بعلبك فأخذها بعد حرب هائلة مع الأمير جهجاه بن الأمير مصطفى المذكور الحاكم وقتئذ، إلا انه عاد فتركها لخروج الأمير يوسف الشهابي بعساكره عليه فرجع إليها الأمير جهجاه ولبث حاكماً فيها.
وفي سنة ١٧٧٨ انضم الأمير جهجاه برجاله الى الامير يوسف الشهابي وحاربوا عساكر الجزار فهزموها. وفي سنة ١٧٧٩ خرج على الأمير جهجاه ابن عمه الأمير قاسم يريد أن يخلعه عن ولاية بعلبك فطلب من الأمير بشير الكبير المساعدة على ذلك ويوليه مكانه، فلبّاه وأرسل له عسكراً الى زحلة وأمر أهلها أن يتوجهوا مع العسكر، وأرسل أمراً الى الأمراء اللمعيين أن يجمعوا رجالهم ويذهبوا بهم إلى زحلة فأطاعوا. فزحف آنذاك الأمير قاسم بالعسكر إلى بعلبك فلاقاه الأمير جهجاه برجاله في أرض أبلح وانتشب بينهم القتال فانكسر الامير قاسم بمن معه ورجع الى زحلة، وسلبت خيولهم وأسلحتهم وقبض على الأمير مراد شديد اللمعي فأمر الامير جهجاه برد أسلحته وجواده له وأطلقه بالإكرام. ولما بلغ الأمير بشير انهزام عسكره جرّد جيشاً آخر بقيادة الامير

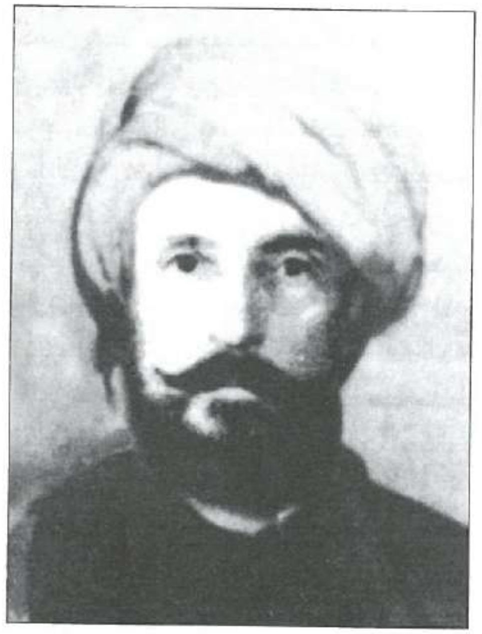
حسن شقيقه ولما وصلوا إلى بلاد بعلبك أخلى لهم الأمير جهجاه المدينة فدخلوها وإذ لم يجدوا قوتاً رجعوا. ولمّا لم ينجح أمر الأمير قاسم التجأ الى الجزار والتمس له الامير بشير عسكراً فأرسل له، فوجهه الامير الى بعلبك وأصحبه بمشايخ الدروز ورجالهم لطرد الأمير جهجاه، وحينما وصلوا إلى بعلبك فرّ الامير جهجاه الى رأس بعلبك، فقصدوه فرجع إليها من طريق آخر ونهبها ثم توجّه إلى نواحي يبرود ودخلت بعلبك بحكم الجزّار فولى عليها رجلاً عبداً يدعى سليم آغا. وإذ رأى الامير جهجاه ذلك سار إلى عرب خزاعة أبناء عم بني الحرفوش، إذ أنهم من أصلٍ واحد فاستعان بهم على استرجاع بلاده من الجزّار فاعتذروا له وأمدّوه بمال وفير وأعطوه فرساً صفراء كريمة الاصل فركبها وأتى إلى بلاد بعلبك، وذلك سنة ١٧٩٠ وذهب إلى زحلة وجمع فيها مائة مقاتل وعزم على استرجاع بعلبك من العبد، فأتى بهم لقربها ونعلوا الخيل بلباد ودخلوا في الليل وهجموا على البلد، وكلما صادفوا أحداً قتلوه وأجروا الدماء كالسواقي، فانهزم عسكر الجزار وقتل منه خلق كثير.

العودة الى بعلبك

ورجع الأمير جهجاه الى زحلة ظافراً فقصده المنلا اسماعيل قائد عساكر الجزار بألف ومائتي فارس فالتقاه الامير جهجاه وأخوه الأمير سلطان بأهل زحلة، وأكمنت فرقة في خليج القرية ولما وصلت الفرسان إلى الخليج أطلقوا عليهم الرصاص فانهزموا الى قرية السلطان ابراهيم وقتل منهم خلق كثير، ومن جماعة الأمير نفر قليل، ورجع جهجاه الى بعلبك ظافراً وقبض على أزمّة احكامها.
وفي سنة ١٨٠٦ وقع نفور بين الأمير جهجاه وأخيه الأمير سلطان وتحزب الحرافشة للأمير سلطان على أخيه، فحنق جهجاه وأتى وسكن بلاد بشارة إلى أن أصلح بينهما الأمير بشير الكبير سنة ١٨٠٧، فتولى جهجاه على بعلبك وأعمالها وبقي حاكماً الى ان توفي بعد سنين قليلة، وكان بطلاً شجاعاً ومقداماً مذكوراً فحكم بعده أخوه الأمير أمين. وفي سنة ١٨١٩ كتب نائب دمشق إلى الأمير أمين أن يطرد المشايخ النكدية من بلاده فهرب هؤلاء وفي سنة ١٨٢٠ سوّلت للأمير نصّوح ابن الأمير جهجاه الخروج على عمه الأمير أمين فاستنجد بالأمير بشير على طرد عمه عن أحكام بعلبك، فأنجده بعسكر يرأسه الأمير ملحم حيدر شهاب فلما علم أمين بذلك فرّ مع أخيه سلطان الى الهرمل، ولما وصل العسكر المذكور الى بعلبك التقاه الأمير نصوح وخرج معه لطرد عميه من الهرمل ففرّ الأميران لمّا علما بذلك، فرجع الأمير ملحم لبلاده، وعاد الأمير أمين الى بعلبك، ففر الأمير نصوح الى زحلة.

خنق ابن أخيه

وفي يوم ما كان الأمير أمين في قرية بدنايل، فدهمه الأمير نصّوح بأهل زحلة فانهزم الأمير أمين. وإذ رأى نصّوح أن معاندته لعمه لا تجديه نفعاً، وأن أهل البلاد لا تميل إليه لأن عمه أحق منه



الأمير جهجاه الحرفوشي
(من كتاب تاريخ الشيعة)

بالحكم أتى اليه مستسمحاً منه طالباً المغفرة فطيب الأمير أمين خاطره ولكنه حفظ له الضغينة في قلبه. وبينما كان الأمير نصّوح نائماً في قرية مجدلون أوعز الأمير أمين الى مكباشي درزي عنده فخنقه. ولبث الأمير أمين حاكماً الى أن أتى ابراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري لافتتاح البلاد السورية، فلم يزل الأمير أمين خاضعاً للدولة العليّة، فسبّب عليه ذلك غضب ابراهيم باشا فحضر بعساكره سنة ١٨٣١ الى بعلبك فأخذها من دون مقاومة، وفرّ الأمير أمين بعياله من مكان الى آخر. فوضع ابراهيم باشا ببعلبك عسكراً بنى لهم بها قشلة كبيرة وجعل البلدة كنقطة حربية لجيشه نظراً لموقعها الحربي المهم وحكّم بالبلدة الأمير جواد الحرفوش، وذهب الأمير أمين سنة ١٨٣٢ الى بيت الدين مستجيراً بالأمير بشير فطيب خاطره ووعده بأخذ الأمان له من ابراهيم باشا، وأما أرفاقه فلم يتركوه على عزمه ولم يدعوه أن يقدم الطاعة فرجع الى ما كان عليه وصارت تطارده عساكر إبراهيم باشا وما زال منهزماً من مكان الى آخر الى ان لحقته يوماً فرسان الهنادي في عين الوعول شمالي بعلبك، وكانوا نحو أربعماية فارس وليس مع الأمير أمين سوى ولده الأمير قبلان وإثنى عشر فارساً فوقف الأمير أمين مع الحريم وقال قبلان لفرسانه أحموا أنتم ظهري لأريكم كرّي وفرّي ثم هجم بفرسانه على الهنادي هجمة الضرغام ومال عليهم بضرب الحسام، وكان يخترق صفوف الهنادي بهمة لا تعلوها همة، وما زال السيف يعمل والرجال تقتل ولله درّ قبلان وما وفعل حتى إذا لم تستطع الهنادي على الثبات فرّوا هاربين طالبين النجاة. وأما قبلان فرجع عن مطاردتهم الى أبيه والدم على أثوابه كشقيقة الأرجوان، وساروا من هناك الى شعرة الدنادشة وأودعوا حريمهم عند آل دندش، ثم طلبوا الآستانة العلية حيث أنزلوا في أرفع منزلة ولبثوا هناك الى ما بعد ذهاب ابراهيم باشا من سوريا.

ابراهيم باشا في بعلبك

قلنا - والكلام لميخائيل ألوف - إن ابراهيم باشا استولى على بعلبك وولّى عليها الأمير جواد الحرفوشي، وبعد أن استقام مدة عزل وعيّن عوضه أحمد آغا الدزدار فكان ذلك سبب عصيانه على الدولة المصرية فأخذ يحرك الفتن عليها ويجول من مكان الى مكان الى أن أدركه يوماً بقرب يبرود



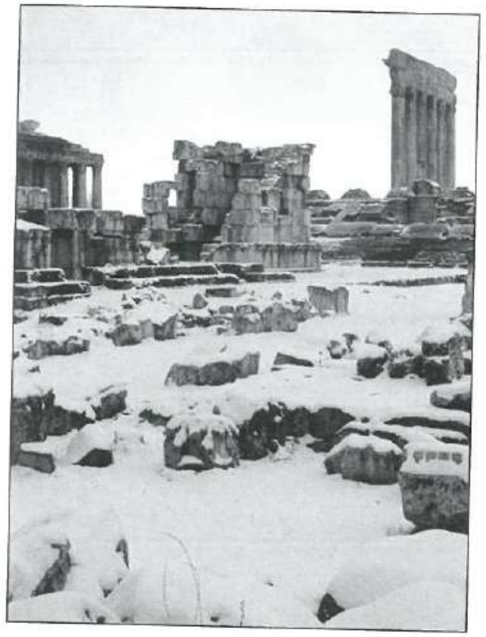
الأمير فخر الدين المعني الثاني
(من كتاب لبنان في تاريخه وتراثه)

ومعه مايتا فارس أكراد أرسلهم شريف باشا المصري حاكم دمشق عليه. وكان مع الأمير جواد ابناء عمه الامراء: محمد وعساف، وعيسى وسعدون وثلاثون فارساً. فهجم بعضهم على بعضهم واقتتل الفريقان وفعل الأمراء الحرافشة فعالاً خلّدت لهم ذكراً جميلاً، فانهزم الأكراد وقتل منهم أحد أمرائهم عجاج آغا. وذهب بعد ذلك الأمير جواد الى بلاد حمص وقد تفرقّت عنه أصحابه، وبينما كان في محل يدعى الحريشة دهمه ثمانماية فارس من الهنادي فرسان ابراهيم باشا وأخذوا يطلقون عليه الرصاص، ثم مسكوا عليه جسر التل المنصوب على العاصي الذي لا بد له من المرور منه للتملّص منهم. فحينئذ هجم عليهم هجمة قسورية وفرّق جمعهم بضرب الحسام ومرّ منه بعد أن قتل منهم نحو عشرين فارساً وفرّ هارباً، إلا أنه ما برح لا يأمن على نفسه ورأى أن العصيان لا يجديه نفعاً وأن لا مناص له من يد أعدائه فاستأمن للأمير بشير وطلب منه أن يأخذ له الأمان من إبراهيم باشا، إلا أن هذا كان يكرهه فخان وسلّمه إلى شريف باشا حاكم دمشق فأماته شرّ ميتة.

الأمير خنجر في السجن

ثم عزل أحمد آغا الدزدار فعين عوضه خليل آغا وردة ثم الأمير حمد الحرفوش. ولما رجع ابراهيم باشا لبلاده سنة ١٨٤٠ حكم بعد الأمير حمد الامير خنجر وكان عدواً ألدّ لابراهيم باشا. وفي السنة المذكورة قدم من حلب الى بعلبك عثمان باشا بثمانية آلاف جندي لمحاربة العساكر المصرية، وبعد أن احتل القشلة المبنية من إبراهيم باشا ذهب إلى البقاع. وفي تلك الأثناء جمع الأمير خنجر وأخوه الأمير سلمان نحو أربعماية فارس وانضموا للأمير علي اللمعي وأخذوا يقتفون آثار ابراهيم باشا ويغزون أطراف عسكره وبعد مناوشات عديدة ذهب الأمير خنجر وأخوه الى زوق مكايل ليجمع رجالاً من الثائرين على الدولة المصرية، فلما وصل الى العاملتين قال له بعض رفقائه: خذ معك عامية غزير ونحن نذهب ونأتي بالرجال إليك. وساروا إلى الأمير عبد الله شهاب حليف إبراهيم باشا، وأخبروه بما كان فقصده الأمير عبد الله بأصحابه للقبض عليه. ولما رآهم الأمير خنجر مقبلين ظن أنهم العامية وإذ دنوا منه أحاطوا به فلم يمكنه الهرب فقبضوا عليه وعلى أخيه

وعلى ستة أنفار متاولة كانوا معهما ورجعوا بهم الى غزير فامر الامير عبد اللـه بوضعهم في السجن. وذاع الخبر في كسروان فانحدر الى غزير نحو مائة رجل من قرى كسروان والفتوح واتفقوا مع عامية غزير على تخليص الامير خنجر ومن معه. فأرسلوا إلى الأمير عبد اللـه يطلبون إخراجهم من السجن فأبى، فهجموا حينئذ على السجن وكسروا بابه وأخرجوا الأميرين وأصحابهما واسترجعوا أسلحتهم وسلموها لهم، وانحدروا الى جونية فاجتمع اليهم جماعة وأتى الأمير خنجر بهم الى المكلّس لهياج المتنية. وفي ذلك الوقت نهض عباس باشا وسليمان باشا بالعسكر المصري قاصدين حمانا، ولما وصلوا تجاه المكلّس أطلق الأمير خنجر وجماعته الرصاص عليهم، فأرسل إليهم سليمان باشا فرقة الأرناؤوط، ولما قابلوهم تفرقوا وفرّ الأمير خنجر إلى جرد العاقورة. وفي تلك الاثناء كانت فرقة من العسكر المصري مخيمة في عيناتا من أعمال بعلبك فجمع رجل يدعى ابو سمرا البكاسيني أربعة آلاف رجل وسار بهم الى اليمونة ثم الى عيناتا. والتحم القتال بينه وبين العسكر المصري مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث دهمه العسكر بغتة وقتل من جماعته ستين نفراً وانهزم الى جبة بشري وجمع رجالاً من نواحيها ورجع الى عيناتا وأضرم نار الوغى فانهزم العسكر المصري وقتل منه سبعون نفراً.



قلعة بعلبك التاريخية

أما الأمير خنجر فإنه انضم بعد هزيمته المذكورة آنفاً الى عزة باشا سر عسكر الجيش العثماني ثم سار مع عمر بك وحاربوا الأمير مسعود شهاب ورجعوا الى جونية. وفي تلك الاثناء عاد أبو سمرا وجمع رجال الجبة وبلاد جبيل والبترون بامداد السر عسكر العثماني وهجم على العسكر المصري المجتمع بعيناتا وصارت موقعة عظيمة هنالك. وما زال الأمير خنجر ينجد العسكر العثماني الى أن تم إخراج ابراهيم باشا من البلاد السورية، فأنعمت عليه الدولة بحكم بعلبك دون معارض.

عارض جنون

وفي سنة ١٨٤١ عاد الأمير أمين وولده الأمير قبلان من الأستانة العلية الى بيروت وقد جلب أمراً شاهانياً بتولي بعلبك فتوفي الامير أمين في بيروت وكان مهاباً مطاعاً سفاكاً للدماء

فذهب ابنه الأمير قبلان الى دمشق ليصادق على الأمر المعطى له ولأبيه وبقي فيها مدة إلى أن خرج الأمر. ولكنه أصيب بعارض جنون ثم توفي سنة ١٨٦٤ في سن الثمانين وفي السنة المذكورة وقعت الفتن بين الدروز والنصارى فتوجّه الأمير خنجر وأولاد عمه بجماعتهم الى زحلة وأنجدوا أهلها وحاربوا العريان قائد الدروز في تعلبايا فهزموه ثم جمع الدروز شملهم وزحفوا على زحلة بثمانية آلاف محارب فالتقاهم الامراء وأهلها وانتشب القتال بين الفريقين فانهزم الدروز انهزاماً شنيعاً، ورجع الأمير خنجر الى بعلبك وبقي حاكماً الى سنة ١٨٤٢ حيث انطلق الى الشام الأمراء بشير وسعدون وشديد وفدعم وأخرجوا أمراً بقائمقامية بعلبك للأمير حسين بن الأمير قبلان، وإذ كان صغير السن أقاموا له وصياً الأمير سعدون، وبعد سنة توفي سعدون فاستولى على أعنّة الأحكام الأمير حمد وبقي حاكماً الى سنة ١٨٤٥ حيث ذهب الأمير محمد الى دمشق وأخذ أمراً بولايته على بعلبك. ثم أتى اليها ومعه محمد آغا بوظو وعساكر من الأكراد يبلغون ١٥٠٠ فارس لإعانته وطرد الأمير حمد فأتوا الى قرية بر الياس من أعمال البقاع، ولما بلغ ذلك الأمير حمد جمع جيشاً من أهالي البلاد وذهب بهم لملاقاة الامير محمد، وأتى قرية تمنين التحتا ولبث فيها ثلاثة أيام الى أن بلغه أن الأمير محمد وبوظو خرجا من بر الياس إلى بعلبك ليملكاها فقام الأمير حمد بعساكره الى أراضي قرية الدلهمية حيث التقوا هناك فاصطدموا ببعضهم البعض واشتد القتال وسالت الدماء وتقهقرت فرسان الأمير حمد في بادئ الأمر فأنجدهم الأمير حمد حالاً بالمشاة وكانت إذ ذاك ساعة هائلة وتم الفوز للأمير حمد وولى عسكر الأكراد هارباً بعد أن ترك نحو ستين قتيلاً وقتل من فريق الأمير حمد ثلاثة فقط منهم: الشيخ شبلي حيدر. ورجع الأمير حمد ظافراً الى بعلبك ولبث على منصّة الأحكام ستة أشهر وبعد ذلك محمد وجلب أمراً ثانياً بحكم بعلبك فعند ذلك نزل الأمراء يوسف بن حمد، وشديد وخنجر ليخرجوا الأمر لهم وبعد الوسائط التي أجراها الأمير محمد معهم أخرجوا الأمر بحكمهم معاً.

الخروج عن طاعة الدولة

وفي سنة ١٨٥٠ حدثت الأمير محمد نفسه بالخروج عن طاعة الدولة العلية فعصى وجمع عسكراً بقيادة مصطفى باشا فواقعهم وأسفرت الموقعة عن انهزامه حتى وصل الى قرية معلولا فتحصن بها مع إخوانه الأمراء: عساف وعيسى وخليل وأولاد عمه آل حسن (هم طائفة من الحرافشة) فحاصرتهم العساكر الشاهانية إلى أن دخلتها بوسيلة من أهلها، فهرب الأمير خليل وأولاد عمه وبقي محمد وعيسى وعساف فتحصنوا ضمن كهف هنالك ولبثوا محاصرين به لا يذعنون إلى التسليم، فهجمت العساكر إذ ذاك وقتلت عيسى وأسرت محمد وعسّافاً وقبض على الأمراء حمد وابنه يوسف وخنجر وسلمان وفاعور وشديد وسليمان وأرسلهم الى الشام، ومن هناك نفوا مع الأمير محمد وعساف إلى جزيرة كريت وتولى حينئذ قائمقامية بعلبك تيمور باشا.

حريق بريتال

ولبث البعض من الأمراء الحرافشة في القرى، ومنهم الأمير محمود بن الأمير حمد المذكور آنفاً فعصى وأخذ ينهب البلاد إلى أن أمنته الدولة فأتى بعلبك وأدى الطاعة. ثم عزل تيمور باشا وأتى عوضه فرحات باشا، وهو الذي رمّم الجامع الحالي للسنّة وهو جامع قديم جدّد بناءه السلطان قلاوون في سنة ١٨٥٢. قتل الأمير محمود في قرية العين واتهم ابن عمه الأمير سلمان أخ الأمير خنجر بقتله فجرت الحكومة في طلبه ففرّ هذا وهام على وجهه عاصياً ناهباً سالباً. وفي السنة ذاتها عزل فرحات باشا وعيّن القومندان صالح زاكي بك وكيلاً للقائمقامية وأتى مصحوباً بعسكر شاهاني. وفي مدة وكالته ذهب الأمير منصور عم الأمير محمود والشيخ أحمد حمية إلى الشام وأخرجا أمراً بقيادة مايتي خيال بعد أن تعهدا للدولة بالقبض على الأمير سلمان أو بقتله. فصار الأمير سلمان ينهب البلاد ويجمع له أحزاباً من الأهالي الى أن اجتمع اليه خمسون فارساً يأتمرون بأمره، وأخذ الأمير منصور وأحمد حمية يطاردونه إلى أن التقوا به يوماً في أراضي قرية طاريا، فتناوشوا هناك وأسفرت المعركة عن انهزام الأمير منصور ومن معه. وعرف القومندان أن صالح بك أمر بذلك فسيّر العساكر متبعاً آثار سلمان. ففر هذا إلى القرى الشهابية ورجع العسكر إلى بعلبك وإذ رأى سلمان أن العصيان لا يجديه نفعاً ولا بد أن تدور الدائرة عليه استجلب خاطر الدولة العلية عليه في الشام وأدّى الطاعة سنة ١٨٥٤ فتكرمت عليه بقيادة مايتي خيّال وشرفته بلقب «سرهزار» وكان القائمقام إذ ذاك مصطفى راشد أفندي. وفي السنة ذاتها قتل أحمد حمية غدراً من الأمير منصور إذ قد ظهر له أنه هو قاتل الأمير محمود لا الأمير سلمان. وفي السنة المذكورة هرب الأمير محمد المشهور وأخوه عساف من منفاهما في جزيرة كريت وأتيا بلاد بعلبك، ولبثا مستترين إلى أن استرضيا الدولة. وفي سنة ١٨٥٥ حرق أهالي زحلة بريتال بسبب قتيل لهم.

ثم عزل مصطفى راشد أفندي وأتى عوضه محمد آغا ثم عبد الرحمن بك ثم عبد الله بك العظم.

وفي ٨ تشرين الثاني ١٨٥٨ كانت حرب الحديدية، وذلك أن محمد الخرفان أحد أمراء قبيلة الموالي وقع بينه وبين عرب الحديدية عداوة شديدة أسفرت عن انهزامه من وجه أخصامه الذين تتبعوا آثاره حتى قرية القاع على حدود بعلبك، فاستنجد اذ ذاك محمد الخرفان بالأمير سلمان عليهم فلبّاه الى مرامه وجمع الجموع العديدة من جميع بلاد بعلبك. وسار بهم لملاقاة العدو الذي سار أمامه حتى مقام زين العابدين على مسافة ثلاث ساعات من حماة وابتدأت الموقعة هناك في ٨ تشرين الثاني وهجم بعضهم على بعض واقتتل الفريقان قتالاً شديداً دامياً فجلت تلك الموقعة عن انكسار عرب الحديدية وقد قتل منهم نحو ثلاثماية نفر فانهزموا إلا أنهم عادوا فلمّوا شعثهم وقد التهت عساكر سلمان بالنهب والسلب. وإذا بجموع الأعادي قد فاجأتهم بعزم شديد مستميتين وأثخنوا فيهم الضرب والقتل فانهزمت عساكر سلمان شر هزيمة وتبعتهم العربان لقرية حماه فرجع سلمان وجيوشه إلى بعلبك منهزمين وقد قتل منهم نحو تسعين نفراً.

عصيان الأمير سلمان

ثم عزل عبد الله بك العظم وأتى عوضه فارس آغا قدرو وفي أيامه عصى الأمير سلمان على الدولة ثانية فأرسلت حسني باشا لكبحه والقبض عليه ففرّ الأمير وبقي هارباً إلى أن ذهب في أحد الأيام الى زحلة فنام فيها ليلتين فأعلم أهلها حسني باشا به فأتى وقبض عليه وذلك في ١٥ شباط سنة ١٨٦٠ وأتى به إلى بعلبك ومنها أرسله إلى الشام فسجن. فلم يلبث أن جمع أخوه الأمير أسعد وابن عمه الأمير محمد المذكور سابقاً جمعاً من اتباعهما وأتوا في إحدى الليالي عند انبثاق الفجر ودهموا القائمقام فارس آغا قدرو في منزله فجأة فاختبأ هذا فلم يجدوه، فقتلوا أربعة من أتباعه ثم نهبوا موجودات القائمقام من سلاح وخيل ونقود وفرّوا الى قرية نحلة وأخذوا ينهبون ويقلقون الراحة. وأما فارس آغا قدرو فإنه سار الى الشام ثم رجع مصحوباً بخمسمائة جندي وقائدهم حسن آغا اليازجي أقامهم على توطيد الراحة.

ولما صارت ثورة الدروز والنصارى في السنة المذكورة، توجه الأكثرون من النصارى الى زحلة لإسعاف إخوانهم وحضروا بعض المعارك القليلة الأهمية ثم رجعوا الى بعلبك وذهب النصارى بعيالهم الى قرية بشرّي من أعمال جبل لبنان قد حماهم حسني باشا وفارس آغا في مسيرهم ولم يقلقهم مسلمو البلد بل أكرموهم غاية الإكرام، فلم يحدث بحمد الله ما يقلق البال إلا أن محلتهم نهبت، ولما هدأ الاضطراب الناشىء عن تلك الثورة المشؤومة عوّض للنصارى ما خسروه بنهب أمتعتهم وأشيائهم.

ثم عزل آغا قدرو وأتى عوضه محمد راغب أفندي، وفي أيامه سعى الأمير أسعد لدى الدولة العلية فعينته مأموراً على جمع المسلوب ثم جعلته يوزباشيا على مائتي خيال. وأما الأمير سلمان فبعد أن أقام في السجن نحو سبعة أشهر هرب منه وأتى إلى بلاد بعلبك واختفى، ثم شاع خبره فطلب الأمان من حسني باشا، فأمنه إلا أنه عاد فعصى ثالثة وذلك لانه طلب من الدولة ليذهب مع جردة الحجّ الشريف مع فرسانه فأبى وخاف حوادث الدهر فعصى فحضر حسني باشا لجمع القرعة العسكرية (وهي أول قرعة جرت في بلاد بعلبك)، وكان الأمير سلمان قد رأى أن عصيانه يعود عليه بأشأم العواقب فعاد واستأمن لحسني باشا فأمنه وذلك سنة ١٨٦٤، فلما علم الامراء وأتباعه حنقوا وثاروا عليه، ودعوا لشقّ عصا الطاعة، فعصى رابعة مع أخيه الأمير أسعد، وسلب من أهالي يونين خمسة آلاف غرش، ثم جمع أتباعه وأخذوا يطوفون البلاد سالبين ناهبين، فركب حسني باشا بعسكره واقتفى أثرهم فالتقى بهم بأراضي قرية الشعيبة فأمر العساكر الشاهانية فحملت عليهم ودحرتهم على أعقابهم فولوا هاربين طالبين النجاة حتى وصلوا الى قرية الفاكية، وحسني باشا يتبع آثارهم. فذهبوا من هناك لوادي فعرة إلى مكان فيه يدعى عيون أرغش، وبينما كانوا يتناولون الطعام إذا بالعسكر المنصور قد دهمهم. فجرت بينهم معركة أسفرت عن انهزام العصاة، وقد أسر منهم الأمير حسين بن الأمير قبلان وياغي بن موسى ياغي الفارس الشهير وخادمهم المخلص. فأتى بهم إلى بعلبك حيث شنق ياغي بعد أربعة أيام من يوم المعركة وذلك في سنة ١٨٦٤، ثم قبض على الامراء فارس وتامر وداود وأرسلوا مع الامير حسين الى الشام ونفي

الجميع إلى مدينة أدرنة مع حريم سائر آل حرفوش. أمّا الأمير سلمان وأخوه الأمير أسعد فلم يزالا فاريّن الى أن أطاع أسعد وحده فارسل منفياً إلى أدرنة، وأما الأمير سلمان فانحاز الى يوسف بك كرم الذي كان عاصياً وقتئذ في جبل لبنان، فصار من أكبر أنصاره، ثم افترق عنه سنة ١٨٦٦ وذهب الى بلاد حمص فاراً فوشى عن مكانه رجل يسمّى حسن درويش، وكان قد ربّاه الأمير سلمان من صغره فوشى به لهولو باشا، فحضر بعسكره وقبض عليه وارسله إلى دمشق فسجن وذلك سنة ١٨٦٦ وتوفي في السجن بعد ثلاثة أيام من حبسه. وجرى ذلك بمدة القائمقام محمد بك اليوسف.

وهكذا كان انقراض حكم هذه العائلة الشهيرة التي أشغلت دوراً هاماً في تاريخ بعلبك بعد أن حكمت فيها نحو أربعة قرون، ولم يبق من هذه العائلة إلا بعض أفراد ساكنين في القرى لا أهمية لهم. ولا حول لهم ولا طول...».

هذه المقتطفات من سيرة الأمراء الحرافشة، كما كتبها مؤرخ بعلبك ميخائيل ألوف، والتي خلت من أي تحليل سياسي للأوضاع التي عاشتها المنطقة آنذاك، كما خلت من أي هامش علمي فيه شروح وتفسيرات لأسماء وأماكن، ومعارك وتحالفات حصلت وكأن همه الأساسي هو إظهار هذه العائلة بمظهر القبيلة المقاتلة بامتياز، فإذا لم تقاتل جيرانها، تقاتل الأخوة في ما بينهم وتنافسوا على حكم الإمارة، الامر الذي أسرع في انقراضهم وغيابهم عن المسرح السياسي.

يقول الدكتور فؤاد خليل، صاحب كتاب **الحرافشة، إمارة المساومة**: مرّت إمارة الحرافشة في العهد العثماني بثلاثة أطوار:

طور التأسيس والبناء، وقد بدأ مع حكم الأمير علي بن موسى في ثلاثينات القرن السادس عشر حتى نهايته. وقد شهد هذا الطور استقراراً مديداً استمده من العلاقة الوطيدة مع الإمارة المعنية في ظل سلطة فخر الدين المعني الاول وابنه قرقماز، أضف إلى ذلك التنظيم الإقطاعي العثماني في بلاد الشام وقد جزأ البقاع إلى ثلاث إمارات: الحرافشة في بعلبك، وآل الحنش في كرك نوح وآل الفريخ في البقاع العزيزي (سُمّي هكذا نسبة إلى العزيز بن صلاح الدين، أو نتيجة لما يذخر به البقاع من خيرات وأرزاق تجعله في حالة عز دائمة مما جعل التوازن بين هذه العصبيات الحاكمة سبباً راجحاً من أسباب تعايشها على قواعد مستقرة ما يزيد على أكثر من نصف قرن من الزمن، كذلك الأمر كان التوحيد السياسي الذي أقامه الأمير الحاكم بين عصبيته وسائر الأمراء والمشايخ في بلاد الإمارة يمثل بدوره عاملاً وازناً في صون ذلك التعايش من مغبة اختلاله واضطرابه طيلة الفترة المشار إليها.

والطور الثاني هو طور التوسع. رأى الأمير يونس بعد زوال أسرة الحنش من كرك نوح وانهيار إمارة آل الفريخ في البقاع العزيزي أن الفرصة باتت مؤاتية لتوسيع حدود الإمارة باتجاه الجنوب والشمال، لذلك بادر إلى منازعة ابن عمه الأمير موسى الحكم فأزاحه عن سلطة الإمارة واستقل بها ١٦٠٨ وأخذ يعمل حثيثاً على تحقيق مشروعه السياسي التوسعي.

بدأ الأمير الحرفوشي في توطيد علاقاته مع الأمير المعني بغية التحقق من تدخل الباشوات الأتراك في شؤون بعلبك والبقاع، والعمل على صياغة حيز واسع من الاستقلال عن هؤلاء. لكنه

ذهب بالمقابل بالإمارة إلى «تبعية» أخرى هي تبعيتها لإمارة الجبل الأمر الذي أظهر على نحو مبكر أن المشروع التوسعي الحرفوشي لا يعيش إلا على توظيف التناقض بين الجبل والشام والإفادة منه، لكي تنفتح أمامه إمكانيات تطبيقه وتنفيذه. هكذا كان من الضروري أن ينقلب الأمير يونس على حليفه المعني ويؤيد العثمانيين، وأن يعمل بعد ذلك لدى الصدر الاعظم على بذل الاموال الطائلة لنيل التزام البقاع وبلاد بعلبك. واغتنم فرصة غياب الأمير المعني عن الجبل، فتوسع بإمارته نحو الشمال حيث التزم سنجقية حمص، وامتد نحو الجنوب إلى مشغرة للاتصال بمشايخ بلاد بشارة ودعوتهم للالتفاف حوله. ولكن المشروع الحرفوشي التوسعي سقط بعد عودة الأمير فخر الدين المعني الثاني من إيطاليا، وحصول معركة عنجر الشهيرة ١٦٢٣، وطلع بنتيجة حاسمة تفيد أن الحدود الغربية القريبة من دمشق لا يمكن أن يعيش فيها أميران كبيران. وعلى أثر ذلك خضعت إمارة البقاع وبلاد بعلبك ما يقارب العشر سنوات تحت إشراف سلطة المعني أمير عربستان، ثم ما لبث أولاد الامير يونس أن استعادوا السلطة عليها بعد النهاية «المأساوية» لمشروع هذا الاخير «الاستقلالي» ١٦٣٥ واستمروا في حكمها بدعم من ولاة دمشق سنة ١٦٥٦.

والطور الثالث هو طور التآكل الداخلي والانهيار، إذ دخلت الإمارة بعد انتهاء حكم أولاد الأمير يونس الحرفوشي طوراً مديداً من الصراعات الداخلية والخارجية العنيفة التي جعلتها ترتهن لموازين قوى متقلبة بين إمارة الجبل وكل من ولايتي طرابلس والشام، وبذلك عاشت تاريخاً سياسياً مضطرباً تقلصت في ضوئه الحدود السابقة للإمارة إلى حدود بعلبك.

إن الوقائع التاريخية أثبتت أن إمارة الحرافشة عاشت في تاريخها الطويل حالة دائمة من الاختناق السياسي المتولدة عن موازين الصراع بين الجبل ومركز الولاية في دمشق. ولعل هذا الامر هو الذي أفضى إلى جعل البقاع ساحة صراع مفتوح بين الطرفين، إذ كان يتقرر في ضوئه طبيعة التوازن بينهما وحدود استقراره واستتبابه.

واختتم هذا البحث بالشجرة النسبية لأمراء الحرافشة، أخذتها من كتاب **الحرافشة. إمارة المساومة** للدكتور فؤاد خليل، وهو بدوره نقلها عن الشجرة التي يحوز عليها الأستاذ إبراهيم الحرفوش، وهي تقدم لنا فكرة عامة ومقبولة عن تعاقب الامراء الحاكمين، لكنها تقع في بعض الأحيان في تعارض مع العرض التاريخي، فيما خص درجة علاقات القرابة بين البعض من الامراء:

الشجرة النسبية لأمراء الحرافشة

- الأمير أحمد الحرفوشي ولد له موسى بن أحمد.
- موسى بن أحمد ولد له علي بن موسى (١٥٣٧ ـ ١٥٩٢).
- علي بن موسى ولد له موسى بن علي (١٥٩٢ ـ ١٦٠٨). وولد له شلهوب (١٦١٥ ـ ١٦٢٣).
- موسى بن علي (١٥٩٢ ـ ١٦٠٨) ولد له حسين بن موسى (١٦٩٢ ـ ١٧٢٤).

- شلهوب بن علي بن موسى ولد له يونس، شديد (١٦٨٠ ـ ١٦٩٢) وعمر.
- شديد بن شلهوب ولد له اسماعيل (١٧٥٩ ـ ١٧٦٣).
- يونس بن شلهوب الحرفوشي (١٦٠٨ ـ ١٦٢٣) ولد له حسين (١٦١٦ ـ ١٦٢٣)، محمد (١٩٦٢٣ ـ ١٦٥٦)، علي (١٦٥٦ ـ ١٦٨١)، أحمد (توفي ١٦٢١).
- حسين بن موسى بن موسى بن علي بن علي بن موسى بن موسى بن أحمد بن أحمد الحرفوش ولد له مصطفى (١٧٧٤ ـ ١٧٨٦) حسين (١٧٤٩ ـ ١٧٥١)، حيدر (١٧٧٤)، محمد (١٧٨٢ ـ ١٧٨٦)، محمد، ومذحج.
- مصطفى بن حسين موسى ولد له سلطان، أمين (١٨١٠ ـ ١٨١٤)، جهجاه (١٧٧٦).
- أمين بن مصطفى ولد له قبلان (١٨٤١ ـ ١٨٦٤).
- قبلان ولد له حسين (الوصي عليه سعدون).
- جهجاه ولد له نصوح (١٨٢٠).
- حسين بن موسى ولد له سلمان، وسلمان ولد له جواد (١٨٣١ ـ ١٨٣٧)، جواد (١٨٣١ ـ ١٨٣٧)، ولد له ملحم، ملحم ولد له خنجر (١٨٤٠ ـ ١٨٤٢).
- محمود بن حسين بن موسى ولد له حمد (١٨٣٩ ـ ١٨٤٥)، يوسف (١٨٤٥).
- حمد ولد له محمود (١٨٤٥ ـ ١٨٥٢).
- مذحج بن حسين بن موسى ولد له محمد، حسن.
- محمد بن مذحج ولد له عساف.
- عساف ولد له حسن.
- حسن ولد له عزت، خليل، محمد، عيسى (١٨٤٥ ـ ١٨٥٢).

المراجع

١ ـ **تاريخ بعلبك**، تأليف ميخائل موسى ألوف البعلبكي ـ طبع بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨٩.

٢ ـ **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات** للدكتور أحمد أبو سعد. دار العلم للملايين، ١٩٩٧.

٣ ـ **الأصول التاريخية**: جزء ٣ (١٩٥٨) ص ٣٧٧ و٣٧٨.

٤ ـ **تاريخ الأزمنة** للبطريرك أسطفان الدويهي (ص ٤٨٨). منشورات دار لحد خاطر، حققه وأشرف عليه الأباتي بطرس فهد (د.ت)

٥ ـ **الحرافشة إمارة المساومة** للدكتور فؤاد خليل، دار الفارابي، ١٩٩٧.

٦ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل حمادة

في لبنان ثلاث عائلات تحمل اسم حمادة. الأولى شيعية مسرحها الهرمل. والثانية من طائفة الموّحدين الدروز مركزها بعقلين وغريفة. والثالثة سنيّة مقيمة في العاصمة بيروت منذ زمن بعيد. وليس بين هذه العائلات ما يُشير إلى أية صلات قربى أو نسب بينها.

أما العائلة الحمادية الشيعية فيذهب عدد من المؤرخين إلى أنها من الفرس، وأنها تنتمي إلى رجل يُسمى حمادة من بخارى العجم، ثار على شاه بلاده فوّجه إليه جيشاً لمحاربته، ففرّ باخيه أحمد وأهله وعشيرته إلى جبل لبنان. (راجع الشدياق في **أخبار الأعيان** ١ : ١٩٢، والعينطوريني في **مختصر جبل لبنان**).

يقول المؤرخ لحد خاطر في كتابه **آل السعد ولبنان** (ص ٤٥) ما يلي: «والحماديون أصلهم من الأعجام الذين استقدمهم معاوية في صدر الفتح العربي إلى لبنان فانتشروا في مختلف أنحائه ولاسيما في الجنوب وجهات بعلبك والهرمل. وتطرّق بعض الحماديين منهم إلى كسروان وجبيل والبترون والشمال، وتقرّبوا من حكام طرابلس فعهدوا إليهم في ولاية تلك الانحاء».

عرب سكنوا العراق

والحقيقة أنهم عرب قحطانيون على ما رواه المؤرخ عيسى المعلوف في كتابه **تاريخ فخر الدين** (ص ٢١٤) وأنهم ينتسبون إلى هاني بن مذحج من كهلان. سكن جدهم الكوفة من أعمال العراق وحاربوا مع الحسين بن علي بن أبي طالب في معركته مع يزيد بن معاوية سنة ٦١هـ (٦٨٠ م) فقتل هاني بيد عبيد الله بن زياد. ولما طورد الهاشميون بعد مقتل الحسين وطوردت شيعتهم هجر آل هاني العراق إلى بلاد فارس مدة، ظهروا بعدها من استخفائهم وخرج جدّهم حمادة على شاه العجم فقاتله بجيشه وقتل من تعصب له، ففرّ حمادة بأهله وعشيرته إلى لبنان سنة ١٤٥٠ ونزل قرية الحصين (قرية في قضاء كسروان) ثم ذهب إلى قهمز القريبة من افقا وكان له ثلاثة أبناء هم: أبو حسين سرحال، أبو زعزوعة أحمد، وذيب، ومنهم تفرّعت العائلة الحمادية في المنيطرة ووادي علمات وبلاد بعلبك والهرمل. وحاربوا المستراحيين وبني المقدم من الشيعة في

لبنان حتى طردوهم فسكن الأولون في حدث بعلبك والآخيرون في كفرحونة من جزين، واشتهروا في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، ولهم مواقع كثيرة مع الحكام والرؤساء المسلمين والمسيحيين. وأشهرهم المشايخ سرحان واسماعيل وعبد الملك، وحمود ومحسن من سكان لبنان والهرمل القدماء، ومن مشاهيرهم المحدثين سعيد باشا ابن محسن المتوفى سنة ١٩٢٥».

ويضيف المعلوف: «والعشائر التي نزحت مع زعيم العشيرة حمادة هي تسع وعشرون أسرة، دندش وشريف والحاج يوسف وملحم وزعيتر وشمص وناصر الدين وعلوه وجعفر والمقداد وحجولا وقهمز وخير الدين والنمر ونون والحاج حسن وجنبلاط وبلوط والمستراح والجمل وصفوان وعلام وشقير وبدير وحيدر أحمد وعمرو وأبو حيدر وهمدر».

قبيلة يمنية

وشكك باحثون في ما جاء في أقوال المؤرخين حول نسبة حمادة إلى العجم، والموطن الأول الذي نزح منه إلى لبنان أواخر القرن الخامس عشر. فيقول أحمد زين الدين في كتابه **صفحات من حياة الرئيس صبري حمادة**: «هي من القبائل اليمنية التي نزحت من اليمن بعد خراب سد مارب الشهير، على نحو معظم القبائل والعائلات العربية التي توزّعت في معظم أراضي الجزيرة العربية وما حولها. ويضيف: وقد أشارت بعض المصادر إلى أن أفخاذاً من هذه القبيلة، ومنها آل حمادة استقرت في بلاد بخارى في دولة أوزباكستان الحالية، وأنهم هاجروا منها على أثر ثورة علي شاه العجم في القرن الخامس عشر إلى سوريا ثم إلى جبل لبنان، إلا أنه في التحليل العملي يستبعد هذا الاحتمال، لأن «بخارى» بعيدة جداً، ومن الناحية الطبيعية يستحيل حصول هذه الهجرة، علماً أن هناك قرب «بخارى» قرية يطلق عليها اسم عرب «بخارى» وسكانها في الماضي كانوا يتكلمون العربية، كما أنه لم يتسنّ التأكد من وقائع تاريخية بحدوث ثورة كبرى على شاه العجم في تلك الحقبة».

بخارى في منطقة الأهواز

ويؤكد سعدون تنال حمادة في إطار بحث له، «أنه تبين له أنه يوجد بلدة بالقرب من البصرة في منطقة الأهواز في إيران الحالية، أسمها «بخارى»، وأن بعض المعمّرين من أهلها يشددون على أن آل حمادة تركوا بلدتهم بهجرة جماعية إلى جبل لبنان».

«وإذا علمنا»، والكلام لا يزال لسعدون تنال حمادة، «أن هاني بن عروة وهو من هذه العائلة قد حارب مع الإمام الحسين بن علي، وكان من أوائل الشهداء حيث استشهد في الكوفة بعد زيارة مسلم بن عقيل له، وكذلك مالك الاشتر وكان حاملاً للواء الإمام علي في معركتي الجمل وصفين وقد أولاه الإمام علي على مصر فسممه معاوية وهو في الطريق إليها وابنه إبراهيم وكان قائداً عسكرياً لحملة التوابين التي أخذت بثارات الإمام الحسين، يتبين أن بخارى الثانية هي أقرب إلى

الحقيقة والواقع من حيث احتضانها لهذه العائلة».

العينطوريني يؤرخ

وأرخ أنطونيوس العينطوريني سيرة هذه العائلة حتى العام ١٨١٨ في كتابه: **مختصر تاريخ جبل لبنان**، مشيراً إلى اتساع نفوذها وسلطتها في بعض المناطق اللبنانية والسورية فقال: «والشيخ حمادة خلف سرحال، وأحمد «أبو زعزوعة» الذي فيما بعد أولاده حكموا جبة بشري، وخلف أيضاً ذيب الذي فيما بعد أولاده حكموا الضنية وأعطى ابنتيه إلى مقدمي جاج، الذين كانوا حكام بلاد جبيل، وهم إسلام سنية، هؤلاء المقدمون، لا بد حصل منهم عصاوة على الامير أحمد بن عساف حاكم غزير، وحين طالت المنافرة بينهم أرسل الأمير فأحضر أولاد الشيخ حمادة واختلى مع أحمد وديب سراً وتكلم معهم أن يقتلوا مقدمي جاج - ويعطيهم حكومة بلاد جبيل. فما قبلوا بذلك لسبب أنهم (مقدمو جاج) آخذين خياتهم وحين رجعوا لعند أخيهم الذي لسبب صغره ما كان حاضر الجمعية (المؤامرة) لزّ عليهم (ألحّ) أحكوا له، فاستقفاهم (استغفلهم) وتوّجه لعند الأمير سراً وتدرك له (تعهد) في قتل المقدمين وأخذ منه حجة في حكومة بلاد جبيل. وتوّجه هو واخوته إلى جاج بحجة لمة معزة، وارتصدوا الفرصة، حين حصلت لهم، وقتلوا المقدمين وأشهروا أمر الأمير وأخذوا رؤوسهم وتوجهوا إلى غزير. والأمير لبس الشيخ سرحال على بلاد جبيل، والمذكورون أحضروا بيوتهم وعيالهم إلى جاج، وحكموا واستقاموا مدة.

والشيخ سرحال خلف الشيخ حسين ونقل هو وأولاده إلى قرية تسمى فرحت في وادي علمات. وبوقتها كان المقدمون بيت الشاعر حكام في قرية تولا (البترون) معمرين بها سرايا عظيمة مليحة فتحارفوا عليهم آل حمادة حتى يقدروا يقيموهم. فما انقاموا معهم. عملوا عليهم حرفة هم وسميتهم (أتباعهم) وصاروا يضيفوهم كل يوم مرة أو مرتين حتى ضعفت قواهم من الخرج (الصرف) وما بقي عندهم شيء. فالتزموا قاموا من تولا وبلاد البترون. وتوجهوا إلى بلاد الرقب، واستقاموا عند حكامها. ولزيادة نشاطهم وكرمهم انعرفوا في تلك الديرة، وعند الدولة. وحين تغلظ خاطر والي اللاذقية على حاكم المرقب، راسل بيت الشاعر سراً. إنهم يقتلوا حاكم المرقب ويحكّمهم موضعه، فقتلوه في الصيد، وتسلموا القلعة وحكموا البلاد المرقب. ولم يزالوا أولادهم من بعدهم حاكمين المحل المذكور إلى يومنا هذا. وأما المشايخ بيت حمادة، حين قاموا بيت الشاعر من بلاد البترون، تسلموا البلاد. وصاروا حكام بلاد جبيل والبترون وصار منهم صولة عظيمة. وفي غضون ذلك حكموا أولاد أبو قانصو الهرمل، والشيخ حسين خلف الشيخ سرحال. وهذا نقل إلى إيليج أي ميفوق، وعمرّ بها عمارة وسكنها. وفي ذلك الحين الشيخ أحمد حكم جبة بشري، وأولاد الشيخ ذيب حكموا الضنية. وامتد حكم بيت حمادة إلى حد عكار. وصار لهم إجازة على كامل المقاطعات، على بر الشام لحد بوابة حماه. وعملوا رمية (فريضة) على كل ضيعة من تلك البلدان. وحسين في إيليج لسبب قربتها للدولة. وعمرّ سرايا في قرية لاسا (قرب أفقا) في جبة المنيطرة وسكنها واشتد بأسه في كامل المقاطعات. وصارت تهابه كافة حكامها. وبقي أمره نافذاً إلى حد حلب. من خوف الناس.

واشتدت شوكة بيت حمادة، لأن صار لهم جايز (نفوذ) على كافة المقاطعات. وأخذوا من الكورة والزاوية مزارع وأرزاقاً وبقيو (بكليك) أي ملك الدولة ليومنا هذا (١٨١٨) والشيخ اسماعيل خلف ثلاثة اولاد وهم: عبد السلام وعبد الملك وبنصر (أبو النصر) واستقاموا في طاعة والدهم. واشتدت شوكتهم وتعاظمت دولتهم وصاروا ملجأ إلى الصادي والغادي وامتد جايزهم (نفوذهم) إلى بلاد بعلبك وأخذوا شمسطار بكليك لهم. واستقام الحال معهم مدة سنين. وبعد وفاة اسماعيل أبيهم قسموا بلاد جبيل بينهم متالتة (ثلاثة أقسام) وهؤلاء الثلاثة اقتفوا آثار أبيهم وتملكوا مكانه. وبعد مدة وهم بهذا الحال ماشيين حصل منهم ومن اتباعهم وأولادهم تغيير بشلدقة (اعتداء) وبشاعات في حق الفلاح ولم يسلكوا آثار أبيهم في العدل والرحمة. ومن جوز (جرّاء) ذلك التزمت أهل المقاطعات تقوم عليهم، لاجل رفع هذا الجور عنهم فقاموهم (طردوهم) أولا من بلاد عكار، وأهالي جبة بشري قاموا على أولاد أحمد، وصار بيتهم جملة شرور وجملة قتل من الفريقين وقاموا من الجبة سنة ١٧٥٩».

ويختتم العينطوريني سيرة هذه العائلة بالقول: «وبقيوا أولاد الشيخ اسماعيل حكاماً، كما كانوا في بلاد جبيل والبترون وقصر اقتدارهم إلى أن توفي سنة ١٧٦٣ حكم الامير يوسف الشهابي من والي طرابلس، وأخذ بلاد جبيل والبترون وجبة بشري. وتولى الأرزاق التي كانت بيدهم في المقاطعات المذكورة والمقاطعات البرانية. وبدت تضعف شوكتهم وصار بينهم وبين الأمير يوسف جملة شرور إلى أن اضمحلت أحوالهم وتشتت شملهم، ونزح البعض منهم إلى بلاد بعلبك والبعض إلى الهرمل والقيرانية. وبقي لهم رزق قليل في بلاد جبيل. ولم يصمد بيدهم محل سوى الهرمل بما أنه طرف البلاد. وصاروا يأخذوها من الامير يوسف ويدفعوا ميرتها وعبوديتها وجميع تكاليفها. أما بقية بيت حمادة بقيوا كل منهم في محله، بنسبة الفلاحين في جبة المنيطرة ووادي علمات هم والطوايف. أما جب الشيخ اسماعيل أولاد حمادة الأول وأخوته صاروا متفرقين ليومنا هذا.الذي هو سنة ١٨١٨» (انتهى كلام العينطوريني).

تلك هي النظرة الإجمالية الشاملة لحركة نزوح العائلة الحمادية وأصولها ونشأتها ووصولها الى جبل لبنان وتوزعها أفخاذاً وفروعاً بدءاً من منطقة جبيل، وانتهاء بالضنية وعكار ومناطق أخرى شملتها حتى حلب وحماه على ما قيل، وروت بعض المراجع. أما كيف استطاعت هذه العائلة أن توسع نفوذها، وتحكم كل هذه المساحات على مدى ٣٠٠ عام فذلك أمر يدعو إلى التوقف عند بعض المحطات والمفاصل التاريخية التي مرّت بها البلاد.

مشيخة بلاد جبيل

المحطة الأولى كانت في أواخر القرن الخامس عشر، وتحديداً في العام ١٥١٧م في عهد دولة المماليك وولاية العسافيين التركمان، يومها انتقلت مشيخة بلاد جبيل من مقدمي قرية جاج إلى آل حمادة بواسطة الأمير عساف المتوفى سنة ١٥١٨، وكان والياً على غزير، وهو الذي طلب من الحماديين قتلهما لأنهم عصيا عليه. بعدها ولي الأمير عساف سرحان حمادة بلاد جبيل وأخويه

أحمد وذيب قرية جاج. ثم ولد لسرحان ولد أسماه حسيناً وبداعي التوسع رحلا إلى فرحت في وادي علمات، ومنها إلى بلاد المرقب. وفي أواخر القرن السادس عشر في العام ١٥٩٠ ـ على ما جاء في **تاريخ الأزمنة** للدويهي، فتن يوسف بن سيفا بين مشايخ بيت حمادة والمستراحية الذين كانوا ساكنين في المنيطرة. فالشيخ قانصو حمادة قتل من المستراحية أناساً من طرابلس وأناساً في كفرحلدا، وعندما صعد بجيش إلى العاقورة ليهلك أبو جمال الدين سياله، أصابته رصاصة وقتل، فدفنوه في كفتين.

الحماديون يرثون آل سيفا

دخل الحماديون بعدها حلبة الصراع الزعامي على النفوذ الذي دار في تلك الحقبة بينهم وبين الأمراء السيفيين، وأدى إلى زوال حكم هؤلاء وانتقال سلطتهم وأملاكهم إلى آل حمادة على ما جاء في كتاب **تاريخ عكار الإداري والاجتماعي والاقتصادي** للدكتور فاروق حبلص، والذي أعلن فيه أنه في العام ١٦٣٧ ورث الحماديون أصحاب بلاد جبيل وكسروان السلطة في عكار من آل سيفا، وأسدل الستار على الإمارة السيفية، وبدأ الصراع مع العثمانيين.

طرد الحماديين من جبيل

في العام ١٦٣٨ ظهر على المسرح السياسي من آل حمادة بحسب **أخبار الأعيان** الشيخ سرحان قانصو حمادة، وفي عهده عوقبت العائلة بإجلائها عن وادي علمات وبلاد جبيل، والسبب على ما جاء في كتاب **طرابلس في التاريخ** لمحمد كامل البابا، هو رفض الشيخ سرحان الحضور إلى طرابلس للسلام على الوالي الجديد محمد باشا الارناؤوط، فزحف هذا الاخير بعسكره على بيت حمادة سنة ١٦٤١ وطردهم من وادي علمات وبلاد جبيل، وقتل محمد ياغي بن قمر الدين، وصعب بن حيدر وبعض أتباعهما. وتولى بلادهم الأمير بن علم الدين.

الموارنة يدخلون في حماية فرنسا

والمحطة الثانية كانت في العام ١٦٤٩ عندما دخل الموارنة في لبنان في حماية لويس الرابع عشر ملك فرنسا. وفي العام ١٦٥٥ تعين الشيخ أبو نوفل الخازن نائب قنصل لفرنسا في بيروت ثم قنصلاً عام ١٦٦٢ الأمر الذي سيكون له الاثر الكبير في مصير الحكم الحمادي الشيعي في «جبل لبنان المسيحي».

منذ العام ١٦٥٠ حتى العام ١٧١٤ فرض الحماديون نفوذهم على ولاة طرابلس العثمانيين، فتمكنوا من التعاقب على التزام عكار. وفي هذه الفترة كانت نقمة الاستانة على الحماديين تزداد ضراوة، وبخاصة عندما تولى محمد باشا الكوبرلي الصدارة العظمى عام ١٦٥٦ فكلف واليه على

طرابلس ١٦٥٩ بالاقتصاص من الأسرة الحمادية. وفي العام ١٦٨٤ وصل التحدي إلى أوجه، إذ قتل الحماديون ابن اخت والي طرابلس وهاجموا قلعتها. هكذا اغتنم آل حمادة إبان التزامهم لعكار انحطاط الدولة العثمانية وتصرّفوا مثل سائر الملتزمين في بلاد الشام، فاستغلوا مركزهم كملتزمين، وجمعوا أموالاً إضافية تفوق المبالغ القانونية التي أشرط عليهم الولاة تحصيلها بنسبة معينة، وظلوا ملتزمين بعكار حتى مطلع القرن الثامن عشر.

انتفاضة أولاد العرب

والمحطة الثالثة، كانت في العام ١٦٥٩ وهي المحطة المهمة في تاريخ تلك المرحلة من حكم الاحتلال التركي وانتفاضة «أولاد العرب» ومواجهة الحماديين ولاة طرابلس واقتصاص هؤلاء منهم. هذه الانتفاضة كان محورها آل حمادة ومعهم آل شهاب وآل معن، وكان مركزها قرية قهمز معقل الحماديين. ورغم الإجراءات التأديبية التي أمرت الآستانة باشاواتها بتنفيذها لإنهاء حال التمرد الحمادي، استمر هؤلاء يفرضون نفوذهم وينتزعون ممارسة سلطتهم وسيادتهم على مقاطعاتهم. وفي العام ١٦٧٥ واجهوا قرار عزلهم بثورة عارمة على والي طرابلس. وحشد ولاة دمشق وصيدا وطرابلس جيوشهم بأمر من الباب العالي لمحاربة المشايخ الحماديين الذين صمدوا بمساعدة الزعماء اللبنانيين الآخرين من آل شهاب وآل معن وعرفت هذه الثورة بانتفاضة «أولاد العرب».

وفي العام ١٦٧٧ انتهى حكم عائلة كوبرلي التركية التي كلفت بمحاربة آل حمادة، فما إن تسلم الصدر الأعظم الجديد مقاليد الحكم حتى استعاد الحماديون سلطتهم ومقاطعاتهم وهدأت الأحوال في البلاد. في هذا العام كتب محمد باشا بلاد جبيل على اسم الشيخ سرحان، والبترون على اسم ابنه الشيخ حسين، وجبة بشري على اسم حسين ابن الشيخ أحمد، وطلب منهم أن يحفظوا أمن رعاياهم، ويعيدوا النازحين إلى بيوتهم.

الثورة مجدداً على والي طرابلس

في العام ١٦٨٦ يثور الحماديون مجدداً على والي طرابلس العثماني على ما جاء في **أخبار الأعيان** لأنه تطاول فشن حرباً على عرب البكدلة، وقتلوا أبا داغر شيخ حردين وابن رعد شيخ الضنية وغيرهما. فقبض المدبر على اثني عشر رجلاً من أتباعهم ورفعهم على الخازوق. وفيها هرب الأمير شديد الحرفوش من وجه علي باشا مستغيثاً بالحمادية، فمرّ ذلك الباشا علي النكدلي في العاقورة فأحرقها وأحرق ٤٠ قرية من مقاطعاتهم وقطع أشجارها، وهدم حارة الشيخ حمادة في إيليج وقبر الأمير عمر في طورزيا. ولما كان العسكر نازلاً عند عين الباطية دهمته الحمادية ليلاً وقتلوا منه خمسة وأربعين رجلاً وغنموا أسلابهم، فانحدر الباشا إلى جبيل ونكبها ثم قفل راجعاً إلى طرابلس».

وفي العام ١٦٩٢ عندما رفض الحماديون دفع الأموال الأميرية لوالي طرابلس، شن الوالي

العثماني عليهم حرباً بمساعدة أمير الشوف المعني وعماله الخوازنة، فهلك منهم كثر. وقتل شيخهم حسين بن سرحان وابن اخته حسن ذيب وغيرهم بين قهمز ولاسا.

في العام ١٦٩٣ طلب العثمانيون من الامير أحمد المعني أمير الشوف أن يتولى مقاطعات الحماديين، فلم يتورط بالخروج من حدود ولايته. فكلف والي طرابلس آخرين بمحاربتهم وتسلم مقاطعاتهم. فتجهز هؤلاء للمواجهة وخاضوا معارك قاسية ثاروا فيها لمقتل الشيخ حسين حمادة.

في العام ١٦٩٧ توفي الأمير أحمد المعني، وخلفه في الإمارة بشير الاول، وبذلك بدأت إمارة الشهابيين. والأمير توسط بالصلح بين الحماديين وأرسلان باشا والي طرابلس الذي أرسل عسكراً لقتال الحمادية لترددهم عن أداء المال الأميري. قبض على بعضهم بغتة وأحضرهم إلى طرابلس وسجنهم وفرّ من بقي منهم إلى دير القمر يستغيثون بالأمير بشير حسين الشهابي الوالي فأغاثهم وأرسل إلى الباشا يلتمس منه إطلاق المأسورين، وكفل له المال الباقي عليهم، والبالغ ٢٥٠ ألف غرش، فأطلقهم الباشا، وفوض توليتهم للأمير بشير، فولاهم وأرسل يستورد المال منهم فأدوه فدفعه الأمير للباشا.

خلاف عائلي

في العام ١٧٠٠ وقع خلاف بين أبناء العائلة الواحدة بين الشيخ عبد السلام بن الشيخ اسماعيل حمادة وبين أقربائه بيت الشيخ أحمد حمادة (أبو زعزوعة) حكام جبّة بشري. فقدم الاول إلى جبة بشري بنحو مائتي رجل وقاتل الشيخ أحمد وجماعته وهزمهم إلى الهرمل، وأقام في الجبة شهراً وخمسة أيام، وكتب إلى والي طرابلس يلتمس منه الولاية على الجبة، فلم يولوه قبل أن يستكملوا استيفاء المال الأميري من بيت الشيخ أحمد. وكتب إليه أعيان طرابلس والوالي الجديد رسائل حسنة وموافقة ووعدوه بولاية الجبة في السنة الجديدة.

في العام نفسه منح آل حمادة الشيخ يوسف الدحداح مشيخة العاقورة.

وفي العام ١٧٠٣ أنعم الشيخ اسماعيل على يوسف بعقارات في الفتوح وهي عين سجاع، وعين الدلبة، وعين جويا وعين الحصري، وعين الغارة وكتب له بها صكاً. وفي سنة ١٧٠٤ ارتحل الشيخ يوسف الدحداح بأولاده من العاقورة إلى لحفد لاشتداد العداوة بين القيسية واليمنية، فكتب له الشيخ إسماعيل صكاً ثانياً يتضمن رفع جميع الأموال عن عقاراته في بلاد جبيل ورفع الجزية عن خدمه وشركائه، ورفع المرتبات عن مواشيه ومواشي شركائه، وفوض إليه جمع مال الفتوح وسياسة أهله خاصة». (راجع **تاريخ الأعيان**)

بيت الدحداح مشايخ الفتوح

وتجدر الملاحظة إلى أن المنطقة الفتوحية لم تحكمها الأسر التركمانية التي جاء بها المماليك إلى لبنان، بل سكنت على السواحل الممتدة بين بيروت وطرابلس. وكانت أسر المماليك تسكن

في الأزواق، والعسافيون في غزير، وبقي الفتوح منعزلاً تحت حكم الإقطاع الحمادي حتى مجيء الدحادحة سنة ١٧٠٣ الذين أخذوا مشيخة المنطقة كما مر بواسطة آل حمادة (**تاريخ الفتوح** تأليف فرنسيس الخوري يوسف الحداد).

اللعبة الدولية وحركة التغيير

والمحطة الرابعة كانت في العام ١٧٠٤ يوم بدأت اللعبة الدولية تسعى لتحقيق أهدافها ومصالحها، ما يفرض تالياً تغيير طائفة الحكام في جبل لبنان انسجاماً مع تلك الأهداف والمصالح. تركز النشاط السياسي والعسكري آنذاك على مسألة اقتلاع النفوذ الحمادي من جبل لبنان بأي ثمن. من هنا كان من الضروري أن يسود مناخ من الشحن والتحريض، وأن يجري استغلال أحداث وممارسات وربما تعديات. فقد كتب البطريرك الدويهي إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، بحسب ما جاء في **تاريخ الفتوح** لفرنسيس الحداد يقول: «إن الجبل يئن تحت نير ولاته الظلام الذين يجاوز عسفهم واستبدادهم كل حد، فقد خرّبوا القرى، شتتوا أهلها، سجنوا الرجال، شنقوا النساء وعلقوهن بأثدائهن على الأشجار، فرضوا الضرائب مضاعفة ومثلثة وهتكوا حرمة الكهنوت وتحاملوا على البطريرك والأساقفة».

عيسى حمادة يصفع البطريرك

وكتب قنصل فرنسا في بيروت الشيخ حصن الخازن إلى الملك الفرنسي أيضاً يشتكي من تعدي المسلمين على الموارنة طالباً المال لدعم المقاومة المسيحية في جبل لبنان. وفي الجواب الخطي الذي أرسله وزير الخارجية الفرنسي إلى الشيخ حصن الخازن ما يشير بوضوح إلى أن الاعتداءات المشكو منها لم تكن صوّرت للخارج مضخمة ومبالغاً فيها. وبنتيجة هذا الشحن والتحريض حصلت قصة اعتداء عيسى حمادة على البطريرك اسطفان الدويهي في قنوبين، بحجة أنه طلب مبلغاً من المال، ولم يجبه البطريرك، فلطمه الشيخ عيسى على وجهه، فرمى عمامته من على رأسه، ويذكر الخوري منصور الحدتوني هذه الحادثة بالقول: إن البطريرك احتمل ذلك ولم يتفوّه بكلمة تهين الشيخ عيسى، بل كتب إلى الشيخ حصن الخازن وأخبره بما جرى له. فلما انتهى الكتاب إلى الشيخ حصن جهز عسكراً من كسروان وبعث أخاه الشيخ ضرغام (البطريرك فيما بعد) ومعه اثنان من أولاد عمه هما: الشيخ موسى طربيه والشيخ نادر بن خاطر وتوجها بالعسكر إلى دير قنوبين.

ويشير الحدتوني إلى أن الشيخ عيسى حمادة استغفر بعد ذلك من البطريرك عن الإهانة، وطلب إليه أن «يبقى في قنوبين، غير أن الأخير أصرّ على المجيء إلى كسروان مع الحملة الخازنية التي تجهزت لذلك، وأقام في دير مار شليطا مقبس نحو أربعة أشهر ثم عاد إلى قنوبين نزولاً عند رغبة والي طرابلس وذلك في ١٩ نيسان ١٧٠٤.

والمحطة الخامسة هي في الفترة الممتدة من ١٧٥٠ إلى العام ١٧٥٩، على ما جاء في **تاريخ**

الأعيان، والتي شكلت منعطفاً مصيرياً في جبة بشري، فاضطرب حبل الأمن وانتشرت الضائقة الاقتصادية بسبب ممارسات أحفاد أحمد أبي زعزوعة، فطردوا من جبة بشري، وتولى عوضهم عليها المشايخ يوحنا الضاهر وعيسى الخوري من بشري وجرجس بولس الدويهي في إهدن، وأبو سلمان عواد في حصرون، وأبو يوسف الياس في كفرصغاب وأبو خطار الشدياق في عين طورين وأولادهم من بعدهم حتى الآن. وأتى الشيخ أحمد إلى جبيل فضبط الأمير يوسف الشهابي الوالي جميع أرزاقهم.

محاولة فاشلة في استرجاع النفوذ

لم يكن سهلاً على الحماديين تخلّيهم عن حكمهم في الجبة الذي دام نحو ثلاثة قرون، فقد حاولوا استرجاعها عام ١٧٦١ فكانت محاولاتهم تبوء بالفشل. وقد أرخ لهذه المحاولة الخوري فرنسيس رحمة صاحب **تاريخ بشري**، فقال: «عاد المتاولة الحماديون بألفي محارب شاكي السلاح من ناحية بعلبك وجهات بلاد جبيل، فما إن درت بشري بزحفهم حتى أوعزت إلى بلاد الجبة أن تستعد لمناواة العدو. وكان من حكمة البشراويين أن حوّلوا مياه نهر مارسمعان على السهول المتاخمة شرقي المدينة. فما أن وطئ الحماديون تخومهم حتى امتلأت الأرض بخيله ورجله وغلب على أمره ودامت المعارك في هاتيك السهول يوماً كاملاً من مشرق الشمس إلى مغربها. وأسفرت هذه المعارك عن هزيمة الحماديين وتراجعهم».

في العام ١٧٦٣ شن والي طرابلس محمد باشا بن عثمان باشا الكرجي حملة على آل حمادة وحشد لها مقاتلين من جميع مقاطعات ولايته. وجاء في **تاريخ بشري**: « وتوجه إلى جبة المنيطرة معقل الحماديين وقد قسم جبته إلى فرقتين فرقة سارت على طريق الجبل على رأسها بشارة كرم البكباشي، وفرقة على طريق الساحل وعلى رأسها الشيخ ضاهر حاكم الزاوية ويوسف الشمر من كفرحاتا، فنكل بهم وأحرق مزارعهم في ساحل جبيل وفيما كان بشارة كرم عائداً مع رجاله كمن له المتاولة في محلة «المغيرة» وقتلوه كما قتلوا اثنين من مزيارة وواحداً من الضنية».

المنعطف الخطير

والمحطة السادسة كانت في العام ١٧٧٠ المنعطف الأخطر في تاريخ العائلة الحمادية السياسي حيث بدأ زوال حكمهم في جبل لبنان نهائياً، وتراجعوا إلى الهرمل معقلهم الأخير.

ويروي المؤرخون أن آل حمادة طغوا وتجبروا وبغوا وارتكبوا أعمال عنف وجور أثارت نقمة السلطنة عليهم، وأن باشا طرابلس استعان عليهم بالأمير يوسف ملحم شهاب والمشائخ آل الخازن حتى تمكن من إجلائهم عن جبة بشري وجبيل والبترون إلى الهرمل، وأن الأمير يوسف أحلّ محلهم في الحكم آل الضاهر في جبة بشري وآل الدويهي في إهدن وبني عواد وغيرهم في حصرون وعين طورين وآل الدحداح في بلاد جبيل والبترون.


محمد سعيد باشا حمادة

ويقول محمد جميل بيهم في كتابه **عروبة لبنان** «إن الأسباب الحقيقية لإجلاء مشائخ آل حمادة عن هذه المنطقة لم تكن ترجع على الأكثر إلى جورهم وعسفهم، وإنما كانت تعود إلى أسباب أخرى تعود إلى سياسة آل عثمان. ومدارها أنهم كانوا يريدون تخضيد شوكة كل أسرة يبدو خطرها، فهم قضوا على آل عساف بآل سيفا، وعلى آل سيفا بآل معن، وعلى مقدمي النصارى بآل حمادة. ولما استفحل أمر هؤلاء قررت فرنسا ومن ورائها الفاتيكان بالاتفاق مع استانبول تحقيق هذا الأمر. وقد استجابت استانبول لباريس، وكان لا بد أن تستجيب استنامبول لباريس، لأنها كانت بعد الانتكاسات المتوالية في أواخر القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر وذلك في الحروب المتصلة بينها وبين دول التحالف المقدس من جهة، وبينها وبين النمسا وروسيا من جهة أخرى، كانت لا ترى بداً من الارتماء في أحضاء باريس ورغبتها في تبديل الوضع، وإلى تأييدها الأمير يوسف ملحم شهاب حاكم لبنان (١٧٧٠ ـ ١٧٨٨) أول مسيحي تقلد الحكم وأقبل عليه الاكليروس وشملوه برعايتهم، وجعلوا فرنسا ظهيرة له فاستطاع بمساعدتهم ودعمهم أن يبدل وجه شمالي لبنان وأن يضع اللبنة الأولى في أساس بناء الكيان اللبناني».

مؤامرة داخلية نفّذها الخارج

ويتابع المؤرخ محمد جميل بيهم الكلام ليقول: «إن عملية إجلاء الحماديين كانت نتيجة لمؤامرة داخلية نفذها الخارج بما يتناسب مع مصالحه وأهدافه»، وأضاف: «نقول هذا لا دفاعاً عن بني حمادة، وإنما بغية تصحيح ما التوى من التاريخ، وما أكثر ما في تاريخ وطننا العزيز من التواءات بفعل تضارب الأهواء».

وحول المبالغات التي ذكرها بعض رجال الدين المسيحيين حول ظلم وعسف آل حمادة، نشر يوسف يزبك في مجلته **أوراق لبنانية** (الجزء الثالث) مخطوطاً قديماً عن عبرين وبجة وأسرهما تحدث فيه عن حكم بيت حمادة، ومما قاله: «واشتهر منهم الشيخ إسماعيل حمادة بالعدل والإنصاف. وكان يقيم غالباً في ميفوق، ووهب لدير السيدة أملاكاً كثيرة. ويروى بالتقليد أنه استغاث بها (بالسيدة العذراء) مرة إذ أحدق به أعداؤه وكاد يسقط بين أيديهم، فانزلت عمود غمام

حجبته عن أنظارهم فنجا من شرهم وأوقف لها وقتئذ السهلة المعروفة إلى اليوم بسهلة كرام الشيخ وموقعها بين حدتون وميفوق».


الرئيس صبري حمادة

آخر المواقع

في أواخر سنة ١٧٧١ وأوائل سنة ١٧٧٢ تحدث الخوري فرنسيس رحمة في **تاريخ بشري** نقلاً عن مخطوطة الخوري يوسف الدويهي عن آخر مواقع الحماديين ومعاركهم لاستعادة نفوذهم في لبنان الشمالي، تحدث عن موقعة العاقورة التي هاجموا فيها الامير بشير حيدر نائب الأمير يوسف شهاب، وعن موقعة «دار بعشتار» في منطقة الكورة بينهم وبين الأمير يوسف تدعمه فرقة من عسكر المغاربة، وعن موقعة الضنية آخر المعارك التي خاضها الحماديون وحلفاؤهم آل رعد ضد الأمير يوسف، وقد أسفرت هذه المعارك عن هزيمة الحماديين والمشايخ آل رعد وأفول نجمهم في جبل لبنان.

وعن نتائج تلك المعارك التي شنها المير يوسف على الحماديين حكام جبل لبنان جاء في **تاريخ الفتوح**: «وبعد أن تغلب الأمير يوسف على بني حمادة أذلهم وطاردهم، لكي يقلص ظلهم في بلاد «الفتوح» و«جبيل» و«البترون» و«الجبة»، أقطع عدة قرى لذوي الزعامات الذين أعانوه من الموارنة. وكان من كبار رجاله الشيخ سعد الخوري، وسمعان البيطار مدّبري أموره ومنهم: أبو بشارة أنطون طربيه من تنورين وبيت الخوري في إهمج وبيت الشدياق أبي خطار في عين طورين وبيت الدحداح فضلاً عن تسليمهم مقاطعة الفتوح حكمهم على بساتين العصي وبيت الخازن في سقي لحفد.. وراحت من ثم العائلات المارونية تنتقل إلى الشوف وكسروان».

الهرمل آخر المعاقل

تراجع الحماديون إلى بلاد بعلبك والهرمل والقيرانية (وهي ضاحية من ضواحي الهرمل) وكانت هذه المنطقة آخر معاقلهم التي نزحوا إليها نهائياً ولا يزالون فيها إلى الآن.

ولم يكن النزوح الأخير أواخر القرن الثامن عشر شاملاً بالطبع، فبقي بعض أتباعهم وعشائرهم في مناطق جبل لبنان، ولكن بمثابة الفلاحين في جبة المنيطرة، ووادي علمات وسواهما. وبقي أيضاً



سعد اللـه بك حمادة

بعض العائلات التي سميت بأسماء أجبابها منها مشايخ الحاج يوسف في منطقة الكورة وغيرها، وعائلة ملحم في جرود البترون، كما لا يزال من آل حمادة في جبيل ومنهم بيت محمود حمادة، وهو كما هو معروف، أول من أعطى شهادة عن قدسية الأب شربل مخلوف، وعندما أعلنت حفلة تكريسه قديساً، ترأس الرئيس صبري حمادة الوفد اللبناني إلى الفاتيكان. يومها كتبت جريدة **النهار** مقالة بعنوان: «اكتشفه حمادة وكرّسه حمادة».

في الهرمل حيث استقر آل حمادة تاريخياً مارسوا زعامتهم على العشائر، وقد كانت هذه العشائر بحسب تقاليدها القديمة تتشكل من عمودين أو بيرقين، كلاهما لآل حمادة أبناء عم.

أ - بيرق شمص ويضم عشائر شمص، دندش، ناصر الدين، علوه، علام، وعواد.

ب - بيرق زعيتر ويضم عشائر: زعيتر، جعفر، مقداد، شريف، حجولا، حيدر أحمد، أمهز، الحاج حسن.

إن الشيخ اسماعيل حمادة، تولى المشيخة على الحماديين، وخلفه نجله عبد الملك الذي أورثها إلى نجله أسعد ومنه إلى نجله حمود الذي نزح خلال موجة النزوح الأخيرة ١٧٧٣ إلى الهرمل، ثم آلت الزعامة إلى محسن والد الباشا محمد سعيد، وحمد (أبو نزهة) جد الرئيس الراحل صبري حمادة.

تقاليد وأعراف حمادية

من التقاليد التي تحكم العلاقات بين آل حمادة والعشائر وتحولت إلى أعراف خاصة:

١ - تُطالب العشائر بأخذ ثأر ابن حمادة إن قتل.

٢ - في حال وقوع أي جريمة قتل بين العشائر، وإتمام المصالحة ودفع الدية، يتقاضى شيخ الحماديين ثلث الدية.

٣ - إذا قتل أحد الحماديين وتم الصلح على دفع الدية تكون ثلاثة أضعاف الدية العادية المتعارف عليها.

٤ - تقدم القهوة أولاً لآل حمادة، وهناك عرف يقضي بأن يتنازل الحمادي عن هذه الأفضلية



ماجد حمادة

للسياد (الحسيني، الموسوي، مرتضى) في حال وجوده، وللحمادي أيضاً أفضلية الدخول.

٥ - إذا ما نزل الحماديون ضيوفاً على أحد لا يأكلون من «ذبيحة» سواهم بل لهم ذبيحتهم الخاصة.

وعلى صعيد الزواج لم تحصل مصاهرة بين الحماديين وبين العشائر كي لا يتحولوا إلى طرف يميل إلى العشيرة الأقرب. من هنا كان تزاوجهم ضمن العائلة نفسها أو إلى بعض الأسر التاريخية العريقة أمثال الحرفوش والأسعد. والزواج عندهم ينأى قليلاً عن أعراف الشرع الإسلامي ويقترب من الزواج الماروني. فلا طلاق في العائلة الحمادية، بل هجر. واللافت في تقاليدهم أن لا وجود للعمائم في العائلة، فلم يكن لديهم أي عالم دين، لا ماضياً ولا حاضراً على رغم اضطهاد الشيعة زمن الحكم العثماني خلال فترات حكمهم في جبل لبنان.

ومن مشاهير آل حمادة في الزمن القديم:

الشيخ أحمد حمادة

ابن محمد حمادة الذي حكم جبة بشري عام ١٦٥٤ وكان يسمى «أحمد أبو زعزوعة» لحداثة سنّه، وولداه حسين (الذي حكم بشري وقنوبين وأيطو وبزعون عام ١٦٧٧) وموسى الذي حكم حصرون والجبة عام ١٦٩١. حفيده حسن بن ذيب الذي حكم الضنية سنة ١٦٩١ وأخوه أحمد الشيخ سرحال الذي حكم بلاد جبيل والبترون سنة ١٦٧٤.

أما الذين برزوا في زماننا فهم:

محمد سعيد باشا حمادة

ولد في العام ١٨٤٠ وتوفي في العام ١٩٢٤. كان الحاكم الفعلي للبقاع الشمالي، وزعيم

العشائر الحمادية قاطبة. تلقى رتبة الباشوية من الباب العالي وعدة أوسمة من الملك فيصل الاول.

في العام ١٩١٤ جسد الوحدة الوطنية في أبهى صورها وأكثرها جرأة وعفوية عندما أتى جمال باشا بدعوة منه إلى الهرمل، فاستقبله محمد سعيد بحشد جماهيري مسلح ما شهدته المنطقة في تاريخها الحديث، فامتدت الجموع من الهرمل حتى محطة رأس بعلبك. وكان مطلبهم واحداً عند وصول القائد العثماني، ألا وهو الإفراج عن نخلة باشا المطران المعتقل في الآستانة. وكانت ردّة الفعل الفورية أن أصدر جمال باشا فرماناً عثمانياً يقضي بنفي الحماديين إلى بر الأناضول (سفر برلك) معتبراً طلبهم الإفراج عن نخلة باشا تحدياً صارخاً لسلطة الباب العالي، والمظاهر المسلحة تهديداً مبطناً.

اشتهر محمد سعيد باشا حمادة بالعدل والحكمة والحلم، فكان يعامل الجميع معاملة الأخ لأخوته. وعرفت عنه المهابة وقوة الشخصية. شبهه الكثيرون بالامير بشير الشهابي من حيث هيئته ونبرة صوته. له الفضل الأكبر في ارتباط العشائر وتوثيق عرى تضامنهم. عاد من منفاه عام ١٩١٦. عندما دخلت فرنسا وحاولت إقامة علاقات مع رموز مناهضة للاستعمار التركي طلبت من الباشا الحمادي أن يقدم مندوبه للمجلس النيابي، فاختارت العائلة لهذا المنصب ابن بنت محمد سعيد صبري بك حمادة الذي ورث زعامة جده السياسية.

نجيب بك حمادة

ولد في العام ١٨٧١ وتوفي في العام ١٩١٦. تلقى علومه في اسطمبول ونال إجازة في الحقوق. أجاد الكلام بعدة لغات منها الفرنسية والتركية.

في العام ١٩١٤ حكم عليه بالإعدام من جملة شهداء ٦ أيار واعتقل في عاليه. ولكن السيدة فكتوريا نخلة باشا المطران استطاعت بطريقتها الخاصة سحب أوراق إعدامه من حقيبة جمال عندما كان في زيارة والدها في بعلبك، ولفقدان الأدلة والإثباتات اضطر جمال إلى استبدال إعدامه بنفيه إلى تركيا.

سعد اللـه بك حمادة

ولد في العام ١٨٧٥ وتوفي في العام ١٩٦٤. بعد وفاة الباشا (محمد سعيد) انقسمت الزعامة الحمادية إلى زعامة سياسية بقيادة صبري بك حمادة، وزعامة عشائرية انتقلت إلى الشيخ سعد اللـه جرياً على تقليد متوارث يعود إلى الجد الاول حمادة.

كان سعد اللـه بك ضابطاً أيام الحكم العثماني. وعندما صدر فرمان يقضي بنفي آل حمادة إلى تركيا تعقبته القوات التركية، ففرّ مع ابن عمه علي حمد حمادة حيث التجأ إلى عرب بني خالد في سوريا، حيث أصيب بمرض الحمى. ولما علمت القوات التركية بوجوده، ألقت القبض عليه ونفته

إلى تركيا لأن العائلة كانت قد سبقته إلى هناك. وبعد سنة ونصف من نفيه استطاع الهرب من منفاه. وجاء إلى لبنان مع ابن عمه سعدون (والد الرئيس صبري حمادة) ومحمد سلهب زعيتر. في العام ١٩٢٣ عين قائمقام على الهرمل، وظل يشغل هذا المنصب حتى تقاعد عام ١٩٥٢ فاستلم منصبه من بعد نجله رشدي.

تامر بك حمادة

ولد في العام ١٨٨٣ وتوفي عام ١٩٢٣. تلقى علومه في اسطمبول وتخرج في مدرسة الحقوق. عينته الدولة العثمانية رئيساً لمحكمة جنايات حلب، ولكنه ما لبث أن عاد إلى الهرمل لما علم بوفاة والده الشيخ سليم. وعندما دخل الملك فيصل دمشق عام ١٩٢٠ انتخب تامر بك للمؤتمر السوري العام.

كان واحداً من أربعة وضعوا الدستور للدولة العربية المؤلفة من سوريا ـ الأردن ـ لبنان وفلسطين. وبعد احتلال فرنسا لدمشق وإخراج الملك فيصل منها، حاول تامر بك تحريك الثورة ضد الفرنسيين في منطقة بعلبك الهرمل، لكنه لم يفلح.

عند إجراء أول انتخاب للمجلس النيابي اللبناني عام ١٩٢٣ ترشح لهذه الانتخابات.

رفع العلم العربي على سطح دارته الكائنة في وسط الهرمل، تحدياً لفرنسا فاضطرت إلى تعيين صبحي بك حيدر، واسترضت الشيخ تامر فعينته في وظيفة إدارية كبرى في بيروت ظل يشغلها إلى أن وافته المنية.

صبري بك حمادة

ولد في صيف العام ١٩٠٥ في بساتين الهرمل، وذلك لأن مدينة الهرمل كانت تشكو في الصيف من كثرة الحركة، وكان أهلها يتركونها للاصطياف في بساتينها التي تميزت بخضرتها وفاكهتها. ولما فاجأت آلام المخاض السيدة الماظة محمد سعيد حمادة والدته لم يكن من مجال لنقلها إلى منزله، فوضعته حيث كانت.

أما لماذا أطلق سعدون حمادة على مولوده البكر صبري فهناك قصة طريفة يرويها المعمرون من آل حمادة، وهي أنه كان ذات مرة يعاني من ضائقة كبرى فجاءه هاتف في الحلم ذات ليل وهو نائم وقال: «إصبر تنال الخير، الحياة منيرة» فتفاءل سعدون بهذا الهاتف ونذر إذا ما تحسن وضعه أن يطلق على أولاده أسماء الهاتف. وهكذا.. بعد صبري ولد تنال، فأبو الخير (الذي توفي وهو في حوالي العاشرة من عمره) ثم كانت حياة التي توفيت أيضاً، وهي دون السنة ونصف السنة من عمرها، وأثناء نفي العائلة إلى الأناضول فمنيرة.

عاش صبري طفولته البكرة في الهرمل، وأدخل إلى مدرسة الهرمل الرسمية وكان له من العمر ست سنوات، بعدها نقل إلى مدرسة المطران الأسقفية في بعلبك. ومنها انتقل إلى معهد

عينطورة حيث تخرج.

دخل المعترك السياسي في سن مبكرة، واستمر على مدى خمسين سنة متواصلة ١٩٢٦ - ١٩٧٦، وكان له دور أساسي في تاريخ لبنان الحديث. لم يكن نائباً عادياً على مستوى الطائفة الشيعية، بل مارس السياسة على المستوى الوطني، وهي ميزة تفرّد بها رعيله السياسي أمثال: الشيخ بشارة الخوري، ورياض الصلح، وأحمد الأسعد، وكمال جنبلاط، وحميد فرنجية، والمير مجيد أرسلان.

كان أول من طالب بالعلمنة في لبنان، إذ جاء في إحدى خطبه في ٣١/١٠/١٩٤٦: «إنني لا أشك أيها الزملاء الكرام مطلقاً بأنكم تلقيتم هذا الاقتراح (مشروع قانون بإلغاء الاعتبارات الذهبية عن الأنظمة والقرارات والقوانين النافذة) بصدور رحبة، لأنني كنت أظن أن الطائفة الشيعية هي التي كانت واقفة حجر عثرة في طريق هذا القانون. ولكنها آلت على نفسها أن تكون أولى الطوائف تضحية في سبيل إلغاء الطائفية وإبدالها بالقومية. وهذا مبدأ تقام عليه الوطنية ويحفظ الاستقلال. وإنكم تعلمون أن أكثركم طالب بإلغاء الطائفية في عدة مناسبات. ولكن لم يجرؤ أحد منكم على تقديم مثل هذا القانون».

تزوج للمرة الأولى من ابنة عمه التي أنجبت له: غازي ونجاة، وبعد وفاتها تزوج من ابنة أحمد الأسعد (نائب ووزير رئيس مجلس سابق) وله منها: ماجد وراشد وعلي وجمال وأحمد ونجلا ونجاح ورجاء.

في ١١ تموز ١٩٥٢ انتخب نائباً للمرة الأولى وكان بعمر ١٩ سنة (قبل بلوغه سن الرشد).

وكان من مؤسسي الحزب الدستوري. وانتخب رئيساً للمجلس النيابي في الفترات التالية:

من ٢١/٧/١٩٤٣ إلى ١٠/١٠/١٩٤٦

من ٩/٦/١٩٤٧ إلى ١٥/١٠/١٩٥١

من ٢٠/١٠/١٩٥٩ إلى ٧/٥/١٩٦٤

من ٢٠/١٠/١٩٦٤ إلى ٨/٥/١٩٦٨

من ٢٢/١٠/١٩٦٨ إلى ١٩/١٠/١٩٧٠

وعين وزيراً عدة مرات، وشارك في عضوية الوفد اللبناني برئاسة سليمان فرنجية إلى الأمم المتحدة.

تحققت في عهده جلسة تعديل الدستور ١٩٤٣ وشارك في حكومة بشامون. وكان من المعارضين لحلف بغداد، وأحد أبرز قيادي ثورة ١٩٥٨. ساهم بتأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وتعيين الإمام موسى الصدر رئيساً له. توفي في ٢١/٦/١٩٧٦ في الهرمل.

ماجد حمادة

هو ابن صبري حمادة (نائب ورئيس مجلس نواب (٢٥ مرة). والدته زينب الأسعد ابنة أحمد الأسعد (نائب ووزير ورئيس مجلس نواب سابقاً). أمضى طفولته بين الهرمل مسقط رأسه وبين

حزين مزرعة والده وبين بيروت. متزوج من ليلى الصلح ابنة رياض الصلح ولهما صبري، وهيا، ومها.

أنهى دراسته الجامعية في الجامعة الأميركية ونال منها بكالوريوس في الاقتصاد. وتابع دراسته في الولايات المتحدة، وحصل على الماجستير والدكتوراه في الاقتصاد من جامعة جورج تاون. في أول شباط ١٩٧٦ قدمت عشائر بعلبك - الهرمل له وثيقة مبايعته خلفاً لوالده. وفي العام ١٩٧٤ عين وزيراً للتربية الوطنية في حكومة رشيد الصلح من ٣١ تشرين الأول حتى ١٥ أيار ١٩٧٥، وكان بعمر ٢٧ عاماً. في العام ١٩٩٢ ترشح للانتخابات النيابية، ولم يحالفه الحظ.

المراجع

١ - «العائلات اللبنانية، رحلة في جذور التاريخ (آل حمادة)» ٥٢ حلقة من ٢ شباط ٢٠٠٠ إلى ١٦ نيسان ٢٠٠٠ من إعداد أنطون شعبان. نشرت في «**الديار**».

٢ - **تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني**، تأليف عيسى المعلوف، ١٩٣٤.

٣ - **صفحات من حياة الرئيس صبري حمادة**، تأليف أحمد زين الدين.

٤ - **مختصر تاريخ جبل لبنان** للشيخ انطونيوس أبي خطار العينطوريني. نشر الأب اغناطيوس طنوس (د.ت)

٥ - **أخبار الأعيان في جبل لبنان** للشيخ طنوس الشدياق. تحقيق فؤاد افرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠.

٦ - **تاريخ بشري أو مدينة المقدمين** (مطبوع في سان باولو - البرازيل لمؤلفه الخوري فرنسيس رحمة).

٧ - **طرابلس في التاريخ** لمحمد كامل البابا.

٨ - **تاريخ عكار الإداري والاجتماعي والاقتصادي** تأليف الدكتور فاروق حبلص. منشورات دار الدائرة ولحد خاطر، ١٩٨٧.

٩ - **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات** - تأليف الدكتور أحمد أبو سعد، ١٩٩٧.

١٠ - جريدة «**السفير**» - المركز العربي للمعلومات - قسم الشخصيات.

آل إدّة

يجمع المؤرخون الذين عنوا بأنساب العائلات اللبنانية ومشجّراتها على أن عائلة إدة المارونية هي فرع من أسرة حبيش، وأنّ جدّها الاول هو الحاج يونان بن موسى بن عبد اللـه، نزح مع أخويه حبيش وخليل من دير الاحمر إلى يانوح ومنها الى كفرسالي شمالي مدينة جبيل في أوائل القرن السادس عشر، ومن كفرسالي انتقل إلى قرية إدة واستقرّ فيها، ومنها أخذ كنيته. وسبب هذا النزوح على ما جاء في **مختصر تاريخ لبنان** للعينطوريني هو عداوة حصلت فيما بينهم وبين متاولة تدمر، خربت من جرّائها يانوح وتدمر وقرية بيت قصاص.

وكتب البطريرك اسطفان الدويهي: «في العام ١٥١٦ قدم الشيخ حبيش بن موسى بن عبد اللـه بن مخايل من يانوح إلى غزير (كسروان) مع عياله واستوطنوها. وكان له أربعة أولاد هم: سليمان (أبو يونس)، يوسف (أبو منصور)، خليل (أبو ابراهيم)، الزين (أبو مهنا)».

وعن الحاج يونان يقول خليل حبيش: «أمّا يونان أخو الشيخ حبيش فقد لقّب بالحاج لأنه زار القدس الشريف، واختار ناحية جبيل مقاماً فنزل قرية إدة المعروفة، ولكنّه أخفى كنيته الحبيشية تفادياً للانتقام، إذ كانت جبيل وقراها في ذلك الحين تعجّ بالعشائر الشيعية. هذا وقد شاع في المنطقة عندئذ اسم يونان فلقّب هو بلقب «إدة» تميزاً عن سواه باسم القرية التي استوطنها وتملك فيها، ومنه سلالة إدة المعروفة حالياً في لبنان».

وجاء في مقالة للأستاذ جرجي نقولا باز في جريدة «**البيرق**» ٣ و٤ تشرين الأول ١٩٤٩، ما يلي: «جاء يونان بن موسى بن عبد اللـه، أخو الشيخ «حبيش» جد الاسرة الحبيشية الكريمة فجر الجيل السادس عشر من دير الاحمر في بلاد بعلبك إلى يانوح، وتوطن «إدة» وتكاثر نسله فيها واشتهر منهم عدد كبير».

وكتب المؤرخ الأب إبراهيم حرفوش: «إن عائلة إدة الكريمة نسبت إلى موطنها قرية «إدة» في بلاد جبيل. وجد هذه العائلة المعروف هو الحاج يونان نزح أولاً من دير الاحمر مع أخويه حبيش والحاج خليل إلى يانوح، ثمّ انتقل الحاج يونان إلى مزرعة كفرسالي قرب إدة ومنها إلى إدة سنة ١٥١٥، والحاج خليل سكن في حبالين وحبيش أتى إلى غزير. من اولاد الحاج يونان في إدة أتى فرع إلى بيروت واشتهر فيها، وفرع سكن ساحل علما وانقطعت اليوم سلالته، وفرع آخر سكن في

بيت مري وللآن فرع من عائلة الحاج يونان المذكور لا يزال في إدة».

ونقرأ في **دائرة المعارف** بقلم فؤاد افرام البستاني: «إدة أسرة لبنانية، مارونية، عريقة، انتسبت إلى قرية إدة (جبيل) منذ أن نزلها جدها الأعلى يونان بن موسى بن عبد اللـه بن مخايل النازح من دير الاحمر بطريق يانوح في أوائل القرن السادس عشر. وفي بلاد جبيل ازدهرت الأسرة ونمت فروعها، فهاجر بعضها إلى حواضر الحكم والتجارة في لبنان والولايات المجاورة كدير القمر وبيروت وعكا وحلب وحمص ودمشق وبعبدا، وبيت مري والبقاع. وتجاوز بعضهم البحر إلى بعض المهاجر، واشتهر منهم أعلام في السياسة والأدب والقانون».

في خدمة الأمراء

ويقول المطران يوسف الدبس في كتابه **الجامع المفصل** ما يلي: «أصل هذه الأسرة من إدة إحدى قرى بلاد جبيل، وأول ما عرفناه من وجوهها هو الشيخ يوسف إدة، خدم الأمراء آل معن في آخر مدّتهم ثمّ انتقل إلى خدمة الأمراء الشهابيين، فنال حظوة لديهم ودعوه شيخاً. وكان متزوجاً بامرأة من أسرته اسمها قمرة ولها أخوان منصور وبطرس إدة استدعاهما اليه وأدخلهما مع الامراء الشهابيين فسرّوا بذكائهما وحديثهما ورأوا فيهما ملامح النجابة والأمانة والفراسة، واختصّوهما بخدمتهم وأكرموهما. فخدم الشيخ منصور الامير منصور الشهابي فأقامه على تدبير شؤونه وأملاكه وجعل بطرس رئيس الشرطة».

«ولمّا أفضت ولاية الجبل وبيروت إلى الأمير يوسف الشهابي في حياة عمّه الأمير منصور، عظم أمر أبناء إدة، وكان منصور معدوداً من أهل السيف والقلم، وأما أخوه بطرس فاشتهر بالسيف أكثر من اشتهاره بالقلم. ومن مساعيهما بناء كنيسة القديس جرجس في بيروت للموارنة وكانت صغيرة فكبّراها بنفقتهما ونفقة مطران بيروت حينئذ، وهو المطران يوسف فاضل. وقد كتب على مذبح هذه الكنيسة «قد تم بناء هذا الهيكل المبارك بسعي الشيخ منصور إدة»، والمعلوم أنّه عاونه على ذلك أخوه الشيخ بطرس وابن أخته الشيخ الياس الآتي ذكره. ثمّ توفي الشيخ منصور ببيروت سنة ١٧٦٩ وقبره في جانب الكنيسة المذكورة مكتوباً عليه: «قد درج هنا الشهير ذكره والجليل قدره الشيخ منصور إدة الجزيل التقوى والعبادة الذي بعد أن تمّم سعي حياته البارّة بعمل هذه الكنيسة وجميع أعمال البرّ محبوباً من اللـه والناس، انتقل بغتة إلى مقر الراحة من هذا العالم بتحسّر وبكاء جميع القبائل، وذلك في اليوم الخامس من شهر شباط سنة ١٧٦٩ وتوفي أخوه الشيخ بطرس ببيت شباب سنة ١٧٨٩».

الياس إدة الشاعر

ولد ليوسف إدة المذكور سنة ١٧٤١ - والكلام لا يزال للمطران الدبسي - ولد سمّاه الياس، وبرع بالكتابة والإنشاء. ولمّا توفي أبوه سنة ١٧٦٦ خلفه في رتبته، وكتب في ديوان الأمير يوسف بن

الأمير ملحم الشهابي، إلى أن رآه أحد عمال الجزار عند الأمير يوسف فعجب من حذاقته وطلبه من الأمير يوسف فاستكتبه إلى سنة ١٧٨٦. وغضب الجزار وقتئذ على ميخائيل وبطرس السكروج كاتبيه ثمّ على يوسف مارون وقتلهم وعيّن مكانهم لكتابته الياسَ إدة، فاقام في خدمته مدّة راضياً عنه ثمّ سخط عليه وأرسل جنوداً استاقوه إليه من الكنيسة يريد قتله، على انه تمكن بفصاحته وحذاقته من أن يستعطفه إليه فرضي عنه وأهداه محبرة من فضّة. لكن المعلم الياس ما برح واجساً منه خائفاً على نفسه، وبعد مدّة استاذنه بأن يحضر إلى بيروت ليأخذ عياله إلى عكا، فأذن له بأن يغيب شهراً، وكان ذلك سنة ١٧٨٧ فأخذ يفكر بوسيلة للنجاة من شراك هذا الظالم، وعوّل الفرار إلى حلب فسار إليها واختبأ في الدار الأسقفية لطائفته وأقام هناك عدّة سنين. فحنّ إلى وطنه وانتهز فرصة محاربة نابليون بونابرت لعكا، فرجع إلى وطنه ووجد الجزّار ضبط أملاكه في بيروت وفي جملتها أربع دور عند باب الدركة، فتوجّه إلى الجبل إلى بيت الدين فأكرمه الامير بشير الكبير الشهابي، ولكنّه لم يأمن على نفسه هناك من سخط الجزّار، فتوطن مدّة في جهات جبيل مستخفياً إلى وفاة الجزّار سنة ١٨٠٤، وبعد وفاته استخدمه الامير بشير المذكور، لكنّه عاد إلى بيروت يسعى في استرجاع أملاكه وأملاك أقاربه التي ضبطها الجزّار، فاسترجع الاملاك التي كانت في الجبل لعدالة الأمير بشير، وأقام حينئذ مدّة في بيروت إلى أن بلغه كتاب مصطفى آغا متسلم طرابلس وكان من أصدقائه بأن الملا اسماعيل الكردي صاحب حمص وحماه يطلبه ليكون كاتباً عنده، فتوجه إلى حمص فرحب به الملا اسماعيل وأعزّه ورأسه على كتبة ديوانه وأقام هناك خمس سنين، وفي سنة ١٨١٠ كانت نفرة بين يوسف باشا كنج والي دمشق، والامير بشير كادت تفضي إلى الحرب بينهما، فأرسل الملا اسماعيل المعلّم الياس إدة يسعى بالسلم بينهما ويسوّي الخلاف فنجح بدرايته وأزال الخلاف. فكتب الامير بشير إلى الملا اسماعيل يثني على مسعاه، ويطلب منه المعلّم الياس إدة ليكون في ديوانه، فأرسله الملا اسماعيل وأكرمه الأمير بشير وأعزّه، ولكن غلت مراجل الحسد في قلوب أعدائه ونظرائه فسعوا به لدى الأمير بشير فتغيّر عليه وأمره أن يسكن بعبدا هو وعياله مبقياً له جعلاً سنوياً. فسكن بعبدا قرب العين إلى أن توفي بها سنة ١٧٢٧ وعمره خمس وثمانون سنة، ودفن أمام الكنيسة ونقش على مدفنه تاريخ من نظم الشيخ ناصيف اليازجي الذي كان يتردد ويتخرج عليه بآداب اللغة وهو:

حكم الإله بما ارتضى
واختار للفردوس عبده
والحال قال مؤرخاً
هـــذا رضى اليــاس اده

وكان الياس إدة شاعراً وله كثير من النظم ولا يخلو نظمه من أغلاط نحوية وخلل في أوزانه الشعرية ويعذر بذلك لأنه لم يتخرّج في مدرسة، بل كان يهتدي إلى النظم بالفطرة السليمة والسليقة الطبيعية.

في هجاء الجزّار

ولما بلغ خبر وفاة الجزار إلى الأمير بشير وهو بحضرته اقترح عليه أبياتاً على البداهة في موته فقال:

وافى السرور وصحّ ترجيح الأمل
بهـلاك علج لا يعادله مثل
عـين المآتـم والمظالـم والـردى
شرّ العوالم إن تفكر أو عمل

إلى أن قال:

لـله درّك يا منون لقد بدت
منك الحياة وطاب حكمك واعتدل
فـاز الأنام وأرخوه بمقصد
هــلك الشقي وإلى جهنم قد رحل

تراث سياسي وثقافي

هذا التراث السياسي والثقافي للأرومة الإدية لا يقل اتساعاً وعمقاً عن تراث غيرها من الزعامات المارونية الجبلية التي دخلت في صراع سياسي مع إميل إدة أو مع والده ابراهيم أو ابنه ريمون. فإذا كان الشيخ بشارة الخوري يعتزّ بالشيخ سعد الخوري (مدير الامير يوسف الشهابي بين عامي ١٧٧١ و ١٧٧٥ والذي كتب له البابا بيوس السادس رسالة يفتتحها بهذه الكلمات. «إلى الابن الحبيب والرجل الشريف الحسيب، السلام البركة الرسولية»، وافتخر بابنه غندور وغيرهما من الأسرة الخورية ـ السعدية، فإميل إدة وأولاده عندهم ما يعتزّون به ويفاخرون: بطرس ومنصور ويوسف والياس الذين جاءتهم المشيخة منذ العهد المعني أي قبل موقعة عين دارة (١٧١١) بزمن، وهي التي «مشيخت» أبناء الخوري صالح (راجع **الجامع المفصل** للمطران الدبس، ص ٢٦٨).

أول إدي بيروتي

نزح الإديون من يانوح من أعمال جبيل إلى قرية إدة في القرن السادس عشر، ومن إدة نزحوا إلى بيروت القديمة في القرن السابع عشر. وأول إدي بيروتي هو والد الشيخ منصور إدة الذي سكن المدينة القديمة عام ١٦٨٣، ومنه تحدر إديو بيروت وما زالوا فيها إلى الآن. وأول إدي اقترب من

لعبة السياسة كان ميشال إدة، منحه السلطان عبد الحميد لقب الأفندية الذي يعطى للموظفين الكبار في ولايات السلطنة. درس ميشال إدة في المدرسة اليسوعية بغزير، ودخل الإدارة شاغلاً مناصب عدّة استجابة لرغبة والده. وكان الانخراط في الإدارة يومذاك (شرفية كبيرة) يقول ميشال إدة الحفيد. عيّن قائمقام على عكا في فلسطين (قبل إلحاقها بولاية بيروت) ثمّ عيّن ترجماناً لولاية بيروت عام ١٨٨٨ (توفي في العام ١٩٠٧).

بعد ميشال إدة لم يتعاط أحد من أبنائه الستة العمل السياسي وهم: رئيف، منصور، إميل، سليم، ألبر، جورج. انصرفوا جميعاً إلى الأعمال التجارية.

الدروغمان ابراهيم

وكما كان ميشال إدة يعمل ترجماناً لولاية بيروت في العام ١٨٨٨، كان نسيبه إبراهيم بن يوسف بن بدوي بن يعقوب بن يونان المولود عام ١٨٣٠ يعمل ترجماناً لقنصلية الدولة الفرنسية في دمشق. وكانت تربطه صداقة حميمة مع الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان له دور مشرّف في الدفاع عن المسيحيين خلال مجزرة العام ١٨٦٠ في دمشق. وبعد هدوء العاصفة تزوّج إبراهيم إدة عام ١٨٦٢ الآنسة ماريا دوناتو الإيطالية الأصل ورزق منها اثني عشر ولداً. ثلاثة منهم فارقوا الحياة قبل أن يتعرفوا عليها، اما الباقون منهم البنات: روزا، عفيفة، لويزا، فريدة وأليس، والصبيان: خليل، جوزف، أنطوان وإميل الذي لم يعرف أمه. وبعد أن غيّب الموت رفيقة حياته، استقال إبراهيم من وظيفته في دمشق وعاد إلى بيروت وأقام في محلة الأشرفية في قصر شيّدته عائلة سرسق. وظلّ يواصل عمله التجاري بين لبنان وسوريا مستورداً ومصدّراً. وكان يتردّد أحياناً إلى دمشق بعد مروره في منزله في قبّ الياس. وفي الذهاب والإياب كان يتفقد أراضيه في البقاع، في عميق وعانا وصفرا والتل الأخضر وغيرها من القرى والسهول. ولهذه الاراضي قصة تروى حصل عليها بدلاً عن أراض له واسعة كان يمتلكها في عكار ـ منطقة البقيعة على الحدود السورية ـ اللبنانية، ومسجلة على اسمه في الدوائر الرسمية «جَفْتَلَك إدة» فاستولى عليها الوالي حمدي باشا وصادرها وقرّر أن لا يردّها بذريعة أن إبراهيم إدة له علاقات بالقوات الفرنسية التي نزلت في بيروت فيما يقول بيار إدة «إن جدّي أهان الوالي شخصياً». وراجع إبراهيم الوالي بالامر وقال له: إذا كان هناك مستمسك ضدّي فحاكموني، أما أن تصادروا ممتلكاتي فهذا مجحف بحقي كإنسان، ثمّ إن الرجل سافر إلى الأستانة عاصمة السلطنة وسلّم أوراق قضيته إلى محام ورفع دعوى على الدولة.

ومرّت الأيام والسنون من دون جدوى حتّى جاء السلطان عبد الحميد وعيّن والياً جديداً على دمشق. وبمناسبة عيد الأضحى المبارك زار إبراهيم إدة الوالي للتهنئة بالعيد. ونترك للكاتب والصحافي وليد عوض أن يضعنا في مشهد الزيارة وما جرى خلالها: «لزم إبراهيم الصمت طوال فترة تبادل التهنئة والتبريك بين الوالي والزوّار، فيما كان الوالي ينظر إليه من طرف خفي ويرى في وجوده إحراجاً أمام الوافدين... ثمّ بدأ عقد الزوار ينفرط تدريجاً، والوالي يقف مودّعاً فيقول له الزائر بالتركية «الله ثمّ الله دق» أي في حفظ الله، ويرد الوالي «غولاغولا» أي مع السلامة أو

«بالأمان». وتسود فترة صمت ويلتفت الوالي إلى خلف فيجد إبراهيم إدة يلازم مقعده فيقول بشيء من الانفعال: ما هذا يا بو خليل؟

كان خليل هو الولد البكر في ذرّية إبراهيم إدة أمّا إميل إدة، فكان الرقم تسعة في هذه الذرية. والكبير خليل أصبح راهباً يسوعياً والثاني انطوان ضابطاً في البحرية الفرنسية، والثالث جوزف رجل اعمال والرابعة روز، والخامسة عفيفة، والسادسة فريدة (تزوّجت المسيو إيتار الذي تخصّص في إنتاج دود القزّ) والسابعة لويزا والثامنة أليس والتاسع إميل الذي ماتت أمّه وهو ابن سنتين فقامت اخته الكبرى روزا بمسؤولية تنشئته وتعويضه بحنانها حنان الام الراحلة قبل الأوان (كانت بعمر ٣٦ سنة).

واكتفى إبراهيم إدة بابتسامة ودّ، وعاد الوالي يقول: أسألك. ما هذا يا بو خليل؟ هل جئت تتحداني في عقر داري وامام الناس! وردّ إبراهيم إدة:

- بالعكس جئت اهنئك بالعيد، خصوصاً أن خلافي كان مع الوالي السابق، لا معك أنت.

واستطرد يقول: ومجيئي إليك لأقول: «كل عيد وأنت بخير» لا يعني أي تغيير في المواقف، فلا أنا على استعداد لتغيير رأيي ولا الدولة العلية على استعداد لتغيير رأيها.

قال الوالي:

- ورفعت قضية ضدّ الدولة في استامبول...

قال إبراهيم إدة: واستفدت بذلك من إيمانكم بحقوق الإنسان.

قال الوالي: لكن...قل لي بربك ماذا كسبت؟ فلا تزال دعواك عالقة أمام القضاء منذ عشرين سنة.

وردّ إبراهيم إدة متنهداً: أجل يا جناب الوالي..عشرون سنة. وهزّ الوالي برأسه وقال: ومع ذلك فأنت على عنادك، بل جئت إلى هنا لتبرهن هذا العناد.

قال إبراهيم إدة: فعلت ذلك لأبرهن لك أن عناد الأفراد غير عناد الدول.

وابتسم الوالي علامة المودة وقال لإبراهيم إدة: والآن يا أبو خليل سأدعوك إلى أن تدخّن معي نفس نارجيلة.

كان الوالي مرناً، ويوظف هذه المرونة في خدمة بلاده على المدى البعيد، من جهة وفي الاحتفاظ بموقعه بين اهالي دمشق وبلاد الشام، من جهة ثانية، على أساس أنّ عدم ظهور النقمة يعني أنّ الوالي يعالج علاقات استامبول مع مراكز الولاية بالحكمة، ولا يفسح للأوروبيين الطامعين في تمزيق الامبراطورية العثمانية مجال اختراق أية ثغرة...بالطبع كان هناك والٍ قبله ووالٍ ذكي ولكن اكثر ولاة دمشق وبيروت مثل عزمي بك وبكر سامي كانوا من الدهاة!

وما لم يفعله جهد محام طويل الباع في محاكم استامبول، فعله نفس نارجيلة عند والي دمشق. فقد طار من والي دمشق تقرير إلى استامبول يوصي خيراً بأبي خليل إدة. وهكذا تمّ التعويض عن أملاك «البقيعة» بأملاك مثلها، وبالمساحة ذاتها في البقاع، ونزحت عقارات إبراهيم إدة من الشمال إلى البقاع بفرمان سلطاني، ولا تزال هذه العقارات إلى الآن ملكاً لهذه العائلة بشخص الوريث الشرعي الوحيد كارلوس إدة، عميد حزب «الكتلة الوطنية»، ولأولاده من بعده.

يفهم من هذه الحكاية إلى أي مدى كان جد العميد ريمون إدة النائب والوزير السابق بيار إدة متميزاً بالمرونة، بحيث لم يشأ مواجهة الجاموس وأخذه بقرنيه مباشرة بل صرعه على طريقة المصارع الاسباني. وقد نجح. وهذا لا يعني أن الرجل كان مختلفاً عن معاصريه الذين هم في مثل وضعه. فليس من شك في أنه كان مثلهم يحب فرنسا ويتطلع إلى خلاص سوريا ولبنان من النير العثماني، ولكن كل شيء مرهون بزمنه ودوله ورجاله.



الدروغمان إبراهيم إدة
(من كتاب آل إدة في التاريخ)

أعلام من آل إدة

أعطت العائلة العديد من الوجوه السياسية والاقتصادية والأدبية والدينية. أبرزها:

إبراهيم إدة

من مواليد العام ١٨٣٠، تزوج ماريا دوناتو سنة ١٨٦٢، وهي إيطالية الأصل، ورزقا اثني عشر ولداً. ثلاثة منهم فارقوا الحياة قبل أن يتعرفوا عليها، أمّا الباقون فهم من البنات: روزا، عفيفة، لويزا، فريدة، أليس. والصبيان: خليل، جوزف، أنطوان، إميل الذي لم يعرف أمه فقد فارقت الحياة بعد ميلاده بنحو ثلاثة اشهر وكانت بعمر ٣٦ سنة. بعد وفاة زوجته استقال من وظيفة في الشام كوسيط أو دروغمان في القنصلية الفرنسية. و«الدروغمان» (او الوسيط) كان يتمتع في القرن التاسع بامتيازات عديدة، بعضها مسجّل في معاهدة الامتيازات. إنها منهاج او نظام امتيازات الدولة الفرنسية في علاقاتها مع الباب العالي. وقع خلاف بينه وبين والي دمشق الداماد حمدي باشا، الذي صادر أملاكه في منطقة البقيعة ـ جفتلك إدة ـ وبعد عشرين سنة استطاع أن يحصل على حقه ويعطى بديلاً منها في سهل البقاع. توفي في العام ١٩١٠.

إميل إدة

ولد في دمشق عام ١٨٨٨. حكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً لتعامله مع الفرنسيين. نائب عن بيروت عام ١٩٢٢. ترأس المجلس التمثيلي الأول بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٥. انتخب رئيساً للجمهورية في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦. وقدّم استقالته في نيسان ١٩٤١ قبل نهاية ولايته.



منزل الدروغمان في قب الياس حوّله ريمون إدة إلى كنيسة مار إميل

شارك في الوفدين الأول والثالث إلى مؤتمر الصلح في قصر فرساي عام ١٩١٩. توفي في ٢٧ أيلول ١٩٤٩.

بيار إدة

ولد في بيروت عام ١٩٢١. والده إميل إدة (رئيس الجمهورية الأسبق). والدته: لودي سرسق. شقيقه ريمون إدة (نائب ووزير سابق. عميد حزب «الكتلة الوطنية»). انتخب نائباً عن منطقة المتن عام ١٩٥١، وأعيد انتخابه عن بعبدا عام ١٩٥٣، وفي العام ١٩٥٧ انتخب نائباً عن بيروت. عمل وزيراً للتربية في حكومة صائب سلام، ووزيراً للمالية في حكومة سامي الصلح مرّتين: الأولى عام ١٩٥٥ والثانية ١٩٥٨. توفي في ١٧ آب ١٩٩٧ ودفن في ساوباولو (البرازيل).

ريمون إدة

ولد في الاسكندرية في ١٥ آذار ١٩١٣ والده: إميل إدة (رئيس جمهورية أسبق). شقيقه بيار، نائب ووزير سابق. والدته: لودي سرسق، انتخب نائباً لأوّل مرّة عام ١٩٥٣ عن منطقة جبيل، وأعيد انتخابه لدورات عديدة. عين وزيراً أوّل مرّة في تشرين الأول ١٩٥٨ في الحكومة الرباعية. استقال عام ١٩٥٩ من جميع مناصبه الوزارية احتجاجاً على تدخل الجيش في الانتخابات

النيابية. انتخب عميداً للكتلة الوطنية بعد وفاة والده في ٢٧ أيلول ١٩٤٩. تعرّض في ٢٥ أيار ١٩٧٦ لمحاولة اغتيال نفذها مسلحو الكتائب بين نهر إبراهيم وضبيه. وضع عدداً من القوانين التي أسهمت في ازدهار الوطن. توفي في ١٠ أيار ٢٠٠٠ في باريس، ونقل جثمانه إلى بيروت حيث دفن فيها.



ميشال منصور إدة: جد الوزير السابق ميشال إدة
(من كتاب آل إدة في التاريخ)

كارلوس إدة

من مواليد بيروت في ٤ أيار ١٩٥٦. والده: بيار إدة. والدته: هيلدا الراسي. انتخب عميداً للكتلة الوطنية في ١١ أيار ٢٠٠٠ خلفاً لعمّه ريمون إدة. أكد في ٩ تشرين الثاني ٢٠٠٠ خروجه من «لقاء قرنة شهوان»، ولكنّه أكّد عدم خروجه من المعارضة. وكان قيادياً بارزاً في «تجمّع ١٤ آذار».

ميشال إدة

ولد في بيروت في ١٦ شباط ١٩٢٨. والده سليم إدة. جدّه لأبيه ميشال إدة أحد أبرز الموظفين المسيحيين بعد الإصلاحات الإدارية العثمانية في ستينات القرن التاسع عشر. والدته: إيزابيل ملحة. عيّن وزيراً للإعلام والبرق والبريد والهاتف في حكومة رشيد كرامي (١٩٦٦ ـ ١٩٦٨) ثمّ وزيراً للإعلام في حكومة شفيق الوزان (١٩٨٠ ـ ١٩٨٢). وعيّن وزير دولة لشؤون الثقافة والتعليم العالي في حكومة رفيق الحريري في ٣١/١٠/١٩٩٢ ووزيراً للثقافة والتعليم العالي في حكومة الرئيس الحريري في ٢٧/٥/١٩٩٥ ووزير دولة في حكومة الرئيس الحريري الثانية التي شكّلها في ٧/١١/١٩٩٦. عيّنه البطريرك نصر الله صفير في ٧/٧/٢٠٠٦ رئيساً للرابطة المارونية.

هنري إدة

ولد في القاهرة عام ١٩٢٢. والده: كميل إدة (محام). والدته: إيزابيل راتل. نقيب سابق للمهندسين. وزير أشغال ونقل في حكومة صائب سلام في عاميّ ١٩٧٠ ـ ١٩٧١. وزير تربية في حكومة صائب سلام عام ١٩٧٢ إلاّ أنّه أقيل من منصبه بسبب إصراره على تنفيذ برنامجه الإصلاحي.



الرئيس إميل إدة
(من كتاب آل إدة في التاريخ)

روجيه إدة

ولد في ٢١ آب ١٩٤١ في بلدة إدة ـ قضاء جبيل. والده: جان إدة. والدته تريز الخوري من بيت الدين. تزوّج أميركية ذات أصول ايرلندية. انضم إلى حزب الكتلة الوطنية عام ١٩٥٥، اعتقل غير مرّة في تظاهرات طالبية. فصل من عضوية الحزب في ٢٣/١/١٩٨٤. أسّس حزب «السلام اللبناني» وعقد مؤتمره التأسيسي في جبيل في ٢٥/٦/٢٠٠٦.

الياس نعمة إدة الملقّب أعمى إدة

ولد في إدة سنة ١٨٣٩ وفقد نظره تماماً وهو بعمر خمس سنوات. أرسل إلى باريس إلى عيادة أشهر أطباء العيون هناك ومكث ثلاث سنوات للعلاج، ولكن دون جدوى. في غضون ذلك تلقّى دروساً في الحروف النافرة في مدرسة العميان لمؤسّسها البروفسور بريل. رجع إلى لبنان ودرس الحقوق من دون معلّم. كان قوي الذاكرة جداً، يحفظ ويسمع ويحلّل المسائل العلمية والمشكلات القانونية. برع بفنّ الخطابة والمحاماة وراح يقف في المحاكم ويرافع بجرأة، وكانت له مقدرة على الإقناع. شهرته سبّبت له بعض العداوة من بعض المحامين فقدّموا العرائض بحقه إلى الآستانة، فأصدرت الحكومة العثمانية أمراً بمنعه من المرافعة في المحاكم. توفي في ١٣ تشرين الأول ١٨٩٨.

يوسف راجي إدة

من مواليد بيروت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. تلقّى دروسه في جامعة الآباء اليسوعيين حيث نال الشهادة العالية في العلوم والآداب. بدأ معاوناً لمدير الأمور الأجنبية في ولاية بيروت. نقل إلى بغداد وعيّن في المنصب نفسه، ولم يطل الوقت حتى عيّن مديراً للأمور الأجنبية في القدس. ثمّ عيّن في الوظيفة عينها في ولاية اسكوت (بتركيا). دعي إلى الآستانة وعيّن مديراً عاماً في وزارة الزراعة والتجارة وكاتباً في اتحاد المجالس البرلمانية الدولية، وكاتباً خاصاً لدولة أحمد رجا بك، رئيس مجلس الأعيان العثماني. عاد إلى بيروت وعيّن مديراً للمطبوعات في المفوضية العليا، ثمّ انتقل إلى اللاذقية وزيراً للداخلية ومعاوناً للحاكم العام الفرنسي. عيّن وزيراً للمصارف في «حكومة اللاذقية». توفي في ١٥ آب ١٩٦٣.

كميل بشارة إدة

من مواليد بيروت ١٨٨١. تلقّى دروسه في مدرسة اليسوعيين في بيروت. درس المحاماة في المعهد الفرنسي في القاهرة. وهناك افتتح مكتباً تدرّج فيه كبار المحامين المصريين واللبنانيين. حكمت عليه السلطات التركية بالإعدام غيباً. أسّس في بيروت **جريدة المحاكم المختلطة** باللغة الفرنسية. أبناؤه: جورج، جبرايل، هنري، روبير.

جوزف إبراهيم إدة

هو الإبن الثاني للدروغمان إبراهيم إدة. ولد عام ١٨٧٥ في دمشق، أتمّ دروسه في المدرسة اليسوعية في بيروت. زاول السياسة قليلاً والتجارة كثيراً. أقام في باريس منذ نهاية الحرب العالمية الاولى. وكان اللبناني الأول الذي افتتح مركزاً للأدوية في مونتريال (كندا) وكان يستورد للتوزيع هناك أدوية فرنسية. تزوّج فتاة فرنسية ورزقا ولداً سمّياه جان كلود. من أصدقائه فنانون شهيرون من أمثال بيكاسو، وفايان، وماتيس. توفي في أوائل الخمسينات بعد وفاة شقيقه الصغير إميل إدة بسنوات قليلة.

أنبتت هذه العائلة من رجال الدين:

الخوري أنطوان إدة خادم رعية بيت مري، والخوري جرجس شقيق المعلّم الياس إدة، والخوري جرجي الثاني، والخوري جرجس الثالث ابن المعلّم الياس إدة. ومنهم:

الأب جبرائيل اليسوعي

هو ابن بشارة إدة حفيد المعلّم الياس الشاعر. ولد في الإسكندرية في ١٩ تشرين الثاني ١٨٤٨. بدأ دروسه في مصر وأتمّها في فرنسا. التحق بجمعية الآباء اليسوعيين. سيم كاهناً في ١١ حزيران ١٨٨١. بعد رجوعه إلى الشرق عيّن مديراً للدروس العربية في مدرسة اليسوعيين بالإسكندرية (١٨٨٢ـ ١٨٨٨) ثمّ أستاذاً للخطابة ومديراً للدروس في جامعة القديس يوسف في بيروت (١٨٨٨ـ ١٨٩٠) ثمّ رئيساً للجامعة (١٨٩٠ـ ١٨٩٧) وهو أوّل يسوعي شرقي يرتقي إلى هذا المنصب. له عدّة مؤلفات منها: **القواعد الجلية في علم العربية** وروايات تمثيلية ومقالات أدبية نشرت في مجلة **المشرق**. توفي في العام ١٩١٤.

الأب خليل اليسوعي

ولد في دمشق عام ١٨٧٠. هو ابن إبراهيم إدة، تلقّى دروسه في مدرسة اليسوعيين في بيروت

ثمّ ذهب إلى باريس للتخصّص في دار المعلمين العليا. انتسب إلى جمعية الآباء اليسوعيين عام ١٨٩١ رغم ممانعة والده الذي كان يحلم بدور سياسي لكبير أولاده. سيم كاهناً في ٢١ أيلول ١٩٠٣. عيّن مديراً للدروس العربية في بيروت (١٩٠٤ـ ١٩٠٩) وفي القاهرة (١٩٠٩ـ ١٩٢٢). في العام ١٩٢٢ جاء إلى لبنان وعيّن وكيلاً في دير الآباء اليسوعيين في زحلة. ثمّ عاد إلى القاهرة من جديد. في العام ١٩٣٥ عاد إلى لبنان. توفاه اللـه عام ١٩٤٢. من مؤلفاته:

- **النفع الوفير في تربية دود الحرير** (طبع سنة ١٩١٤).
- **الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض** (سلسلة أبحاث لاهوتية).
- **المسيحية والإسلام.**
- **تعريب رياضات القديس اغناطيوس دي لويولا** (مؤسّس الرهبانية اليسوعية).
- **خلاصة التعليم المسيحي.**
- **مسرحية السموأل** (مثلت مراراً في المدارس).

وله مقالات عديدة في مجلة **المشرق**. أجاد من اللغات: العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية والسريانية واليونانية والعبرية.

الأب إميل إدة (المرسل اللبناني)

من مواليد بلدة إدة. صاحب عدّة مؤلفات منها:

- **الفينيقيون واكتشاف أميركا.**
- **جبيل مهد الأبجدية.**
- **المسيح محرّر المرأة.**
- **آل إدة في التاريخ.**
- وله كتابان باللغة الفرنسية صدرا عامي ١٩٧٧ و١٩٨٠ على التوالي، وكتابان آخران باللغة البرتغالية والإسبانية صدرا عامي ١٩٨٩ و١٩٩٣.
- مُنح جائزة سعيد عقل على كتابه: **الفينيقيون واكتشاف أميركا.**

المراجع

١ ـ الأب إميل إدة، **آل إدة في التاريخ: من الأمس الغابر إلى اليوم الحاضر**، مطابع الكريم الحديثة ـ جونية، ٢٠٠٠.

٢ ـ خليل رشيد اسكندر حبيش، **آل حبيش في التاريخ**، بيروت، ١٩٧٨.

٣ ـ ماجريات الأب إبراهيم حرفوش، مخطوطات دير الكريم، غوسطا.

٤ ـ وليد عوض، **رؤساء لبنان**، بيروت، ١٩٧٧.

٥ ـ المطران يوسف الدبس، **الجامع المفصل في تاريخ لبنان المؤصل**. بيروت ١٨٩٣ (الطبعة الأولى).

٦ ـ فؤاد أفرام البستاني، **دائرة المعارف**، المجلد الثامن، ١٩٦٩.

٧ ـ البطريرك اسطفان الدويهي، **تاريخ الأزمنة** (حققه الآباتي بطرس فهد)، نشرته دار لحد خاطر (د.ت)

٨ ـ نقولا ناصيف، «فخامة الرئيس ميشال إدة» (ملف **النهار**)، رئاسيات، ١٩٩٥.

٩ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل كرامي

أسرة لبنانية عربية عريقة من المسلمين السنة بدأ نجمها يلمع في سماء الحياة العامة في مدينة طرابلس ـ شمال لبنان، من خلال المراكز الدينية التي تولّتها على مدى حقب طويلة، إذ كاد مركز الإفتاء يكون وقفاً على أبنائها، يتوارثونه أباً عن جدّ منذ ٦٥٠ سنة. والمعروف عن هذه الأسرة أنها فلسطينية الأصل من آل جار اللـه أبو اللطف، وهذا اسم الشهرة القديم لها. وفي مرجع آخر أن العائلة هاجرت من بيت المقدس، واستقرت في طرابلس، وأن اسمها ينسب إلى منشىء «المدرسة الكريمية» كريم الدين عبد الكريم القبطي الذي أسلم. وأبو اللطف هو جدهم. ولهم كانت الفتوى في طرابلس.

وأشهر من برز منهم:

ـ **عثمان أفندي كرامة** مفتي طرابلس، وصاحب مرياطة: (ت: ١٦٨٠).

ـ **المفتي عبد الحميد كرامة الأول** (ت: ١٧٤٨) ونجله مصطفى بن أبي اللطف الشهير بابن كرامة.

ـ **عمر بن مصطفى كرامي الأول** مفتي طرابلس الشام. تلقى علومه في الجامع الأزهر في القاهرة. وكان بارعاً في قرض الشعر وله من الأعمال:

ـ **من السراجية وشرحها.**

ـ **القلائد الدرّية** (أرجوزة مخطوطة).

ـ **شرح القلائد الدرية.**

ـ **رسائل في العروض.**

ـ **علي بن مصطفى كرامة أبي اللطف المعروف بابن كرامة** تولى إفتاء طرابلس، كما تولى إفتاء حلب. نفي إلى بعض الجهات، وكان شاعراً وله ديوان.

ـ **رشيد أفندي كرامة الأول** والد المفتي الشيخ عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد بن عبد اللـه كرامة، أحد أعيان طرابلس في القرن التاسع عشر.

ومن مشاهير هذه العائلة في زماننا:

ـ **شفيق كرامة** عضو مجلس النواب (١٩٣٧)، أتمّ تحصيله العالي في بيروت. عين كاتباً في قلم العدلية بطرابلس، وما لبث أن رُقي لرئاسة قلم المحكمة، ثم عضواً ملازماً فيها بعد خلاف وقع بينه وبين رئيس المحكمة آنذاك. فاستقال من الوظائف الحكومية واشتغل بالمحاماة. وقد اشتهر في مهنته بالدفاع عن حقوق المظلومين فأحبه الناس واحترموه. شغل لفترة منصب نائب رئيس بلدية طرابلس. وكوفىء أخيراً بانتخابه نائباً في البرلمان.

ـ **مصطفى كرامة** مؤسس حزب «الشباب العربي» شقيق الزعيم الوطني عبد الحميد كرامة، وساعده الأيمن في إدارة حملاته الانتخابية. وقف إلى جانبه في جميع المراحل النضالية التي خاضها، فقاد المقاومة ضد الفرنسيين، وكان يمثل الجناح العسكري في التصدي لهم. وكان يعتقد أنه صاحب الحق في متابعة مسيرة شقيقه بعد وفاته، إلا أن الاجتماع العائلي إضافة إلى أصدقاء عبد الحميد ووفاءً له، اختاروا الرشيد كخير وريث لوالده. وعندما طلب مصطفى من ابن شقيقه أن يرشح نفسه في دائرة أخرى غير التي رشح بها نفسه، اعترض وقال: إنه ليس من مبدأ عائلة كرامي احتكار تمثيل طرابلس. والمعروف أن طرابلس كانت تتألف من دائرتين انتخابيتين: الأولى تضم منطقة الحدادين والميناء والتل، والثانية تضم باب التبانة والعتبة والسويقة. هكذا كانت مبادئ وثوابت العائلة تتقدم على العلاقات مع الأقارب حتى لو أدّت إلى الخصومة إلى فترة من الزمن. وهذا ما تكرّر بعد سنوات مع أحمد كرامي الذي نجح حيث فشل والده، ودخل مجلس النواب مع ابن عمه عمر كرامي (*).

هذه السلسلة من المفتين ورجال الدين والعلماء من أبناء هذه العائلة، أرست تقاليد وقواعد ثابتة وتوجهاً سياسياً واضحاً عاش في مناخه أحد أبرز أبنائها، هو الشيخ والزعيم الوطني عبد الحميد كرامي المولود في طرابلس عام ١٨٩٢ (وفي مرجع آخر ١٨٩٣).

عبد الحميد كرامي

والده: الشيخ رشيد مصطفى كرامي الكبير. تزوج يمنى علم الدين ورزقا ثمانية أولاد: رشيد (رئيس حكومة) وعمر (رئيس حكومة) ومعن، ونجوى (زوجة مالك سلام) وسعاد (زوجة حسن الجسر) وأميمة (زوجة رمزي عدرة) وسلمى (زوجة هاشم بك النابلسي) وبارعة (زوجة سعيد أديب). درس على يدي جده ووالده أصول الدين والفقه الإسلامي، كما درس في المدرسة الرشدية على عدد من علماء الفيحاء منهم الشيخ: عبد المجيد المغربي، فتعلم إضافة إلى العربية والفارسية والتركية شيئاً من الفرنسية والإنكليزية.

(*) كان اسم العائلة يكتب بالتاء المربوطة، لكن عبد الحميد كرامي أراد أن يُكتب اسم العائلة بالياء وقال: «لا كرم الله وجه مَن سماني كرامة ولم يسمّني كرامي».

أصغر مفتٍ في الدولة العثمانية

توفي والده عام ١٩١٢، وكان من المفترض انتخاب أحد العلماء الذين كانت تعج بهم المدينة خلفاً له، إلا أن نائبي طرابلس آنذاك: الشيخ محمد الجسر وسعد الله بك المنلا يشايعهما الكثير من وجوه المدينة وبعض علمائها كانوا يرون أن مركز الإفتاء هو مركز تمثيلي دنيوي للمسلمين، أكثر من كونه مركزاً دينياً، وأن الشخص المرغوب فيه لهذا المركز هو من تجتمع فيه أو في أسرته صفات الماضي الديني التليد والحاضر الدنيوي المجيد.

ولم يكن في المدينة من تجتمع فيه هذه الصفات إلا نجل المفتي الراحل عبد الحميد، إذ إنه من بيت إفتاء أباً عن جد. وقد عرف آباؤه بالخلق الرفيع، والتمسك بأهداب الدين الحنيف. يملك ثروة ضخمة تمكنه من الظهور بالمظهر اللائق بمركز الإفتاء، ولم يكن يُعاب عليه إلا حداثة السن، إذ لم يكن عمره يتجاوز السبعة عشر عاماً. وهكذا نال أكثرية أصوات العلماء ليكون مفتياً للمدينة، وقد اقترن هذا الاختيار بموافقة المشيخة الإسلامية، وصدور فرمان الذات الشاهانية، فكان أصغر مفتٍ في الدولة العثمانية.

كان المفتي الجديد عبد الحميد، عند حسن ظن مريديه، إذ ما كاد يتبوأ مركزه حتى أخذ يتقبل مراجعات الراجعين بوجه مشرق وابتسامة لا تفارق ثغره ويعمل على تلبيتها. وقد زادت خدماته وتضاعفت في أثناء الحرب العالمية الأولى التي اندلعت نارها عام ١٩١٤، الأمر الذي أوجد في جميع أحياء المدينة رجالاً مخلصين يتفانون في حبه وخدمة مقاصده حتى الموت.

الاستقلال العربي

في العام ١٩١٨ انتهت الحرب العالمية الأولى بسقوط دول المحور، وانتصار دول الحلفاء. وقد أطلق المؤرخون على الأسبوع الذي انقضى بين جلاء الجيش التركي ودخول الجيوش الحليفة إلى البلاد (بالثمانية أيام من الاستقلال العربي الناجز). في هذا الأسبوع تولى الحكم في دمشق الأمير سعيد الجزائري نيابة عن قائد الحملة الأمير فيصل بن الحسين الذي تأخر بعض الوقت على دخول دمشق. وقد أخذ الأمير سعيد يرسل البرقية تلو البرقية إلى المدن السورية واللبنانية معلناً فيها استقلال البلاد العربية بزعامة ملك العرب الحسين بن علي الهاشمي. وقد جاء في إحدى برقياته اختياره رضا باشا الركابي لحاكمية بيروت، وسعد الله بك المنلا لحاكمية طرابلس. إلا أن البرقيتين المذكورتين قد أهملتا، فاختار البيروتيون عمر بك الداعوق لحاكمية بيروت، كما اختار الطرابلسيون في اجتماع عقده وجهاء المدينة في بيت محمد البحيري المفتي عبد الحميد كرامي لحاكمية المدينة. وقد استقبلت الجماهير المحتشدة خارج بيت البحيري هذا الاختيار بالتهليل والتكبير، وانتقلوا بالحاكم العربي الجديد إلى سراي الحكومة حيث تسلم من وكيل المتصرف عبد اللطيف سلطان مدير قلم التحريرات العلم العربي ورفعه بيده على سارية السراي. وكان الشباب ينطلقون في المظاهرات اليومية في شوارع المدينة وهم يرددون النشيد الذي نظمه لهم الشاعر

الشيخ عبد اللـه المؤذن، والذي يقول:

يـا بني الأوطـان إن العربي
مجـده حـلّق فـوقَ الشـهبِ
قد أرى الأعداء سيفاً لامـعاً
خط في الهامات سطر العجبِ
قضى الأمرُ وقامت للحسين
دولة لـبت صحيـح النسـبِ
فاهتفوا يا قوم بين الثقـلين
ليعـش هـذا المليـك العـربي
أيها القائد يا فخـر العـرب
نحـن أبنـاءٌ وأنـتم خـير أب
نحن في أيديك سيف مغمدٌ
إن تشأ جرّده باسـم العـرب

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمير فيصل بن الحسين جاء إلى طرابلس لحضور مؤتمر السلام، وحل ضيفاً على الزعيم عبد الحميد كرامي، وقال له: «سمعت بإخلاصك ووفائك لأمتك وكرمك في وطنك، فكافأتك بهذه الزيارة لنتعاون على تحرير الأمة وحفظ كيانها».

وفي ليل التاسع من أيام الاستقلال «الموهوم» دخلت الجيوش الحليفة طرابلس، واتخذت القيادة البريطانية إحدى الدور في محلة البوابة في المينا مركزاً لها، واستقرت والقيادة الفرنسية في سراي الحكومة، وكان أول إجراء اتخذه القائد الفرنسي (دي لاروش) إنزال العلم العربي عن سارية السراي، كما رفع فوق بابها يافطة مكتوب عليها بالعربية والفرنسية: بلاد العدو المحتلة - الحاكم العسكري.

سايكس - بيكو

لم يكن أحد من قادة الرأي العام في المدينة في ذلك الحين على علم بمعاهدة سايكس - بيكو التي قسمت البلاد السورية إلى مناطق نفوذ بين الدولتين العظميين، إنكلترا وفرنسا. وكان الحكام العسكريون الفرنسيون المتعاقبون على الحكم قبل إعلان الانتداب قصار النظر، وعلى جهل تام بالحساسيات الدينية في المدينة فملأوا المراكز الحكومية الرئيسية بأشخاص غير مرغوب فيهم، وكلهم من غير أبناء المدينة. وكان هؤلاء الموظفون يسعون إلى تعميق شقة الخلاف بين عبد الحميد كرامي وبين صانعيهم الفرنسيين، بحيث لم يعد من مجال لرتق الخرق بينهما. وكانت طرابلس بأعيانها ومثقفيها وشبابها وشيبها تقرّ مواقف الزعيم كرامي في مناوأته للفرنسيين.

لقاء لجنة «كينغ - كراين»

عندما وصلت لجنة كينغ - كراين الأميركية إلى طرابلس لإجراء استفتاء بين الناس لمعرفة نوعية الحكم الذي يريدونه حاول الفرنسيون منع عبد الحميد كرامي من الالتقاء بهذه اللجنة عبر نشر الجيش من منزله إلى السراي الحكومي، إلا أنه أصرّ على مجابهة الفرنسيين ولقاء اللجنة وهو يقول: «واللـه سأدوس على سلاحكم وسأجتمع بهم». واجتمع بهم فعلاً بعد أن حملته الجماهير الطرابلسية على الأكتاف، وخطب أمام سراي الحكومة مطالباً باسم طرابلس بالاستقلال التام لسوريا، وإذا لم يكن ممكناً فالانتداب الأميركي أو الإنكليزي، ورفض رفضاً باتاً الانتداب الفرنسي.

وبقي الطرابلسيون على اختلاف طبقاتهم برأي واحد، وهو عدم قبول الانتداب الفرنسي والرغبة في الالتحاق بسوريا، إلا أن غموض موقف الملك فيصل من إلحاق طرابلس بسوريا حمل بعض وجوه المدينة على التوجه إلى دمشق وفوداً وأفراداً لجلاء هذا الأمر، وكان منهم سعد اللـه بك المنلا الذي حظي بمقابلة الملك فيصل على انفراد، واستوضحه حقيقة الوضع لتأخذ طرابلس الموقف المتفق مع مصالحها، فكانت إجابات الملك له مبهمة، خرج منها سعد اللـه المنلا بانطباع عجز الملك عن فك رموز هذه القضية.

مشاريع تفتيت المنطقة

أخذت الصورة بعد ذلك تتضح للرأي العام الطرابلسي شيئاً فشيئاً، كما بدأت تتكشف ملامح المشاريع التي أعدّت للمنطقة بهدف إضعافها وتفتيتها، وتحويلها إلى دويلات صغيرة لا حول لها ولا قوة. ومن هذه الملامح:

- وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.
- تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ للدولتين إنكلترا وفرنسا، تحت ستار الانتداب، وإخلال إنكلترا بعهودها للملك حسين.
- قرار عصبة الأمم بانتداب فرنسا لتدريب أبناء سوريا ولبنان على الحكم الذاتي، وانتداب إنكلترا للغرض نفسه في العراق وفلسطين.
- انسحاب الجيش البريطاني من سوريا ولبنان.
- تعيين الجنرال غورو مفوضاً سامياً على سوريا ولبنان وكيليكيا.
- انسحاب الملك فيصل من سوريا ودخول الفرنسيين دمشق بعد حرب قصيرة استشهد خلالها في ميسلون وزير الحربية البطل يوسف العظمة.
- إعلان الجنرال غورو في العام ١٩٢٠ استقلال لبنان الكبير بحدوده الطبيعية ومدنه الرئيسية بيروت وطرابلس وصيدا وصور والأقضية الأربعة.

في سجن بيت الدين

في ٨ آذار ١٩٢٠ شارك عبد الحميد في مؤتمر (الشونة) في الأردن وذلك لمبايعة الملك حسين بالخلافة، وبعد عودته اعتقل ونفي إلى سجن بيت الدين لمدة ثلاثة أشهر، ثم أطلق سراحه بعد حوادث دامية جرت بين الطرابلسيين والفرنسيين.

في العام ١٩٢٢ قاطع انتخابات المجلس التشريعي، ورفض الاشتراك فيها. وكان يقول: «لا يمكنني التعاون مع سلطات الانتداب، فرنسية أم غير فرنسية. حتى أنني لا يمكنني الاعتراف بوجود دولة اسمها لبنان».

في العام ١٩٢٤ عزله الفرنسيون من منصب الإفتاء، ونفوه إلى جزيرة أرواد.

في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٧ شارك في مؤتمر الساحل في بيروت، وفيه أكد تحقيق مطالب الأمة السورية في الاستقلال والوحدة.

في حزيران ١٩٢٨ رأس في دمشق مؤتمر أبناء الساحل. واحتج المؤتمرون على تجزئة البلاد مطالبين بالوحدة السورية، معبرين عن رفضهم للممارسات الطائفية التي تتبعها فرنسا، ورفضهم فصل لبنان عن سوريا.

في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٣ شارك في مؤتمر الساحل ممثلاً طرابلس، وفي نهاية المؤتمر رفعت مذكرة إلى المفوض السامي تطالب بالوحدة والمساواة بين الطوائف وإطلاق الحريات.

مع الوحدة السورية

في ١٠ آذار ١٩٣٦ شارك في مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة الذي انعقد في منزل سليم علي سلام. ومما قاله في المؤتمر: «إن مسألة الوحدة ليست قضية دينية ولا مطلباً إسلامياً وإنما هي مصلحة قومية. وأتمسك بطلب الوحدة السورية الشاملة لأن البلاد لا تعيش بدونها» وقال: «إن الكتلة الوطنية نفسها لو طلبت الانفصال لحاربناها».

عارض بشدة معاهدة ١٩٣٦ بين فرنسا ولبنان، وأضربت طرابلس احتجاجاً، فاعتقلته سلطات الانتداب مجدداً مع مصطفى المقدم والدكتور عبد اللطيف البيسار.

في ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٦ رفض الاشتراك في المؤتمر الإسلامي، لأن المؤتمر بدأ يتراجع عن المطلب الرئيسي أي الوحدة مع سوريا.

بقي حتى اللحظة الأخيرة يطالب بالوحدة السورية على الرغم من طيّ هذه الصفحة من قبل الكتلة الوطنية في سوريا التي طلبت منه عدم الإصرار على هذا المطلب كي لا تتعرقل المحادثات الفرنسية السورية.

أعلن في ٢٩ أيار ١٩٣٦ يوم فلسطين وبدأ بجمع التبرعات، ولاحق التجار المتعاملين مع الصهيونيين، وكانت له اتصالات مع مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني.

اعتراف بدولة لبنان

في العام ١٩٣٧ رفض الترشح للانتخابات، وحاول إقناع عمر بيهم ورياض الصلح بعدم الترشح حتى لا يعتبر هذا الترشيح اعترافاً من العروبيين بدولة لبنان.

في العام ١٩٤٠ التقى الجنرال ديغول في حديقة منشية طرابلس بناء لطلب ديغول، وقدم له مطالب طرابلس.

في العام ١٩٤٣ انتخب نائباً عن طرابلس، ودخل الندوة النيابية، وكان هذا اعترافاً منه بلبنان الكبير.

اعتقال للمرة الرابعة

في ليل ١٠/١١/١٩٤٣ اعتقلته السلطات الفرنسية مع رئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الحكومة رياض الصلح وسيقوا إلى قلعة راشيا. وفي ٢٢ تشرين الثاني أفرج عنه واستقبلته طرابلس استقبالاً منقطع النظير. وكان هذا الاعتقال هو الرابع، فقد اعتقل أول مرة عام ١٩٢٠ (إبان ثورة الشيخ صالح العلي في تل كلخ) والمرة الثانية عام ١٩٢٦ (يوم وقف ضد سلخ لواء الاسكندرون عن سوريا) والمرة الثالثة عام ١٩٣٦ إثر إضراب مدينة طرابلس الذي استمر ٤٠ يوماً.

أسس حزب الاستقلال، وساعده في ذلك هنري فرعون.

رئيس حكومة لبنان

في ٩ كانون الثاني ١٩٤٥ كلفه الرئيس بشارة الخوري تأليف الحكومة. وكانت حكومة المفاوضات من أجل الجلاء عن لبنان. قدم خلالها استقالته أربع مرات، وكان آخرها عندما نالت الحكومة الثقة. وكان سبب استقالته أنه لم يستسغ الحكم بالطريقة التي كانت تتم فيها الأمور. وكان يعتبر أن الدولة لم تبن كدولة. وكان أول من أطلق عليها صفة «المزرعة» بعدما لمس انحرافاً عند بعض الحاكمين وانتشار المحسوبية لمصلحة أقارب هؤلاء وأنصارهم.

كان على خلاف دائم مع رئيس الجمهورية، لأنه كان دائم التدخل في صلاحيات رئيس الوزراء. ففضل الخروج من الحكم، وأعلنها صراحة عندما قدم الاستقالة قائلاً: «نظراً إلى التضارب في الصلاحيات أعلن استقالتي».

في صفوف المعارضة

خرج عبد الحميد من الحكم وألف كتلة التحرر الوطني، وكانت تضمّ: كميل شمعون وعمر

بيهم وهنري فرعون إضافة إلى سياسيين من طرابلس وبيروت والبقاع. فانتقل عبر هذه الكتلة إلى صفوف المعارضة حتى وفاته في العام ١٩٥٠. وفي أثناء جنازته رثاه الرئيس بشارة الخوري بالقول: «توليت رئاسة الوزارة ولم يكن لك من سياسة فيها سوى ما انتهجته أنت لنفسك، وما انتهجه رفقاؤك لانفسهم، وهو توطيد دعائم السيادة والاستقلال وتعزيز الميثاق الوطني، وتوقيع ميثاق الجامعة العربية، والانضمام إلى منظمة الأمم المتحدة. ودار الزمان دورة قصيرة، فعدت إلى الندوة راضياً بعد أن تخليت عن الحكم مختاراً ثم رأست المعارضة، ومع ذلك فلم تلجأ يوماً إلى الموقف السلبي، وكم صرّحت وجاهرت أن ميثاقاً وطنياً خطته يدك ووقعته بيمينك، واخذته لنفسك عن رضى، لا ولن ترضى أن يتغير منه حرف أو يتبدّل معنى من معانيه. فاحترمت الحكومة معارضتك كما احترم الشعب حكمك والحكم والمعارضة يتمّمان أحدهما الآخر عندما تحسن المقاصد وتستقيم النيات وتتحد القلوب عند مصلحة الوطن العليا».

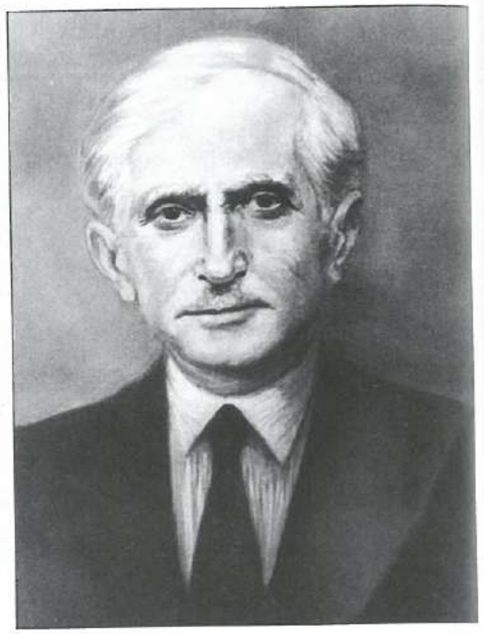
تسلم بعده الرشيد مقاليد الزعامة، فلم يحد يوماً عن الثوابت التي رسخها والده، وأكدها في خطبه ومواقفه السياسية المعلنة وغير المعلنة.

رشيد كرامي

ولد رشيد في «مرياطة» ـ طرابلس في ٣٠ كانون الأول ١٩٢١. درس على والده، وفي مدرسة «الفرير»، ثمّ تابع دراسته في كلية التربية والتعليم الإسلامية في طرابلس. وتابع دراسته الجامعية في كلية الحقوق في جامعة القاهرة، وتخرّج فيها عام ١٩٤٧. يجيد الفرنسية والإنكليزية. ويحمل «دكتوراه» فخرية من جامعة «حيدر آباد» ـ الهند.

هو محام بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥١. ونائب طرابلس لأول مرة عام ١٩٥١، وأعيد انتخابه في الدورات التالية: ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢. ووزير العدل في حكومة عبد الله اليافي (من ٧ حزيران ١٩٥١ حتى ١١ شباط ١٩٥٢). ووزير الاقتصاد والشؤون الاجتماعية في حكومة عبد الله اليافي (من ١٦ آب ١٩٥٣ حتى أول آذار ١٩٥٤). واحتفظ بوزارته بعد تعديل الحكومة (من أول آذار ١٩٥٤ حتى ١٦ أيلول ١٩٥٤)، ثم وزير الاقتصاد والشؤون الاجتماعية في حكومة سامي الصلح (من ٩ تموز ١٩٥٥ حتى ١٩ أيلول ١٩٥٥).

شكّل حكومته الأولى في عهد الرئيس كميل شمعون (من ١٩ أيلول ١٩٥٥ حتى ١٩ آذار ١٩٥٦) محتفظاً بوزارتي الداخلية والتصميم. وشكّل حكومته الثانية في عهد فؤاد شهاب (من ٢٤ أيلول ١٩٥٨ حتى ١٤ تشرين الأول ١٩٥٨) واحتفظ بوزارتي الداخلية والدفاع. وشكّل حكومته الثالثة في عهد فؤاد شهاب في ١٤ تشرين الأول ١٩٥٨ واحتفظ بوزارات المالية والاقتصاد والدفاع والإعلام وفي السابع من تشرين الأول عام ١٩٥٩ عدّل حكومته محتفظاً بالمالية والدفاع. واستمرّت هذه الحكومة حتى ١٤ أيار ١٩٦٠. وشكّل حكومته الخامسة في ٢٥ تموز ١٩٦٥ حتى ٩/٤/١٩٦٦، محتفظاً بوزارة المالية. وشكّل حكومته السادسة في ٦ كانون الأول ١٩٦٦ حتى ٨ شباط ١٩٦٨، محتفظاً بوزارة المالية.


عبد الحميد كرامي

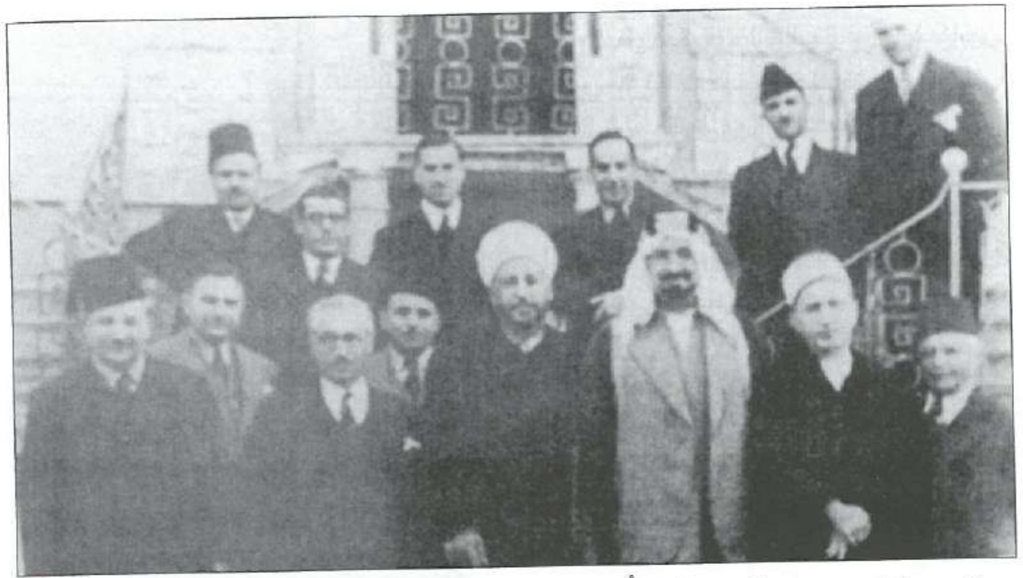
وشكّل حكومته السابعة في ١٥ كانون الثاني ١٩٦٩ حتى ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٩، محتفظاً بوزارة المالية، واستقال مع وزرائه في ٢٤ نيسان ١٩٦٩ بسبب الأحداث الداخلية التي جرت في ٢٣ نيسان تأييداً للمقاومة الفلسطينية، وبقيت الأزمة الوزارية ستة أشهر حيث انتهت بتوقيع اتفاقية القاهرة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية.

شكّل حكومته الثامنة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٩ حتى ١٣/١٠/١٩٧٠ واحتفظ بوزارة المالية. وشكّل حكومته التاسعة في أول تموز ١٩٧٥ في أثر الأحداث التي اندلعت في صيدا وبيروت في ربيع ١٩٧٥ وبعد استقالة حكومة رشيد الصلح وتشكيل حكومة عسكرية برئاسة نور الدين الرفاعي (أيار ١٩٧٥) الذي اضطرته المعارضة الوطنية والإسلامية إلى تقديم استقالة حكومته بعد التأليف مباشرة. واحتفظ كرامي في هذه الحكومة بوزارات الدفاع والمالية والإعلام. وفي ١٥ أيلول ١٩٧٦ عدّل حكومته محتفظاً بوزارات الزراعة والسياحة والإسكان والتعاونيات، واستمرّت الحكومة حتى التاسع من كانون الأول ١٩٧٦. في أثناء حكومته التاسعة اعتكف في السراي لمدة أسبوع، ومن ثمّ في منزله لفترة طويلة. ورفض زج الجيش في الصراع الدائر على الساحة اللبنانية، وخلال اعتكافه رافق الرئيس المنتخب (الياس سركيس) إلى مؤتمر القاهرة سنة ١٩٧٦.

شكّل حكومته العاشرة في ٣٠ نيسان ١٩٨٤ بعد مؤتمر الحوار الوطني في لوزان (١٢/٣/١٩٨٤) واحتفظ بوزارة الخارجية، نالت الحكومة الثقة في ١٢/٦/١٩٨٤. وخلال حكومته العاشرة قاطع جلسات مجلس الوزراء في ١٠ نيسان ١٩٨٥، احتجاجاً على أحداث صيدا، وفي ١٧ من الشهر نفسه قدّم استقالته احتجاجاً على أحداث بيروت الغربية، ثمّ عاد لاحقاً عن المقاطعة والاستقالة.

عملاق في حجم جمهورية

قيل الكثير في المنطلقات والتطلعات والأهداف التي عمل من أجلها رشيد كرامي طيلة فترة حكمه، ولكن أوفى ما قيل ما كتبه الصحافي وليد عوض في مجلة «الأفكار» في حزيران ١٩٨٧، تحت عنوان «عملاق في حجم جمهورية». وهي تختصر فلسفته في الحكم جاء فيها: «كان عروبياً،



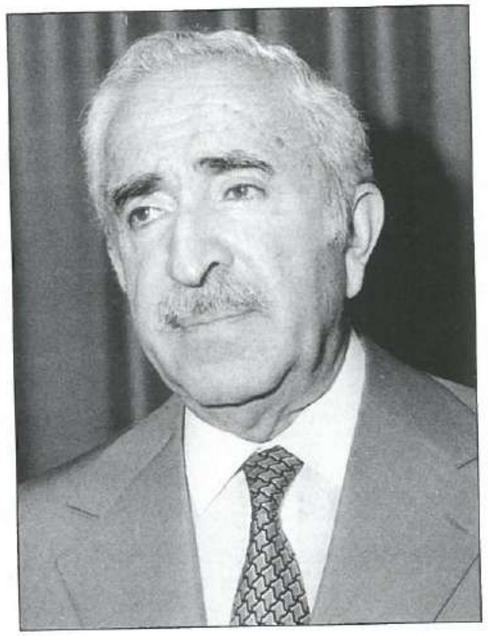
عبد الحميد كرامي مع مفتي القدس الحاج أمين الحسيني ورياض الصلح

ولم ينتسب يوماً إلى أي من الأحزاب والتنظيمات القومية. كانت توجهاته إصلاحية ولم يكن اشتراكياً أو شيوعياً. حاول أن يُطلق تجربة حزبية باسم «حزب التحرر العربي»، غير أن التجربة لم تلق حظاً من النجاح، ولكن استمرت شعبيته في النمو والاتساع دون أن تتأطر في حزب أو تنظيم. ورغم ذلك كان أقوى من الأحزاب والميليشيات بحضوره السياسي وتأثيره في مجرى السياسة اللبنانية. وشعبيته الشمالية خاصة الملتفة حوله بتحلق يزداد كثافة وتجمهراً مع مرور الزمن وتوالي السنين. ولدى تقييمه لتجربة تأسيس «حزب التحرر العربي» كان يقول: سيحتاج الأمر إلى وقت فنحن في هذا الشرق، ما زال الأشخاص هم محور العمل السياسي، وتجربة حزب البعث في سوريا تكاد تكون نموذجاً فريداً في هذا الباب».

لقد بقي كرامي أوسع ظلاً من مشروع الحزب في طرابلس، واسم الأفندي ظل طاغياً على اسم «حزب التحرر العربي». فكيف تمكن كرامي من المحافظة على مؤيديه وجماهيره ليبقى زعيماً سياسياً لبنانياً طيلة ستة وثلاثين عاماً؟

إن الذي مكن كرامي من ذلك هو أن سياسته استمدت فلسفتها من صميم الشعب ومن شعوره الحقيقي. وقامت زعامته على الصلة المباشرة بينه وبين أحاسيس الشعب ومشاعره وعلى معرفة بديهية بمطالب الشعب وقضاياه وطبائعه. هنا يكمن سر زعامة الرئيس كرامي، ومن هنا بالذات خرجت منطلقات نهجه السياسي متوارثاً الأسس والثوابت والجذور عن والده، مطوراً خطه السياسي في الممارسة والتطبيق بما يتواكب مع تطورات الأحداث ومستجداتها، فتمكن رشيد كرامي من أن يكون امتداداً سياسياً أصيلاً لوالده، وأن يبني في الوقت ذاته زعامته السياسية المميزة مستقطباً من حوله التأييد الشعبي الكبير في طرابلس وخارجها ليس فقط لأنه ابن عبد

الحميد كرامي، بل استناداً إلى نهجه السياسي الخاص الذي كان من المبادىء والمواقف القومية والوطنية المستندة إلى فلسفة السياسة الشعبية، ما مكن رشيد كرامي من اعتلاء عرش الزعامة السياسية كسياسي ورجل دولة طيلة ست وثلاثين سنة من سنوات عمره الست والستين.



رشيد كرامي

الفلسفة السياسية

هذه الفلسفة السياسية التي انتهجها من دون أن ينظر لها تحوّلت إلى ممارسة يومية مع الناس يجالسهم ويساهرهم في منزله في بقاعصفرين أو مرياطة، وحينما يبدأ بالحديث يناقش كل شخص منهم بما قال. وكلما دخل عليه شخص يناديه باسمه، ويذكر له اسم أبيه وأحياناً اسم والدته العجوز، وأحياناً يسأله عن أولاده، وأين يدرسون وفي أي مدرسة. وكان أكثر من ذلك يسأله أحياناً عن ماشيته وعن البقرة الحلوب التي كانت عنده. فكان القرويون إذا زاروه يدهشون ويرتبطون به برباط شخصي لانهم يشعرون من خلال هذا التذكر الدقيق أنهم موضع اهتمامه ورعايته.

ويروي عنه الشيخ طه الصابونجي، وكان صديقاً ملازماً له قال: «لم أشهد سياسياً في لبنان أو في غير لبنان يفتح مجلسه وبيته على هذه الصورة، أحياناً يكون نائماً ومنزله يغص بالرواد، كان يدخل الصديق والخصم، كان يدخل الحاقد والغاضب، وقد يكون من ينوي شرّاً، ومع ذلك بيته مفتوح في مصيفه بقاعصفرين. كنا نسهر كل ليلة. ومن الغرائب أنه كان يحب أن يسهر في الظلمة، يطفئ الأنوار، وكانت الليالي المقمرة ترسل بعض الأشعة إلى المجلس. وكانت الأبواب مفتوحة وكان يدخل الناس لا ندري من الداخل، هل هو صديق؟ هل هو متربص شرّاً؟ لا أدري، وكان يجلس في المجلس، ويخرج من المجلس دون أن نعلم من هو هذا الشخص، وكان أحياناً إذا تحدث هذا الشخص، فقط الرئيس كرامي يعرفه من صوته فيخاطبه باسمه، وأحياناً كثيرة كان أشخاص يدخلون وينسحبون دون أن يعرف بهم أحد إلا إذا تكلموا فيعرفون من أصواتهم».

هذه الطريقة في التعاطي مع الناس جعلته قائداً شعبياً، ثم نائباً لأكثر من مرة ووزيراً لأربع مرات، ورئيساً لحكومة لبنان عشر مرات. وظل في كل المناصب التي تولاها مواطناً لبنانياً عادياً يشعر بحنين إلى طرابلس، فبمجرد أن يؤدي صلاة الجمعة في بيروت، يصبح كالطفل المشدود إلى والديه، أو إلى رفاقه، لا يستطيع أن يمكث ساعة واحدة دون أن يعود إليها، فلا ينشرح صدره إلا حين يتنشق رائحة زهر الليمون من بساتينها.



قصر آل كرامي في كرم القلة ـ طرابلس

كانت عينه على طرابلس، على الكادحين من أبنائها، صغار الموظفين وأصحاب الدخل المحدود، وعلى صيادي الأسماك، وعمال صناعة الأحذية، وعلى المعلمين في المدارس الرسمية والخاصة. كانت مطالبهم وأوضاعهم في رأس قائمة اهتماماته السياسية.

وكانت عينه على بيروت أيضاً، وصيدا وصور وجبيل وجميع المدن اللبنانية منذ أن دخل الندوة النيابية وصار ممثلاً لكل الشعب اللبناني.

الخط العربي

منذ بيانه الوزاري الأول (أيلول ١٩٥٥) وضع رشيد كرامي الخطوط الرئيسية الثابتة في سياسته كرئيس للوزراء. من أبرزها ولا شك خطه العربي الساعي إلى توثيق علاقات لبنان بالدول العربية، ولاسيما سوريا التي تتجاوز العلاقات معها مجرد صلات بين بلدين سيدين مستقلين وحسب، إلى علاقات خاصة بين بلدين لهما تاريخ مشترك ومصير مشترك. وعبر متابعة السياسة الخارجية لكل الحكومات التي شكلها يمكننا القول إنه رئيس الحكومات العربية في لبنان ـ إذا جاز التعبير ـ أي الحكومات التي تحرص على توطيد علاقات لبنان مع العرب ومع سوريا بشكل خاص. لقد وضع رشيد كرامي مسألة علاقات لبنان العربية كمقياس ومعيار لموقفه من العهود وسياسته على رأس الحكومات. لم يكن يوماً رئيساً لحكومة تقبل على نفسها أن تنتهج سياسة معادية أو حتى متناقضة مع الخط العربي العام، ولاسيما فيما يتعلق بحق العرب السليب

وكرامتهم الجريحة والوقوف في وجه عدوهم المشترك إسرائيل. فالعهد الذي كان ينوي انتهاج سياسة عربية صافية كان يتجه تلقائياً نحو رشيد كرامي ليكلفه برئاسة الحكومة. هكذا كانت الحال مع الرئيس شمعون في العام ١٩٥٥ ومع الرئيس فؤاد شهاب في العام ١٩٥٨ ومع الرئيس شارل حلو ومع الرئيس أمين الجميل عندما ألغى اتفاق ١٧ أيار واتجه نحو التعاون والتفاهم مع سوريا بصورة خاصة والدول العربية الأخرى على وجه عام.

والتزم الرئيس كرامي على الصعيد الدولي خط السياسة الخارجية المتوافقة مع مصالح لبنان وشقيقاته الدول العربية، خط اللانحياز والحياد الإيجابي، خط العلاقات التي لا بد لها أن تقوم على ودّ وصداقة واحترام ومنفعة متبادلة ضمن ميثاق هيئة الأمم المتحدة. وعارض الانضمام إلى الكتل والأحلاف غربية أكانت أم شرقية. ولعله في هذا الموقف بالذات تفجر الخلاف بينه وبين الرئيس شمعون فكانت أحداث ١٩٥٨ التي انتهت بخروج القوات الأميركية من لبنان وعودة اللبنانيين إلى التمسك بأهداب ميثاقهم الوطني الذي ارتضوه لنفسهم في العام ١٩٤٣، والى صفاء علاقاتهم العربية بحيث يأتي موقف لبنان من كل دولة خارجية ملائماً لموقف الدول العربية على حد تعبير الرئيس كرامي في بيانه الوزاري الأول.

أما على الصعيد الداخلي فقد امتازت الحكومات التي رأسها بتوجهات ثابتة أيضاً هدفت إلى تدعيم وتعزيز أواصر اللحمة الوطنية بين اللبنانيين على أساس الحكم الصحيح الذي لا يقوم إلا على العدل والمساواة. ووضع نصب عينيه مهمات داخلية إنمائية متعددة طالت مختلف الحقول الاجتماعية والاقتصادية والسياحية والتربوية والزراعية والتعليمية والصحية، فكان ممن تحملوا العبء الأكبر والمساهمة الأعظم في تاريخ استقلال لبنان من أجل تركيز أسس الدولة الحديثة والمجتمع المتطور بغية تحقيق أمن الإنسان وسعادته ورفاهيته في لبنان.

سياسة ثابتة

هذه هي المحاور الأساسية لسياسة رشيد كرامي رئيساً لحكومات لبنان العشر، لم يتخل يوماً عن هذه المبادىء بغية الوصول إلى كرسي الرئاسة، بل على العكس تماماً كان يغادر تلك الكرسي إن لم يكن اعتلاؤه لها من أجل تحقيق تلك الأهداف والمبادئ. وهو عندما يقبل بترؤس الحكومات فمن أجل تحقيق سياسته هذه. وكذلك الأمر عندما يستقيل من رئاسة الحكومة، وينتقل إلى صفوف المعارضة. فأياً يكن موقعه السياسي نائباً في البرلمان أم وزيراً أم رئيساً للوزراء أم قائداً للمعارضة، فسياسته ثابتة لا تتغير وإن حكم فبخط هذه السياسة، وإن عارض فعلى الخط ذاته أيضاً. وهذه ميزة من أبرز الميزات السياسية التي التصقت بشخص الرئيس رشيد كرامي حتى بات مدرسة في الثبات السياسي وصلابة المواقف ووضوح الأهداف. ولذلك كان دائماً رئيساً لحكومات الإنقاذ الوطني والوحدة الوطنية في العام ١٩٥٨ إثر الأحداث وفي العام ١٩٦٩ إثر أزمة العلاقات اللبنانية الفلسطينية. وفي العام ١٩٧٥ اثر اندلاع الحرب الأهلية، وفي العام ١٩٨٤ بعد إلغاء اتفاق ١٧ أيار.

والسؤال لماذا لم ينفرد رشيد كرامي وهو على رأس حكومات الإنقاذ والعمل الوطني بفرض سياسة معينة لحكوماته، جوابه أنه أرادها دائماً أن تعكس الموقف المشترك لمعظم اللبنانيين إن لم يكن كلهم. وإذا ما تعذر ذلك تراه يستقيل ويبقي لبنان بلا حكومة أو حكومة تصريف أعمال إلى أن يتم التوصل إلى الموقف القاسم المشترك، ويعود من جديد إلى موقع رئاسة الحكومة، وغالباً كمرشح إجماع ونقطة التقاء بين المتناقضات في لبنان دائماً على قاعدة خط امتداده الإقليمي والعروبي الذي ما استقامت هدنة أو تسوية في لبنان إلا عبره وبموازاته. فكانت تلك سمة مهمة من سمات الرشيد السياسية جعلت منه دائماً رئيساً لحكومات الخط العربي في لبنان.

وعندما استشهد بحادث الطوافة التي فجرّت في الجو عام ١٩٨٧ حمل الراية من بعده شقيقه عمر عبد الحميد كرامي. وبذلك يكون ترتيبه الجذع الثالث في الشجرة السياسية الكرامية وقد تولى عمر منصب رئيس الوزارة في لبنان لمرتين.

عمر كرامي

ولد في طرابلس في أول أيار ١٩٣٥. تزوج مريم مصباح قبطان في ١٩٦٤/٩/١٢ ولهما أربعة أولاد : خالد (مواليد ١٩٦٨ تزوج ديانا مصطفى درنيقة في ١٩٩٥/٩/٣٠)، وفيصل، ويمن (متأهلة من عبد الله كرامي) وزينة (متأهلة من سعد الغندور). تلقى دروسه الابتدائية في كلية التربية الإسلامية في طرابلس ثم في الانترناشونال كولدج. وتلقى دروسه الجامعية في كلية الحقوق في القاهرة، ونال إجازة في الحقوق. تدرج في مهنة المحاماة في مكتب موريس وادمون نصر في بيروت، ثم انتقل إلى مكتبه الخاص في طرابلس. وأسس مكتباً للمقاولات.

كان أميناً عاماً لـ«حزب التحرر العربي» الذي أنشأه شقيقه رشيد كرامي سنة ١٩٥٠ في طرابلس. وساعد شقيقه رشيداً في بعض الشؤون السياسية ومنها الحملات الانتخابية، وكان في عداد فريقه إلى مؤتمر الحوار الوطني في لوزان في ١٢ آذار ١٩٨٤. وفي ٩ حزيران ١٩٨٧ بايعه أهالي طرابلس خلفاً لشقيقه رشيد بعد اغتياله.

واعتباراً من ١٩ حزيران ١٩٨٧ بدأ بترؤس اجتماعات هيئة التنسيق الشمالية. وفي ٢١ حزيران ١٩٨٧ زار دمشق يرافقه شقيقه معن ووفد من طرابلس، حيث اجتمعوا إلى الرئيس حافظ الأسد. وعين وزيراً للتربية في حكومة «الوفاق الوطني» التي شكلها الرئيس سليم الحص في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٩. وهي المرة الأولى التي يتولى فيها منصباً وزارياً.

شكل حكومته الاولى في ١٩٩٠/١٢/٢٤ التي ضمت ثلاثين وزيراً بينهم تسعة وزراء دولة من دون حقائب وثلاثة وزراء لحقائب وزارية مستحدثة وقديمة. وعين نائباً في ١٩٩١/٦/٧ عن المقعد الشاغر بوفاة الرئيس رشيد كرامي عن مدينة طرابلس.

أدى فريضة الحج في حزيران ١٩٩١. وبين ٢٠ و ٢٨ أيلول ١٩٩١ قام بزيارة إلى نيويورك مع الرئيسين الياس الهراوي وحسين الحسيني، بمناسبة انعقاد الدورة العادية للجمعية العامة

للأمم المتحدة، وقد اجتمع الرؤساء الثلاثة إلى الرئيس الأميركي جورج بوش. قدم استقالة حكومته في ١٩٩٢/٥/٧ بعد حركة اضرابات واجتماعات شعبية بدأت في ١٩٩٢/٥/٥ وانتشرت لتعم المناطق يوم ١٩٩٢/٥/٦.

انتخب نائباً عن محافظة الشمال - قضاء طرابلس، في دورة ١٩٩٢ ونال ٧٢٣٥٨ صوتاً. وأعيد انتخابه في دورة ١٩٩٦، ونال ٦٩١٨٦ صوتاً. أما في دورة ٢٠٠٠ فقد فاز ونال ٥٤٣١٠ أصوات.

كلف بتأليف الحكومة في ٢٠٠٤/١٠/٢١ لتحل محل حكومة الرئيس رفيق الحريري التي استقالت في ٢٠٠٤/١٠/٢٠. وقد تمكن من تأليف حكومته في ٢٠٠٤/١٠/٢٦ لكنها نالت ثقة ضعيفة في مجلس النواب (٥٩ صوتاً). وهو يرأس حالياً جبهة «اللقاء الوطني» المعارضة.

أحمد كرامي

ولد في طرابلس - منطقة النوري في ١٩٤٤/٨/٢٨. والده مصطفى كرامي مؤسس «حزب الشباب الوطني» سنة ١٩٣٣. تزوج زينة النبهاني عام ١٩٧٢. وأولاده : ثريا، عليا، نور، مصطفى (توفي). أنهى دراسته الثانوية في مدرسة برمانا العالية. وهو حائز على الإجازة في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة بيروت العربية (١٩٧٠).

هو مدير مرفأ طرابلس (١٩٧٣ - ١٩٩١). ورئيس «حزب الشباب الوطني». أسس «لجان العمل الشعبي» في طرابلس عام ١٩٩٢. وخاض الانتخابات النيابية عن محافظة الشمال - طرابلس عام ١٩٩٢ على لائحة «الثقة والتغيير»، ولم يحالفه الحظ. وفاز في الانتخابات النيابية - محافظة الشمال عام ١٩٩٦ ونال ٨١٤٨٩ صوتاً. كما فاز من لائحته : عمر مسقاوي وموريس فاضل. ترشح في دورة العام ٢٠٠٠ ولم يحالفه الحظ، ونال ٤٧٦٤٤ صوتاً.

المراجع

١ - أحمد أبو سعد، **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تواريخ العائلات**، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٩٧.

٢ - محمد نور الدين ميقاتي، **طرابلس في النصف الأول من القرن العشرين ميلادي**، ١٩٧٨.

٣ - سميح وجيه الزين، **تاريخ طرابلس: منذ أقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر**، ١٩٦٩.

٤ - الطرابلسيات (مجموعة أعداد ممتازة من جريدة «**الإنشاء**» لصاحبها: غسان الأدهمي صدرت عام ١٩٨٠.

٥ - ماجدة صبرا، مجلة «**الشراع**» (بيروت): ٢٠٠٤/١١/١.

٦ - الدكتور رزق رزق: **رشيد كرامي السياسي ورجل الدولة**.

٧ - جريدة «**السفير**» - المركز العربي للمعلومات - قسم الشخصيات.

آل السعد

إذا أردنا القيام بجولة سياحية في قضاء الشوف بهدف التعرّف على معالمه وأماكنه الأثرية، وسلكنا طريق عاليه، بخشتيه وكفرعميّه، نصل مباشرة، وبدون دليل إلى عين تراز؛ قرية صغيرة في الجبل هواؤها عليل وماؤها سلسبيل، وصيدها وفير، ما قصدها زائر مرة إلا وعاد إليها مرات للتمتع أكثر فأكثر بمناظرها الطبيعية، بمرتفعاتها ووهادها وبغابات السنديان والملول والبطم المحيطة بها. في هذه القرية الصغيرة ربض قصران تراثيان وسنديانة عتيقة يزيد عمرها على ٤٠٠ سنة، ومنازل لا يتجاوز عددها الثلاثين منزلاً.

هذه القرية امتلكها آل السعد في عهد جدّهم الشيخ غندور الثاني، قنصل فرنسا، بعد انتقالهم من بلدة رشميا، وسكنوا قصراً شيّده الشيخ، تحوّل في ما بعد إلى مركز بطريركي لطائفة الروم الكاثوليك، ولهذا التحوّل قصة طريفة رواها المؤرخ لحد خاطر جاء فيها: «بعد أن عرفت الست أم حبيب أن مصرع زوجها مع الأمير يوسف في عكا لم يحصل إلا بسعي الأمير بشير ودسائسه أصبحت تكرهه وتنفر حتى من سماع اسمه، ولكنها لمعرفتها انه منتقم بطاش، وخوفها من أن يطالها وولديها وممتلكاتها بشيء من نقمته عضت على جرحها، وحرصت أن تخفي ما يعتلج في صدرها من كره نحوه، مقتصرة الدعاء إلى اللـه بأن ينتقم لها ممن كان السبب في موت زوجها البريء وهو في مطلع شبابه (ابن ٣٣ سنة).

وإذ كان الامير بشير منذ كان موظفاً في قصر الأمير يوسف قد اعتاد رفقته إلى الصيد في المرتفعات المحيطة بعين تراز والنزول أياماً معه في قصر آل السعد، ولم يكن بعد قد بنى قصره في بيت الدين، طلب أن يُخلى له قصر عين تراز ليصرف فيه خلال أشهر الصيف أوقات فراغه ويقوم بنزهات صيد في جواره، فاضطرت الست أم حبيب إلى الإذعان لأمره، وإذ تكرّر طلبه في الصيف التالي ثارت شجون الست لرؤيتها الساعي بقتل زوجها ينعم في بيته لاهياً مسروراً وهي تتعذب في داخلها، ولا تعرف ما تفعل لتنجو مما يُشجيها، وكان للست مرشد روحي هو الأب مخايل أبو عراج من مشغرة رئيس دير مار الياس رشميا للروم الكاثوليك، يأتي كل مرة إلى بيتها لقضاء الواجبات الروحية لها ولأسرتها، فأسرّت إليه ما في نفسها، وسألته عما يحسن عمله للحؤول دون مشاهدة الأمير في دارها، فأشار عليها بأن تتخلى عن هذه الدار لبطريرك طائفته أغابيوس

مطر الذي كان على أطيب العلاقات مع الجانبين الأمير وآل السعد، فإذا باعتها منه وسكنها مع حاشيته البطريركية كفّ الأمير عن الإتيان إليها، فأعجبها الرأي، ووافقت عليه وبمساعي الأب أبو عراج بيعت الدار من البطريركية بثمن صوري قدره ألفا غرش، الف معجل وألف مؤجل. وكان بعد ذلك أن امتنع الامير عن الاصطياف في عين تراز، وهدأت شجون الست أم حبيب بتخلصها من مشاهدته في عقر دارها».

هكذا وضعت طائفة الروم الكاثوليك يدها على القصر ولا تزال. وقد علق أحد الخبثاء على الصفقة بالقول: «قصر ماروني بني على أرض مارونية ورصفت مداميكه سواعد مارونية، أصبح بين ليلة وضحاها ملكاً لطائفة استولت عليه بمبلغ «صوري» على ما جاء في الرواية، فمن يصدّق؟

أما القصر الثاني الذي شُيّد على مقربة منه، والذي جاء مثالاً للهندسة المعمارية اللبنانية فقد بدأ بتشييده الشيخ حبيب وأمه، وأتمّه نجلهما غندور بك الثالث (أبو فؤاد) وقد أدخل عليه راجي بك وأمين بك عدة إصلاحات وترميمات زادت من رونقه وجماله، من دون أي مساس بطابعه التراثي. ومما زاد في رونق القصر السنديانة الجبارة التي تشمخ وسط فسحة واسعة إلى الجبهة الجنوبية منه، والتي لا مثيل لها في لبنان بامتداد أغصانها ونضارة ورقها ووارف ظلها وبلوغ ما يفيء بها نحواً من ألف متر مربع. وهي من الأشجار المشهورة في لبنان يتحدث عنها القاصي والداني ويقصدها المتنزهون، ويزورها الرواد والسياح. وقد دوّنت دائرة المباني الأثرية هذا القصر من بين الابنية التراثية ذات القيمة التاريخية ويجب المحافظة عليها.

هذا القصر الذي تعاقب على السكن فيه عدد من رجال السياسة والحكم والإدارة من آل السعد، واستظلت سنديانته العتيقة جماهير غفيرة من كل لبنان، هذا القصر يعاني اليوم من إهمال متعمد بسبب الخلافات التي ظهرت بين ورثته من أشقاء وأولاد عم للسيطرة عليه. والسؤال المطروح: لمن تكون الغلبة؟ للنائب المحامي فؤاد السعد، وهو آخر العنقود في سلسلة الزعامة في أسرة الشيخ سعد الخوري صالح المارونية الشوفية المعروفة إطلاقاً باسم السعد منذ نبوغ شخصيتها الكبرى، الشيخ سعد، مدّبر الامير يوسف، والمشرف بنظره البعيد النفاذ على مراحل التاريخ اللبناني، ديناً ودنيا، سحابة نصف قرن، أم تكون الغلبة لغيره؟

الجذور الأولى

من هم آل السعد؟ من أين جاءوا؟ من هو جدهم الأعلى؟ وأين استقروا؟

«إن أصل عائلة الخوري والسعد على ما يقول الخوري اسطفان البشعلاني من قرية بشعلي الواقعة في أعالي بلاد البترون، ينسبون إلى جدّهم مبارك الذي ارتحل من بشعلي إلى بلاد كسروان، وسكن هو وسلالته في غوسطا وبطحا المتجاورتين، ومنهما تفرق أشخاص من ذريته في قرى كسروان والمتن والشوف.. وكان أن ارتحل منهم إلى رشميا سنة ١٥٨٢ الخوري بشارة فكان الجد الاول لآل الخوري والسعد. وقد أجمع على هذا القول كل من: البطريرك بولس مسعد،

وهو من كبار النسّابة المعروفين في تنقلات الأسر اللبنانية، والخوري منصور الحتوني في كتابه **تاريخ المقاطعة الكسروانية** (ص ٧٢) والخوري ابراهم حرفوش في مقالته «الأديار القديمة في كسروان» (**المشرق**، عدد ٨، ص ٦٨ و٣٤٦) وعيسى اسكندر المعلوف (في كتابه **دواني القطوف**، ص ١٦٢) وأيد هذا القول أيضاً حبيب باشا السعد وأخوه نجيب نقلاً عن لسان والدهما غندور، فضلاً عن غير هؤلاء من الأسر البشعلانية».

الخوري بشارة هو ابن الشدياق سمعان ابن الخوري مبارك من بطحا المجاورة غوسطا بكسروان جاء إلى رشميا، وبنى فيها كنيسة على اسم القديس قرياقوس لخدمة الرعية. ومات عن ولد سيم كاهناً كوالده باسم الخوري عبد اللـه.

في معركة عين دارة

الخوري عبد اللـه خدم الكنيسة كوالده، ومات عن ولد اسمه يوسف صار كاهناً بمثل اسم أبيه، ورزق ولداً دعاه عبد اللـه. حضر في سنة ١٧١١ معركة عين دارة مع الأمير حيدر الشهابي بين القيسية واليمنية، وقاتل ببسالة فائقة، وقيل بأنه قبض على أميرين من اليمنية، فأقطعه الأمير حاكم البلاد رشميا وتوابعها وأعفاه من الأموال الأميرية وسائر التكاليف، ثم صار كاهناً باسم الخوري صالح، وهو الذي نسبته إليه الأسرة المعروفة، وتوفي عن سبعة ذكور هم: منصور، غندور، اليان، عبد اللـه، عبد الأحد، جوان، أنطون. توفي أربعة منهم بدون عقب وهم: اليان، عبد اللـه، عبد الأحد، أنطون. وسيم من هؤلاء عبد اللـه كاهناً باسمه فكان الثالث منهم بهذا الاسم، أما الثلاثة الباقون منصور وغندور وجوان فقد صاروا أصولاً لفروع ثلاثة تألفت منها الأسرة في ما بعد كما لا تزال حتى اليوم.

شجرة العائلة

فـــرع

- منصور بن الخوري صالح ولد له الخوري صالح واسطفان.
- الخوري صالح بن منصور ولد له ناصيف، خليل، الخوري أنطون، اليان، يوسف.
- اسطفان بن منصور ولد له منصور.
- ناصيف بن الخوري صالح ولد له شبل، أنطون.
- شبل بن ناصيف ولد له غنطوس، دعيبس.
- أنطون بن ناصيف ولد له فارس، طنوس.
- خليل بن الخوري صالح ولد له أمين.
- الخوري أنطون بن الخوري صالح ولد له لحود، الخوري بشارة، إبراهيم، جرجس، مرعب.

- لحود بن الخوري أنطون ولد له اسكندر.
- اسكندر بن لحود ولد له سعيد، رشيد، أمين (وأمين ولد اسكندر).
- الخوري بشارة بن الخوري أنطون ولد له سليم (الخوري لويس) خليل.
- خليل بن الخوري بشارة ولد له بشارة، فؤاد، نديم، سليم، سامي، قيصر.
- بشارة بن خليل ولد له خليل، ميشال.
- خليل بن بشارة ولد له بشارة، كريم.
- ميشال بن بشارة ولد له مالك.
- فؤاد بن خليل بن الخوري بشارة ولد له بيار، موريس.
- بيار بن فؤاد ولد له فؤاد، مروان.
- نديم بن خليل بن الخوري بشارة ولد له فريد.
- سامي بن خليل بن الخوري بشارة ولد له رفيق، منير.
- قيصر بن خليل بن الخوري بشارة ولد له نهاد، ناجي (نهاد ولد سليم).

فـــرع

- اليان بن الخوري صالح (الثاني) بن منصور ولد له داود.
- يوسف بن الخوري صالح (الثاني) بن منصور ولد له الخوري صالح (الثالث)، فرنسيس، أسعد.
- الخوري صالح الثالث ولد له شاكر.
- فرنسيس بن يوسف ولد له الخوري يوسف، نجيب، نسيب.
- نسيب بن فرنسيس ولد له ادوار، ادوار بن نسيب ولد له نسيب، سامي.
- أسعد بن يوسف بن الخوري صالح (الثاني) ولد له قيصر، فريد.

فـــرع

- غندور بن الخوري صالح (الأول) ولد له سعد، يوسف.
- سعد بن غندور ولد له فارس، غندور، صالح.
- غندور بن سعد ولد له راجي، حبيب.
- حبيب بن غندور بن سعد ولد له فارس، سعد، غندور.
- غندور بن حبيب بن غندور بن سعد ولد له سعد، فؤاد، حبيب، نجيب، مراد.
- فؤاد بن غندور بن حبيب بن غندور، بن سعد ولد له راجي، أمين، غندور.
- راجي بن فؤاد ولد له فؤاد، نجيب، حبيب.
- أمين بن فؤاد ولد له غندور.

- يوسف بن غندور بن الخوري صالح (الأول) ولد له يوحنا نهرا.
- يوحنا بن يوسف ولد له راشد، الخوري مرعب، ريشا.
- راشد بن يوحنا بن يوسف ولد له لطوف، بشير، عبد الله.
- بشير بن راشد ولد له رشيد، لطوف، مجيد، عباس.
- رشيد بن بشير بن راشد ولد له بشير، أمين.
- الخوري مرعب بن يوحنا بن يوسف بن غندور ولد له صعب، عبس، كنج، بطرس (الأب عمانوئيل) يعقوب.
- عبس بن الخوري مرعب ولد له يوسف.
- يوسف بن عبس ولد له إدمون، إدوار.
- صعب بن الخوري مرعب ولد له حبيب.
- حبيب بن صعب بن الخوري مرعب ولد له فيليب، إدوار، شارل.
- فيليب بن حبيب ولد له هنري، حبيب.
- إدوار بن حبيب ولد له إسكندر، نسيم.
- شارل بن حبيب ولد له فادي، سمير.

فــرع

جوان شقيق غندور ومنصور بن الخوري صالح الأول ولد له طانيوس

- طانيوس ولد له قيس.
- قيس ولد له خطار ظاهر، ظاهر، صالح.
- خطار بن قيس ولد له ملحم، سليم، سعيد.
- سليم بن خطار بن قيس ولد له كميل، ألبر.
- كميل بن سليم ولد له سليم، سليم ولد له بيار.
- ظاهر بن قيس بن طانيوس بن جوان ولد له قبلان، جوان لويس، أفندي، عبد الأحد.
- جوان بن ظاهر ولد له فيليب، ظاهر.
- لويس بن ظاهر ولد له سليم.
- أفندي بن ظاهر ولد له اميل، نديم، بديع، وديع.
- بديع بن أفندي ولد له اميل، روبير.

هذه الشجرة النسبية التي نشرناها هي لعائلة الخوري صالح مبارك، وضعها المؤرخ لحد خاطر في كتابه **آل السعد في تاريخ لبنان**. وهي تشمل عائلة الخوري في رشميا التي منها أول رئيس استقلالي الشيخ بشارة الخوري، وعائلة السعد وأبرز وجوهها:

الشيخ غندور الأول

هو الثاني من أبناء الخوري صالح السبعة. لم نعثر له على تاريخ مولده. توفي في العام ١٧٣٧ وقد دعوناه غندور الأول بسبب توالي خمسة من آل السعد بعده بهذا الاسم.

كان شخصية مارونية بارزة، استدعي لحضور المجمع اللبناني الذي عقد في دير اللويزة من أعمال كسروان في الثلاثين من أيلول والأول والثاني من تشرين الأول سنة ١٧٣٦ برئاسة البطريرك الماروني يوسف الخازن، وبإشراف السيد يوسف سمعان السمعاني القاصد البابوي. وقد سجل اسمه هكذا: غندور مبارك من مشايخ رشميا. تزوج فتاة من أقاربه من بطحا هي ابنة عبد الله ابن القس سليمان ابن الشدياق سمعان، وشقيقه المطران جبرائيل الثاني من آل مبارك ورزق منها ولدين: سعد ويوسف.

الشيخ سعد

هو ابن الشيخ غندور الأول السابق الذكر. ولد في رشميا سنة ١٧٢٢. وهو أول من ترك من أسرته لقب مبارك واتخذ الخوري لقباً له. عمه منصور نبغ من سلالته: الشيخ بشارة الخوري أول فقيه مسيحي في لبنان، وحفيده الشيخ بشارة رئيس الجمهورية اللبنانية عام ١٩٤٣.

تقرّب من الامير ملحم نجل الأمير حيدر (بطل معركة عين دارة) فعهد إليه في حلّ بعض المعضلات، كما عهد إليه في تدبير أسرته بعد موته، فأقامه وصياً على أولاده الأمراء يوسف وأحمد وقاسم، وسيد أحمد، وأفندي وحيدر طالباً إليه الحفاظ على تربيتهم والدفاع عن مصالحهم. وتمكن الشيخ سعد بالمساعي التي بذلها من حماية أنجال الأمير ملحم وإيصال أحدهم الأمير يوسف والياً على جبيل والبترون. وسجل إنتصارات كاسحة ضد الحماديين الرافضين لولاية الأمير يوسف في أميون ودير بعشتار، وفرض الامن والهدوء في البلاد. وفي العام ١٧٧٣ تولى الأمير يوسف حكومة لبنان، وانتقل إلى دير القمر مع مديره الشيخ سعد وسائر معاونيه، وأقام نائباً عنه في جبيل عمه أخا أبيه الأمير بشير حيدر المعروف بالسمين لضخامة جسمه. وقد كافأ الأمير يوسف مستشاره الشيخ سعد بمنحه قرية طرزا من أعمال جبة بشري، «وتابعها مزرعة بيت منذر، ومزرعة قحافا، ومزرعة الورق، ومزرعة تنبور بجميع ما فيهم من كلي وجزئي وعامر وداثر وماء وهواء. وحدودهم من أرض الحدث للنهر للشبر وإلى مغر الاحول، وهبناهم إلى عزيزنا الشيخ سعد وأولاد الشيخ غندور والشيخ صالح، وهبة لا ترد ولا أحد يتصطا عليهم، ومرفوع جميع الأكلاف الميرية لأن أوهبناهم إياهم من طيب خاطرنا، لا يصح لنا فيما بعد نعترضهم فيهم لا نحن ولا إخوتنا ولا من كائناً من كان. وصار التصرف التام كيف أشو (شاءوا) وأرادوا وعلى ذلك أعطيناهم قول الله ورأي الله لا تغيير ولا تبديل» (من الصك الذي ملك فيه الامير مستشاره الأول الشيخ سعداً قرية طرزا) ومنحه بساتين في مزرعة العرب والقنطاري والحمراء في بيروت.

وقف إلى جانب البطريرك يوسف اسطفان الذي اتهم بالانحياز للراهبة هندية، وطالب في

رسالة وجهها إلى البابا يلتمس فيها من صاحب القداسة إصدار أمره بإعادة البطريرك إلى كرسيه وسلطنه، واستجابت روما للطلب في رسالة وجهها البابا بيوس السادس إلى الشيخ سعد، أعلن فيها وقف هذا التشوش والاضطراب الذي عاشته الطائفة المارونية وبكركي. وفي شباط من العام ١٧٨٥ عاد البطريرك يوسف اسطفان إلى مقرّه البطريركي في دير مار يوسف الحصن بحضور القاصد الرسولي وجماهير غفيرة. وكان يوماً أغر في تاريخ لبنان.

توفي الشيخ سعد في العام ١٧٨٦ وصلي عليه باحتفال مهيب في كاتدرائية القديس يوحنا مرقس الأثرية في جبيل، وألحد فيها في مدفن خاص ما يزال باقياً، وقد رثاه المعلم الياس إدة مؤرخاً له في ختامها:

عليك من الرحمن أضعاف رحمة
ورضوانه ما ناح في الروض طائرُ
وما قال في الأخوان فيك مؤرخ
فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ

الشيخ غندور الثاني

هو ابن الشيخ سعد الخوري. ولد في رشميا سنة ١٧٥٧، فكان الثاني بهذا الاسم من أسرته. ربي في كنف والده، وبعد أن شب أخذ يتردد على ديوان الأمير يوسف ويعاونه في تصريف الشؤون العامة، فأحبه من في الديوان واتصل خبره بالأمير فدعاه إليه، ثم عينه معاوناً لوالده في مستشاريته إلى أن أحله في محله بعد وفاته. استعان به البطريرك يوسف اسطفان في مجمع وطا الجو، وكانت له اقتراحات أساسية في تطوير وتحسين قوانين الطائفة المارونية الأمر الذي حمل البطريرك على مكافأته بالطلب إلى ملك فرنسا ليكون قنصلاً لها في بيروت. وأصدر الملك بشأن ذلك براءة ملكية موقعة في ١٥ آب عن سنة ١٧٨٧ جاء فيها: «بناء على ذلك قد قلدنا وأمرنا، ونقلد ونأمر ونقيم بمرسومنا هذا الموقع بخط يدنا حضرة الشيخ غندور المشار إليه قنصلاً مشرفاً فرنسياً على مدينة بيروت، وإنه بواسطة هذه القنصلية يحصل ويملك ويباشر مدة أيام حياته مستمراً في ذلك الشرف والتقدم وتلك القدرة، والاختصاصات التي يتمتع بها ويتصرف بها القناصل الفرنسيون في مدن الشرق».

وكان الشيخ غندور أول من فكر واقترح تحويل دير عين ورقة إلى مدرسة، ولكن البطريرك أجاب الشيخ معتذراً عن تلبية اقتراحه، فكتب له الشيخ مرة ثانية قائلاً: «ترى ما الفائدة إذا راحو ثمان راهبات من عين ورقة إلى السماء، وكان اكليروس الطائفة الذي ينوف على ثلاثة آلاف لا يعرف قراءة الإنجيل». اقتنى أملاكاً واسعة في عين تراز، حتى كان يجعلها كلها ملك يده. وكان موقعها يستهويه فبنى فيها قصراً لسكناه وترك بلدته رشميا واهباً بعض أملاكه فيها لأقاربه، ونقل زوجته وولديه حبيب وراجي إلى القصر الجديد. سجنه الجزار مع الأمير يوسف ولم يلبث أن

قتلهما، بوشاية من الأمير بشير وبسعي منه. توفي في العام ١٧٩٠.

الشيخ حبيب

هو ابن الشيخ غندور المقدم ذكره. والدته حنة ابنة الشيخ موسى الدحداح والد سلوم وجد منصور الدحداح مدبري الأمير بشير. ولد في عين تراز عام ١٧٨٥ وتوفي عام ١٨٣٠. كان بعمر خمس سنوات عند مقتل والده في عكا عام ١٧٩٠. كان له أخ أكبر منه اسمه راجي، وأختان هما قوتة وراجينا ذكرهما الشيخ غندور في وصيته الأخيرة بتعيينه لكل منهما جهازاً عند زواجها قدره ثلاثة آلاف قرش. مات راجي يافعاً وهو في عكا، وكان والده قد أنفذه إليها نزولاً عند طلب الجزار ليكون لديه رهناً على مال كان له على الأمير يوسف. تزوجت راجينا بالشيخ خليل بن الخوري صالح من رشميا. وهذا الخوري هو الذي عينه الشيخ غندور أحد الأوصياء الثلاثة على أولاده. ولم تلبث راجينا بعد زواجها أن تنازلت لأخيها الشيخ حبيب عما يصيبها من ميراث في الأرزاق التي كان يمتلكها والدها عملاً بوصيته لقاء مبلغ من النقود قدره أربعون ألف قرش. وحذت أختها قوتة حذوها. وكانت الست أم حبيب قد أقدمت كما رأينا على بيع القصر لبطريركية الروم بثمن صوري بهدف منع الأمير بشير من الاصطياف في عين تراز ولا لزوم لتكرار الحكاية.

كان الشيخ حبيب كما وصفه أحد عارفيه: جميل الوجه أشقر الشعر لطيفاً جذاباً ذكي الفؤاد طلق اللسان مهيب الطلعة. وقد وافقت والدته على أن تكون سفرته الأولى (وهو ابن ١٧ سنة) أن يزور شمالي لبنان متفقداً أملاكه، ولاسيما في جبيل وطرزا التي كانت من بابها لحرابها لآل السعد، عدا ما كانوا يملكون في الزاوية وغيرها من مزارع وينابيع وطواحين وأحراج يطول عددها. وتزوج الشيخ عقب زيارته شمالي لبنان ونزوله ضيفاً على الشيخ سركيس الضاهر خزون بنت الشيخ سركيس ورزق منها ثلاثة أبناء وسبع بنات. الأبناء هم: فارس وسعد وغندور، أما البنات فقد عرفنا منهن: ياقوت، سمنجون، مريم ، ترازيا، هيلانة، وردة.

سمنجون تزوجت الشيخ ضاهر ابن الشيخ منصور الدحداح وحفيد الشيخ سلوم، وهيلانة تزوجت بالشيخ بشارة الخوري الفقيه جد الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية عام ١٩٤٣. ووردة تزوجها الشيخ دبلين الخازن وقد أحدث زواجه منها خلافاً بين أسرتهما. ومريم اقترنت بالشيخ فارس ابن الشيخ أنطون الخوري من رشميا، وترازيا تزوجت الشيخ يوسف الدحداح، أما ياقوت فلم يعرف عنها شيء.

عرف عن الشيخ حبيب، وقد أصيب بفقدان والده في عكا على ذلك النحو المفجع كرهه للعمل السياسي، ومجانبته الانخراط في أي منصب حكومي قد يناله منه مكروه، فاهتم بشؤون بيته وصيانة أملاكه، وتنمية غلالها وإدارة مقاطعة رشميا وتوابعها.

الكونت غندور

هو الثالث الذي يسمى بهذا الاسم. هو ابن الشيخ حبيب والست خزون. ولد في عين تراز سنة ١٨١٨ وعند وفاة والده سنة ١٨٣٠ كان بعمر ١٢ سنة. وكان والده قبل وفاته، اقام عليه وصياً ابن خاله الشيخ منصور الدحداح أحد مدبري الأمير بشير الثاني. وأهم ما انصرف إليه الشيخ غندور في حياته السعي إلى مسالمة الناس ومجانبة السياسة، والانكباب على صيانة أملاكه الواسعة، ولاسيما البعيدة عنه في الشمال وبعلبك والبقاع. وقد مكنته أملاكه الكثيرة وموارده الكبيرة من القيام بأعمال بر وإحسان في المعابد، والمدارس، والأديار. وكان يمتطي فرساً حمراء اشتراها خصيصاً للتنقل بين أملاكه. اشتراها بسند ما يزال محفوظاً بين أوراقه ذكر فيه سلالتها، واسم أبيها وأمها، وهي من أكرم الخيول اللبنانية في ذلك العصر.

في العام ١٨٥٥ حصل على لقب بك من محمود نديم باشا مشير إيالة صيدا في ذلك الحين والصدر الأعظم سابقاً فكان بذلك من الأوائل الذين أنعم عليهم بهذا اللقب من النصارى في ذلك الحين. تزوج من كاترين (كتور) ابنة الشيخ سجعان الضاهر في ٢٥ شباط سنة ١٨٥٩ وتمت حفلة الإكليل في عرجس، ولبثت في بيت أهلها ولم تأت عين تراز إلا بعد أن انقشعت غمامة الستين، ورزق خمسة أولاد هم: سعد، فؤاد، حبيب، نجيب مراد، وأربع بنات هن: ماري، حنينة، تريز، ونجيبة.

نجا بأعجوبة من مذبحة السراي التي حصلت في دير القمر وذهب ضحيتها ٢١٠٠ قتيل، وذلك بفضل حماية شباب دروز من عائلة عبد الصمد. وكان خرج من دير القمر عند منتصف الليل فتطوع هؤلاء للسير في ركابه وحمايته، حتى أوصلوه إلى عين تراز التي وصلها سالماً.

حصل على لقب كونت من البابا لاوون الثالث عشر مكافأة له على ما قام به من أعمال خير وإحسان ومساعدة المحتاجين. واشتهر غندور بك أو الكونت غندور بلقب الكونتية طوال ما بقي له من صباه. وقد ورثه عنه أكبر أولاده فؤاد بك ثم راجي بك. توفي الكونت غندور بك في ١٩ تموز ١٩٠٦.

فؤاد بك

هو النجل الثاني للكونت غندور بك وعقيلته كاترين الضاهر. ولد في عين تراز سنة ١٨٦١ فكان أكبر أخوته بعد أخيه البكر سعد الذي توفي طفلاً. أسماه والده فؤاد تيمناً باسم فؤاد باشا وزير خارجية الدولة العثمانية الذي جاء لبنان في تلك السنة مفوضاً سلطانياً ليدرس عن كثب الحوادث المؤلمة التي حصلت سنة ١٨٦٠. حصّل علومه مع أخوته حبيب ونجيب ومراد بنجاح في مدارس البطريركية والحكمة والكلية اليسوعية في بيروت.

عاون أباه زمناً في الإشراف على ما له من أملاك وإدارتها. وتولى بضع سنين مديرية الجرد الجنوبي من ١٨٨٤ حتى ١٨٩١. وتزوج روز ابنة الوجيه يوسف ثابت، ورزق منها من الأولاد الذكور: راجي، أمين، غندور. ومن الإناث: أدما ونجلا التي بقيت عزباء.

توفي في العام ١٩٢٥ بعد استفحال مرض السكري لديه، ودفن بعين تراز.

حبيب باشا



الرئيس حبيب باشا السعد

(من كتاب آل السعد في لبنان)

هو النجل الثالث للكونت غندور بك وعقيلته السيدة كاترين الضاهر. ولد في عين تراز سنة ١٨٦٦ ومنذ بلغ سن الدراسة أرسله أبوه إلى المدرسة البطريركية في بيروت ثم نقله إلى مدرسة الحكمة فإلى كلية القديس يوسف للآباء اليسوعيين. وخرج يتقن من اللغات العربية والفرنسية، ويلم بالتركية لغة الدولة في تلك الأيام، وبجانب من الشرع والقانون. وكان بعمر الثامنة عشرة يوم عين مديراً على ناحية الجرد الجنوبي، تلك الناحية نفسها التي كان قد عين مديراً لها من قبله شقيقه فؤاد بك. وقد توالى على إدارتها من بعده شقيقاه نجيب بك من سنة ١٨٩١ إلى سنة ١٩٠٢ ومراد بك من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩٠٦. والجدير بالذكر أن مديرية الجرد الجنوبي تتناسب مع المنطقة التي كانت تشكل إقطاع آل السعد منذ سنة ١٧١١ حتى سنة ١٨٤٣ أي منذ أقطعهم الأمير حيدر الجرد الجنوبي على أثر معركة عين دارة حتى زوال نظام الإقطاع في جبل لبنان، وظهور نظام القائمقاميتين (١٨٤٢) ومن ثم إعلان نظام المتصرفية ١٨٦١. وقد توالى كما رأينا على حكم هذا الإقطاع أفراد من هذه الأسرة ابتداء من الخوري صالح مبارك مروراً بالمشايخ غندور وسعد وغندور وحبيب، وانتهاء بالكونت غندور بك والد حبيب باشا. ومن المعلوم أن مديرية الجرد هذه تضم بحمدون، بطلون، عين القريدس، دير الرمان، عين الحلزون، مزرعة النهر، المغارة الفوقا والتحتا، شرتون رويسة النعمان، شوريت، بسرين، كفرعميه، حبرمون، عين الجورة، التعزانية، رشميا، مرج شرتون، عين تراز، دير سير، عين مرعي.

ظل حبيب يقوم بمركز المديرية حتى العام ١٨٩٠، ثم عين رئيساً للقلم العربي في مركز المتصرفية. وفي العام ١٨٩٤ اضطر إلى تقديم الاستقالة لأسباب خاصة، وكان واصا باشا اجتمع به غير مرة، وركن إليه وأعجب بأناقته، وسرعة خاطره وقال لصديقه نسيب جنبلاط: «هذا الشاب سيخترق الصفوف في يوم من الأيام». وكان منصب رئيس القلم العربي يساوي منصب مدير عام وزارة الداخلية.

عين رئيساً لمجلس الإدارة في عهد المتصرف مظفر باشا من ١٩٠٢ واستقال في العام ١٩٠٥ بعد أن رأى الحال في المتصرفية تسير من سيء إلى أسوأ. حاول مظفر باشا إعادته إلى وظيفته، فاعتذر. تزوج من السيدة نجلا كريمة الشيخ سليم الخوري ورزق ثلاث بنات: وداد زوجة أنطوان بويز المفتش في جمارك بيروت، وسعاد زوجة بيار بيل الضابط البحري الفرنسي، ونهاد التي بقيت عزباء.


غندور بك السعد

انخرط في جمعية الاتحاد والترقي – شعبة بيروت، ثم ترأسها ثم سرعان ما قدم استقالته منها وسعى في تأليف جمعية أرزة لبنان وترأسها شرفاً وعين لها رئيساً عاملاً سليم بك العوشي. وفي العام ١٩١٣ أعيد تعيينه رئيساً لمجلس الإدارة في عهد المتصرف أوهانس باشا. وكان مجلس الإدارة مؤلفاً على الشكل التالي: سعد الله الحويك، فؤاد عبد الملك، نعوم باخوس، محمد صبرا، نقولا غصن، داود عمون، خليل عقل، سليمان كنعان، الياس الشويري، محمد محسن حبيب السعد رئيساً.

بعد إعلان الحرب العالمية الأولى، نصحه أصدقاؤه بمغادرة لبنان فرفض. استدعاه جمال باشا السفاح وعرض عليه منصب عضو عن لبنان في مجلس المبعوثان فرفض كذلك، عندئذ أصدر جمال باشا أمراً بنفيه إلى اسكيشهر في الأناضول. وعندما أفل نجم الترك في هذه البلاد، واضطروا للانهزام أمام الحلفاء عاد حبيب باشا إلى لبنان، ووصل إلى بيروت في ٢٤ ايلول ١٩١٨ قبل جلاء الأتراك والألمان عنها بستة أيام. وبعد وصول الحلفاء إلى لبنان وانتشار جنودهم في كل مكان منه استقبل حبيب باشا في بعبدا دي بياباب يصحبه ضابط إنكليزي، وطلب إليه البقاء رئيساً للحكومة اللبنانية بحكم رئاسته للمجلس الإداري. وقد أتبع في هذه الفترة سياسة نابعة من صميم مصلحة لبنان وتاريخه يمكن إيجازها بالمبادئ التالية:

أولاً: إبقاء لبنان بعيداً عن دولة سوريا الكبرى التي أنشأها الملك فيصل عام ١٩١٩، وحث الفرنسيين على عدم القبول بضم لبنان إليها.

ثانياً: المطالبة بأن تعاد إلى لبنان المناطق التي سلخها الأتراك عنه بالقوة القاهرة بعد أن كانت طوال قرن جزءاً منه.

ثالثاً: المطالبة بالانتداب الفرنسي مردداً: «إن لم يكن هنالك بد من أن تنتدب دولة على لبنان فلتكن هذه الدولة فرنسا بسبب ما يربطنا بها من تقاليد متقادمة، على أن يكون انتدابها إلى حين للتدريب والإرشاد لا للتحكم والاستبداد».

وعندما نودي بالأمير فيصل ملكاً على سوريا في ٧ آذار ١٩١٩ على اثر المؤتمر السوري الذي انعقد في دمشق، رفض حبيب باشا النداء على الرغم من الإغراءات التي عرضت عليه، وأرسل برقية احتجاج إلى مؤتمر الصلح والسلطات الفرنسية طالباً منها تأكيد هذا الرفض. عندما قرر

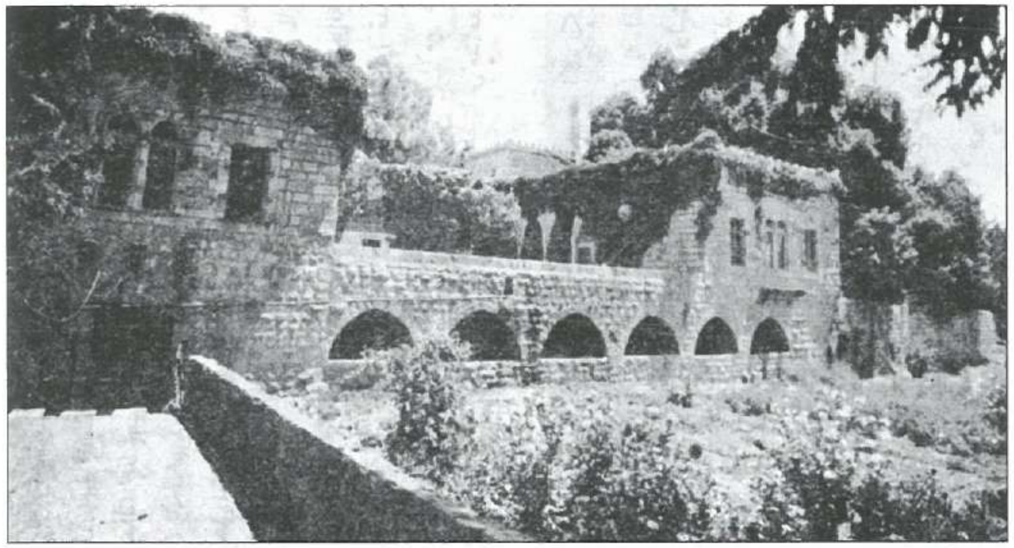

الست كتور زوجة غندور بك

المجلس العرفي الدمشقي اغتيال حبيب باشا، وحرّضت بعض العصابات المحلية بتاريخ ٧ تشرين الاول بنصب أعين له فيما هو قادم من بيت الدين إلى دارته في عين تراز، وأطلقوا عليه النار من دون أن يتمكنوا من إصابته.

أما علاقاته الودية مع الفرنسيين فلم تدم طويلاً، إذ سرعان ما تبين له أن دولة فرنسا التي كانت تشكل في عهدي الإمارة اللبنانية ومتصرفية جبل لبنان ضمانة للبنان وامتيازاته واستقلاله الذاتي بوجه السلطنة العثمانية، أصبحت بعد الاحتلال تسعى إلى استغلال اللبنانيين وإعطاء الامتيازات للفرنسيين والسماح بتدخلهم في جميع شؤون الإدارة متجاهلة مصلحة لبنان وأبنائه. وفي الرابع من تشرين الأول ١٩٢٠ قدم حبيب باشا استقالته إلى الجنرال غورو. ونشرت الصحف جواب الجنرال غورو الذي ورد فيه قوله: «ليس في العالم رجل لا يمكن الاستغناء عنه»، وعينت السلطات الفرنسية نعوم لبكي خلفاً له في اللجنة الإدارية».

في ٢١ أيار ١٩٢٢ انتخب أول مجلس نيابي. وكان حبيب باشا من المنتخبين عن منطقة جبل لبنان التي كانت تضم الشوف والمتن وكسروان وجبيل. وفي ٢٥ أيار، انتخب رئيساً بأكثرية ٢٨ صوتاً ضد صوتين، وأعيد انتخابه لسنة جديدة في شهر تشرين الاول ١٩٢٢. وفي السادس من أيلول ١٩٢٤ أنشىء مجلس شورى الدولة، وعين حبيب باشا أول رئيس له بعد أن قدم استقالته من المجلس النيابي، وانتخب وديع عقل خلفاً له. عينه كايلا أمين سر عام ورئيساً للنظار، وهو منصب يوازي منصب رئيس الوزراء اليوم. واعترض على مشروع قانون للانتخابات النيابية وضعه الحاكم كايلا، اعتمد فيه «قاعدة التمثيل النسبي للوائح المتضادة ووضع مشروعاً آخر معارضاً اعتمد فيه التمثيل الفردي الذي يضمن النجاح لمن يظفر بالأكثرية المطلقة من أية لائحة كانت مع ضمان الحقوق الطائفية. وأيدت وزارة الخارجية الفرنسية المشروع الذي وضعه حبيب باشا، وجرى العمل به بعد ذلك. وفي ٢٥ أيار ١٩٢٦ انتخب حبيب باشا رئيساً لمجلس الشيوخ.

وفي التاسع من آب ١٩٢٨ تألفت الوزارة الرابعة في عهد الرئيس شارل دباس برئاسة حبيب باشا السعد. وفي ٩ أيار ١٩٢٩ قدم حبيب باشا استقالة حكومته لكي يفسح في المجال لتأليف حكومة انتخابية تشرف على انتخابات رئيس الجمهورية. وفي ٢ كانون الثاني ١٩٣٤ عين حبيب باشا رئيساً للجمهورية لمدة سنة، واتخذ عبد الله بيهم معاوناً له في منصب أمين سر عام. وفي



منزل آل السعد في عين تراز

٢٨ من الشهر المذكور احتفل بتنصيبه رئيساً جديداً باحتفال شائق ومهيب، وفي اليوم التالي حضر إلى دار الحكومة وتسلم مقدرات الأمة وباشر أعماله. وفي أول أيلول من سنة ١٩٣٤ أقام في قصره بعين تراز مهرجاناً لبنانياً كبيراً احتفاء بذكرى إعلان لبنان الكبير، اشتركت فيه في ساحات تلك الدار التاريخية وفود يزيد عددها عن عشرات الآلاف. وفي أول شباط ١٩٣٥ جددت رئاسته سنة جديدة. وفي ٣٠/١/١٩٣٦ غادر حبيب باشا رئاسة الجمهورية مسلماً الأمانة للرئيس إميل إدة.

إلى جانب عمله السياسي كانت له موهبة الأدب، فكتب الشعر وله فيها مقطوعات غير منشورة. وفي ٥ أيار من العام ١٩٤٢ توفي الرئيس حبيب باشا، ودفن في مقبرة العائلة في رأس النبع.

نجيب بك

ولد في عين تراز سنة ١٨٧٠. حصل دروسه مع إخوته في مدارس البطريركية والحكمة وكلية القديس يوسف. وأسس معملاً للحرير في قريته عين تراز.

في سنة ١٨٩١ عين نجيب بك مديراً للجرد الجنوبي الذي تولاه من قبله أخواه فؤاد بك وحبيب بك. واستقال من المديرية وسافر إلى الآستانة. في سنة ١٩٢٥ انتخب عضواً في المجلس النيابي. توفي في ٢٤ آذار ١٩٣٠.

مراد بك

ولد في عين تراز في ٢٠ نيسان سنة ١٨٧٢. تلقن العلم مع إخوته في مدارس البطريركية والحكمة وكلية القديس يوسف. عين مديراً للجرد الجنوبي. توفي في ٣١ آب ١٩٣٥.

راجي بك

ولد في بيروت في الخامس من تموز ١٨٩٥ وهو الابن البكر لفؤاد بك والسيدة روز ثابت. دخل مع أخيه أمين مدرسة الفرير ثم مدرسة الآباء اليسوعيين في بيروت، وحصل فيها علومه الابتدائية والثانوية. في أواخر العام ١٩١٥ أبلغت الدولة العثمانية حنا بك الضاهر ضابط منطقة كسروان آنذاك أمراً بالقبض على راجي بك وتسليمه لقيادة ولاية بيروت لإلحاقه بالجيش العثماني. ولكن راجي توارى عن الأنظار، ولجأ إلى دير سيدة المعونات في جبيل المعروف بدير البنات، وتستر باللباس الرهباني، وكذلك فعل شقيقه أمين. وأبدلا اسميهما بعد أن أطلقا لحيتيهما، فدعي راجي باسم الأخ يوسف وأمين باسم الأخ بولس. وخوفاً من شيوع أمرهما أخذا يتنقلان بين أديار الرهبانية. من دير سيدة المعونات إلى دير غوسطا، إلى دير ميروبا، إلى دير ميفوق، وعنايا. وبعد انتهاء الحرب ونزوح الأتراك عن لبنان عاد راجي إلى عين تراز. وفي العام ١٩٣٣ عين مفتشاً لدى وزارة المالية. وفي ٢٥ أيار ١٩٤٧ خاض الانتخابات النيابية في صفوف اللائحة المناوئة للحزب الدستوري الحاكم.

تزوج راجي بك في أواخر حزيران من اليس فارس بويز ورزق منها أربعة أولاد هم: فؤاد ولد في ٣ نيسان ١٩٤١ ودعي باسم جده فؤاد. ونجيب ولد في ٧ شباط ١٩٤٥ ودعي باسم عم والده، وحبيب ولد في ١٤ شباط ١٩٤٨ ودعي باسم عم والده حبيب باشا السعد، ونائلة.

أمين بك

ولد في بيروت. والده فؤاد ووالدته روز ثابت. تزوج جورجيت فيليب حداد (وهي شامية الأصل) ورزق منها: فاديا (مجازة في العلوم النفسية ـ الاجتماعية)، وسميا (مجازة في الحقوق)، وندى (مجازة في الطب)، ومنى، وغندور الخامس والأصغر بين أخوته. أتم دروسه الثانوية في جامعة القديس يوسف سنة ١٩١٤. تعرضت أسرته للاضطهاد، فانتقل معها إلى جونية. وتوارى عن الأنظار كأخيه راجي هرباً من ملاحقة العثمانيين، ولجأ إلى أديرة الرهبان. بعد انتهاء الحرب ورحيل الأتراك عن البلاد عام ١٩١٨ عاد أمين إلى متابعة دراسته، وحصل على شهادة الليسانس في الحقوق. وفي العام ١٩١٩ عين مترجم النيابة العامة الاستئنافية في بيروت. وفي العام ١٩٢٣ رقي إلى وظيفة معاون لمدعي عام بيروت. وفي العام ١٩٢٥ سافر إلى بارس بهدف متابعة الدراسة والحصول على الدكتوراه.

في أواخر أيار ١٩٢٦ رقي إلى وظيفة مستنطق أول في بيروت، فعضو في محكمة التجارة، فمستشار في محكمة الاستئناف الوطنية المختلطة، فمحام عام في النيابة العامة الاستئنافية، فعضو في محكمة التمييز، وأخيراً عين محامياً عاماً أول لدى النيابة العامة التمييزية.

في صيف العام ١٩٤١ عين وزيراً للأشغال العامة في حكومة أحمد الداعوق، وامتدت هذه الوزارة من ٢٨ تشرين الأول ١٩٤١ حتى ٢١ تموز من سنة ١٩٤٢. ومن أبرز أعماله مشروع نبع الباروك الذي كان له الفضل في خلقه والتعجيل في تنفيذه. في العام ١٩٤٣ فاز بعضوية المجلس النيابي الأول في عهد الاستقلال.

غندور بك

هو رابع من حمل هذا الاسم في أسرته، والابن الأصغر لفؤاد بك بن غندور بك الثالث. ولد في بيروت سنة ١٩٠٣. أدخل جامعة القديس يوسف وهو بعمر ست سنوات، فأتم فيها علومه الابتدائية والثانوية، ثم انتقل إلى معهدها الفرنسي وحصل على شهادة الليسانس في الحقوق. وتدرج في مكتب المحامي يوسف السودا، وأخذ يزاول فيه التمرس على المحاماة.

توفي في ٤/٣/١٩٣١ إثر مرض عضال استعصى على الأطباء، ودفن في مقبرة العائلة في عين تراز.

فؤاد السعد

ولد في ٣ نيسان عام ١٩٤١ في عين تراز. والده: راجي. ووالدته: أليس فارس بويز. وأشقاؤه: نجيب، حبيب، نايلة. تلقى دروسه الثانوية في مدرسة السيدة في الجمهور والجامعية في جامعة القديس يوسف (١٩٦٠ ـ ١٩٦٤). وحاز إجازة في الحقوق وإجازة في العلوم السياسية وإجازة في التاريخ والجغرافية. متزوج من جاكلين باز (أستاذة في كلية الحقوق ولهما بنت هي ليا). مارس مهنة المحاماة منذ حزيران ١٩٦٥. وترشح للانتخابات النيابية في دورتي ١٩٦٨ و١٩٧٢ ولم ينجح.

عين نائباً عن الشوف في ٧/٦/١٩٩١. وانتخب نائباً عن قضاء الشوف في دورة ١٩٩٢. أعيد انتخابه في دورة العام ٢٠٠٠ عن دائرة بعبدا ـ عاليه. وعين وزير دولة لشؤون الإصلاح الإداري في الحكومة التي شكلها الرئيس الحريري في ٢٦/١٠/٢٠٠٠.

هو عضو في جبهة اللقاء الوطني التي يرأسها وليد جنبلاط.

المراجع

١ ـ **آل السعد في تاريخ لبنان**، تأليف لحد خاطر، ١٩٧٠.
٢ ـ **رؤساء لبنان**، وليد عوض، ١٩٧٧.
٣ ـ **أعرف لبنان**، عفيف مرهج ـ الجزء السابع ١٩٧٢.
٤ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل الجميّل

أسرة الجميل من الأسر العربية المسيحية المارونية العريقة التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ لبنان الحديث. أعطت رجال دين ودنيا على مدى حقب طويلة، فكان منهم رئيسا جمهورية، ووزراء ونواب وسفراء وقناصل، ومشايخ صلح، ورؤساء بلديات، ورجال أعمال، وصناعيون وأطباء ومهندسون، وحقوقيون، وقضاة وضباط، وتجار، وحرفيون وأدباء ومؤرخون وأساتذة مربّون، وصحافيون، ورسامون، ومؤسسو جمعيات وأحزاب سياسية، ودينية وخيرية. وبرز منهم على صعيد الدين بطريرك وأساقفة وكهنة كبار، ومؤسسو أديار وكنائس، ورهبان وراهبات عملوا وعملن في خدمة التربية والتعليم وتنشئة الأجيال الطالعة.

من قبيلة عربية

يتفق عدد من المؤرخين أن جذور هذه الأسرة تتصل بنسبها إلى قبيلة قريش، ويؤكد هذا الرأي أنطون باشا الجميل، رئيس تحرير **الأهرام** لسنوات طويلة، فيقول: «إنهم كانوا من أوائل الذين استجابوا لدعوة النبي العربي. وعند امتداد الفتح العربي استقرت العائلة في العراق. وفي نحو القرن العاشر يمّم الجميليون غرباً واستقروا في بلدة «أرك» على بعد أربعين كيلومتراً شمال شرق تدمر. وما زال الجميليون يملكون هذه القرية حتى اليوم. وإن كان عدد لا يستهان به منهم، يقدر بحوالى مائتي عائلة قد نزح في أواخر القرن الماضي إلى مدينة حماه».

وفي مرجع آخر «أن آل الجميل نزحوا عن الجزيرة الفراتية ما بين نهاية عهد المأمون وبداية عهد المعتصم، بعد المفاعيل السلبية لصراع ابني هارون الرشيد الأمين المأمون وسيطرة الموالي الأتراك والفرس على زمام السلطة الفعلية في العراق بحيث تهمّش دورهم في وظائف الدولة والشأن العام. انتقلوا إلى الشام عبر دير الزور وبلاد تدمر وقطنوا ضاحية دمشق. وإن أغلبهم قدموا إلى لبنان في النصف الأول من القرن العاشر ميلادي، بعد صراعات مريرة بين الدويلات الطولونية والأخشيدية والقرمطية والحمدانية».

من يانوح إلى جاج

وجاء في **المخطوط اليانوحي**: «إنهم انتقلوا إلى يانوح عقب حادثة العام ١٤٣٩. ومن يانوح توجهوا إلى جاج، ومنها إلى بلاد كسروان في زمن الامير منصور العسافي الذي **أقطعهم** بكفيا وضواحيها، وكانت نقلتهم إلى بكفيا مع الشدياق سركيس الخازن سنة ١٥٤٥»، كما يذكر البطريرك الدويهي والخوري منصور الحتوني.

وقيل إن أصلهم من قرية يحفوفا قرب الشام، وبعض الباحثين يشير إلى أنهم من القدس ثم أتوا إلى صيدا ومنها إلى جاج كما في **تقويم بكفيا** لمؤلفه الشيخ إدمون بليبل.

الجميّل الأول

وقيل: «إن الجميل الأول يتحدر من ذرّية هلال بن معيط بن عامر بن لؤي بن غالب بن مالك ابن النضر من بني كنانة من مضر من القيسيين العدنانيين عرب الشمال. وكان اشتهر بالذاكرة وحفظ الشعر والامثال». ولأن الجميل الأول كان قيسي الهوى والميل فلا بد لذريته من بعده أن يكونوا كذلك، فشاركوا بفعالية في الصراع القيسي اليمني الذي حصل في لبنان. وقاتلوا تحت راية الأمراء: منصور العسافي وفخر الدين الثاني، وحيدر الشهابي في معارك مفصلية في كسروان (١٥٤١)، ونهر الكلب (١٥٩٨) ومجدل عنجر (١٦٢٣) وعين دارة (١٧١١).

وفي تقليد عائلي يتناقله الجميليون: «أن جدّهم الذي استقرّ في شمالي شرق صيدا، كان يعمل بالتجارة، فقصد في إحدى رحلاته التجارية جرود بلاد جبيل وتعرّف على اهلها، ولاسيما كاهن الرعية في بلدة جاج الذي أصبح صديقاً له، ينزل في بيته كلما قادته رحلاته التجارية إلى تلك المنطقة. وراقت له إحدى صبايا القرية، ولكنه كان متزوجاً، ولم يفصح عن ذلك، ثم تعددت سفراته إلى جاج، وما لبث أن استقرّ فيها وهجر مقرّ إقامته شرق صيدا، وطلب زوجته التي بقيت مع أولاده يستثمرون مزرعتهم التي أصبحت معروفة باسم «الجميلية» أي امرأة الجميل. أما هو فتنصّر وتزوّج وسكن في جاج ونمت فيها ذريته.

وفي رواية أكدها الشيخ إدمون بليبل في تاريخه **تقويم بكفيا** أن عملية النزوح إلى بكفيا حصلت على الشكل التالي: «بعدما انسحب الصليبيون من لبنان وسوريا وقفلوا راجعين إلى بلادهم في أواخر القرن الثالث عشر، كانت البقعة المدعوة اليوم بكفيا أرضاً بائرة خالية من السكان وآثار العمران، وكان الأمراء العسافيون يحكمون في ذلك الزمن مقاطعة كسروان وما إليها بما فيه قاطع بكفيا وبيت شباب ومزارعهما. أما النصارى فقد كانوا يومئذ مقيمين في بلاد جبيل والشمال. وذات يوم غضب الأمير منصور العسافي على أبناء الطائفة الشيعية النازلين في مقاطعته، لأنهم تآمروا على قتله، فضربهم ضربة قاضية وعزز الأمن في إمارته. ثم ارتأى أن يقرّب إليه أولاد الجميل وقابلوه في غزير مركز إقامته. وكان مجيئهم من قرية جاج عام ١٥٤٠، وحينما امتثلوا أمامه أكرمهم وأقطعهم على بكفيا وضواحيها الشمالية، وأوفدهم فوراً إليها ليحيوا أراضيها

ويجددوا حضارتها التي كان جيش المماليك قد قضى عليها في مطلع القرن الرابع عشر. فأتوا وبعض رفاق لهم حاملين كما يروى عنهم صورة القديس عبدا على أكتافهم واستحسنوا أن ينزلوا في مكان بلدتهم الحالي عوضاً عن المكان القديم المنخفض ولا يزالون فيه إلى الآن».

علاقات ومصاهرات

وقد ربطت آل الجميل مع العائلات التي جاءت معها أو التي أمّت بكفيا ومنطقتها في ما بعد أفضل العلاقات، وقامت في ما بينهم أواصر الألفة والتعاضد والاتفاق على إعادة العمران، من هذه العائلات: عائلة المعلوف (المعروفة بأسرة الكلنك) وقد تزوج أحد أفراد الأسرة بشقيقة الخوري أنطون الجميل ورزق منها ولدان سيم أحدهما كاهناً. وعائلة الخازن وكميد، واتفقوا بعضهم مع بعض على ما يقول الدويهي على شق الطريق تسهيلاً لانتقال النصارى من الشمال إلى قلب لبنان.

وقد تحولت هذه العلاقات الحميمة إلى علاقات نسب ومصاهرات، فامتزجت أسرة الجميل بمعظم الأسر الموجودة على الأرض مثل أسر: الخازن، وحبيش، والدهان، ويارد، وطربيه، والدحداح، وبليبل، وإدة، والخوري (رشميا) وإلى ما هنالك من الاسر. ويروى عن الشيخ رشيد الخازن عميد هذه الاسرة في ذلك الوقت: أن جدته جميلية. وجاء في تاريخ كتبه شيبان الخازن، أن ابن الشدياق سركيس الخازن ابراهيم تزوج من جميلية، فهي التي ربت الأمير فخر الدين وشقيقه يونس كما ربت أولادها. ومن المتناقل أن والدة الخوري يوسف الجميل كانت من آل حبيش، وأن زوجة الشاعر والسياسي الياس إدة كانت من بيت الجميل (جدة الأب العلامة جبرائيل إدة اليسوعي رئيس كلية القديس يوسف في بيروت طيلة ثماني سنوات).

المشيخة ومعركة عين دارة

وأما عن مشيخة آل الجميل فيذهب المؤرخ عيسى المعلوف إلى القول: «إن هذا اللقب أثبته لهم الأمير فخر الدين المعني». وفي مرجع آخر أنهم «لقبوا بشيوخ في عهد حكم الخازنيين على بلاد كسروان». ولكن، ومهما يكن من أمر، فإن الامير حيدر شهاب، قد أثبت لهم هذا اللقب ومفاعيله في العام ١٧١١. وفي تفاصيل ذلك أنه عندما عزم هذا الأمير على «استعادة ولايته، استعان بانصاره المتنيين والكسروانيين وفي مقدمتهم اللمعيون، وخرج بعد سنة وبضعة أشهر من مخبأه (في مغارة عزرايل في أنحاء الهرمل)، فسار على رأس القيسيين الذين التفوا حوله سنة ١٧١١، وسار إلى جنبه المقدم حسين أبي اللمع من صليما وبنو بليبل، وجميّل وأعوانهم البكفاويون، والمتنيون، وحبيش، وبنو الخازن ورجالهم الكسروانيون، وغيرهم من أبناء الشوف والجنوب كآل خوري ونكد وتلحوق وجنبلاط وعبد الملك والعماد والقاضي وما كادوا يلتقون باليمنيين في عين دارة، حتى مزّقوا شملهم شر ممزّق، ومحوا ذكرهم من كل أنحاء جبل لبنان. وبعد أن انتصر الامير حيدر في تلك الموقعة انتصاراً باهراً كافأ زعماء جيوشه، فشيّخهم وأقطعهم على الجهات التي

يقطنونها... ولا تزال آثار هذا الانتصار التاريخي تفعل فعلها إلى الآن في تكوين وتركيب البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية في لبنان الحديث».

الانتشار في الداخل

وعن انتشار أسرة الجميل وتوزع أبنائها، وانتقالهم من بكفيا موقعهم الأساس إلى مناطق أخرى، فقد ذكر أنه: «لما تكاثر أبناء الجميل في بكفيا واتسعت أملاكهم وأثروا انتقل بعضهم من بلدتهم للإقامة في مقتنياتهم، كشويا، وعين التفاحة، ووادي شاهين، وعين الخروبة، والسفيلي، ونزح البعض الآخر إلى عجلتون ودلبتا بعد انسلاخ القاطع عن كسروان سنة ١٧١٢، وغيرهم إلى سمار جبيل والقبيات في عكار ويعرفون ببيت الزريبي، نسبة إلى زريب (ومنهم المونسنيور مخاييل الزريبي) والظاهر أن هؤلاء نزحوا من وادي شاهين بعد حركة ١٨٦٠، وقيل أيضاً إنهم من فرع عماد الجميل.

وفي تفاصيل أخرى عن انتشار هذه الأسرة أنه «حين كثر نسلها في بكفيا، انتقل أبناء مطر (الجميل) إلى قرية شويا لخلاف مع أقاربهم، وتوطن فريق آخر من هذه الأسرة في قرى عين الخروبة ووادي شاهين وعين التفاحة والزغرين وبيروت. وهاجر أناس منهم إلى البلدان القاصية كغيرهم من اللبنانيين.

فروع ونزوح

وذكر أيضاً أنه «قد تفرّع بنو أبي جميل من بني مطر الذين نزحوا إلى شويا، فعرفوا فيها مدة ببني الشدياق، وما لبثوا أن استعادوا اسمهم الأصلي الذي حافظت عليه أسرتهم منذ البدء، ولا تزال محافظة عليه حتى الآن». كما ذكر أنه «من فروع أسرة جميل، أبناء أبي جميل الذين أقاموا في البلدة (بكفيا) والقرى التابعة لها. ومن أبنائها أنطون وسعيد وطرّاف وغيرهم ولهم فرع ينتمي إلى رجل رقي إلى درجة شدياق من سلالة مطر الجميل، فلقبت سلالته ببيت الشدياق». وفي المرجع نفسه ورد: «أما أسرة الشدياق في بكفيا فإنها تنتمي إلى الشدياق الياس الحصروني المهاجر من حصرون إلى بكفيا المقترن بابنة من أسرة جميل، والذي قال عنه البطريرك الدويهي: إن الخوري أنطون الجميل، بالاتفاق مع أقاربه، أقاموه وكيلاً يراقب بناء كنيسة مار عبدا سنة ١٥٨٦، وأبرز أفراد هذه الأسرة حبيب بك زين وأخوه زين وكثير من هذه السلالة في القطر المصري». ومن فروع أسرة جميل أيضاً، سلالة داغر في بكفيا، ومن مشاهير هذا الفرع الخوري ميخائيل مجدد بناء كنيسة مار عبدا، وابن أخيه الخوري نعمة الله، وهو من الشعراء المجيدين (ألف **رواية القديس بولس الرسول** التي مثلها طلبة المدرسة اللبنانية في قرنة شهوان، والبرديوط يوسف الذي خلف أباه في إدارة كنيسة مار عبدا وإخوته.

ويقول الحكيم أمين الجميل، نقلاً عن الخوري مخايل داغر، إن أسرة داغر متفرعة من الأسرة الجميلية، ويؤكد المؤرخ لويس بليبل أن أسرة الشدياق في بكفيا متفرعة منها أيضاً ويقدم على ذلك براهين قاطعة. وأما فرع أبي جميل فهو من أصل بني الجميل كما تقدم، وهم منه يجمعهم كلهم جد واحد، ويخطئ من يتصور خلاف ذلك، كما يخطئ من يقول إن الخازنيين لقبوهم مشايخ في أواسط القرن الماضي.

إلى كسروان

وحول حركة النزوح التي تعرّض لها آل الجميل إلى كسروان، ومن ثم العودة إلى بكفيا، ذكر بعض الباحثين أنه أثر موقعة عين دارة ١٧١١، صدر قرار من الأمير حيدر شهاب أعلن فيه سلخ الناحية المعروفة بناحية القاطع عن كسروان، وضمها إلى المتن منطقة حكمه، فعارضه الخازنيون في ذلك معارضة شديدة، لأن القاطع الواقع بين نهر الجمعاني ونهري الكلب والصليب، كان تابعاً لإقطاعيتهم التي ولاهم عليها المعنيون سنة ١٦١٣، وظلت خاضعة لهم مدة سبع وتسعين سنة. أما مشايخ آل بليبل الذين استعان الأمراء بهم، فقد عاونوهم ومكنوهم من تنفيذ الأمر المشار إليه، كما يتضح ذلك في نص صك العهدة الذي كتبه الأمير حسين شهاب للشيخ ياغي بليبل وإخوانه بتاريخ سنة ١٧٢٤. أما مشايخ آل الجميل فقد كانوا من المعارضين إكراماً لأصدقائهم الخازنيين وإرضاء لخاطر اللمعيين أبناء الأمير مراد في المتن، وخصوصاً أنسباءهم أبناء الأمير قائد بيه، ومنهم الأمير حسين في صليما، ولهذا السبب نزح بعضهم من بكفيا إلى عجلتون ودلبتا، وقد تبعهم بنو البيطار المقيمون منذ ذلك الزمن في بلدة غوسطا.

وفي تفصيل آخر أنه «كان أكثر أبناء جميل في أوائل الجيل الثامن عشر كمعظم أبناء بيت شباب، من طلاب إبقاء حكم المقاطعة بيد الخازنيين. ففي أواسط هذا الجيل، عظم الخلاف بينهم وبين الأسرة اللمعية، خلاف أدى إلى انتقال أبناء الجميل إلى كسروان ومكثوا في ضيافة آل الخازن، الذين أصلحوا بين الفريقين فرجع بنو الجميل إلى بكفيا إلا أحدهم عوناً فأقام في غوسطا ومن سلالته فيها أسرة جميل. وفي الإطار عينه حين «أحال الأمير حيدر الشهابي حكم البقعة المعروفة بالقاطع إلى الأمراء اللمعيين، احتج المشايخ الخازنيون حكامها على الإحالة».. فأمر أمير البلاد أن يختار السكان أحد الفريقين، عندئذ اتخذ الأمراء أعواناً يعدون الأهالي بإعفائهم من المال الأميري وملحقاته إذا هم فضلوا الأمراء على المشايخ، فقبل معظم السكان بحكم الأمراء وفضلوهم على حكم آل الخازن إلا أسرتي جميل وغبريل الجاجيتين.. وكانت الأكثرية في اختيار الأمراء إلا في قرى الجهة الغربية من البقعة (القاطع) أي ضبية وحارة البلانة وزوق الخراب والضهر وعوكر وطاميش، والتي أجمع سكانها على حكم قراهم بيد المشايخ. عندئذ اتخذ الأمير حيدر قراراً بإبقائها بإدارة المشايخ، فلم يجد الأمراء اللمعيون وسيلة لاضطهاد معاكسيهم سوى أسرة جميل بعد أن أبى أمير البلاد إلا العمل بما جرى عليه أسلافه المعنيون بتعيين وكيل له من سلالة صالح غبريل، حصر سلطته بعائلته إرضاء للمعين.

الهجرة إلى مصر

ولم يقتصر انتشار الأسرة الجميلية على الداخل اللبناني وحسب، بل تعداه إلى الخارج العربي والمحيط العالمي، بعضهم انتقل إلى دمشق وأقاموا فيها، وهم فيها من الطائفة السنية، وبعضهم إلى حماه وحلب وتدمر والمنصورة والإسكندرية في مصر، ومنهم من هاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية وكندا، والفيليبين وفنزويلا وسائر دول أميركا اللاتينية.

وعلى ذكر مصر والهجرة إليها، يعزو آل الجميل سببها إلى حالة العداء التي أظهرتها الدولة العثمانية ضدهم عقب رحيل الجيش المصري عن لبنان ١٨٤٠. وكان آل الجميل قد ارتبطوا بعلاقات وثيقة مع المصريين من خلال ارتباطهم بالفرنسيين الذين أنشأوا المدارس في عينطورة وغزير وبكفيا. وكان أول الهاربين من حالة العداء هذه الشيخ أنطون الجميل، هجر وادي شاهين مسقط رأسه إلى مصر، وعمل أول الأمر بزراعة القطن في مدينة المنصورة، وكان مردود القطن كبيراً فأغناه. وبعد مضي سنوات أخذ يتردد على وادي شاهين كل سنة لقضاء فصل الصيف بين أهله وأنسبائه. وكانت شقيقته تزوجت الياس كنج الجميل ورزقت عدة أولاد كبيرهم كنج. وكان الشيخ موريس الجميل يصف جدة والده «أم كنج» بأنها امرأة قديرة وذات ذكاء حاد وجمال بارز. جارت الأيام على أبي كنج وكثرت ذريته وقلّ رزقه وصار كلما قام بمشروع تجاري تواكبه الخسارة حتى ذهب قوله مضرب مثل: «يا ربّ إن كان بعد عندك ضربات ودّي لكنج». فكان مثله مثل أكثر اللبنانيين الذي دفع بهم ضيق الحال إلى الهجرة في تلك الحقبة من تاريخ لبنان في عهد المتصرفية، فقصد كنج خاله إلى المنصورة واشتغل بزراعة القطن وتحسنت أحواله. وبقي فرع من عائلته في مصر منهم الشيخ فيليب الجميل الذي أصبح نقيباً لمحامي المحاكم المختلطة في الإسكندرية، وابنه كنج من أكبر الأطباء في مونتريال بكندا. ولما اشتد اضطهاد الدولة العثمانية للمناضلين الاحرار في لبنان غادر أبناء أبو علي (بشير يوسف طليع الجميل) أمين، ويوسف وخليل اسكندر إلى مصر، فلاقتهم شقيقتهم عفيفة امرأة الياس كنج بالترحاب، وبدأوا تجارتهم وأعمالهم.

حزب الاتحاد اللبناني

وما دمنا في مصر، فلا بد من الإشارة إلى الدور الذي لعبه آل الجميل في حزب الاتحاد اللبناني، وكان أنطون باشا من أهم من نشروا الدعوة إلى إنشائه، كما كان للشيخين يوسف وأمين الجميل دورهما الريادي في ذلك. والمعروف انه كانت توجد ثلاثة اتجاهات داخل صفوف الاتحاد اللبناني. الاتجاه الأول: اتجاه عربي وحدوي يتزعمه الاخوان إسكندر وداود عمون (أصبح أحدهما سفيراً للشريف حسين) والثاني: اتجاه يخاف من ذوبان لبنان في دولة عربية كبرى تفقده طابعه المميز وحريته. وهناك من يقول إن الخوف تعدى الذوبان في الدولة العربية الكبرى إلى الخطر من دولة صهيونية قد تنشأ على أرض فلسطين، لأن اليهود منذ ذاك الوقت كانوا يفاوضون السلطان لشراء الأراضي وإقامة مستوطنات عليها، وقد حصلوا من وزير خارجية بريطانيا بلفور على وعد

بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين عام ١٩١٧، وخوفاً من امتداد تلك المستوطنات إلى لبنان رأى بعض قادة الاتحاد ومنهم الشيخان أمين ويوسف الجميل أن ضمان لبنان يكون بجعله محافظة فرنسية على غرار ما كانت عليه الجزائر. واتجاه ثالث: استقلالي يتزعمه يوسف السودا وأنطون باشا الجميل، وهو الاتجاه الذي سيطر، وكان أساساً لما عرضته الوفود المتتالية برئاسة البطريرك الحويك في مؤتمر فرساي.

رئاسة تحرير الأهرام

كان هذا موقع أنطون باشا الجميل خلال الفترة الانتقالية المفصلية ما بين أواخر الاحتلال التركي، ومطلع الانتداب الفرنسي، إذ تبوأ منصب الأمين العام لحزب الاتحاد اللبناني «حزب أحزاب الحركة الوطنية» فجاهد من خلال موقعه لوضع لبنان المستقل بكيانه الخاص بعيداً عن مشاريع التبعية الفرنسية أو الإلحاق بالملكة العربية التي كانت مطروحة بقوة في تلك الفترة. كما جاهد من مصر الحرة من نير الحكم التركي مع يوسف السودا وداود بركات وحيدر المعلوف وسعيد سماحة وإسكندر عمون ومحمد تلحوق وحبيب يزبك وغيرهم من الوطنيين، من خلال توجه وطني غير طائفي لمحاربة الانضمام إلى السلطنة العثمانية وسقوط لبنان في حكمها المباشر. وفي الثلاثينات من القرن الماضي تولى أنطون الجميل رئاسة تحرير **الأهرام**، كما كان عضواً في مجلس الشيوخ المصري. توفي أنطون الجميل في منزله في الزمالك أثر نوبة قلبية في ١٣ كانون الثاني ١٩٤٨ قبل أن يحقق حلمه بالعودة إلى لبنان فيشيد بيتاً على رابية من روابي بلدته ليقضي أيام حياته مطلاً من هناك على بيروت من خلال الضباب الكثيف الذي كان يلبس بكفيا وأوديتها حلة رمادية قطنية تعزلها عن باقي بلدات الجوار.

إلى مختلف أصقاع الأرض

ولقد هاجر أبناء الأسرة الجميلية الى مختلف أصقاع الأرض، وتكاثر عددهم في بعض المدن كهيوستن تكساس حيث يضم نادي آل الجميل أكثر من ألف منتسب، بينهم عدد من المشاهير مثل: جو يوسف ضاهر الجميل الذي اكتسب شهرة واسعة في حقل المحاماة وعُرّف في **وال ستريت جورنال** الصحيفة الاقتصادية الأولى في العالم، بأنه تسلم أكبر دعوى في التاريخ بين شركتي بترول قيمة النزاع كانت ١٦ مليار دولار، وظلت الجريدة المذكورة تعطي تقارير يومية عن تطور تلك الدعوى لمدة سنتين في الثمانينات، فاشتهر اسمه وصار كل المحامين يذكرونه على أنه أكبر محام معروف في العالم.

ومن مشاهير المغتربين: جون الجميل والده مراد الجميل ولد في عين الخروبة ثم هاجر إلى أميركا وأصبح من كبار رجال الاعمال في هيوستن تكساس، طوّر ابنه جون أعماله في حقل البناء، وأصبح من كبار أثرياء أميركا. فقدر ثمن المنزل الذي كان يعيش فيه بخمسة ملايين دولار، وكان

يملك طائرتين خاصتين يستخدمهما لتنقلاته في أنحاء الولايات المتحدة وفي أميركا اللاتينية للإشراف على أعماله.

أكبر سوبر ماركت في أميركا

ومن مشاهير هذه الأسرة أيضاً: جو وألبرت وهاري الجميل، من أحفاد الخوري يوسف الجميل من وادي شاهين. هاجر والدهم قبل الحرب الكونية الكبرى الأولى، وعمل في تجارة المواد الغذائية، ثم طور أولاده تجارته فصار لديهم أكبر مخزن وأكبر سوبرماركت معروف في أميركا تتصدر الفواتير الصادرة عنه عبارة: «لا يهم أي بلد ينتجه فإنه موجود عندنا»؛ والمقصود أن أي إنتاج من المواد الاستهلاكية موجود في «سوبرماركت الجميل» مهما كان البلد الذي ينتجه، واتسعت شهرة السوبرماركت هذه إلى درجة أن مصنعي ألعاب الأولاد أدخلوه محطة مهمة في لعبة المونوبولي المعروفة، كونه أصبح أشهر سوبرماركت في أميركا.

ومن مشاهير العائلة أيضاً جو مايكل الجميل حفيد مخايل عبود من وادي شاهين، انتخب عضواً في مجلس نواب رود آيلند، ثم أصبح المراقب المالي العام في الولاية.

مشاهير في كندا

وفي كندا شغل الشيخ فيليب الجميل الذي هاجر والده من وادي شاهين منصب المراقب المالي العام للإتحاد الكندي في الخمسينات من القرن الماضي، وهو منصب يضاهي بأهميته منصب وزير المالية، لأن صلاحياته هي مراقبة وزارة المالية بكاملها في جميع أنحاء كندا بمن فيها وزير المال.

ومن المشاهير أيضاً وأيضاً الشيخ بطرس ميشال الجميل في كندا، حيث أنشأ معملاً لصناعة البلاستيك، ثم عمل مع بعض اللبنانيين والكنديين على إنشاء غرفة التجارة الكندية ـ اللبنانية في مونتريال وترأسها عدة سنوات. وما زالت الغرفة ناشطة في تنمية العلاقات الاقتصادية بين لبنان وكندا. وما لبث الشيخ بطرس أن وسع أعماله في ما بعد إلى رومانيا حيث أنشأ معملاً للمشروبات الروحية يعد أكبر معمل في تلك البلاد. وكان الشيخ بطرس قد بدأ أعماله في لبنان والدول العربية ممثلاً لشركة باير الألمانية ولعدة شركات أخرى، وأنشأ مع شركائه فروعاً لها في لبنان والإمارات العربية وغيرها من دول الشرق الأوسط.

وفنزويلا وباريس

وفي فنزويلا اشتهر المحامي كارلوس ابن أسعد الياس الجميل من وادي شاهين، وهي العائلة الجميلية الوحيدة المعروفة في فنزويلا.

وفي باريس اشتهر من آل الجميل في أواسط القرن الماضي الدكتور فؤاد ميشال الجميل

الذي قصد باريس في أواخر الأربعينات لدراسة الطب، وبعد تخرجه من معهد الطب في جامعة السوربون، وتخصصه بأمراض القلب عاون البروفسور عكر والبروفسور لونغر، وكان الثلاثة المرجعية الأولى في أمراض القلب لمدة حوالى عشرين سنة. وقد تقاعد الدكتور فؤاد وهو يعيش في باريس. وفي مانيلا التابعة لجزائر الفيليبين فرع آخر ينتمي إلى خالد خليل عون الجميل الذي سافر من وادي شاهين في أوائل القرن الماضي وترك لولديه فيليب وحليم ثروة عظيمة.

بيار الجميل و«حركة الكتائب»

وفي ثلاثينات القرن الماضي، وبالتحديد قبل المرحلة الاستقلالية وفي أثنائها وبعدها، برز اسم بيار الجميل مؤسس «حزب الكتائب اللبنانية». وترك أثره الكبير في وقائع ومجريات وأحداث تاريخ لبنان المعاصر، حيث وصل نجلاه بشير وأمين إلى سدة الرئاسة الأولى.

وفي تفاصيل هذه المرحلة، ذكر أن المفوض السامي الفرنسي دو مارتيل أعطى الضوء الأخضر في تنظيم وتدريب الشبيبة اللبنانية.. وانطلاقاً من هذا الضوء تمّ تأسس «حركة الكتائب» في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩٣٦، وحصلت المنظمة على ترخيص من الحكومة اللبنانية باسم اللجنة التأسيسية المؤلفة من بيار الجميل وجورج نقاش وحميد فرنجية وشارل حلو وشفيق ناصيف، ثم استبدل فرنجية بإميل يارد.

في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٦ كان البيان الأول لحركة الكتائب الذي نشرته جريدة **الشرق**، مرفقاً ببرنامج العمل، النظام الداخلي وصورة تمثل الأعضاء الخمسة المؤسسين. وشدد البيان المذكور على العمل خارج أي إطار سياسي ضيق، أو فئوي، مفسحاً في المجال لشباب لبنان، ومن مختلف الطوائف والمذاهب أن يعملوا من أجل الدفاع عن الحرية وتحقيق استقلال لبنان ضمن حدوده المعترف بها دولياً. وقد سعت الحركة لتحسين الوضع الاجتماعي للطبقات الشعبية، متواصلة من خلال عمل ديمقراطي منظم تحقيق العدالة الاجتماعية.

حركة رياضية

وانتشرت «حركة الكتائب» من خلال الشبكة الرياضية، وبخاصة فرق القدم، ووصل عدد أفرادها المنتسبين إلى أربعماية بعد نحو شهرين من انطلاقتها، معظمهم في بيروت جبل لبنان واختير لها لباس موحد: قميص كاكي، مع بنطال وبيريه كحليين. وقد فرض على كل منتسب الخضوع لدورة تأهيل لمدة شهرين... ويذكر أن الدكتور أمين الجميل والد بيار، كان أوجد شعار الحركة المعروف: اللـه ـ الوطن ـ العائلة، أما كرمز فقد اقترحه إميل يارد.

وعلى الرغم من تشديد الشيخ بيار على عدم تسييسها شهدت الحركة الفتية تجاذبات سياسية بين أعضاء لجنتها التأسيسية، فشارل حلو مرتبط بتيار بشارة الخوري، وجورج نقاش

بتيار إميل إدة، ما أدى في نهاية الأمر إلى ضغوطات فانسحابات، ولكن ذلك لم يكن كافياً لفك الروابط الأخوية في ما بين المؤسسين، فحافظ المنسحبون على تعاطفهم مع الكتائب.

لبنان علماني

وبعد سبعة أشهر من تأسيس الحركة، وجد بيار الجميل نفسه المستقل الوحيد بين رفاق الانطلاقة. وفي نيسان ١٩٣٧ عين قائداً أعلى للحركة، حيث راح يركز مساعيه، متحرراً من الأحزاب والتيارات السياسية القائمة آنذاك، على مناهضة النفوذ الديني الطائفي الذي برز بقوة منذ بدء الانتداب الفرنسي، على حساب التوجه الوطني. ومع رياض الصلح انصبت اهتمامات بيار الجميل على السبل الكفيلة بتغليب الاتجاه الوطني على الطائفي، فقد كان يرغب في الوصول تدريجاً إلى لبنان أكثر علمانية.

وفي تلك الفترة من العام ١٩٣٧ تم التركيز على التنظيم الداخلي للكتائب، فعين جوزف شادر أميناً عاماً، وعبدو صعب وجورج سعادة مسؤولين عن التنظيم، وأخذ موريس الجميل على عاتقه تنظيم القطاع العسكري للحركة، وتعميق فكرها السياسي. وتمّ اختيار العلم القيسي الأبيض تتوسطه الأرزة المثلثة علماً للكتائب. وكان على «الحركة» أن تأخذ موقعها السياسي في هذه الفترة، وقد تبلورت ميول أفرادها القومية اللبنانية، ففعلت، وحددت مواقفها اللبنانية المستقلة، وسط فريق لبناني يطالب بجعل لبنان مقاطعة فرنسية والآخر بضمه في إطار الدعوة إلى سوريا كبرى، ودعت الفقرة ٣٨ من قانون «الحركة» إلى لبنان مستقل وسيد نفسه وهو حليف وصديق لفرنسا.

صدامات واعتقال بيار الجميل

وعلى رغم العلاقات الجيدة بين الكتائب والمفوض السامي، نظم أفرادها تظاهرات ضد الشركات الفرنسية تحت شعار: التحرر الاقتصادي هو المقدمة الأولى لتحقيق السيادة الوطنية، فحصلت مواجهات مع الشرطة خلال تلك التظاهرات. ولكن أول الصدامات الفعلية مع السلطة المنتدبة كانت في ٢١ تشرين الثاني من العام ١٩٣٧ حيث أصرّ الكتائبيون على التظاهر في ذكرى تأسيس حركتهم، على رغم قرار المنع الذي أصدرته السلطات الانتدابية، ما أدى إلى مواجهات دموية بين الكتائبيين والجيش السنغالي، وأسفرت عن سقوط قتيلين وسبعين جريحاً بينهم القائد الأعلى بيار الجميل الذي اعتقل مع عشرة من رفاقه. وانحلت «الحركة» رسمياً، لكنها استمدت من ذلك الحادث قوة شعبية، والتفافاً حول قائدها الذي أفرجت السلطة عنه، وعن رفاقه المعتقلين، وسمحت من جديد بمتابعة نشاطها، وراح يرتفع عدد المنتسبين من مئات عدة إلى ألف منتسب عام ١٩٣٨ وإلى ٢٤ ألف منتسب عام ١٩٤١ إلى ٣٥ ألف عام ١٩٤٢ منتشرين في مختلف المناطق اللبنانية.

«الحركة» تتحول إلى حزب سياسي

في ٢٠ أيار عام ١٩٥٢ اتخذ القرار بتحوّل «حركة الكتائب» إلى حزب سياسي، فضلاً عن هيئة مركزية ضمت في أول عهدها نحو ١٢٠ عضواً. وكانت السمة الاجتماعية للحزب هي الطاغية، وبخاصة بعد المؤتمر الأول له عام ١٩٥٤، يومها أعلن بيار الجميل في خطابه بمناسبة عيد العمل: إن الأول من أيار هو عيد عائلي للكتائب اللبنانية، فأكثرية المنتسبين إليها ينتمون إلى الطبقة الكادحة من عمال وحرفيين وفلاحين. وقد تأكدت هذه السمة بأن اتخذ القرار في ما بعد وتحديداً في ٢١ شباط ١٩٥٦ بأن يصبح اسم الحزب: الكتائب ـ حزب ديمقراطي اجتماعي، لبناني، كما عهد إلى جوزف شادر ببلورة برنامج اجتماعي لم يؤكد فيه على الصراع الطبقي، لكنه جاء، بعد إقراره في مؤتمر الحزب عام ١٩٦٤ يحمل كل ما يؤهله لنيل رضى الطبقات الكادحة، وبخاصة الفلاحون.

الوحدة المصرية ـ السورية

أما على المستوى السياسي الوطني، فلم يكن الحزب في منأى عن اتخاذ المواقف السياسية الصعبة، وبخاصة في السنتين الأخيرتين من عهد الرئيس كميل شمعون الذي تسلم مقاليد السلطة في خريف العام ١٩٥٢. فقد عادت المخاوف على الكيان اللبناني الخاص المستقل تبرز من جديد مع قيام الوحدة المصرية ـ السورية، وتحرّك الشارع الإسلامي من جديد وبقوة تأييداً لتلك الوحدة وتعاطفاً مع الرئيس جمال عبد الناصر. فوقفت القيادة الكتائبية ممثلة بالشيخ بيار الجميل يومها إلى جانب الرئيس كميل شمعون وكذلك أكثرية الشارع المسيحي.

أحداث العام ١٩٥٨

ومع أن بيار الجميل ساند الرئيس شمعون حتى إكمال ولايته، غير أنه رفض المشاركة في أي من حكومات العهد الشمعوني. وفي مطلع عهد الرئيس فؤاد شهاب الذي تسلم مقاليد الحكم من الرئيس شمعون في ٢٢ أيلول ١٩٥٨ إثر ثورة مسلحة شنها معارضو الأخير، انتهت بنزول قوة من جنود البحرية الأميركية قرب بيروت في ١٥ تموز ١٩٥٨ أدت تفاعلات الأحداث إلى تقدم الكتائب إلى الواجهة. ففي اليوم نفسه الذي انتخب فيه اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية «تمّ تأليف وزارة جديدة من معارضي العهد السابق والمحايدين، برئاسة رشيد كرامي، أحد كبار زعماء الثورة، وأعلنت هذه الوزارة في الحال عن عزمها «على قطف ثمار الثورة»». فأثار إعلانها هذا نقمة الفئات الموالية للعهد السابق، بما في ذلك أكثرية المسيحيين، وحدث في اليوم التالي، أن اختطف الأديب والصحافي الكتائبي فؤاد حداد، وانتشرت الأخبار عن تعذيبه وقتله. فدعا حزب «الكتائب» على الفور إلى إضراب عام احتجاجاً على ذلك، وسرعان ما تطور إضراب ٢٣ أيلول كما تطور إضراب ٨

أيار (الذي دعت إليه الجبهة الوطنية المعارضة إثر مقتل الصحافي المعارض نسيب المتني) إلى ثورة مضادة وقفت في وجه الثورة الأولى. وهكذا عادت الأحوال فجأة إلى التدهور حتى أصبحت البلاد مهددة بحرب أهلية. وفي آخر الأمر تبين أن الوزارة الجديدة لن تتمكن من الحكم ما لم تتمثل فيها قوى البلاد الأخرى وعلى رأسها حزب «الكتائب» لذلك تألفت في ١٤ تشرين الأول وزارة ثانية من ٤ وزراء برئاسة كرامي يمثل الثورة فيها رئيس الوزارة ويمثل الثورة المضادة بيار الجميل رئيس حزب الكتائب. وكان العضوان الآخران في هذه الوزارة الحاج حسين العويني وريمون إدة عميد الكتلة الوطنية. وسارعت الحكومة إلى إطلاق شعار: لا غالب ولا مغلوب. منذ ذلك الوقت بقي بيار الجميل نائباً عن دائرة بيروت حتى وفاته. شارك بحكومة الإنقاذ الوطني عام ١٩٥٨ وظل مشاركاً في جميع حكومات العهد الشهابي مع بقائه على علاقة وطيدة مع كميل شمعون. في العام ١٩٦٨ انضم إلى الحلف الثلاثي مع شمعون وإدة لمواجهة النهج الشهابي والمكتب الثاني.

الوجود الفلسطيني

في العام ١٩٦٩ اتخذ القرار بالتسلح بعد انتشار الوجود الفلسطيني في لبنان بشكل واسع. وأنيطت مهمة التسلح الكتائبي منذ البداية بالشيخ بشير الجميل الذي راح يبحث عن مصادر تمويل لقواته. ثم عمد إلى شراء السلاح من الفلسطينيين أنفسهم، ومن الولايات المتحدة ومن إسرائيل أيضاً... وسعى لاحقاً إلى توحيد الميليشيات المسيحية وتشكيل «القوات اللبنانية» التي أصبحت تضم عشرة آلاف مقاتل.

وعلى خط آخر تابع بيار الجميل تمثيل الحزب، فالتقى عدداً كبيراً من القادة العرب في مقدمتهم الرئيس حافظ الاسد، والملك فيصل، والعاهل الأردني الملك حسين، عارضاً لقضية الوجود الفلسطيني المسلح على الساحة اللبنانية.

عين الرمانة وبداية الحرب

في ١٣ نيسان ١٩٧٥ كان المنعطف الخطير في مسيرة هذا الرجل السياسية، فبعد افتتاح الشارع الذي يحمل اسمه في منطقة عين الرمانة، شارك في تكريس كنيسة سيدة الخلاص، حينذاك فتح فدائيون فلسطينيون النار عليه وعلى مجموعة من مرافقيه فأردوا اثنين منهم، وتمكن هو من النجاة. وعلى الفور جاء الرد الكتائبي، فبعد ظهر اليوم نفسه أطلق الكتائبيون النار على حافلة تنقل فدائيين في عين الرمانة، ما أدى إلى مصرع ٢٧ فدائياً فلسطينياً.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ مسلسل الحرب اللبنانية أو الحرب في لبنان التي كان للكتائب ورئيسها دور بارز في مراحلها ونتائجها.

وثمة محطات ومفاصل تاريخية هامة في حياة العائلة الجميلية والوطن أبرزها انتخاب النجل الأصغر لبيار الجميل الشيخ بشير رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس الياس سركيس في ٢٣ آب

١٩٨٢، بعد الاجتياح الإسرائيلي لبيروت، ثم اغتياله في ١٤ أيلول من العام نفسه، أي قبل تسعة أيام من قسمه اليمين الدستورية، وانتخاب شقيقه أمين خلفاً له. وأخيراً وليس آخراً استشهاد الوزير الشاب (وزير الصناعة) بيار أمين الجميل في ٢١/١١/٢٠٠٦ . تلك المحطات وما رافقها من ظروف وأحداث وما مهد لها وتلاها يبقى للتاريخ وحده إظهار حقيقة وقائعها ودور أبطالها، وأحقية الحكم لهم أو عليهم.

من أعلام آل الجميل

البطريرك فيليبوس الجميل

هو الشيخ دانيال بن نصار بن مطر الجميل. ولد في العام ١٧٤٠ في بكفيا. رسمه عمه المطران الياس (الثاني) كاهناً عام ١٧٧٤ محتفظاً باسمه. تسلم رئاسة دير سيدة البشارة ـ شويا بعد وفاة عمه عام ١٧٧٩. أقامه البطريرك يوسف اسطفان وكيلاً عاماً على أبرشية قبرص، وعهد إليه بإدارة دير مار يوحنا ـ زكريت، فأحسن تدبيره وإدارة أملاكه وإصلاح شؤونه الأدبية والمادية. ورقي إلى مطرانية قبرص عام ١٧٨٤ باسم فيليبوس.

لما توفي البطريرك مخايل فاضل سنة ١٧٩٥، اجتمع الأساقفة في دير سيدة بكركي في ١٣ حزيران ١٧٩٥ وهم: جرمانوس دياب، مطران حمص، وبولس اسطفان، مطران جبيل والبترون، وأغناطيوس الخازن، مطران طرابلس، وبطرس مبارك، مطران بعلبك، وجرمانوس الخازن، مطران دمشق، والمطران يوسف نجيم والمطران يوحنا الحلو، مطران عكا، والمطران يوسف التيان، والمطران فيليب الجميل، وتغيب عن الحضور المطران جبرايل كنيدر أسقف حلب فلم يحضر لمانع شرعي، واتفق الجميع على أن يرشحوا للبطريركية المطرانين يوحنا الحلو وفيليب الجميل. حصل الانتخاب وفاز المطران الجميل فصار بطريركاً.

وفي السادس عشر من حزيران ١٧٩٥ كتب البطريرك الجديد والأساقفة وأعيان الطائفة، والأب العام للرهبانية المارونية إلى الحبر الأعظم والمجمع المقدس، يلتمسون التثبيت والدرع المقدس للبطريرك المنتخب. ومما جاء في رسالة البطريرك الجميل: «أعرض لقداستك أنه في سابع عشر من أيار ١٧٩٥ سرّ الاله العلي أن ينقل إليه مار ميخائيل بطرس فاضل، سالفي المنتخب بطريرك إنطاكيا على الطائفة المارونية الشريفة، فبعد فراغ الجناز واحتفالات الدفن أعطي له لحد شريف، وفي اليوم التاسع من ذلك، اجتمعنا نحن المطارنة والأسقفة أولادك في دير سيدة بكركي لانتخاب بطريرك جديد الذي تمّ فعلياً حسب سنن المجمع اللبناني، بواسطة القرعة القانونية التي وقعت على شخصي الضعيف، كما يتحقق ذلك من المكتوب المرسل حالاً مع إخوتي المطارنة والأساقفة أولادك لقداستك. فلئلا أخالف المسرة الالهية وإرادة إخوتي، فاقتبلت على ذاتي ثقل رئاسة هذا الكرسي الإنطاكي المنيف برجاء وطيد». وأضاف: «إن القديس بطرس هامة الرسل يهبني تلك الخدمات الضرورية للقيام بكذا وظيفة، وأن يمنحني أيضاً روح

الحكمة والتدبير الصالح لكيلا أكون مداناً حين أظهر أمام عرض حبر الأحبار الذي اتكل على نعمته وصلوات طوباويتك المقدسة، وسأكمل بكل نشاط إلزامات وظيفتي من الرعاية والتدبير للأنفس المفتداة بالدم الإلهي الثمين، مخلصنا يسوع المسيح وأفعل كل ما يؤول لخلاصها، وبما إني عارف ومعتقد بالحقيقة أن قداستك هي خليفة مار بطرس هامة الرسل الذي قبل له من مخلصنا يسوع المسيح: وأنت حين ترجع تثبت إخوتك، وأنت هو الحبر الأعظم ونائب المسيح على الأرض، وموضوع الحقائق الإلهية وأساسها، ومركز الإيمان الكاثوليكي الرسولي. فمن ثم أقدّم ذاتي بعبوديتي هذه لقداستك، وأعاهد معاً أمام منبرك السامي بالخضوع التام والطاعة الواجبة لسلطتك الرسولية، وبتتميم كامل لجميع أوامر ومناشير الكرسي الرسولي. ولأني عارف أن قداستك هي الصخرة الحقانية الثانية التي لا تتزعزع».

ويتابع البطريرك رسالته: «فعلى هذه الصخرة وضعت كل اعتقادي حتى إذا استضاءت بشعاع تعاليمك يمكنني السلوك بموجب إرشاداتك المقدسة. ولكي أقدر أن أتمم بالكمال إلزاماتي وكل ما يخص وظيفتي، أسأل حنوك الابوي وغيرتك الرسولية بأن تفعمني من البركات وتمدني بالمعونات المقدسة، وتشرفني بعلامة الاتحاد والارتباط مع إخوتي البطاركة أولادك، أعني أن تمنحني الدرع المقدس، ومعه كافة الإنعامات والمواهب المعتادة، أن تعطي من فيض كنوزك الروحية التي لا تفرغ، كعادة سلفائك المغبوطين لسلفائي. ولكي أعمل بالتمام ما يجب علي، فإني وجهت الاب أرسانيوس قرداحي راهب مار أنطونيوس من مجمع الحلبيين قاصداً من قبلي نحو سدّتك الرسولية ليقدم لقداستك طاعتي الكاملة وخضوعي التام، وقد أصحبته بكتابات مع صورة اعترافي بالإيمان ليعرض جميعها على مجمعك المقدس». وختم رسالته بالقول: «فأرجو إذاً من حنوك العميم ورأفتك الغزيرة أن يحصل على القبول التام والإكرام الزائد، وأن تتنازلوا إلى كل ما يقدمه المذكور بكل احترام واعتبار».

كتب في دير سيدة بكركي من معاملة كسروان في ١٦ حزيران ١٧٩٥.

على أن هذه الدرع المقدسة والبراءة الحبرية بالتثبيت لم تصلا إلى المغفور له البطريرك فيليبوس الجميل إلا بعد وفاته. وكانت مدة بطريركية عشرة أشهر، إذ عاجله الموت في الثاني عشر من شهر نيسان سنة ١٧٩٦، ودفن في دير سيدة بكركي، وهو أول بطريرك ماروني يدفن في هذا الصرح بعد أن حوله إلى مقر بطريركي.

أمين الجميل (الحكيم)

هو ابن بشير بن يوسف بن طليع الجميل، ولد في ١٥ أيار ١٨٦٧. تلقى علومه الابتدائية في مدرستي مار عبدا واليسوعية، وعلومه العالية في مدرسة عين طورا التي تخرّج فيها عام ١٨٨٤. ودرس الطب في مدرسة بيروت الفرنسية وتخرّج فيها عام ١٨٨٨.

سافر إلى باريس عام ١٨٨٩ لمتابعة علومه الطبية. ومن العاصمة الفرنسية راسل جريدة **البشير** في بيروت. وبعد أن عاد إلى لبنان مارس مهنة الطب في بلدته بكفيا، فضلاً عن اهتمامه

بالمشاريع الصحية والعمرانية. وسعى مع الشيخ أمين الحاج نصار وحنا السودا وحبيب بك زلزل لإنشاء بلدية في بكفيا، ونجح في مسعاه، وتولى رئاستها ردحاً من الزمن ومن أعماله العمرانية أنه اقترح على المتصرف نعوم باشا إنشاء طريق عربات بكفيا ـ بعبدا، والمروج ـ زحلة، كما اقترح إلباس الجند اللبناني النسيج الوطني المعروف بـ «الديما». فوافق الباشا على اقتراحه وحققه. وفي العام ١٩١٠ نزل إلى بيروت لتعليم أولاده وأقام فيها: حيث اهتم بالجمعيات الخيرية، وبخاصة جمعية القديس منصور دي بول الذي تولى رئاستها، وجمعية الأطباء والصيادلة، وأخوية القديس يوسف المارونية، وأسس أيضاً جمعية أصدقاء الأشجار، وتولى في مختلف هذه الجمعيات مسؤوليات ذات شأن.

سعى بالتعاون مع الصحافي ابن بلدته شكري الخوري صاحب جريدة **أبو الهول** البرازيلية إلى إقامة تمثال للشيخ إبراهيم اليازجي في إحدى ساحات بيروت، وإقامة تمثالين آخرين للمطرانين يوسف الدبس وطوبيا عون، كما سعى لإطلاق أسماء عظماء الوطن على شوارع العاصمة، ولإقامة المؤتمرات الطبية، ومدارس للقابلات وطب الأسنان، فتكللت مساعيه بالنجاح. وكان له اهتمامات بتعزيز البلديات وشق الطرقات وغرس الأشجار. ونال وسام المعارف الفرنسية، ووسام اللجيون دونور الذي علقه على صدره الجنرال غورو في كلية الطب اليسوعية.

نقم عليه الأتراك بسبب تعاطفه مع الحركات القومية العربية، فتلقى تهديداً مباشراً مع عائلته. وقد نصحه والي بيروت العثماني (وكان أحد زبائنه) بضرورة مغادرة لبنان، وأعلمه بنيّة السلطات التركية بإعدامه شنقاً بتهمة الخيانة. فغادر إلى مصر ولحقت به عائلته في ما بعد.

عرضت عليه مديرية الصحة في عهدي جورج بيكو والكومندان ترابو حاكمي لبنان أثناء الانتداب الفرنسي فرفض انسجاماً مع رغبة والده الشيخ بشير الذي لم يكن يفتأ يحذّر بنيه من خدمة الحكومة. وقد أوفدته الدوائر الاقتصادية رسمياً إلى مصر سنة ١٩٣٠ لتشجيع أهلها على الاصطياف في لبنان. له مواقف خطابية عدة ومقالات متنوعة في المواضيع الصحية والأدبية والعمرانية والأخلاقية والاجتماعية في مختلف الجرائد والمجلات العربية، كما في بعض الصحف الفرنسية. توفي في العام ١٩٤١. وله مؤلفات منها:

- **في علم الصحة** (أول كتاب نشره عام ١٨٩٥) ثم اختصره في كتاب أسماه: **قانون الصحة** وطبع منه ألوف النسخ ونفدت بكاملها.
- **كتاب الصحة والطب في الكتاب المقدس** (باللغة الفرنسية).
- **تصحيح القطر المصري.**
- **علم الصحة والطب في خدمة الشفقة.**
- **التضحية بطلها يوسف الشنتيري.**
- **في غياب الطبيب.**
- **نداء جمعية أصدقاء الأشجار.**

جنفياف الجميّل الأم

في العام ١٩٦٠ تعرض الشيخ بيار الجميل لحادث أثناء قيامه بزيارة لأحد المصانع بصفته وزيراً للأشغال العامة. توقع الأطباء أن يمضي سنة كاملة في السرير، فقررت زوجته السيدة جنفياف عندها أن ترسل ولديها بالرغم من صغر سنهما إلى مدرسة الآباء اليسوعيين الداخلية. وتصف جنفياف هذه الفترة بالصعبة، إذ كان عليها وحدها أن تتخذ القرارات من دون استشارة زوجها المريض. لم يكن أمين يثير المشاكل، إلا أن بشيراً كان مصدر المتاعب لوالدته، فلم يكن يمضي يوم من غير أن يستدعيها الأب المسؤول ليناقش معها عدم انضباط ابنها الأصغر. والواقع أن بشيراً كان «عفريتاً صغيراً» حقيقياً مجبولاً بالمروءة والطيبة، غير أنه غالباً ما يسترسل في الشقاوة إلى حد لا يُحتمل. تلك الأحداث المتكررة قادت السيدة جنفياف إلى خلاف نهائي مع الآباء اليسوعيين الذين لم تكن لهم يوماً أي ودّ، خلافاً لبيار زوجها، لذلك اتخذت من تلقاء نفسها قرار تسجيل بشير في مؤسسة الأب خليفة التي كانت تعتمد نهجاً تربوياً متساهلاً وفر الأجواء الملائمة لتنضج شخصية الولد.

في هذه الأثناء كان أمين قد أصبح في سن أخذ من خلالها يتقرّب أكثر فأكثر من خاله الشيخ موريس الذي جعل منه ابنه الروحي داخل الحزب (الشيخ موريس لم ينجب سوى بنتين). ومن القرارات التي اتخذتها لوحدها ومن دون استشارة بيار، تنظيف قبو منزل بكفيا العائلي العريق في القدم. هذا القبو ظل مقفلاً لزمن طويل فاحتلته الرتيلات والثعابين والجرذان وكان محرّماً على الأولاد دخوله بعدما استخدم لفترة للأغراض العتيقة على مدى الأجيال التي تعاقبت تحت سقف ذلك المنزل القديم من تشييده عام ١٦٣٠ تمكنت من تحويله إلى صالة رائعة مساحتها ٥٠٠ متر مربع تنعقد فوقها قناطر تعود إلى أجيال ... واللافت المدهش في آن أنه بالرغم من نمط عيشها البورجوازي ظاهرياً كانت تراودها أحلام اكزوتيكية أكثر مما كانت تميل إلى الرفاهية والترف. لم تشعر بأي إعجاب أو انبهار خلال زياراتها القصيرة لفرنسا وإنكلترا وإيطاليا، بل توقفت كثيراً أمام مشاهد في الصين والهند وافغانستان والباكستان وليبيا. في الهند أجرت أحاديث ممتعة مع أنديرا غاندي حول حذاقة الشعوب الفقيرة وبراعتها، وفي الصين شدها إعجاب كبير إلى النساء اللواتي يخصصن يوماً من أسبوعهن لصنع بدلات للجيش الأحمر.

خطف بشير

في نهاية الستينات، وبموجب اتفاق القاهرة الذي وقعّه الرئيس شارل حلو تحوّل الفلسطينيون المتمركزون في لبنان إلى فدائيين. من لاجئين، أصبحوا مقاتلين وأجيز لهم حمل السلاح حتى في قلب المدن بحجة تدارك هجمات إسرائيلية محتملة. في تلك الفترة أوقف بشير على حاجز فلسطيني، ثم أعيد بعد ساعات إلى عائلته. تروي جنفياف حادثة

الخطف هذه بالقول: اتصلت على الفور ببيار في القصر الرئاسي حيث كان يشارك في مجلس الوزراء، فطمأنني قائلاً: نعلم أين يحتجزونه وسوف يعيدونه لنا قريباً».

حكي الكثير عن هذه السيدة، حفيدها فؤاد أبو ناضر قال: كانت تتمتع بموهبة خاصة في الرياضيات، وقامت يوماً بحل مسألة رياضية على الهاتف، بعدما عجز عنها جميع رفاق الشاب في الصف. وفي اليوم التالي، كان فؤاد الوحيد الذي توصل إلى الحل، فاضطر إلى الإقرار بمن استعان. فما كان من أستاذ الرياضيات إلا أن اتصل بالسيدة الجميل ليهنئها شخصياً.



انطوان الجميّل

(من كتاب الكتائب اللبنانية)

اليوم الأسود

في العام ١٩٧٦، يوم الاثنين التي تلا عيد الفصح، كان يوماً أسود على الجدة جنفياف، إذ جاء أحد أولاد شقيقها سليمان الجميل وأبلغها عن استشهاد أمين أسود في جبهة الفنادق. «أمونة» كما كانت تناديه تحبباً. وراحت تقول: إن موت أمونة صعقنا.. «كنا بكل بساطة نعيش في المدفن. ذلك المكان أضحى في نظر ماديس أشبه ببيت ابنها كنت أرى أن ابنتي تجد عزاء في الكوث إلى جانب ولدها. لذلك كنا نزور ضريحه يومياً برفقة خادمة شديدة التعلق بأمين الشاب لتنظيفه وفرشه بالزهور». منذ ذلك الوقت ارتدت جنفياف فسطاناً أسود، ليشير أبعد من المظهر، إلى حال حداد بحد ذاتها.

في شباط ١٩٨٠ قضت مايا ابنة بشير وصولانج الجميل الأولى وهي في شهرها العشرين. قتلت الطفلة في الأشرفية في انفجار سيارة مفخخة كانت تستهدف والدها. إن كان مقتل «أمونة» حطم الست جنفياف فموت مايا قضى عليها تماماً على حد قول أحد المقربين منها. في العام ١٩٨٢ يوم انتخب بشير رئيساً للجمهورية قالت لمن كانوا حواليها وسمعوها: «لست سعيدة لما حصل. لا أدري السبب. كان في غنى عن هذه المسؤولية».

وفي ١٤ أيلول ١٩٨٢، وكان يوم أربعاء اغتيل الرئيس بشير الجميل في انفجار حصل في بيت الكتائب في الأشرفية في قلب المنطقة المسيحية. منذ ذلك اليوم توقفت عن زيارة المدفن الذي تعودت أن تزوره كل يوم مع ابنتها ماديس: وقالت: صار المدفن في قلبي. توفيت السيدة جنفياف بيار الجميل، وكانت امرأة استثنائية، في ٢٠٠٣/٣/٢٧.



الشيخ بيار الجميّل

قيصر الجميل

فنان لبناني ورائد مبدع. ولد في العام ١٨٩٨ في قرية عين التفاحة المجاورة لبكفيا. درس في قرنة شهوان حتى العام ١٩١٢. ألف عادة كان يعاقبه عليها والده، وهي أنه كان دائماً «يخرطش» على كل ورقة تقع بين يديه. وأعجب به رئيس الوزراء الشيخ محمد الجسر فأرسله إلى باريس حيث درس ثلاث سنوات في أكاديمية «جوليان» (١٩٢٧ - ١٩٣٠). عاد إلى بيروت، وأول عمل أنجزه في محترفه هو نحت تمثال للملك فيصل، عاهل العراق، وصورة زيتية له رسمها سنة ١٩٢٥.

علم الرسم في عدة معاهد، أخصها مدرسة الحكمة في بيروت ودار المعلمين والمعلمات، ومدرسة البنات الجديدة، وعلم في معظم المدارس الرسمية التي كانت موجودة آنذاك. وأنشأ أول فرع لفني الرسم والنحت في الأكاديمية اللبنانية لمؤسسها أكلسي بطرس. تمرّس في الرسم على يد الفنان المعروف خليل الصليبي (الذي قتل عام ١٩٣٥). وسافر مرة ثانية إلى فرنسا لاستكمال تخصصه الفني. عمل تحت إشراف الفنانين: أبو جيهون وجان بول لورانس.

وحاز الجائزة الأولى في معرض «المستعمرات».

في العام ١٩٣٠ عرض رسومه في قصر الفن بباريس وبرع في رسم الوجوه والطبيعة اللبنانية. جال في عواصم أوروبا. وتخرج على يده رهط من فناني النصف الثاني من القرن العشرين. وأسهم في تأسيس جمعية الفنانين اللبنانيين للرسم والنحت، وانتخب أول رئيس لها عام ١٩٥٧. واشترك في تأسيس جمعية أهل الكتاب مع فؤاد أفرام البستاني.

ألف كتباً ووضع دراسات تتعلق بالرسم، وألقى محاضرات كثيرة تتعلق بالفن في المعاهد وفي الإذاعة اللبنانية. وأقام المعارض في لبنان وفي الخارج. وأحرز عدداً من الجوائز والميداليات.

كان حلمه أن يبني قصراً سماه «القيصرية» ولكن الموت فاجأه قبل أن يكمل بناءه. وفي متحفه في «القيصرية» آثار عديدة أبرزها: صورة الملك عبد الله الهاشمي، أمبراطور النمسا غليوم الثاني، الامير بشير الكبير، مجموعة «العري»، معركة عنجر، ودراسة عن الرسام الفرنسي دي لاكروا، وخواطر وقصص لبنانية.

درج على ترجمة انطباعاته رعشات ألوان، فكأنما عينه تأتمر بقلبه. أما مفهومه الفني فتراوح ما

بين الكلاسيكية التي فيها جذوره والانطباعية التي إليها يتوق. ومواضيعه قلما تكون دراماتيكية وهي مستوحاة إجمالاً من طبيعة بلاده. توفي قيصر الجميل عام ١٩٥٨.



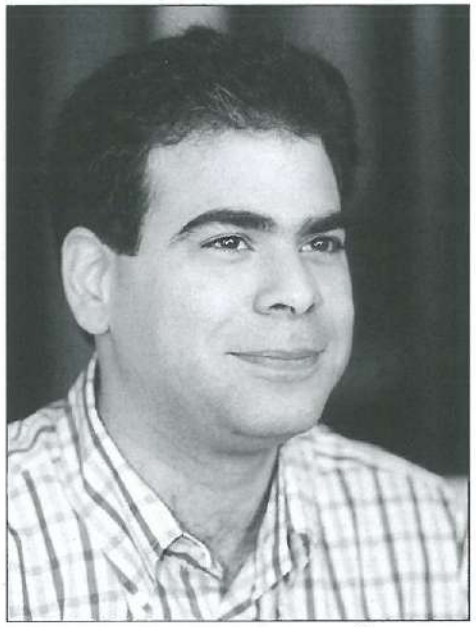
الشيخ بشير الجميّل

بيار الجميل

ولد في المنصورة (مصر) في ١ تشرين الأول ١٩٠٥. والده : أمين الجميل، ووالدته : مادلين زحيل. متزوج من جنفياف الجميل ولهما ستة أولاد : مادلين، كلود، أرزة (راهبة)، جاكلين، بشير الذي انتخب رئيساً للجمهورية في ٢٣ آب ١٩٨٢ واغتيل في ١٤ أيلول ١٩٨٢، وأمين (نائب في البرلمان، عضو المكتب السياسي الكتائبي. انتخب رئيساً للجمهورية بعد مقتل أخيه بشير في ١٤ أيلول ١٩٨٢، وتسلم سلطاته الدستورية في ٢٣ أيلول ١٩٨٢). تعلّم في مدرسة العائلة المقدسة في بيروت. وفي العام ١٩١٥ حكمت السلطات العثمانية على والده بالإعدام فرحلت عائلته إلى مصر.

بين عامي ١٩١٥ و ١٩١٩ استقر به الوضع في المنصورة (مصر)، وفي العام ١٩١٩ عاد إلى لبنان والتحق بمدرسة الآباء اليسوعيين وبقي فيها حتى عام ١٩٢٥. عام ١٩٢٢ تزعم عدة فرق طالبية، فأسس فرقة رياضية، كما أسس فرقة الكشاف اللبناني، وترأس الاتحاد اللبناني لكرة القدم. ونال شهادة الصيدلة من معهد الطب الفرنسي سنة ١٩٢٧ وسافر إلى أوروبا حيث عاد بكميات من الأدوية وأسس صيدلية الجميل. خلال زيارته لألمانيا وإيطاليا، وبعد حضوره مهرجان الأولبياد الرياضي في ألمانيا، تأثر «بمنظمة الشبيبة» فعاد وأسس حزب الكتائب اللبنانية عام ١٩٣٦ بالاشتراك مع شارل حلو وجورج نقاش وشفيق ناصيف واميل بارود. وانتخب رئيساً للحزب سنة ١٩٣٧، وفي ٢١ تشرين الثاني من العام نفسه، حلت سلطات الانتداب الفرنسي الحزب، وفي الأثر وقعت اصطدامات دامية بين الكتائب وقوى الأمن، وجرح ثمّ سجن بعد إلقاء القبض عليه.

في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ شارك في أحداث الاستقلال وتم اعتقاله. وفي ٢٢ من الشهر ذاته أطلق سراحه في الوقت الذي أفرج فيه عن معتقلي قلعة راشيا. قام بدور بارز في حوادث ١٩٥٨، وقاد الثورة المضادة للدفاع عن نظام كميل شمعون. وفي العام نفسه، اشترك في الحكومة للمرة الأولى وتسلم الوزارات التالية : الأشغال والنقل، التربية، الزراعة والصحة. وفي ٧ تشرين



الشيخ بيار أمين الجميّل

الأول ١٩٥٩ عين وزيراً للأشغال العامة والنقل. وفي عام ١٩٦٠، انتخب نائباً عن دائرة بيروت الأولى، وأعيد انتخابه في جميع الدورات الانتخابية حتى العام ١٩٧٢. وفي العام نفسه أصيب بحادث سيارة كاد يودي بحياته وبقي طريح الفراش لعدة شهور.

في أول آب ١٩٦٠ عين وزيراً للمالية. وفي ٢٠ أيار ١٩٦١ عيّن وزيراً للمالية والصحة. وفي ٣١ تشرين الأول ١٩٦١ عين وزيراً للأشغال ووزير دولة. وفي ٤ تشرين الثاني من العام نفسه، عين وزيراً للأشغال والنقل، وكلف مع وزير المال وضع الدراسات الرامية إلى تنظيم الشؤون المالية في البلاد. وفي ١٥ أيلول ١٩٦٢ تسلم حقيبتي الاقتصاد والتصميم بالوكالة. وفي ١١ كانون الأول ١٩٦٤ عين وزيراً للأشغال العامة والنقل. وفي ٩ نيسان ١٩٦٦ عين وزيراً للداخلية. وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٨ انضمّ إلى الحكومة الرباعية وعين وزيراً للداخلية والصحة العامة والبرق والبريد والهاتف. وفي العام نفسه شكل مع كميل شمعون وريمون إدة الحلف الثلاثي لمواجهة المد العربي في لبنان والنهج «الشهابي». وفي ٢٦ كانون الأول ١٩٦٩ عين وزيراً للأشغال العامة والنقل. وعام ١٩٧٠، ترشح لرئاسة الجمهورية ونال سبعة أصوات في الدورة الأولى. وفي الدورة الثانية سحب ترشيحه لمصلحة سليمان فرنجية.

بدأ هجومه العلني والمسلح على المقاومة الفلسطينية سنة ١٩٧٥ فكانت البداية مذبحة عين الرمانة (١٣ نيسان). وطيلة فترة الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥ ـ ١٩٧٦) بقي حزب الكتائب برئاسته سنداً حقيقياً للحكم، ما ساهم في خلق «الجبهة اللبنانية» (شمعون، فرنجية، الجميل). إلا أن هذه الجبهة تصدعت بعد الهجوم الكتائبي على إهدن ومقتل طوني فرنجية عام ١٩٧٨. وفي تشرين الثاني ١٩٧٥ كان عضواً في «هيئة الحوار الوطني» ولجنة الإصلاح السياسي المنبثقة منها. وطالب بتدويل القضية اللبنانية في ١٥/٣/١٩٧٦، وفي ٢٧ آذار من الشهر ذاته، أيد المبادرة السورية في لبنان. وزار دمشق في ٢١ تشرين الأول ١٩٧٧ وبحث مع الرئيس الأسد الوجود الفلسطيني في الجنوب وبيروت. وفي ١١ كانون الأول ١٩٧٨، عارض الوجود السوري في لبنان ودعا اللبنانيين إلى إيجاد وفاق فيما بينهم.

في أيار ١٩٧٩، أعلن عن عدم إمكانية وفاق لبناني ما دام هناك وجود فلسطيني في لبنان، وفي ٥ حزيران من العام نفسه نجا من محاولة اغتيال على مفرق عجلتون بواسطة عبوة فجرت

لاسلكياً، وأصيب بجروح في رأسه.

شارك في مؤتمري الحوار الوطني لحل الأزمة اللبنانية في جنيف (٣١/١٠/١٩٨٣)، وفي لوزان (٢١/٢/١٩٨٤) وبعدها شارك في خلوات بكفيا للغاية نفسها. وعين وزيراً للصحة والشؤون الاجتماعية، والبريد والاتصالات، في حكومة «الاتحاد الوطني» برئاسة رشيد كرامي، التي تألفت بتاريخ ٣٠/٤/١٩٨٤. توفي في ٢٩/٨/١٩٨٤ ودفن في بكفيا.

أمين الجميل

ولد في بكفيا عام ١٩٤٢. تزوج جويس تيان عام ١٩٦٢ ولهما ثلاثة أولاد: نيكول، بيار، سامي.

تلقى علومه الابتدائية والثانوية في مدرسة «سيدة الجمهور» للآباء اليسوعيين. ثم تابع دراسته الجامعية في معهد الحقوق الفرنسي التابع للجامعة اليسوعية في بيروت، ونال الإجازة في الحقوق عام ١٩٦٥. نال شهادة في قيادة الطائرات سنة ١٩٦٤. ومارس المحاماة في مكتبه الخاص بعد التخرج. وهو يتقن، إضافة إلى العربية الفرنسية والإنكليزية. انتسب إلى حزب «الكتائب اللبنانية» عام ١٩٦١، وعمل في صفوفه منذ أن كان طالباً حتى أصبح مسؤولاً سياسياً. انتخب نائباً عن المتن عام ١٩٧٠، بعد وفاة خاله موريس الجميل. وأعيد انتخابه عام ١٩٧٢ عن الدائرة نفسها. وفي العام نفسه عينه الحزب رئيساً لاقليم المتن الشمالي.

تصدى للرئيس رشيد الصلح لدى إعلانه بيان استقالته من الوزارة الذي اتهم فيه «الكتائب» بحادث عين الرمانة (١٣ نيسان ١٩٧٥)، الذي فجر الحرب الأهلية اللبنانية. مؤسس ورئيس مجلس إدارة جريدة *Le reveil*، وأسس «بيت المستقبل» الذي ضم قبل اندثاره مؤسسات علمية عدة منها: مركز البحوث والإنماء، ومؤسسة الدراسات الاستراتيجية، ومركز المعلوماتية.

انتخب رئيساً للجمهورية في ٢١ أيلول ١٩٨٢، عقب اغتيال أخيه المنتخب بشير الجميل في ١٤/٩/١٩٨٢. وأصبح الرئيس الأعلى لحزب الكتائب اللبنانية بعد أن عمل على توحيده. وهو عضو في «تجمع ١٤ آذار».

بشير الجميل

ولد في بيروت في ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٧. تزوج صولانج توتنجي عام ١٩٧٧، ولهما ثلاثة أولاد: مايا (قتلت في شباط ١٩٨٠ عن ١٨ شهراً في انفجار سيارة ملغومة)، ويمنى ولدت في كانون الأول ١٩٨٠، ونديم ولد عام ١٩٨٢. تلقى دروسه الابتدائية في معهد الآباء اليسوعيين (سيدة الجمهور)، والثانوية في المؤسسة الحديثة (الفنار). وتابع دراسته الجامعية في كلية الحقوق ـ الجامعة اليسوعية، ونال إجازتين في الحقوق والعلوم السياسية عام ١٩٧١. درّس مادة التربية المدنية في الصفوف المتوسطة والثانوية في «المدرسة اللبنانية الحديثة» بين ١٩٦٧

و ١٩٦٩. وفي العام ١٩٧٢، سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية ليتابع دراسته، لكنه عاد في أيلول من العام نفسه، وشرع بممارسة مهنة المحاماة إلى جانب عمله السياسي. ومع بداية الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥) أقفل مكتب المحاماة في شارع الحمراء وتفرغ للعمل العسكري. بدأ نشاطه الحزبي والسياسي في سن مبكرة داخل صفوف الكتائب. وفي العام ١٩٦٩ عين قائداً لفرقة عسكرية كتائبية، وبعدها أسس «فرقة بكفيا». في عام ١٩٧٠، أوقفته عناصر في المقاومة الفلسطينية في تل الزعتر، وأطلق سراحه بعد عدة ساعات بعد اتصال من كمال جنبلاط.

عيّن مديراً سياسياً لإقليم الأشرفية الكتائبي سنة ١٩٧٤. وفي ١٣ تموز ١٩٧٦ عيّن رئيساً للمجلس الحربي الكتائبي بعد مقتل وليم حاوي، قائد المجلس آنذاك. وفي ٣٠ آب ١٩٧٦ أنشأ «القوات اللبنانية» وعين رئيساً لمجلس قيادتها. وعام ١٩٧٦، وبعد دخول قوات الردع العربية إلى لبنان، انتقل إلى المنطقة الغربية من بيروت، واجتمع مع كمال جنبلاط في محاولة للتوصل إلى تسوية خصوصاً بعد إعلان تأييد برنامج الإصلاح الذي أعلنته «الحركة الوطنية».

في ١٣ حزيران ١٩٧٨ خطط لعملية الهجوم على بلدة إهدن (مقر الرئيس سليمان فرنجية) ونفذ العملية سمير جعجع، وأدت المجزرة إلى مقتل النائب طوني فرنجية مع زوجته وابنته، بالإضافة إلى ٣٥ شخصاً.

وفي ٧ تموز ١٩٨٠، قاد حملة تصفية ضد حزب «الوطنيين الأحرار» بهدف إحكام سيطرة الحزب الواحد في المناطق المسيحية. وكانت النتيجة نحو ٢٠٠ قتيل. وفي ١١ تموز ١٩٨٠، أنذر الأرمن بتسليم أسلحتهم بعد انصياع «جماعة حراس الأرز» و«جماعة الباش مارون» لهذا القرار. وفي ٣١ تشرين الثاني ١٩٨٠، قاد حملة تصفية ضد مواقع «الوطنين الأحرار» في عين الرمانة التي يتزعمها إلياس الحنوش (الحنش)، وأدت إلى إخراجه مع محازبيه من المنطقة وكذلك إخراج الجيش اللبناني. وفي العام ١٩٨١، أصبح عضواً في «الجبهة اللبنانية».

في ١٤ حزيران ١٩٨٢، إبان الاجتياح الإسرائيلي، اختير عضواً في «هيئة الإنقاذ الوطني» التي تشكلت برئاسة إلياس سركيس وعضوية كل من : شفيق الوزان، فؤاد بطرس، نصري المعلوف، وليد جنبلاط، نبيه بري. وفي ٢٥ تموز ١٩٨٢، أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وفرض الحصار على مدينة بيروت، أعلن ترشيحه لرئاسة الجمهورية (وكان زار المملكة العربية السعودية في ١٩٨٢/٧/١ بدعوة من وزير خارجيتها سعود الفيصل). وفي ٢٣ آب ١٩٨٢، انتخب رئيساً للجمهورية في الدورة الثانية ونال ٥٧ صوتاً من أصل ٦٢ صوتاً حضروا الجلسة. وجرى الانتخاب داخل ثكنة الفياضية العسكرية وبعد تأخير جلسة افتتاح الانتخاب نحو الساعتين ونصف الساعة لاكتمال النصاب. وقد قاطع هذه الجلسة ٣٠ نائباً فضلاً عن الحكومة بشخص رئيسها والوزراء المسلمون.

وفي ٣٠ آب ١٩٨٢، قدم استقالته كقائد لـ «القوات اللبنانية». اغتيل في ١٤ أيلول ١٩٨٢ داخل بيت الكتائب في الأشرفية بعد تفجيره بنحو ٢٠٠ كلغ من مادة الـ ت.ن.ت. وقد وضع العبوة حبيب الشرتوني العضو في «الحزب السوري القومي الاجتماعي».

بيار أمين الجميل

من مواليد بكفيا في ٢٣ أيلول ١٩٧٢ (وهو النجل الأكبر للرئيس أمين الجميل) والدته : جويس تيان. وأشقاؤه : نيكول و سامي. متزوج من باتريسيا الضعيف من زغرتا في ١٩٩٩/٩/٢٥ ولهما : أمين والكسندر. تلقى علومه في مدرسة الفرير (الشانفيل) في ديك المحدي ، وفي المدرسة اليسوعية في نيس بفرنسا. نال إجازة في الحقوق من جامعة الحكمة.

وانتخب نائباً عن دائرة جبل لبنان الثانية (قضاء المتن) في دورة العام ٢٠٠٠ ونال ٣٥٩٩٨ صوتاً. وأعيد انتخابه عن المتن في دورة ٢٠٠٥ ونال ٢٩٤٢١ صوتاً. وعين وزيراً للصناعة في الحكومة التي شكلها فؤاد السنيورة في ٢٠٠٥/٧/١٩.

اغتيل في ٢٠٠٦/١١/٢١ مع مرافقه الشخصي سمير الشرتوني في محلة الجديدة شرقي بيروت.

المراجع

١ - **تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ أسرها**، تأليف الشيخ إدمون بليبل، ١٩٣٥.
٢ - **عائلة الجميل. لمحة تاريخية**، تأليف عبد الله حشيمة. (د.ت).
٣ - **كشف النقاب عن بقعة بيت شباب**، تأليف الأب غبريل الشبابي، العقيبة، ١٩٦٣.
٤ - **سلالة الجميل (الأسرة العمادية)**، تأليف أمين جورج الجميل.
٥ - **حزب الاتحاد اللبناني ولبنان الكبير**، تأليف الدكتور برجيس الجميل.
٦ - **تاريخ لبنان الحديث**، تأليف الدكتور كمال الصليبي، دار النهار، ١٩٦٧.
٧ - **رحلة في جذور التاريخ (آل الجميل)** ملف من ١٤ حلقة أعده الصحافي انطون شعبان ونشره في جريدة «**الديار**» اللبنانية من ٨ شباط ١٩٩٩ إلى ٢٤ شباط.
٨ - ملف إضافي توضيحي حول ملف آل الجميل كتبه المحامي أنطون الجميل ونشره في «**الديار**» في ٩ آب ١٩٩٩.
٩ - جريدة «**السفير**» - المركز العربي للمعلومات - قسم الشخصيات.

آل فرنجية

من الثابت تاريخياً أن الصليبيين الذين لم يستطيعوا اللحاق بإخوانهم بعد رحيلهم عن الشرق، اثر تغلب العرب المسلمين على الديار الشامية، لجأوا إلى لبنان واعتصموا به، واختلطوا مع سكانه اختلاطاً حقيقياً. ونسوا على توالي الأيام أصولهم بحيث لم يعودوا يذكرون إلا أنهم موارنة أو غير موارنة. والأسماء الفرنجية التي ما تزال موجودة إلى الآن في بلادنا، وبخاصة في لبنان الشمالي مثل: دوكيز (Deguise) وشنبور (Chambourd) ودبليز (Deblise) ودويهي (Le Douai) وبرنس (Prince) وباسيل (Basile) وسواها من الأسماء تحولت إلى أسر وعائلات كبيرة شاركت في بناء لبنان ونهضته السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية على مدى عقود طويلة. وعائلة فرنجية من هذه العائلات، وهي أسرة مارونية عريقة عاشت في إهدن منذ القرن الثالث عشر.

وإهدن بلدة قديمة جميلة الموقع، هواؤها عليل وماؤها سلسبيل، والإهدنيون أحبوا بلدتهم وعشقوها، بل تباروا في حبها وعشقها فنسجوا حولها أخباراً وقصصاً هي أشبه بالأساطير منها: أن إهدن هي «موطن آدم أبي البشر» وأنها «جنة عدن أو الفردوس الأرضي». وروى البطريرك إسطفان الدويهي أعلم مؤرخي الطائفة المارونية: «يظن أن اللـه غرس الفردوس أو جنة عدن الأصلية في وادي إهدن» لان حزقيال يقول: إن أرز لبنان كان في جنة اللـه. وإهدن كانت تعرف قديماً بعدن تشيلاسار اي جنة الدائرة، وهي كثيرة المياه والأشجار يخرج من شرقيها نبع بارد هو القسم الثاني من نهر ابي علي المار وسط طرابلس».

وإهدن اعطت لبنان والطائفة المارونية ٦ بطاركة و٣٥ مطراناً، وفيها بنيت أول كنيسة مارونية، هي كنيسة مارماما، وقد شيدت على أنقاض هيكل وثني. كما أعطت نواباً ووزراء ورؤساء جمهورية.

في هذه الأرض التي أنعم اللـه عليها بهذه الآلاء والهبات عاشت أسرة فرنجية، ونمت وتجذرت في إهدن كما في زغرتا التي تأسست في القرن الخامس عشر لتمكين الأهالي من تمضية فصل الشتاء في مناخ أكثر اعتدالاً من مناخ جبلهم العالي. ولم يذكر المؤرخون الكثير عن منشأ هذه العائلة وتكونها، ما ذكر أنه حوالى العام ١٧٦١ جاء إهدن طبيب فرنسي يدعى جان، وحمل لقب الدكتور جان الفرنجي، وأورث اللقب لأسرته من بعده. وما ذكر أيضاً أن «أول مرة سمع فيها اسم فرنجية

في إهدن كانت زجراً. تضايق رجل من ولد حَرِك، فانتهره: إجمد يا ابن الفرنجية. لا يدري أحد اذا كان الولد جمد أم لا، إنما حمل اللقب، ومع الوقت، لم يعد اللقب بحاجة إلى تعريف، ثم صار اسماً وحل في زغرتا. هذه أسطورة أضيف إليها أن «الفرنجية» تلك جاء بها بعلها العدناني من بعيد، ليس بالضرورة من بلاد الفرنج، وقد تكون لقبت بالفرنجية لزرقة في عينيها أو بياض في وجهها أو شقار في شعرها. معظم «الفرنجيين» الذين صاروا موضع مراقبة فيما بعد، كانت عيونهم زرقاء من قبلان الجد إلى الحفيد. وفيهم كلهم تقريباً بياض إن لم يكن شقار يتراوح درجته...

ويروى عن الرئيس سليمان فرنجية قوله: إن إهدنية تزوجت صليبياً، ولكنه يجهل متى وكيف حصل ذلك. ويضيف «أن بلاطة كانت على أحد مدافن العائلة تحمل تاريخاً من أربعة أرقام، غير أن الزمن قرض الرقم الثاني، فبات بالإمكان قراءة هذا التاريخ مرتين: ألف ومئتان وكسور أو ألف وسبعمئة وكسور».

وفي مرجع آخر أن فتاة إهدنية تزوجت محارباً صليبياً فرنسياً، فسمي الأولاد المتحدرون من هذا الزواج بـ«أولاد الفرنجية» وهي كنية اكتسبتها زوجة الفرنجي من خلال هذا الزواج. ومع تواتر الاستعمال أصبحت العبارة الوصفية اسم العائلة الخاص، بآل فرنجية.

ويقول صاحب **تاريخ إهدن** القاضي سمعان الخازن: «عندما تبدد شمل الصليبيين، وكان لهم زعيم اقترن بامرأة إهدنية اسمها «غادة» لقبوها بالمرأة الفرنجية أي زوجة الفرنجي، ثم توفي زوجها تاركاً لها أولاداً صغاراً، صار الناس يطلقون عليهم «أولاد الفرنجية» ومنذ ذلك الوقت حملوا هذا الاسم، ولقبوا في وقت من الأوقات بلقب «أبو كانون» لاستعمالهم «الكانون» للتدفئة في الشتاء، وظلوا يحملونه إلى أواخر القرن الثامن عشر. ولهذه الأسرة فروع هي: أنطون، أبو شبل، أبو ضبوة، الحراق، حليس وغالب».

ويذكر سمعان الخازن بأن السلطان سليم عندما جاء إلى حلب استقدم إليها من لبنان بعض الأسر المسيحية، وقد نزح إليها مع من نزح فرع من أسرة فرنجية التي كانت موجودة في إهدن في ذلك الوقت. ولم يعط سمعان الخازن برهاناً ولا مرجعاً. ولكن الرئيس سليمان فرنجية أكد هذه الواقعة، مضيفاً انه اجتمع بأحفاد أولئك النازحين والتقى أحد أفرادها ويدعى أنور الياس فرنجية الذي انتخب عضواً في الاتحاد القومي عن مدينة حلب غداة الوحدة بين سوريا ومصر في العام ١٩٥٨.

وذكر أحد المراجع وجود فرع من آل فرنجية في النمسا، وأن الزواج حصل في أثناء الحملة الصليبية الأولى، وأن الجد الأول لهذه الأسرة رافق الكونت ريمون دي تولوز الذي شيد القلعة القائمة في طرابلس والتي تحمل اسم سان جيل شفيع أسرة تولوز. وبعد عقود من الزمن قام بعض أعقاب المحارب الصليبي الذي تزوج في إهدن، والذين باتوا معروفين باسم فرنجية بالهجرة إلى توسكانا في إيطاليا والاستقرار فيها. ويبدو أن عدة أفراد من هذه العائلة قصدوا في ما بعد الأراضي المقدسة، لكنهم انقسموا إلى فئتين: الفئة الأولى سلكت طريق البحر وعادت فعلاً إلى الأراضي المقدسة، ومن ثم إلى جبل لبنان، والفئة الثانية سلكت طريق البر وتوقفت في فيينا حيث استوطنت نهائياً.

كان هذا على صعيد النشوء والتموضع. أما على الصعيد السياسي فيبدأ وجود هذه العائلة بالظهور في المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر مع سليمان غناطيوس فرنجية، وكان من كبار ملاكي الاراضي آنذاك. وكان آل فرنجية مشهورين بأمرين: أصدقاؤهم يمدحون كرمهم، وأعداؤهم يخشون شجاعتهم. وقد جمعت بينهم وبين اكثر من عشرين أسرة إهدنية روابط الزواج، فقدمت لهم دعماً سياسياً مهماً في صراعهم مع زعماء المنطقة الإقطاعيين. ومع الزمن آلت هذه الروابط إلى جعل آل فرنجية وحلفائهم أكبر قوة إهدنية ـ زغرتاوية. ثم عندما أمكن أخيراً تخفيف نفوذ الإقطاعيين دخلوا معترك السياسة مع سليمان غناطيوس فرنجية الذي تقلد منصب ناحية إهدن. ولما كان مقبولاً من الاهالي، وأعاد النظام إلى نصابه في أنحاء المديرية، جدد له مظفر باشا عام ١٩٠٤. وعند وفاته عام ١٩٠٨ خلفه ابنه قبلان في المنصب نفسه.

أما أغناطيوس فرنجية وهو جد قبلان فكان شيخ صلح البلدة يفضّ مشاكل الناس ويستمعون إليه يروي وقائع المعارك التي خاضها في صفوف جيش يوسف بك كرم، تزوج مريم بنت الخوري جرجس يمين، ورزقا صبيين وخمس بنات: كبيرهم سليمان الذي ولد عام ١٨٤٦ وسمي باسم جده ثم تلاه يوسف. وبناته: ياسمين (على اسم جدتها) ذهبت إلى بيت مخايل حنا معوض. وكتور: كانت من نصيب كرم فرنسيس كرم. ومنتورا: اختارها سركيس عبود كعدو. وحوا: تزوجت بولس سمعان المكاري. ودورا: كانت حصة أبو ريا انطون. وهكذا اغناطيوس صاهر الضيعة كلها تقريباً.

يوسف ابن اغناطيوس تزوج ورزق سبعة أولاد مثل أبيه، ثلاثة صبيان وأربع بنات. ولده البكر رومانوس تزوج مرتين: في المرة الاولى توفيت زوجته دون أن ترزقه البنين. وفي المرة الثانية رزق ست بنات. شقيقا رومانوس: شيبان وأغناطيوس. شيبان ضاعت أخباره على ذمة سمعان الخازن. وإغناطيوس فرنجية تزوج بنت حنا بك معوض ورزق منها وحيدين:

قبلان وسلطانة. قبلان بن أغناطيوس فرنجية تزوج لمياء بنت الشيخ مخايل رفول من إجبع، ابنة أخ الاباتي يوسف رفول، رئيس عام الرهبانية اللبنانية المارونية، وحفيدة شقيق المطران أنطوان عريضة (البطريرك فيما بعد) فأصبح من خلال هذه المصاهرة أكثر قوة واستعداداً لمواجهة خصومه السياسيين. وشقيقته سلطانة تزوجت الشيخ قيصر طربيه من سبعل.

في العام ١٩١٥ نفي قبلان إلى أنقرة مع القافلة الأولى من زعماء لبنان. وفي العام ١٩٢٦، في عهد الانتداب الفرنسي ترشح للانتخابات، فحورب وأخفق، لكنه عاد وترشح ثانية، وفاز في العام ١٩٢٩. ولهذا الفوز حكاية رواها الصحافي باسم الجسر قال: «لما أطل حميد فرنجية على ميدان العمل ليناز ل حياة السياسة وهو في ميعة الشباب، أطل يحمل اسماً كبيراً ومهيباً فهو ابن الزعيم قبلان فرنجية (ابن البيت الزعيم في قومه) الذي كان يحب فرنسا الحب التقليدي الموروث، ولكنه كان يحب لبنان قبل فرنسا ويحب كرامة لبنان قبل فرنسا، ويأبى السكوت على مهانة وطنية، ولاسيما إذا جاءت من فرنسا ام الدنيا عموم... مع وجوب التذكير هنا أن القوم في ذلك الزمان، المتخلف سياسياً، سواء في لبنان أو في العالم العربي كله، ما كانوا متفقين على أن «الشيء» الذي يراه قبلان فرنجية «مهانة وطنية» هو مهانة حقاً. وبمفهومه الصحيح لمعنى الكرامة الوطنية وقف قبلان فرنجية وقفته التاريخية البطولية رافضاً إرادة موظفي الانتداب، إرادة كيفية،

في فرضهم نواباً يختارونهم من أنصارهم وعمالهم لتمثيل الشعب اللبناني في البرلمان. وفي ذلك الرفض الشجاع كان قبلان فرنجية أول زعيم مسيحي نادى في لبنان، وليس في الخارج، بأن تلك الإدراة الكيفية هي مذّلة، ثم جرؤ على أن يقول للانتدابيين لا.. وهو تحت رحمة سلطانهم المطلق الذي كان يعيد إلى اذهان المعمرين من آبائنا يومها ذكرى حكم السلطان العثماني عبد الحميد الملقب بالسلطان الاحمر. وعلى اثر صيحة قبلان فرنجية في وجه الانتدابيين قائلاً لهم: لا... مشت زغرتا البطلة الأبية زاحفة على بكرة أبيها، صغاراً وشيوخاً، نساء ورجالاً، إلى سراي طرابلس في حي التل حيث مركز الاقتراع لاختيار النواب، وأرغمت عمال الانتداب على عدم التزوير.

وكان ما أراده الزعيم قبلان فرنجية، وفاز بالنيابة قاهراً مرشح الانتدابيين، وكاسراً أنوف الذين أرادوا فرضه. وسجلت قصة من أروع القصص الوطنية هزت لبنان وسوريا، وترامى خيرها إلى البعيد».

نمت العائلة وكبرت، فانتسبت إليها عائلات أخرى، ولحقت بعض فروعها وجبابها ألقاب اشتهرت بها من الشمروخ إلى أبي قصب ومن أبي الحن إلى قليس إلى الجزار. وكل فرد من أبناء كل فرع من هذه الفروع يؤكد انه أقربها إلى الجذع الأساسي. والجذع الأساسي الذي تعاطى الشأن الوطني العام يبدأ بسليمان الأول.

- سليمان ولد له أغناطيوس (١٨٢١).
- أغناطيوس بن سليمان ولد له سليمان (١٨٤٧ ـ ١٩٠٨) ويوسف.
- يوسف بن أغناطيوس بن سليمان (الأول) ولد له رومانوس، شيبان وأغناطيوس.
- سليمان بن أغناطيوس بن سليمان ولد له قبلان.
- قبلان بن سليمان ولد له حميد وسليمان.
- حميد بن قبلان ولد له سمير، نبيل، قبلان.
- سليمان بن قبلان ولد له روبير وطوني.
- طوني بن سليمان ولد له جيهان وسليمان.
- سليمان بن طوني ولد له طوني وباسل.

أعلام من آل فرنجية

سليمان قبلان فرنجية

رئيس الجمهورية اللبنانية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٦). ولد في زغرتا في ١٥/٦/١٩١٠. والده: قبلان سليمان فرنجية، كان مديراً لناحية إهدن سنة ١٩٠٨ ونائباً في مجلس النواب (١٩٢٩ ـ ١٩٣٢). والدته: لمياء مخول رفول. شقيقه: حميد، أحد رجالات الاستقلال اللبناني الذي انتخب نائباً سنة ١٩٤٣، وصار وزيراً للخارجية سنة ١٩٤٩. زوجته: إيريس هندلي أرثوذكسية مصرية، وأمها يونانية الاصل. وقد تزوجها الرئيس فرنجية لدى كنيسة الأرثوذكس في دمشق. أما أولاده فهم:

لمياء زوجة رودريك الدحداح، وسونيا: زوجة النائب والوزير عبد اللـه الراسي، واسمها الأصلي: سلطانة. ومايا: زوجة المهندس فرانسوا مونارشا. وطوني النائب والوزير الذي اغتاله مسلحو حزب الكتائب في ١٣ حزيران ١٩٧٨ مع زوجته وابنته في إهدن. وروبير: وهو الابن الثاني للرئيس فرنجية الذي تولى قيادة «جيش التحرير الزغرتاوي ـ قوات المردة» بعد استشهاد أخيه طوني.

تلقى الرئيس فرنجية دراسته الابتدائية في مدرسة الفرير في طرابلس، والثانوية في مدرسة عينطورة. وخاض المعارك الانتخابية كلها لحساب أخيه حميد فرنجية، وتدخل شخصياً لدى عبد الحميد كرامي في انتخابات ١٩٤٣ ليقنع الزعيم الطرابلسي بأخذ أخيه حميد على لائحته.

اضطر ورينيه معوض إلى اللجوء إلى اللاذقية في سوريا على أثر حادثة مزيارة عام ١٩٥٧. وانتخب نائباً سنة ١٩٦٠، بعدما اقعد المرض شقيقه حميداً. ثم أعيد انتخابه في دورتي ١٩٦٤ و ١٩٦٨. وعين وزيراً للبريد والبرق والهاتف في حكومة الرئيس صائب سلام (١/٨/١٩٦٠ ـ ٢٠/٥/١٩٦٠)، ثم تولى الحقيبة نفسها في حكومة صائب سلام الثانية (٢٠/٥/١٩٦١ ـ ٣١/١٠/١٩٦١). في تلك الأثناء وقع الانفصال في الجمهورية العربية المتحدة في ٢٨/٩/١٩٦١، فأعلن سليمان فرنجية تأييده انفصال سورية عن مصر. وبرز اسمه كمرشح لرئاسة الجمهورية سنة ١٩٦٤، غير أن الأكثرية الشهابية فرضت الرئيس شارل حلو. فبادر إلى التحالف مع صائب سلام وكامل الأسعد لمحاربة الشهابية في تكتل سمي «تكتل الوسط». وعين وزيراً للداخلية في حكومة الرئيس عبد اللـه اليافي (٨/٢/١٩٦٨ـ ١٠/١٠/١٩٦٨) حين أشرف على الانتخابات النيابية التي اشتهرت بنزاهتها. وعين وزيراً للاقتصاد في حكومة الرئيس رشيد كرامي (٢٦/١١/١٩٦٩ـ ٣٠/٩/١٩٧٠).

انتخب رئيساً للجمهورية في ١٧/٨/١٩٧٠ بفارق صوت واحد عن خصمه الياس سركيس. وهو صاحب شعار «وطني دائماً على حق»، من مسلماته: عروبة لبنان ـ العداء المطلق لإسرائيل. وفي الانتخابات النيابية التي جرت في سنة ١٩٧٢ فاز ابنه طوني بالنيابة، وفاز صهره الدكتور عبد اللـه الراسي نائباً عن عكار، ثم لم يلبث طوني فرنجية أن عين وزيراً للبريد والبرق والهاتف في حكومة أمين الحافظ التي شكلها في ٢٥/٤/١٩٧٣، واستمر في الحقيبة نفسها في حكومة الرئيس تقي الدين الصلح (تموز ١٩٧٣) وحكومة الرئيس رشيد الصلح (تشرين الأول ١٩٧٤).

في ١٠/٤/١٩٧٣ قامت قوات كوماندوس إسرائيلية بقتل القادة الفلسطينيين الثلاثة (أبو يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر)، فتوترت العلاقة مع الفلسطينيين ومع الحركة الوطنية اللبنانية. ثم جرت في أيار ١٩٧٣ اشتباكات متفرقة بين الجيش والمقاومة الفلسطينية، فحدث فتور في علاقاته بسوريا بسبب هذه المجابهة. لكن حرب تشرين الأول ١٩٧٣ وتأييده القوي لسوريا أعادا العلاقات اللبنانية ـ السورية إلى حالتها الجيدة، فقامت بينه وبين الرئيس حافظ الأسد علاقة مميزة. وانتدبه رؤساء الدول العربية للتحدث أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة باسم العرب جميعاً، فكان خطابه في ١٥/١١/١٩٧٤ حيث حمل معه الملف الفلسطيني إلى الامم المتحدة، وجاء ذلك بعد توقيع اتفاقية ملكارت المكملة لاتفاقية القاهرة بين الجيش اللبناني

والمقاومة الفلسطينية.

في مطلع العام ١٩٧٥ استقبل الرئيس السوري حافظ الأسد في شتورا (البقاع). وعلى اثر قصف القصر الجمهوري، انتقل إلى بلدة الكفور في فتوح كسروان حيث ترأس جبهة الكفور وكانت المقدمة لإنشاء «الجبهة اللبنانية». وفي هذه الاثناء انشطر الجيش اللبناني، غير أن فرنجية الذي أذاع وثيقة لوقف الحرب عرفت بـ «الوثيقة الدستورية» في ١٤/٢/١٩٧٦، تمكن من المحافظة على علاقات جيدة بسوريا.

وقع ٦٦ نائباً وثيقة نيابية تطالبه بالاستقالة، لكنه رفضها في ١٣/٣/١٩٧٦ واستمر في الحكم. والتقى الرئيس حافظ الأسد في دمشق في ٧/٢/١٩٧٦ واتفقا على ضرورة إلغاء الطائفية السياسية في لبنان.

قام العميد الركن عزيز الأحدب في ١١/٣/١٩٧٦ بانقلاب عسكري ضد الرئيس فرنجية لم يؤد إلى أية نتيجة. وبدأ بتسليح «جيش التحرير الزغرتاوي» في آذار ١٩٧٦، ثم استدعى القوات السورية في حزيران من العام نفسه بناءً على طلب «الجبهة اللبنانية». وكان قبل ذلك (آذار ١٩٧٦) قد جرى انتخاب الياس سركيس رئيساً للجمهورية. وفي أيلول ١٩٧٦ سلم الرئاسة للرئيس الجديد. وقام بزيارة إلى سوريا في ٨/٢/١٩٧٨، ولعب دور الوسيط بين دمشق والجبهة اللبنانية، لكنه لم يلبث أن انسحب من الجبهة في ١١/٩/١٩٧٨، وأعلن في اليوم التالي استعداده لحل الخلاف مع رشيد كرامي.

في ١٣/٦/١٩٧٨ اغتيل ابنه طوني مع زوجته فيرا وابنتهما جيهان و٢٩ شاباً من إهدن. واتهم بشير الجميل بالتخطيط للعملية، وسمير جعجع بتنفيذها. اتهم في ٣١/٨/١٩٧٨ «الجبهة اللبنانية» بالتعامل مع إسرائيل وبالعمل لتقسيم لبنان، وأعلن تحالفه مع رشيد كرامي ووليد جنبلاط، ودعمه لقوات الردع العربية ومهمتها في لبنان. واشترك في تأسيس «جبهة الخلاص الوطني» التي ضمته ووليد جنبلاط ورشيد كرامي وثمانية أحزاب أخرى، والتي أعلن عن تأليفها في ٢٣/٧/١٩٨٣. واشترك في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف في ٣١/١٠/١٩٨٣ وفي مؤتمر لوزان في ١٢/٣/١٩٨٤. وعرض في المؤتمرين ورقة جبهة الخلاص الوطني، وهو أحد أعضائها، وتمسك بالامتيازات الطائفية. رفض الاشتراك في حكومة «الاتحاد الوطني» في ٣٠/٤/١٩٨٤ عبر ممثله عبد اللـه الراسي احتجاجاً على حصر تمثيل الموارنة بكميل شمعون وبيار الجميل. وكان من أشد المعارضين لانتخاب بشير الجميل لرئاسة الجمهورية، وعارض بقوة اتفاق السابع عشر من أيار ١٩٨٣، وحمل دائماً على السياسة الاميركية في المنطقة وفي لبنان بالتحديد:

ـ هوية لبنان وقوميته هي العروبة وحدها، هكذا ورثناه عن جدودنا وهكذا سيبقى.

ـ سياسة أميركا الخارجية مبنية على الدولار بالنسبة للتاجر وعلى الناخب بالنسبة للسياسي.

ـ إسرائيل تطمع في الجنوب وتخطط للاستيطان فيه. (التضامن، ٢/٦/١٩٨٤)

ـ أنا لم أعامل كيسنجر كوزير خارجية دولة عظمى كالولايات المتحدة الأميركية، بل



الرئيس سليمان فرنجية

عاملته كمواطن إسرائيلي. (الصياد، ١٩٨٤/٦/١٣)

- التاريخ سيسجل: أنا أول من وقف ضد ١٧ أيار.
- لا أوافق على إقامة تمثيل دبلوماسي بين لبنان وسوريا.
- مشروع كيسنجر مستمر: تهجير اللبنانيين وتوطين الفلسطينيين. (الاسبوع العربي، ١٩٨٤/٨/١٣)
- قناعتي الراسخة هي أن إسرائيل لا بد لها أن تنسحب من لبنان، بعدما كيل لها من ضربات موجعة بفعل المقاومة الوطنية اللبنانية. هذه حقيقة ثابتة سوف يسجلها ويذكرها التاريخ. (الصياد، ١٩٨٥/٣/٦)
- لا حل إلا بدخول الجيش السوري وتنظيف لبنان من عملاء إسرائيل. (الشراع، ١٩٨٥/٨/١٢)
- طرح مشروع «وثيقة الخلاص الوطني» مشدداً على استقلال لبنان وحريته وديمقراطية نظامه واقتصاده الحر وإرساء علاقته مع الدول العربية خصوصاً مع سوريا، واعتبار إسرائيل العدو التاريخي، ورفض توطين الفلسطينيين، واللامركزية السياسية وتعديل الدستور خصوصاً لجهة المشاركة في الحكم وتحديد صلاحيات مجلس الوزراء ورئيسه وزيادة عدد النواب وتعديل قانون الانتخاب في ضوء ذلك، وسن قانون الانتخاب وتوزيع المقاعد النيابية والوزارية بين المسيحيين والمسلمين. (العمل، ١٩٨٥/٩/٦)
- في الاتفاق الثلاثي بنود تمس سيادة لبنان. (الصياد، ١٩٨٦/٢/٥)
- المشروع المسيحي كتب في إسرائيل وفرضه عملاؤها على المجتمعين لإقرار مشروع لبناني لتسوية القضية اللبنانية. (السفير، ١٩٨٦/٥/٢٨)
- شرط الحاكم أن ينسى طائفته، وإذا لم يفعل على مجلس النواب أن يتحرك لمحاسبته. (السفير، ١٩٨٦/٣/١٩)

وجه إلى الرئيس حافظ الأسد نداء ناشده فيه التدخل من أجل إنقاذ لبنان على غرار ما فعل عام ١٩٧٦. وقال: «رجاؤنا أن تستعمل حكمتك وإذا لزم الأمر قوتك من أجل الإنقاذ». (السفير، ٨ تموز ١٩٨٧)، واستبعد عودة الحوار بين بعبدا ودمشق، مشيراً إلى أن علينا الانتظار أحد عشر شهراً لذلك، لأنه طالما هذا الرجل (رئيس الجمهورية أمين الجميل) في الكرسي فلا حوار بينه وبين الشقيقة سوريا. (السفير، ١٩٨٧/٩/٣٠). وترشح للرئاسة في سنة ١٩٨٨. توفي في ١٩٩٢/٧/٢٣.

حميد فرنجية



حميد فرنجية

ولد في ٦ آب ١٩٠٧ في إهدن. والده: قبلان سليمان فرنجية. ووالدته: لمياء ميخائيل رفول.

تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة الفرير في طرابلس، ثم دروسه الثانوية في مدرسة عينطورة، ودخل كلية الآباء اليسوعيين في بيروت ونال الإجازة في الحقوق في العام ١٩٣٠. بدأ ممارسة المحاماة في مكتب الشيخ بشارة الخوري، ثم أسس مكتباً خاصاً. في العام ١٩٣٣ شارك في تأسيس جريدة «لوجور» وكان من أبرز أقلامها. وفي العام ١٩٤١ تزوج من ابنة خالته برت شعراوي ورزقا قبلان وسمير ونبيل وماري كلود وزينة وليليان.

شب حميد فرنجية في بيت سياسي. جده سليمان وهو من وجهاء الشمال تولى مديرية ناحية إهدن في العام ١٩٠٤ في عهد المتصرف مظفر باشا، وتنحى عنها مختاراً لولده قبلان في العام ١٩٠٨. في العام ١٩١٥ نفي قبلان إلى أنقرة مع القافلة الأولى من زعماء لبنان. وفي العام ١٩٢٦ في عهد الانتداب الفرنسي ترشح للانتخابات، فحورب، وأخفق، لكنه عاد وفاز بالنيابة في العام ١٩٣٢. وانتخب نائباً للمرة الأولى في العام ١٩٣٢ عن منطقة الشمال، ولم يكن يتجاوز السابعة والعشرين من عمره. وتقدم آنذاك بمشروع لحماية اليد العاملة أقره المجلس.

في عهد نيابته الأولى تقدم مع سبعة من زملائه النواب هم: كميل شمعون، فريد الخازن، محمد العبود، ميشال زكور، صبري حمادة، الامير مجيد أرسلان بالمذكرة الاستقلالية التالية:

١ - وضع معاهدة تحدد الحقوق والواجبات من فريقي الوطنيين والمنتدبين.

٢ - الدخول في جامعة الامم حسب وعد السلطة المنتدبة.

في العام ١٩٣٧ فاز للمرة الثانية بمقعده النيابي نائباً منفرداً معارضاً، وإثر استعانة الحكومة الوطنية بالجيش الفرنسي بعد حوادث تشرين الاول قال في المجلس النيابي في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٧: «إذا تعودنا أن نطلب من الجيش المحتل أن ينزل إلى الشارع ليؤمن النظام فإننا سنتوصل حتماً يوماً من الأيام لنقول له: تعال وتسلم كل شيء في البلاد».

فاز في الانتخابات النيابية للمرة الثالثة في ٢٩ أيار ١٩٤٣ (عهد بشارة الخوري) في هذه الفترة وإثر اعتقال رئيس الجمهورية وأركان الحكومة واقتيادهم إلى قلعة راشيا، كان له اقتراح



طوني فرنجية

أعلن فيه: «نحن لا نزال الوكلاء الشرعيين للأمة، وأن لا مفاوضات قبل رجوع الأوضاع الدستورية إلى ما كانت عليه قبل ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ وأن كل مفاوضات في هذا الشأن يجب أن تكون بموجب المادة ٥٢ من الدستور اللبناني، واقر الاقتراح.

بعد أحداث ١٠ تشرين الثاني، وفي أول اجتماع عقده المجلس النيابي، اقترح «وضع تشريع يعاقب على الخيانة العظمى» وأقر الاقتراح بالإجماع. وفي ٢٥ أيار ١٩٤٧ فازت لائحته عن منطقة الشمال (١٢ نائباً) وكانت نيابته الرابعة. وفي ١٥ نيسان ١٩٥١ فاز بمقعده النيابي لخامس مرة. وفي العام ١٩٥٢ شارك في المهرجان الذي نظمته المعارضة في دير القمر والذي حضره: كميل شمعون، كمال جنبلاط، إميل بستاني، أنور الخطيب، غسان تويني، عادل عسيران، عبد الله الحاج، جورج عقل، فضل الله تلحوق، نجيب فرح، وألقى في المهرجان الحاشد كلمة حمل فيها على الحكم وهاجم قانون الانتخاب المعمول به انذاك. وكان اسمه من أبرز الأسماء المطروحة لتولي رئاسة الجمهورية في العام ١٩٥٢ والتي فاز بها كميل شمعون. وفي ٢٨ تموز ١٩٥٣، انتخب نائباً لسادس مرة. وفي العام ١٩٥٧ فاز بالنيابة لسابع مرة، وكان من أشد المعارضين للرئيس كميل شمعون، وراس «جبهة الاتحاد الوطني» اللبنانية. تولى العديد من المناصب الوزارية: عين وزيراً للمال في عهد الرئيس إميل إدة في أول تشرين الثاني ١٩٣٨ ولم يكن عمره يتجاوز الحادية والثلاثين، واستقال في ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٨. وفي أول كانون الثاني ١٩٤١ اسندت إليه وزارة الخارجية والمغتربين، وخلال توليه هذه الوزارة زار سوريا، واجتمع بنظيره سعد الله الجابري، ووقعا اتفاقاً ينص على تسلم المصالح المشتركة والجيش الخاص من المنتدبين استعادة للسيادة الوطنية. وفي ٣ تموز ١٩٤٤ أسندت إليه وزارة المال للمرة الثانية، واستقال في ٩ كانون الثاني ١٩٤٥. وفي ٢١ آب ١٩٤٥ عين وزيراً للخارجية ووزيراً للتربية، وإستقالت الحكومة في ٢٢ أيار ١٩٤٦ وقام خلالها بمفاوضات الجلاء. وفي ٧ حزيران ١٩٤٧ أسندت إليه وزارتا الخارجية والتربية، واستقالت الوزارة في ٢٦ تموز ١٩٤٨. وفي ٢٦ تموز ١٩٤٨ تولى حقيبتي الخارجية والتربية، واستقالت الوزارة في ٢٤ تموز ١٩٤٩ (استقال في ١٤ تموز ١٩٤٩ إثر خلاف مع المفوضية الفرنسية ورفضه زيارته لها والمشاركة في احتفالات ١٤ تموز على رغم رغبة المراجع الكبيرة في الدولة). وفي ١٦ اب ١٩٤٩ أسندت إليه



قصر ال فرنجية في زغرتا

حقيبتا الخارجية والتربية واستقالت الوزارة في ٣٠ أيلول ١٩٤٩ بعد التجديد للرئيس بشارة الخوري. وفي ٩ تموز ١٩٥٥ عين وزيراً للخارجية والمغتربين. وفي ٢٦ اب من العام نفسه (١٩٥٥) زار مصر والتقى الرئيس جمال عبد الناصر، واستقال بعد عودته من مصر.

كان من العاملين على توقيع اتفاقية جلاء الجيوش الأجنبية عن لبنان، وكان رئيس الوفد اللبناني للمفاوضات، ومعه يوسف سالم وزير الداخلية عضواً، ورياض الصلح رئيس الحكومة السابق عضواً. وبعد بضعة أسابيع من الازمات الحادة المتواصلة بين المفاوض اللبناني ومندوبي اميركا وبريطانيا وفرنسا، وقعت وثيقة الجلاء في باريس في ٢٣ اذار ١٩٤٦.

في ٢ تشرين الاول ١٩٤٧ عقد المؤتمر الفرنسي - السوري - اللبناني في باريس، وكان هدف المؤتمر تسوية جميع القضايا الاقتصادية والمالية والنقدية بين الدول الثلاث. وخلال خمسة شهور استغرقتها المفاوضات عمل حميد فرنجية من أجل ضمان تغطية كبيرة للنقد اللبناني وحماية الليرة اللبنانية من تقلبات أسعار الفرنك الفرنسي. ووقع الاتفاق في ٦ شباط ١٩٤٨ باسم لبنان. وفي ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٨ رأس المؤتمر الثالث للأونيسكو في بيروت، وقد كان العربي الوحيد في هيئة المؤتمر، وألقى كلمة لاقت استحساناً كبيراً في صفوف المؤتمرين والخارج، ومما قاله: «ليس لبنان وحده هو الذي يستقبلكم في ربوعه، بل تشاركه في استقباله الدول العربية». وفي ٣ كانون الاول اعتبرت اللغة العربية في الاونيسكو من اللغات الرسمية بناء لاقتراح لبنان. وكان من مؤسسي العلاقات الدبلوماسية بين لبنان والفاتيكان عام ١٩٤٦.

كان من الرافضين بقوة للانتداب الفرنسي، لتدخله في الشؤون اللبنانية الداخلية، كما كان

من المدافعين عن القضية الفلسطينية وعن سياسة لبنان العربية، كما ناهض حلف بغداد وسياسته في المنطقة. وفي العام ١٩٥٧ اختير أميناً عاماً للجبهة الوطنية، وفي العام نفسه أقعده المرض فاعتزل السياسة. توفي في ١٩٨١/٩/٥.

سمير فرنجية

ولد في ١٩٤٥/١٢/٤. والده : حميد فرنجية، نائب ووزير، وكان من رجال الاستقلال البارزين. ووالدته : برت جوزف شعراوي. متزوج من آن موراني ولهما ولدان : سامر وهالة (تحمل دكتوراه في الحقوق). درس في جامعة القديس يوسف في بيروت. وأتم دراسته الجامعية في باريس. مارس الصحافة فترة محدودة، فعمل محرراً في صحيفة «**الأوريان**»، وبقي بشكل أو بآخر على علاقة بالصحافة. وله مساهمات في صحف محلية وأجنبية منها : **لوموند، ولوموند ديبلوماتيك**.

هوعضو في الحزب الشيوعي اللبناني، إلا أنه انفصل عنه أثناء الانشقاق الطلابي عام ١٩٦٧ مع نخلة مطران وجلبير أشقر فأسسوا اتحاد الشيوعيين اللبنانيين الذي حل نفسه عام ١٩٧٠. وفي عام ١٩٧٥ طرح اسمه كمال جنبلاط مرشحاً لرئاسة الجمهورية.

كان له دور مهم في الإفراج عن عدد من المخطوفين عام ١٩٧٦ أثناء المعارك العسكرية بين طرابلس وزغرتا. ولم يكن على اتفاق في التوجهات السياسية مع عمه الرئيس سليمان فرنجية، وبقيت القطيعة بينهما حتى مقتل النائب طوني، نجل الرئيس فرنجية في ١٣ حزيران ١٩٧٨.

أسس سنة ١٩٧٤ مؤسسة للأبحاث عن لبنان والعالم العربي تصدر ملفات العالم العربي ـ (FMA) ويملك داراً للنشر هي دار المطبوعات الشرقية.

في بداية الحرب عام ١٩٧٥ شارك في أعمال القيادة المركزية للحركة الوطنية. وعمل لإطلاق حركة سياسية هي «المؤتمر الدائم للحوار اللبناني». وأسس مع آخرين مؤسسة الدراسات اللبنانية التي نشرت مجموعات كبيرة من الوثائق من لبنان، منها «البيانات الوزارية ومناقشاتها». وفي العام ١٩٨٣ بدأ بإصدار «**صوت الشمال**»، وهي منشورة عن الشمال ومجتمعه الأهلي، ومؤسساته ونواديه وأحواله. وأصدر ٦٣ عدداً أسبوعياً من «قضايا الأسبوع» مع عدد من المثقفين والكتاب والمفكرين، وأتبعها بـ «أوراق الحوار» نصف الشهرية، وأصدر أيضاً «قضايا لبنانية» التي نشرت أربعة كتب في مجالات السياسة والمجتمع والفلسفة.

ترشح للانتخابات النيابية لدورة سنة ١٩٩٦ (محافظة الشمال) ولم يحالفه الحظ، ونال ٣١٩٤٩ صوتاً. وفي دورة سنة ٢٠٠٠ لم يحالفه الحظ أيضاً ونال ٤٦١٩٨ صوتاً. وترشح متحالفاً مع «تيار المستقبل» عن المقعد الماروني في دائرة الشمال الثانية (طرابلس، المنية، زغرتا، البترون والكورة) لدورة العام ٢٠٠٥ وفاز بـ ٩٠٨٣٠ صوتاً. وهوعضو بارز في «قوى ١٤ آذار».

سليمان فرنجية

ولد في زغرتا في ١٩٦٥/١٠/١٨. والده: النائب والوزير الراحل طوني فرنجية الذي اغتيل في ١٣ حزيران ١٩٧٨. ووالدته : فيرا جوزف قرداحي من عائلة مصرية ، اغتيلت مع والده. وجده رئيس الجمهورية السابق سليمان فرنجية (توفي في ١٩٩٢/٧/٢٣). توقف عن الدراسة بعد أن أنهى علومه الثانوية. تزوج وهو ابن ثماني عشرة سنة ماريان رياض سركيس وهي في السادسة عشرة في ١٩٨٣/١٢/٢٧ ولهما ولدان: طوني وباسل . وقد انفصلا بالطلاق في ما بعد، وتزوج بعدها ريما قرقفي في ٢٠٠٣/٧/١٩.

بدأ العمل في الحقل العام في سن مبكرة عام ١٩٨٢. واستطاع في ٢٠ آب ١٩٩٠، وفي عملية سلمية خاطفة، توحيد «ميليشيا المردة» وجميع المؤسسات التابعة لها بعد تنحية عمه روبير فرنجية عن قيادتها، وتولى بنفسه قيادة هذه المجموعات. وعين وزيراً، أول مرة، في الحكومة التي شكلها الرئيس عمر كرامي في ١٩٩٠/١٢/٢٤ (وزير دولة). وعين نائباً عن قضاء زغرتا في ١٩٩١/٦/٧. وعين وزيراً للإسكان في حكومة الرئيس رشيد الصلح في ١٩٩٢/٥/١٦، واستقال في حزيران ١٩٩٢ بعد إشكال بروتوكولي في المقر الرئاسي حينما أراد الرئيس الهراوي مصالحته مع سمير جعجع بجمعهما إلى غداء واحد، الأمر الذي فسره إهانة له، فغادر المقر، وأعلن استقالته من الحكومة.

انتخب نائباً عن محافظة الشمال ـ قضاء زغرتا، في دورة ١٩٩٢ ونال ٧٥٠٩٨ صوتاً. وعين وزير دولة للشؤون البلدية والقروية في حكومة الرئيس رفيق الحريري التي شكلت في ١٩٩٢/١٠/٣١، لكنه اعترض على تشكيل هذه الحكومة، وقاطع جلسات مجلس الوزراء. وانتخب نائباً في دورة ١٩٩٦ ونال ٩٥٤٠٧ صوتاً. وعين وزيراً للصحة العامة في حكومة الرئيس رفيق الحريري في ١٩٩٦/١١/٧. وعين وزيراً للزراعة والإسكان والتعاونيات في حكومة الرئيس سليم الحص التي شكلها في ١٩٩٨/١٢/٤، وهي الحكومة الأولى في عهد الرئيس إميل لحود. وأعيد انتخابه في دورة سنة ٢٠٠٠ عن دائرة الشمال الثانية، ونال ٧٢٠٥٩ صوتاً. أما في انتخابات دورة ٢٠٠٥ فلم يحالفه الحظ ونال ٨٢٦٧٠ صوتاً، فيما حلّ أولاً في أقضية زغرتا ـ الزاوية، الكورة والبترون.

عين وزيراً للصحة العامة في الحكومة التي شكلها الرئيس رفيق الحريري في ٢٠٠٠/١٠/٢٦. وأعيد تعيينه في الحقيبة نفسها في حكومة الحريري الخامسة في ٢٠٠٣/٤/١٧. وعين وزيراً للداخلية والبلديات في الحكومة التي شكلها الرئيس عمر كرامي في ٢٠٠٤/١٠/٢٦. وكان اشترط تعيينه وزيراً للداخلية أثناء المشاورات النيابية وإلا فلن يشارك في الحكومة. وهو رئيس «تيار المردة» حالياً.

طوني فرنجية

ولد في زغرتا في العام ١٩٤١. والده: رئيس الجمهورية سليمان فرنجية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٦). ووالدته: إيريس هندلي. تزوج في العام ١٩٦٣ فيرا قرداحي (مصرية المولد)، وله منها: سليمان (نائب ووزير)، وجيهان (٣ سنوات) التي قتلت في ١٣ حزيران ١٩٧٨ مع والديها، إثر اقتحام قصر إهدن من قبل القوات الكتائبية.

تلقى علومه في مدرسة الراهبات في زغرتا ثم مدارس الفرير في طرابلس. والتحق سنة ١٩٥٨ بمدرسة الفرير في بيروت. والتحق بالجامعة اليسوعية لدراسة إدارة الأعمال، لكنه لم يتابع دراسته وانهمك مبكراً بالعمل السياسي. وانتخب في تشرين الأول ١٩٧٠ نائباً عن زغرتا في المقعد الذي شغله والده قبل انتخابه رئيساً للجمهورية في العام نفسه، وأعيد انتخابه في العام ١٩٧٢. عين وزيراً للبريد والبرق والهاتف في حكومة الرئيس تقي الدين الصلح في العام ١٩٧٣، وتولى المنصب نفسه في حكومة الرئيس رشيد الصلح. شكل «كتلة الوسط النيابية» التي ضمت النواب: بطرس حرب، وعبد الله الراسي، وجبران طوق، وحبيب كيروز، وباخوس حكيم، وفؤاد غصن.

في العام ١٩٧٥، أعلن عن ولادة «جيش التحرير الزغرتاوي». اغتيل في ١٣ حزيران ١٩٧٨، أثناء عملية اقتحام القصر الجمهوري في إهدن، شارك فيها ما يقارب الـ ١٥٠٠ مسلح كتائبي، وقد خطط للعملية بشير الجميل ونفذها سمير جعجع. وأسفرت عن مقتل حوالى الـ ٣٥ شخصاً، بالإضافة إلى النائب طوني فرنجية وزوجته وابنته. (نجا من المجزرة سليمان طوني فرنجية الذي كان عند جده الرئيس سليمان فرنجية).

روبير فرنجية

والده: سليمان فرنجية (رئيس جمهورية سابق، توفي في ١٩٩٢/٧/٢٣). ووالدته: ايريس هندلي. شقيقه: طوني فرنجية. درس العلوم التجارية في الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢، ثم انتقل لدراسة العلوم السياسية عام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤. هو قائد قوات المردة من ١٣ حزيران ١٩٧٨ إثر استشهاد أخيه طوني فرنجية حتى ١٩٩٠/٨/٢٠. وهو عضو القيادة السياسية العليا في زغرتا ـ الزاوية. بعد العام ١٩٧٨ أنشأ في زغرتا صيدلية وتعاونية استهلاكية وبنك دم ومستشفى. وأدار الحملة الانتخابية من فندق البريستول في بيروت لوالده الرئيس سليمان فرنجية سنة ١٩٨٨.

المراجع

١ ـ الخوري اسطفان البشعلاني: **يوسف بك كرم ولبنان** ١٩٢٤.
٢ ـ الخوري بطرس بركات: **تاريخ إهدن**.
٣ ـ جورج فرشخ: **حميد فرنجية وجمهورية الاستقلال** ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧.
٤ ـ جورج فرشخ: حوار غير مسجل مع الرئيس فرنجية في إهدن ١٩٨٤.
٥ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل حمادة

(بعقلين)

جاء في كتاب **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان** لمؤلفه إبراهيم بك الأسود ما يلي: «إن آل حمادة (دروز بعقلين) ينتسبون إلى آل شويزان، فخذ من أفخاذ تنوخ. رحل جدهم الأعلى من الحجاز في عشيرته قبيل الهجرة ونزل أرض العراق، ولما كان الفتح الإسلامي وسارت القبائل العربية لفتح أرض الشام، انضموا إلى عسكر خالد بن الوليد واستوطنوا ضواحي دمشق. ثم انتقل قسم منهم إلى أرض لبنان وقسم إلى بعلبك وآخرون إلى مصر. أما الذين اتخذوا لبنان بلداً لهم، واعتنقوا في القرن الخامس للهجرة المذهب الدرزي، فقد سكنوا الكنيسة من أعمال الشوف وكان يرأسهم: الشيخ علي أبو مرعي، وقد رزق ثلاثة أولاد هم: حمادة وعبد الملك وعبد الحق. ولما توفي الشيخ أبو مرعي تفرّق أولاده الثلاثة. سار كل منهم بعائلته إلى ناحية، فسكن عبد الملك بلدة بتاتر من أعمال الجرد، وعبد الحق إقليم البلان، ومن ثم رحل إلى حوران، وهو جد عائلة الطرشان الشهيرة.

أما حمادة فقطن بلدة عاليه، وتزوج فيها امرأة من بني الفقيه المنتسبين إلى عشيرة من عشائر التنوخيين التي نزلت في ربوع الشام. ولما جاء الأمير معن إلى الشوف وسكن بعقلين لحق به حمادة وتقرّب منه، فاعزه وأسكنه بعقلين مع عشيرته، وطفقوا يعملون مع المعنيين حتى آخر عهدهم في السلطة والحكم.

وفي زمن السيد عبد الله التنوخي الذي أصبح اسمه مرادفاً للعلم والتقوى، اشتهر الشيخ أبو علي مرعي حمادة الثاني، فدعاه السيد وقرّبه إليه، واتخذه تلميذاً له، فأخذ عنه كثيراً من العلوم وألف كثيراً من المؤلفات الدينية التي اشتهر بها، وبسيرة الأمير السيد التي نشرها إذ ذاك وهو الشيخ أبو علي جد آل حسين حمادة في بعقلين، وهو أول من قال بتحريم المسكرات بسجل علق على باب أحد الجوامع بمصر، ومنذ ذلك العهد اعتمده السيد في المهمات، وأنابه عنه في الشوف.

من شيوخ بني قيس

ورزق الشيخ أبو علي ولدين أحدهما فضل الله والثاني صدقة، ففضل الله ولد نجماً، ونجم ولد علياً، وقد اشتهر هذا الأخير برجاحة عقله وشجاعته، وكان شيخاً من شيوخ بني قيس

وقائداً من قواد الأمير أحمد المعني. ولما بلغ الأمير أحمد الثمانين من عمره، ولم يكن له ولد تنتقل الولاية إليه، فقد أمر الشيخ علي حمادة أن يجمع له الشيوخ القيسيون في بعقلين ففعل فبحث معهم في أمر انتقال الحكم. وبعد أن طال البحث اقترح عليهم إلقاء مقاليد الحكم بعده إلى واحد من أمراء أرسلان أو إلى واحد من أمراء علم الدين اليمانيين، فانقسم الشيوخ القيسيون إلى قسمين فمنهم من حبّذ رأي الأمير، ومن جملتهم الشيخ علي حمادة، وقسم رفض إعطاء الولاية إلى اليمنيين لما بين الحزبين من التباعد. ولما كان الأمراء آل شهاب من الحزب القيسي، وكان الأمير أحمد قد أزوج ابنته من أحد الأمراء الشهابيين وولد لها ولد يدعى حيدر، فاتفقوا جميعاً أن ينقل الحكم إلى الأمير حيدر المذكور حفيد الأمير أحمد.

الأخ العزيز

وأما الشيخ علي حمادة فكان له ولد يدعى سليمان، وكان لسليمان هذا ولد يُدعى زيدان وكان كل منهما بوظيفة بلوك باشي عند الأمير ملحم حيدر شهاب.

أما سليمان فقد ولد له حسين وحسين ولد له حمد، ومحمد، وحمد ولد له شبلي، وشبلي ولد له حسين، وقد نبغ بين هؤلاء حمد وولده شبلي وحفيده حسين. ولذلك كان هؤلاء النابغون من المقربين من الأمير يوسف الشهابي إذ كان والياً على لبنان، وبالنظر إلى إخلاصهم إليه أنعم على اثنين منهم بلقب الأخ العزيز وهما حمد وولده شبلي.

واتفق أن الأمير بشير شهاب الذي صارت إليه ولاية لبنان كان عند عمه الأمير يوسف المشار إليه، فأنفذه إلى بعض القرى لقضاء بعض الشؤون، فأصيب بعلة وهو في بعقلين فحل في منزل الشيخين شبلي حمادة وولده حسين فاعتنيا به في حالة مرضه، ولما أدرك الشفاء ودعهما معلناً لهما الشكر، وأنه يحفظ لهما هذه المأثرة وأخبر عمه بما لقي من العناية في بيتهما. وهكذا فقد استمر صديقاً لهما آخذاً برأيهما في كثير من الشؤون.

ولما توالت الشكايات العديدة بحق الأمير يوسف من أبناء البلاد، استدعى الجزار الذي كانت له اليد العليا في الأحكام الأمير بشير وأسند إليه الولاية بدلاً من عمه. ولما استقرت قدمه في لبنان دعا بالشيخ حسين حمادة وعينه بلوكباشياً مختصاً به يرافقه في كل رحلاته، ولم يلبث أن رفعه إلى مقام رئاسة فرقة البلوكباشية، وجعل الشيخ حسين قويدر حمادة مكانه مكافأة لإخلاص الشيخ حسين المشار إليه أولاً الذي وقف نفسه على المحافظة عليه وأخلص الخدمة لمبادئه ووقف حاجزاً دون معارضي آرائه ورغائبه الذين كانوا يطمعون بالولاية بعد إسقاطه منها، وقد انتصر الأمير على أعدائه وخصوصاً في موقعة بعقلين المعروفة (بالكبسة) وفي موقعة الصليب وقد هاجم أولئك الأعداء الشيخ حسين حمادة في الموقعة الأولى على رجاء أنهم ينتصرون على الأمير بانتصارهم على أعز أنصاره فعادوا يجرون أذيال الخيبة.

أقطعه بعقلين

ولما رأى الأمير سداد آراء الشيخ حسين حمادة وإخلاصه وإخلاص أبناء عشيرته رفعه أولاً إلى عضوية المجلس الاستشاري، ثم جعله مستشاراً خاصاً له وأقطعه بعقلين وإقليم الخروب وأصبح مرجعاً له في أكثر الشؤون. وكذلك قد خدم الشيخ حسين البلاد بنفوذه لانه كان يستعطف الأمير على ذوي المصالح وعلى الفقراء ويلتمس العفو لكثيرين من المجرمين، وصرف عنايته بنوع خصوصي لترقية شأن بلدته بعقلين وضم الآراء المتشعبة فيها ليكون لها من وراء ذلك قوة.

وقد فوّض إليه إذ ذاك أمر تعيين قاض للمذهب وشيخ عقل من أبنائها فوقع اختياره على الشيخ حسن تقي الدين، والشيخ أحمد تقي الدين من نفس بلدته، وعلى الشيخ حسين عبد الصمد من عماطور بالنظر إلى أهليتهم. وفي سنة ١٨٤٧ سار الأمير بشير بأمر الجزارالى بلاد نابلس لإخضاع أهلها ولفتح قلعة سانور. وكان في جملة الزعماء أبناء الشيخ حسين حمادة وهم سليمان وشبلي وقاسم وأسعد الذين بعد بلوغهم نابلس كانوا في طليعة المقاتلين وأبلوا بلاء حسناً أعجب به الأمير ولما أحاط عسكره قلعة سانور كان أحدهم أسعد في مقدمة الجيش المهاجم وتسلق جدار القلعة، فأصيب حينئذ برصاصة في صدره أودت بحياته وإخوته أصيبوا يومئذ بجراح عديدة، فكتب إذ ذاك الامير بشير إلى الشيخ حسين حمادة كتاب تعزية بابنه عن يد ولده أمين الذي للحال حمل الكتاب بنفسه وذهب به إلى بعقلين وقدمه للشيخ حسين وهذا نصه:

بشير شهاب يعزي

«حضرة الأخ العزيز الشيخ حسين حمادة المكرم حفظه اللـه تعالى

«غب كثرة الاشواق الوافرة لمشاهدتكم بكل خير وعافية، أنه بحسب القضاء المحتوم وبموجب ناموس الشجاعة والحماسة قد نفذ حكم اللـه لولدكم أخونا الشيخ أسعد رحمه ربه الثواب. فقد نال حسن الاسم والثناء لأنه مات قدامنا في يوم مشهود. فالمرغوب أن تتعوضوا عنه برضانا المستديم عليكم وبصفو خاطرنا الذي إن شاء اللـه لا يزول عنكم وعن ذريتكم. والأمل بحوله تعالى لحضرتكم ولإخواننا أولادكم طول السلامة من بعده، ولاجل تعزية حضرتكم اقتضى ترقيمه، وقد أوفدنا الأمير أمين لينوب عنا بإظهار شعائر أسفنا لكم. ولا تقطعوا أخباركم عنا. واللـه يحفظكم.

في غرة شوال سنة ١٢٤٦ هجرية (١٨٤٧ ميلادية).

محب مخلص

بشير شهاب»

وبعد رجوع الأمير من نابلس عين الشيخ علي أحد أنجال الشيخ حسين مكان أخيه أسعد وأنعم على سليمان شقيقهما بعهدة إقليم التفاح وعين الشيخ شبلي بلوكباشياً، وشقيقه الشيخ قاسم

مديراً للسجون. ولما سافر الأمير إلى الآستانة استقال الشيخ شبلي من وظيفته لأنه كان لا تهمه الوظيفة لأجل مرتبها لأن ثروته كانت واسعة وكان كريماً وشجاعاً. وتوفي بلا عقب.

واما الشيخ قاسم فقد توفاه اللـه وهو في الثلاثين من عمره تاركاً ثلاثة هم: محمد ونعمان وحمد.

وبعد سنتين استحصل الشيخ حسين من الأمير بشير كتابة: (الأخ العزيز) لأبناء عمه الشيخين واكد وقويدر حمادة، وما زال الشيخ حسين قائماً بخدمة الامير حتى أبعد إلى مالطة فالأستانة.

وقد توفي الشيخ حسين عام ١٨٤٠ عن ثمانية بنين هم: سليمان، شبلي، قاسم، أسعد، علي، محمود، أمين، سعيد ، ملحم، وابنة تدعى ندى اشتهرت بكثير من المناقب الحسنة.

ولما بلغ نعيه الأمير بشير في الأستانة أسف عليه أسفاً شديداً. أما أولاد الشيخ حسين المشار إليه فقد ورثوا أخلاق والدهم واحدهم سليمان بك حل محل أبيه في مجلس الشورى لدى الأمير. ولما تولى الحكم الأمير بشير الثالث الملقب بأبي طحين قرب الشيخ سليمان إليه.

وفي العام ١٨٤٢ فصل الأمير بشير وخلفه في منصبه عمر باشا النمساوي، فاتخذ الشيخ سليمان مستشاراً له ومنحه لقب بك، وعين شقيقه الشيخ علي قومانداناً على أربعماية فارس، وفوق ذلك أيد الولاة المشار إليهم الإقطاعية لسليمان بك على بعقلين وإقليم الخروب وإقليم التفاح وضموا إليها قريتي عنبال وغريفة من أعمال ناحية الشوفين.

ولما عين أمين باشا والياً على الشام وصيدا عين سليمان بك معتمداً له. وهكذا كان مقرباً من جميع من ألقي إليهم مقاليد الولاية في لبنان لما عرف به من الشجاعة وطلاقة اللسان والبذل.

وكان من جملة الذين هاجروا إلى حوران وقد أقام فيها ثلاث سنوات وفي سنة ١٨٦٣ أتى إلى قرية جرمانة التي هي من ضواحي دمشق فمات فيها من دون عقب. وبعد وفاته ظهر أخوه ملحم بك في ميدان السياسة، وكان له مقام سام بين قواد الدولة العثمانية في محاربة الروس في القرم وبلغ إذ ذاك رتبة بكباشي وبعد نهاية تلك الحرب ذهب إلى حوران سنة ١٨٦٠ ومات فيها. (انتهت النبذة التي وضعها إبراهيم الأسود في كتابه **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان** (المجلد الثالث، ص. ٤٣٠ ـ ٤٣٦)).

ثلاث روايات

أما الدكتور أحمد أبو سعد فيتحدث في كتابه معجم **أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات** عن ثلاث روايات حول أصول هذه العائلة. الرواية نقلها عن **كتاب الحركات** وجاء فيها نقلاً عن كتاب قديم أن بني حمادة في الشوف رحلوا من الشمال، أي شمال سوريا لخصام وقع بينهم وبين علي الزغل، وكانوا يعرفون بأهل الدين والثروة فنزلوا أولاً في منطقة طرابلس، فلم يرق لهم فيها المقام، فانتقلوا إلى وادي التيم، وسكنوا في بلدة الهبارية على مقربة من المقام الديني الاعلى، وصار لهم في وادي التيم مكانة لا تقل عن المكانة التي كانت لهم في الجبل الاعلى، لكن، وقع تنافر بينهم وبين بعض أصحاب المكانة في وادي التيم، فرحلوا إلى دير

القمر، واستوطنوا بعقلين وصارت لهم فيها مكانة كالتي كانت لهم في غيرها (راجع **الحركات في لبنان**، ص ١٨٣).

والرواية الثانية وردت في كتاب مخطوط بعنوان **تاريخ آل حمادة** تذكر أنهم ينتسبون إلى قبيلة شيبان، وأنهم انتقلوا برفقة التنوخيين إلى معرة النعمان، ثم إلى لبنان، وسكنوا الجمهور أولاً ثم الكنيسة واشتهر منهم أبو علي مرعي تلميذ الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي وحفيد علي أبي مرعي الأول جد آل حمادة كما جاء في معجم أعلام الدروز.

والرواية الثالثة أوردتها السيدة نور حمادة نقلاً عن **تاريخ أبي صالح حمادة المخطوط** تقول فيها: إن آل حمادة يرجعون في نسبهم إلى آل شويزان وهم عشيرة عربية قدمت إلى لبنان بحسب **كتاب قواعد الآداب** في سنة ١٤١٧ (انظر مجلة **أوراق لبنانية**، مج ٣: ١٧٢).

ومهما تختلف الروايات ـ يقول الدكتور أحمد أبو سعد ـ فهناك أمر ثابت، وهو أن أجداد هذه العترة جاءوا من شمالي سوريا وأنهم عرب. أما إلى أي من قبائل العرب ينتسبون، وهو موضع الخلاف، فلعل الذي يلقي ضوءاً جديداً عليه ما ورد في التاريخ، وهو أن آل حُمادي بطن من قبيلة التركي النجدية بجسر الشغور أحد أقضية محافظة حلب (انظر **معجم قبائل العرب**، ١: ٢٩٢).

أبرز أعلام آل حمادة

ومما هو ليس موضع شك ـ يضيف الدكتور سعد ـ أنه كان لهذه الأسرة دور فاعل في تاريخ لبنان والمنطقة، وانها أنجبت منذ القدم عدداً كبيراً من الأعيان في ميادين العلم والسياسة والدين والذين نذكر منهم المشايخ:

أبو علي مرعي حمادة (توفي ١٤٩٥) جد الأسرة في بعقلين.

حسين بن شبلي حمادة (١٧٧٩ ـ ١٨٤٠)

زعيم أسرته، ورأس الحزب اليزبكي في قومه، وأحد الذين والوا الأمير بشير الشهابي وكان من نافذي الكلمة عنده، فولاه ناحية إقليم الخروب (١٨٢٥).

سليمان بن حسين حمادة (١٨٠٥ ـ ١٨٦٦)

كان مع الأمير بشير الثاني في فتح قلعة سانور وجرح هو وقتل أخوه أسعد، وولاه الأمير بعدها عهدة إقليم التفاح.

علي بك ابن الشيخ حسين حمادة الكبير (١٨١٣ ـ ١٨٨٨)

اشتهر بفروسيته وشجاعته وتقلب في وظائف الدولة العثمانية قرابة خمسين سنة، ورقي من رتبة بكباشي إلى منصب القائمقام ووكيل المتصرف، وكان أول من أحرز الرتبة الثانية في لبنان.

عباس بن ملحم حمادة

عضو مجلس الإدارة دورة ١٨٦٣.

قويدر بك بن حسين حمادة (١٨٢٠ ـ ١٨٨٠)

اشتهر ببطولته وعين عضو مجلس الإدارة في قضاء الشوف سنة ١٨٧٥.

محمد بن قاسم حمادة (١٨٣٢ ـ ...)

مال إلى العلم وتضلع فيه فأسندت إليه مشيخة العقل سنة ١٨٦٩، وعين عضواً لمجلس الإدارة.

حمد بن قاسم حمادة (١٨٣٨ ـ ١٩١٢)

انتخب عضواً لمجلس الإدارة ثلاث مرات، وعين عضواً في دائرة الحقوق الاستئنافية ووكيلاً لقائمقامية الشوف في عهد مظفر باشا.

قاسم بن نعمان حمادة (١٨٥٩ ـ ١٩١٨)

عين مديراً للشويفات ثم وكيلاً للقائمقامية في بعقلين. وقد طاف أوروبا ودرس طريقة تبزير دودة القز درساً خدم به بلاده خدمة جلى.

سعيد بن نعمان حمادة (١٨٦٠ ـ ١٩٣١)

عين ضابطاً لقضاء الشوف وتدرج في الوظائف العسكرية حتى بلغ رتبة يوزباشي وانتخب عضواً للديوان الحربي، وعين أستاذاً منظماً لجندية لبنان ثم ياوراً وقول أغاً سرياور المتصرفية عام ١٩٠٧.



الشيخ حسين حمادة
(من كتاب تنوير الأذهان)

حسين بن محمد قاسم حمادة
(١٨٦٢-١٩٤٦)

تولى مشيخة العقل بعد والده سنة ١٩١٥.

سليم بن حمد حمادة
(١٨٦٥-١٩٢١)

عين مديراً لمالية الشوف، وانتخب عضواً في مجلس إدارة الجبل.

ملحم بن مصطفى حمادة
(١٨٦٦-١٩٣٩)

تخرج ضابطاً في المدرسة الحربية ثم أخذ يتدرج في المناصب والرتب حتى أصبح رئيساً للديوان العسكري ثم ملحقاً في أركان الحرب العامة وقائد الآي الجندرمة في لبنان.

سليمان حمد حمادة (١٨٦٧-١٩٥٥)

دخل كلية الطب في الجامعة الأميركية ببيروت وتخرج طبيباً سنة ١٨٩٤ ثم ذهب إلى اسطمبول ومارس المهنة فيها. ومنها سافر إلى مصر وفتح عيادة خاصة في القاهرة، ثم عين رئيساً للحجر الصحي ورئيساً للمفارز الصحية في بور سعيد.

أسعد بن قاسم بن حسين شبلي حمادة (١٨٦٨-١٩٠٧)

درس في الكلية البطريركية وعينطورة وأتقن العربية على الأستاذ والإمام الشيخ محمد عبده، ودرس التركية والفنون الحربية في المكتب الحربي في اسطمبول. وفي سنة ١٨٩٣ عين ضابطاً في الآيات الفرسان في سوريا، وكان عضواً عاملاً في تركيا الفتاة قبل ظهورها، فوشي به إلى الحكومة فهرب إلى مصر واشتغل بالتأليف ثم قدم أحد مؤلفاته للسلطان عبد الحميد فعفا عنه ورده إلى وظيفته.

أمين بن محمد بن حسين حمادة
(١٨٩٣-١٩٦٨)

تلقى علومه في بيروت ثم في باريس وتخرج في التاريخ والحقوق السياسية واحترف السياسة وكان مقرباً إلى الملك فيصل الأول ومناوئاً للفرنسيين فوضع تحت المراقبة. ثم نفي إلى فرنسا. ولم يعد إلى لبنان إلا بعد رحيل الفرنسيين.



علي بك حمادة

حسن بن أحمد حمادة
(١٨٧٠-١٩١١)

دخل معهد الحقوق وتخرج فيه محامياً، مارس مهنته مع المحامي الشهير في الأستانة الكونت استروروك وكان إلى جانب ذلك شاعراً وأديباً وأحد العاملين من أجل الثورة العربية.

أحمد بن نعمان بن قاسم بن حسين حمادة الكبير (١٨٧١-١٩٥٥)

الضابط الذي تولى قيادة الآلاي التاسع والعشرين إبان حرب الكرك، وقاد إحدى آلايات الهجانة في حرب قناة السويس ١٩١٣، وعين بعدها عضواً لديوان الحرب العرفي.

شبلي بن حمد حمادة (١٨٧٤-١٩٥٧)

عين ضابط معية في ولاية بيروت ثم قائمقام لقضاء الرقب، ثم قائمقام لصافيتا، وبعدها تولى قائمقامية صيدا.

توفيق خطار حمادة (١٨٨٨-١٩٨٥)

عمل قرابة خمسين عاماً في العناية بالصحة العامة، وكان من مؤسسي جمعية مقاومة السل الرئوي في لبنان وعمل أمين سر لها.



محمود بك حمادة

نور بنت محمد قاسم حمادة (١٨٨٨-١٩٦٩)

السيدة التي أنشأت المجمع النسائي الأدبي عام ١٩٢٢ وبعد وفاة زوجها سعيد بك نعمان حمادة سافرت إلى العراق وأسست هناك فرعاً للمجمع النسائي العربي. وزارت أميركا وحاضرة الفاتيكان وكانت لها عناية بشؤون التاريخ. فكتبت في مجلة **أوراق لبنانية** عدة مقالات في هذا الموضوع.

الشيخ رشيد بن حسين حمادة (١٨٩٤-١٩٧٠)

درس الحقوق وعين مدعياً عاماً لمحكمة المتن، ثم مستشاراً في محكمة الاستئناف والتمييز، لكنه ما لبث أن ترك الوظيفة، فارتئي تعيينه شيخ عقل للطائفة ورئيس مجلسها المذهبي وذلك في العام ١٩٥٤.

محمد علي بك حمادة (١٩٠٧-١٩٨٧)

تخرج محامياً في جامعة باريس واشتغل في السياسة منذ نعومة أظفاره، كما عمل في الكثير من الحركات الوطنية، فدخل الجمعية العربية السورية في باريس ١٩٢٨ ثم تولى أمانة سرها فرئاستها عدة سنين. وفي سنة ١٩٣٣ عاد إلى لبنان وانضم إلى «حزب الاستقلال الجمهوري» الذي أسسه الشيخ عزيز الهاشم، ثم أسهم في تأسيس «حزب النداء القومي» سنة ١٩٤٠. اعتقل في عهد الرئيس أيوب ثابت. وفي العهد الاستقلالي عين في وزارة الخارجية قنصلاً عاماً ثم رئيساً لدائرة الشؤون العربية فرئيساً للدائرة السياسية، ثم أميناً عاماً بالوكالة لوزارة الخارجية، ثم وزيراً مفوضاً فسفيراً للبنان في اليونان ويوغسلافيا، ولدى مجموعة الدول الأفريقية الغربية والوسطى. وسنة ١٩٦٦ أحيل على التقاعد. انتخب رئيساً لمجلس إدارة «**دار النهار**» للطباعة والنشر فأسس سنة ١٩٦٩ مجلة **القضايا المعاصرة**.

قحطان بن شبلي حمادة

تخرج مهندساً في باريس، ولم يعمل في مهنته بل سلك طريق السياسة. انتخب رئيساً لبلدية

بعقلين ثم فاز بالمقعد النيابي عن الشوف سنة ١٩٥٧.

ومن مشاهير هذه الأسرة في زماننا:

سعيد حمادة (١٨٩٤-١٩٩١)

الوزير السابق. أحد أساتذة الجامعة الأميركية السابقين في العلوم الاقتصادية. عمل وزيراً للاقتصاد الوطني في حكومة رشيد كرامي من ٦ كانون الأول ١٩٦٦ إلى ٨ شباط ١٩٦٨.



الشيخ محمد حمادة: شيخ عقل الدروز السابق

مروان حمادة

نائب ووزير سابق. ولد في بيروت في ١٩٣٩/٩/١١. أشقاؤه علي (من أم جزائرية ويعمل صحافياً في «**جريدة النهار**») والشاعرة ناديا زوجة غسان تويني توفيت في ١٩٨٣/٦/٢٠. والده: محمد علي حمادة. تعرض لمحاولة اغتيال في تشرين الأول ٢٠٠٤ ونجا منها. والدته: مارغريت ملاكان كاثوليكية فرنسية، توفيت في ٢٠٠٧/١١/٢٠. أمضى فترة تمرين على المحاماة، لكنه لم يمارس المهنة حيث اتجه إلى الصحافة، مؤسس ومدير عام «المنشورات العالمية للنهار»، عضو المجلس الأعلى للصحافة. عضو «المجلس الدرزي للبحوث والإنماء».

بهجت حمادة

مواليد بعقلين ١٩٢٨. لبناني يحمل الهوية الأميركية، بعد منتصف الخمسينات إثر نجاته من حادثة سير قتل فيه أربعة أشخاص من رفاقه، أصبح درزياً متجدداً على ما يقول. تعلم أن يكون رسول سلام ومؤمناً مبشراً برسالة المسيح. متزوج حنان شوقي ولهما ولدان: عمر وساندار. وهو أستاذ ومؤلف موسيقي، صدرت له أربعة مؤلفات بالإنكليزية ترجمت إلى العربية.

حسن حمادة

ولد في ٢٦ آب ١٩٥٠ في بعقلين. والده قحطان حمادة (نائب سابق) مجاز في الحقوق من

الجامعة اللبنانية عام ١٩٧٣. تابع دراسات عليا في مادة القانون الدولي في فرنسا. عمل في الإعلام المرئي والمسموع يتقن اللغات العربية والفرنسية والإنكليزية، كتابة وتكلماً. عضو المجلس الوطني للإعلام المرئي والمسموع من قبل مجلس الوزراء في ١٩٩٩/٦/٢.

فريد حمادة

ولد في بعقلين ١٩٢٥، والده: الشيخ رشيد (كان شيخ عقل الطائفة الدرزية عن الجناح اليزبكي حتى وفاته ١٩٧٠).

محمد حمادة

مواليد العام ١٩٥٠ في بعقلين. حصل على بكالوريوس في الأدب الإنكليزي والأدب المقارن ودبلوم التعليم في الجامعة الاميركية. في العام ١٩٧٣ أصدر كتاب شعر: **نواقيس الفجر الآخر**. توفي في ٢٠٠٧/٧/٣٠.

أما آل حمادة المشايخ في غريفة فهم يقولون إنهم فرع من آل حمادة في بعقلين، فيما يقول غيرهم أنهم وآل سعد في غريفة فرع من آل فايز جدهم أبو علي باز الذي قدم من حاصبيا. وأشهر من برز منهم: أبو علي باز حمادة وأولاده: شبلي وخليل وبركات وأسد وفياض والمحامي فندي حمادة عضو مجلس الإدارة، ونجيب حمادة ونديم حمادة وولداه الطبيب الجراح الدكتور نهاد والمحامي زياد ونبيه بن عارف حمادة الحائز شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية، وهو من كبار موظفي شركة طيران الشرق الأوسط، وأخوه خليل بن عارف حمادة الحائز على شهادة الدكتوراه في الحقوق الدولية، والقاضي فؤاد حمادة.

المراجع

١ ـ **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، تأليف إبراهيم الأسود، الجزء الثالث. بيروت، ١٩٢٧.

٢ ـ **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات** للدكتور أحمد أبو سعد، دار العلم للملايين، ١٩٩٧.

٣ ـ **الحركات في لبنان**، ليوسف خطّار أبو شقرا، بيروت، ١٩٥٢.

٤ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل سلام

هي أسرة لبنانية عربية بيروتية إسلامية عريقة لا يتجاوز عمرها السياسي المائة عام، وتحديداً بعد أن أصبح سليم علي سلام (أبو علي سلام) عضواً في إدارة ولاية بيروت في عهد الوالي ناظم باشا، وذلك في ظل إعلان الدستور العثماني الجديد ١٩٠٨.

وقد حاولت جاهداً معرفة جذور هذه الأسرة التي يقال إنها جاءت من المغرب، كسائر أسر بيروت القديمة، ولكن كيف ومتى، ومن كان وراء مجيئها؟ هل تزامن مجيئها مع مجيء الأسر التنوخية المعروفة التي كانت مهمتها حماية الثغور اللبنانية من الغزو الصليبي؟ أم أنها كانت موجودة ومستقرة في بيروت منذ مئات السنين، منذ أن كان عدد سكانها لا يزيد عن خمسة آلاف، وبيوتها مبنية من الحجر الرملي والطين وشوارعها ضيقة ومرفأها طافح بالرمال.

أسئلة تبقى بدون أجوبة إلى أن يأتي من يكشف عن هذه الحقبة المجهولة، ليس في تاريخ عائلة سلام وحسب، بل في تاريخ عائلات بيروتية أخرى مغمورة الأصول والجذور.

وفي بيروت أسرة تحمل الاسم نفسه، منها: الشيخ عبد الرحمن سلام (١٨٦٧ ـ ١٩٤١) أمين سر دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية، وهو شاعر ولغوي ووالد الملحن محيي الدين سلام، وجد المغنية المشهورة نجاح سلام. هذه الأسرة ترجع بنسبها إلى ابن جرجس الصفدي من زحلة الذي ترعرع في كنف بيت سلام فزوجوه إحدى بناتهم التي لم تتخل عن اسم عائلتها، فأعطته لأولادها وباتوا يعرفون بها. كما تحمل اسم سلام أسرة بيروتية أخرى من المسلمين السنة لا تربطها صلة قربى بأسرة سلام المذكورة، منها الصحافي عبد الغني سلام صاحب جريدة **اللواء**، وصلاح سلام والحاج محمود سلام وغيرهم.

من هو سليم سلام

من هو سليم علي عبد الجليل سلام، المؤسس الأول لعائلة سلام السياسية التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ لبنان الحديث؟ كيف نشأ وظهر ولمع نجمه؟ كيف انطلق من دكان يعنى بشراء

وبيع السلع التجارية والترويج لها إلى العمل السياسي، فيصبح عضواً ووكيلاً للمؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣، ورئيساً لوفد المؤتمر العربي إلى الآستانة، ثم نائباً عن بيروت في مجلس المبعوثان العثماني، وسواها من المناصب الاقتصادية والإدارية والتربوية والسياسية التي تبوأها منذ العام ١٨٩٥ حتى العام ١٩٣٨؟

الدكتور حسان حلاق، الأستاذ الجامعي المتخصص في شؤون بيروت وعائلاتها، وشوارعها، وأسوارها، ومساجدها، وزواياها، وعادات أبنائها يحدثنا عن هذا الرائد الكبير في كتاب بعنوان: **مذكرات سليم سلام (١٨٦٨ ـ ١٩٣٨)** قدّم لها وحقّقها وعلق على هوامشها، والكتاب أصدرته الدار الجامعية للنشر عام ١٩٨١. يقول الدكتور حلاق أنه عمد إلى «وضع مقدمة موجزة عن سيرة حياة سليم سلام، وهي بمثابة تعريف، وليست بالتأكيد كل سيرة حياته ونشأته».

ولد سليم سلام في بيروت في ٢٧ تموز ١٨٦٨، وكان والده علي عبد الجليل سلام من الوجوه التجارية في المدينة، غير أن نشأة علي الأولى كانت متوسطة الحال، ولم يكن للعائلة قبل علي سلام وابنه سليم اشتغال في الحياة السياسية بشكل بارز. وكانت رأس بيروت مقراً قديماً للعائلة، ثم اتخذ علي سلام منطقة المصيطبة مقراً لإقامته، وقد بنى منزلاً بمحاذاة منزل محمد مصطفى بن حسين بيهم.

ونقل الدكتور حلاق عن سجلات المحكمة الشرعية في بيروت أن علي بن عبد الجليل بن محمد سلام كان يقطن في منطقة المصيطبة وقد توزعت تركته على ورثته بعد وفاته. ويستفاد من هذه السجلات أيضاً، أنه بعد وفاة محمد سليم بن عبد الله سلام اجتمعت الأسرة في منزلها في المصيطبة، بحضور سليم علي سلام، ومختار المحكمة محمد سعيد بن أحمد دوغان وحضور زوجة المتوفى خولة بنت عبد الجليل بن محمد سلام وبحضور أولاده: عبد المجيد وفاطمة وخديجة وحنيفة وزكية وخليل وعبد الرحمن وجميلة ونظلة. وقد وزع الميراث حسب الشرع الحنيف، وهو قطعة أرض في رأس بيروت قرب أراضي أحمد أفندي الصلح ومحمد أفندي ابن الحاج عبد الله أفندي بيهم وأرض جبري باشا والخواجا ترويليا الفرنساوي. ويتابع الدكتور حلاق: «والواقع أن الظروف لم تتح لسليم سلام أن ينال كثيراً من الدراسة نظراً الى وفاة والده (١٨٨٥) في زحمة الأعمال التجارية والمسؤولية العائلية. وكان سليم لما يتجاوز السابعة عشرة من عمره، مما اضطره إلى ترك مدرسته لتسلم مهام والده. وبعد فترة لوحظ بأنه أظهر تفوقاً في العمل التجاري رغم صغر سنه، الأمر الذي دعا كبار التجار إلى التشاور معه واستشارته في بعض القضايا الاقتصادية وأساليب رواج السلع التجارية وما هي إلا سنوات قليلة حتى تصاهر مع عائلة بيروتية بارزة هي عائلة البربير. فتزوج كلثوم ابنة عمر البربير التي أنجبت منه اثني عشر ولداً هم: علي، محيي الدين، محمد (أصبح رئيساً لجمعية المقاصد في ما بعد)، عمر، مصباح، صائب (أصبح نائباً ورئيساً للوزراء فيما بعد ورئيساً لجمعية المقاصد)، عبد الله، فؤاد، مالك (أصبح وزيراً)، فاطمة، عنبرة ورشا. هذا وقد توفي ابنه محيي الدين عن عمر يناهز ٢٢ سنة (من مواليد ١٨٩١) وتوفي في أيار ١٩١٣، وذلك بعد مرض ألم به».

على خطى والده

وعلى الرغم من أن سليم سلام أخذ عن والده العمل التجاري، واستمر في هذا العمل، غير أنه بدأ ينمو في ظل ظروف سياسية محلية وعثمانية مميزة، وفي وقت بدأت تواجه فيه الدولة العثمانية العديد من المشكلات كاحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢، وقرارات مؤتمر بال الصهيوني عام ١٨٩٧ باتخاذ فلسطين العثمانية وطناً قومياً لليهود، بالإضافة إلى المشكلات اللبنانية التي كانت تحدث بين الفترة والأخرى ابتداء من العام ١٨٦٠، وما نتج عنها من تدخل دولي، وما رافقه من اتجاهات طائفية وسياسية كانت من جملة عوامل تفكك المجتمع اللبناني.

وكان سليم سلام يرى ضرورة الحفاظ على الدولة العثمانية مع ضرورة إصلاحها وتطوير ولاياتها. ولهذا فإنه بدأ يهتم بالعمل السياسي منذ حداثته جنباً إلى جنب مع العمل التجاري. وأصبح منذ أواخر القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين وحتى وفاته إحدى الزعامات العربية اللبنانية، وإحدى الشخصيات التي قامت بدور بارز سواء في العهد العثماني أو في فترة الانتداب الفرنسي. وقد كان له كلمة مسموعة في أحداث البلد، بل في كل ما يتعلق بالبلاد العربية في الدولة العثمانية على ما تقول عنبرة سلام الخالدي في كتابها **جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين**.

عضو في غرفة التجارة

ومن الأهمية بمكان القول ـ يضيف الدكتور حلاق ـ أنه منذ اشتغال سليم سلام بالعمل السياسي والاقتصادي بدأ نشاطه يلفت نظر العثمانيين، فحاولوا استمالته فرفض العمل معهم من واقع التبعية، ولكن نتيجة لمركزه الاقتصادي والتجاري انتخب عام ١٨٩٥ عضواً في غرفة التجارة، وقد مثلها من عام ١٩٠٣ إلى عام ١٩٠٦ في المحكمة التجارية كممثل عن التجار وكعضو اليمين مع الرئيس عثمان صائب بك الذي أولاه ثقته واحترامه، فأعطى اسمه لأحد أبنائه. وفي عام ١٩٠٠ عين سليم سلام رئيساً للبنك الزراعي وبقي في هذا المنصب إلى عام ١٩٠٩. وفي فترة رئاسته للبنك حل بزراعة الحمضيات اللبنانية داء خبيث من جراء انتشار حشرة «Yeerya Purehasi» التي كادت تقضي على المحصولات الزراعية، وبالرغم من صعوبة المواصلات والاتصالات مع الخارج فقد استطاع أن يستقدم للمزارعين من أوروبا مبيداً قاتلاً لتلك الحشرة عرف باسم «Norwais Cordinalis».

رئيس بلدية بيروت

وحرص سليم سلام على الاشتغال في العمل الثقافي والاجتماعي على الصعيد الإسلامي، فأصبح عضواً في «جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية» عام ١٩٠٨، بعد أن عينه الوالي خليل

باشا مع بقية الهيئة الإدارية المقاصدية، ثم نتيجة لاندفاعه ونشاطه، أصبح عام ١٩٠٩ رئيساً للجمعية. وفي فترة رئاسته سعى لتطوير التعليم في مدارس الجمعية سواء من حيث الأساليب التعليمية أم من حيث نوعية المعلمين والمديرين، فاستعان ببعض المعلمين والمعلمات المتخصصات وفي مقدمتهم جوليا طعمة إحدى خريجات المدرسة الاميركية، كما طور أساليب واردات الجمعية فبلغت في العام ١٩١٢ (١٨٠) ألف غرش بعد أن كانت تئن في السابق من وطأة العجز والتدهور. ثم سعى لتوسيع دائرة المدارس المقاصدية، ونظراً الى إجماع الرأي البيروتي أصبح عضواً في مجلس إدارة ولاية بيروت في عهد الوالي ناظم باشا. وما هي إلا فترة وجيزة حتى تولى رئاسة بلدية بيروت عام ١٩٠٨ بعد رئيسها السابق محمد أياس. وأول عمل قام به ـ على ما جاء في **مذكراته** ـ «السعي لتحصيل الاموال المتراكمة، فأخذت بتصليح الطرقات وباشرت بالمعاملات اللازمة لانتخاب المبعوثين، وتعيين اللجان والإشراف عليها والتي أسفرت عن انتخاب رضا بك الصلح وسليمان أفندي البستاني. ولم انته من انتخاب المبعوثان حتى باشرت بانتخاب أعضاء البلدية».

منذ ذلك الوقت بدأ يظهر اسمه في الأوساط السياسية العثمانية والأوروبية، وبدأت شخصيته تلفت نظر الولاة والحكام العثمانيين والقناصل الأوروبيين، فأرسل «قوجه» (Couget) قنصل فرنسا العام في بيروت تقريراً إلى وزير الخارجية الفرنسية في ١٧ أيار ١٩١١ أشار فيه إلى موضوع الانتخابات في بيروت وترشيح سليمان البستاني نائباً عنها. وذكر التقرير أنه بالمناسبة كان هناك تنافس بين كامل الأسعد وسليم سلام في الانتخابات.. وعرف «قوجه» سليم سلام بأنه العضو المسلم في مجلس إدارة ولاية بيروت، وهو محبوب جداً من المسيحيين فيها وهم راضون عنه (راجع عادل اسماعيل في **الوثائق الدبلوماسية والقنصلية**، جزء ١٨، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢).

مع الخديوي عباس

تعددت التقارير الأجنبية التي تناولت نشاط أبي علي سلام السياسي، فذكرت رحلته إلى مصر عام ١٩١٢ واجتماعه بالخديوي عباس حلمي بهدف العمل لوحدة البلاد السورية ودمجها مع مصر. ومهما يكن من أمر، يقول الدكتور حلاق، فإن سليم سلام، يبقى عثماني النزعة، ولكنه كان إصلاحياً مؤمناً بضرورة تحسين أوضاع ولايته والولايات العربية الأخرى. ولهذا استطاع مع نفر من البيروتيين قيادة «الحركة الإصلاحية» علناً في بيروت في عامي ١٩١٢ و١٩١٣ ولاسيما مع صديقه أحمد مختار طبارة. نشر في ٢٢ كانون الأول ١٩١٢ مقالة أشار فيها إلى أنه لا يمكن للأمة ولا للدولة حياة بدون الإصلاح. «ولا أظن يوجد أحد ممن منّ الله عليه بنعمة البصر والبصيرة إلا ويرى أن الحالة التي أوصلتنا إليها سوء الإدارة الماضية بعدم إعطائها وإجرائها الإصلاحيات اللازمة لحياة هذه الدولة هي التي كانت سبباً لنشوب الحروب الداخلية والخارجية مما أدى إلى انسلاخ جملة ولايات عن جسم الدولة العلية». وأضاف محدداً ما يريده من الإصلاح بقوله: «فالإصلاح يكون على أنواع متعددة وكفانا ما جربناه من الإصلاحات المركزية التي لم تكن تتعدى دائرة الحبر والورق، ولذلك وجب علينا الآن أن نتوسل الإصلاح الحقيقي وهي المسماة باللامركزية».

الجمعية الإصلاحية

وفي الأول من شباط ١٩١٣ استطاعت «جمعية الإصلاح العام في ولاية بيروت» تأسيس لجنة عرفت بلجنة الإصلاح أو «الجمعية الإصلاحية»، وأعلنت برنامجها المؤلف من ١٤ بنداً وأهم ما جاء فيه: تحقيق الاستقلال على أساس اللامركزية بحيث تبقى الولايات العربية جزءاً من الدولة العثمانية في مقابل تمتعها بالحكم الذاتي، على أن يتولى إدارتها وشؤونها رجال من أبناء الولايات العربية. كما طالبت لجنة الإصلاح بالاعتراف باللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة التركية وأن يعمل بها مجلس المبعوثان. والجدير بالذكر أن اللائحة الإصلاحية وضعت بعد جلسة عقدت برئاسة سلام في ٣١ كانون الثاني ١٩١٣ جرى فيها بعض التعديلات والإضافات ثم فوضت الجمعية لجنة لملاحقة تنفيذ المشروع.

والحقيقة أن هذا البرنامج الإصلاحي قوبل بتأييد وارتياح من قبل المسيحيين والمسلمين في بيروت، ولاسيما أن الجمعية الإصلاحية تعتبر أول جمعية لبنانية غير طائفية ضمت بين أعضائها المسلمين والمسيحيين على السواء. وكان لجهود سليم سلام وأحمد مختار بيهم أثر واضح في انتساب المسيحيين إلى الجمعية الإصلاحية، وإن كان البعض من أعضائها المسيحيين قد استغلوا عضويتهم لإجراء اتصالات سرية مع فرنسا. وفي ١٧ آذار ١٩١٣، أرسل قنصل فرنسا تقريراً إلى وزارة الخارجية الفرنسية أشار فيه إلى أعضاء لجنة الإصلاح المنتخبين الذين اجتمعوا بالوالي حازم بك، وبرئيس البلدية، كانوا ممثلين بأبي علي سلام، وأن كامل الصلح قدم مشروع اللجنة الإصلاحية، كما ألقى بترو طراد خطاباً تحدث فيه عن تاريخ اللجنة وطلب من حازم بك مساندة البرنامج، وأن من أهداف اللجنة توطيد الروابط بين سوريا والدولة العثمانية، ثم تكلم أحمد مختار بيهم مشدداً على ديناميكية الحركة الإصلاحية التي تلقى التأييد من كل الطوائف. ومما ذكره القنصل عن سليم سلام بأنه العضو الأكثر تأثيراً في الجمعية، وإنه لم يكن طائفياً بدليل أنه انتقد الوالي واشتكى من عدم إعطاء المسيحيين نصف المناصب في داخل مجلس ولاية بيروت.

حل الجمعية الإصلاحية

وفي ٨ نيسان ١٩١٣ شعر الاتحاديون بخطورة المطالب الإصلاحية فسارعوا إلى حل الجمعية الإصلاحية، واعتقال بعض قادتها، وإغلاق ناديها في منطقة باب إدريس. وفي اليوم نفسه اجتمع الوالي أبو بكر حازم بك بسليم سلام وبترو طراد ـ مديري الجمعية ـ وقال لهما: «إن الحكومة أمرت بقفل النادي ومنع اجتماعات الجمعية، لأن الحكومة شرعت بتطبيق قانون الولايات الجديد وسحبت الرخصة المعطاة لها سابقاً. أضربت مدينة بيروت احتجاجاً على عمل الاتحاديين، ثم ما لبثت أن أضربت مختلف الولايات العربية. والجدير بالذكر أن اقفال مدينة بيروت استمر لعدة أيام، ولم تفتح محلاتها وحوانيتها إلا بعد رضوخ الوالي لمطالب الأهالي، وهو إطلاق سراح أعضاء الجمعية المعتقلين وفي مقدمتهم زكريا طبارة، اسكندر العازار، رزق الله أرقش، سليم الطيارة،

ومختار ناصر، وإيقاف ملاحقة الفارين من أعضائها، ولاسيما الذين التجأوا إلى منطقة جبل لبنان، ونزلوا في دار الأمير مصطفى أرسلان في عين عنوب.

في مجلس المبعوثان

إثر قرار حل الجمعية الإصلاحية، تداعت الجمعيات والشخصيات العربية للبحث في إمكانية عقد مؤتمر باريس لبحث الحالة التي وصلت إليها الولايات العربية. وانعقد المؤتمر وحضره سليم علي سلام وأحمد مختار بيهم وخليل زينية والشيخ أحمد حسن طبارة وأيوب ثابت والبر سرسق. ولما انتهى مؤتمر باريس باتخاذ مقرراته الإصلاحية رأت الحكومة العثمانية دعوة بعض المسؤولين في المؤتمر لإجراء مباحثات معهم، فتألف وفد ثلاثي من سليم علي سليم، ومختار بيهم، والشيخ أحمد حسن طبارة وسافروا إلى الأستانة لمتابعة المفاوضات. قابل الوفد طلعت باشا، والسلطان محمد رشاد بحضور ناظر الزراعة سليمان البستاني وعبد الكريم الخليل. وطلب أعضاء الوفد تنفيذ المطالب الإصلاحية فوعدهم خيراً. بعد أن أشار إلى ضرورة توطيد العلاقة بين الحاكم والمحكومين، فرد سليم سلام باسم الوفد باللغة التركية، بأنه ليس في نية العرب أن يخلوا بهذه الرابطة بل «إن العرب يفدون أرواحهم وأموالهم وأولادهم للمحافظة على مقام الخلافة العظمى». وفي الثاني من أيلول ١٩١٣ عاد الوفد إلى بيروت، فلقي ترحيباً واسعاً واستقبالاً حاشداً، وذهبت القوارب إلى عرض البحر لاستقباله، وكان من جملة المستقبلين مدير البوليس مصطفى بك الخالدي نائباً عن الوالي علي منيف بك، كما استقبلهم الوالي نفسه في دار الحكومة فيما بعد.

بعد النجاح الذي حققه سليم سلام على الصعيد العربي والعثماني رأت الدولة العثمانية ضرورة مكافأته، وذلك بمساعدته لأن يصبح نائباً في مجلس المبعوثان في استانبول لعام ١٩١٤. رفض سلام العرض لأنه ليس اتحادياً وغير موال للاتحاديين، كما أنه ليس بمقدوره أن يترك أشغاله التجارية في مدينة بيروت. فألح عليه وتدخل الأصدقاء والوسطاء بقبول المنصب، فأعلن ترشيحه وأجريت الانتخابات في ٩ نيسان ١٩١٤ وفاز سليم سلام وكامل الأسعد وميشال سرسق ضد اللائحة المنافسة المكونة من جان نقاش، وسامي الصلح وطه الدور. وفي ٢٩ أيار ١٩١٤ توجه سلام إلى الأستانة بحراً فوصلها في ٤ حزيران، وذلك للالتحاق بمجلس المبعوثان الجديد. ومنذ وصوله بدأ يسعى لتحقيق مطالب ناخبيه والعمل على إنشاء تكتل عربي نيابي من المبعوثين العرب للمطالبة بحقوق شعوب الولايات العربية المحافظة على المكاسب التي سبق أن نالوها. بعد عودة سلام إلى بيروت توجه إلى دمشق وقابل أحمد جمال باشا بهدف التوسط معه للإفراج عن بعض المعتقلين اللبنانيين والسوريين المتعاونين مع فرنسا وإنكلترا للقيام بثورة عربية ولاسيما نخله المطران وأسعد بك حيدر، غير أن جمال باشا رفض رفضاً قاطعاً الخوض في مثل هذا الحديث.

وجاء في تقرير أرسله القنصل الفرنسي إلى وزير الخارجية وصف فيه سليم سلام بالقول:

«إن الذي يُكنى عادة بـ«أبي علي» هو من أولئك البيروتيين الذين قدّوا من صخر قديم، ذو النبرة القاسية، ولكنها مليئة بطعم ولون. وهو ذو ذكاء لافت للنظر، وحديثه على بساطته، بليغ ومقنع، وشخصيته تنضح قوة وشجاعة وعزماً. إنه يمثل دائماً روح الاجتماعات وبالرغم من ثقافته العادية، فإن تأثيره في أبناء طائفته، وفي الآخرين، لا يمكن نكرانه. ولو أن هذا الرجل ولد وترعرع في بلد يتمتع بالحرية، لكان حتماً أصبح من الأشخاص المرموقين. فهو عنوان الرجولة وزعيم لا يضاهى».

ومن الأهمية بمكان أن اتجاهات سليم سلام وأحمد مختار بيهم، لم تكن تهدف إلى الانفصال عن الدولة العثمانية، وإنما الانفصال الإداري عنها وهو ما يعرف باسم النظام اللامركزي. وبالرغم من أن سليم سلام كان عثماني السياسة غير أن ذلك لا يعني أنه كان موالياً للعثمانيين موالاة التبعية، وموالاة عمياء، بدليل ما اقترحه في المؤتمر العربي في باريس، وهو رفض كل وظيفة في الدولة العثمانية تعرض على العرب قبل تحقيق المطالب الإصلاحية.

عثماني وعروبي

صحيح أن سليم سلام كان عثمانياً، ولكنه كان أيضاً مؤمناً بالعروبة، فمنذ العام ١٩١٨ نراه يتعاون مع الأمير فيصل بن الشريف حسين طالما أن هدفه وحدة البلاد العربية، وبينها وحدة البلاد السورية كما كانت عليه زمن الدولة العثمانية، ولهذا وجدنا أن سلام استمر طيلة فترة الانتداب الفرنسي حتى وفاته عام ١٩٣٨ يعمل من أجل الوحدة السورية الشاملة ويتزعم أكثر التحركات والمؤتمرات الوحدوية لاسيما مؤتمرات الساحل.

لقد استوعب سليم سلام أخطار الدول الكبرى الأجنبية في مقدمتها الأخطار الفرنسية والبريطانية، ولهذا رأى من المفيد إبعاد هاتين الدولتين عن التدخل في شؤون الدولة العثمانية، كما رأى أن تحقيق الإصلاح واجب حتمي ولكن ليس بالضرورة أن يتم عن طريق الدول الطامعة في المناطق العربية، بل عن طريق اختصاصيين من الدول الصغرى لبينما يتسنى لنا إعداد رجال من أبناء البلاد يكون بهم الكفاءة للعمل.

لا ... لفرنسا

وفي الوقت الذي كانت فيه بعض القوى اللبنانية تتعامل مع فرنسا كانت هناك قوى أخرى تتعامل مع إنكلترا، غير أن سليم سلام رفض مثل هذا التعامل، وأصرّ على ولائه لوحدة العثمانيين في إطار الاستقلال الذاتي والإصلاحات الضرورية. ومما يدل على رفضه التعامل مع فرنسا أو إنكلترا قوله لعبد الكريم الخليل قبل إعدامه، وكان يسعى للتعاون مع الإنكليز للقيام بثورة عربية مسلحة ضد العثمانيين: «أنصحك أن لا تتورط بهكذا مسائل». وكأنه يريد تحذيره من هذه الخطوة إن هو أقدم عليها والتي لن توصله إلا إلى التهلكة.

مع الأمير فيصل

بعد الإعلان عن قيام الحكومة العربية في بيروت برئاسة عمر الداعوق، تبين بأن فرنسا وإنكلترا بدأتا تعملان لتقويض أركانها. وبدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع الوطني مع القوى الأجنبية، كما بدأت الاجتماعات السياسية تتوالى في منزل سليم سلام لمواجهة التطورات المستجدة وذلك بالتنسيق مع الأمير فيصل. وفي شهر تشرين الثاني ١٩١٨ وصل الأمير فيصل من دمشق إلى بيروت عن طريق طرابلس فوافاه سليم سلام وأحمد مختار بيهم وعمر الداعوق وسواهم إلى نهر الكلب لاستقباله. وقد لقي ترحيباً واستقبالاً كبيرين باعتباره يمثل الفكرة الوحدوية. وبعد أن مر بساحة البرج في بيروت انتقل إلى منزل الياس إبراهيم سرسق في الأشرفية حيث حل ضيفاً على الجنرال الإنكليزي «بلفن» وكيل القائد العام لجيوش الشرق، وزار سليم سلام في منزله وتباحثا في الوضع العام، وكانت مناسبة تبرع خلالها الأمير فيصل لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية بألف جنيه ذهب إنكليزي.

اشتدت آنذاك المعارضة الوطنية للسيطرة الفرنسية، فعمد الفرنسيون إلى إيقاظ النعرات الطائفية، واستمالة طائفة دون سواها، كما بدأوا بضرب الزعامات اللبنانية المعارضة، فاعتقلوا سليم سلام في أوائل العام ١٩١٩ وزجوه في السجن مدة أربعة أشهر في الطابق الأرضي من السراي الكبير ومنعوا عنه أي اختلاط أو مقابلة. ولم تطلق السلطات الفرنسية سراحه إلا في ٣٠ نيسان ١٩١٩ بعد مساع عديدة بذلها الأمير فيصل الذي كان يرأس في باريس وفد المفاوضة عن العرب في مؤتمر الصلح. وبلغ من حقد السلطات الفرنسية عليه أن أوعزت لبعض عمالها في اللاذقية إحراق مزرعته هناك وإتلاف ما فيها من الدخان بغية القضاء على نفوذه المالي. وقدرت الخسائر المادية التي لحقت به من جراء عملية الإحراق بنحو خمسين ألف ليرة ذهبية.

تبوأ أبو علي سلام العديد من المناصب الاقتصادية والإدارية والتربوية والسياسية أشرنا إلى بعضها في سياق هذا البحث، ولكن المنصب الأهم والمركزي في حياته السياسية هو ترؤسه مؤتمرات الساحل الوحدوية من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٦.

رئيس مؤتمرات الساحل

بعد انقطاع اضطراري عن العمل السياسي استمر عشر سنوات قضاها متنقلاً ما بين لندن وبيروت والحولة في فلسطين، استعاد بقوة نشاطه على الساحة الوطنية. ففي ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٣ عقد في منزله في بيروت وبناء لدعوته مؤتمر اشترك فيه وفود من بيروت وطرابلس وصيدا وصور وجبل عامل. ومن بين هذه الوجوه: عبد الحميد كرامي، عبد اللطيف البيسار، عمر بيهم، محمد جميل بيهم، شوقي الدندشي، علي ناصر الدين، يوسف يزبك، صلاح بيهم، والشيخ أحمد عارف الزين. وقد ناقش المؤتمرون الوضع السياسي في لبنان، وانتهوا إلى الاتفاق على وضع مذكرة رفعها سليم سلام باسمهم إلى المفوض السامي. ومما جاء فيها: «... لقد سبق وقدمنا لأسلافكم في

مناسبات عديدة عرائض واحتجاجات، ورفعنا مرات عديدة لحكومة فرنسا الفخيمة، وإلى جمعية الأمم مطالبنا... وبأننا نحرص جداً على أن نكون ضمن الوحدة السورية العامة التي لا حياة لبلادنا من دونها...» وقد لاقت هذه المذكرة برقيات التأييد من الشمال والجنوب والبقاع وبيروت، كما أرسلت برقيات إلى المفوض السامي أعلمت تأييدها لخطوة المؤتمرين. كما أرسل هاشم الاتاسي رسالة من دمشق إلى سليم سلام في كانون الاول من العام ١٩٣٣ جاء فيها: سيدي الرئيس... الكتلة الوطنية ترجو المثابرة على العمل لتحقيق الوحدة بكل الوسائل المشروعة».

سوريا.. أمنا

وفي العاشر من آذار ١٩٣٦، عقد مؤتمر الساحل للمرة الثانية في بيروت وبرئاسته، وفي منزله بالمصيطبة وذلك للبحث في موضوع الوحدة السورية ومشروع المعاهدة الفرنسية اللبنانية. وقد اشترك في المؤتمر إضافة إلى سليم سلام كل من عبد الحميد كرامي، محمد جميل بيهم، كاظم الصلح، عادل عسيران، فوزي بردويل، علي ناصر الدين، حسن القاضي، مأمون أياس، أمين خضر، صلاح عثمان بيهم، شوقي الدندشي، أحمد عارف الزين، سليمان الظاهر، عبد اللطيف البيسار، يوسف يزبك، صلاح لبكي، عمر بيهم، الشيخ أحمد رضا. افتتح سليم سلام الجلسة بالقول: «لما كنتم من مفكري هذه الامة، ومن مجاهديها المخلصين، فقد دعوناكم لعقد مؤتمر نقرر فيه موقفنا نحن أبناء الاقضية والمدن المسلخة عن أمنا سوريا»... انقسم المؤتمرون فيما بينهم: قسم مؤيد للوحدة السورية، وقسم معارض لها. والانقسام الذي حصل ليس على أساس طائفي، إنما على أساس الاتجاهات السياسية والموقف من كيان لبنان. وقف كاظم الصلح وعادل عسيران موقفاً معارضاً للوحدة، فيما وقف عبد الحميد كرامي، وسليم سلام موقفاً مؤيداً، الأمر الذي أدى إلى خلافات حادة بين أعضاء المؤتمر. هذه الخلافات لم تحبطه، بل استمر في عمله السياسي القومي والإسلامي، فترأس المجلس القومي الإسلامي من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٨ وراح يدافع عن الفكرة القومية الوحدوية وعن المطالب الإسلامية، ولهذا أشارت التقارير الدبلوماسية، ولاسيما الفرنسية والبريطانية إلى «أن سليم سلام زعيم القوى الإسلامية لا يزال يدافع عن الوحدة مع سوريا».

المجلس القومي الإسلامي

وفي تشرين ١٩٣٦ دعا إلى مؤتمر انتهى إلى رفع مذكرة في ٢٨ تشرين الأول للمفوض السامي الفرنسي الكونت دي مارتل، طالب بتحقيق المطالب الإسلامية والوطنية محتجاً على المعاهدة الفرنسية ـ اللبنانية. وفي شهر تشرين الثاني ١٩٣٦ طلب الكونت دي مارتل الاجتماع إلى سليم سلام ووجوه الطائفة الإسلامية. لبى سليم سلام الطلب وترأس وفداً بتاريخ ١٣ تشرين الثاني، مكوناً من رياض الصلح، عمر بيهم، أمين أرسلان، سليم الطيارة، الشيخ أحمد عارف الزين. وبعد نقاش دار معهم سلمهم المفوض رسالة جوابية على مذكرتهم، اتهمهم فيها بالعمل

من منطلق طائفي، غير أن سلام رد على هذه التهمة، وأكد أن على الدولة أن تعامل الجميع على أساس المساواة، كما دافع رياض الصلح عن موقف «المجلس القومي الإسلامي»، ومما قاله للمفوض الفرنسي: «إننا لم نتقدم بمطالبنا باسم الشعار الطائفي إلا لأن انفصال لبنان نفسه يستمد وجوده من الشعار الطائفي. لولا الطائفية ما كان لبنان منفصلاً عن سوريا، ونحن مع ذلك مددنا يدنا للاتفاق مع إخواننا، وهذه يدنا لا تزال ممدودة ونرجو بعد الآن أن لا تبقى حاجة لعقد المؤتمرات منا ومنهم». (راجع **النهار**، ١٤ تشرين ١٩٣٦ ـ بيروت). وقد ردت اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي الإسلامي على مذكرة المفوض السامي بمذكرة مسهبة رداً على اتهاماته ومزاعمه. وأكدت المذكرة: إن المسلمين لم يطالبوا بغير حقوقهم السياسية منذ ١٨ عاماً، ولما لم تعمد السلطات الفرنسية واللبنانية إلى إنصاف المسلمين فقد أصدر سليم سلام باسم المجلس القومي الإسلامي في حزيران ١٩٣٧ مذكرة تضمنت احتجاجاً على النكث بالعهود ولاسيما قاعدة ٦ و٦ مكرر، وقد سبقت هذه المذكرة مذكرة احتجاج ضد سياسة التمييز الطائفية وصبغ لبنان بصفة طائفية ومشكلة تجنيس المغتربين (انظر المذكرة في جريدة **النهار** في ١٣ شباط ١٩٣٧).

هكذا بقي سليم علي سلام مستمراً في نشاطه المناهض للممارسات الفرنسية إلى أن أقعده المرض في حزيران ١٩٣٨. وما هي إلا أسابيع قليلة حتى وافته المنية في منزله في محلة المصيطبة، تاركاً وراءه إرثاً سياسياً ضخماً حمله من بعده نجله صائب سلام، ومالك سلام وسواهما من أبناء هذه العائلة.

أعلام من عائلة سلام

صائب سلام

ولد في بيروت في ١٩٠٥/١/١٧. تلقى دراسته في المقاصد الإسلامية ثم في الجامعة الأميركية، ونال الإجازة في الحقوق. وتابع دراسته في كلية الاقتصاد في جامعة لندن. تزوج سنة ١٩٤٠ تميمة مردم بك، ولهما خمسة أولاد هم: تمام، فيصل (توفي في حادث سير في السعودية في تموز ١٩٩٦)، عمرو، ثريا وعنبرة. (تمام كان رئيساً لمجلس أمناء جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، لكنه استقال بعد الانتخابات النيابية سنة ٢٠٠٠ التي خسر فيها. وكان نائباً عن بيروت في دورة ١٩٩٦).

انتخب نائباً عن دائرة بيروت في ١٩٤٣/٩/٦، وأعيد انتخابه في الدورات التالية: ١٩٤٧ ـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢. أسس وترأس مجلس إدارة شركة طيران الشرق الأوسط سنة ١٩٤٥. بين أيار ١٩٤٦ وكانون الأول ١٩٤٦، عين وزيراً للداخلية في حكومة سعدي المنلا. وشارك في تأسيس الندوة اللبنانية مع ميشال أسمر في سنة ١٩٥٢. بين ١٤ و١٨ أيلول ١٩٥٢، ترأس الحكومة التي بدأت معها الأزمة السياسية ضد عهد الشيخ بشارة الخوري. وفي العام نفسه، اتصل بقادة ثورة ٢٣ تموز في مصر وحارب حلف بغداد، وحج إلى الأراضي

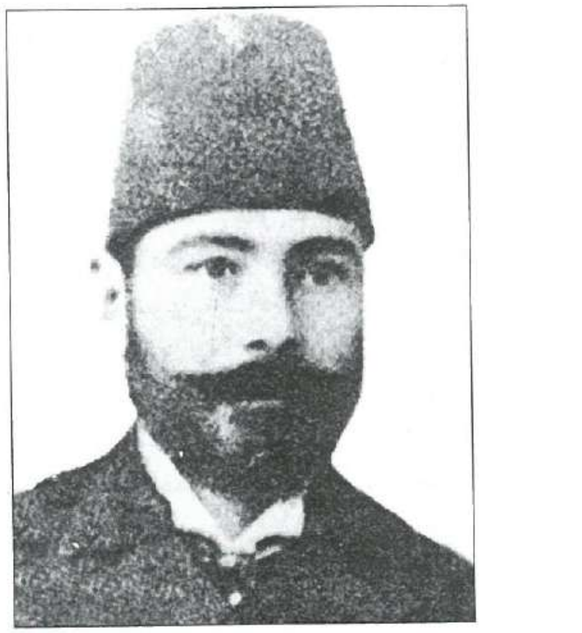
المقدسة. وترأس حكومة الانتخابات في ١٩٥٣/٤/٣٠ واحتفظ بحقيبتي الدفاع والداخلية، وبقيت حكومته حتى ١٩٥٣/٨/١٦.

عين وزيراً للدولة في حكومة عبد الله اليافي في آذار ١٩٥٦، وبقي في موقعه حتى تشرين الأول ١٩٥٦. وخاض معركة فرض الضرائب على شركات البترول، وحقق ذلك عبر مجلس النواب. تسلم رئاسة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية بعد وفاة شقيقه محمد. وفي عام ١٩٥٧ فشل في الانتخابات النيابية، وفي أيار ١٩٥٨ جرح خلال إحدى التظاهرات المعادية لكميل شمعون. وفي العام ١٩٥٨ شارك في الثورة ضد كميل شمعون في بيروت. وعام ١٩٦٠ ترأس أول حكومة شهابية وتسلم فيها أيضاً حقيبة وزارة الداخلية.

ترأس الوفد اللبناني إلى الأمم المتحدة في سنة ١٩٦٠ حيث التقى الرئيسين خروتشوف وإيزنهاور، كما ترأس الوفد اللبناني إلى مؤتمر عدم الانحياز في بلغراد. وفي ٢٠ أيار ١٩٦١، قدم استقالته من رئاسة الحكومة، ثم كلف مجدداً بتأليفها، فشكل حكومة جديدة واحتفظ لنفسه بحقيبة الدفاع. وبقيت هذه الحكومة حتى ٣٠ تشرين الأول ١٩٦١. عام ١٩٧٠ دعم سليمان فرنجية في معركة رئاسة الجمهورية ضد المرشح الشهابي إلياس سركيس. وفي ١٣ تشرين الأول من العام نفسه، شكل حكومة «الشباب» التي رفعت شعار «الثورة من فوق»، واحتفظ لنفسه بحقيبة وزارة الداخلية. واستمرت هذه الحكومة حتى ٢٧ أيار ١٩٧٢. وخلالها وقع مرسوم إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى استجابة للإمام موسى الصدر. وفي عام ١٩٧١ أبعد شقيقه مالك سلام عن وظيفته واتهمه بالاختلاس. والجدير بالذكر أن مالك هو صهر الرئيس رشيد كرامي. وبين أيار ١٩٧٢ ونيسان ١٩٧٣، ترأس حكومته الثانية والأخيرة في عهد الرئيس سليمان فرنجية.

في ٩ حزيران ١٩٧٢، تعرض لمحاولة اغتيال على باب مجلس النواب على يد أحمد دياب خضر الذي ناداه «صائب يا ديكتاتور» ورماه بأزميل حديدي. وبين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣ أجرى تشكيلات واسعة في الإدارة والأجهزة الأمنية. وأقفل غرفة التنصت على المكالمات الهاتفية، وأبعد ضباط المكتب الثاني الذين التجأ بعضهم إلى دمشق. وفي هذه الفترة انفجرت في وجهه أزمة صواريخ «كروتال»، كما تفاقمت الأزمات الاجتماعية والطلابية. وفي ١٠ نيسان ١٩٧٣ استقالت حكومته بعد العملية الإسرائيلية في شارع فردان في بيروت، والتي ذهب ضحيتها ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينية هم: محمد يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان.

عام ١٩٧٤، اعتذر عن تشكيل حكومة جديدة، وفي العام نفسه شارك في عضوية الوفد اللبناني إلى الأمم المتحدة لبحث القضية الفلسطينية. وفي عام ١٩٧٥، شارك في هيئة الحوار الوطني، وأيد دخول قوات الردع العربية إلى لبنان. لعب دوراً بارزاً في المفاوضات اللبنانية ـ الفلسطينية ـ الإسرائيلية سنة ١٩٨٢ عبر المبعوث الأميركي فيليب حبيب، وأسفرت المفاوضات عن إخراج المقاومة الفلسطينية من بيروت. وفي ١٩٨٢/١٠/٧ اتهم إسرائيل بالوقوف وراء مجازر صبرا وشاتيلا، وطالب بتمثيل دبلوماسي بين سوريا ولبنان رافضاً أي معاهدة أمنية بين الدولتين. صوّت مع اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ بين لبنان وإسرائيل، ولاحقاً أيد إسقاطه. وشارك في مؤتمري جنيف ولوزان (تشرين الثاني ١٩٨٣ وآذار ١٩٨٤) في عداد لجنة الحوار الوطني لحل



سليم سلام عضو مجلس المبعوثان

الأزمة اللبنانية.

في ١٩٨٥/١/٢٣، أطلقت قذيفة صاروخية على منزله في المصيطبة، وقد اتهم المكتب الثاني بالمسؤولية المباشرة عن هذه الأعمال. قال في مقابلة مع «الأنوار» (١٩٨٥/٣/١٨): «الشيوعية والخمينية المتطرفة تفتك بنا، والكل يريد أخذنا بطريقه». غادر إلى جنيف لضرورات صحية ملحة في ١٩٨٥/٣/٣٠. وتعرض منزله لاعتداء مسلح، وأصيب أحد حراسه بجروح خطرة في ١٩٨٥/١٢/٢٦.

زار باريس واجتمع مع البطريرك نصر الله صفير في ١٩٨٧/١١/١٥ واعتبره «شيخاً من شيوخ الوطنية في لبنان يتمتع بالحكمة والروية والوطنية الصادقة». وامتنع عن استقبال الرئيس أمين الجميل في جنيف وقال في حديث لجريدة «**السفير**» (١٩٨٧/١٢/١٨): «إن ترشيح الجميل لي رئيساً للحكومة هو سبب امتناعي عن استقباله». وشارك في نيسان ١٩٨٩ في اجتماعات المرحلة الثالثة من عمل اللجنة العربية الوزارية السداسية المكلفة بحث الأزمة اللبنانية. وقال في حديث للتلفزيون اللبناني: «لو رفعت البندقية عن رؤوس اللبنانيين، لخشيت على الجمهور الأكبر منهم الاختناق من كثرة العناق» وأضاف «إن أحداً لا يستطيع أن يفصل العلاقة الطبيعية وعلاقة الدم والمصلحة بين سوريا ولبنان»، وأشار إلى أن القوات السورية موجودة في لبنان بطلب رسمي شرعي وبقرار عربي إجماعي.

رفض في حديث لجريدة «**القبس**» الكويتية (١٩٨٩/٤/٧) دعوة رئيس الحكومة العسكرية العماد ميشال عون إلى انسحاب القوات السورية من لبنان وقال: «أنا لا يمكن أن أنسى كيف أنه اعتبر في وقت ما بأن منطقة بيروت الغربية هي جزء من غير لبنان فحاصرها وضربها وكاد أن يقضي على أهاليها خنقاً بحرمانهم الغذاء وضرورات الحياة. إن بيروت ليست مجرد شوارع وجدران يمكن أن نعود ونبنيها في أي وقت، فهناك أناس يعيشون فيها، وهناك نساء وأطفال وأبرياء لهم الحق في الحياة». وشدد في مذكرة بعث بها في ١٩٨٩/٥/٢٣ إلى القمة العربية في المغرب على ضرورة التضامن العربي، مؤكداً على ضرورة إعادة الشرعية إلى لبنان بانتخاب رئيس للجمهورية على أن يتزامن ذلك مع إصلاحيات قانونية ودستورية لم يعد منها بعد على أساس العدالة والمساواة بن أبنائه. وشارك في الاجتماعات النيابية التي عقدت في الطائف ـ السعودية (تشرين الأول ١٩٨٩). وقد صرح في بداية هذه الاجتماعات بأن الفشل ممنوع، وأضاف: «علينا

التفاهم وعدم الدعوة الملحة إلى انسحاب القوات السورية» وإلى التفريق بين الوجود السوري في لبنان والاحتلال الإسرائيلي» محذراً من «أخطار يمكن أن تنجم عن الانسحاب السوري إذا حصل». وفي ١٩٩٠/٨/٢١ جاء من جنيف مباشرة إلى المجلس النيابي ليوافق على التعديلات الدستورية المنصوص عليها في وثيقة الوفاق الوطني التي أقرت في الطائف.

قابل العديد من الملوك والرؤساء والشخصيات العربية والعالمية منهم: خروتشوف، عبد الناصر، إيزنهاور، نهرو، الحسن الثاني، هيلاسيلاسي، تيتو، حافظ الأسد، أحمد حسن البكر، الملك فيصل، الملك خالد، الملك فهد، المطران مكاريوس، أنور السادات، جورج بومبيدو ... وغيرهم. توفي في ٢٠٠٠/١/٢٠.



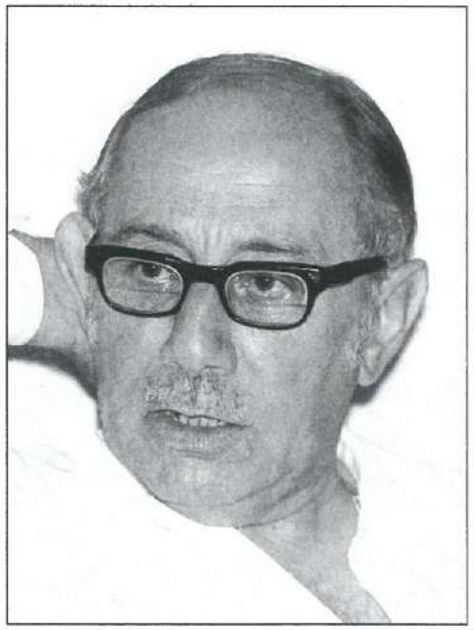
صائب سلام

مالك سلام

ولد في بيروت في ١٨ شباط ١٩١٧. متزوج من شقيقة الرئيس رشيد كرامي نجوى عبد الحميد كرامي (توفيت في ١٩٩٦/١/١٩)، ولهما أربعة أولاد: هالة (زوجة كلوفيس مقصود)، هانية (زوجة غسان العثمان)، ندى (زوجة وليد نجا). تلقى علومه الابتدائية في مدرسة «ماري كساب»، ثم في المقاصد القنطاري وانتقل بعدها إلى الجامعة الاميركية في بيروت لمدة سنتين، فإلى الكلية الاسكوتلندية في صفد فلسطين عام ١٩٣١، ونال شهادة البكالوريا الإنكليزية بدرجة شرف، ثم تخرج في جامعة «لافيرا» للهندسة في بريطانيا عام ١٩٣٩ مهندساً مدنياً بدرجة شرف.

عين عام ١٩٤٠ مهندساً في وزارة الأشغال في الأردن، ثم في وزارة الأشغال في حيفا وتسلم منطقة عكا. وتسلم إدارة شركة «الدسم» التي كان يملكها «آل سلام» والتي تتعاطى صناعة البذور الزيتية وتكريرها، وصمم القسم الأكبر من هذه المصانع بنفسه، وأشرف شخصياً على صنعها محلياً وتركيبها وتشغيلها.

عين رئيساً لمجلس إدارة مصلحة مياه بيروت في تشرين الأول ١٩٥٩. وفي مطلع ١٩٦٠ تسلم المديرية العامة للطرق والمباني والتنظيم المدني. وفي أيلول ١٩٦٥ عين رئيساً لمجلس تنفيذ



مالك سلام

المشاريع الإنشائية، وبهذه الصفة كان مسؤولا عن دراسة مشاريع عدة وتنفيذها، منها الحوض الثالث في مرفأ بيروت وبعض الأوتوسترادات وتقويم مجرى نهر «أبي علي» في طرابلس، ونهر بيروت وكلية العلوم في الشويفات، واهراءات القمح في مرفأ بيروت، ومشروع طرق القرى المحرومة، ومشروع تصميم التوتر الكهربائي في لبنان وسواه.

في نهاية ١٩٦٦ عرض عليه منصب وزير الأشغال العامة والموارد المائية، فاعتذر مفضلاً البقاء في رئاسة مجلس تنفيذ المشاريع. واشترك بين العامين ١٩٧٢ و١٩٧٦ في «حركة التوعية» برئاسة الدكتور عبد الله اليافي. وعين في حكومة الرئيس رشيد الصلح في ٣٠ تشرين الاول ١٩٧٤ ولغاية ١٥ أيار ١٩٧٥، وزيراً للموارد المائية والكهربائية، واستقال بعد استشهاد معروف سعد في صيدا. وكان أحد مؤسسي «التجمع الإسلامي» الذي أنشئ في تموز ١٩٧٦. وعين رئيساً لمجلس الإنماء والإعمار في ٤/٩/١٩٨٤ خلفاً للدكتور محمد عطا الله. وقدم استقالته من رئاسة مجلس الإنماء والإعمار في ١٢/٦/١٩٨٦، ولكن الاستقالة رفضت. وفي أوائل شهر أيار ١٩٨٧ نجا من محاولة اغتيال بواسطة قنبلة يدوية ألقاها عليه مسلحون وهو يهم في ركوب سيارته أمام منزله في طلعة شحادة في بيروت الغربية. توفي في ١٥/٦/٢٠٠٠.

عاصم سلام

ولد في العام ١٩٢٤. والده عبد الله سلام. درس الهندسة الزراعية في إنكلترا (١٩١١-١٩١٤) وبعد عودته عمل سكرتيراً لحكومة الأمير فيصل. عمته عنبرة سلام: أول امرأة خلعت الحجاب في بيروت. تلقى علومه الابتدائية في مدرسة الليسيه الفرنسية، وأكمل دروسه التكميلية والثانوية في الانترناشيونال كوليدج. غادر إلى القاهرة لدراسة الهندسة المعمارية، فأمضى فيها سنتين ومنها انتقل إلى إنكلترا حيث أكمل دراسة الهندسة. وبقي فيها حتى العام ١٩٥٠. تزوج ثلاث مرات، وله ثلاث بنات وصبي.

مارس العمل في مهنة الهندسة في لندن لمدة سنتين كانتا بمثابة تدرج. وفي العام ١٩٥٢ عاد إلى لبنان، وتابع تدرّجه في مكتب المهندس جورج غريب. شارك عمه في كتابة استقالته يوم

كان رئيساً للحكومة إبان النقمة الشعبية على الرئيس بشارة الخوري، كما شارك في صناعة القرار على مدى ٣ عقود، اتفق معه واختلف. وشارك عمه في تشكيل حكومة الشباب (١٩٧٠) في بداية عهد الرئيس سليمان فرنجية، وكانت الاجتماعات تعقد في منزله. فهو الذي اقترح تعيين الوزراء هنري إدة وحسن مشرفية وصائب جارودي وجعفر شرف الدين ونجيب أبو حيدر. وخلال تلك الفترة عمل على مصالحة الرئيس صائب سلام مع الرئيس كميل شمعون.



منزل سلام في المصيطبة

وصف التجربة التي عاشها مع عمه بأنها لم تنجح بالكامل «لأن صائب بك كان تقليدياً يمينياً ولا يحمل فكراً إصلاحياً. كان يطلق شعارات من دون أن يجد لها تطبيقاً ولكن مقابل ذلك كان جريئاً وصاحب موقف. وروى عنه أنه خلال أزمة العام ١٩٥٨ أرسل رئيس المكتب الثاني السوري موفداً يعرض عليه إعلان الوحدة مع سوريا، على اثر الإنزال الأميركي، فرفض، كما رفض أيضاً طلباً لهنري فرعون حين جاءه كي يعلن لبنان بلداً نهائياً...».

ترشح في العام ١٩٩٥ إلى منصب نقيب المهندسين، وفاز بالرغم من محاولات السلطة لإسقاطه وهو يعارض بشدة سياسة الرئيس الحريري الإعمارية منذ قدومه إلى الحكم (١٩٩٢) ويعتبر أنها أغرقت البلد في الديون. وانتمى إلى «حركة التجدد الديمقراطي» التي يرأسها النائب نسيب لحود، ووصفها بالحركة النخبوية غير الطائفية، وهو شخصياً علماني ديمقراطي. وانتخب رئيساً لهيئة المعماريين العرب في ٢٣/٦/١٩٩٨. من مؤلفاته: كتاب بعنوان **العمارة والمدنية** (صدر بالتعاون بين مؤسسة الدراسات المدينية ودار الجديد ومؤسسة فورد).

نواف سلام

من مواليد عام ١٩٥٣. والده: عبد الله سلام (شقيق الرئيس صائب سلام). والدته رقية بيهم (خريجة إحدى المدارس الفرنكوفونية البيروتية). متزوج من سحر بعاصيري (صحافية في جريدة **النهار**)، ولهما ولدان. تلقى دروسه في الفرع الفرنسي من مدرسة الانترناشونال كوليدج في رأس بيروت، وتابع دراسته الجامعية في السوربون في فرنسا في التاريخ السياسي اللبناني. وكانت أطروحته الجامعية (١٩٧٩) بعنوان: **انتفاضة ١٩٥٨، في إطار التجاذبات الإقليمية والدولية أو**

ما يسمى الأحلاف الإقليمية والدولية. تابع دراسات عليا في معهد الدراسات السياسية بباريس فنال شهادة دكتوراه دولة في العلوم السياسية منجزاً أطروحة موضوعها «**الأزمات السياسية اللبنانية في صورها وأبعادها**».

عمل أستاذاً محاضراً في التاريخ العربي المعاصر، كمساعد لأستاذه في السوربون دومينيك شوفاليه، وكذلك نال إجازة في الحقوق، وبدل أن يعود إلى لبنان في مطلع الثمانينات أمضى سنة دراسية كباحث زائر في جامعة هارفرد. عاد بعدها إلى بيروت ودرس العلوم السياسية والعلاقات الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت. وبين ١٩٨٣ و١٩٨٥ عاد مجدداً إلى جامعة هارفرد حيث نال شهادة الماجستير في القانون العام والقانون الدولي، لينتقل بعدها إلى العمل لمدة سنتين في مكتب محاماة في بوسطن، بعدما كان عمل محامياً في مكتب يوسف سليم تقلا في بيروت. منذ العام ١٩٩٣ انصرف إلى تدريس العلاقات الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت، إلى جانب مساهماته البحثية باللغتين الفرنسية والعربية في مجالات السياسة والقانون في الشؤون اللبنانية والعربية.

في ٢٠٠٥/٩/٨ انتخب لعضوية الهيئة الوطنية لقانون الانتخابات النيابية الجديد وأمانة سرها. وعين سفيراً للبنان في الأمم المتحدة في تشرين الأول ٢٠٠٦. له مؤلفات عدة عن لبنان والعالم العربي منها:

- **مساهمات نقدية** بالفرنسية نشرها في حوليات العالم العربي عام ١٩٨٧.
- **الشرط اللبناني** (بالفرنسية) حدد فيه مفهوم الدولة ومفهوم الطائفة.
- **خيارات لبنان** (كتاب وضع فكرته وأشرف على إنجازه، وحرره وشارك فيه باحثون لبنانيون: أحمد بيضون، محمد فريد مطر، فاديا كيوان وغيرهم (٢٠٠٤).
- **أبعد من الطائف**.
- **الشرق الأوسط في محنة العراق** - باللغة الفرنسية (٢٠٠٠).
- **لبنان معلقاً** كتبه بالإنكليزية بالاشتراك مع شيودور هانس.
- **الحالة اللبنانية** - الطوائف، المواطن، الدولة.

هاني سلام

ولد عام ١٩٤٣. والده: محمد سلام (رئيس جمعية المقاصد الإسلامية سابقاً وشقيق الرئيس صائب سلام). والدته: فاطمة الخالدي (توفيت في ١٩٩٣/١/٢). تزوج رجاء إبراهيم عرب، ولهما أربعة أولاد: غيدا (زوجة الأمير الأردني فيصل بن محمد)، داليا (تزوجت رمزي يوسف الريشاني في ١٩٩٤/٧/١٦)، محمد، ياسر. أخوته: خالد، وائل، سعد، مهى وكلثوم. درس المرحلة الثانوية في برمانا، والتحق بجامعة لندن وتخرج فيها مهندساً مدنياً. وبدأ العمل مهندساً في وزارة التعمير في عهد إميل البستاني عام ١٩٥٦. سافر إلى الكويت وعمل مهندساً في وزارة الأشغال. وشارك مستثمرين كويتيين وفازت شركته بعدة مناقصات لبنان

سلسلة كبيرة من المستشفيات الحديثة والمدارس.

رئيس مجالس إدارة عشر شركات منها:

- شركة هاني سلام ليمتد، ولهما فروع في الدول العربية والأوروبية.
- شركة إنماء السياحة والفنادق.

ساهم في مشروع بناء فنادق الشيراتون في الدول العربية والأوروبية.

تمام سلام

ولد في بيروت عام ١٩٤٥. والده: صائب سلام (رئيس وزراء، توفي في العام ٢٠٠٠). والدته: تميمة مردم بك (سورية). أشقاؤه: فيصل (توفي بحادث سير في السعودية في تموز ١٩٩٦)، عمر، ثريا وعنبرة. زوجته: ريما دندشي (سورية) تزوجا سنة ١٩٧٣ ولهما ثلاثة أولاد. تلقى دروسه الابتدائية في الليسيه الفرنسية، والتكميلية في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. سافر إلى مصر سنة ١٩٥٨ إبان الأحداث المسلحة ودرس سنتين في كلية فيكتوريا وعاد بعدها إلى لبنان وتابع دراسته في مدرسة برمانا العالية حيث نال «الهاي سكول». وتابع دراسته العليا في إنكلترا، وحاز شهادة في الاقتصاد وإدارة الأعمال سنة ١٩٦٨. وعمل في الحقل التجاري بعد عودته من إنكلترا.

انتخب في نيسان ١٩٧٨ عضواً في مجلس أمناء جمعية المقاصد. وأسس إذاعة «صوت الوطن» سنة ١٩٨٢. وانتخب في ١٩٨٣/٣/٢٢ رئيساً لجمعية المقاصد خلفاً لوالده الذي صار رئيساً فخرياً مدى الحياة. وانتخب نائباً عن بيروت سنة ١٩٩٦ ونال ٤٦٨٨٥ صوتاً.

فشل في الانتخابات النيابية التي جرت في ٢٠٠٠/٩/٣. قدم استقالته من رئاسة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في ٢٠٠٠/٩/١١، وخلفه في منصبه أمين محمد الداعوق.

خالد محمد سلام

من مواليد العام ١٩٣٩ والده: محمد سلام. زوجته: حنيفة الداعوق وله ثلاثة أولاد: سليم وتيما ورلى. درس في المدرسة الأهلية ثم في مدرسة برمانا العالية. تخرج مهندساً مدنياً في جامعة لاس بيرا - في لندن. وعمل في الكويت في الهندسة والمقاولات حتى العام ١٩٧٥ ثم سافر إلى السعودية وعمل حتى العام ١٩٨٢. هو عضو مجلس إدارة الميدل إيست بين عامي ١٩٨٣ و١٩٩٣. وانتخب رئيساً لشركة طيران الشرق الأوسط في أول أيلول ١٩٩٥.

سليم سلام

من مواليد العام ١٩٢٢. متزوج من مهى محمد سلام ولهما: علي، مي، شقيقة وكريم. أشقاؤه:

عاصم وسعود. درس إدارة الأعمال في الجامعة الأميركية في بيروت، ثم في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة. وبدأ موظفاً عادياً في شركة الطيران التي أنشأها، وكان يملك ٨٣٪ من أسهمها مع أعمامه (أولاد أبو علي سليم سلام الذي سمي على اسمه). وأول رحلة لأول طائرة لهذه الشركة كانت في الأول من العام ١٩٤٦ حين طارت «الداكوتا» التي تتسع لستة ركاب من بيروت إلى حلب. كان الأمين العام الدائم لاتحاد النقل الجوي العربي منذ تأسيسه في العام ١٩٦٥، ورئيس نادي الطيران، ورئيس نادي الغولف، ورئيس مجلس الإدارة والمدير العام لشركة طيران الشرق الأوسط (١٩٨٢)، ورئيس اللجنة التنفيذية لاتحاد النقل الجوي ـ أياتا (١٩٦٢).

ساهم في إنقاذ شركة طيران الشرق الأوسط، حيث اتخذ قراراً بالبقاء في المطار. فكان ينام في مكاتب الشركة مع عدد من أركانها والحريصين عليها إبان فترة الحصار الإسرائيلي لبيروت في العام ١٩٨٢. وكان بطل لبنان في الرماية بالمسدس، وقد مثل بلده في أكثر من بطولة، واشترك في إحدى دورات الأولمبياد. وهو حائز على إجازة طيار خاص ويحمل أوسمة عدة. وقد منحه مجلس الطيران المدني للدول العربية جائزة عباس بن فرناس تقديراً لجهوده في حقل الطيران التجاري. توفي في ١١/١١/١٩٩٩.

المراجع

١ ـ **مذكرات سليم علي سلام (١٨٦٨ ـ ١٩٣٨) مع دراسة للعلاقات العثمانية ـ العربية والعلاقات الفرنسية اللبنانية**، قدم لها وحققها وعلق عليها: الدكتور حسان حلاق. بيروت، ١٩٨٢.

٢ ـ **سجلات المحكمة الشرعية في بيروت**، نقلها الدكتور حسان حلاق.

٣ ـ **معجم أسماء الأشخاص والأسر، ولمحات من تاريخ العائلات** للدكتور أحمد أبو سعد، دار العلم للملايين، ١٩٩٧.

٤ ـ **الوثائق الدبلوماسية والقنصلية**، إعداد الدكتور عادل اسماعيل (جزء ١٨).

٥ ـ **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة**، ١٠ آذار ١٩٣٦.

٦ ـ جريدة «**النهار**»، ١٤ تشرين ١٩٣٦، بيروت.

٧ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

القسم الثاني

..وعائلات كان لها دور

آل عمّار

أسرة شيعية أسّست إمارة على ساحل الشام، وجعلت طرابلس عاصمتها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). والمقول أن هذه الأسرة تتحدّر من قبيلة كتامة المغربية التي اعتنقت المذهب الشيعي، وتولى شيوخها، بعد قيام الدولة الفاطمية مراكز قيادية في مصر والشام، على ما يقول الدكتور أحمد أبو سعد في كتابه **معجم أسماء الأسر والأشخاص، ولمحات من تاريخ العائلات** وكان ممن تولوا هذه المراكز أبو محمد الحسن بن عمار الذي ظهر على مسرح الأحداث في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله سنة ٩٩١ ميلادية، والذي يقال إنه هو الذي فتح الطريق لابناء قبيلته لينتقلوا إلى الشام بإرساله تميم بن سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي واليا على طرابلس سنة ٣٨٦ هجرية/ ٩٩١ ميلادية، ثم انقطعت أخبار الاسرة، بعد موت جدها أبي محمد الحسن بن عمار في هذا التاريخ، مدة ثلاثة أرباع القرن، إلى أن ظهر أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار قاضي طرابلس الذي تولى حكم المدينة عام ١٠٧٠ وأعلن استقلاله عن الفاطميين في إمارة مستقلة.

وتحمل اسم عمار حالياً في لبنان مجموعة أسر منها: المسلمون الشيعة في برج البراجنة، ومشغرة، وميس الجبل، واللبوة ومقنة، والحجة. والموحّدون الدروز في ينطا راشيا، وحاصبيا، ومغر المير وعين عنوب. والمسلمون السنة في بيت الفقس، وطرابلس، وصيدا وعانوت، ودلهون، وبرجا. والمسيحيون في جديدة مرجعيون والمجدل ورشميا وعين إبل والفنار.

برج البراجنة

أما المسلمون الشيعة من آل عمّار في برج البراجنة فالمروي عنهم أنهم قدموا إليها من قرية دير عمار في طرابلس، وأنهم يتحدرون من الاسرة الكتامية التي حكمت تلك الديار. وأشهر من برز منها حسين درويش عمار، أحد أعيان الساحل الجنوبي، ونجله النائب والوزير السابق محمود عمار وأنجاله: الطبيب الدكتور عماد محمود عمار، والمهندسون حسين وحسن وعلي محمود عمار، ومحمد محمود عمار المدير الإقليمي في الشيراتون بالولايات المتحدة الأميركية، والدكتور

رياض عمار، والنائب الحالي الحاج علي فضل عمار (من كتلة نواب «حزب الله») والدكتور رامز عمار. ويقال إن بني عمار الشيعة في الأماكن الأخرى من الأسرة نفسها.

والنبذة المختصرة التي تمكنا من الوصول إليها عن تاريخ هذه الأسرة هي مستقاة من كتاب **تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً** لمؤلفه سميح وجيه الزين. وقد جمع مادتها على ما يبدو من مؤلفات لمؤرخين قدامى: كالقلانسي والذهبي والمقريزي وابن الأثير وسواهم. وأنا بدوري أنقلها بالحرف كما وردت: «تأرجح حكم الفاطميين لبر الشام وسواحله بين المد والجزر، فكان البيزنطيون يهاجمون البلاد، ويستولون على جانب منها، فيقوم الفاطميون بتجريد حملات عليهم ويهزمونهم ويستولون على الكثير من الأسلاب والأسراء. وفي عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، اتفق هذا مع الامبراطور البيزنطي على هدنة تمتد لعشر سنوات ارتاح خلالها الفاطميون من هجمات الروم، لكن السلاجقة لم يتركوا الفاطميين يرتاحون إذ كثرت إغارتهم في ما بعد على القطر الشامي، وهكذا استحكمت الفوضى في هذا القطر.

وفي الوقت الذي بدأ سلطان الفاطميين يتزعزع في بر الشام كان القاضي في طرابلس أبو طالب الحسن بن عمار على ما يقول المقريزي، يراقب هذه الحالة عن كثب، ويعمل للاستفادة من هذا الوضع ليحفظ لطرابلس استقلالها وسط هذه المعمعة. ويمكننا أن نقول إن القاضي ابن عمار يُعدّ من الشخصيات البارزة في تاريخ طرابلس، بل في تاريخ بلاد الشام جميعها، فهو يتدخل بين الفاطميين وبين مناوئيهم ويتوصل لإحلال الصلح بين الطرفين. وفي سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩م) أعلن استقلاله على قول ابن القلانسي، ويتبعه الذهبي فيؤكد أن ابن عمار أعلن استقلاله في هذه السنة عن حكم الفاطميين، وأتبع في ذلك ما فعلته دمشق وصور وفلسطين، فكل من هذه المدن انفرد بإعلان استقلاله عن حكومة القاهرة.

القاضي الحسن بن عمار

وكان القاضي ابن عمار فقيهاً شيعياً، ورجلاً عاقلاً سديد الرأي فاستقل بطرابلس، ولقّب نفسه بأمين الدولة، والتزم سياسة حيادية تجاه الفاطميين وتجاه مناوئيهم السلاجقة، ذلك أنه بالرغم من خروجه عن طاعة الفاطميين، لم يعلن عداءه لهم، بالنظر الى مذهبه الشيعي ومن ثم لكي لا يثير عليه سكان طرابلس الذين كانوا يميلون للفاطميين، كما أنه لم يتورط في الخضوع للسلاجقة، بل اكتفى بملاطفتهم وبإرسال الهدايا لهم.

وفي خلال حكم أمين الدولة هذا لجأ إلى طرابلس في سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢م) سديد الملك ابن منقذ، صاحب شيزر، فراراً من محمود المرداسي، الذي استقل بحلب، فوجد سديد الملك بطرابلس بلداً آمناً، وفي ذلك الدليل على أن بني عمار كانوا يتبعون سياسة حيادية بالرغم من صداقة القاضي أبي الحسن مع محمود المرداسي. فقد أبى أبو الحسن بن عمار أن يسلم سديد الملك للمرداسي. ويقول ابن الفرات أن أبا الحسن بن عمار نجح في حفظ طرابلس من تدخلها في الاضطرابات التي كانت قائمة في بر الشام.

وقد عمل ابن عمار على تحويل طرابلس لمركز ثقافي، فأسس فيها داراً للكتب والعلم، وحوت المكتبة التي أسسها ما يزيد عن مائة ألف كتاب على قول بعضهم، وما يزيد عن مليوني مجلد على ما يقول آخرون. وكان القاضي أبو الحسن بن عمار هو نفسه من كبار الادباء فصنف كتاب **ترويح الأرواح ومصباح السرور والأفراح**. وتوفي سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧٢م).

جلال الملك أبو الحسن بن عمار

توفي أمين الدولة ابن عمار بدون عقب فخلفه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمار (٤٦٤ ـ ٤٩٢ هـ) (١٠٧١ ـ ١٠٩٨م) وقد تمكن من تدعيم مركزه، وحفظه خلال الثلاثين عاماً التي قضاها في حكم طرابلس. وقبل الأحداث التي وقعت في عصره، كان على جانب كبير من الحكنة السياسية وعلى براعة تامة في تصريف الأمور، فقد حافظ على مركزه الحيادي الذي اتبعه قبله عمه بين المعسكر الفاطمي والمعسكر السلجوقي، فغدت إمارة طرابلس في خلال مدة حكمه محط أنظار الفاطميين الذين فقدوا معظم أملاكهم في الشام. وقد أظهر ميله إلى الفاطميين، فعندما لجأ إليه الأمير حصن الدولة هرباً من الفاطميين، قام بتسليمه لهم فقتلوه ضرباً بالنعال كما يقول ابن القلانسي.

وثيقة إسلامية وحيدة

وقد عثر على لوحة في عهد هذا الأمير، هي الوحيدة التي عثر عليها من الآثار الإسلامية قبل الفتح الصليبي، هذا نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين. هذا ما أنشأه تقرباً لله تعالى ورغبة في ثوابه القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن عمار... في سنة ... وأربع وجرى على يدي..».

ويقول الأستاذ «فييت» الذي درس هذا النص أنه وثيقة أصلية من أسرة بني عمار، ويستنتج من تسجيل اسم أمير طرابلس دون ذكر الخليفة العباسي أو الخليفة الفاطمي أن بني عمار كانوا منفصلين عن الدولة الفاطمية، ودفعهم هذا الموقف إلى التطلع نحو بغداد، وكان هذا التطلع على شيء من الحذر لأن الطرابلسيين كان يميلون نحو الفاطميين.

ويقول ابن الأثير في حوادث ٤٨٥هـ (١٠٩٢م) إن السلطان ملك شاه السلجوقي، أمر قسيم الدولة اقسنقر، والي حلب، وبوزان صاحب الرها، أن يرافقا أخاه تاج الدولة في غزو سواحل الشام، فزحفوا بجيوشهم على بلاد الشام، ووصلوا إلى طرابلس ونصبوا عليها المجانيق، فرأى صاحبها أن يدفعهم بحيلة، فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة، وأطمعهم ليصلحوا حاله، فلم ير فيهم مطمعاً، وكان لقسيم الدولة اقسنقر وزير اسمه زوين بكر، فراسله بن عمار، فرأى عنده ليناً، فأطمعه وأعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في إصلاح الحال لقاء جانب من المال. وفعلاً حمل

له ابن عمار ثلاثين ألف دينار وتحفاً وعرض عليه مناشير من البلد.

وقد قوي الجدال بين اقسنقر وتاج الدولة، فأغلظ تاج الدولة بالكلام له قائلاً: هل أنت تابع لي أم أنا تابع لك؟ فقال إقسنقر: أنا تابع لك إلا في معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه، فاضطر تاج الدولة إلى الرحيل غاضباً. وعاد أيضاً بوزان إلى بلاده فانقضى الأمر، وتمكن القاضي ابن عمار من تخليص طرابلس من هذا الجيش الزاحف بما بذله من مال وتحف.

وفي سنة ٤٧٣هـ (١٠٨٠م) تمكّن القاضي بن عمار من ضم جبلة إلى أملاكه لأن قاضي جبلة أبا محمد عبد الله منصور بن الحسين التنوخي المعروف بابن صليحة استعان في تخليص جبلة من البيزنطيين بابن عمار، وهكذا ضمّت جبلة إلى إمارة طرابلس.

فخر الدين بن عمار (٤٩٢-٤٩٥هـ/ ١٠٩٨-١١٠١م)

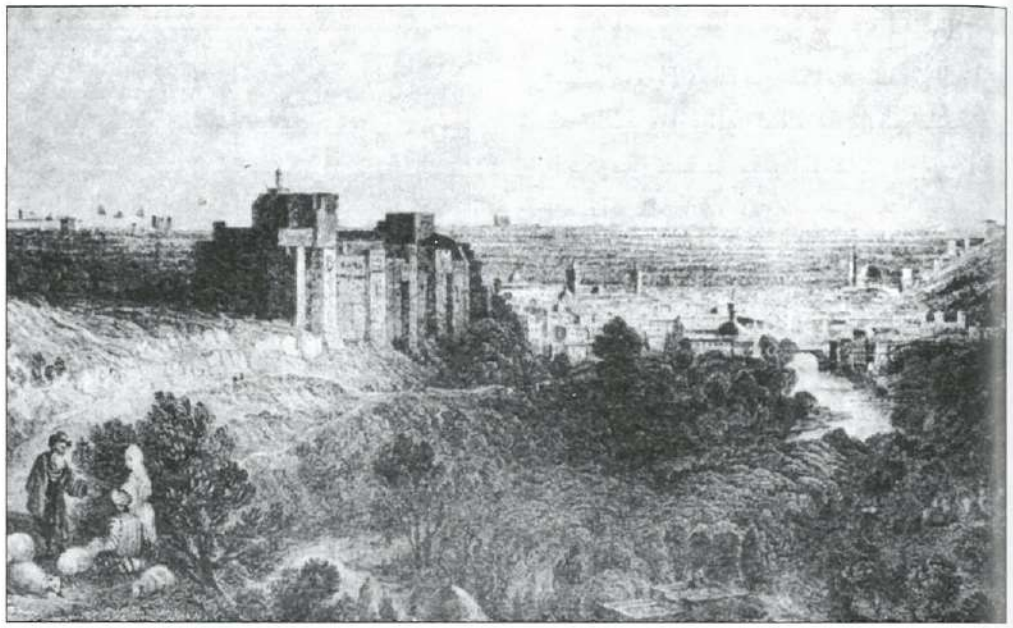
توفي جلال الملك بن عمار في شهر شعبان من سنة ٤٩٢هـ (١٠٩٨م) وخلفه في إمارة طرابلس أخوه فخر الملك أبو علي بن عمار آخر ملوك بني عمار على طرابلس. وكان فخر الملك هذا سيىء البخت على الرغم من سطوته الحربية، لقد فقد إمارته، وبالتالي دخلت طرابلس في حوزة الصليبيين بعد الدفاع المجيد الذي قامت به. وإذا نظرنا إلى ابن عمار هذا بعين التحقيق نجد أنه لم يأل جهداً في الدفاع عن مدينته، وقد أخّر استبساله فتح طرابلس نحو السبع سنين، ولو كان لديها أسطول قوي، ولو ساعدها الفاطميون في الوقت المناسب، أو لو أنجدها العباسيون لبقيت طرابلس في حوزة المسلمين.

وعلى الرغم من الظروف السيئة التي أحاطت بعهد ابن عمار هذا، منذ أن تولى إمارة طرابلس، فقد تمكن من المحافظة عليها، وساند السلجوقيين كما ساند الفاطميين، وتمكن من استرجاع جبلة التي استولى عليها السلجوقيون، وأصبحت إمارته تضم جبلة وطرطوس وعرقة وطرابلس وجبيل، ولكن هذه المدن الملحقة بطرابلس سقطت شيئاً فشيئاً بأيدي الصليبيين، وفقد فخر الملك في سنة ٥٠١هـ (١١٠٧م) حين حدث انقلاب داخلي في طرابلس، وحين سقطت طرابلس في أيدي الصليبيين سنة ٥٠٢هـ (١١٠٨م)... انسحب ابن عمار إلى جبلة ثم إلى شيزر حيث عرض عليه صاحبها أن يقيم لديه، فاعتذر ورحل إلى دمشق. وهكذا انتقلت طرابلس من العهد الإسلامي العربي في عهد بني عمار إلى العهد الصليبي الذي دام حوالى قرنين من الزمن.

أعلام من أسرة عمار

محمود عمار

ولد في برج البراجنة في العام ١٩٢٠. والده حسين درويش عمار الذي مارس السياسة منذ العام ١٩٢٦ بالتنسيق مع كميل شمعون، إلى أن أصبح رئيساً لبلدية برج البراجنة لمدة خمس



طرابلس في القدم.

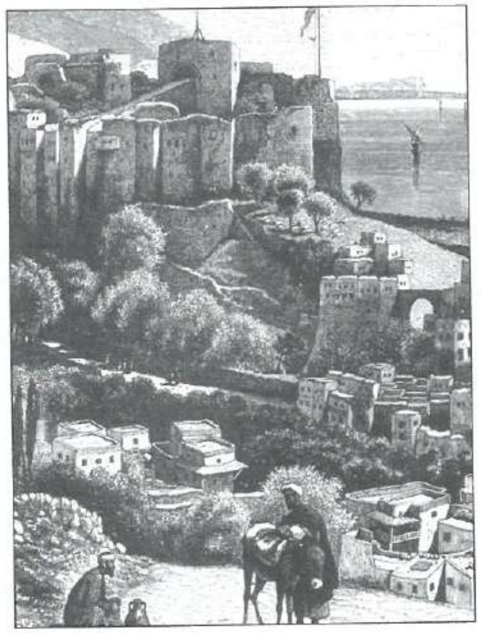
عشرة سنة. أما والدته فهي: طاهرة إسماعيل. متزوج عفت أحمد بعجور، ولهما ستة صبيان: حسين (مهندس مدني)، أحمد (مدير معمل آرسي في كانو)، محمد (المدير الإقليمي لفندق الشيراتون في دمشق)، حسن (مهندس كمبيوتر)، علي (مهندس)، عماد (طبيب أسنان).

تلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة الحكمة في بيروت. ثم انتقل إلى معهد الحقوق الفرنسي، حيث نال إجازة في الحقوق عام ١٩٤٤. وبدأ ممارسة المحاماة في العام ١٩٤٨. وأصيب عام ١٩٣٩ بحادث في عينه اليمنى أفقده البصر بهذه العين. انتخب نائباً لبلدية برج البراجنة بين عامي ١٩٥٢ و١٩٦٣.

انتخب نائباً عن قضاء بعبدا في العام ١٩٥٧، وأعيد انتخابه في الدورات التالية: ١٩٦٠ و١٩٦٤ و١٩٦٨ و١٩٧٢. والمعروف أن محمود عمار هو مرشح كميل شمعون في الانتخابات. وعندما لاحظ عمار أن المرشح المنافس خضر حركة قد يستطيع اختراق هذه الأكثرية بتعاونه مع عضو الكتلة الوطنية إدوار حنين في إحدى الدورات، قام بطبع صور خضر حركة على نفقته وكتب تحتها بالخط العريض: «انتخبوا مرشح الرئيس عبد الناصر خضر حركة» وكلف من يلصق هذه الصور على كل بيوت المنتخبين المسيحيين في المنطقة.

شارك كميل شمعون بتأسيس «حزب الوطنيين الأحرار»، وأمن له مع كاظم الخليل التغطية الشيعية.

وفي عامي ١٩٧٠ و١٩٧١، ترشح عن «حزب الوطنيين الأحرار» لرئاسة مجلس النواب، ثم انسحب لصالح كامل الأسعد. وعين وزيراً للإعلام في حكومة رشيد الصلح في تشرين الأول



قلعة طرابلس وفيها جامع لبني عمار
(من كتاب لبنان في موسوعة)

١٩٧٤. وفي ٢٥ تشرين الأول ١٩٨٠، اختير وزيراً للدولة في حكومة شفيق الوزان، ثم تسلم وزارة الموارد المائية والكهربائية في الحكومة نفسها بعد استقالة الوزير أنور الصباح عام ١٩٨٢.

هوعضو المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، والمجلس التنفيذي لاتحاد البرلمانيين المتحدرين من أصل عربي، الاتحاد الكشفي، و«التجمع الوطني النيابي».

علي فضل عمار

من مواليد برج البراجنة في ١٩٥٦/٧/٢٥. درس المرحلة الابتدائية والتكميلية في مدارس برج البراجنة الرسمية. وأتمّ الدراسة الثانوية في أواسط السبعينات. التحق بـ«حركة المحرومين» منذ انطلاقتها الأولى عام ١٩٧٥، ورافق السيد موسى الصدر مع بداية عمله السياسي في لبنان. وتدرج تنظيمياً في هرمية الحركة في عدة مواقع، ابتداء من مسؤولية القطاع وصولاً إلى عضوية مجلس قيادة حركة «أمل» بعد اختفاء الإمام موسى الصدر عام ١٩٧٨.

دخل صفوف «حزب اللـه» منذ العام ١٩٨٢. ورشحه «حزب اللـه» عن جبل لبنان (قضاء بعبدا) في انتخابات ١٩٩٢ النيابية وفاز، ونال ١٣٧٤٠ صوتاً، وفي انتخابات العام ١٩٩٦ لم يحالفه الحظ. انتخب نائباً في مجلس الألفين عن دائرة جبل لبنان الثالثة (بعبدا ـ عاليه) ونال ٣٨٣٣٧ صوتاً. وأعيد انتخابه في دورة ٢٠٠٥ في الدائرة نفسها ونال ٧٤٨٩٢ صوتاً.

مقدّمو بشرّي

عرّف الدكتور الياس القطار، المؤرخ والأستاذ في الجامعة اللبنانية، مفهوم حكم المقدّمية والمقدّمين بما يلي: «المقدّمون أو المقدمية، مصطلح درج استعماله في القرون الوسطى وفي العهد العثماني، للدلالة على رتبة من رتب السلطة الزمنية عند بعض الطوائف الدينية والجماعات العسكرية أو العرقية. وقد أخذت التسمية معنى مهماً، أو وصلت إلى أقصى معنى لها عند الموارنة، لأنها كانت ترمز إلى السلطة الزمنية لديهم بالقياس إلى السلطة الدينية. وكما كان للموارنة مقدموهم، كذلك كان للشيعة مقدموهم، كما كان للتركمان أربعة مقدّمين في أزواقهم (مكايل، مصبح، الخراب، العامرة) حتى أنه كان لجماعات أخرى مقدّموهم، ولكن لم تأخذ مقدّمية الشيعة أو التركمان الحجم الذي أخذته مقدّمية الموارنة.

وفي القرون الوسطى، وبالضبط في العهد المملوكي، كان الذين يحملون لقب أمراء ينعتون بالإقطاع، أما الذين حملوا لقب مقدمين، فقد حُرموا منه لأن الإقطاع كان عسكرياً وعلى صاحبه تقديم خدمة عسكرية. أما الذين حملوا لقب مقدم، ما عدا التركمان، فلم يكن بحوزتهم إقطاع، لأنه لم يكن مسموحاً للشيعة والموارنة الدفاع عن حياض الدولة، وبالتالي لم يعط لهم إقطاع، وفي العهد العثماني تبدّل الحال، لأن أمراء لبنان كما يبدو كانوا مقدمين في مصطلحات الدولة العثمانية.

قامت المقدمية المارونية عند فريق من الموارنة القاطنين في مناطق الجبة (جبة بشري) وفي المناطق المجاورة لها في حقبة معينة من نهاية القرون الوسطى ومطلع العهد العثماني.

وكانت المقدمية درجة من درجات التراتبية الدينية المارونية، إذ كان المقدم يحمل لقب «شدياق» وهي الدرجة الأدنى في سلم الدرجات الكهنوتية في الكنيسة المارونية، ولا ندري ما إذا كان حمل المقدم لهذا اللقب قد وقع قبل القرن الرابع عشر الميلادي، أم أنه أضيف إلى المقدمين بعد ما تقدمت مقدمية بشري على سائر المقدميات، وتقدم المقدم على رعيته، هذا مع العلم أن لفظة مقدم ترشد إلى موقع في التراتبية العسكرية في الإدارة الإسلامية».

بهذا الكلام الجامع يعرّف الدكتور القطار مفهوم المقدمية والمقدمين، وكيف تطوّر هذا المفهوم في العهد الصليبي المملوكي وصولاً إلى العهد العثماني.

حكـم الرقبـاء

ما يهمنا نحن من هذا العنوان: المقدمون في جبة بشري، فقد ذكرت بعض المراجع أن المرحلة التي سبقت حكم المقدمين، عرفت فيها بشري حكم الرقباء في منتصف القرن الثالث عشر، وهم أربعة:

١ـ الرقيب الشدياق جرجس، تولى الحكم على بشري ونواحيها سنة ١٢٤٢ وحتى سنة ١٢٥٠.

٢ـ الرقيب سالم وهو ابن الرقيب جرجس.

٣ـ الرقيب بنيامين.

٤ـ الرقيب نقولا.

وينفرد الخوري فرنسيس رحمة بذكر رقيب خاص يدعى أيوب، ويبرّر ذلك بقوله: «إن هذا الرقيب الخامس، وإن لم يذكره المؤرخون، فالعقل يقتضيه لكونه والداً للمقدم يعقوب أبي المقدمين، ونظراً لشهرة الابن خبت نار الاب وطمس ذكره ـ ويُرجح أن الملك برقوق في أثناء تدروشه وإن شئت قل في أثناء تخفيه عن وجه مناوئيه، لم يدرك الرقيب أيوب إلا في أواخر أيامه، فآثر أن ينزل في داره لكونه دار الحكم، وقبل أن يغادر أراد أن يكافئه على أريحيته، فتقدم إلى الملك معتذراً لكبر سنه، وطلب إليه أن يحوّل انعامه إلى ابنه يعقوب، فكان مقدماً وأباً للمقدمين على بشري وبلاد بشري» (راجع كتاب **تاريخ بشري**، الجزء الاول، مطبعة صفدي للتجارة ١٩٥٦، الولايات المتحدة الاميركية).

الشدياق يعقوب

الشدياق يعقوب البشراني كان إذاً أول من أنعم عليه الملك برقوق ليكون مقدماً على جبة بشري هو وأولاده من بعده، وكتب لهم ذلك بخطه على صفحة من نحاس سنة ١٤٤٠. وفي العام ١٤٤٤ توفي المقدم يعقوب فخلفه ابنه المقدم سيف ثاني المقدمين واستمر حاكماً على جبة بشري حتى وفاته ١٤٥٧، فتسلم السلطة من بعده ابنه المقدم عبد المنعم الأول وحكم اثنتي عشرة سنة وتوفي سنة ١٤٦٩، فانتقلت الحاكمية إلى ابن أخيه المقدم رزق اللـه الاول ابن جمال الدين بن سيف بن يعقوب، لكنه لم يعمر طويلاً، وتوفي بعد ثلاث سنوات من استلامه السلطة، أي سنة ١٤٧٢ ومن بعده حكم ابن أخيه المقدم عبد المنعم الثاني. وقد شهدت بشري في أيامه دخول اليعقوبية التي أحدثت شرخاً ضرب عامل الوحدة المجتمعية عند الموارنة فتصدوا لها اكليروساً وعلمانيين. ومما جاء في زجلية ابن القلاعي أثناء مناجاته لبلدة بشري حين انفصل مقدمها عن السير في موكب الجماعة، إنذار وتحذير بلسان الأنبياء:

بشرّي خافي وارتعبي
بشري توبي وانتصبي

بشري وصلت للحسرا
العتيق فيك وصل للدثرا

بشري ابكي وانتحبي
ضد الخايب من الإيمان
وإنت اليوم وعرة قفره
ابني جديد على الإيمان

أما المطران يوسف الدبس فيذكر مقطعاً آخر من قصيدة كان يرددها ابن القلاعي، وجاء فيه:

وإنت من شار عليك
من تجديفه حلّ عليك
فإذا توبي يا حرّة
ويعقوب جسمه يتهرّى
حتى دخل يعقوب عليك
غضب اللـه في ذاك الآن
واطردي الغرباء إلى برا
ومارون إقبليه في الأحضان

سلطة البطريرك

ويرجع البطريرك الدويهي سلطة المقدمين إلى عهد بداية البطريركية المارونية عندما كرّس البطريرك يوحنا مارون (أول بطريرك على الطائفة) ابن اخته مسؤولاً أمنياً يرعى شؤون الطائفة إلى جانبه. ويضيف الدويهي إن البطريرك الماروني هو الذي اختار في آخر العهد الصليبي أول العهد المملوكي مقدماً على جبة بشري هو نقولا وولاه على منطقة تمتد من كهف أيطو إلى كهف حردين. وكان البطريرك يمارس على المقدمين سلطة عليا، كما أنه كان حكماً بينهم وله عليهم سلطة الحرم. وأهم المقدمين كان مقدم بشري الذي تنتشر هيبته على أهل جبل لبنان. والمقدمون كانوا في مشمش وايليج، ولحفد، والعاقورة، وحردين وايطو.

هذه العلاقة من الودّ والتبني من البطريركية المارونية والمقدمين لم تستمر طويلاً، إذ شب صراع في عهد المقدم عبد المنعم بن عساف الذي جحد المعتقد الكاثوليكي ومال إلى المعتقد اليعقوبي. وقد شهد ابن القلاعي هذا الصراع كما رأينا وشارك فيه إلى حد أن المقدم المذكور هدر دمه لأنه تزعم حركة الرد عليه بالقول والعمل. ولم يتوقف هذا الصراع إلا بموت عبد المنعم من دون دين أو يقين على حد قول الدويهي.

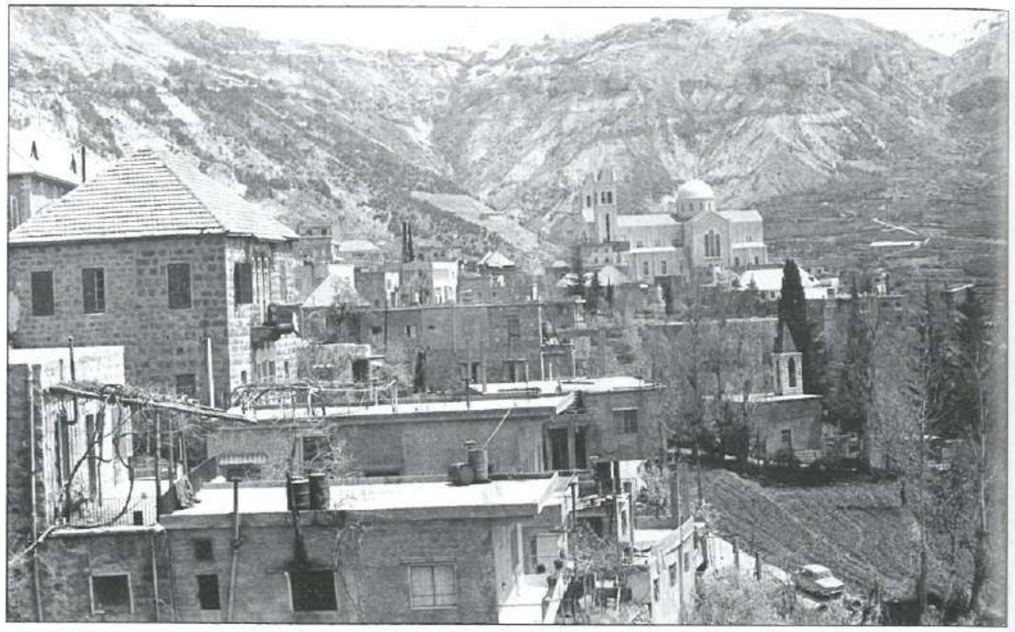
لقد قرّب المقدم المذكور اليعاقبة إليه، وابتنى لهم كنيسة بقرب حارته، شادها على اسم

«برصوة»، وأعطاهم تسهيلات للسكن في بشري، وهم كانوا قد خلعوا عليه أموالاً طائلة، خاصة أثناء حفلة زفافه. وبقدر ما وقف الاكليروس الماروني ضد تصرفات هذا المقدم بقدر ذلك زادت نقمته على الكنيسة المارونية وتنامت مساعدته لليعاقبة، ومع هذه السياسة هاجر اليعاقبة إلى الجبة وجاهروا بمعتقدهم وساموا أسقفاً لهم أحد موارنة الجبة الذي ارتسم بطريركاً، وأمام هذا الواقع الخطير اضطرت الكنيسة المارونية إلى استعمال القوة وإخراج اليعاقبة من المنطقة.

المقدمون العناحلة

ومع انتقال السلطة إلى المقدمين العناحلة توطدت العلاقة بين هؤلاء والكنيسة المارونية. فبدأ المقدمون يشاركون في المجامع الكنسية. فالمقدم رزق الله وولداه عساف وجبرايل شاركوا في المجمع الذي دعا إليه البطريرك موسى سنة ١٥٥٧ كما شارك فيه الشعب أيضاً. وفي سنة ١٥٦٧ تخلف القس يوسف البسلوقيتي على دير قزحيا فتحمل بالمقدم رزق الله حتى تنزل عن الرئاسة، وفي ١٨ أيلول ١٥٩٦ شارك مقدمي الجبة الشدياق خاطر من حصرون والشدياق فرح ابن باخوس من حدشيت في المجمع الماروني، ولم يكن دور المقدمين مقتصراً لا على المشاركة في المجامع، وإنما تعداه إلى إنشاء الأوقاف لصالح الكنيسة المارونية، يشهد على ذلك قيام ابنة المقدم عاشينا بتقديم وقفية لدير مار ليشع في سنة ١٦٤٠، بل هم وصلوا إلى حد التدخل في الشؤون الداخلية للأديار. ففي سنة ١٥٣٩ اتفق الحبيس يونان مع باقي الحبساء على نهي النساء عن دخول دير مار أنطونيوس قزحيا وكان معضداً لرأيهم المقدم عبد المنعم، كما كان للمقدمين دور في تزكية انتخاب البطريرك ميخائيل الرزي على البطريركية المارونية. وعندما كانت الخلافات تدب بين أعضاء الاكليروس الماروني، كان المقدم يتدخل. فخلال الفتنة بين البطريرك مخايل الرزي والمطران داود الذي سام أساقفة ضد إرادة البطريرك ونكاية به، أمر البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ ـ ١٥٨٥) في أيلول سنة ١٥٧٧ بمنع ما جرى، فتدخل المقدم لتطبيق ذلك، ثم عمل المقدمان مقلد وخاطر لإصلاح ذات البين. وفي ١٨ أيلول ١٥٩٦ كان المقدمون إلى جانب علماء الطائفة في المجمع الذي دعا إليه البطريرك سركيس الرزي لدحض اتهامات جوان باطيشتا.

وفي سنة ١٥١٧ أو ١٥١٩ توفي المقدم الياس الذي كانت كنيته عساف (وهي كنية لا تزال تعطى لمن يحمل اسم الياس) وكان له ولد قاصر يدعى حنا (وكنيته عبد المنعم) فاستغل الفرصة كمال الدين ابن عبد الوهاب المعروف بابن عجرمة من بلدة أيطو، وتقدم على مقدمية بشراي، يدفعه إلى ذلك أن زوجته ست الملوك بنت الشيخ علوان بن حسام الدين بن بدر الدين قمر بن الشدياق يعقوب بن أيوب. وكان قمر قد اشترك في تولي المقدمية مع أخويه زين الدين سيفا ومزهر بعد وفاة والد الثلاثة مؤسس مقدمية جبة بشراي، أي يعقوب بن أيوب، ولقد آلت المقدمية بعد الأخوة الثلاثة إلى نسل زين الدين سيفا. وبقي ابن عجرمة مغتصباً السلطة ثماني عشرة سنة. ويقول الدويهي أن ابن عجرمة حكم نصف البلاد مما يلي الشمال، وفي عهده كانت طرابلس بيد النواب، وفي غياب الدولة كان يضمنها محمد آغا بن شعيب من أهالي عرقا، ومن تحت يده



بشري مدينة المقدّمين

تضمن للأمير منصور العسافي بلاد جبة بشراي إضافة إلى بلاد جبيل والبترون والكورة والضنية. لم ينم عبد المنعم حنا على ضيم فهرب من الجبة إلى عينطورين وتمكن في سنة ١٥٣٢، وبطريقة مجهولة، من استرجاع جانب من سلطته إذ أصبح مسؤولاً عن بشراي وقاطع الحدث بينما على القاطع الآخر ابن عجرمة الذي كان يحكم من أيطو، وانتهت فصول هذا الصراع بإقدام المقدم حنا على اغتيال ابن عجرمة في قرية بلوزا لكنها دانت له الجبة بكاملها.

ست الملوك تنتقم

وغلى الحقد في قلب ست الملوك فسعت للانتقام مستعينة بزعيم عشيرة الحمادية الشيعية، وابن زعزوعة مقدم بشناتا، فأدى ذلك إلى قتل المقدم حنا الملقب عبد المنعم الثالث وإلى تصفية أولاده الثلاثة جميعهم. وبذلك باتت سلالة سيفا بن الشدياق يعقوب بن أيوب على طريق الانقراض الذي لن يقع نهائياً إلا بعد وفاة المقدم مقلد ابن المقدم عساف الياس، وهو الثاني عشر في سلسلة المقدمين الذي سيحكم الجبة بين سنتي ١٥٧٤ و١٥٧٩ شريكاً للمقدم خاطر من حصرون ـ وهكذا انقرضت سلالة مقدمي آل سيفا، وقد بلغ عددهم ثمانية حكموا من سنة ١٣٨٢ حتى سنة ١٥٤٧، وتكون فترة حكمهم نحن ١٦٥ سنة.

ولاستمرارية المقدمية كان لا بد من إيجاد وريث من نسل الشدياق المقدم يعقوب بن أيوب، لأن المقدم مقلد كان قاصراً على الأرجح، وبما أنه لم يكن على ما يبدو، لست الملوك أولاد ذكور، آلت



أرز لبنان

المقدمية إلى نسيب لها يتحدر من ذرية جدها قمر عن طريق النسب النسائي. فقد صادف أن المدعو عز الدين العنحلاني الذي جاء من عين حليا، كان قد تزوج من إحدى صغيرات قمر في سنة ١٤٣٠ ورزق منها ولداً دعي حسام الدين، وقد أنسل هذا الأخير أربعة بنين هم: موسى، رزق الله، داغر، وعاشينا أخذوا جميعهم الولاية على جبة بشراي.

صراع الأخوة

لم تجر الأمور على ما يرام بين الأخوة، فالقدم رزق الله هو الذي كان متولياً بشكل رسمي على المقدمية من قبل الأمير منصور العسافي الذي كانت الجبة قد خضعت لسلطته. وكان رزق الله يسعى لعمارة البلاد وتحصيل مال السلطان، بينما أخوه عاشينا كان ذا صيت سيىء، ومهتماً بالقيام بأعمال قتل وسلب. وكي يضع رزق الله حداً لتصرفات أخيه عمد إلى قتله بواسطة غرباء من الجبة جاء بهم من الضنية. على أن نهاية رزق الله لم تكن أفضل من نهاية أخيه إذ قتل في طرابلس بسبب تهمة باطلة وجهها إليه قاضي المدينة.

وبعد قتل رزق الله وعاشينا انتقلت المقدمية لأخيهما داغر، وإلى عساف ابن أخيهما موسى بأمر من الأمير منصور عساف. ولم يكن حظ الاثنين في السلطة بأفضل من سابقيهما، فقد قتل داغر بعد ثمانية أشهر على يد «صوباشي» طرابلس وقتل عساف بأمر من الأمير منصور، ولعل سبب مقتلهما هو الصراع على السلطة في شمالي لبنان بين والي طرابلس والأمراء العسافيين.

الجبة في قبضة الغرباء

وانتقلت السلطة في الجبة بعد ذلك إلى شخص غريب هو أبو سلهب القريعي فهال الأمر أبا منصور ابن حبيش كاخية الأمير العسافي، لأن ذلك يجعل الجبة في قبضة الغرباء عنها، ومن غير الموارنة، فاقتنع الأمير منصور العسافي، وخلع القريعي من منصبه وولى الجبة لمقدمين اثنين الأول هو مقلد ابن المقدم عساف الياس، والثاني هو الشدياق يوسف أبو رعد المسمى خاطر ابن الشدياق شاهين من بيت الشروقي من حصرون وذلك في العام ١٥٧٤، كما أعطيت إهدن إلى أربعة (أو ثلاثة بحسب رواية الدويهي) شمامسة لتدبير أمرها».

هذه المتغيرات في المقدمية كانت إيذاناً بنهايتها: لقد أضعفتها قسمة السلطة بين اثنين على زمن ابن عجرمة ثم على زمن داغر وعساف، ثم أنهكها تكريس هذه الثنائية بشكل نهائي بدءاً من سنة ١٥٧٤، بمقدمين من سلالتين مختلفتين، أحدهما من بشري والآخر من حصرون، إضافة إلى فصل إهدن عن جبة بشراي، والواقع أنه سيكون لهذا الفصل انعكاس خطير على قوة مقدمية جبة بشراي، وعلى صفتها التمثيلية كمقدمة على الزعامة المارونية في شمالي لبنان.

وبسبب الصراع بين والي طرابلس يوسف باشا سيفا والأمير العسافي، وبعدما قام الأول بملاحقة أتباع الثاني وأنصاره، فرّ المقدم مقلد في سنة ١٥٧٩ إلى جهة الأمراء العنيين في الشوف حيث بقي حتى وفاته وكان له صبي يدعى جمال الدين يوسف وبنت تدعى ست البنات، بينما فر المقدم خاطر إلى بلاد بعلبك. على أنه بعد اتصالات مع يوسف باشا سيفا حصل المقدم خاطر على أمان من الباشا فعاد إلى مقدمية بشري ليتشارك فيها مع مقدم آخر عينه يوسف باشا، هو الشدياق باخوس بن صادر من بلدة حدشيت. وبهذا تكون قد آلت مقدمية بشراي إلى شخصين؛ واحد من حصرون وآخر من حدشيت بعدما كانت مناصفة بين مقلد من بشراي وشريكه الآخر من حصرون.

مشيخة جبة بشراي

وعند وفاة الشدياق باخوس الحدشيتي سنة ١٥٩٤ انتقلت الشراكة في المقدمية إلى ولده الشيخ فرج لا إلى رجل بشراوي، فكان ذلك ترسيخاً إضافياً لثنائية السلطة ولخروج المقدمية من بشراي علماً بأن ذلك كله ترافق مع تحوّل في التسمية من مقدم إلى شيخ، بحيث عرفت السلطة بتسمية جديدة هي «مشيخة جبة بشراي».

إن التحول الأول في المقدمية بتجزئتها أضعف سلطة المقدمين، والتحول الثاني بإعطاء المقدمية تسمية مشيخة أسقط عنها هيبتها التاريخية التقليدية والتحول الثالث خروجها من بشراي، كل ذلك جعلها في مهب الريح وهكذا فقدت المقدمية تقدمها على الزعماء الموارنة، وأصبحت مشيخة تنافسها مشيخات مارونية قائمة أقوى منها كمشيخة آل الخازن وآل حبيش وغيرهما لقربهما من سلطة الأمراء العسافيين ثم المعنيين على أنه بالرغم من تراجع سلطة مقدمي الجبة، فقد بقي هؤلاء المثلين المعتمدين للطائفة في المجامع المارونية.

بعد لجوء البطريرك يوحنا مخلوف (١٦٠٩ ـ ١٦٣٣) إلى الشوف هرباً من مظالم يوسف سيفا، وبعد ممالأة الشدياق خاطر للباشا وعدم وقوفه إلى جانب البطريرك، بحيث اضطر إلى ترك كرسيه والانتقال إلى بلدة مجدل المعوش (قضاء عاليه) ليعيش في حماية الأمير فخر الدين المعني (١٥٩٠ ـ ١٦٣٥)، وبعد رحيل البطريرك عن الجبة انقلبت الأدوار السياسية في الطائفة المارونية، وبدأ العد العكسي للأيام الأخيرة من تاريخ مقدمية جبة بشراي. فبعد وفاة الشدياق خاطر سنة ١٦١٢ خلفه ابنه الشماس رعد زوج ست البنات بنت المقدم مقلد بن الياس وكان المقدم رعد على خلاف مع زوجته فراح يتوعدها ويتهددها بالقتل فدست له السم أثناء تناوله الطعام، وصادف

وجود أخيها معه فشاركه أكل السم وتوفي الاثنان سنة ١٦١٣ دون عقب فانقرضت بوفاتهما سلالة العناحلة.

إثر ذلك ولى يوسف باشا سيفا أبا عاشينا شلهوب على جبة بشراي لأنه كان من بيت حسينات ابن بنت المقدم عاشينا ابن حسام الدين العنحلاني، فانسل ثلاثة بنين هم: عاشينا، وحنا ومخايل أما ست البنات فتزوجها موسى البشراني ورزق ولداً سماه عساف دخل الرهبنة ومات قسيساً.

وفي سنة ١٦٢١ خضعت الجبة لحكم الأمير فخر الدين المعني، فسار إليها الشيخ أبو نادر الخازن، وأخرج أتباع بيت سيفا من حكمها وولى عليها أخاه الشيخ أبا صافي الخازن، وأصبحت البلاد تحت تدبير مشايخ آل الخازن، وقضى آل الخازن على ابي عاشينا شلهوب وعلى ابنه عاشينا مستغلين سوء تصرف ابنه بسرقته دير في حصرون وقتل رئيسه. وبذلك انتهت المقدمية المارونية لتحل محلها زعامة آل الخازن، وبعد آل الخازن عرفت الجبة فترة حكم انتقالية حكم فيها بعض المشايخ المحليين، أمثال الشيخ أبي كرم يعقوب ابن الرئيس الياس الحدثي والشيخ أبي جبرايل يوسف الهدناني. وقد استمر في مشيخة الجية عشر سنوات وقد خلفه أخوه الشدياق أبو ديب حنا (قتله بقرية زغرتا محمد العراك بمؤامرة مشايخ آل حمادة. وتولى حكم الجبة المقدم زين الدين ابن الصواف وكان معه أبو عون ابن الغمة من بكفيا ثم حكمها أبو شاهين على بن العجال من بشناتا، فكان ذلك الطعنة الأخيرة لمقدمية جبة بشراي. ثم آلت الجبة إلى حكم المشايخ الحمادية، فأسدل الستار نهائياً على زعامة عائلة تبوأت صدارة تاريخ طائفة طيلة خمسة قرون تقريباً، وعاش زعماؤها في يسر وإن لم يتركوا قصوراً تذكر بماضيهم الذي لا يعرف عنه إلا القليل القليل..

سلسلة المقدّمين

هذه هي سلسلة المقدّمين الموارنة في جبة بشراي في عهد المماليك. وتبدأ بالمؤسس: الشدياق يعقوب بن أيوب (١٣٨٢ ـ ١٤٤٩) الذي ولد: زين الدين سيفا، بدر الدين قمر، مزهر.

ـ زين الدين سيفا ولد: عبد المنعم الاول (توفي ١٤٦٩) وجمال الدين.

ـ جمال الدين ولد له رزق اللـه (١٤٦٩ ـ ١٤٧٢) وعساف.

ـ عساف ولد: عبد المنعم الثاني أيوب (١٤٧٢ ـ ١٤٩٥) الذي مال إلى اليعقوبية.

ـ عبد المنعم الثاني ولد: جمال الدين يوسف (توفي ١٤٩٥).

ـ جمال الدين يوسف ولد: عساف الياس (توفي ١٥١٩).

عساف الياس ولد: مقلد (١٥٧٤ ـ ١٥٧٩) وعبد المنعم الثالث حنا (١٥١٩ ـ ١٥٤٧)، ومع عبد المنعم حنا انتهى حكم سلالة زين الدين سيفا).

ـ مقلد ولد ست البنات (ابنة) تزوجت مرتين: المقدم رعد ثم زوجة موسى البشراني، ورزقت منه: عساف بن موسى (الذي أصبح كاهناً) وجمال الدين يوسف (توفي ١٦١٢).

سلالة بدر الدين قمر

ـ بدر الدين قمر هو ابن مؤسس المقدمية الشدياق يعقوب أيوب، وولد: أيوب.

ـ أيوب ولد حسام الدين.

ـ حسام الدين ولد: ابنة (تزوجت عز الدين العنحلاني) والشيخ علوان.

ـ علوان ولد: ست الملوك (تزوجت كمال الدين عجرمة (١٥١٩ ـ ١٥٣٧).

المقدمون العناحلة

ـ حسام الدين ابن عز الدين العنحلاني ولد: عاشينا (١٥٧٠ ـ ١٥٧٣) رزق اللـه الثاني (١٥٥٧ ـ ١٥٧٠) موسى.

ـ عاشينا ولد: حسينيات (ابنة).

ـ موسى (١٥٤٧ ـ ١٥٥٧) ولد عساف (١٥٧٠ ـ ١٥٧٣).

ـ حسينات ابنة عاشينا ولد لها شلهوب (١٦١٣ ـ ١٦٢١).

المراجع

١ ـ **مقدمية جبة بشراي في العهد العثماني** للدكتور الياس القطار (بحث نشر في أعمال «المؤتمر الأول لتاريخ بشري إبان الحكم العثماني ١٥١٦ ـ ١٩١٨)»، منشورات لجنة جبران الوطنية، ١٩٩٨.

٢ ـ **زجليات ابن القلاعي** نشرها الخوري بولس قرألي في العام ١٩٣٧ في **المجلة البطريركية**، كما نشرها الاب (المطران) بطرس الجميل، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٢.

٣ ـ **تاريخ الأزمنة للبطريرك اسطفان الدويهي**، طبعة الأباتي فهد، صدر عن دار لحد خاطر (د. ت).

٤ ـ **منطلق تاريخ لبنان** للدكتور كمال الصليبي، بيروت، ١٩٧٩.

٥ ـ **تاريخ بشري الحديث**، غازي جعجع، دار بشاريا، ١٩٩٤.

آل شكر

السادة آل شكر أسرة «حسنية» يتصل نسبها بالإمام الثاني الحسن بن علي، على ما جاء في **تاريخ جبل عامل** لمؤلفه محمد جابر آل صفا، نشأت في قرية عيناثا على بعد ميل من بنت جبيل. وهي إحدى الأسر التي حكمت بلاد بشارة الجنوبية ردحاً من الزمن، ونازعت آل نصّار الوائليين الحكم في عهد الشيخ حسين بن أحمد النصّار والد الشيخ علي الصغير الجد الثاني لهذه الأسرة، وإليه ينتهي عمود نسبها في العهد الأخير، ويطلق اسمه على سائر فروعها.

رواة ومؤرخون

وفي ملخص أقوال الرواة والمؤرخين العامليين عن هذه الأسرة يقول المؤرخ محمد آل صفا: «إن الشكريين، وكانوا ذوي صولة ونفوذ يتحفزون للإيقاع بآل نصّار الوائليين أجداد الصغيريين وانتزاع الحكم من أيديهم. حتى إذا سنحت الفرصة وكثر أنصارهم وآنسوا الضعف بالحكومة الوائلية، شهروا عليها حرباً عواناً أسفرت عن فوز آل شكر. فقتلوا زعيم آل نصّار الأكبر الشيخ حسين بن أحمد النصّار وأجهزوا على سائر أفراد أسرته شيوخاً وفتياناً. ولم يسلم منهم إلا امرأة حامل هي زوجة الشيخ حسين نفسه. وكانت من بني عمه بني سالم العشيرة المعروفة بالسوالمة، إحدى فروع قبائل عنزة والرولة وآل شعلان. احتملها أهلها إلى منازلهم في البادية فأقامت بينهم وولدت غلاماً أسمته علياً الصغير، تذكاراً لأخ لها اسمه علي مات طفلاً أو لأخ لها مات غريباً عن أهله.

ونشأ علي الصغير في البادية تحت ذلك الجو الصافي بين أخواله السوالمة، وشبّ فارساً مغواراً شديد البأس، عظيم الهمة وافر المروءة. ولما بلغ العشرين من سنيه ونبه ذكره وذاعت شجاعته بين القبائل تحدثت إليه أمه عن نسبه وعشيرته وحكومة أبيه وما جرى لها في جبل عامل. وكان لا يعلم من أمره شيئاً، فاستطار لبه، واشتد غضبه، وهاج به حبّ الانتقام والأخذ بالثأر ممن قتل أباه وشتت شمل عشيرته، فأصبح يستطلع الأخبار ويترقب الفرص، وعمل على

الاتصال بأنصار أبيه وأحزابه في جبل عامل. وعلم سيرة الحكومة الشكرية وتذمر الناس من ظلمها وشدة وطأتها. فجهز حملة من فرسان السوالمة، وانضم إليهم جماعة من الناقمين على بني شكر، وداهمهم في عقر دارهم في عيناثا، وقانا، وهم لاهون بالأعراس، منغمسون بالملذات، فقتل رؤساءهم وأفنى أنصارهم وشرّد من بقي منهم في أنحاء البلاد، وتم له الفوز والظفر، والأخذ بالثأر، واستعادة حكومة آبائه وأجداده. وكان ذلك في العام ١٦٤٦.

عشرون سنة

وبعد وفاته تعقب ولده الشيخ حسين بن علي من بقي منهم فلم تقم لهم بعدها قائمة. وكانت مدة حكمهم عشرين سنة. وقد بقي من سلالتهم إلى اليوم جماعة يسكنون قرى الخيام والنبطية الصغرى وجبشيت وكفرمان والريحان وغيرها».

وجاء في «رسالة معجم قرى جبل عامل» للشيخ سليمان ظاهر نشرت في مجلة **العرفان** (المجلد الثامن في الصفحات ٤٣٤ و٤٣٨ و٥٢٧) عند الكلام على قرى قانا وعيناثا وتبنين: «إن هذه البلدان الثلاثة كانت من قواعد السادة الشكرية في المائة الحادية عشرة للهجرة، ومنهم انتقل حكم البلاد إلى آل علي الصغير بعد معركة بينهم في سنة ١٦٤٩ وفيها نكل علي الصغير الوائلي الذي ينتسب إليه آل علي الصغير بمن كان منهم، وهم مشغولون بأعراسهم، آخذاً بالثأر. وقتل فيها أحمد بن شكر».

هزّاع الوائلي

وورد في **العقد المنضد** تأليف شبيب باشا الأسعد (ص. ١٦ و١٧) ما نصه ملخصاً:

في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي جاء من نجد جدنا (جد مؤلف الكتاب) محمد بن هزاع الوائلي من رؤساء قبائل عنزة بجيش من أعراب قبائله إلى جبل عامل وأميرها يومئذ بشارة بن مقبل القحطاني، فساق عليه حرباً عواناً انتهت بالغلبة على بشارة، فاستولى على البلاد وحكمها وتزوج ابنة الأمير. وبعد وفاته انتقلت لأبنائه وأحفاده وكانوا اتخذوا قلعة تبنين مقراً لحكومتهم.. إلى أن أفضت حكومة البلاد إلى أحمد بن مشرف الوائلي (خلاف مشرف الثاني) ثم توفاه الله ولم يكن إذ ذاك من آل بيته رجل يقوم مقامه وترك زوجته حبلى وكانت من قبيلة بني عمه بني سالم المعروفين بالسوالمة، فخذ من أفخاذ عنزة، فجاء إخوتها وقومها وحملوها إلى منازلهم بأطراف بادية الشام مما يلي نجد، فولدت غلاماً أسمته علياً الصغير، تذكاراً لأخ لها يدعي «علي» سافر إلى اليمن وانقطعت أخباره، فشب الغلام وامتاز بالنجابة على أقرانه، ولما صار في الخامسة عشرة من عمره حتى صار له مقام يحل المشكلات بين القبائل.

فرسان السوالمة

«ولما بلغ علي أشدّه وقف على حقيقة أمره وأمر أبيه الذي كان حاكم جبل عامل، وأخبرته أمه بتمرد بني شكر واستيلائهم على حكومة البلاد، وما أجروه من العسف. فجهّز حملة من فرسان السوالمة، واتصل برجلين من أهل جبل عامل كانا من خواص أبيه، ودهم آل شكر في تبنين وقانا، وكانوا منهمكين في عرس لهم، وانضمت إليه فئة ممن كانوا ناقمين على الحكومة الشكرية، فظفر بهم في البلدين وشتت شملهم واستولى على حكومة البلاد.

وبعد وفاته، أشرقت شموس الدولة العلية العثمانية واستولت على الديار الشامية فدخل الحاكم من آل علي الصغير في طاعتها وقدم خضوعه للسلطان سليم خان الثاني» (هنا انتهى كلامه).

مؤرخ مجهول

وروى مؤرخ عاملي، والكلام لصاحب **تاريخ جبل عامل** محمد جابر آل صفا لم يذكر اسمه في مخطوطة له رواية في قضية آل شكر أكثر إيضاحاً مما تقدم نلخصها بما يلي قال:

لما تغلب آل شكر على آل نصّار في عهد الشيخ حسين بن أحمد، وكانت حكومته ضعيفة، أدركها الوهن، ارتكب الشكريون كثيراً من الفظائع، ولم يسلم من بني نصّار إلا امرأة حامل فرّت مع أبيها إلى جبال بني حارثة وقيل لبادية الشام بادية السوالمة، ووضعت هناك حملها طفلاً أسمته علياً، وشب في تلك الجهات. وقد عاث بنو شكر بالبلاد، وكثر جورهم، ودام حكمهم عشرين سنة. وكانوا يرجعون لرئيسين منهم: الأول: السيد محمد شكر ومقرّه قرية قانا، والثاني السيد حسين ومقره في قرية عيناثا. وكان بعض أعيان البلاد على اتصال بوريث آل نصّار علي الصغير، فسار إليه فريق منهم وأتوا به للديار. وقد تجند كثيرون تحت رايته، وشبت نار الحرب بينه وبين الشكريين فدارت الدائرة عليهم. ويعود الفضل بإحرازه النصر لرجلين من وجهاء البلاد عضداه وشدا إزره: يدعى الأول: ابن دمشق من أهل قرية طير دبا (قرية شرقي صور) والثاني من ياطر بالقرب من تبنين واسمه ابن عزقول ولم يزل من سلالة الثاني رجل يقيم اليوم في قرية الغندورية.

المعركة الأولى في قانا

ويتابع محمد جابر آل صفا الكلام نقلاً عن المؤرخ العاملي المجهول: «المعركة الأولى حصلت في قانا حيث هاجمها الصغيري بخمسماية فارس يتقدمهم ابن عزقول فأحاطت بدار الشكري وكان عزقول تواطأ مع خادم لهم أن ترفع لهم قنديلاً مضيئاً ترسله إلى أربع جهات إشارة إلى أن الشكري أوى إلى فراشه. ولما رأى المرابطون ضوء قنديل يرسل أشعته ذات اليمين وذات

الشمال هجموا على الدار فقتلوا الحامية وأضرموا فيها النار. وحاول الشكري الفرار فقبض عليه ابن عزقول وذبحه بيده. وكذا صنعوا مع السيد حسين الشكري وأنصاره في عيناثا حيث أفنوهم عن آخرهم وقتل السيد حسين وبهما انقرضت حكومة الشكريين بعد أن أذاقت البلاد الأمرين».

ويقول مؤرخ آخر: «إن السيد حسين الشكري تمكن من النجاة وفرّ منهزماً إلى حاصبيا ملتجئاً للأمراء من آل شهاب فحموه وأقطعوه قرية في الجولان تسمى سكيك. وكتبوا للشيخ الصغيري يستشفعون به ويطلبون العفو عنه. مانعت والدته بذلك حذراً من غدرهم، واتخذ علي الصغير المزرعة التي دعيت فيما بعد «مزرعة مشرف» نسبة لأحد أحفاده مقراً. ولما توفي خلفه ولده الشيخ حسين. وكان قاسياً شديداً على من بقي من آل شكر وأنصارهم، فذاقت البلاد الأهوال في عهده، ولم يرأف بالأطفال والصغار فقتلهم شر قتله حتى ضج الناس من فتكه وشدته. فتآمروا على قتله فاحتال عليهم وجلبهم إلى المزرعة وذبحهم واحداً بعد آخر حتى أتى على آخرهم وكان عدد من قتلهم مائة وثمانين رجلاً».

أسرة هاشمية

وجاء في كتاب **السلالة الهاشمية في لبنان** لمؤلفه طوني مفرّج، (ص. ٢٦٠) ما يلي:

«آل الشكر أسرة مسلمة شيعية، حسنية هاشمية شريفة جاء عنها أن جدودها خرجوا من البصرة بسبب الخوارج الذين في داخلها ولهم هناك ٢٢ داراً، وهم من بني محيي أهل البيت الأطهار (راجع محسن الأمين في **أعيان الشيعة** (الجزء الثالث، صفحة ٦١١) وقد تفرعت أسرة الشكر إلى لبنان من العراق، ونزل القادمون عيناثا، وما لبثوا أن تغلبوا على إمارة جبل عامل وأخذوها من أجداد بني علي الصغير في الربع الأول من القرن السابع عشر، وكان مقرّ حكومتهم بلدة قانا ثم عاد فتغلب عليهم علي الصغير واسترد الإمارة منهم بينما كان أبناء الأسرة منشغلين بعرس لهم في عيناثا إحدى قواعدهم خلال سنة ١٦٤٩. وفي هذه الموقعة قتل من أعلامهم أحمد بن علي الشكر العاملي، وحسين علي الشكر، فتشتت الأسرة في جبل عامل والبقاع، من بقاياهم اليوم آل جعفر في عيناثا ويارون، وكان منهم في وادي جيلو (راجع كتاب **للبحث عن تاريخنا** لمؤلفه علي الزين ص ٢٦٦ ـ ٣٠٠) وأسرة السيد في قانا وأسرة عباس في الطيبة ومرجعيون وكوثرية السياد، ويبدو أن بعضاً من أبناء آل شكر قد بقي في قانا حتى وقت متأخر باسم آل الشكر، إذ وقعنا على خبر حادثة إقدام الجزار على قتل أحد أعيان الأسرة السيد محمد بن حسن بن علي بن الشكر وإحراق كتبه في قانا سنة ١٧٩٣، وقد كان منهم في جناتا أسرة أحمد بحسب السيد محسن الأمين. وقد تفرّعت هذه الأسرة إلى عائلات: أحمد، جعفر، الخطيب، رزق الله، السيد، عباس». وفي التعليق على أقوال هؤلاء المؤرخين وتمحيصها يقول محمد جابر آل صفا:

نقص وأخطاء

«إنّ في رواية صاحب **العقد المنضد** نقصاً وأخطاء لا بد من ذكرها والتنبيه إليها:

أولاً: تسمية أمير البلاد قبل الوائليين بشارة بن مقبل القحطاني والحقيقة أنه «الأمير حسام الدين بشارة بن أسد الدين بن مهلهل بن سليمان بن أحمد سلامة العاملي، أحد أمراء الدولة الصلاحية الأيوبية.

ثانياً: قوله إن علي الصغير الذي انتزع الحكومة من آل شكر هو ابن أحمد بن حويشان وهو خطأ لأن والد علي الصغير، هو الشيخ حسين بن أحمد بن نصّار بن حسين بن علي بن أحمد حويشان بن جمعان كما ورد في سلسلة نسب الأسرة. ولم نر فيها اسماً لرجل واحد مشرف خلافاً لقوله مشرف الثاني.

ثالثاً: إغفاله ذكر المعركة التي أثارها الشكريون على آل نصار، وقتل كبيرهم الشيخ حسين وذهاب الحكومة من أيديهم واكتفى بقوله بتمرد آل شكر، وعدم وجود كفوء في العائلة يتولى حكومة بن حويشان. وأما قوله في تعيين المدة التي استعاد فيها آل النصّار حكومتهم وثأروا من الشكريين، وإطلاق اسم علي الصغير على جميعها فهو محل مناقشة وجدير بالبحث والتمحيص.

قال صاحب **العقد المنضد**، إن علي الصغير استوى على أريكة الإمارة متسلسلة في أعقابه إلى أن استولى الأتراك على سوريا، وهذا يعني أن معركة آل شكر حصلت في عهد دولة المماليك المصرية البرجية التي سقطت عام ١٥١٦.

شك وريبة

والشيخ سليمان ظاهر ينقل عن المؤرخ الشيخ علي رضا (من كفرفيلا) قرية من ناحية جباع على بعد ستة أميال من النبطية: إن المعركة المنوه عنها كانت في العام ١٦٤٩ أي بعد استيلاء الأتراك على سوريا بماية وخمس وثلاثين سنة. وإطلاق اسم علي الصغير على الأسرة كلها لا بد أن يكون مضى عليه وقت ليس بقصير قبل الفتح التركي. لاسيما وأن صاحب **العقد المنضد يقول**: إن الحكومة الصغيرية بقيت متسلسلة في أعقابه إلى أن تم فتح سوريا في يد السلطان سليم الأول (لا الثاني) زاد الفرق بين الروايتين على مايتي سنة وهذا ما يبعث على الشك والريبة في كلام الشيخ علي رضا، واحتمال الخطأ في روايته.

ويضيف المؤرخ صفا: وإذا اتخذنا عدد الآباء والمدة بين زعمائهم قياساً نرى دليلاً آخر يؤيد ما ذهبنا إليه. فقد جاء في **تاريخ الأمير حيدر الشهابي** (الجزء الأول، ص. ٥) في حوادث ١٦٩٨: إن الشيخ مشرف ثار على أرسلان باشا والي صيدا ونبذ أمره وألقى القبض على جماعة من غلمانه وقتلهم. واستظهر الوالي عليه بمساعدة الأمير بشير الشهابي الأول.

وورد في **العرفان** (مجلد ٨ صفحة ٥٢٦) في «رسالة معجم قرى جبل عامل» للشيخ سليمان ظاهر التي مرّ الكلام عليها: أن عبدون باشا والي صيدا قبض سنة ١٦٨٨ على الشيخ مشرف

لظلمه وقتله مشايخ القرى في غار المزرعة (مزرعة مشرف).

معركة يارون

ومشرف هو ابن أحمد بن نصّار بن حسين بن علي الصغير، ولا يعقل أن تكون المدة بين انتصار علي الصغير على آل شكر، وحادثة مشرف مع والي صيدا، أربعين أو خمسين سنة، وبينهما أربعة آباء في حين المدة بين مقتل الشيخ ناصيف النصّار في معركة يارون التي وقعت في سنة ١٧٨٠، ووفاة عبد اللطيف بك الأسعد، وهو آخر من توفي من أحفاده في سنة ١٩٣٦، هي ماية وستون سنة وبينهما أربعة آباء، إذ إن عبد اللطيف بك هو ابن خليل بك بن الشيخ أسعد بن خليل بن ناصيف النصّار.

وهناك دليل آخر يثبت خطأ الشيخ علي رضا في روايته. فقد ورد في **تاريخ الأمير حيدر الشهابي وتاريخ الشدياق**: أن الأمير فخر الدين المعني هاجم أولاد الأمير علي الصغير في الكوثرية لشكوى وردت عليه منهم في سنة ١٦١٣، أي قبل المدة التي ذكرها الشيخ علي رضا بسبعة وثلاثين عاماً. ونقل هذه الحادثة الأستاذ ظاهر في «رسالة معجم قرى جبل عامل» في **العرفان**. وعلى هذا لا يبعد عن الصواب كثيراً ما ذكره صاحب **العقد** من أن حكومة علي الصغير تألفت قبل استيلاء الاتراك على سوريا، والمفهوم أن أمهات الحوادث في **العقد** نقلت عن **الجوهر المجرّد** تأليف الشيخ علي سبيتي.

هذا ما وقفنا عليه من أخبار هذه الأسرة بعد بحث وتمحيص».. (انتهى كلام المؤرخ محمد جابر آل صفا).

اختلاف الرواة

وكتب الشيخ علي الزين في مؤلفه **للبحث عن تاريخنا** فصلاً بعنوان: «قصة علي الصغير مع الشكرية» طارحاً عدة علامات استفهام، بعد أن عرض لأقوال الحاج محمد سهيل واضع سلسلة نسب آل الصغير في مجموعة من خطه وإنشائه، وما رواه شبيب الأسعد (ص. ١٦ ـ ١٨) من ديوانه **العقد المنضد**، وما رواه العلامة السيد محسن الأمين في **أعيان الشيعة** (المجلد ١٠، ص. ١٠٣ ـ ١٠٥) «مع شيء من التعليقات والمقارنات جعلته وسيلة للشك وصحة الاستنتاج، وذريعة لتصفية التاريخ من إسراف النقص والقصاصين في الإغراب والافتراض».

توقف الشيخ علي الزين مطولاً أمام اختلاف الرواة من آل الصغير وغيرهم، وتباين آرائهم في مجمله ومفصله، ما يقوم مقام الدليل على شك القوم بالحقيقة التاريخية أو على الجهل المزمن بواقع قصتهم ونسبهم مما يضطرنا ـ والكلام للمؤرخ علي الزين ـ من حيث نريد ولا نريد إلى البحث عن الواقع التاريخي لهذه القصة، وإلى استنطاق الحوادث والظروف والقرائن التاريخية عن العوامل الأساسية التي تمكن بها آل الصغير من استئصال نفوذ الشكريين وسيطرتهم.

الوثائق التاريخية

«ونحن إذ نطمئن للوثائق التاريخية»، يتابع الزين، «التي تدّل بصراحة تامة على أن آل الصغير كانوا ينتسبون إلى علي الصغير قبل وقوع هذه الحادثة بزمن بعيد، والتي تنص على أن الرئاستين في بيت شكر وبيت علي الصغير كانتا موجودتين في آن واحد... نجنح إلى القطع بكون بطل الحادثة من آل الصغير هو غير هذا الذي تنتمي إليه الأسرة كما يزعم الرواة، ونلجأ إلى الاعتقاد بأن سبب هذه الحادثة هو غير ما يفترض من قيام زعامة آل شكر على أنقاض زعامة آل الصغير، ثم نميل إلى الشك والريب بأن يكون آل الصغير أقدموا على مثل هذه المجازفة والعمل الفظيع قبل أن يستشعروا بانحراف أولي الامر، من ولاة الاتراك والحكام الوطنيين عن زعماء آل شكر، أو قبل أن يطمئنوا إلى تأييد هؤلاء الحكام والولاة لهم فيما يضمرونه لأخصامهم، أو يحاولون إدراكه، أو قبل أن يتبرعوا لهؤلاء الحكام سلفاً بما يرضي ميولهم، من مسالك حزبية أو تعهدات سياسية، أو ضمانات مالية.

ذلك بأن العهد الإقطاعي - وإن يكن عهد استبداد وفوضى وعسف - لم يكن خالي الوفاض من قواعد رئيسية نافذة الحكم، ومن أصول مرعية محترمة لدى الحكام الكبار والصغار، فلم يكن يباح في العهد الإقطاعي لأحد من الناس، بالغاً ما بلغ من القوة، أن يستولي على مقاطعة من المقاطعات بدون ضمانة مالية تؤدى للحاكم العام أو لوالي الإيالة. أو بدون تعهدات وشروط خاصة تفرض على ملتزم المقاطعة من قبل الولاة والحكام، مثل أن يقدّم لدى الحرب كمية معلومة من الرجال والعتاد، وأن يؤيد بجهده ميول السلطات العليا في السياسة الداخلية والخارجية، وكذلك لم يكن يُباح في العهد الإقطاعي - لمن هم في رتبة المقدمين والمشايخ أن يحكموا بالقتل على أحد من المجرمين، وإنما كان ذلك من خصائص الحاكم العام أو والي الإيالة وقاضيها الرسمي، فكيف بقتل الأبرياء، وكيف بالقضاء على أسرة كبيرة، فيها العجزة وفيها الأطفال، وفيها الأبرياء، ثم الاستيلاء على ملكها ومقاطعاتها جهراً.

فهل يعقل مع وجود هذه القوانين المرعية أن يكون آل الصغير، مهما بلغ من تهافتهم على الحكم ومن استباحتهم لكل شيء في سبيل الرئاسة، أقدموا على ما أقدموا عليه، وهم ينوون التمرد على هذه القوانين وعلى من يحميها من قوى الدولة وقوى الأمراء والمسيطرين على ما حولهم؟

وهل يتصور أنهم حاولوا ما حاولوه، بهذا الأسلوب الذي يدل على شعورهم بالضعف تجاه قوة أخصامهم من الشكريين - وهم يشكون برضى الحكام؟ أو يرتابون بتأييد الولاة لكل ما يضمرونه للشكريين؟ وقد رأينا ما حلّ بمشايخ الكوثرية سنة ١٠٢٢ هجرية يوم حاولوا التمرد على مثل هذه القوانين، وما حلّ بالشيخ مشرف الصغير سنة ١١١٠ هجرية أو سنة ١٠٩٩ هجرية على ما رواه الأستاذ ظاهر عن بعض المخطوطات القديمة يوم قبض عليه عبدون باشا والي صيدا لظلمه وقتله مشايخ القرى في غار المزرعة حيث لم يطيعوه في بعض الأمور».

احتمالات وظنون

ويواصل الشيخ علي الزين القول: «وهناك من الاعتبارات الجديرة بالبحث والتفكير ما يقوى هذه الاحتمالات والظنون، منها: أن آل شكر كانوا موضع نقمة الأمير فخر الدين المعني دون آل الصغير، كما يستفاد من تاريخ الحوادث بين سنة ١٠٢٣ هجرية و١٠٢٧ هجرية.

ومنها: أن الفترة التي تضعضع بها آل الصغير، وصفا بها الجو لآل شكر، هي كما يستفاد من فحوى القصة - الفترة نفسها التي تقوض بها حكم الأمير فخر الدين واستولى مكانه في حكم البلاد الأمير علي علم الدين اليمني الذي حاول استئصال المعنيين وأنصارهم من القيسية كما يبدو من اغتياله للأمراء التنوخيين في قرية (عبيه) لأنهم كانوا يميلون للمعنية.

الغلام المراهق

ومنها: أن لا يتسنى لآل الصغير أن يظهروا وأن يقضوا على الشكرية، إلا حين تسنى للأمير ملحم المعني - بطل واقعة أنصار، أن يثبت لخصمه ابن علم الدين، وأن يثبت قدم المعنيين في الحكم ويعزز أنصارهم على أخصامهم.

ويدلنا تسلسل هذه الحوادث وارتباطها ببعضها.. ميل أكثر المؤرخين العامليين إلى أن واقعة آل الصغير مع الشكرية كانت سنة ١٠٥٩ هجرية وتم اتفاق جميع رواة القصة على أن بطل الواقعة من آل الصغير كان جنيناً في بطن أمه يوم تلاشى نفوذ آل الصغير، وتمادى الشكريون في بسط رئاستهم، وإنه كان في دور المراهقة (بين سن ١٤ و١٦) يوم قضى على آل شكر، واستأصل حكومتهم ونفوذهم سنة ١٠٥٩ هجرية. وعليه فإذا أسقطنا سن الغلام المراهق (١٤ أو ١٦) من ١٠٥٩ يكون الوقت الذي تغلب فيه على آل شكر هو بين سنة ١٠٤٣ و١٠٤٦ هجرية وهو ما يتسق تماماً مع الزمن الذي انتقل فيه الحكم لابن علم الدين خصم المعنيين الألد، ثم يكون الوقت الذي قضى فيه آل الصغير على آل شكر سنة ١٠٥٩، مما يتفق مع الوقت الذي تسنى فيه الحكم للأمير المعني الموتور من ابن علم الدين ومن المؤيدين لسياسته.

السياسة الإقطاعية

وعليه فهل يبعد على السياسة الإقطاعية لذلك العهد أن يكون أخصام ابن علم الدين من المعنيين في لبنان، ومن أحلافهم الشهابية في وادي التيم وقد عززوا حقد آل الصغير على الشكريين لتفرد هؤلاء في حكم بلاد بشارة في عهد خصمهم؟ وهل يبعد على المعنيين والشهابيين أن يمدوهم بشيء من قواهم الحربية، وأن يضمنوا لهم رضا الولاة الاتراك، ليشفوا غيظهم من الشكريين أو

يقضوا على مستقبل خصمهم الألد بالقضاء على أتباعه وأنصاره؟

وقد كان الحكام يومئذ ينتصرون لمن يخالف خصمهم، فإن العسافيين، وبني سيفا، حكام طرابلس والشمال ـ عضدوا مظفر اليمني شيخ عين دارة، والأمراء الحرافشة، وأمراء راس نحاش وغيرهم من مشايعي اليمنيين تشفياً من المعنيين وحلفائهم من القيسيين (راجع **دواني القطوف**، ص ١٩٤ لعيسى اسكندر المعلوف).

هذا وما يحتمل أن يقال في موقف آل الصغير من الشكريين في عهد الأمير ملحم المعني قد يحتمل ويقال في موقف الشكريين من آل الصغير في عهد الأمير علي علم الدين، لولا هذا التفاوت بين الظروف والبواعث والنزعات.

وقعة أنصار

فالتاريخ لا يشعرنا ـ والكلام لعلي الزين ـ بأن آل الصغير كانوا موضع نقمة آل علم الدين قبل أن يتخاصموا مع المعنيين لتطغى نقمة ابن علم الدين عليهم لدى تغلبه على المعنيين ويساعد على استئصالهم كما يشعرنا بأن آل شكر كانوا موضع نقمة المعنيين قبل أن يصطدم هؤلاء بابن علم الدين وقبل أن يؤازره العامليون، من شكرية ومناكرة، على المعنيين في وقعة أنصار سنة (١٠٤٨ هجرية) كما يستفاد من أقوال المؤرخين في هذا الحادث.

والتاريخ لا يوحي لنا بأن آل الصغير استطاعوا في عهد المعنيين الأول أن يستأثروا بحكم بلاد بشارة دون الشكريين ليوغروا صدور هؤلاء حقداً ومقتاً وجزعاً ويلجئوهم ـ عند سنوح الفرص ـ إلى التخلص منهم بهذه الأساليب والصور التي تمثلت بقصة علي الصغير كما استطاع آل شكر أن يغضوا من جماح آل الصغير وأن يكبتوا عنجهيتهم ويتفردوا بحكم البلاد حين دانت الأمور لابن علم الدين لليمنية سنة ١٠٤٣ هجرة.

والتاريخ لا يشعرنا بأن آل الصغير كانوا مظنة للخطر على نفوذ آل شكر، بل يشعرنا بأن آل شكر كانوا أشد بأساً وأمنع جانباً وأرسخ قدماً في الرياسة من آل الصغير في عهد الأمير فخر الدين فكيف يكون حالهم من الاعتداء بسطوتهم والاطمئنان إلى واقعهم والاستخفاف بمناهضيهم من آل الصغير بعد انهيار حكم الأمير فخر الدين وسيطرة حليفهم ابن علم الدين مكانه، وتضامن آل شكر معهم في النقمة على المعنيين ومشايعة أخصامهم؟

وحسب هذه الاعتبارات والحيثيات والظروف التي اكتنفت سياسة الشكرية أن تميزها عن سياسة آل الصغير وأن تضفي عليها من وحي الغطرسة والغرور ما يفضي بآل شكر إلى الاستهتار وعدم الاكتراث بشأن مناهضيهم من حيث تضاعف حنق آل الصغير عليهم، وتنمي الشك بهم والخوف منهم إلى أن تسوّل لهم نفوسهم ما سوّلته بذلك الحادث الغريب والمأساة الدامية حين تغلب الأمير ملحم واتسقت الأمور للمعنيين، وتسنى لأخصام الشكرية أن يظهروا ما يبطنونه».

هل جار الشكريون في حكمهم؟

وختم المؤرخ علي الزين كلامه على الشكرية بطرح السؤال التالي: «هل جار الشكريون في حكمهم؟» ورد على السؤال بالقول: «من الشائع على أفواه الناس في عاملة أن عهد الشكريين كان عهد الظلم وجور وعسف، وقد تندرت المجالس العاملية بذلك جيلاً بعد جيل حتى أوشكنا لتكرار الحديث أن نصدق ما ترويه الأساطير التي تؤيد مثل هذه المزاعم.

وليس من اليسير على المؤرخ أن يؤكد مثل هذه الشائعات أو يفندها وقد مضت عليها القرون الطوال إذا لم يُعد للأمر عدته ويهيئ للصواب أدلته وبراهينه، بيد أن مجال البحث لا ينفك واسعاً وأبواب الرجاء لا تزال مفتوحة. ومهما يكن من أمر الشكرية وأمر سياستهم وحياتهم كملائكة الرحمة أو شياطين العذاب، فإنا حين نرجع إلى التاريخ العام ونستضيء بنوره ونراقب سير الأحوال في هذه الفترة التي عم بها حكم الشكريين لبلاد بشارة لا نعدم سبيلاً للواقع حيث نجد أن كل بقعة من بقاع الأرض التي شملها حكم العثمانيين كانت تشكو مما يشكوه العامليون في هذه الفترة من ظلم وعسف وجور، فهل كانت هذه الشكوى العامة من جراء حكم الشكريين وعسفهم؟ أم كانت تمت بجذورها الكبرى وعواملها الرئيسية لما أصاب الملكة العثمانية من فساد السلطان ابراهيم بين سنة (١٠٤٩ و١٠٥٨ هجرية) وقد كان هذا السلطان من الشذوذ في الخلاعة والحماقة والإسراف بمحل جعله في شغل شاغل عن الأمة إلا بما كان فيه تحقيق شهواته وكان غريباً فيها..».

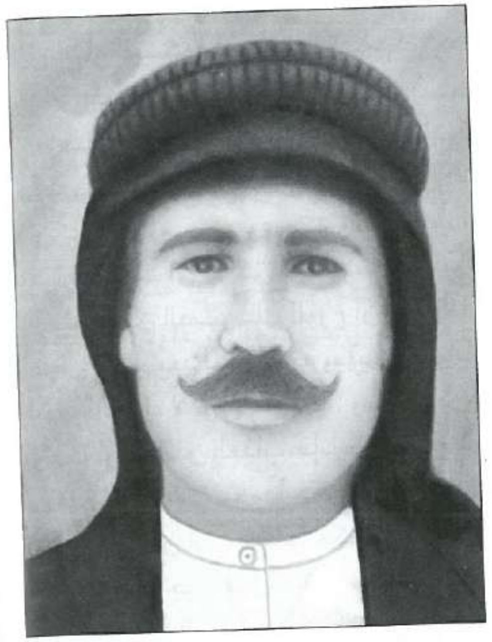
وجاء في **تاريخ الشيعة** (جزآن) لمؤلفه سعدون حمادة (ص ٤٢٣) «بعد زوال بني سودون بقي بنو شكر من الأسر النافذة في جبل عامل وكانت عيناتا قاعدتهم، وربما مدوا نفوذهم في وقت ما إلى قانا وتبنين، ويبدو أن الأسرتين كانتا في أول الأمر على شيء من التحالف والتفاهم، إلا أن خلافاً حاداً ما لبث أن استعر بينهما وأدى إلى خصام دموي قتل فيه أحد مشايخ آل الصغير وانتهى بانهزام بني شكر ومقتل كبيرهم أحمد وتشتت الباقون فكانت نهايتهم كعائلة عاملية حاكمة سنة ١٦٤٩».

حكومة الاتحاد العاملي

وجاء في مكان آخر من هذا **التاريخ** (صفحة ٥٤٤): «لم تترك الأسرتان اللتان برزتا في القرن السابع عشر في تاريخ جبل عامل إلى جانب الوائليين، وهما آل سودون وآل شكر من آثارهما سوى العين المعروفة (بعين بوسودون) بالقرب من نبع الحجير، وبقايا أبنية قديمة خربة في عيناتا، لا يزال الأهالي يطلقون عليها حتى اليوم اسم بني شكر، وبضع إشارات متفرقة في كتب التاريخ كانت آخرها معركة جرت في عيناتا سنة ١٦٤٠. ولكن أسرتين غيرهما برزتا بعد ذلك إلى جانب الوائليين على مسرح الاحداث وهما بنو منكر وبنو أبي صعب فتشكل من الأسر الثلاث ما يعرف بـ«حكومة الاتحاد العاملي» على ما يقول المؤرخ محمد جابر آل صفا».

أعلام من آل شكر

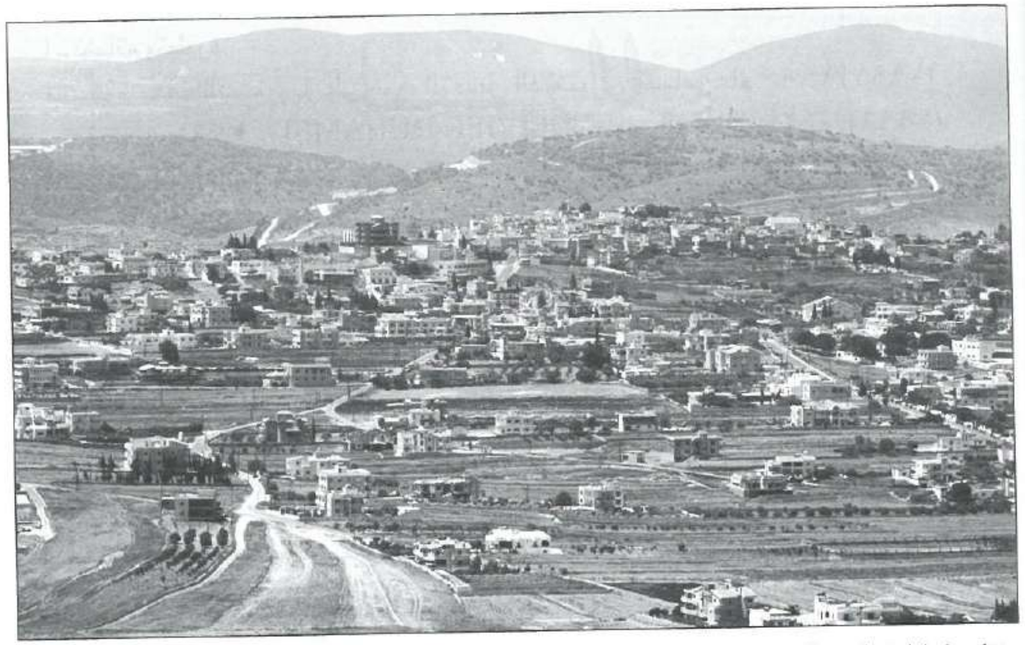
زهير شكر



محمد قاسم دياب شكر حارب ضد الفرنسيين

من مواليد ١٩٤٨/١/٢١. متزوج ليلى الناطور ولهما ثلاثة أولاد: نادين، علي وجاد. حصل على العديد من الشهادات العلمية: إجازة في العلوم السياسية والإدارية - الجامعة اللبنانية - كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية - بيروت (١٩٧٢)، ودبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية - أكس - مرسيليا - فرنسا (١٩٧٣)،و دكتوراه دولة في العلوم السياسية - جامعة أكس - مرسيليا - فرنسا (١٩٧٦). يتقن من اللغات: العربية والفرنسية ويلم بالإنكليزية.
تولى عدة مناصب أبرزها:

- أستاذ في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية - الجامعة اللبنانية.
- مدير كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية - الفرع الأول من عام ١٩٨٢ إلى ١٩٨٥.
- عميد كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال - الجامعة اللبنانية ١٩٨٦ - أيلول ١٩٩٣.
- باحث في معهد الإنماء العربي - بيروت - لبنان (١٩٧٩ - ١٩٨٢).
- سفير لبنان لدى دولة قطر ١٩٩٤ - كانون الثاني ١٩٩٩.
- مساعد باحث في مركز الدراسات والابحاث عن المجتمعات المغربية - .C.R.E.S.M AIX – EN – PROVENCE – التابع للمركز الوطني للأبحاث العلمية C.N.R.S - فرنسا (١٩٧٣ - ١٩٧٦).
- مدرس بكلية الحقوق - جامعة بنغازي - ليبيا (١٩٧٦ - ١٩٧٩).
- أستاذ مساعد في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية - الجامعة اللبنانية (١٩٧٩ - ١٩٨٤).
- أستاذ القانون الدستوري في قسم الدكتوراه في كلية الحقوق والعلوم السياسية - الجامعة اللبنانية (١٩٨٤).
- أستاذ في المدرسة الحربية (١٩٨٠ - ١٩٨٤).
- محاضر في معهد الأركان التابع للجيش اللبناني (١٩٨٢ - ١٩٨٣).
- أستاذ في المعهد الوطني للإدارة - مجلس الخدمة المدنية (١٩٩١ - ١٩٩٣).
- عضو اللجنة الفاحصة لاختيار موظفي فئة ثالثة - مجلس الخدمة المدنية (١٩٨٣).



منظر عام لبلدة يارون اليوم

- رئيس اللجنة الفاحصة لاختيار موظفي فئة ثالثة - مجلس الخدمة المدنية (١٩٩٢).
- نائب رئيس اللجنة الفاحصة لاختيار موظفي فئة ثالثة - السلك الدبلوماسي - مجلس الخدمة المدنية (١٩٩٣).
- عضو هيئة تحرير **النشرة الاستراتيجية** - «معهد الإنماء العربي» - بيروت - لبنان (١٩٨٠ - ١٩٨٣).
- عضو الجمعية اللبنانية للسلام (١٩٩١ - ١٩٩٤).
- عضو الجمعية اللبنانية للعلوم السياسية (١٩٧٢ - ١٩٩٤).
- عضو الجمعية العربية للعلوم السياسية (١٩٨٥ - ١٩٩٤).

من مؤلفاته:

- **الاشتراكية الليبية بين النظرية والتطبيق**، رسالة ماجستير - فرنسا - جامعة اكس - مرسيليا عام ١٩٧٣.
- **مصدر وخصائص السلطة السياسية في الإسلام الوسيط**: أطروحة دكتوراه دولة في العلوم السياسية - فرنسا. جامعة اكس - مارسيليا عام ١٩٧٦.
- **السياسة الأميركية في الخليج العربي: «مبدأ كارتر»** (١٩٨١).
- **القانون الدستوري والمؤسسات السياسية: النظرية العامة والدول الكبرى** (١٩٩٤).
- **القانون الدستوري والمؤسسات السياسية: النظام السياسي والدستوري في لبنان** (جزآن):

أ ـ نشأته وتطوره.
ب ـ مؤسساته الدستورية على ضوء التعديل الدستوري الصادر عام ١٩٩٠ (١٩٩١).
ـ تدقيق ترجمة كتاب OLIVIER DUHAMEL بعنوان المعجم الدستوري (١٩٩٦).
ـ الوسيط في القانون الدستوري اللبناني.
ـ **دور الرقابة على دستورية القوانين في تطور القانون الدستوري**: دراسة مقارنة بين اجتهادات المجلس الدستوري في فرنسا والمحكمة العليا في الولايات المتحدة الاميركية.

حصل على وسام السعفة الاكاديمي من رتبة ضابط من فرنسا ١٩٩٣، وعلى وشاح الاستحقاق الوطني من دولة قطر عام ١٩٩٨. وعينه مجلس الوزراء في ٢٠٠٥/٨/٨ عضواً في الهيئة الوطنية لوضع قانون الانتخاب. وعين رئيساً للجامعة اللبنانية في ٢٠٠٦/٢/١٦.

فايز شكر

من مواليد النبي شيت ـ بعلبك ـ في العام ١٩٥٧. تزوج المهندسة منى اللحام (من مواليد دمشق في العام ١٩٦٣) ولهما أربعة أولاد: رهام (١٩٨٩)، شهاب (١٩٩٠)، رولا (١٩٩١) وباسل. والده: شهاب، ووالدته: رولا. تلقى علومه الابتدائية والتكميلية في مدرسة النبي شيت الرسمية، والثانوية في مدارس زحلة. وحاز شهادة الطب في رومانيا عام ١٩٨٥. انتسب إلى «حزب البعث العربي الاشتراكي» عام ١٩٧٣. وهو عضو القيادة القطرية في الحزب منذ عام ١٩٩٣، ورئيس مكتب التنظيم.

ترأس الاتحاد الوطني لطلبة لبنان في رومانيا لمدة ثلاثة أعوام خلال دراسة الطب. وعين وزير دولة في حكومة الرئيس رفيق الحريري الثانية في ١٩٩٥/٥/٢٥. هو حالياً الامين القطري لـ«حزب البعث العربي الاشتراكي».

المراجع

١ ـ **تاريخ جبل عامل**، تأليف محمد جابر آل صفا. (د. ت).
٢ ـ **معجم قرى جبل عامل** للشيخ سليمان طاهر.
٣ ـ **العقد المنضد** لشبيب باشا الأسعد، الأستانة، ١٣٠٩ هجرية.
٤ ـ **السلالة الهاشمية في لبنان** لطوني مفرّج. الناشر ببيوغرافيات، ٢٠٠٤.
٥ ـ **للبحث عن تاريخنا** لعلي الزين، ١٩٧٣.
٦ ـ **تاريخ الشيعة في لبنان** لسعدون حمادة، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.
٧ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

آل سَيْفا

في القرن الثالث عشر عندما تغلب المماليك على الصليبيين واحتلوا ساحل لبنان وسوريا، أتت قبائل جديدة من الأكراد والتركمان وسكنت في أماكن عديدة من لبنان لمراقبة المناطق الجردية والمحافظة على الممرات (راجع الأب لامنس، **مختصر تاريخ سوريا**).

قد يكون أجداد بني سيفا من العشائر التركمانية التي أمسكت طريق حمص التي تمر من الجنوب إلى الشمال في لبنان. ينتسب بنو سيفا، (على ما يقول الشيخ طنوس الشدياق في **أخبار الأعيان**) إلى المقدم جمال الدين الملقب بسيفا، وهو أحد المماليك الجراكسة وعمالهم في طرابلس وعكار وحصن الأكراد وما والاها. ويقول جواد بولس إنهم يعودون بأصلهم إلى الاكراد (**تاريخ لبنان**، ص ٣١٩) ويقول فيليب حتي: «بنو سيفا من أصل كردي وقد اتخذوا طرابلس مقراً لهم (**لبنان في التاريخ** ص ٤٥١) ويعتبرهم البطريرك اسطفان الدويهي تركماناً إذ يقول: «وفيها أي في سنة ١٥٧٩ الموافقة لعام ٩٩٧ هجرية استقرت طرابلس باشاوية وتولى تدبيرها ابن سيفا التركماني وذلك بسبب أن المير منصور بن عساف قتل عبد الساتر بن الكريدي شيخ البترون، وغادر شيخ جبيل وأمراء بيت الحنش في فتقا، وقتل أيضاً ابن شعيب في جامع طينال (هو من أهم جوامع طرابلس وأروعها. كان كنيسة صليبية وعندما استولى السلطان قلاوون على المدينة حوّلها إلى مسجد عام ٧٣٦ وتاريخه منقوش على بابه الخارجي) ويرى البوريني المؤرخ الدمشقي أن بني سيفا هم من أصل تركماني. وقد وجد الأب لامنس نفسه حائراً بين الرأيين فلم يتخذ موقفاً واضحاً وحاسماً من هذا الموضوع».

قبائل كردية ـ تركمانية

ولكي نتمكن من ترجيح رأي على آخر يجدر بنا أن نستعرض بعض المعطيات التاريخية.

بعد أن تغلب المماليك على الصليبيين نهائياً عام ١٢٩١ وتولوا حكم سوريا ولبنان أسكنوا عشائر كردية وتركمانية سواحل بلاد الشام كي يقوموا بحمايتها والدفاع عنها وحفظها في حالة تعرضها لأية هجمات من قبل الفرنجة أو البيزنطيين.

وإذا ما عدنا إلى الشيخ طنوس الشدياق مرة أخرى نراه يناقض نفسه بنفسه حينما يقول في الفصل الثالث والعشرين: «في نسبة بني سيفا الأكراد يُرجع أصلهم إلى المقدم جمال الدين الجركسي، وكأن المؤرخ نسي ما عنون به فصله أو أنه لا يفرّق بين الأكراد والجركس. فالجركس شعوب قطنت قديماً شمالي غربي القفقاس، وقسم منها الشاطئ الشرقي للبحر الأسود، وقد هاجر معظمها إلى تركيا وسوريا (قفقاس: جبال بين البحر الأسود وبحر قزوين. تمتد على طول ١٢٠٠ كلم ويبلغ ارتفاع أعلى قممها ٥٦٤٧ متراً).

والتركمان عشائر تركية أخضعها التتر، تعرف منذ القرن الثاني عشر باسم تركمان يعيشون اليوم في تركستان وإيران وما وراء القفقاس.

أمر مشكوك فيه

إن أصل بني سيفا الكردي أو الجركسي أمر مشكوك فيه، إذ إن الجركس لم يكونوا يؤلفون قبيلة يتزعمها كبير فيها يدبر شؤونها في السلم ويقودها في الحرب وتبقى إلى جانبه في كل وقت. كان الجركس يلتفون حول رجل قوي يأتمرون بأمره في الحروب وينفضّون من حوله ويبتعدون عنه إذا أخفق أو تخاذل أو انتهت الحرب. وهذا ما يخالف تماماً نهج ومسلك بني سيفا، فإنهم كانوا يلتفون حول كبيرهم ويشدون إزره في الحرب والسلم ويبقون على موالاته في أحلك الظروف وأشدها قسوة ولا يفترقون عنه. ويختلف التركمان نسباً وخلقاً وطرائق حياة وعادات عن الأكراد والجركس.

حماية الثغور

ومن المعتقد أن بني سيفا قبيلة من التركمان استوطنت سهل عكار إبان حكم المماليك فذاقت فيه لذة الإقامة والسلام والأمن وطاب لها العيش فيه فاستقرت في أرجائه. ولما خبر المماليك إقدامهم وشجاعتهم اتخذوهم أعواناً لهم، كما اتخذوا من قبل التنوخيين والمعنيين في صيدا وبيروت لحماية الثغور البحرية من هجمات الإيطاليين والقبارصة، وكان قد سبق أن استعمل السلطان محمد الناصر (١٢٨٤ ـ ١٣٤١) جماعة من التركمان فأسكنهم الكورة لخفارة الطريق التي تصل طرابلس بالبترون والجنوب وتسلموا «درك المسيلحة» (اسم مكان معناه المرقب أو مكان خزن السلاح). بينما كان بنو عساف الذين اتخذوا غزير محلاً لسكنهم أصبحوا أصحابها ثم أنابهم ثغور كسروان من نهر الكلب حتى المعاملتين.

ولما احتل العثمانيون سوريا ولبنان واستأصلوا شأفة المماليك من البلاد. أبقوا هؤلاء القوم في خفارتهم وكانوا جميعاً من التركمان. ولم يذكر الأكراد في تلك الحقبة، غير أن السلطان سليم أسكن فريقاً من هؤلاء في راس نحاش، ليكونوا أعواناً للتركمان، الموكولة إليهم خفارة قلعة المسيلحة، لأن واديها هو الطريق الوحيدة التي يمكن العبور منها لاجتياح لبنان وفلسطين.

الأمير جمال الدين

وقد حفظ التاريخ اسم واحد من التركمان البارزين هو الأمير جمال الدين الذي هو جد بني سيفا وأميرهم. جمال الدين هذا ولد عبد الله وعبد الله ولد أولاداً، أحد هؤلاء الأولاد، ولد محمداً الذي منحته الدولة العثمانية لقب باشا، وقد كلف في البداية بالمحافظة على حصن الأكراد الذي يُشرف على طريق حمص طرابلس من الناحية الجنوبية ويسهل خفارة منحدرات لبنان.

- ومحمد بن عبد الله ولد ولدين: يوسف وحسين.
- يوسف ولد سبعة أولاد هم: حسين وحسن وعمر وقاسم ومحمود وبلك وعساف.
- حسين ولد له سليمان، وسليمان ولد له علي.

نهاية سلطة آل شعيب

أول مواجهة كانت لمحمد باشا، بعد تكليفه المحافظة على حصن الأكراد، كانت مع سلطة آل شعيب، وآل شعيب أسرة وإن بدت صغيرة قليلة العدد، كان دورها كبيراً كما سنرى في تاريخ لبنان. فمنذ العام ١٥٢٣ حين ولت الدولة العلية ابن إدريس البدليسي على طرابلس واستتناب عنه محمد آغا شعيب، أحد أعيان عرقا، الذي تولاها بالالتزام، أخذ يضمر الحقد والشر لمحمد سيفا، ويسيء إلى رجاله ومعاونيه ومن هم من غرضه، إما ظلماً وإذلالاً وإما انتقاماً إلى أن وقعت الفتنة بينهما. اضطر السيفيون الى الهرب من عكار إلى الباروك واستجاروا بالأمير فخر الدين الأول حاكم الشوف، فلم يستجب لهم إلا بإغراء من الأمير منصور عساف، وأنجدهم بثلاثماية مقاتل دهموا بها عرقا مركز آل شعيب وقتلوا بعض رجالهم وفرّ من تبقى منهم إلى طرابلس.

بقي محمد باشا شعيب في طرابلس وصدره يغلي حقداً على الأمير منصور عساف وهو يحكم كسروان وجبيل بأمر منه، فأرسل يطالبه بالمال المستحق عليه انتقاماً وتشفياً. استجاب الأمير منصور للطلب وبعث عبد المنعم لمحاسبته يرافقه الشيخان يوسف وسليمان حبيش معاوناه وخمسماية نفر كمنوا عند حارة الحصارنة وكان الاجتماع قد تعين في جامع طينال أمام قاضي المدينة. فلما دخل عبد المنعم الجامع ومعه أولاد حبيش، وثبوا على محمد آغا شعيب وقتلوه مع ابنه، وأصلحوا أمورهم مع القاضي الذي أفتى بأنهم أبرياء، ومع مقتل محمد شعيب تلاشت سلطة بني شعيب في الشمال.

بروز آل سيفا

أصبحت ولاية طرابلس بعد العام ١٥٢٨ بيد الأمير منصور عساف حيث كان آل سيفا يأخذونها منه بالالتزام. وقد سلمها عام ١٥٤٩ إلى رجل اسمه حسن بك الذي عهد بها بدوره إلى الأمير علي

سيفا، ومنذ ذلك الحين برز آل سيفا في طرابلس والشمال.

بعد وفاة الأمير فخر الدين الأول عام ١٥٤٤ امتدت إقطاعة منصور عساف من حدود نهر الكلب إلى حدود حمص وحماه، مما وفر له مزيداً من المال والرجال فتضاعفت قوته. وقد شاد قصراً عظيماً في جبيل، كما بنى أيضاً جامعاً وخاناً في غزير. ومع محافظة السيفي على حكمه في طرابلس، بقي الأمير منصور حاكمها الحقيقي يولي عليها من يشاء. ظلت الحال هكذا حتى العام ١٥٧٢. وخلال هذه الفترة كان آل سيفا راضين به والياً وهو راضياً بهم حكاماً تحت يده فيكون العسافيون هم الذين أفادوا من مقتل ابن شعيب وليس السيفيون.

حامي الموارنة

وبدءاً من العام ١٥٧٩ أخذت الدولة العثمانية تنظر بعين القلق إلى تعاظم نفوذ وسلطة الأمير منصور عساف، فراحت تعمل وسعها لإضعافه. ففي العام ١٥٢٣ وضعت طرابلس ظاهرياً تحت سلطة دمشق، وبعد معركة «ليبانت» البحرية عام ١٥٧١ التي انتصر فيها الإسبان على العثمانيين لم يعد هؤلاء أسياد البحر المتوسط، فكثف الأوروبيون مساعيهم فانفتحت أمامهم أبواب الشرق الأوسط، وازداد نشاط الإرساليات بين مسيحيي الشمال. وكان معروفاً تماماً أن الأمير منصور العسافي هو حامي الموارنة. وقد أقام علاقات طيبة مع الغرب بواسطة مستشاريه.

يوسف سيفا والي طرابلس

في العام ١٥٧٩ رفعت الشكاوى ضد الأمير منصور عساف كونه قتل عبد الساتر الكريدي، شيخ البترون، وأولاد شعيب، وأمراء بيت الحنش في فتقا وغادر شيخ جبيل أيضاً.

استاءت الدولة العثمانية من هذه التصرفات ولم يطل الوقت حتى صدر الأمر بجعل طرابلس باشاوية (إيالة) مستقلة يتولاها يوسف سيفا على أثر صدور ذلك الأمر ثارت الفتن بين يوسف سيفا وبين الأمير منصور عساف في سبيل النفوذ. وظهر بجلاء أن يوسف سيفا لا يحجم عن العظائم في سبيل تحقيق غاياته ومآربه، فهو يدس الدسائس ويرسل الشكاوى ويدفع الرشاوى ليحصل على ما يريد فبدا وكأنه هو الذي رفع الشكاوى ضد الأمير أو من جملة الذين شكوه، وإلا فكيف اتصل اسمه بالباب العالي حتى أنعم عليه بالرتبة السامية، وهو حتى يومئذ لم يأت عملاً عظيماً يستلفت الأنظار إليه.

وصدرت الأوامر بإلقاء القبض على كل من هو من غرض الأمير منصور عساف، فهرب المقدم مقلد بن الياس إلى ناحية الشوف حيث توفي عن صبي وبنت هما جمال الدين يوسف وست البنات، كما هرب شريكه في المقدمية الشدياق شاهين الحصروني من بيت المشروقي. ولما صارت السعاية بالأمير منصور هرب الشدياق خاطر إلى جهة بعلبك. غير أن يوسف سيفا كتب إليه بالأمان وأعاده إلى ولاية جبة بشري وجعل شريكه في الحكم الشدياق باخوس بن صادر الحدشيتي.

وفي العام ١٥٨٠ توفي الأمير منصور فتولى مكانه ولده محمد. وعزل السلطان مراد الثالث (١٥٤٦ ـ ١٥٩٦) يوسف سيفا عن ولاية طرابلس فانسحب إلى عكار، وتسلم مكانه في الولاية جعفر باشا الطواشي.

سلك محمد عساف مسلك والده في الحكم وحل مستشارية الشيخ منصور حبيش الذي توفي سنة ١٥٨٣ فجعل مكانه أخاه الشيخ أبا يونس حبيش.

حادثة جون عكار

وجاءت حادثة جون عكار لتعكر على اللبنانيين صفاء عيشتهم وتعيد حالة التوتر والقلق إلى مجتمعهم. وتفصيل الحادثة أنه في العام ١٥٨٤ سطا لصوص على قافلة الانكشارية، وكانت تحمل خراج مصر ونهبوها. اتهم يوسف سيفا الأمير محمد منصور عساف باقتراف هذه الجريمة، غير أن هذا الأخير تمكن من تبرئة نفسه مما نسب إليه. فأصدر جعفر باشا الطواشي متسلم طرابلس أمراً إلى العسكر من صيدا إلى حمص، وجرد حملة كبرى على يوسف سيفا إذ لا يستبعد أن يكون هو القائم بعملية السطو بهدف إثارة القلاقل والشغب على الدولة، ولأن الجريمة وقعت على أرض يُشرف ويُسيطر عليها سيطرة كاملة. هرب يوسف سيفا من وجه جعفر الطواشي، واختفى عن المسرح السياسي اللبناني لمدة سبع سنوات في البادية، حيث التقى مع منصور بن الفريخ، واتفقا أن يلصقا التهمة بالأمير قرقماز بن معن واقنعا الباب العالي بصحة ادعائهما. فتظاهر بالتصديق لسبب جوهري هو امتناع طرابلس وعكار وجوارهما على المعنيين، غير أن الرغبة في كسر شوكة الأمير محمد عساف وابن معن جعلت الباب العالي ينتهز هذه الفرصة لإظهار قوته وبطشه وإضعافهما، خاصة بعد أن أقلقه نهج الأمير قرقماز الاستقلالي وعشائره الدروز.

أمر السلطان مراد الثالث ابراهيم باشا وكان قد تولى الوزارة في مصر، أن يقتص من الأمير قرقماز والمعنيين ومعاونيهم وأعيد يوسف سيفا إلى إيالته مكرماً معززاً تحت إمرة العسافيين.

كان يوسف سيفا غادراً طماعاً فبعد أن كان يأتمر بأمر العسافيين ويؤدي لهم الأموال عن إقطاعته، طمع بالحلول مكانهم بحيث أخذت إقطاعتهم تتسع وتمتد إلى بيروت. وقد توفرت له فرصة نيل مبتغاه عام ١٥٩٠.

نهاية دولة العسافيين

لم يكن يوسف سيفا يصدق دائماً بوفاء التزام عكار، إذ امتنع عن إرسال ما في ذمته من مال للأمير محمد، ورفض أن يورده بالرغم من فوات وقت دفعه. فلم ير هذا الأخير بداً من أن يجمع عدداً كبيراً من الرجال ويتجه بهم إلى عكار لمعاقبة المتخلف وطرده من تلك الناحية، ونيل حقه منه دون أن يفكر بإمكانية الغدر به.

وكان المعبر الوحيد الذي بالإمكان النفاذ منه إلى الهري فطرابلس فعكار، الطريق التي تمر

بجانب قلعة المسيلحة وتبدأ من طرف مدينة البترون الشمالي. وهذه الطريق هي التي سلكها جميع الغزاة الآتين من شمالي البلاد، منذ بدء التاريخ وحتى العصور الحديثة للعبور إلى وسط لبنان وجنوبه. وهي تناسب قطاع الطرق واللصوص وإقامة الكمائن، بسبب انحصارها بين نهر الجوز وسلسلة من التلال الصعبة المرتقى التي تغطيها الأشجار.

علم يوسف سيفا بقدوم محمد العسافي ورجاله إليه. فلم ينتظره في عكار بل نادى برجاله وأتى بهم باتجاه البترون، اختار لهم عقبة ملائمة بجانب الطريق المذكورة، وتوزعوا فيها مختبئين عن الانظار دون أن يدري بهم أحد. ولما وصل العسافي ورجاله إلى مقربة من الكمين وثب عليه مرافقو السيفي فجأة وغدروا به وشتتوا شمل من معه. وأرجعوهم على أعقابهم خاسرين، فمات من مات وهرب من هرب. ولما كان الأمير متزوجاً ولا عقب له. انتهت به دولة العسافيين.

لم يكتف يوسف سيفا بجريمته، بل قدم بنفسه إلى غزير وضبط جميع أموال ومقتنيات محمد عساف وتزوج من أرملته. وعندما قتل ابن عساف ودخل ابن سيفا على حريمه، انتقل بيت حمادة الذين كانوا عند ابن عساف إلى طرابلس لعند ابن سيفا مع الست التي تزوجها. أما أولاد حبيش فقبض عليهم وقتل منهم الشيخ سليمان، والشيخ منصور مهنا، ونكبوا حاراتهم، وهرب الشيخ يوسف والشيخ حبيش إلى عند الأمير محمد بن جمال الدين في الشويفات، وانتقل الحكم إلى منافسي بيت عساف.

إقطاعيون أقوياء

أصبح يوسف سيفا من الإقطاعيين الأقوياء الذين يتحكمون بمصير إقطاعة فسيحة الأرجاء غنية الموارد بعد مقتل الأمير محمد العسافي. وتمتد هذه الإقطاعة من أطراف عكار شمالاً إلى بيروت جنوباً. وأصبح يشكل حجر عثرة في سبيل تحقيق طموحات فخر الدين في توحيد الإقطاعات اللبنانية تحت إمرته، وتأسيس دولة قوية تستطيع أن تنتزع النير العثماني وتتمتع بالاستقلال.

وكان فخر الدين قد ضم بيروت إلى إقطاعته وتخلص من خصمين قويين: علي الحرفوشي ومنصور الفريخ واستولى على بيروت وسنجقية صيدا، وكان يتبعها أقاليم جبل عامل، وبلاد بشارة، ومنطقتا صور وعكار. رغب يوسف سيفا أن يستعيد سيطرته على بيروت بالقوة في حين لم ينس فخر الدين الثاني أنه تسبب بوفاة والده قرقماز، ويسعى أن يتخلص منه، غير أن الأمر لم يكن سهل المنال من هنا نشأ صراع عنيف بين الفريقين دام طويلاً تخللته المعارك من أهمها:

معركة نهر الكلب ١٥٩٨

بعد خطوة فخر الدين الأولى في سبيل توحيد لبنان اتخذ صيدا عاصمة شتوية لإمارته، وبقيت دير القمر عاصمته الصيفية. وقد قوي ساعده ورغب في التخلص من يوسف سيفا، وتحين الفرص المؤاتية لذلك. ولما كان مراد باشا قد ترك ولاية دمشق عام ١٥٩٨، أراد المعني

أن يستولي على مقاطعة السيفي ويسلخ عنها كسروان التي كانت سابقاً للعسافيين فجهز جيشاً قوامه ١٥ ألف مقاتل اشترك فيه الأمراء الشهابيون من وادي التيم، والحرفوشيون من البقاع، ومقدمو جبيل وسار به إلى نهر الكلب. وما إن تلاقى الجيشان في الوادي التاريخي حتى أسفرت النتيجة عن انتصار المعني، وقتل رعد بن نبعة التبشراني الأمير علي ابن شقيق يوسف سيفا قائد عسكر السيفيين. انتزع فخر الدين على الأثر من خصمه مقاطعة كسروان والفتوح بالإضافة إلى بيروت. وتدخل الأمير محمد الأرسلاني بعد سنة، لدى الأمير وطلب منه أن يعيد بيروت وكسروان للسيفي، فلبى طلبه مخافة أن يغضب الأرسلانيون، وشرط أن لا يعتدي أحد من آل سيفا على أي من حلفائه.

معركة جونية

اغتاظ الأمير فخر الدين من المصالحة والمصاهرة التي جرت بين ابن جنبلاط حليفه ويوسف سيفا عدوه، وأخذ على عاتقه القيام بحملة على طرابلس لمعاقبة هذا الأخير عن الفتن التي كان يداوم على إثارتها ضده.

قضى يوسف سيفا أعواماً عديدة في الإمارة لأنه كان يعترف بسلطة السلطان المطلقة، ويدفع بطريقه منتظمة الضريبة السنوية، إلا أنه كان يحكم وكأنه مستقل تمام الاستقلال عن السلطان وقد سعى أن يقرّب منه فئة من الناس وخاصة الشعراء، فتح لهم باب قصره واسعاً فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده ويمدحونه فيجزل لهم العطاء. ولكن من جهة ثانية كان الشعب يبغضه لانه كان يرهق كاهله بالضرائب غير المحقة التي كان يستعملها للاستمرار في مخاصمة ومحاربة فخر الدين.

في العام ١٦٠٣ قام الأمير فخر الدين بحملة على طرابلس. استولى بادئ الأمر على قلعة جزين المحصنة وانتقل منها إلى بيروت حيث قتل شقيق يوسف سيفا. وأراد أن يفيد من عنصري السرعة والمباغتة فظهر فجأة أمام طرابلس. لم يتمكن يوسف سيفا من الإتيان بأية حركة، إذ لم يتيسر له الوقت لتنظيم الدفاع عن المدينة، ولم يجد أمامه سوى الهرب، فاستقل مركباً راسياً في الميناء وتوجه إلى قبرص. وبعد مدة انتقل إلى الكرمل من فلسطين ونزل ضيفاً على الأمير أحمد بن طرباي، وبقي في ضيافته حتى فتحت طريق دمشق في وجهه.

وفي العام ١٦٠٥ جمع يوسف سيفا رجاله وتقدم بهم من طرابلس إلى جونية. كان المعني واقفاً له بالمرصاد، ولاقاه باثني عشر ألف مقاتل وراح ينتظر وصوله مصمماً على دحره ورده على أعقابه خاسراً معتبراً هذه المعركة مصيرية بالنسبة الى نفوذه. ولما التقى الجيشان وتصادما صداماً عنيفاً دارت الدوائر على ابن سيفا وانتهت المعركة بفوز المعني فوزاً ساحقاً. وعلى أثر هذه المعركة ضم المعني بيروت وكسروان وجبيل إلى إمارته، وجعل أبا نادر الخازن والياً على كسروان ومنذر التنوخي على بيروت ويوسف المسلماني على غزير.

معركة عراد ١٦٠٦

لما رأى فخر الدين نفسه بين عدوين لدودين أحمد باشا الحافظ والي دمشق ويوسف سيفا في طرابلس التفت إلى علي جنبلاط، وكان هذا قد خرج عن طاعة السلطنة وجمع جمعاً عظيماً من السكمان حتى صار عنده منهم ما يزيد على عشرة الاف، وامتنع عن دفع المال المترتب عليه.

تقدم بن سيفا من باب السلطنة وتعهد لها بإعادته إلى الطاعة شرط تعيينه أمير جند الشام. ولما استجابت الدولة لطلبه، أخذ يحشد العساكر في حماه وانضم إليه الانكشارية من دمشق بقيادة أحمد باشا الطواشي (الانكشارية كلمة تركية «بني شاري» معناها الجيش الجديد، حُرّف فأصبح باللغة العربية أنكشاري. تأسس هذا الجيش في عهد السلطان أورخان الأول (٣٢٥ / ١٣٦٠) تربوا تربية إسلامية صارمة فباتوا لا يعرفون غير السلطان أباً وسوى الحرب حرفة). فدهمهم الجنبلاطي برجاله الأشداء واستظهر عليهم وتفرق شمل عسكر السيفي. أرسل عندئذ أسرته إلى دمشق وأبحر هو إلى بلاد حارثة في فلسطين واستجار بأميرها أحمد بن طرباي، فلم يفتك به كما طلب الجنبلاطي بل أوصله إلى دمشق سالماً عن طريق حوران.

اقام يوسف سيفا في دمشق وأخذ يعد العدة للقاء جديد، فاجتمعت إليه العساكر من كل حدب وصوب فأصبح عنده عشرة آلاف مقاتل. وما إن علم المعني والجنبلاطي بما يعدّه لهما السيفي حتى انتقلا إلى مقربة من نهر العاصي في الهرمل ليجهزا جيشاً لمواجهته. وكان مع الجنبلاطي عشرة آلاف مقاتل، ومع المعني مثلها من جنده وجند حلفائه الشهابيين والحرفوشيين. وكان اللقاء في أرض «عراد» قرب حماه. تمارض السيفي ولم يخرج للقتال. ولما تقابل الجيشان يوم السبت في ١٨ تشرين الأول ١٦٠٦ جرى قتال لم يسفر عن نتيجة حاسمة. تجدد صباح الاحد، فكان الانتصار الساحق. يومها قال جنبلاط معلقاً: «العسكر الشامي ما قاتلنا وإنما أقبل للسلام علينا». وزحف الجنبلاطي والمعني في أثر عسكر ابن سيفا إلى المزة.

لما علم ابن جنبلاط بهرب يوسف سيفا نادى جماعته أن يذهبوا مع جماعة ابن معن لنهب المدينة، ففعلوا كما أمرهم، واستمروا في النهب ثلاثة أيام متوالية. خرج عندئذ عقلاء دمشق وأرضوا الجنبلاطي بماية وخمسة وعشرين الف قرش. فجمع العسكر وعاد عن طريق البقاع حيث فارقه المعني. تابع سيره حتى وصل قبالة حصن الأكراد وأرسل يوسف سيفا طالباً الصلح والمصاهرة. فقبل هذا الاخير وأعطاه ثلاث كرات (جمع كرة) (والكرة عملة مقدارها مئة ألف قرش). وزوجه ابنته وتزوج منه أخته لابنه الأمير حسين وعاد من هناك إلى حلب.

رجع المعني إلى الشوف غير راض عما جرى غاضباً لنجاة السيفي ومصاهرته للجنبلاطي، بعد ذلك قاطعه السيفي، غير أن خوفه من خصميه جعله متقلباً في سياسته. واتفق الفرقاء الثلاثة على أن يحكم يوسف سيفا لبنان الشمالي وحمص وما فوق شمالاً، وأن يحتفظ المعني بلبنان الجنوبي والفتوح وكسروان.

القضاء على علي جنبلاط

بقي علي جنبلاط حليفاً ليوسف سيفا حتى نكث العهد سنة ١٦٠٧ وحالف فخر الدين، وجرت حروب شديدة بينه وبين ابن سيفا. ولما خرج الجنبلاطي على طاعة السلطان واحتل حلب، أخذ يوسف سيفا جانب الوزير مراد باشا وأحمد الحافظ في محاصرة حلب، ومحاربة علي باشا. وقد كانت الغلبة للعثمانيين وفتك مراد بعلي باشا وباع نساءه وجواريه وأسرته «بيد الدلال كالدواب» وشرّد جماعته الذين بلغ عددهم ثمانين ألفاً. حنق الوزير مراد باشا على الأمير فخر الدين لأنه كان من حزب ابن جنبلاط وكان معه في أرض «عراد» عندما كسر العساكر الشامية.

بعد القضاء على علي جنبلاط وجماعته أحاق الخطر بالأمير فخر الدين لأنه حليفه. حاول الأمير المعني استرضاء صديقه القديم مراد باشا، فأوفد له الحاج كيوان نعمة، كما أوفد ابنه الأمير علي الذي كان بعمر تسع سنوات برفقة كتخداه مصطفى وقدم له ثلاثماية ألف غرش على دفعتين فأعجب به وأعاده إلى والده بعد ستة أشهر، وأنعم عليه بسنجقية بيروت وصيدا.

إلى توسكانا

في العام ١٦١٢ رحل الأمير فخر الدين إلى توسكانا، لأنه أدرك أن لا قبل له بالصمود طويلاً أمام هذا الجيش اللجب الذي يبلغ عدده خمسين ألف مقاتل. حاول الأمير تفادي الالتقاء به وأرسل أحمد الحافظ والي دمشق يطالب بالصلح، غير أنه أراد أن يفرض عليه شروطاً مذلة.

في أثناء غياب فخر الدين، خارج لبنان، أظهر السيفيون بغضهم وكرههم للمعنيين، ولم يدعوا ظرفاً يمر دون أن يظهروا شماتتهم بهم وازدراءهم لهم. وفي أوائل كانون الثاني ١٦١٣، رحل الحافظ عن لبنان مصطحباً معه «الست نسب» أم الأمير فخر الدين رهينة حتى إيفاء المال الذي تعهد المعنيون بدفعه.

معركة الناعمة

بعد أن غادر الأمير فخر الدين المعني لبنان عام ١٦١٣، سلم مقاليد الإمارة لابنه الأمير علي وقيادة الجيش لأخيه الأمير يونس فلم يقفا مكتوفي الأيدي، بل تابعا النضال ضد خصومهم العثمانيين والسيفيين ومن كان يساندهما. وكان يوسف باشا سيفا قد استعاد حكم غزير وبيروت وعين على هذه الأخيرة حاكماً يمثله، وامتد حكمه حتى شمل الناعمة.

في شهر حزيران ١٦١٤ وصل بستنجي حسن باشا من لدن الباب العالي، وأنعم على الأمير يونس معن بصفد وصيدا وبيروت وغزير، بالإضافة إلى ما كان بيد الأمير فخر الدين. رفض يوسف سيفا أن يسلم ما كان بيده، وأخذ يستعد للقتال. وبسبب هذا الرفض جرت معركة بين الفريقين بالغرب من نهر الكلب، حيث قتل عشرة رجال من السيفيين وعادوا جميعاً إلى أماكنهم السابقة

«بلا تسلم ولا تسليم».

في ١٥ آب ١٦١٦ توجه الأمير علي من الدامور إلى الناعمة، ومشى الأمير يونس وأهل الشوف على الميمنة إلى جانب الجبل، وتقدم الامير علي شهاب ورجاله مع رجال بلاد بشارة والشقيف وصيدا، على الميسرة إلى جانب البحر. وساروا سيراً واحداً والتقى الجمعان على عين الناعمة، ودارت رحى المعركة بين الفريقين وتراشقا بالرصاص. لم يطل الأمر حتى قتلت فرس الشيخ مظفر، وانسحب السيفيون منهزمين، فتبعهم المعنيون إلى قرطبة قرب الشويفات وكبدوهم خسائر جسيمة في الارواح قدرت بأكثر من مايتي قتيل، وأسروا جنودهم المشاة وعددهم مايتي نفر كما استولوا على ثلاثة عشر بيرقاً وكان النصر كاملاً إلى جانب المعنيين.

خاف حسن بن يوسف سيفا، ويقدر أنه كان في غزير فأخذ عيال أخيه حسين ورحل إلى بلاد عكار. عندئذ أرسل الامير يونس معن الشيخ أبا نادر الخازن ومملوكه ذا الفقار ليقيما في غزير ويتوليا بلاد كسروان وسائر البلدان. فرّ الشيخ مظفر والي الشوف سابقاً إلى الضنية واتخذ له من قرية شدرا مكاناً يسكن فيه، لانه سبق له في عهد الحافظ أن نهب مع رجاله قرى الشوف وأحرقوها.

عودة الأمير فخر الدين

بعد غياب خمس سنوات وشهرين، عاد الأمير فخر الدين إلى لبنان عام ١٦١٨، ولما وصل إلى جسر القاسمية لاقاه ولده علي، كما لاقاه الأمير علي شهاب وولده الامير محمد والأمير قاسم والامير أحمد بن حرفوش والأمير أحمد بن شهاب شقيق الأمير علي، وأرسل الأمير أحمد بن طرباي ولده بتقدمة من الخيل، وحضر الامير أحمد بن قانصو، حاكم عجلون والأمير حسن بن يوسف سيفا. قدّم إليه الجميع الهدايا فقبلها ما عدا الأمير حسن سيفا الذي قاله له: «قل لوالدك نحن ما نريد هدايا منه وإنما مرادنا أخشاب نبني بها دارنا التي أحرقها في دير القمر، ومواشينا ومواشي تابعينا من زمان الحافظ أحمد أرسلناها إليه وديعة فضبطها لنفسه، ولم يبال بحدود رمسه. وكل من توجه إليه من جماعتنا أخذ منه غرامة. والآن مراده أن ينسينا أعماله بهذين الراسين من الخيل». رجع الامير حسن سيفا وهو غير راض من كلام الأمير فخر الدين وأبلغه لوالده.

وفي شهر شباط من العام نفسه (١٦١٨) حاصر فخر الدين قلعة الحصن وكان يوسف سيفا قد اتخذ مواقع دفاعية منيعة بين البيوت وأمام القلعة، وبدا انه مستعد للقتال ولرد أي هجوم، وكان معه مقدمو المتن من بيت الصواف، ورجالهم، ودارت معركة عنيفة ورغم الدفاع المستميت الذي أظهره المقاتلون من آل سيفا فإن الأمير لم يتراجع ولم ينثن عن عزمه فدخل بجنده بيوت البلدة وقاتل جند ابن سيفا من بيت إلى بيت، فقتل منهم الكثير ولجأ الباقون مع ابن سيفا إلى داخل القلعة. أما أولاد شقيق يوسف الأمير محمد والأمير سليمان فقد هربا إلى بلاد جبلة.

ضرب الأمير فخر الدين والأمير علي الشهابي الحصار على قلعة الحصن. وجعل الامير يواظب بنفسه على ملاحظة المتاريس. وفي ذلك الوقت حاصر يونس الحرفوشي برج القيرانية وفيه جماعة من آل سيفا. دامت المقاومة ثلاثة ايام ضبط بعدها الحرفوشي البرج وناحية القيرانية والهرمل مع

جميع ما كانت تحوى من غنائم ومواش كانت قد وصلت هاربة من عكار. وأرسل أربع بلوكباشية من قبله إلى الأمير فخر الدين للمساعدة على حصار القلعة فقوي بهم. اشتد الضيق على كل من في القلعة لقلة المؤن والذخيرة حتى أنهم أكلوا لحوم الخيل. فطلبوا الأمان والصلح.

قبل الأمير بمصالحة يوسف سيفا شرط أن يدفع له ثلاثماية ألف قرش ويرفقها بمال بيروت وكسروان وبتعويض عن المواشي التي ضبطها وقدره خمسون ألف قرش، ومال القرى التي تولى عليها في إيالة طرابلس وقدره ماية وخمسون ألف قرش، ثم شدد بمن معه الحصار إلى درجة لم يعد بإمكانه أن يتحمله فقال لولده الامير بلك: أخرج إلى الامير فخر الدين وتعهد له بالمال المطلوب!.. فخرج بلك وفعل كما قال له والده. فك الأمير فخر الدين الحصار عن القلعة ورحل يوم الخميس في ٨ آذار ١٦١٨، وتوجه إلى البترون حيث أقام بضعة أيام مع أهاليها، ومنها انتقل إلى جبيل، ثم نهر ابراهيم بعد أن زار قلعة أسمر جبيل، وحارة غزير، وانطلق مع ابنه علي إلى بيروت محل سكنه.

مصالحة ومصاهرة

في شهر نيسان من العام ١٦١٩، أخذ يوسف سيفا يراسل الأمير فخر الدين طالباً الصلح ونسيان الماضي وفتح صفحة جديدة من العلاقات بينهما. رفض فخر الدين الصفح والمصافاة بسبب عدم استقرار سياسة السيفيين وخياناتهم السابقة له. لما علم يوسف سيفا بما وصلت إليه الحال أرسل ولده الامير حسن إلى الامير فخر الدين يستعطف خاطره ويرجوه القبول بالصلح. استقبل الامير فخر الدين الأمير حسن بالرضى وطيب خاطره وعامله معاملة حسنة «فصار نصيب في عقد نكاح الأمير علي بن معن على شقيقة الامير حسن ابن يوسف سيفا بوكالة أخيها عنها، وكذلك صار نصيب في عقد نكاح الأمير بلك ابن يوسف سيفا على أخت الأمير علي بن معن لأبيه، وسلم الامير علي صداق مخطوبته لأخيها الأمير حسن عشرة آلاف غرش وله ألفي غرش» وعاد الأمير حسن مجبور الخاطر إلى عكار حيث كان والده وأخبره بما جرى. ووقع الصلح بينه وبين المعني في شهر آب ١٦١٩.

كان سليمان بن علي باشا سيفا، شقيق يوسف سيفا من غرض فخر الدين، ولم يكن هذا الأخير يتخلى عنه. ففي شهر حزيران ١٦٢٠ جمع يوسف سيفا العسكر وأمره أن يسير برفقة ابنه حسن إلى صافيتا، بمهمة طرد سليمان سيفا منها، بحجة انه تأخر في دفع المال المستحق عليه للدولة. والحقيقة أن الحملة وجهت عليه لميله إلى فخر الدين. وما إن وصل حسن سيفا وعسكره إلى تل عباس حتى ادخل سليمان حريمه إلى برج صافيتا وتوجه إلى جبلة حيث يقيم مقدمو الكلبيين في معاملة قدموس، ومن هناك أرسل رسلاً إلى فخر الدين يطلب مساعدته. استجاب الأمير فخر الدين بسرعة للطلب فجمع رجاله وسار بهم إلى البترون، وهدفه محاربة حسن باشا إن لم يتراجع عن مهاجمة سليمان تراجع يوسف سيفا عن مهاجمة ابن أخيه سليمان، واتصل بالأمير فخر الدين يعتذر له عما بدر منه، كونه لم يقصد من الحملة سوى إخافة سليمان وأنه لا يريد الأذى له ولا عزله عن صافيتا.

هكذا كان يوسف سيفا يخادع الأمير متى سنحت الفرصة، ويتراجع عما قرر متى شعر بالشدة والحزم، فهو عندما يكون قادراً لا يراعي حرمة صداقة أو روابط نسب كما أنه لا يحترم قدسية عهد قطعه على نفسه.

زواج عمر سيفا

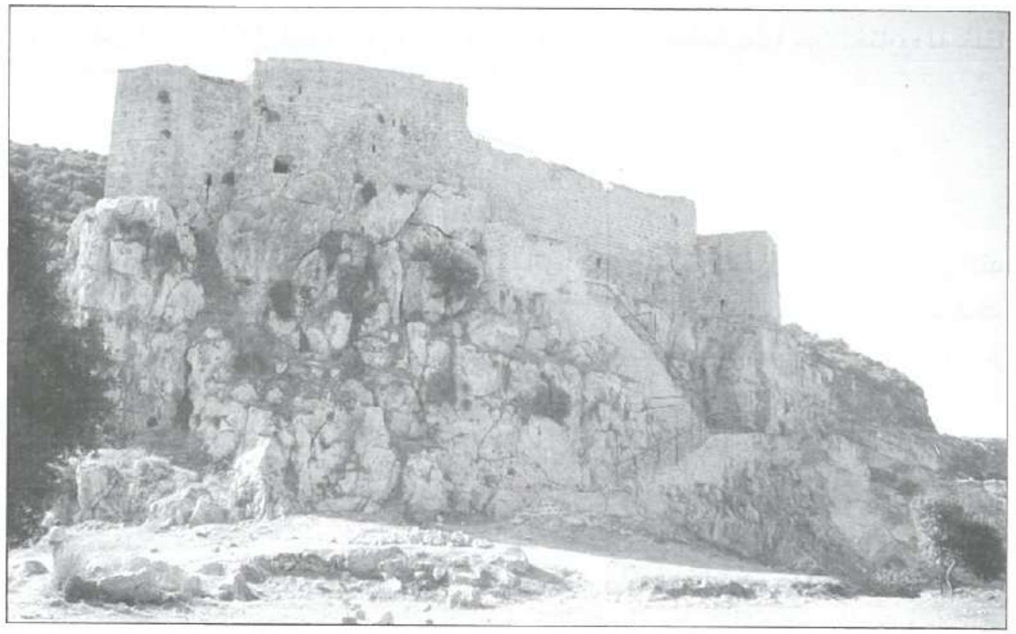
في أواخر كانون الثاني ١٦٢٣ تسلم الأمير فخر الدين رسالة موجهة له وإلى ولده الأمير علي من الأمير عمر باشا سيفا، ابن يوسف سيفا، يرجوه فيها أن تكون كريمة الأمير التي توفي زوجها حسن سيفا لأخيه الأمير عمر على أن يدفع نقداً خمسة وعشرين ألف غرش «فأعطي القول والإقرار بعض المصلحة» وكان الطبيعي بعد موافقة الأمير على هذا الزواج أن ينسى الفريقان الماضي المثقل بالعداوة والخلاف» فصارت معاطاة بين الأمير فخر الدين وعمر باشا سيفا، فتصافيا وتركا كل نفور.

الأمير محمد سيفا

الأمير محمد سيفا هو ابن علي سيفا شقيق الأمير يوسف سيفا، هو أحد حكام طرابلس، اشتهر بالكرم والأدب، وإذا أردنا أن نعمل مقارنة بين أفراد هذه العائلة وبين أفراد عائلة البرمكيين، في ذلك الزمان فإننا نرى أن محمداً هذا هو أكثر شبهاً بالفضل بن يحيى. ولقد كان الأكثر تفوقاً والأوسع جوداً والأعتق نبلاً في عائلته، قصده الشعراء لمدحه من كل حدب وصوب طلباً لرفده وعطاياه. ومما تجب الإشارة إليه أن الأمير محمد كان ينظم الشعر وله قصائد حسنة ومن شعرائه المفضلين محمد بن ملحة العكاري. وله معه قصة طريفة إن دلت على شيء فعلى تقديره للأدب والأدباء، وعلى جود ليس له حدود. روى الحادثة ابن ملحة قال: «لما دهم الإمراء بني سيفا الخطب من فخر الدين بن معن وركب عليهم وحاربهم كنت إذ ذاك في خدمة الأمير محمد. فما برحت أدافع عنه بالمقاتلة حتى لقيني رجل من عسكر بني معن فضربني على رجلي بسيف فجرحني». عندئذ أرسل الأمير محمد بن ملحة إلى منزله وأمر بالاهتمام به ومعالجته حتى يبرأ تماماً. وبينما هو طريح الفراش انتهى الأمر بين المعنيين والسيفيين بالصلح والمصافاة. توفي محمد مسموماً في قونية عام ١٦٢٣ وهو في طريقه إلى القسطنطينية.

الأمير حسين سيفا

الأمير حسين سيفا هو ابن الأمير يوسف سيفا، والي طرابلس. أصدر السلطان أمراً بقتله دون أن يستعلم عن المساوئ التي ارتكبها، ودون أن يكون هناك أي مبرر لمثل هذا الإجراء التعسفي. وعندما دخل الجلاد عليه سأله هذا بقلب ملؤه الشجاعة: ماذا صنعت لكي أحصى مع الثائرين



قلعة المسيلحة التاريخية

فيقتلني الجلاد؟ أشار إلى رجل ضخم البنية قوي الساعد، من حاشية قره قوش فطلب إليه أن يقتله شخصياً. إلا أنه رجاه أن يعطيه فرصة كي يكتب إلى والده ويقول له كلماته الأخيرة ويوصيه بأولاده ويشجعه على تحمل المصيبة ويهدئ من روعه. ثم طلب أخيراً أن يسمح له بإقامة سجدتين، ويصلي إلى الله كي يغفر له سيئاته... ووضع محرمة بنفسه في عنقه وأمر ذلك الرجل بخنقه فخنقه. وكان قتله في ٤ نيسان ١٦١٧. أرسل جثمانه إلى والده محنطاً وعند وصوله إلى طرابلس كان يوم كالذي قتل فيه الحسين بن علي.

الأمير قاسم سيفا

هو ابن الأمير يوسف سيفا، تولى طرابلس بعد وفاة أبيه سنة ١٦٢٤ لمدة قصيرة، إذ أخذها منه مصطفى باشا ابن الإسكندر من قبل حافظ أحمد الصدر الأعظم، فجار وظلم كثيراً وأول عمل قام به أنه عين سليمان سيفا على عكار فلما تولاها عمل على طرد أولاد عمه يوسف إلى الحصن. وكان آنذاك عمر يوسف سيفا حاكماً على حمص، والأمير محمود على حصن الأكراد والأمير بلك على عكار. ومن المعتقد أن تولية الأمير قاسم على طرابلس لم تكن من الباب العالي، وذلك لأسباب عدة منها: «إن اسمه ظل منعوتاً بالأمير وليس بالباشا، مع أن الدولة العثمانية جعلت المنصب لمن يكون في خدمتها نائلاً رتبة بكركي كما أبوه يوسف باشا إذ أنها منحته الرتبة السامية حين ولته هذا المنصب، ومنها أن مصطفى باشا جاء يحارب الأمير قاسم ويطارده لأنه تولى بغير أمر الدولة.

والذي يخال لنا أن أعيان البلد اختاروه عليهم والياً بعد موت أبيه كما فعلوا حين اختاروه له خلفاً سنة ١٦٢٤ على ما روى العلامة الدويهي.

وفاة يوسف سيفا

في ٢١ تموز ١٦٢٤ توفي يوسف باشا التركماني، وكان شيخاً طاعناً في السن والعدو الألد للأمير فخر الدين المعني. تولى إيالة طرابلس منذ العام ١٥٧٩. وكانت مدة ولايته ٤٥ عاماً فقطعت مراراً وتنغّصت كثيراً بسبب المنازعات بينه وبين فخر الدين وعند وفاته حضر أولاده: الأمير قاسم من جبلة والأمير محمود من حصن الأكراد، والأمير بلك من عكار.

مرت ١٥ سنة على وفاة يوسف، واستمر أولاده من بعده يحاولون الاحتفاظ بالمقاطعات التي حكموها، ولكنهم فشلوا باستثناء سليمان سيفا (ابن شقيقه) الذي بقي حاكماً في صافيتا حتى العام ١٦٤٠.

وهكذا تشتت شمل هذه الأسرة إذ لم يعد أحد منهم حاكماً فزالت دولتهم وزالت أمجادهم.

وروى الأمير حيدر الشهابي في كتابه **الغرر الحسان في تواريخ حوادث الأزمان**: منذ بضع سنوات جاءت امرأة إلى المحكمة الشرعية في طرابلس تسأل القاضي أن يقيمها وصية على ابنة أخيها القاصرة ولما سئلت عن اسمها قالت: إنها من آل سيفا وإن أخاها المتوفى كان يقال له محمد سيفا. ومن المعتقد أنه لا تزال بقايا من أسرة سيفا تسكن طرابلس وعكار. وتدل الآثار إلى ما قبل الحرب الكونية الأولى على عظمة هذه الأسرة، ومنها دور عديدة قرب القلعة وقد تهدمت اليوم جميعها، وخان مشهور بالصاغة ما زال قائماً حتى سنة ١٩١٠، ودار ذات قاعة مشهورة بنسبتها للست أصيل التي يظن أنها كانت تنتمي إلى آل سيفا.

المراجع

١ ـ **بنو سيفا ولاة طرابلس (١٥٧٩ ـ ١٦٤٠)** تأليف جوزف اليان، منشورات لحد خاطر، ١٩٨٧.

٢ ـ **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، الشيخ طنوس الشدياق. وضع مقدمته وفهارسه الدكتور فؤاد أفرام البستاني، ١٩٧٠.

٣ ـ **تاريخ الأزمنة**، البطريرك اسطفان الدويهي، تحقيق الآباتي فهد، (د. ت).

٤ ـ **مختصر تاريخ سوريا**، الأب هنري لامنس اليسوعي.

٥ ـ **تاريخ لبنان**، جواد بولس.

٦ ـ **لبنان في التاريخ**، الدكتور فيليب حتي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٩.

آل الضاهر

في لبنان الشمالي أسرتان حملتا الاسم واللقب الواحد: مشايخ بيت الضاهر. والأسرتان مارونيتان خلافاً لما أشار إليه الفيكونت فيليب دي طرازي حين وصف إحداهما بأنها «تميل إلى المذهب اليعقوبي»، في حين أن البطريرك اسطفان الدويهي أكد أن أصل هذه الأسرة من بيت الرز الذين كان منهم ثلاثة بطاركة، وأنه عندما دكت أهالي إهدن منازل من اتبع اليعاقبة في بقوفا، هاجر بيت الرز إلى كفرحورا بالزاوية في القرن السادس عشر. وهم متشبثون بالإيمان القويم، وما زال أعقابهم إلى اليوم حكاماً على زاوية رشعين يقومون بمعاضدة الكرسي البطريركي بكل جهدهم كما يفعل الآن الشيخ أبو شديد ضاهر خليفة الشدياق أنطونيوس. والبطاركة هم: ميخائيل الرزي (١٥٦٧ ـ ١٥٨١) وشقيقه سركيس بن يوحنا الرزي (١٥٨١ ـ ١٥٩٧) ويوسف ابن موسى الرزي (١٥٩٧ ـ ١٦٠٨).

ويقول دي طرازي: إن أصل هذه الأسرة من بلاد ما بين النهرين وفد جدها الأول من هناك، وسكن هو وأفراد عائلته قرية بقوفا فوق إهدن حتى سنة ١٤٨٨، وبعد هذا التاريخ ارتحلوا إلى كفرحورا لميلهم إلى المذهب اليعقوبي. وفي كفرحورا تحوّل اسم الرزي إلى ضاهر، لاشتهار ضاهر هذا وأعقابه في كفرحورا وإقليم الزاوية الذين تولوا حكمه مدة ثلاثة قرون كما ورد في **الجامع المفصل** (ص ٤١٥) لمؤلفه المطران يوسف الدبس. ويضيف طرازي: وهم غير أسرة المشايخ آل حنا الضاهر المتحدرين في بشري من آل كيروز بن جمعة العنجلي، ولهم فرع في وادي شحرور عرف باسم الأسطا. وتربطهم صلة نسب مع آل داغر في تنورين بحسب ما صرّح الخور أسقف داغر في كتابه **لمحات في تاريخ لبنان وآثاره وأسره** (ص ١٩٧)، حيث قال: «إن الأسرتين من أرومة واحدة وتقاليدنا متفقة على أن أصلنا من شمال لبنان، وأن الجد الأول من بلاد ما بين النهرين».

وفي القرن الثامن عشر، يقول بطرس بشارة كرم، في كتابه **قلائد المرجان في تاريخ شمال لبنان** (الجزء الثاني) أن بيت الضاهر «استمروا حكاماً للزاوية يوليهم عليها والي طرابلس أو ولاة لبنان. وفي سنة ١٧٥٠ كتب لهم الأمير ملحم الشهابي «الاخ العزيز» كباقي مشايخ لبنان الكبار. وكان منهم الشيخ كنعان الضاهر وكان مشهوراً بشجاعته وإقدامه ونخوته، ويروون عن فروسيته روايات غريبة، وكانت بينه وبين الطرابلسيين محاسدة وخصام، فشكوه سنة ١٧٤١

إلى عبد الرحمن باشا، فقبض عليه وألقاه في السجن، وعرض عليه أن يُسلم فأبى وأكثر له من الوعد إذا طاوعه ومن الوعيد إذا خالفه، فاستمر مجاهداً في إيمانه لا يحيله عنه حائل، وتيقن أن الباشا مصمّم على قتله، فاحتال حتى اجتمع بالخوري ميخائيل من إهدن، فاعترف عنده اعترافاً عاماً، ويسر له الله أن يناوله القربان المقدس زاداً أخيراً. وبعد ذلك، أمر الباشا بقطع رأسه عند باب التبانة، فنفذ الأمر. والتقليد الذي ينقله الشيوخ، إن الله صنع آيات كثيرة لمن زاروا مدفنه. وإن بعض النصارى قطعوا يده بعد مقتله ووضعوها في كنيسة العذراء المعروفة بسيدة الحصارنة في طرابلس. فأجرى الله آيات لمن تبركوا بها. ولا نعلم أهو كنعان الضاهر الوارد اسمه في مجلة أعيان الموارنة الذين شهدوا المجمع اللبناني أم غيره. ويترجح عندنا أنه هو إن صح أن مقتله كان في ١٧٤١، واستمر آل الضاهر على إقطاعهم الزاوية، يولى الأمراء الحاكمون واحداً منهم عليه، إلى أن ألغي نظام لبنان الإقطاعات سنة ١٨٦١».

أما الشيخ طنوس الشدياق صاحب كتاب **أخبار الأعيان في جبل لبنان** فيرجع نسب هذه الأسرة إلى بطرس المدعو الشدياق وكان له من الأولاد أربعة: شديد، وقانصو، وصخر، ويوسف.

- شديد ولد له: كنعان المشهور بالخفة. كنعان لم يتزوج توفي قتيلاً عزيباً.
- قانصو بن بطرس ولد يوسف، يوسف ولد ولدين: موسى وروضة. موسى ولد ولدين: البدوي والعرب. وروضة الذي صار كاهناً باسم ميخائيل ولد جرجس. وجرجس ولد: روضة.
- صخر بن بطرس ولد بشارة. وبشارة ولد شمسين.
- يوسف بن بطرس ولد ثلاثة أولاد: سليمان، ظاهر، قيس. سليمان توفي بلا عقب، وظاهر ولد ثلاثة أولاد: لطوف وراجي وسركيس. لطوف ولد له أمين. وراجي ولد ولدين: يوسف وأسعد. وجرجس ولد ولدين: قبلان ومسعود. يوسف صار كاهناً باسمه وولد ولدين: طنوس وبطرس. طنوس ولد أربعة أولاد: داود، وجرجس، ونصيف، وسليمان. بطرس ولد له ميخائيل وظاهر ولد له شاهين. وسركيس ولد أربعة أولاد هم: ميخائيل وزعيتر وكنعان، وسجعان. فميخائيل وزعيتر وكنعان توفوا بلا عقب. وسجعان ولد سركيس. وقيس ولد ولدين: عبيد وبركات. فعبيد ولد الياس الذي توفي بلا عقب. وبركات ولد ولدين: بربر والبدوي. بربر توفي بلا عقب والبدوي ولد له قيس.

هؤلاء المشايخ - يقول طنوس الشدياق - ينتسبون إلى الشدياق بطرس الرزي الذي نزل من بقوفا في جبة بشرة إلى كفرحورا في الزاوية وذلك سنة ١٧٦٠.

أما الشدياق بطرس - يضيف صاحب **أخبار الأعيان** - فكان ذا عقل ثاقب، وحسن الخط والإنشاء وماهراً بالحساب، جعله والي الزاوية كاتباً عنده، ثم أنعم عليه والي طرابلس بولاية تلك المقاطعة، فبقيت الولاية لذريته إلى الآن.

وسنة ١٧٤١، قبض عبد الرحمن باشا والي طرابلس على كنعان بن شديد وسجنه ثم عرض عليه الإسلام ليطلقه فأبى. ثم قال له: إذا أسلمت جعلتك عندي مديراً مكرماً فلم يرض منه فعذبه الوالي عذاباً أليماً متنوعاً، ولما لم ينثن عن إيمانه أمر بقطع رأسه فأخذه الجند وقطعوا رأسه عند باب التبانة. فأخذ المسيحيون يده ووضعوها في كنيسة سيدة الحصارنة.

وسنة ١٧٥٠ كتب لهم الأمير ملحم الشهابي الوالي «الأخ العزيز»، وأقرهم مشايخ على مقاطعة الزاوية.

لقد أعطت هذه العائلة العديد من رجال الدين والإدارة والسياسة نتوقف عند أبرزهم:

البطريرك ميخائيل الرزي

بعد مرور تسعة أيام على وفاة البطريرك موسى العكاري سنة ١٥٦٧ اجتمع مطارنة الطائفة وأعيان الشعب في دير سيدة قنوبين المركز الرسمي للبطريركية، وانتخبوا بطريركاً إنطاكياً على الطائفة، الحبيس ميخائيل بن يوحنا الرزي، من قرية بقوفا التابعة لجبة بشري، وليس من كفرحورا كما قيل قديماً. وكان ميخائيل هذا أولاً رئيساً على دير مار أنطونيوس قزحيا وعلى محبسته المعروفة باسم القديس بيشاي القريبة من الدير. لكنه اعتزل رئاسة الدير بعد أن أداره عشر سنين بنشاط وغيرة منذ سنة ١٥٥٦ إلى سنة ١٥٦٧، رغبة منه في العزلة عن الناس، والاندفاع وراء الحياة النسكية، مكتفياً بحبس ذاته في المحبسة المذكورة منفرداً، مصلياً متعبداً لله دون مخالطة الناس. لذا لما انتخبه أساقفة الطائفة بطريركاً عليهم رفض أول الأمر، فألحوا عليه بالخضوع لمشيئة الرب وبالقيام بمهام البطريركية، نزولاً عند رغبة روح القدس وإجماع الكلمة عليه لخير الطائفة، لما كان عليه من روح طيبة وقداسة وتجرّد واندفاع في عمل الخير. ولأنه كان مشهوراً بفن الخط مما جعل له شهرة واسعة، وله في مكتبة حلب المارونية مخطوط من أعمال الرسل ورسائل القديس بولس. قبل الحبيس طلب المنتخبين الأساقفة والأعيان مكرهاً متكلاً على العناية الإلهية وصلوات المؤمنين، فرسم أولاً أسقفاً ثم نصب بطريركاً على الرغم منه.

ويقول البطريرك الدويهي في **تاريخ الأزمنة**: «إن البطرك ميخائيل هذا قد احتمل مشقات كثيرة في عهد بطريركيته، لأنه فور انتخابه جاءت العساكر العثمانية واحتلت الكرسي البطريركي في قنوبين، ونهبوها ووضعوا أيديهم على الماشية، وكانت كثيرة، وعلى الأواني المقدسة، لأنهم كانوا يطلبون ضريبة على الكنيسة الجديدة وعلى متخلفات البطريرك المتوفى فاضطر البطريرك الجديد أن يرضي عساكر الدولة بشيء من المال ويرد الأملاك للكرسي البطريركي». وبعد انتخاب البطرك مخايل الرزي بقليل، يضيف الدويهي، أوفد غبطته أسقفاً إلى قبرص يدعى يوليوس، وأمره أن يرسل إليه الشماس لوقا لعلمه إنه رجل فصيح موسر، عالم بلغات الفرنج ومعتاد سفر البحر. ولما جاءه لوقا هذا رسمه البطريرك كاهناً ورقاه إلى رتبة خوري برديوط، وأرسله إلى روما مصحباً إياه برسائل الطاعة وشهادات رؤساء الملة المارونية إلى الحبر الأعظم بيوس الخامس (١٥٦٦ - ١٥٧٢) طالباً درع التثبيت، وكان ذلك في ٢٤ حزيران ١٥٦٧.

اتهامه باليعقوبية

ولكن ما حصل أن لوقا تأخر في الوصول إلى روما، فتأخر درع التثبيت بسبب كتابات تلقاها

البابا تتهم البطريرك ميخائيل باليعقوبية، فكتب البابا إلى الأب جان فرنسيسكو موركانتي رئيس القدس الجديد وطلب إليه الذهاب عاجلاً إلى لبنان وأن يتفحص جيداً سيرة البطريرك وأصله وإيمانه، ويستوضح الأخبار الحقيقية عنه. ويقول المطران يوسف الدبس: «إن سبب التهمة هو أن أهل بقوفا قريته كان بعضهم من سكان المحلة السفلى، قد مالوا إلى اليعقوبية بإغواء من ابن ضو اليعقوبي، فوثب عليهم أهل إهدن وطردوهم من البلاد. وكان بيت الرزي الذين يسكنون المحلة العليا من القرية يصونون نفوسهم من الضلال، واضطروا إلى المهاجرة من قريتهم إلى قرية كفرحورا بالزاوية، وما برحوا إلى اليوم يحافظون على إيمانهم وإيمان أجدادهم». ومن جهة ثانية اجتمع رؤساء الطائفة المارونية وأعيانها، وبعثوا بتقرير إلى البابا ينفون التهمة عن البطريرك، ويشيدون بخصاله ويقولون عنه إنه «كان حبيساً مشهوراً بالتقوى والقداسة، وأنهم أكرهوه على قبول منصب البطريرك. ولكن روما لم تقتنع بإرسال درع الرئاسة والباليوم إلا بعد تلقي المعلومات عن يد البادري جوان إليانو اليسوعي والبادري توما برون، فحملا براءة التثبيت من الحبر الأعظم في ١٤ شباط ١٥٧٧.

وقد بعث البطريرك الرزي برسالة إلى البابا يشكره فيها على درع التثبيت، ويلتمس منه مساعدة لديره في قنوبين ومئة دير من أديار الطائفة بعدما هاجمها الأتراك ونهبوا ما فيها من خيرات وممتلكات.

ومن الإنجازات الكبيرة التي تحققت في عهد هذا البطريرك المعروف بالصبور، لطول صبره على كل ما حصل له، وكان له الفضل الأعظم في تحقيقها، وعادت بالنفع على الطائفة ومستقبلها منها:

١ـ القصادة الرسولية الأولى (١٥٧٨ ـ ١٥٧٩) والثانية (١٥٨٠ ـ ١٥٨٢) واللتان قام بهما الأب اليسوعي جوان باطشتا اليانو، والأب راجيو، والأب برونو.

٢ـ طلب إنشاء مدرسة مارونية في روما، وقد استكملت في عهد شقيقه البطريرك سركيس الرزي. وقد كان لهذه المدرسة فضل كبير على النهضة والتقدم وأبرز من خرّجتهم: جرجس عميرة الإهدني الذي صار أسقفاً على إهدن ثم بطركاً أنطاكياً، وسركيس موسى أخو البطريرك الذي صار أسقفاً على دمشق، وموسى العنيسي من العاقورة وقد صار أسقفاً على الأسقفية بقبرص، وبطرس جبرايل المعوشي وقد دخل في رهبنة الآباء اليسوعيين، واسطفان الدويهي البطريرك، المنتظر إعلانه قديساً وسواهم كثر...

البطريرك سركيس الرزي (الثاني)

هو شقيق البطريرك ميخائيل وزميله في حياة الزهد والتقشف والصلاة، عاش حبيساً في محبسة قزحيا ووادي قاديشا، ففي اليوم التاسع لوفاة أخيه البطرك ميخائيل، اجتمع الأساقفة والمطارنة وأكابر الطائفة في دير قنوبين، وانتخبوا المطران سركيس بطريركاً إنطاكياً بحضور الأبوين اليانو وبرونو اليسوعيين (القاصدين الرسوليين) وذيلا العريضة إلى البابا غريغوريوس

الثالث عشر ليثبت البطريرك الجديد فثبته قداسته ومنحه الدرع المقدس بوجب البراءة الحبرية الصادرة في ٣١ آذار ١٥٨٣.

ويروي الأب شيخو العالم اليسوعي نقلاً عن سجلات رهبنته عن العريضة المذيلة باسم القاصدين الرسوليين والتي تحمل تواقيع المطارنة والأساقفة والاكليروس والمشايخ كيف أن المطران الحبيس حاول الهرب من وجههم حين أتوا لإبلاغه نبأ انتخابه، وأكثر من ذلك، قال شيخو، إنه أجهش بالبكاء، وناشد الأساقفة بأن يرحموه ويتركوه في محبسته، ولكنهم ألحوا عليه بالقبول، وأن الرفض هو مقاومة مشيئة اللـه والضمير. فاستجاب لدعوتهم مكرهاً، فأجلسوه على الكرسي البطريركي، وقدموا له الطاعة. وبعد أن اتشح البطريرك بالدرع المقدس رفع عريضة شكر إلى الحبر الأعظم. وبدأ يعنى بشؤون الطائفة مقتفياً خطوات البطاركة القديسين الذين سبقوه. وأبرز ما تحقق في فترة ولايته انعقاد المجمع الطائفي في ١٨ أيلول ١٥٩٦ في دير قنوبين، برئاسة الأب ايرونيموس دنديني اليسوعي وبحضور بعض الأساقفة والاكليروس والاعيان والمشايخ وكثير من الشعب. وبحضور المقدمين: الشدياق يوسف خطار من حصرون والشدياق فرج من حدشيت، وقد أقرّ المجمع الذي استمر ليومين عدة قوانين (٢١ قانوناً) تحدثت في معظمها عن سر العمودية وضرورتها، وسر التثبيت المقدس، ومناولة القربان المقدس للأطفال، وسر الزواج بحيث لا يؤذن للفتى أن يتزوج قبل بلوغ الرابعة عشرة من عمره والفتاة قبل الاثنتي عشرة. ونبذ العادة من أذهان النساء اللواتي تبعثهن على الامتناع عن إتيان الكنيسة، وهن في حالة الحيض الشهري أو الامتناع عن حضور القداس الإلهي بعد أربعين يوماً من الوضع.

بعد ختام المجمع زار الأب دنديني دير مار أنطونيوس قزحيا ومحبسته الشهيرة، ثم انتقل إلى إهدن حيث قابله أهلها بالإكرام والحفاوة، وهو بدوره وزع عليهم المسابح والصلبان والأيقونات. وفيما كان يقابل مطران دير مار سركيس إهدن، وصل مبعوث من الكرسي البطريركي ليخبر القاصد الرسولي بأن البطريرك ساءت صحته كثيراً وصار في دور الاحتضار. فهب القاصد مسرعاً إلى دير قنوبين، ولكنه وجد البطريرك الرزي قد فارق الحياة، وقد أجلس على كرسي عرشه حسب عادة تلك الأيام، والتاج على رأسه وعصا الرعاية في يده.. وكان ذلك في ٢٥ تشرين الأول ١٥٩٧. وفي اليوم التالي دفن باحتفال مهيب في معبد القديسة مارينا القريب من الكرسي البطريركي في قنوبين.

البطريرك يوسف الرزي (الثالث)

بعد مرور تسعة أيام على وفاة البطريرك سركيس الرزي اجتمع المطارنة والأساقفة والاكليروس وأعيان الشعب في ٤ تشرين الأول من العام ١٥٩٧ كما أخبر الأباتي العنيسي، وطلبوا من القاصد الرسولي الأب ايرونيموس دنديني أن يختار لهم بطريركاً، فأبى لافتاً المقدم الشدياق خاطر الحصروني إلى أن الظواهر تدل على أن المطارنة ميالون إلى انتخاب بطريرك جديد من عائلة الرزي الكريمة، لما لها من صداقات وأعمال وعلاقات بعائلات أخرى مارونية تحترمها، ونظراً الى

ما قدمت هذه العائلة من رجال عظام وبطاركة، ثم ذهب إلى طرابلس مبتعداً عن قنوبين حيث سيجري الانتخاب، لئلا يقال عنه إنه تدخل في الانتخاب. أما المطارنة والأساقفة والمجتمعون للانتخاب فظلوا في الدير يصلون ويتأملون، ويعقدون الاجتماعات ويتبادلون الآراء إلى أن انتخبوا المطران يوسف الرزي الثالث، ابن أخي البطرك سركيس الراحل، ورئيس محبسة دير مار أنطونيوس قزحيا، وهو ابن موسى الرزي، وأحد تلامذة المدرسة المارونية في روما. وكان له من العمر ٤٦ سنة كما ذكر الدويهي في **تاريخ الأزمنة** (ص ٤٥٣).

استدعى البطريرك القاصد الرسولي دنديني إلى قنوبين، وأظهر له استعداده التام لتنفيذ الأوامر الرسولية والقوانين المقررة في المجمع، فطلب القاصد من البطريرك الجديد أن يعترف بالمقررات الأخيرة التي اشترك فيها لخير الطائفة، وحفظ الأنظمة البيعية، وأن يعقد مجمعاً آخر لتكتمل الأعمال السابقة، وقررا عقده بعد أربعين يوماً من وفاة البطريرك الراحل. في هذه الفترة من الزمن توجه القاصد الرسولي لزيارة حاكم المنطقة ابن سيفا، وظن أنه يستطيع القيام بزيارة القدس الشريف ويعود إلى ترؤس المجمع الجديد، ولكن الظروف السياسية حالت دون سفره، فعاد إلى قنوبين وهيأ مع البطريرك ستة قوانين تكملة للقوانين السابقة. وتفاوض معه في أمر تلامذة روما العائدين. واقترح القاصد أن يعينوا في المراتب التي هم أهل لها. أقام الأب موسى العنيسي من العاقورة أسقفاً على قبرص. وسقّف يوحنا الحوشبي وجعله معاوناً له في تدبير شؤون دير قنوبين. وسقف أخاه سركيس مطراناً على دمشق وخلفه على رئاسة المحبسة في قزحيا، وسام الشدياق جرجس عميرة كاهناً ثم مطراناً وعهد إليه تأليف الكتب الروحية لإرشاد الكهنة، وهو الذي كان قد عُني بطبع كتاب القداس في المطبعة المادشية في فلورنسا، وكذلك رسم الأب موسى العرجساني أسقفاً على دير مار اليشع بشراي، كما رسم الأب ميخائيل من بيت عبيد الهدناني أسقفاً على دير مار مارت موره بإهدن، وفي السنة التالية رسم بطرس بن الخوري سابا العاقوري من بيت حليب أسقفاً على العاقورة بعد وفاة أسقفها المطران موسى.

بعد سنة ونصف سنة من انتخابه أوفد البطريرك إلى روما قصادة من قبله مؤلفة من الخوري جرجس بن يونان من قرية ايليج (ميفوق) والشدياق يوسف بن اليان الحلبي، من تلاميذ مدرسة روما المارونية لاداء فروض الطاعة للحبر الأعظم إقليموس الثامن، والتماس درع التثبيت والرئاسة لشخصه، فتعطف عليه البابا بالدرع وبرسالة كريمة مؤرخة في ١٧ حزيران ١٥٩٩. وأرسل مع القصاد البطريركيين كتاباً بين فيه وجوه الزواج المحرمة في القرابة الدموية وقرابة العماد والتثبيت.

الحساب الغريغوري

وفي العام ١٦٠٣ رسم البطريرك الرزي الثالث القس يوحنا الحصروني، تلميذ المدرسة المارونية في روما، أسقفاً وبعثه إلى روما. وفور وصوله توفي البابا اكليمندوس الثامن، فخلفه البابا لاوون الحادي عشر (١٦٠٥ ـ ١٦٠٥) الذي توفي في العام نفسه فانتخب مكانه البابا بولس الخامس (١٦٠٥ ـ ١٦٢١). استقبل البابا بولس الخامس يوحنا الحصروني وزوده كل البدلات البيعية

اللائقة اللازمة للاحتفالات البطريركية مع «قالب البرشان وبعض الكاسات المستعملة في الطقس اللاتيني كما زوده بأمر للبطريرك يتمنى فيه على الموارنة اتّباع الحساب الغريغوري الجديد. ومنذ ذلك التاريخ عيد الموارنة في طرابلس وجبة بشري والبترون وجبيل عيد الرسولين بطرس وبولس مع الإفرنج قبل الطوائف الشرقية الأخرى بعشرة ايام، ثم تبع سائر الموارنة هذا الحساب الجديد في دمشق وحلب وسائر المدن والقرى اللبنانية. وترك الموارنة حساب الإسكندر اليوناني الذين كانوا يؤرخون به، وصاروا يؤرخون بحساب سني ميلاد السيد المسيح، وتبعهم السريان والكلدان الذين استعملوا الحساب سنة ١٨٣٦، والملكيون الكاثوليك ١٨٥٨ والارمن الكاثوليك سنة ١٩١١، واما الباقون فقد تأخروا إلى ما بعد هذا التاريخ..

قال المطران يوسف الدبس في **تاريخه**: كان للبطريرك يوسف الرزي صداقة وانتماء إلى يوسف باشا سيفا، فساعده هذا كثيراً في تدبير شؤون طائفته، ورد إلى الطاعة من كان يخالفه من شعبه وهو الذي أقام الجسر الذي على نهر إهدن بين عينطورين وكفرصغاب وبنى دير القديس دوميط بأرض داريا. ولرغبته في اتحاد طائفته بالكنيسة الرومانية والسلوك على آثارها في كل شيء، أباح للأساقفة أكل اللحم وأباح للعامة أكل السمك وشرب الخمر في الصوم الكبير وأبطل سبة نينوى، وهي أسبوع كانوا يكثرون فيه التقشفات والصلوات وأوجز الانقطاع عن أكل اللحم قبل عيد الرسل، وقبل عيد الميلاد، على أن ذلك لم يرق للبابا بولس الخامس، كما يظهر من الرسالة التي بعث بها خليفته للبطريرك يوحنا مخلوف، حيث ينقض ما تسامح به البطريرك يوسف الرزي.

ويضيف المطران الدبس: «كان في أيام هذا البطريرك أناس في العرقوب بجنوب لبنان، يسمون البياضية، وكانوا يعتقدون باطناً بالنصرانية ويظهرون الإسلام علناً ويتعممون بعمائم بيضاء، فدفع البطريرك مبلغاً كبيراً من المال ليوسف باشا سيفا لصديقه والي طرابلس فحصل منه على منشور أباح به لهؤلاء أن يتظاهروا بالمذهب الذي يؤثرونه دون ما أي حرج. فتظاهروا بالنصرانية. وقد نقل المطران الدبس هذه النبذة عن **تاريخ البطرك الدويهي** ص (٣٠٨). لقد غير البطرك يوسف بعض العوائد المختصة بالصوم والأعياد ورتب البيعة الشرقية ليقترب أكثر فأكثر من الكنيسة الرومانية. وفي شهر آذار عام ١٦٠٨ توفي البطريرك يوسف الرزي الثالث، ودفن في دير قنوبين، وخلفه البطريرك يوحنا مخلوف».

عرضنا بإيجاز لسير ثلاثة رجال دين، هم بطاركة كبار أطلعتهم عائلة الضاهر، فتدبروا شؤون الطائفة المارونية على مدى نصف قرن، وأحسنوا قيادتها في أحلك الظروف السياسية التي أحاطت بالبلاد، وسنعرض ما استطعنا الحصول عليه من سير لشخصيات مدنية وإدارية بارزة من هذه العائلة أشار إليها المؤرخ بطرس بشارة كرم في كتابه **قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان**، وهي:

قيس بك الضاهر

«هو قيس بن البدوي بن بركات بن بربر بن البدوي، حاز لقب بك من الأستانة له ولسلالته بواسطة قنصل إنكلترا في بيروت شرشل بك. ولما كان في الثانية عشرة من عمره أقطعه الأمير

بشير الكبير حكم الزاوية خلفاً لأبيه وأجداده، ولبث حاكماً حتى عهد المتصرفية إذ عينه داود باشا أول متصرفي لبنان عاملاً على الزاوية بموجب بيولوردي هذا نصه: «افتخار المشايخ الكرمين المنصوب الآن من طرفنا عاملاً على ناحية الزاوية التابعة قضاء كسروان قيس بك الضاهر زيد قدره. إنه الآن بموجب الإنهاء الواقع من طرف افتخار الامراء الكرام المير مجيد شهاب مدير قضاء كسروان قد صار نصبك وتعيينك من طرفنا عاملاً على ناحية الزاوية، على بنا أن تكون بمعية المدير الموما إليه ساعياً بضبط وربط المحلات المحولة لعهدتك تطبيقاً للأصول والنظام مبتعداً عن كل حال وحركة مغايرة الرضا العالي، والمواد المقتضى الاستيذان عنها تراجع بخصوصها المدير الموما إليه والدعاوى المقتضى لها الرؤية ترى في مجالس المديرية، ويكون سلوكك بموجب مفاد التعليمات التي سيعطى لها حوزتها من المدير المومى إليه، وتبتعد عن كل شيء يخالف الأصول والنظامات الجبلية وتنبيهاً عليك بذلك اقتضى ترقيم شفتنا هذه».

«وخلف قيس ثلاثة ذكور هم خليل وبربر اللذان توفيا عازبين، وبركات بك الذي كان وجيهاً كريماً حسن المعاملة، وفياً، أبي النفس شجاعاً تعاطى واشتهر بالصدق، وهو الذي نقل مسكنه من قرية كفرزينا إلى قرية رشعين حيث بنى داراً فسيحة الأرجاء تعد من أجمل الدور في شمالي لبنان. توفي عن ٦٤ عاماً ودفن في كنيسة مار يوحنا رشعين التي بناها على أنقاض الكنيسة التي بناها أجداده. وبركات خلف البكوات: جواد، وقيس وجميل وخليل وهم يتعاطون التجارة مقتفين آثار آبائهم بالصدق والأمانة وحسن الوفاء. وهم يقطنون الآن قرية رشعين (وهي لفظة سريانية معناها رأس العين) وجاء في **تاريخ الدويهي** (ص ٢٥١) في سنة ١٦٤٢ بنى محمد باشا الارناؤوط والي طرابلس وصيدا، وبيروت القصر على نهر رشعين ورمى شاشات وبوابيج على الرعايا (أي أجبرهم على مشتراها) وكانوا يدفعون ثمن الشاش أربعين قرشاً وثمن البابوج عشرين. وكانت تلك السنة شديدة على الناس لزيادة المال والتسخير في بناء القصر، وكثرة البلص، وإكمال دود القز». «وإن من العائلات المعروفة في رشعين عائلة أيوب وعائلة نجيم المشهورة في دورس قضاء بعلبك وجونية، وأثناء تجوالنا في قرى البقاع - والكلام لا يزال لبطرس بشارة كرم، إبان الثورة الدرزية زرنا قرية دورس وأكبرنا ثبات أهل هذه القرية في موقفهم الحرج وعلى رأسهم المرحوم مخول بك نجيم وأولاده، وقد لاقونا بالحفاوة والإكرام وقدروا زيارتنا قدرها في ذلك الوقت العصيب».

الشيخ كنعان الضاهر

«هو ابن الشيخ سجعان الضاهر، وهو الثالث بهذا الاسم كان ذا ثروة طائلة، ذكي حاد الفؤاد. لمع في السياسة اللبنانية كالشمس في واضحة النهار، وتقلد مأموريات عدة مثل: عضوية الإدارة في المجلس الإداري اللبناني وقائمقاميتي كسروان والبترون أظهر فيهما ما كان يكنه صدره الواسع من الاستعدادات التي كانت ترتكز على جرأة وإقدام ورحابة صدر وسخاء وكرم أخلاق وحزم. وخلف ولدين الشيخين مخايل وخليل اللذين لهما مكانة واحترام بين معارفهما».

آل حنا الضاهر


البطريرك سركيس الرزي

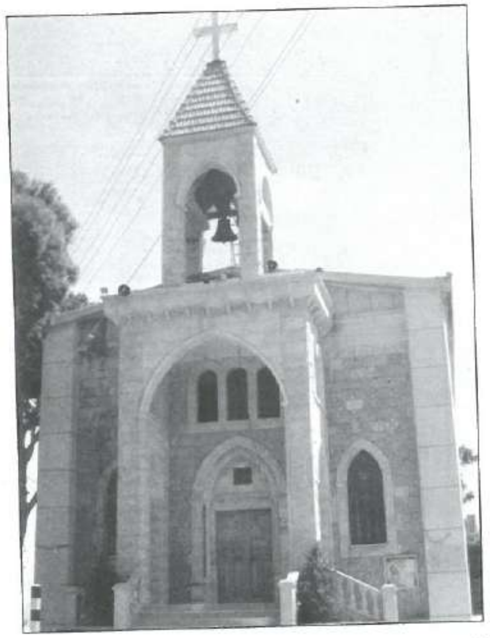
أما الأسرة الثانية التي حملت نفس الاسم واللقب: مشايخ آل الضاهر من بشري والقبيات، فهي أسرة عرفت باسم آل حنا الضاهر وهي من حيث السلالة تتحدر من أبناء كيروز بن جمعة الحلو، حكام بشري الذي كان منهم بعد ضاهر ولده حنا (توفي ١٧٨٥) وأنطونيوس بن حنا الملقب بأبي نار، وهو الذي أنعم عليه الأمير منصور الشهابي بتسميته شيخ مشايخ مقاطعة جبة بشري. وأشهر من برز من أبناء هذه الأسرة:

راجي بك حنا الضاهر مدير قصبة بشري ومنطقتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. وبطرس حنا الضاهر عضو مجلس الإدارة (دورة ١٨٦٦) ونجيب بك حنا الضاهر قائمقام جزين ومدير ناحية بشري ثم عضو مجلس النواب الثالث (١٩٣٧) وشقيق بك حنا الضاهر نائب البقاع (١٩٥١) والمهندسان: رياض حنا الضاهر، وابراهيم أميل الضاهر، والصيدلي سعيد حنا الضاهر، والمحامي فؤاد حنا الضاهر، وجميع هؤلاء من بشري والنائب ميشال الضاهر، والنائب والوزير السابق مخايل الضاهر، ومنير الضاهر قنصل فنزويلا السابق في لبنان، ورشيد ميشال الضاهر المحامي، والسفير السابق لدى الأمم المتحدة، وجميع هؤلاء من القبيات.

أعلام من آل الضاهر

مخايل أنطونيوس ضاهر

ولد في القبيات، عكار في الأول من آب ١٩٢٨، وهو الرابع بين تسعة أشقاء. والده أنطونيوس ضاهر (ملاك زراعي متوسط). والدته أديل مسعود الخوري من بلدة عندقت - عكار. تزوج كارين جوزف رزق الله، ارثوذكسية من بيروت، ولهما ولدان: مخايل (١٩٨٥) وألبير (١٩٨٧). تلقى علومه الابتدائية والثانوية في معهد الفرير - طرابلس، ثم تابع دراسته في جامعة القديس يوسف في بيروت، فنال إجازة في الحقوق عام ١٩٥٤، وفي الفترة نفسها حصل على إجازة في الفلسفة من الجامعة اللبنانية، كما حاز أيضاً شهادتي الدراسات العليا في الحقلين العام والخاص من



كنيسة في كفر حورا

(لبنان في موسوعة)

جامعة القديس يوسف (١٩٥٧)، ومن معهد التعليم العالي في جامعة اللبنانية نال شهادة الكفاءة في علم النفس والعلوم الطبيعية.

هو محام منذ عام ١٩٥٥ تدرج في مكتب النائب والوزير حميد فرنجية لمدة ثلاث سنوات، ثم أسس مكتباً خاصاً به عام ١٩٦٤. ترشح للانتخابات النيابية في دورتي ١٩٦٤ و١٩٦٨ عن منطقة عكار، على لائحة سليمان العلي، ولكنه فشل. إلا انه عاد وفاز بالمقعد النيابي في دورة ١٩٧٢ وعلى اللائحة نفسها.

في أواسط شهر أيلول ١٩٨٨ تم الاتفاق بين الولايات المتحدة الاميركية وسوريا على ترشيحه لرئاسة الجمهورية، اثر محادثات جرت في دمشق واستمرت خمسة أيام بين مساعد وزير الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الاوسط، ريتشارد مورفي والمسؤولين السوريين. إلا أن هذا الاتفاق قوبل بالرفض من قبل القيادات المارونية، وخصوصاً من قبل قائد الجيش انذاك العماد ميشال عون وقائد القوات اللبنانية سمير جعجع.

انتخب نائباً عن محافظة الشمال، قضاء عكار، في دورة ١٩٩٢ ونال ٦٣٧٠١ صوتاً. وخسر في دورة ١٩٩٦ ونال ٥٩٨٥٢ صوتاً. وأعيد انتخابه في دورة سنة ٢٠٠٠ ونال ٣٣٩٠٠ صوت. اما في دورة سنة ٢٠٠٥ فلم يحالفه الحظ، ونال ٥٠٧٠١ صوتاً.

عين وزيراً للتربية الوطنية والفنون الجميلة في حكومة الرئيس رفيق الحريري التي شكلت في ١٩٩٢/١٠/٣١.

بيار الضاهر

من مواليد العام ١٩٥٨. والده: يوسف الضاهر (اشتهر بإدارة المصارف، وكان القنصل الفخري لفرنسا. وهو ابن خالة الرئيس الراحل سليمان فرنجية وجده لامه الشيخ بطرس الخوري أحد أكبر المتمولين في الستينات والسبعينات). تخرّج مهندساً في جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الاميركية عام ١٩٨٢. ورأس الهيئة الإعلامية في «القوات اللبنانية». وفي آخر السبعينات اختاره سمير جعجع أمين سره يوم بدأ تشكيل نواة شبابية حوله من أبناء الشمال في دير القطارة. بدأ العمل التلفزيوني في محطة L.B.C عام ١٩٨٥ وشارك في



دير مار ليشع في قرية وادي قنوبين في لبنان

الاحتفال الذي أعلن عن بداية بثها في ٢٣ آب ١٩٨٥. وأصبح في ما بعد رئيس إدارتها ومديرها العام وأحد ملاكي المحطة. وبعد توقيف سمير جعجع وحلّ «حزب القوات اللبنانية» حصلت لقاءات بينه وبين الوزير سليمان فرنجية ومسؤولين سوريين للحصول على ضمانات لحماية L.B.C وفق شروط منها: نزع صور سمير جعجع وصدور بيان من قبله يقول فيه إن «محطة L.B.C مؤسسة مستقلة لا تمت بصلة الى تنظيم وأنها غير منتمية إلى «القوات اللبنانية». وزار سوريا والتقى وزير الإعلام محمد سلمان كما التقى بشار الأسد (لم يكن رئيساً بعد) وسأله إذا كان فعلاً يملك L.B.C وليس «القوات اللبنانية»، فأجابه إنه مالكها. وبناء على ذلك تمّ إنقاذ L.B.C شرط أن يكون الإشراف السياسي عليها للوزير سليمان فرنجية، وقد بدأ فرنجية الإشراف فعلاً منذ العام ١٩٩٤.

وفي ١٤ تموز ١٩٩٥ أكد أن تلفزيون المؤسسة اللبنانية للإرسال انترناسيونال سيلتزم مبادئ الوفاق الوطني والتقاليد العربية، وما لا يتعارض مع مصالح سوريا. وفي ١٢ آذار ٢٠٠١ حصل على حكم قضائي لمصلحته في مواجهة المساهمين فيها: عصام فارس وسليمان فرنجية. وكانت الفصائل من الجيش والقوى الأمنية قد أقامت نقاط حراسة عند مدخل كل طابق من مبناها في أدما واعتقل ٩ من موظفيها. وأعلن في ١٤ آذار ٢٠٠١ عن استعداده لطي الصفحة مع عصام فارس وسليمان فرنجية. واعترف أنه «عندما قبلنا الإشراف السياسي كان أمامنا البحر.. أو البحر». وتجدد الخلاف بينه وبين الوزير سليمان فرنجية، ووجد الفرصة سانحة للتخلص ممن كان قد قبله في العام ١٩٩٤ فتذرع قضائياً

بأن المشرف السياسي يجب أن يكون صحافياً ويحمل شهادة في الإعلام. وكان رفض قرارات أنهت خدمات بعض المحسوبين عليه ومن بينهم جورج غانم. (**الراية**، أول نيسان ٢٠٠١)

في ١٥ شباط ٢٠٠٢ وقع عقد تأجير قناة تلفزيونية على القمر المصري مع أمين بسيوني، رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب للشركة المصرية للأقمار الاصطناعية. وأكد في ٢٥ أيار ٢٠٠٢ أن الامير الوليد بن طلال مساهم في المؤسسة اللبنانية للإرسال L.B.C، ونفى ما تردد أنه تلقى مبلغ ٢٥ مليون دولار أميركي من الأمير الوليد قدمتها المؤسسة لـ«**الحياة**» في إطار التعاون بينهما. وأعلن في تصريح لجريدة **الرأي العام** الكويتية أن الشيخ صالح كامل الذي يملك ٤٩ بالمئة من أسهم القناة الفضائية L.B.C عرض على مجلس الإدارة بيع حصته كاملة وهي الحصة التي يملك فيها أساساً الوليد بن طلال حصة معينة. ووقع في ٢ كانون الأول ٢٠٠٣ اتفاق تملك الأمير الوليد بن طلال ٤٩ بالمئة من أسهم L.B.C SAT بقيمة ٩٨ مليون دولار أميركي. وعن تأثير هذا التملك على توجه المحطة وسياستها قال الوليد: لا تأثير إطلاقاً.

أعلن من جدة في السعودية في ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٤ عن مشروع توأمة الحياة - L.B.C برعاية أمير منطقة مكة الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود بحضور خالد بن سلطان بن عبد العزيز مساعد وزير الدفاع والطيران والمفتش العام للشؤون العسكرية.

ابراهيم الضاهر

الاسم الكامل: ابراهيم اميل حنا الضاهر. من مواليد بشري ١٠ آب ١٩٤٨. متأهل من نائلة واكيل وله ثلاثة أولاد: اميل، طارق وريا. وهو خريج معهد «Paris-chaussets et Ponts» ١٩٧٣. وخريج معهد الدروس السياسية - باريس ١٩٧٥. ومجاز في الحقوق من جامعة باريس. وشريك في مجموعة شركات فرنسية. ورئيس مجلس إدارة Adial الأوروبية. ورئيس مجلس إدارة سيدة لبنان - البيت اللبناني في باريس.

عين وزير دولة لشؤون التنمية الإدارية في حكومة الرئيس عمر كرامي في ٢٦/١٠/٢٠٠٤ بعد التمديد للرئيس إميل لحود لثلاث سنوات.

سميرة الضاهر

ولدت في بشري. والدها: إميل حنا الضاهر (كان قاضياً ومدعياً عاماً ثم وزير خارجية).

أتقنت خمس لغات: الفرنسية والإنكليزية والصينية واليابانية إلى جانب العربية. وعملت في السلك الدبلوماسي، وتسلمت مناصب عدة تنقلت خلالها بين أستراليا وأميركا والصين واليابان وسويسرا وإنكلترا وقبرص. عينت أولاً في أوستراليا سكرتيراً أول، ثم رقيت لقنصل عام في عهد الرئيس سليمان فرنجية، وكلفت بمهام سفارة لبنان في الصين.

فؤاد الضاهر

من مواليد القبيات، عكار عام ١٩٥٢. منتسب لنقابة المهندسين في طرابلس عام ١٩٨٠.

حائز على إجازة في الفيزياء من كلية العلوم - الجامعة اللبنانية، وشهادة هندسة في الأشغال العامة من المدرسة الوطنية للأشغال العامة (اختصاص علوم السكن) - ليون - فرنسا - ١٩٧٩. وإجازة في الحقوق (كلية الحقوق والعلوم السياسية - الجامعة اللبنانية ٢٠٠١). وهو خبير محلف لدى المحاكم منذ ١٩٨٧. وأستاذ محاضر في كلية الفنون الجميلة في جامعة الروح القدس، الكسليك - مادة التمديدات الصحية والتدفئة للمستوى الثالث. وأستاذ محاضر في كلية الهندسة في الجامعة اليسوعية لمادة التمديدات الصحية.

فاز بمركز نقيب المهندسين في الشمال في ١٤ نيسان ٢٠٠٢، ونال ٧٣٢ صوتاً ضد منافسه نعيم خرياطي الذي نال ٥٧٠ صوتاً.

المراجع

١ - **كتاب أخبار الأعيان**، لطنوس الشدياق، أعاد طبعه ووضع فهارسه الدكتور فؤاد البستاني، ١٩٧٠.

٢ - **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات**، للدكتور أحمد أبو سعد، دار العلم للملايين، ١٩٩٧.

٣ - **قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان** لبطرس بشارة كرم، الجزء الأول، بيروت، ١٩٢٩، والجزء الثاني بيروت، ١٩٣٧.

٤ - الفيكونت فيليب دي طرازي، **أصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من أخبار السريان**، بيروت، ١٩٤٧.

٥ - **تاريخ البطاركة**، تأليف الأباتي بطرس فهد، دار لحد خاطر (١٩٨٥ - ١٩٨٦)

٦ - جريدة «**السفير**» - المركز العربي للمعلومات - قسم الشخصيات.

آل النكدي

هي عشيرة درزية من عرب الحجاز، يرجع نسبها إلى مرّة بن تميم أحد بطون تغلب بن وائل. خرج أفرادها مع جيوش الفتح العربي الإسلامي حيث استقروا في الساقية الحمراء عند أطراف مراكش والجزائر، وكونوا قبيلة شديدة المراس أطلق عليها هناك لقب الأنكاد، ولا يزال هذا اللقب اسماً للقبيلة الباقية حتى الآن في المغرب العربي. وحين زحفت الجيوش الفاطمية إلى مصر للاستيلاء عليها عاد قسم من هذه الأسرة مع جيوش الفاطميين، ونزلوا في منطقة البحيرة حيث لا يزال قسم منهم فيها، يحمل اسم علي ويتزيا بالزيّ المغربي. وبعدها وفدوا إلى الشام حين غزاها القائد الفاطمي ابو علي جعفر بن فلاح الكتامي سنة ٩٦٩ ميلادية، فنزلوا في بادئ الأمر في منطقة حلب، وكانوا اعتنقوا الدعوة الدرزية، ثم نزحوا منها في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي إلى البقاع فاستوطنوا قرية غزة، ونزلت باقي قبائل تغلب في مشغرة.

ونظراً الى تعرض سواحل بلاد الشام طوال فترة الحكم الفاطمي للحملات الصليبية المتكررة استقدم الفاطميون بعض القبائل العربية، ومنها الأسرة النكدية من البقاع إلى السهول الساحلية لحمايتها من الفرنجة، وكان كبير النكديين محمد أحمد الخالدي الأنكادي متولياً شؤون صيدا، فنقلوا إليها، ثم انتقلوا منها إلى القرى المجاورة لها، واتخذوا من قرية برجا في إقليم الخروب قاعدة لتوسعهم الجغرافي الذي ظل يتسع حتى شمل القسم الشمالي الغربي من الإقليم بما يوازي ثلث مساحته.

علي أمير الناعمة

ثم لما قدم الأمير معن الأيوبي إلى الشوف في مطلع القرن الثاني عشر حضروا إليه وصاروا عنده في جملة أعوانه، وأقاموا في بعقلين ثم في دير القمر. وبعدها لما تولى الأمير حيدر الشهابي جبل لبنان تقربوا إليه وحاربوا معه في الهرمل ومعركة عين دارة. فأقطع هذا أميرهم الشيخ علي الناعمة، وما يليها. وكتب له «الأخ العزيز». وبذلك أصبحوا من عائلات الإقطاع السبع، واستمر نفوذهم في التصاعد حتى شمل في ما بعد ثلث إقليم الخروب، ومنطقة المناصف، وإقليم الشحار

وبعض القرى في إقليم التفاح والشوف البياضي (البقاع الغربي) وغدت لهم امتيازات وصلاحيات الأسر المقاطعجية، ولم يكن يسبقهم في الرتبة غير بني جنبلاط وبني العماد. غير أن هذا النفوذ ما لبث أن ضعف نتيجة عوامل متعددة منها التنافس الداخلي بين أفراد الأسرة نفسها على الزعامة العائلية، والنزاع الغرضي الجنبلاطي ـ اليزبكي على الزعامة الدرزية في الجبل، فتم الإيقاع بهم في العام ١٧٩٧، وصودرت أراضيهم، وخطط لتصفيتهم ومحو وجودهم السياسي والسكني في المناصف ودير القمر كما هو مثبت في كتب التاريخ (راجع كتاب **الأسرة النكدية** لعاطف أبو عماد).

مناصب الدروز

والعشيرة النكدية هي إحدى العشائر الخمس في الجبل على ما يقول: نسيب سعيد نكد: بنو جنبلاط، وبنو العماد، وبنو نكد، وبنو تلحوق، وبنو عبد الملك. هؤلاء هم العشائر ذوو الطبقة الأولى بين المشايخ. وكان العامة يعبرون عنهم بقولهم: مناصب الدروز. ولكل من هذه العشائر مقاطعة واحدة أو أكثر يتعاقب أفرادها في تولي شؤونها بحسب نفوذ الشخص أو اختيار الحاكم. وكذلك لكل عشيرة أتباع من سائر العيال والمشايخ تعهد إليها، ولكن تكون دونها في الرتبة. فإن التقدم للأسرة ذات الإقطاع. فالنكديون واسطة عقد العشائر والحلقة المتوسطة بينهم يتقدم عليها اثنان: أي الأسرة الجنبلاطية والعمادية ويتأخر عنها عشيرتان بنو تلحوق وبنو عبد الملك. والمقاطعات التي في عهدة النكدية هي: المناصف، والشحار ودير القمر وبعض القرى في إقليم الخروب. «على أن النكديين خسروا دير القمر بسبب الفتن التي انتشبت بين الدروز والموارنة. ولا يخفى أن استيلاء النكديين على بلدة غنية بالمال والرجال كان قذى في عيون سائر العشائر، فما برحوا يسعون للنكدية الضراء ويكيدون لها المكائد حتى تم لهم ما أرادوه من خروج هذه القصبة العامرة من حوزة النكديين».

أما الأسر التي تمت إلى النكدية بصلة الرحم أوالمصاهرة فهي: أسرة العيد التي تتولى مقاطعة العرقوب الأعلى، وبنو هرموش، وبنو القاضي وبنو العقيلي، وهناك أسرة غير مشهورة تندمج بهذا السلك هي أسرة برغشة بوادي التيم. فعلى ذلك يكون النكديون أوسع العشائر سلطة وأكثرهم مقاطعات إلا العشيرة الجنبلاطية، فإن المقاطعات التي في عهدتها أكثر مما في عهدة بني نكد.

في بعقلين أولاً

أما وطن هذه العشيرة فقد نزلت بعقلين أول مجيئها إلى لبنان. إذ وفدوا على الأمير معن الأيوبي سنة ١١٢٠ ثم انتقلوا إلى دير القمر حيث لبثوا لبضعة قرون، ومن ثم نزح منهم بطن إلى المناصف وهو بطن كليب. وربما سبقهم إلى المناصف بنو أبي ظاهر الذين هم فرع من الأرومة النكدية ولو أنكر البعض ـ وقد تخلف في دير القمر من النكديين بطن سلمان الذين بقوا فيها إلى ما بعد الحادثة الأخيرة التي وقعت سنة ١٨٦٠ فخرجوا مع سائر العيال الدرزية بحسب قرار الدول التي عقدت مؤتمر بيروت.

وعبيه أخيراً

ثم انتقل أبناء حمود بن قاسم إلى قرية عبيه حيث الآن السواد الأعظم من النكديين. وهي أبناء ناصيف بن سيد أحمد في المناصف وكذلك بنو أبي ظاهر، وأبناء يوسف بن فارس بن مراد. ومن ثم تبع أبناء حمود إلى عبيه بنو سلمان حيث أقاموا ردحاً من الزمن من ثم انتقلوا إلى دقون وكذلك جاء عبيه جميل بك ابن بشير بن ناصيف. ولم يبق في المناصف إلا الأخوة شريف بك ورجل أو رجلان من أبناء يوسف بن فارس. أما اليوم فيقال إن عبيه هي بطن النكديين على الإجمال، فالذين بقوا أحياء بعد مصائب الحرب الكبرى، وهم قليلون، توافدوا إليها وبضعة أشخاص من فقراء هذه الأسرة قد حرثوا في جهات الشام وحوران.

شجرة العائلة النكدية

ينقسم آل نكد إلى ستة بطون هي:

- بطن سلمان بن كنعان بن علي ووطنهم دير القمر سابقاً ودقون أخيراً.
- بطن قبلان ووطنهم كفرمتى.
- بطن كليب وهو صاحب الإقطاع الأعظم شهرة والأشد بأساً ووطنهم دير القمر أولاً والمناصف وعبيه أخيراً.
- بطن حسن الذي لم يبق منه إلى الآن إلا رجل واحد هو عزت بن علي بن بشير مرعي بن حسن.
- بطن يوسف الذي نشأ منه خطار يوسف الشجاع المشهور ولم يبق منه أيضاً إلا شاب واحد هو سليم بن محمد بن حسين بن خطار بن حسين بن خطار.
- بطن أبي ظاهر الذي ينكر معظم النكدية انتسابه إليهم ولكنه يؤخذ من عدة قرائن أنهم نكديون. وأخص هذه القرائن - والكلام لا يزال لنسيب سعيد نكد - «هو أن لدي أوراقاً قديمة فيها توقيع نجم محمود بن ظاهر نكد. فهذا الرجل كان معاصراً محمود وناصيف بطلي النكدية المشهورين، ولا يعقل أن رجلاً ينتحل كونه ابن عم لهما ولا يكذبان دعوته. أما وطن هذه البطون الثلاثة أي بيت أبي ظاهر وبيت حسن وبيت يوسف فهو المناصف. ولكنهم الآن قد أمسوا أثراً بعد عين فلا أهل ولا وطن. ولا نعلم هل بقي منهم إلى اليوم بقية غير الرجلين المار ذكرهما أم لا؟».

إن عدد الذكور من العشيرة النكدية كان قبل الحرب العالمية الكبرى ينوف على الستين. أما الآن فلا أراهم يبلغون الثلاثين. منهم عشرون من بيت كليب والباقون من سائر البطون النكدية وهذه هي شجرة مواليدهم:

- أحمد ولد ثلاثة أولاد: علي ونجم ويوسف. علي ولد كنعان وكنعان ولد سلمان الذي ينسب إليه أحد البطون النكدية.
- سلمان ولد أربعة أولاد، هم: أسعد وحمد وكنعان وحسن.

- أسعد وله محمود وسلمان ومنصور.
- حمد (توفي بلا عقب).
- كنعان بن سلمان ولد أربعة: أحمد، علي، بشير وحمد.
- محمود بن أسعد ولد ثلاثة هم: بشير ومحمد وحسن.
- بشير بن محمود ولد ولداً. ومحمد بن محمود توفي عن ابنة هي أرجوان (زوجة نسيب سعيد نكد).
- حسن توفي بلا عقب.
- أحمد بن كنعان ولد له قاسم وداود (توفيا بلا عقب).
- علي بن كنعان لم يلد ذكوراً.
- بشير وأخوه حمد ولدا أولاداً لم يبق منهم حياً إلا اثنان أو ثلاثة حاملو الذكر.
- سلمان بن أسعد ولد له علي وسيد وأسعد (لم يبق منهم واحد).
- منصور بن أسعد ولد له ملحم (توفي بلا عقب).
- يوسف بن أحمد (لم يعرف شيء عن سلالته).
- نجم شقيق أحمد، ولد له قبلان وولد أيضاً كليباً جد البطن الذي انتهت إليه رئاسة القبيلة والذي ينتمي إليه كاتب هذه السطور (نسيب سعيد نكد).
- كليب ولد خمسة أولاد هم: بشير، وواكد، وسيد أحمد، وقاسم، ومراد وهؤلاء الخمسة الأخوة عذبهم الأمير بشير في الحادثة المشهورة.
- بشير ولد له: علي، وجهجاه، وسعد الدين، وكليب. وهؤلاء دلّ عليهم أحد خدمهم من كفرمتى حينما كانوا مختبئين بقرب الناعمة. يوم غدر بآبائهم بدير القمر، وسيد أحمد بن كليب ولد له ناصيف وعباس الذي توفي بلا عقب.
- ناصيف ولد له عباس وكليب الذي سمي فيما بعد علياً وولد له أيضاً بشير.
- عباس ولد له شاهين، وشاهين ولد كامل.
- كليب أو علي لم يعقب ولداً.
- بشير بن ناصيف ولد له: سامي الذي ولد له محمد، وشريف وجميل.
- شريف لم يترك أولاداً.
- جميل ولد له: عادل وبشير.
- قاسم بن كليب ولد له : حمود.
- حمود: ولد له قاسم الذي ولد له علي فتوفي صغيراً وولد أيضاً له سليم وسعيد.
- سليم ولد له ملحم الذي ولد له: مراد، وسليم وشكيب.
- سعيد ولد له خمسة ذكور أكبرهم أمين الذي ولد ولداً ورابعهم نسيب (واضع هذه النبذة) الذي رزق ولداً دعاه بالحارث (عملاً بالحديث الشريف القائل: «كلكم حارث وكلكم همام») أما سائر أولاد سعيد فلا حاجة إلى ذكرهم.
- مراد بن كليب ولد له: فارس، وفارس ولد له: خطار، وواكد، ومراد ويوسف وحسن.

- خطار ولد له ملحم.
- واكد ولد له إبراهيم.
- يوسف ولد له: محمود، وسليم وسعيد وحسن ولد له توفيق.
- مراد لم يعقب ذكراً.
- قبلان بن نجم من سلالته بنو فتح في كفرمتى الذين منهم سليم وأبناؤه. ولم يبق من هؤلاء إلا شاب اسمه سعيد بن سليم هاجر من بضع سنين إلى الشام ولا ندري أحي هو أم ميت.

والذين لا نعلم شجرة مواليدهم على الترتيب هم عزت المار ذكره من بطن حسن، وسليم بن محمد من بطن يوسف. فالذي نعلم من تسلسلهم هو أن عزت بن علي بن بشير بن مرعي بن حسن فحسب، وأن سليماً ابن محمد بن حسين خطار بن حسين بن خطار. أما أجدادهما فلا سبيل إلى معرفة أسمائهم، وإنما نعرف أنهما ليسا من سلالة أحمد الجد الجامع بين بطن شكيب وبطن سلمان وبطن قبلان. وكذلك بطن أبي ظاهر نجهل إلى أي جد ينتسبون والظاهر أن هذا البطن قد انفصل قبل أحمد جد البطون المار ذكرها.

أسماء مجهولة

وتذكر التواريخ والأوراق القديمة المحفوظة والكلام لا يزال لكاتب النبذة، نسيب سعيد نكد أسماء رجال من النكديين نجهل نسبتهم تماماً. منهم رجلان أحدهما فهد والآخر جهجاه، وهما اللذان خرجا على الأمراء أبناء الأمير يوسف. استحضروهم بعد ذلك فقتلهم ابن عمهم بشير بن كليب ولعل هذين من بطن أبي ظاهر ثم إن لدي وثيقة بتوقيع الأمير منصور الشهابي الوالي يتعهد بها لكنعان بن علي بمعاملته معاملة ممتازة. وقد ورد ذكر الشيخ منصور والشيخ حسين والشيخ فيصل. فلا ندري من هم هؤلاء.

وفي واقعة «جديتا» بين الأمير بشير وأبناء الأمير يوسف يذكر التاريخ أنه قتل من النكديين يومئذ الشيخ نمر، وهذا من المبهولين أيضاً. وفي شفا عمرو (بفلسطين) رجل يدعى الشيخ حسين يدعي أنه من أصل النكدي. والذين أمّوا تلك الجهة أيام المجاعة في لبنان قد زاروا هذا النكدي الجديد، وقالوا إنه على جانب كبير من الوجاهة، ولعله مختار البلد. وقد أحسن ضيافة الذين نزلوا عليه وبالغ في الحفاوة بهم. وممن زاره حينئذ سليم بن محمد بن حسين، وقد أقنعه أنه نكدي لا محالة، وهو يزعم أن جده نزح من لبنان على أثر نكبة النكديين. والله أعلم.

واقعة عين دارة

والمشهور أن المشايخ الدروز قد اكتسبوا لقب المشيخة على أثر واقعة عين دارة. فقد أبلى بعضهم البلاء الحسن في تلك الواقعة فكافأهم الأمير حيدر الشهابي بأن أقطع كلاً منهم إقطاعات معلومة وكتب «الأخ العزيز» فهذه الكتابة من الأمير الوالي رفعت المكتوب إليه من مصاف العامة إلى مصاف

النبلاء. وكان من جملتهم علي بن أحمد النكدي الذي نال إقطاعة الناعمة هو ما يليها. وكتب له الأمير تلك العبارة، ومنهم من آل تلحوق الذي كان نصيبه إقطاع الغرب الأعلى قهراً للأمير يوسف أرسلان لأنه كان يمنياً. ويؤخذ من قرائن أخرى أن مشيخة النكديين وسواهم، كانت موجودة قبل يوم عين دارة، بدليل اعتراض المشايخ على الأمير حيدر حين أراد قتل محمود باشا أبو هرموش اليمني. ويغلب الظن أن بني نكد نالوا النبالة على عهد الأمراء المعنيين. فقد روت التواريخ أنهم كانوا من أخصاء الأمراء، وأن أمراء العصر كانوا يتخذون أعوانهم من عامة الناس. فقد نبغ منهم رجل في نهاية القرن السابع عشر ارتقى إلى منصة الوزارة بعد تولي إيالة طرابلس الشام هو علي باشا النكدي ذكره الأمير حيدر في تاريخه **الغرر الحسان**.

من الحزب القيسي

والنكديون من الحزب القيسي، وكانت لهم مآثر مشكورة، ولكنهم رفضوا التحزب الجديد الذي قام على أنقاض العصبية القيسية ـ اليمنية. وكانت حجتهم: «لا نريد أن نشهد كل يوم ذبح الدروز بعضهم بعضاً من أجل سواد عيني الحاكم. فقد كفى ما أريق من دماء في سبيل هذا التشيع».

ويعزو النكديون ظهور هذه الحزبة الجديدة إلى الأمير حيدر الشهابي الذي راعه أن البلاد أصبحت كلها شيعة واحدة، فتوجس خيفة منهم فراح يعمل على التفريق، وزرع بذور المنافسة والتحاسد فيما بينهم حتى هب بنو جنبلاط إلى قتال أبناء أعمامهم بني العماد سنة ١٧٨٨ وانحاز إلى كل من الأسرتين أقوام من الدروز والنصارى والمسلمين. العشائر التي انضمت إلى العماديين هم، بنو تلحوق، وبنو عبد الملك فدعوا باليزبكيين باسم كبير بني العماد: يزبك بن عبد العفيف العماد، والذين انضموا إلى جنبلاط دعوا بالجنبلاطيين. وبعد أن أصلح بين الفريقين انتهت هذه الغرضية، ثم عادت إلى الظهور في عهد الأمير ملحم الشهابي. ولا تذكر المصادر التاريخية سبباً واضحاً في تجدد الانقسام. ولكن المنازعات السياسية أسهمت في بلورة تيارين سياسيين تزعم أحدهما الشيخ علي جنبلاط وتزعم الآخر الشيخ عبد السلام العماد. ولم تكن هذه الانقسامات وقفاً على فئة دينية واحدة، بل شاركت فيها الطوائف جميعها. واستمر هذا الصراع إلى منتصف القرن العشرين ثم أخذ يتلاشى.

أما موقع النكديين من هذه الغرضية، فكان محايداً وظلوا خارج الانقسام. رفضوا الانضمام إلى إحدى هاتين الغرضيتين ضناً بدماء الدروز تراق كل يوم توطيداً للكرسي الحاكم.

ثروة طائلة

ولا بد من الإشارة الى أن النكديين كانوا من أصحاب البيوتات المالية الكبرى في جبل لبنان. وكانت ثروتهم في أيام حمود وناصيف تعادل ثروة الجنبلاطيين. وأملاكهم كانت منتشرة ما بين صيدا ومعاصر بيت الدين، فضلاً عن أراض لهم في البقاع العزيزي. أما في جبل لبنان فكانوا

يملكون القسم الأكبر من مقاطعة المناصف والضياع التي كانت لهم: الجاهلية، وبنويتة، وخلة اقبال، وسرجبال، والبقيعة ودميت وكفرحيم، ودير بابا وكفرفاقود ومزارعها، وبشتفين، وعميق وكفرحمل، ودوير بعينيه. وفي الشحار كانت لهم الناعمة الممتدة إلى منتصف السهل المعروف بسهل الدامور. ثم دقون بكاملها. وبعض أراض في بعورته وعبيه وكفرمتى، ومزرعتا عين حجية ولكيلة. وفي إقليم الخروب كانوا يملكون: برجا، بعاصير، والميه ميه، والبرامية وبعض الجية. وكانت لهم مزارع: جفرة، والحبيشية، وقرى الوردانية وسبلين وغيرهما. كل هذه الثروة الطائلة، كل هذه القرى والضياع التي امتلكها النكديون وما فيها من أرزاق وخيرات تبخرت، ولم يبق منها سوى القليل القليل. إنها لم تنفق في سبل مشروعة، ولكنها أنفقت جزافاً وإسرافاً على ما يقول مؤرخ **السيرة النكدية**. وزاد في الطين بلة أن هذه الأسرة تعرضت بعد ضياع هذه الثروة الهائلة إلى نكبة قاسية كادت تمحوها عن المسرح السياسي اللبناني.

يروي نسيب سعيد نكد قصة هذه النكبة وقد تداخلت فيها الحقيقة التاريخية مع الأسطورة فقال: إن بني نكد كانوا قذى في عين الأمير بشير وأشياعه وشجا في حلوقهم. وإنه كان ينتظر الساعة التي تمكنه من الانقضاض عليهم والتخلص منهم بأي وسيلة كانت ولو كانت إحدى هذه الوسائل القتل. ففي ٢٣ شباط ١٧٩٧ دعا الأمير بشير أولاد الشيخ كليب الخمسة وهم: بشير وواكد وسيد أحمد وقاسم ومراد إلى داره في دير القمر، كما دعا مشايخ آل جنبلاط وآل العماد بهدف أن يلبسهم خلع الرضى، وكان كل من المشايخ الحاضرين صحب معه عدداً من الأتباع والأنصار مدججين بالسلاح، والسلاح متوار عن الأنظار في مخادع السراي ودهاليزها وأقبيتها إلا مشايخ آل النكدي الذين وصلوا إلى دارة الأمير في دير القمر وهم عزل من أي سلاح وأية حماية.

مجزرة الأخوة

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه قبل وصول الدعوة إلى بشير نكد، تقدم إليه أحد خدمه المغاربة وقال له: وددت يا سيدي لو لم تلب هذه الدعوة، فإني لإخال في الأمر مكيدة، فانتهره بشير له بتلك الكلمة المشهورة التي لم يزل القوم يرددها حتى اليوم. «لا أبا لك يا هذا، من يستطيع أن ينالني بسوء، وإني عظم سمك لا يزدرد» وإذ حسب المغربي يتملقه قال لأحد الخدم: آت هذا الرجل بربطة من الدخان فإنه يريد من وراء نصيحته استمناحنا». فأجاب المغربي: ما لي حاجة إلى الدخان يا سيدي فإنما أريد نصحك فحسب وإني لأعلم أن هذا الرجل وسائر المناصب منطوون لكم عن غل وهم يتربصون بكم الغوائل» وأنا خائف عليك من غدرات الليالي. فقال بشير: ليقضوا ما هم قاضون والله يفعل ما يشاء. ومن شدة جبروته واعتداده بنفسه، لم يصحب من خدمه وسائر أتباعه أحداً ومن ثم سار وإخوته إلى دار الأمير فرأوها غاصة بالرجال فلم يعبأوا بشيء.

رحّب بهم الأمير وجعل يتودد لهم. وما إن استقر بهم المجلس حتى انتقل الأمير إلى مجلس آخر فتبعه المناصب. أراد النكديون أن يخرجوا من مجلسهم، فأوصدت دونهم الأبواب ودهمتهم الرجال. فجعلوا يخرجونهم الواحد تلو الآخر، ويقتلونهم بالسيوف والخناجر وتارة بالرصاص.


أحمد باشا الجزار

فسقط الأخوة الخمسة صرعى في الدار. وفي رواية أخرى أنهم لم يكدوا يدخلون الدار حتى انهال الرصاص عليهم من كوى السراي ونوافذها. وبعد الفراغ من مجزرة الإخوة الخمسة، عاد الأمير وأعوانه يطاردون صغار النكديين، ويقتلونهم حيث يجدونهم. وقد اختبأ خمسة منهم في دارين غربي الناعمة وهم علي وجهجاه وسعد الدين وكليب أبناء بشير وأحد أبناء أعمامهم فنم بهم أحد خدمهم في كفرمتى، فأرسل المالطي رجالاً وقبض عليهم، وأتوا بهم إلى دير القمر. فوضعهم الأمير في السجن ثم قتلهم بعد أن أذاقهم من العذاب ألواناً.

وهكذا نفذ المقدور بهذه الأسرة التي كانت عبئاً ثقيلاً على الأمير الحاكم والثائر. وقد جمع الحسد والتنافس عليهم المناصب جميعاً إلا المشايخ بني تلحوق، فإنهم ظلوا على الحياد في تلك المؤامرة ولم يكن لهم فيها ضلع. انقرض أبناء كليب ولم يبق منهم إلا صبيان هما: حمود وناصيف، سن أكبرهما خمس سنوات والآخر سنتان ـ حملهما سلمان بن كنعان إلى الشام حيث نشأ فيها وحين بلغا سن الرشد استدعاهما الجزار إلى عكا، فوفدا عليه وأكرمهما، وكتب إلى الأمير بشير يأمره برفع المصادرة عن أملاك النكدية وأن يولي حموداً وناصيفاً إقطاعات آبائهم فعادوا إلى البلاد. صدع الأمير بشير بأمر الجزار فأرجع إليهم كل أملاك النكديين، وولى الصبيين المقاطعات النكدية.

أعلام النكديين

وأشهر من برز من أبناء هذه الأسرة وأعلامها القدامى: الشيخ كليب بن الشيخ نجم (١٧٣٤ـ ١٧٨٨) الذي كانت له مآثر كبيرة زمن ولاية الشهابيين، ونجله الشيخ بشير النكدي ألمع رجالات أسرته الذي ناب عن الأمير يوسف في حكم حاصبيا، وهو الذي اخترق قانون الوجاهة بدخوله قبل الشيخ بشير جنبلاط إلى سراي الحكومة في دير القمر، ثم قتله الأمير بشير سنة ١٧٩٧ وشقيقه قاسم بن كليب الذي كان أول من حصل العلم من آل نكد، وعرف بولعه بالشعر والترحال في طلب المعرفة. وأثر عنه أنه كان يتنقل ومعه جمال تحمل له كتبه، وحمود بن قاسم بن كليب (ت ١٨٤٥) الذي تسلم مع أخيه ناصيف مقاطعة الشوف عام ١٨٢٥، وسعيد بن حمود بن قاسم



عارف بك النكدي والزعيم أمين أبو عساف وشكيب وهاب بمناسبة التطوع الى فلسطين

ابن كليب الذي تولى مناصب قضائية في الشوف في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وكان يكتب المقالات في مجلة **الجنان**. وله ديوان شعر لا يزال مخطوطاً. وناصيف بن سيد أحمد كليب (١٧٩٠ ـ ١٨٥٤) الذي ساهم في معظم الأحداث التي شهدها لبنان في عصره. وكان أحد الذين أنعمت عليهم الحكومة المصرية برتبة أميرالاي بأوسمتها الرفيعة وأول من أنعم عليه برتبة بك في جبل لبنان، وبشير بن ناصيف (١٨٣٤ ـ ١٨٨٩) الذي تولى إيالة صيدا بعد أبيه سنة ١٨٤٥ ثم مقاطعتي المناصف والشحار بشراكة ابن عمه قاسم بك نكد، وكان يميل إلى الجنبلاطيين خلافاً لمنزع أقاربه. وقاسم بن حمود بن قاسم بن كليب الذي تولى مقاطعة الشحار سنة ١٨٤٥ وعين سنة ١٨٧٦ رئيس ديوان التحقيق الذي أصبح في ما بعد محكمة الجنايات، وكان مقرباً من المتصرف رستم باشا. وأمين بن سعيد بن حمود نكد، الذي ولي مديرية منطقة المناصف في أوائل هذا القرن.

ومن النكديين الذين عاشوا في عصرنا: نسيب بن سعيد نكد (١٨٧٥ ـ ١٩٢٢) الذي كان ولع بالكتابة والتأليف ومن آثاره **سيرة الأسرة النكدية** (التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا البحث، على الرغم من التحيز الواضح في الكثير من مواقفه إزاء بعض الوجوه النكدية) وعادل بن جميل بن بشير بن ناصيف سيد أحمد بن كليب (١٨٩١ ـ ١٩٢٦) الدكتور في الحقوق من جامعة السوربون في باريس (١٩٢٥) صاحب المقالات الأدبية والسياسية ومؤلف كتاب **الأصول الإدارية في الإسلام** باللغة الفرنسية، وسعيد بن مجيد بن حمود نكد (١٩٠٧ ـ ١٩٤٧) الذي درس علم الكيمياء، وأثر عنه أنه صنع نماذج من العجائن تصلح لصنع صفائح تبنى بها بيوت الارياف، ولا تؤثر فيها حرارة



عارف بك النكدي (الثالث من اليسار) وأعضاء المجمع العلمي.

(من كتاب عارف النكدي)

الشمس ولا برد الشتاء، وتصلح أيضاً لصناعات الطاولات والكراسي ومختلف أنواع الأثاث.

عارف بك النكدي

ولد في بيروت في العام ١٨٨٧. تلقى علومه في المدرسة البطريركية، ثم المدرسة العثمانية للشيخ (أحمد عباس الأزهري)، ثم انتقل إلى المدرسة العلمانية (اللاييك). ودرس الحقوق، ونال الإجازة التي تخوّله حق تولي القضاء أو ممارسة مهنة المحاماة. ودخل الوظيفة كاتباً في محكمة استئناف بيروت.

في العام ١٩١٩ التحق بحكومة الأمير فيصل وأسندت إليه وظائف إدارية عالية في القضاء. وعين مديراً للعدلية ومنها نقل رئيساً لمجلس شورى الدولة في سورية. وعين محافظاً للسويداء وحاكماً عسكرياً. وتولى أستاذية علم الاجتماع وتدريس القانون الجزائي في معهد الحقوق بدمشق.

في العام ١٩٣٦ أسندت إليه مديرية المعرض السوري، كما تولى المديرية العامة للإعاشة سنة ١٩٤٥ لتأمين تموين البلاد والجيوش التي كانت فيها. وفي أواخر العام ١٩٤٥، تولى المديرية العامة للشرطة والأمن العام في سورية. وفي آب ١٩٤٦، أسندت إليه رئاسة مجلس شورى الدولة في سورية وظل رئيساً حتى ٣١ كانون الثاني ١٩٤٨.

كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق فساهم بأعماله وواظب على حضور جلساته،

كما كان عضواً في المجمع العلمي العراقي.

أنشأ مؤسسة «بيت اليتيم الدرزي». وأعاد الحياة إلى معهد الدواوين الذي كان مغلقاً. وأنشأ مدرسة للبنات عرفت باسم «المدرسة التنوخية» و«المدرسة المعنية» في بيروت. أصدر جريدة **الأيام** ثم جريدة اليوم، كما أصدر مجلة **الميثاق** سنة ١٩٥٤. توفي في العام ١٩٧٥. من مؤلفاته:

- **الموجز في علم الاجتماع**، دمشق (١٩٢٥) (وهي مجموعة محاضرات ألقاها في معهد الحقوق العربي).
- **القضاء في الإسلام**، دمشق (١٩٢٢) (محاضرة ألقاها في بهو المجمع العلمي العربي بدمشق).
- معضلة الشرق، **الأقطار العربية المحررة: سوريا، العراق، لبنان** (وهو ترجمة كتاب خير الله خير الله الموضوع أصلاً بالفرنسية).
- **الأندلس: عبرة وذكرى**.
- **العنصر العربي - القضاء اللبناني - الوضع الاجتماعي**.
- **اللغة العربية بين الفصحى والعامية** (محاضرة).
- **الوحدة العربية** (بحث).
- **عمر بن عبد العزيز**.
- **الولايات الأوروبية المتحدة** (بحث سياسي تاريخي).
- **الحركات اللبنانية الثلاث في سنوات** (١٨٤١ - ١٨٤٥ - ١٨٦٠).
- **تاريخ الأمير السيد عبد الله التنوخي**.
- **بنو معروف في لبنان**.
- **حياة محمد** (ترجمة لكتاب اميل درمنغايم).
- **الحياة الاقتصادية** (ترجمة).

المراجع

١ - كتاب **أخبار الأعيان**، لطنوس الشدياق، أعاد طبعه ووضع فهارسه الدكتور فؤاد البستاني عام ١٩٧٠.

٢ - **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات**، للدكتور أحمد أبو سعد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧.

٣ - **الإمارة الشهابية والإقطاعيون الدروز (سيرة الأسرة النكدية)** لكاتبها نسيب سعيد نكد، حققتها نائلة تقي الدين قائد بيه، بيروت، ٢٠٠٤.

٦ - جريدة «**السفير**» - المركز العربي للمعلومات - قسم الشخصيات.

آل حيدر

يُجمع المؤرخون، قدامى ومحدثون، أن أسرة حيدر المسلمة الشيعية في بعلبك وبدنايل واللبوة هي من قبيلة بني أسد. وبنو أسد حي من خزيمة، من العدنانية. وهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. (**نهاية الأرب في معرفة انساب العرب** للقلقشندي) عرف أمرهم قديماً في البلاد الحجازية، ثم ارتحلوا عن نجد في الحجاز في أزمنة الفتح إلى العراق، وسكنوا في ما بعد مدينة الكوفة. ويقول أحد أبناء مدينة بعلبك: الشيخ قاسم الرفاعي (مؤلف كتاب **بعلبك في التاريخ**، ص ١٥٣) معرّفاً بالأسرة الحيدرية: «آل حيدر نسبة إلى جدهم الأعلى حيدر، من بني أسد القبيلة العربية المشهورة. اشتهرت هذه الأسرة بآل حيدر كما اشتهرت بآل سليمان، وجدهم الأعلى قدم من العراق. والحاج سليمان هو ابن مير حاج من آل حيدر العراقيين. استوطن في البداية قرية النبي عثمان في منطقة بعلبك ثم استقر في بلدة بدنايل، وفيها توفي سنة ١٥٣٠ تقريباً، وبها دفن وقبره معروف فيها...»

ويقول الدكتور أحمد أبو سعد في كتابه **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات** نقلاً عن بعض المسنين من ابناء هذه العائلة أنهم يردون نسبهم إلى بني أسد، ويجعلونه من نسل علي بن مظاهر الأسدي الذي يقولون إنه أنجب حيدراً، وهذا أنجب المير حاج الذي نزح مع أبيه حيدر إلى بلاد الشام وقطن حلب، وفيها رزق بولدين هما علي وعسيران. وإثر فتنة قامت في حلب قتل حيدر، وفرّ المير حاج مع ولديه إلى مطرفة ببلاد بعلبك قرب اللبوة وبنى فيها بيتاً، وبعدئذ ماتت زوجته، فاقترن بسيدة من آل زعيتر، وحينئذ نزح عنه ولداه علي وعسيران.

أما علي فذهب إلى قرية لالا في البقاع، وقطن هناك وتزوج من القرية نفسها ورزقه الله سليمان، وحيدر. سليمان سكن مع والده علي، وحيدر نزح إلى الشويفات، وسكن فيها وتزوج منها، وسلالته فيها باقية حتى اليوم باسم حيدر، وهي على مذهب التوحيد. أما عسيران فقد ذهب إلى جهات صيدا، وتملك وأعقب العائلة المعروفة باسمه. وأما المير حاج فقد أنجب بعد زواجه أربعة ذكور هم: أحمد ومحمد وفدعا وسليمان. غير أن المير حاج ما لبث أن قتل بمسعى الأمير موسى الحرفوشي وأسر أولاده، وما لبثوا أن قتلوا باستثناء سليمان الذي افتدته أمّه بما كانت تملكه يداها من مال يومئذ، وذهبت إلى بلدتها أفقا، حيث تربى برعاية أخواله ورعايتها. وحين بلغ رشده أخبرته امه بما

فعل موسى الحرفوشي بوالديه وأخوته، فارتحل إلى بلاد بعلبك يضمر الثأر، وسكن الحدث، وما لبث أن ذاع صيته. وعلم الشهابيون أنه يحسن الفرنسية، فقربوه منهم وأحبّوه وأسكنوه بيت الدين. وبعد غضب الحكومة العثمانية على الأمير موسى الحرفوشي وفراره إلى جبل لبنان رجع سليمان إلى الحدث وتزوج فتاة منها، وأنجب أولاداً تكونت منهم عائلة سليمان حيدر التي توزّعت في البقاع بين بعلبك وبدنايل واللبوة، وأنبتت عدة فروع منها: أبو حسين، وحيدر، ويونس، وسليمان، وأبو ملحم واسماعيل، وقد تولى أبناؤها مراكز كبيرة في لبنان وسوريا والعراق. وكان منهم الوزراء والسفراء والنواب والمدراء العامون، ورؤساء الشورى، والزعيم والضابط، والاطباء والصحافيون والقضاة والمحامون والشعراء وغيرهم.

وفي مرجع آخر ذكره المؤرخ يحيى حسين عمار في كتابه **الفصول والأنساب** (الجزء الثاني ص ٧٠) نقلاً عن كتاب **أعلام آل حيدر** لمؤلفه الحاج محمد رشيد حيدر: «أن آل حيدر يرجعون في جذورهم إلى جد واحد هو «حيدر بن علي بن مظاهر الأول سيد بني أسد، وكان لمظاهر هذا ثلاثة أبناء هم حبيب وزيد وعلي. وكان لعلي ابنه حيدر، ولحيدر ابنه مير حاج، ولمير حاج ولدان هما علي وعسيران».

واقعة كربلاء

ويضيف: «إن من قدامى جدودهم من استشهد إلى جانب الإمام الحسين بن علي في واقعة كربلاء الشهيرة سنة ٦١ للهجرة - ٦٨١ ميلادية. ولما تسلم العباسيون الحكم بعد قضائهم على الأمويين، اعتقد بعض الناس من العرب بعامة، ومن أهل البيت بخاصة أن معاملتهم لأهل البيت ستكون أفضل بكثير مما كانت عليه زمن الأمويين، ولكن جاء من العباسيين ما فاق الأمويين بظلمه لآل البيت، وبخاصة الخليفة المتوكل على الله العباسي الذي قيل فيه إنه اتخذ من دون الله وكيلاً.

والواضح أنه في تلك الأيام ارتحل الجد حيدر عن العراق، واستقر به وبمن معه المقام في جهات مدينة حلب. واستمر وجود الجماعة في تلك الناحية من سوريا حتى بدء العهد العثماني، وقد اضطهد العثمانيون جميع الجماعات المتشيعة كما هو معلوم. وقتل في هذه الأثناء الجد حيدر، فنزح ابنه مير حاج مع ابنيه علي وعسيران باتجاه لبنان، وسكنوا البلاد البعلبكية في قرية تدعى مطرفة قريبة من بلدة اللبوة. ثم توفيت زوجة الأب مير حاج، فتزوج من جديد من بيت زعيتر. عندها نزح ولداه عن محل إقامتهم، فراح علي إلى بلدة لالا البقاعية وسكنها، وراح عسيران باتجاه الجنوب اللبناني».

رجالات ونشاطات

وفي تقديم لكتاب **سليم حيدر. حياته وشعره** للدكتور همذان سليمان، يقول عن هذه الأسرة: «من بدنايل انطلقت هذه الأسرة إلى بعلبك، ثم إلى اللبوة فابتنت البيوت واقتنت الأملاك حتى

أصبحت تلك البلدات الثلاث ومحيطها مركز نفوذ لها. ولقد امتازت هذه الأسرة بالعدد الوافر من رجالاتها الذين نشطوا في العمل السياسي، وكان لكل منهم دور بارز على صعيد إنشاء الاحزاب والجمعيات التي ولدت في مطلع القرن العشرين ضد الحكم التركي ومحاولته تتريك الشعوب العربية. فأنشئت الجمعيات السرية التي تعمل سراً ضد حزب الاتحاديين الحاكم. وشارك مثقفو بعلبك في الأحزاب والجمعيات فكان (المنتدى الادبي) سنة ١٩٠٩، أسسته الجالية العربية في استانبول ومن أشهر مؤسسيه عبد الكريم الخليل ويوسف مخيير حيدر (من بعلبك) ورفيق سلام وجميل الحسيني وسيف الدين الخطيب... وأقام ندرة المطران في العاصمة التركية بغية العمل عن كثب في تحقيق مطالب العرب عامة والبعلبكيين خاصة. وكان يسانده الدكتور حسين حيدر، أما صالح بن أسعد حيدر فكان عضواً عاملاً في بعلبك للجمعية اللامركزية يتحرك بالخفاء لتأييد مطالب الجمعية، ومساندة أبناء العرب».

ضد الأتراك

ولم يقتصر دور الحيادرة على «المنتدى الأدبي» في استانبول و(الجمعية اللامركزية) في بعلبك، بل كان لهم دور في تأسيس «جمعية العربية الفتاة» في باريس. وكان لتلك الاعمال التي قام بها الوطنيون من خلال جمعياتها السرية ردة فعل عنيفة قام بها الاتراك خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وكان للحيدريين نصيبهم الوافر من الإعدام والتجنيد الإجباري والنفي.

والاولى بنا أن نترك ابن بعلبك ميخائيل ألوف الذي عايش تلك الأحداث يروي لنا مشاهداته حيث قال: «... ثم ألقت (السلطات التركية) القبض على أسعد بك حيدر وشقيقه الدكتور حسين وعلى ابنه صالح بك رئيس بلدية بعلبك، وساقتهم إلى الديوان العربي بعاليه في ٢٣ تموز ١٩١٥ فحوكموا، وفي ٢٤ آب ١٩١٥ نفذ حكم الإعدام صلباً بصالح بك مع بضعة رفاق له في بيروت، ونفي والده وعمه إلى ازمير... وفي شهر آذار من سنة ١٩١٦ أعيد أسعد بك والدكتور حسين من منفاهما، وقبض على نسيبهم يوسف بك مخيير وأنسبائه، وأرسلوا إلى الديوان العرفي للتحقيق أيضاً على علاقاتهم مع الجمعيات العربية، ثم نفوا في شهر نيسان مع من ينتسب إليهم إلى مدن متفرقة في الاناضول». ولم يقتصر النضال السياسي الحيدري على الاحزاب والجمعيات، بل تعداه إلى المقاومة المسلحة والجهاد ضد ظلم الأتراك حيث يضيف ألوف **في تاريخه**:

«أما شبان آل حيدر فلم يرضخوا لأوامر جمال فحملوا السلاح واعتصموا بالجبال، وقاوموا العساكر التي كانت تطاردهم. وكانت بين الفريقين معركتان. الأولى في معركة اللبوة في ١٥ أيلول ١٩١٦ وقتل فيها من العساكر اثنان ونجا الشبان، ولكنهم انتقلوا إلى الجبل الغربي، فلحق بهم العسكر فوق قرية بدنايل في شهر تشرين الثاني ١٩١٦ وكانوا في معقل منيع، فأردوا من العسكر عشرة وقتل واحد منهم».

ضد الفرنسيين

إذا كان آل حيدر ـ والكلام للدكتور همذان ـ قد وقفوا من الأتراك موقف المدافع عن العروبة ضد سياسة التتريك، وموقف المظلومين من الظالمين، فإنهم وقفوا من الفرنسيين موقفاً مماثلاً، ولكن بدوافع قومية ودينية وتحررية، وهذه العناصر مجتمعة دفعت بهم لخوض النضال ضد الفرنسيين على مستويات ثلاثة: سياسية وعسكرية وإعلامية.

المستوى السياسي

كان العرب قد خاضوا الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء ضد تركيا لقاء منحهم الاستقلال تحت سلطة الشريف حسين. وفي مؤتمر السلام مثل العرب الأمير فيصل ورستم حيدر. وخطب رستم حيدر أمام المؤتمرين، وفصل الدور الذي أداه العرب في الحرب، وذكر بالتضحيات التي قدّموها طلباً للاستقلال، وأبدى دهشته واستياءه من اتفاقية سايكس ـ بيكو.

وتحت عنوان «**العائلات القيادية في البقاع**»، تحدث الدكتور مهيب حمادة عن تلاحم عائلة حيدر مع الوطنيين السوريين فقال: «وكانت هذه العائلة تمثل حلقة اتصال بين البقاعيين والوطنيين السوريين أخذت تبرز في البقاع بعد زوال سلطة الأمراء الحرافشة عام ١٨٦٤ وكانت تتمتع بصفات لم نجد بعضها عند العائلات الأخرى. فهي العائلة الأكثر عدداً وثقافة من غيرها. وكانت العائلة البقاعية الوحيدة الممثلة في قيادة الحركة الوطنية السورية» (راجع: **تاريخ علاقة البقاعيين بالسوريين** الجزء الأول (١٩١٨ ـ ١٩٣٦) ص ١٤٧).

وكان سعيد حيدر يقود التيار القومي في دمشق، ويجاهر بالنضال السياسي والعسكري ضد المستعمر الفرنسي. وقد حكمت عليه السلطات الفرنسية بالنفي والسجن والإعدام. وعن ذلك يحدثنا السيد حسن الامين في مذكراته **من الطفولة إلى الصبا** (٧٤ ـ ٧٥) فيقول: «وكانت المرة الأولى التي حكم فيها سعيد حيدر بالإعدام هي إثر دخول الفرنسيين دمشق، فاضطر للفرار، ثم شمله العفو العام الذي أعلنه الفرنسيون، فعاد إلى دمشق، فلم يلبث أن حكم بالسجن في أرواد: ثم عاد إلى دمشق، فلم يلبث أن كان النافخ في شرارة الثورة السورية لتتأجج ضراماً عارماً فيحكم بالإعدام من جديد».

وفيما كان رستم حيدر يفاوض في مؤتمر السلام من أجل الحقوق العربية، وسعيد حيدر يناضل في دمشق من أجل تلك الحقوق كان أنسباؤهما في بعلبك يتعرضون لإرهاب الفرنسيين. وقد جاء في **تاريخ بعلبك** لمؤلفه حسن نصر اللـه ـ الجزء الأول ص ٣٦٣ ما يؤكد ذلك: «... وفي اليوم الثاني ١٧ كانون الأول سنة ١٩١٨، احتلت القوات الفرنسية بعلبك فعزلت قائمقام المدينة أسعد حيدر، وعينت مكانه صبحي حيدر، وفي عملية إرهابية نصب الفرنسيون مدافعهم أمام منازل وجهاء بعلبك أسعد حيدر وسعيد سليمان حيدر».

المستوى العسكري

«عندما اندلعت الثورة السورية ضد الفرنسيين سنة ١٩٢٥ مثل بعلبك فيها زعيم ثوارها توفيق هولو حيدر الذي ذكره الشهبندر **في مذكراته** أكثر من مرة وعده من «فحول الثورة». وفي محاولة لمد جذور الثورة إلى لبنان وتوسيع رقعتها فضل توفيق هولو حيدر إعلان العصيان في وادي البقاع لتحقيق الأهداف التالية:

١ ـ إشغال القوات الفرنسية في مناطق متعددة، وتحقيق الحشود الفرنسية الضاغطة على جبل الدروز وغوطة دمشق.

٢ ـ قطع طريق الإمدادات التي تتم عبر محطة رياق ـ الزبداني ـ دمشق.

٣ ـ هدف قومي إعلامي يروم التأكيد للفرنسيين وللعالم بأن الشعب العربي في بلاد الشام كلها يرفض الانتداب الفرنسي» (حسن نصر اللـه **تاريخ بعلبك** ص ٣٦٧).

وقد خاض توفيق هولو حيدر معارك متعددة ضد الفرنسيين على رأس مجموعات من أنسبائه، وتذكر منطقة بعلبك منها «موقعتي وادي سباط بتاريخ ١٩ أيار ١٩٢٦ وموقعة اللبوة في ١٣ حزيران ١٩٢٦ وموقعة الجباب في ١٩ أيلول ١٩٢٦.

قبل تلك المعارك وأثناءها وبعدها كانت سلطات الانتداب تنكل بزعماء الحيادرة وهم: سعيد باشا حيدر (وضع في الإقامة الجبرية في منزله مع فرض ضريبة عليه بـ ١٠٠ ليرة ذهب بصفته زعيم عائلته) وأودع السجن كل من أسد مرتضى، أحمد حيدر حمد حيدر، محمد مرتضى، محمد أسعد حيدر، رستم حيدر، ابراهيم حيدر».

ولم يطلق سراح المعتقلين إلا بعد أن دفعوا ما فرض عليهم رغم جميع الاحتجاجات، وبخاصة الاحتجاج الذي بعث به صبحي حيدر الذي كان نائباً على البقاع إلى حاكم لبنان فندنبرغ، وكان رد المفوض السامي عليه: «إن عائلة حيدر يجب أن تدفع أكثر من ٦٥ بندقية من أصل ٢٠٠ بندقية مطلوبة من بعلبك لإمكاناتها ومسؤولياتها الكبيرة... وإن والده سعيد باشا كان من أكبر المحرضين ضد السلطة المنتدبة، ولم يعامل بالمثل نظراً لمكانته الاجتماعية وكبر سنه.. وإنه ليس كثيراً على عائلة حيدر الغنية أن تدفع ألف ليرة ذهباً، هذه العائلة التي يجب أن تكون مسؤولة عن أعمالها التحريضية ويجب أن تدفع أكثر من ذلك» (مهيب حمادة ـ ص ١٨٤ ـ **أرشيف وزارة الحربية الفرنسية** في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٤).

المستوى الإعلامي

لم يقتصر دور الحيادرة على المؤتمرات الدولية السياسية، وعلى قيادة المعارك ضد المستعمرين، بل كان لهم دور بارز في توعية الجماهير من خلال الصحافة التي كان مفعول كلماتها لا يقل عن فعل الرصاص. فقد أصدر سعيد حيدر وشقيقه يوسف وابن عمه نجيب حيدر **المفيد** في دمشق وعن دور هذه الصحيفة يحدثنا من عاصرها وقرأها باستمرار السيد حسن الأمين فيقول: «ثم

كان أن بدأ العمل المنظم، فأصدر أبرز معتقلي أرواد سعيد حيدر بالاتفاق مع شقيقه يوسف حيدر جريدة **المفيد**، فكانت هذه الجريدة الصوت الوطني المتعالي، والتف حولها شيوخ الكفاح وكهوله وشبانه فكانت لسانهم الناطق، بل كانت مدرسة الوطنية الناجحة لقد كانت مقالات سعيد حيدر نبراساً وهاجاً ينير السبل أمام التائهين، وكان قلمه المحرك للـهمم المثير للعزائم».

كذلك انبرى المحامي لطفي حيدر لإنشاء صحيفة **الأضاحي** في بعلبك، وكانت مقالاتها تندد بالانتداب، وتدعو إلى الوحدة العربية الكبرى، وقد تعرض صاحبها للسجن مرات عديدة. وقد ذكر ذلك الدكتور حسن نصر الله فقال: «في سنة ١٩١٩ شارك في التصدي للفرنسيين قبل دخولهم بعلبك، واحتج لطفي حيدر على جمع السلاح، فأدخل السجن سنة ١٩٢٤ واعتقل مرة ثانية في ١٤ أيار ١٩٢٦ بتهمة مساعدة الثورة، وبقي سبعة أشهر دون محاكمة، وله قصيدتان بمناسبة سجنه. زاول مهنة الصحافة فكتب في جريدة **المفيد** الدمشقية، وبعدها في مجلة **الميدان**، وفي سنة ١٩٢٧ آب إلى مسقط رأسه بعلبك وأصدر جريدة **الأضاحي**».

ويختم همذان سليمان كلامه بالقول: هذا مختصر للموقع السياسي والعسكري والإعلامي لأسرة آل حيدر في كل من استانبول وبغداد، ودمشق وبعلبك خلال الربع الأول من القرن العشرين. وهذا العرض المختصر والمختصر جداً الذي قدمه الدكتور همذان عن أسرته لا يفي بالغرض المنشود، وهو يعرف ذلك، والأسماء اللامعة التي ألمح إليها وتوقف عندها لا تلغي بالتأكيد أسماء ووجوهاً أخرى أطلقتها هذه العائلة، وكان لها دور طليعي وقيادي في حركات التحرر الوطني، والوحدة، والحرية والديمقراطية على امتداد الوطن العربي، فلم يفرقوا بين قطر وقطر أو بين مدينة ومدينة. فالحيادرة على ما روى العارفون والمهتمون كانوا رواد قضية، ما تخلوا يوماً عن ثوابتهم القومية، وعملوا لها وضحوا في سبيلها، فدخلوا السجون وعاشوا في المنافي، وتأرجحت إحدى جثث شبانهم على أعواد الشرف.

أعلام من آل حيدر

ولكي أكمل الصورة التي بدأ بها همذان، سألجأ بعد الاطلاع على كتاب الحاج محمد رشيد سليمان، أعلام آل حيدر، والمليء بالمعلومات والأرقام فأكتب بإيجاز مطلق سير أبرز هذه الأسماء وألقي بعض الضوء عليها، ماسحاً غبار النسيان الذي تراكم عليها وكاد يطمس معالمها، ومضيفاً إليها بعض الوجوه الجديدة الطالعة من جذور تلك السنديانة العتيقة وأبداً:

الشيخ سليمان بن حمود اسماعيل

من مواليد العام ١٧٥٢: أنجب خمسة عشر ولداً هم: علي، حسين، حسن، يوسف، أحمد (من أم علي) وسعدون، سعيد، سلامة وسليم (من أم سعدون) وتامر وتوفيق وتميم، وكميل، ومحمد (من أم تامر) كان وجيهاً ومحبوباً، وكان بيرق دار في حكومة ابراهيم باشا المصري، ومستشاراً له.

سعيد باشا سليمان بن اسماعيل بن الحاج سليمان (١٨٢٤-١٩٢٨)

نشأ في بعلبك، وتعلم في مدرستها علماً بدائياً ثم دخل الجندية في الجيش العثماني، وتدرج حتى أصبح باش شاويش. حصل على رتبة آغا وبك ووسام الشرف العثماني الذهب. وفي العام ١٨٩٧ أرسلوا له رتبة باشا مع بدلة مقصبة وسيف قبضته من ذهب. ومن ضمنها بليوردي من الباب العالي. وفي العام ١٩٠١ أرسلوا له رتبة مير ميران. وفي العام ١٩٠٤ حضر وفد من الأستانة لتدشين خط الحديد برئاسة طرخان ونزلوا ضيوفاً عليه بعد أن استقبلهم استقبالاً حافلاً. وكان أهالي بعلبك يلجأون إليه لحل مشاكلهم صلحاً. وكان يلتزم الأعشار بدون أن يدفع ديبوستو مثل المتعهدين.

مخيبر بك ابن سعيد باشا سليمان

من مواليد ١٨٦٧ وتوفي عام ١٩٢٩، زاره الملك فيصل في بلدته بدنايل، وكان يرافقه رستم بك حيدر وصبحي بك حيدر ووجوه من آل حمادة والحزب القومي العربي من الشام.

صبحي بك حيدر

من مواليد ١٨٨٢. هو ابن سعيد باشا سليمان حيدر. درس علومه الابتدائية في بعلبك ودمشق والثانوية في المكتب السلطاني في بيروت وأتمها في الأستانة وتخرج من المدرسة الملكية، وشهادتها تعادل شهادة الحقوق، وبالاستناد إليها راح يمارس مهنة المحاماة. عين اثر تخرجه معاون والي دمشق ثم نقل لقائمقامية البقاع ومركزها معلقة زحلة. وعاد بعد ذلك إلى وظيفته في دمشق، دخل في كثير من الجمعيات الناهضة للحكم التركي، نفي إلى قضاء الحسكة في دير الزور ومنها إلى أضنه فإلى قضاء عانا في ولاية بغداد. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد إلى بعلبك وعين قائمقام عليها، وكانت إذ ذاك تابعة لسوريا في زمن فيصل الأول، ومنها نقل مفتشاً إدارياً لحكومة دمشق المركزية. وبعد أن ألحق قضاء بعلبك بلبنان عاد الى بعلبك وعين مفتشاً إدارياً في لبنان. في العام ١٩٢٤ انتخب نائباً عن البقاع، وكان عضواً في لجنة الدستور اللبناني عام ١٩٢٦. وبعد ذلك عين مديراً عاماً لوزارة التربية الوطنية. وفي العام ١٩٢٩ دعى للاشتراك بالحكم فعين وزيراً للمالية. أعيد وزيراً للمالية في العام ١٩٣١ مع الاحتفاظ بوظيفته السابقة، ومن ثم عين مراقباً عاماً في الدولة عندما شكل مجلس المراقبة. أحيل على التقاعد عام ١٩٤٦. توفاه الله عام ١٩٤٩. ويروى عنه أنه التقى الحاكم كيلا عندما أراد هذا الأخير أن ينتقم من آل حيدر بواسطة الحاكم المنفرد في بعلبك وقال له: «إنت اليوم مطرقة ونحن سندان ولكن إحذر عندما نصبح نحن مطرقة وأنت السندان».



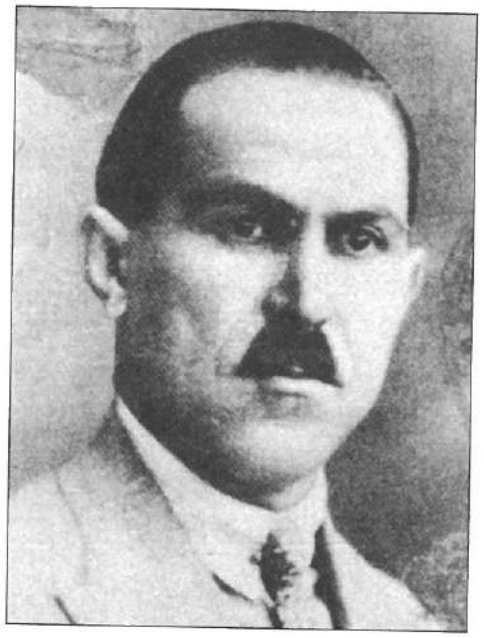
رستم حيدر (الأول من اليسار) مع الملك فيصل في مؤتمر الصلح بباريس

يوسف بك بن مخيبر بن سعيد باشا (١٨٨٨ ـ ١٩٥٤)

ولد في بعلبك ودرس في دمشق وبيروت. وأتم دروسه في الأستانة متخرجاً في مدرسة الحقوق. دخل «الجمعية العربية» وكان من مؤسسي «المنتدى الأدبي». استدعاه ديوان الحرب العرفي بعاليه حيث حكم عليه بالنفي والسجن لمدة ست عشرة سنة. بعد الحرب العالمية الأولى عاد إلى دمشق. ربطته علاقة صداقة مع الرئيس هاشم الأتاسي وابراهيم هنانو وفارس الخوري وسعد الله الجابري وجميل مردم بك، وشهيد سوريا يوسف العظمة. بعد دخول الجيوش الفرنسية دمشق وتشرد رجالات العرب، عاد إلى بعلبك، واستحصل له نسيبه ابراهيم حيدر على عفو خاص. أقام في بعلبك وراح يتعاطى المحاماة، إلى أن عينه رفيقه في الدراسة شارل دباس عضواً في محكمة جنايات بيروت.

فخري بن سعيد باشا سليمان حيدر

ولد في تركيا عام ١٩١٧ إبان نفي والده. تابع تحصيله في مدارس لبنان. وحصل على شهادة الحقوق عام ١٩٤٢، مارس المهنة لفترة قصيرة ثم دخل السلك الخارجي فعين قنصلاً للبنان في العراق عام ١٩٤٩. شغل مناصب دبلوماسية عديدة في العراق وإيران والمملكة العربية السعودية وبلجيكا وغانا وجمهورية مالي حتى نهاية العام ١٩٦٤.



توفيق هولو حيدر: صاحب الانتفاضة المتواصلة ضد الفرنسيين في بلاد بعلبك.

عبد اللـه الباشا سعيد باشا حيدر

مواليد ١٩٢٣. درس في مصر الهندسة الميكانيكية بالإضافة إلى الرياضيات العليا والفيزياء النووية. شاعر، عمل في الصحافة وكان مديراً لعدة صحف في لبنان بالإضافة لبعض الأشغال الهندسية.

سلطان سعيد باشا حيدر

ولد عام ١٩٢٦. درس الطب البيطري في فرنسا وتخصص في علم الإنتاج الحيواني. وحصل على شهادة دكتوراه دولة في التغذية والتحليل من يوغسلافيا. وهو رئيس لجنة الكلية اللبنانية في فرنسا. عضو المجلس الوطني للبحوث العلمية. وأستاذ في الجامعة اللبنانية. عضو في لجان خبراء منطقة الأغذية والزراعة الدولية. مندوب لبنان لمؤتمرات التغذية والزراعة الدولية. وهو مدير المكتب الحيواني في وزارة الزراعة.

ابراهيم آغا حيدر

من مواليد العام ١٨٢٠. كان رجلاً وجيهاً في مدينة بعلبك، وكان يكره الأتراك ويحقد عليهم لأنهم اتفقوا مع الحرافشة وقتلوا أولاد جده الميرحاج. وعندما أتي ابراهيم باشا المصري غازياً سوريا، ساعده ابراهيم آغا وسهل له الدخول. أحبه ابراهيم باشا المصري وقربه منه ولقبه بالديلي ابراهيم، وعينه محافظاً على بعلبك.

أسعد بك حيدر

من مواليد ١٨٥٥. تولى الأحكام مراراً في بعلبك. كان عضواً في الحاكم ثم رئيساً. استدعاه جمال باشا إلى ديوان الحرب العرفي في الشام. وبعد المحاكمة خرج بريئاً. توفي عام ١٩٣١.

صالح بك حيدر

ولد عام ١٨٨٨ وتوفي١٩١٦. هو ابن أسعد بك حيدر. أكمل دروسه الثانوية في الكلية البطريركية في بيروت. دخل الحياة السياسية عند إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨. دخل في «جمعية سوريا الفتاة» و«المنتدى الأدبي» وكان عضواً بارزاً فيهما. خطيب مفوه باللغات الثلاث العربية والتركية والفرنسة. خطبته الوطنية في الكرك ١٩١٥ كانت السبب في القبض عليه وإعدامه مع القافلة من الشهداء الابطال.



سليم حيدر

حسين بن خليل آغا حيدر

ولد في العام ١٨٧٣ وتوفي عام ١٩١٣. نال شهادات عالية في العلوم. اشتغل بالالتزامات الكبيرة في تركيا، وتحت هذا الستار عمل مع العاملين لتوحيد البلاد العربية واستقلالها وخلاصها من النير العثماني، مما حمل جمال باشا على إصدار أمر بإلقاء القبض عليه وتحويله إلى المجلس العرفي حيث حكم عليه بالنفي إلى «شورم» وهناك أسس مستشفى للفقراء.

سعيد بك حيدر

من مواليد ١٨٨٥ تلقى علومه الابتدائية في بعلبك، ونال شهادة الحقوق من الشام، وتوفي فيها عام ١٩٥٧. في أثناء دراسته دخل عدة جمعيات سرية وعلنية هدفها تخليص العرب من النير التركي. نفاه الفرنسيون إلى جزيرة أرواد أكثر من مرة، وحكم بالإعدام من قبل سلطات الانتداب الفرنسي. شارك في تحرير جريدة **المفيد** مع أخيه يوسف حيدر. عين رئيساً في محكمة التمييز، ثم رئيساً لمحكمة الشورى. وشغل منصب أستاذ الحقوق الدستورية في جامعة دمشق. وقد دخل البرلمان السوري وتولى رئاسة لجنة الدستور. كلف بتشكيل وزارة فرفض. توفي عام ١٩٥٧.

يوسف بك حيدر

ولد ١٨٨٠ وتوفي ١٩٥٠. رفيق الملك فيصل الأول ومستشاره كان أديباً وشاعراً. أسس جريدة **المفيد** في الشام. الجريدة التي نهجت نهجاً استقلالياً عربياً.



فريد محمد سليمان حيدر: رئيس الأركان الجوية في سوريا

نجيب بك مهنا حيدر

ولد ١٨٨١ وتوفي ١٩٣٣. درس في بعلبك وبيروت ونال الشهادة الثانوية من سوريا. عمل رئيس قلم السجل العقاري في دمشق. أصبح مدير عام الدائرة العقارية في دمشق. التحق بثورة توفيق هولو حيدر. وفي موقعة اللبوة كانت له اليد الطولى في إرباك الجيش الفرنسي وهزيمته. وكانت له جريدة **الأضاحي** في الشام.

عبد الله نجيب حيدر

ولد في ١٥ أيلول ١٩١٣. نال إجازة في الحقوق عام ١٩٤٧. استقال من وظيفته في الأمن العام ليعين أستاذاً للحقوق التجارية والاقتصاد السياسي بالكلية العلمانية الفرنسية. مارس المحاماة لمدة خمسين عاماً كاملة، وأهدي وسام نقابة المحامين المخصص لذلك.

محمد رستم حيدر

ولد في العام ١٨٨٩. نال شهادة الحقوق من جامعة «فروق» في الأستانة ١٩٠٩. أسس مع عوني عبد الهادي وأحمد قدري «جمعية الفتاة» السرية لبث الروح القومية. أتمّ دراسته العالية في العلوم السياسية في جامعة السوربون في باريس وتخرج عام ١٩١٢. انتدب لتأسيس المكتب السلطاني في دمشق وإدارته. التحق بالجيش الحجازي وأصبح سكرتيراً للأمير فيصل بن الحسين. حضر مؤتمر «فرساي» مندوباً عن الشريف حسين. بقي في باريس ثلاث سنوات مرافقاً للملك فيصل بعد سقوط دمشق بيد الفرنسيين، وقدم معه إلى العراق. في العام ١٩٢٠ عين رئيساً للديوان الملكي بعد تأسيس الدولة العراقية برئاسة الملك فيصل الأول. في العام ١٩٣٠ عين وزيراً للمالية وعضواً بمجلس الأعيان. في العام ١٩٣١ أصدر قانون العملة العراقية لتحل محل العملة الهندية. في العام ١٩٣٤ رأس الديوان الملكي في عهد الملك غازي. اعتدى عليه حسين فوزي وهو في مكتبه في وزارة المال في بغداد، وبعد أربعة أيام توفي متأثراً بجراحه في ١٩٤٠/١/٢٢.

جودت رستم حيدر

شقيق محمد رستم حيدر. ولد في العام ١٩٠٥ في بعلبك. تلقى دروسه الابتدائية في الأناضول. كان والده نفي إليها في العام ١٩١٤ بسبب مواقفه السياسية في العام ١٩٢٤ حصل على الثانوية من الجامعة الاميركية. ربطته صداقات متينة بأهم شعراء الغرب. أطلق عليه لقب: شكسبير العرب. في العام ١٩٢٥ سافر إلى فرنسا ودرس في كلية الزراعة، ومنها انتقل إلى الولايات المتحدة الأميركية وتخصص في مجال التربية. في العام ١٩٢٨ عين مديراً للجامعة الوطنية في عاليه. في العام ١٩٣٠ عين مديراً لكلية النجاح في نابلس. في العام ١٩٣١ ذهب إلى العراق وقابل شقيقه محمد رستم، وأبدى رغبته في العمل في شركة نفط العراق (IPC) تقاعد في العام ١٩٦٠ وانصرف إلى التأليف. كتب الشعر باللغة الإنكليزية، من مؤلفاته: **أصوات**. ديوانه الاول بالإنكليزية ١٩٨٠ **أصداء و ظلال**. توفي في ٤/٢/٢٠٠٦.

ابراهيم بك ابن أسعد بك حيدر

ولد في ١٨٨٧، وهو المسمى «جبار البقاع»، تخرج في الشام مهندساً زراعياً. حمل أعباء رئاسة العائلة عن والده. وكان من أعضاء مؤتمر الطلاب العرب في باريس. في العام ١٩١٤ بعدما ألقي القبض على زعماء الحيادرة، فرّ هارباً، والتحق مع القائد توفيق بك هولو حيدر. ولما حل الانتداب الفرنسي تسلم مراكز كبيرة فيه، فعين في المجلس التمثيلي. وفي العام ١٩٢٢ عين ناظراً للزراعة. ودخل سنة ١٩٢٦ مجلس الشيوخ، ثم عين نائباً عن بعلبك عامي ١٩٢٤و ١٩٢٩. وفي ١٩٤٣ عين نائباً، ووزيراً للصحة والبرق والبريد وله مواقف تذكر.

توفيق بك هولو حيدر

من مواليد اللبوة (١٨٩٥ ـ ١٩٨٠) قضاء بعلبك ـ الهرمل. شارك في النضال العربي إلى جانب خاله الدكتور حسين حيدر في اسطمبول ضمن إطار «المنتدى الادبي». حوكم غيابياً وحكم بالإعدام عشر مرات: ٣ مرات في تركيا (فهرب من اسطمبول إلى بلغاريا) و٧ مرات في اثناء ثورة العام ١٩٢٥ السورية وانتفاضته المتواصلة ضد الفرنسيين في جرود البقاع. شارك في الثورة أيام الحكم الفيصلي، وبعد ذلك في ثورة جبل الدروز في ربيع العام ١٩٢٦ من أهم معاركه: معركة اللبوة ومعركة «الجباب». في العام ١٩٣٦ منعته السلطات المصرية، وكان مقيماً فيها، من المشاركة في حرب فلسطين وفرضت عليه الإقامة الجبرية. عين قائمقام على بعلبك ـ الهرمل. وظل يشغل هذا المنصب حتى العام ١٩٥٧ ثم عزل بسبب حدة معارضته للرئيس كميل شمعون.

سليم حيدر

من مواليد العام ١٩١١. والده: نجيب حيدر. متزوج وله ثلاثة أولاد ذكور منهم الدكتور حيان حيدر. تلقى دروسه الأولى في مدينة بعلبك والمتوسطة في الجامعة الوطنية في عاليه. والبكالوريا في معهد اللاييك في بيروت. في العام ١٩٣١ سافر إلى باريس لمتابعة الدروس في السوربون وعاد منها في العام ١٩٣٧ حاملاً الشهادات التالية: إجازة في الحقوق ١٩٣٤، إجازة في الآداب ١٩٣٥، دبلوم في العلم الجنائي ١٩٣٦، دبلوم في العلوم السياسية، دكتوراه في الحقوق (في ١٥ أيار ١٩٣٧) عين قاضياً منفرداً في بعبدا بين ١٩٣٨ـ١٩٤٣، أصبح رئيساً لمحكمة الجنح في بيروت في عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦، ومستشاراً في الاستئناف. عين سفيراً فوق العادة في إيران وافغانستان والمغرب والاتحاد السوفياتي. عين وزيراً للتربية والصحة والبرق والبريد والهاتف في حكومة خالد شهاب من ٣٠ أيلول ١٩٥٢ إلى ٣٠ نيسان ١٩٥٣. انتخب نائباً عن دائرة بعلبك الهرمل في دورتي ١٩٥٣ و١٩٦٨. أعيد تعيينه وزيراً للزراعة والبريد والبرق والهاتف والصحة العامة في حكومة سامي الصلح من ١٦ أيلول ١٩٥٤ حتى ١٩ أيلول ١٩٥٥. في العام ١٩٧٢ ترشح على الانتخابات فلم يحالفه الحظ، فترك السياسة وانصرف إلى المحاماة والأدب والشعر. أتقن من اللغات: العربية والفرنسية والإنكليزية وألم بالفارسية والروسية والألمانية. مؤلفاته الشعرية المنشورة: **آفاق** ١٩٤٦، **العدالة** (معلقة) ١٩٤٦، **السنة الزمان** (مسرحية شعرية ١٩٥٦) **يا نافخ الثورة البيضاء** (١٩٧١) قصيدتان للرئيس جمال عبد الناصر ـ **الخليقة** (ملحمة شعرية فلسفية) مؤلفاته النثرية: **البغاء والاتجار بالنساء والأطفال** (أطروحة دكتوراه كتبها بالفرنسية ١٩٣٧) **مواقف وآراء سياسية** ١٩٦٩، **آراء حول الشعر**. وله عدة محاضرات وندوات ومناظرات في قضايا السياسة والدين والفلسفة والقانون والاجتماع... توفي في ٣/١٠/١٩٨٠.

عدنان حيدر

طبيب جراح من مواليد ١٩١٩ درس الطب في دمشق وتخصص في فرنسا. صاحب مستشفى وطبيب شرعي. نقيب أصحاب المستشفيات الخاصة. عين مديراً للعناية الطبية في وزارة الصحة ١٩٥٣ ومستشاراً في المشروع الأخضر والإنعاش الاجتماعي. انتخب عضواً في الهيئة التنفيذية للمجلس الإسلامي الشيعي الاعلى في ٤ أيلول ١٩٧٥.

خطار حيدر

من مواليد بدنايل ١٩١٠. والده: مصطفى سليمان حيدر. دخل المدرسة الحربية التي أنشأها الفرنسيون في دمشق لإعداد الضباط الذين سيتولون قيادة الوحدات اللبنانية السورية وذلك في

العام ١٩٢٨. عين في الفوج الرابع السوري المتركز في حلب. عاد إلى لبنان وكلف بتدريب الوحدات المقاتلة، وبعد ذلك شكل فوج القناصة الثاني في ثكنة شكري غانم وكلف بقيادة سرية متمركزة في حمانا. ثم قررت القيادة تشكيل الفوج الرابع. وعين المقدم شوكت شقير قائداً له وخطار حيدر معاوناً له. ثم نقل إلى الفوج الأول الذي كان متمركزاً في ثكنة مرجعيون لمراقبة وحماية الحدود من المجيدية إلى الناقورة في ١٤ أيار ١٩٤٨ وعلى أثر نكبة فلسطين، قاد قوات الفوج الأول من الناقورة باتجاه الأراضي المحتلة لمحاربة الصهاينة. وجرت المعارك في المالكية حيث تقدم الجيش اللبناني. أسندت إليه مديرية الأشغال الهندسية في الجيش، وعضوية المحكمة العسكرية لمحاكمة القوميين السوريين بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قاموا بها في نهاية العام ١٩٦١. في العام ١٩٨٨، انتخب رئيساً لرابطة المحاربين القدامى. كانت له مساهمة في دعم حكومة الاستقلال التي اعتقلها الفرنسيون عام ١٩٤٣.

فريد محمد سليمان حيدر

من مواليد مدينة بعلبك ١٩٢٢. التحق أول الأمر بالجيش الفرنسي، ولكن ما لبث أن تركه وهرب مع رفاق له بعدما اشتدت المطالبة بالاستقلال عن فرنسا في بداية العام ١٩٤٥، وانضوى تحت لواء الجيش العربي السوري في دمشق. خيّر بين البقاء في سوريا أو الرجوع إلى لبنان بعد الاستقلال، فاختار البقاء في سوريا لأنه رأى أن سوريا ستكون الأسبق في بناء سلاح الجو. دخل بعدها الكلية الحربية في حمص وتخرج منها برتبة ملازم ثان طيار. وبعدها التحق بالكلية الجوية في حلب كملازم أول طيار. وكان لقبه النسر السوري الأول. تدرّج في سلك الطيران من مدرب إلى قائد سرب النقل فقائد سرب القتال ثم قائد المجموعة الجوية الأولى. علم معظم الطيارين السوريين الطيران ومنهم الرئيس حافظ الأسد لكونه مدير المعهد الجوي، فقائد اللواء الجوي الأول. تابع دورة أركان حرب، فجاء ترتيبه الأول، وحاز على شهادتها بدرجة الشرف وتسلم بعدها رئاسة أركان القوات الجوية والدفاع الجوي في الجمهورية العربية السورية. توفي في تموز ٢٠٠٢. من أشقائه الشاعر والمحامي حسين حيدر.

حسين حيدر

محام وشاعر. من مواليد العام ١٩٣٤ في بعلبك. نال شهادة الحقوق في الخمسينات من الجامعة السورية، ومن الجامعة اليسوعية في بيروت. مارس مهنة المحاماة منذ العام ١٩٥٩. شارك في تأسيس حزب البعث العربي في لبنان. كما شارك في مشروع توحيد القوى الناصرية على الساحة اللبنانية. وانضوى في حركة الناصريين المستقلين «المرابطون»، وأسهم في أعمال الحركة الوطنية اللبنانية والمجلس المركزي للأحزاب والقوى الوطنية برئاسة

كمال جنبلاط. هو صاحب نشيد «لن أساوم سأقاوم»، وترجم هذا النشيد إلى السويدية والفرنسية والإنكليزية. تولى المرافعة عن اليابانيين الخمسة أبطال عملية اللد الشهيرة. من مؤلفاته: **سبع زنابق على ضريح عبد الناصر، ولن أساوم سأقاوم وكلمات للريح والأرض** (المجموعة الكاملة في مجلدين أصدرتهما المؤسسة العربية للدراسات والنشر). توفي في ٢٠٠٨/١٠/٢٧.

عبد الكريم أسعد أحمد حيدر

(١٩١٠ ـ) التحق بالجيش الأردني. سافر إلى إنكلترا للتخصص في ميكانيك الدبابات وشارك في حرب فلسطين. شغل منصب قائد لواء المشاة الثاني، ثم قائد مشاة اللواء الهاشمي، ثم عين ضابطاً فنياً أعلى في الجيش العربي الأردني. في العام ١٩٥٦ دخل الأركان ولكنه لم يكمل الدورة حيث اتهم بالمؤامرة على نظام الحكم هناك عام ١٩٥٩، فألقي القبض عليه ووضع في الانفراد مدة سنة حتى أفرج عنه ووضع في الإقامة الجبرية، ولكنه فر إلى لبنان ورجع إلى قريته بدنايل.

عاكف زكي سليمان حيدر

والده زكي والدته صفوت سعيد باشا حيدر. درس الهندسة الميكانيكية في باريس ونال شهادتها، وانخرط في الجيش اللبناني ونال رتبة عقيد. استقال من المؤسسة العسكرية عام ١٩٧٤ لأسباب خاصة. انتمى إلى حركة «أمل»، ورأس مكتبها السياسي ثم أصبح نائباً لرئيسها ثم استقال من الحركة بسبب خلاف وقع بينه وبين نبيه بري.

طلال حيدر

(شاعر باللغة المحكية) ولد في بعلبك في ١٩٣٧/٨/٢٢ نشأ في بيت إقطاعي والده يملك نصف قرية «مقنه» ثم باعها. والدته ثريا ابنة مصطفى ملحم حيدر. عمه جودت رستم حيدر. حصل ثقافته الفرنسية بجهده الشخصي فأتقنها وأحب لامرتين وراسين واراغون وسواهم. نال إجازة في الفلسفة من الجامعة اللبنانية. درس في مدرسة «اللبوة». أطلق على نفسه «زوربا الشرق» شارك في موسم «أصيلة» في المغرب العربي. في أثناء الحرب الأهلية سافر إلى باريس وأمضى فيها مدة سنتين. وعمل في مجلة **المنبر**. أعجب بأفكار انطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي، ولكنه لم يلتزم ولا بأفكار أي حزب آخر. كتب الشعر باللغة المحكية. من مؤلفاته: **بياع الزمان** (١٩٧٢) **آن الأوان** (١٩٩١) **أوراق المطر، خيال برج الأسد** وله أعمال أخرى لحنها الفنان مارسيل خليفة.

رامز حيدر

(شاعر باللغة العامة) من مؤلفاته: **رندى** (١٩٥٥)، **حبات عنقود** (خواطر) ١٩٦٤، **المختصر في تاريخ آل حيدر** (١٩٦٤) **رباعيات أبي نواس** (١٩٦٥) **كمشة تراب** (شعر) ١٩٩٤. وهو شقيق لطلال.

زاهد نافذ حيدر

درس في الليسيه الفرنسية وفي كلية الحقوق الفرنسية في باريس. عمل قاضياً ثم عين رئيس غرفة في محكمة استئناف بيروت في العام ١٩٦٥ عمل محامياً عاماً في محكمة التمييز وأستاذاً في كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية.

عصام حيدر

ولد في بعلبك في ١٥ آب ١٩٣٢. والده زكي حيدر والدته: صفوت حيدر. درس في السوربون (فرنسا) وحاز الإجازة في علم النفس والآداب. وإجازة في القانون. تولى التدريس في مدرسة الآداب العليا. كان المدير المؤسس لمديرية الشباب والرياضة. سفير لبنان في السنغال (١٩٧١ ـ ١٩٧٥) مدير الدائرة الاقتصادية في وزارة الخارجية (١٩٧٥ ـ ١٩٧٧) أستاذ مادة الدبلوماسية في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية. كتب عدة مسرحيات باللغتين العربية والفرنسية. منها: **سعاد الدنانير، الجلاد**. عين رئيساً للمجلس الأعلى للجمارك في ١٩٩٣/٥/٢٠. أحيل على التقاعد في تموز ١٩٩٦. وحاز أوسمة لأمانته الوظيفية.

لطفي حيدر

ولد في العام ١٨٩٨ في بعلبك. أتم دراسته الثانوية في المكتب السلطاني في دمشق. ولكنه طرد من المعهد لاتجاهاته الوطنية. نال شهادة الحقوق من الجامعة السورية في مطلع الثلاثينات. مارس الصحافة فكان محرراً في جريدة **الميدان** وجريدة **المفيد** وفي ٢١ تموز ١٩٢٧ أصدر جريدة **الأضاحي** أسبوعية سياسية واستمرت تصدر حتى العام ١٩٣١. مارس المحاماة إلى جانب الصحافة. عين قائمقام على الشوف ومفتشاً عاماً في وزارة الداخلية ومديراً لوزارة الأنباء، ومديراً لمصلحة الإنعاش الاجتماعي. أحيل على التقاعد عام ١٩٦٤. عرف بنضاله ضد الأتراك، فنفي مع الكثيرين من أبناء عائلته من بعلبك إلى الأناضول. وقف في وجه الانتداب الفرنسي وسجن عام ١٩٢٤. دخل السجن مرة ثانية عام ١٩٢٦ بتهمة مساندة توفيق هولو حيدر. في العام ١٩٣٠ عهد إليه سلطان باشا الأطرش بتمثيله في المؤتمر الكبير الذي عقدته الجاليات والنوادي العربية

في الولايات المتحدة الأميركية. مؤلفاته: **عمر أفندي** (١٩٣٧) **محاولات في فهم الأدب** (١٩٤٣) **فيلم صغير** (١٩٦٤).

مصطفى حيدر

من مواليد العام ١٩٤٢ في بعلبك ومقيم في صور. خريج الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة ١٩٦٣. شارك في بينال الإسكندرية في العام ١٩٧٢ عرض في الولايات المتحدة الأميركية. في العام ١٩٧٨ عرض في فرنسا أقام العديد من المعارض داخل لبنان. درس في معهد الفنون الجامعة اللبنانية من العام ١٩٦٨ حتى العام ١٩٨٨.

صفوان حيدر

شاعر من مواليد بعلبك. نال في العام ١٩٧٤ إجازة في اللغة العربية ودبلوم الكفاءة عام ١٩٧٥. عمل أستاذاً من ١٩٧٦/٣/١٠ حتى العام ١٩٩٥. تابع دراساته في الفلسفة والآداب المقارنة والعلوم الإسلامية في برلين (١٩٧٦ ـ ١٩٨٢) درس في ثانوية صيدا وفي بعلبك. تنقل بين قب الياس وتعلبايا وبدنايل بين ١٩٧٧ و١٩٨٢، ونقل إلى مدرسة رمل الظريف (رتبة مفوض) من (١٩٦٦ حتى العام ١٩٨٨) حصل بين ١٩٧٧/١/٧ و١٩٨٢/٤/٢ على استيداع من التعليم الثانوي. سمح له بالسفر إلى ألمانيا وإنكلترا حيث تابع دراساته. عاد إلى بيروت قبل الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢. نشر شعره في **السفير والحياة والنهار والبناء**. له ديوان شعر. نقل إلى العربية مؤلفات بوخز وغونتر غراس وريلكه وبريشت.

بقيت أسماء كثيرة لامعة من آل حيدر لم أستطع الحصول على سير لها منهم الدكتور زيد حيدر، عضو القيادة القومية في حزب البعث، والدكتور هاشم حيدر، رئيس الجامعة اللبنانية السابق، والمهندس الدكتور حيان حيدر ابن الدكتور سليم حيدر، والدكتور وائل حيدر، والمحامي هشام حيدر والمحامي الدكتور هاني سليمان حيدر، وشقيقه الدكتور همذان الأستاذ الجامعي، والدكتور هيثم حيدر.

وتحمل اسم حيدر أسر شيعية أخرى لا ترتبط بهذه العائلة بصلات القربى، وهي موزعة في قرى بدياس وجون وجويا والحصين والخيام وبرامية وزفتا وزيتون والطيبة ودير حرفا وعرب صاليم وعرمتى وقاقعية الجسر والقصيبة وكفردان واللويزة ومركبا ويانوح صور ويونين، وهذه الأسر لا نعرف عن أصولها شيئاً سوى أن من يحمل هذا الاسم منها في زفتا يقال إنهم من المشايخ الصعبيين، ومن يحمله في الخيام يقال إن أصلهم من بيت رحال، ومن يحمله في الحصين تروي بعض المراجع أن أصل أبنائه من مشايخ آل حمادة، وعرفوا ببني حيدر نسبة إلى جدهم الذي كان يدعى حيدر، ومن هذه الأسرة تفرع بنو ناصيف وأبو محمد ومرعي وقبلان وأحمد.

أما الموحدون الدروز من آل حيدر فقد سبق القول إنهم من أسرة حيدر البعلبكية، كما روى أبناء هذه الأسرة، وأشهر من عرف منهم المفوض العام الممتاز أمين حيدر وأديب حيدر.

وأما المسيحيون من آل حيدر فلا نعرف شيئاً عن أصولهم، وأشهر من عرف منهم الكولونيل صباح حيدر، والقاضي جورج حيدر وهما من تل عباس، والقاضي صباح حيدر وهو من فيع، كما لا نعرف شيئاً عن الأسر الإسلامية السنية التي اتخذت لها اسم الشهرة حيدر، ومعظمها في بلاد عكار.

المراجع

١ - **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب** للقلقشندي، تحقيق ابراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٥٩.

٢ - **معجم أسماء الأشخاص والأسر ولمحات من تاريخ العائلات** لأحمد أبو سعد، دار العلم للملايين، ١٩٩٧.

٣ - يحيى حسين عمار، **الفصول والأنساب**، الجزء الثاني، دار الضحى، ٢٠٠٢.

٤ - **سليم حيدر: حياته وشعره**: الدكتور همذان سليمان، دار خضر، ١٩٩٤.

٥ - **أعلام آل حيدر**، لمؤلفه محمد رشيد حيدر، ١٩٦٠.

٦ - جريدة «**السفير**» - المركز العربي للمعلومات - قسم الشخصيات.

آل الدحداح

هي أسرة لبنانية مارونية من العرب الأقحاح لعبت دوراً هاماً في عهد الإمارة اللبنانية، وخاصة في عهد الأمير بشير الكبير. كما كان لها دور مؤثر في جمع شمل أمراء ومشايخ الدروز والموارنة لفرض حاكم وطني لبناني بدلاً من الحاكم العثماني المحتل. يقول أحد أبنائها الشيخ إدوار الدحداح صاحب كتاب **سياسة لا وجدان** إن أسرته «من عرب اليمامة تتحدر من أبي الدحداح ثابت بن الدحداح الذي قدم جماعة من أبنائه إلى دمشق على أثر فتوحات خالد بن الوليد، وقد أصابوا نكبة في دمشق فتفرقوا، وجاء بعضهم إلى العاقورة فتنصّروا» ويؤكد هذا القول الخور اسقف يوسف داغر في كتابه **لبنان لمحات في تاريخه وآثاره وأسره** حيث يروي:

«إن آل الدحداح ينتسبون إلى أبي الدحداح ثابت الصحابي الذي ورد ذكره في كتاب **الإصابة في تمييز الصحابة** لابن حجر. واشتهر بنو هذه العشيرة في التاريخ العربي الإسلامي، وورد ذكر بعضهم في تاريخ الفتوحات الإسلامية.. ولما نكل الخليفة معاوية بالقيسيين واستباح دماءهم تشتتوا في أنحاء البلاد، والتجأ بعضهم إلى لبنان. وكانت العاقورة في ذلك الوقت أبعد المناطق عن سلطة الخليفة، وصل إليها قوم عديدون من العرب بينهم بعض أبناء الدحداح.. ولما كان سكان العاقورة في ذلك الوقت من النصارى تنصّر معظم العرب الذين قطنوا فيها، وهكذا تنصّر جد بيت الدحداح.. ولا يزال إلى أيامنا فرع مسلم للعائلة الدحداحية منتشر في أنحاء سوريا».

مع الفتح الإسلامي

وفي مرجع آخر: أنه عندما دخل خالد بن الوليد الإسلام وتولى قيادة الفتح الإسلامي، دخل بلاد الشام فاتحاً برفقة ثابت بن الدحداح. وبقي ثابت فيها حتى وفاته، وكان قد اقتطع لنفسه قسماً من أراضي دمشق. فبقيت تحمل اسمه إلى اليوم، وهي المعروفة بإسم حي الدحداح، ومقبرة الدحداح حيث هو مدفون. وقد روى مؤرخو دمشق ومنهم محمد أديب آل

تقي الدين الحصني في كتابه **منتخبات التواريخ في دمشق** (ص ٣٩٠) نقلاً عمن سبقه من المؤرخين كابن عبد الرزاق، وابن الحوراني فقال: «في **الإشارات** في مقبرة الدحداح شمالي دمشق قبر الصحابي ثابت أبي الدحداح. ونقل قاموس **تاج العروس** حديثاً للنبي محمد عن ثابت حيث قال: «وكم من غصن دواح في الجنة لأبي الدحداح».

في العاقورة

أما المؤرخون الباقون فيضربون صفحاً عن هذا النسب، ويبدأون الحديث عن بني الدحداح منذ أن حلوا في العاقورة، فينسبونهم إلى الخوري جرجس الدحداح صهر غزال القيسي مقدم العاقورة الذي من سلالته نشأ الشيخ يوسف الدحداح مؤسس هذه الأسرة وباني مجدها: وكتب الشيخ سليم الدحداح مقالة في مجلة **المشرق السنة** (الرابعة - العدد ٩ - تاريخ أول أيار ١٩٠١) تحدث فيها عن تاريخ أسرته جاء فيها: نقلاً عن **أخبار الأعيان** أن جد هذه العائلة هو الشيخ جرجس الدحداح، وإنه في سنة ١٣٧٥ توفي المقدم غزال القيسي الماروني مقدم العاقورة بلا عقب فورثته ابنته زوجة جرجس الملقب بالشدياق (وقد وردت هذه العبارة في كتاب **تاريخ الطائفة المارونية** للدويهي، ولم يذكر فيها اسم عائلة الشيخ جرجس). والمقدم غزال هو من بقية المقدمين المردة الذين استمروا في أعالي البلاد محافظين على حرية التصرف تحت سيادة الولاة والحكام. وكانت سوريا ولبنان وقتئذ خاضعتين لسلاطين مصر وبقيتا كذلك حتى سنة ١٥١٥ إذ أزال السلطان سليم الأول العثماني دولة الشراكسة وأخضع سوريا ومصر وألحقها بالماليك.

وفي سنة ١٣٧٥ أي في أيام الشـــيخ جرجـــس كان البطريرك على الموارنة يوحنا الجاجي. وكان الحكم في الفتوح والمنيطرة وبلاد جبيل وبلاد البترون لمشايخ بيت حمادة الشيعيين.

سلسلة من الكهنة

وقد توفي الشيخ جرجس الدحداح تاركاً ولداً ثم صار كاهناً باسم ميخائيل. ومن الغريب أن سلسلة العائلة تذكر الخوري ميخائيل هذا ومن بعده مجموعة كهنة تناسلوا بالتتابع، وكل منهم وحيد لأبويه. فجرجس الدحداح الملقب بالشدياق صهر غزال القيسي ورث عمه سنة ١٣٧٥ وخلفه ابنه الخوري ميخائيل فالخوري يوسف، فالقس أنطوان، فالخوري جرجس بن يوسف، فالشيخ يوسف سنة ١٦٧٥، وهذا لم يصر كاهناً، والخوري أغناطيوس، والعائلة حفظت سلسلة أولاده (الشيخ يوسف) وقد ورث عمه مالك أبا الغيث القيسي سنة ١٧٠٠ وتوفي سنة ١٧٦٢ وقد رزق من ابنة عمه مالك أربعة أولاد هم: إبراهيم وسليمان وموسى ومنصور، ثم رزق من زوجته الثانية ابنه وهبه.

عرمون هي المقرّ

ويتابع الشيخ سليم الكلام عن سيرة العائلة ومسلسل نزوحها وتوطنها أخيراً في عرمون فيقول: «.. ولنعد إلى الشيخ يوسف الدحداح سليل الكهنة السابق ذكرهم، فإنه وقعت عداوة بينه وبين هاشم العاقوري اليمني الذي كان الحماديون يعضدونه فنزح بأبيه وأولاده من العاقورة إلى عشاش (قرية في قضاء زغرتا) ثم انتقلوا إلى طرابلس حيث تعلم هو وولده إبراهيم اللغة التركية. وبعد أن توظف عند الأمير حسين الحرفوشي الشيعي حاكم بعلبك ثم عند الشيخ اسماعيل حمادة الذي وهبه خمس قرى في مقاطعة الفتوح سنة ١٧٠٣، وهي: عين سجاع، وعين الدلبة، وعين جويا، وعين الحصري، وعين الغارة، عاد إلى العاقورة وخرج منها نهائياً سنة ١٧٠٤ ولم يلبث أن ارتحل سنة ١٧٠٥ من لحفد إلى كفور الفتوح ثم إلى عرمون - كسروان واستوطنها لأنه رأى أن السكنى في كسروان هي أكثر أماناً.

توفي الشيخ يوسف سنة ١٧٦٢ في الكفور، ودفن في حجرة خاصة في دير كنيسة عرمون.

أولاد الشيخ يوسف

ويضيف الشيخ سليم الدحداح معرفاً بأولاد الشيخ يوسف المذكور بما يلي: الشيخ ابراهيم درس اللغة التركية مع أبيه وأتقنها واشتهر بذكائه. وقد توفي قبل أبيه تاركاً ثلاثة أولاد ذكور وابنة، وانقرضت ذريته بموت فياض آخر ذكر من نسله في طرابلس سنة ١٨٨٣. والشيخ سليمان بعد أن ساعد أباه مدة حياته في أعمال الفتوح وأمور بيت حمادة توفي طاعناً في السن سنة ١٧٦٤، وهو الذي حضر المجمع اللبناني الماروني الذي انعقد في دير اللويزة سنة ١٧٣٦، والشيخ موسى في عهد أبيه ترك المشايخ الحماديين وتقرب إلى الأمراء الشهابيين، فدخل في معية الأمير منصور الشهابي حاكم معاملة صيدا. وقد انتفع أولاده من ذلك ونالوا الغنى والشهرة ولاسيما ابنه سلوم وحفيده منصور بن سلوم. توفي موسى سنة ١٧٧٨، وهو أعظم أخوته قدراً وأبعدهم شهرة، وأقدرهم سياسة وحكمة. وهو وسلوم ابن أخيه موسى المذكور آنفاً، ومنصور بن سلوم فخر العائلة ورافعو مجد لوائها، والشيخ وهبه الذي توفي في العام ١٨٠٥.

الشيخ منصور الدحداح

هو رابع أولاد الشيخ يوسف العاقوري. كان في حياة أبيه يده اليمنى، وبعد وفاته تولى أمور بيت حمادة. ولكن لما رأى منهم الغدر بعد موت الشيخ اسماعيل وتعذر عليه إصلاحهم، تركهم وسافر إلى قبرص. وفي أثناء غيابه بيعت أملاكه في الفتوح وفاء لكفالته بني حمادة

تجاه والي طرابلس. (والكفالة هذه كانت على الأموال الأميرية المستحقة لوالي طرابلس عن بلاد جبيل ومقاطعاته التي لم يدفعها آل حمادة للوالي) ولما عاد من قبرص تداخل مع الشيخ سعد الخوري مربي أولاد الأمير ملحم، وأقنعه بالعدول عن مزاحمة الأمير منصور إلى الاستعانة به على تحصيل معاملة طرابلس للأمير يوسف. ولما نجح مسعاهما أعطى هذا الأمير لمربيه وكاخيته الشيخ سعد أملاكاً واسعة في جبة بشري وأعطى للشيخ منصور قسماً كبيراً من بلاد جبيل عهدة خصوصية له ولذريته من بعده من غير شراكة أحد فيها من عائلته. ووهبه أملاكاً شاسعة في بلاد جبيل والبترون والفتوح منها: دير البنات وأراض في سهل جبيل، ودكاكين بوابة جبيل، ومستيتا وأملاك في البوار. أما دير البنات وأراض السهل فقد أعطاها الشيخ منصور وقفاً للرهبانية البلدية مشترطاً على رؤسائها قبول أفراد ذريته في الرهبانية بدون مانع مع الاحتفاظ لنفسه ولأي كان من نسله بحق الرجوع عن هذه الوقفية واسترجاعها من الرهبانية (غير أن الأستاذ شارل رزق الله قد أورد في رسالته لنيل دبلوم دراسات معمقة في التاريخ «**مشايخ آل الدحداح ودورهم في تاريخ لبنان**» يذكر أن «الصك الذي ورد عند بليبل لم يذكر شيئاً عن صك استرجاع الوقفية وقد تأكدنا من ذلك لدى مراجعتنا الصك الأصلي والروزنامة في الدير المذكور. وقد جاء مطابقاً لما نشره بليبل».

أما دكاكين البوابة فقد وقفها على كنيسة سيدة جبيل وسلم أملاك مستيتا وقفاً إلى دير سيدة الحقلة (وهنا يذكر الشيخ في «**المشرق**»: أعلم أن دير مستيتا أعطاه الأمير يوسف الشهابي بواسطة الشيخين منصور الدحداح وسمعان البيطار لعائلة بيت ديب من دلبتا ليكون تحت تصرفها وولايتها) وقد استمرت العلائق الحسنة بين سلالة الشيخ منصور هذا والمتولين على أوقاف سيدة الحقلة حتى وضع يده على هذه الأوقاف البطريرك يوحنا الحاج إذ كان أسقفاً على بعلبك (وقد عادت في ما بعد بأمر الكرسي الرسولي إلى أصحابها).

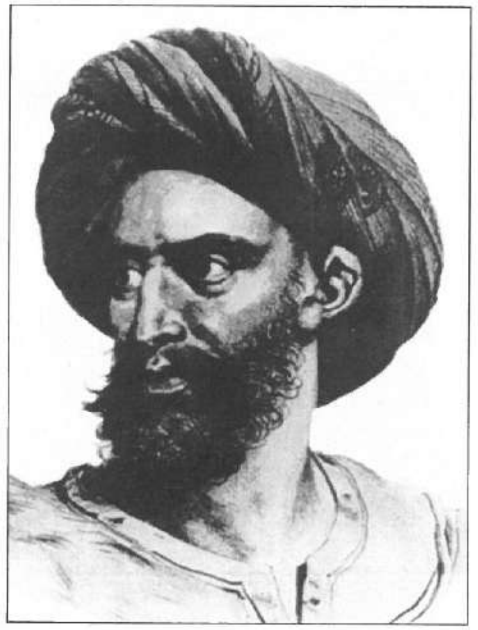
أما أملاك البوار فقد وقفها على دير مار دوميط. ويقول الشيخ سليم في هوامش مقالته «لم أذكر كل الأوقاف التي وقفها جميع أفراد العائلة الدحداحية. ومن هذه الأوقاف ما هو بأيدي العائلة كدير سيدة شويت ودير مار أنطونيوس عن سجاع في الفتوح الذي يديره الخوري طوبيا الدحداح عام ١٩٠١.

الدحادحة حكام الفتوح المنيطرة

ويتابع الشيخ سليم قوله: «ولما تمكن الأمير يوسف شهاب من حمل عمه على الاعتزال سنة ١٧٧٠ واستقل وحده بالمعاملة جعل بني الدحداح في مقدمة رعاياه فأعطاهم مقاطعة الفتوح عهدة خصوصية لهم مكافأة على حسن خدمتهم، وسلم أعمال مقاطعة الحماديين في المنيطرة إلى وهبه أخي منصور، وأحضر سلوم وناصيف ولدي موسى، فأقام الأول كاتباً في ديوانه مقرباً إليه والثاني رئيساً على المحاسبات وجباية الأموال الأميرية.

توفي الشيخ منصور مؤسس مجد هذه العائلة - والكلام لا يزال لسليم الدحداح - سنة

١٧٨٠ وكان عمره ٧٢ سنة تاركاً ولداً وحيداً اسمه حنا خلفه في مقاطعته (ولد سنة ١٧٦٢ وتوفي سنة ١٨٠٧) وقد أدار أعمال مقاطعته دون المداخلة في شؤون لبنان العامة. وقد أوفده الأمير بشير قاسم عمر الكبير حاكم لبنان إلى الأناضول سنة ١٧٩٩ رئيساً على الوفد المرسل ليقدم الهدايا والتقادم إلى الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا فالتقاه في مدينة قرمرط، فأكرمه الوزير وخلع عليه. ولحنا أربعة أولاد هم: منصور (١٧٦٢) ولويس (١٧٨٨ - ١٨٣٢) وجهجاه وعرب وكان جهجاه (١٧٩٠ - ١٨٤٠) من مشاهير الرجال قاوم الأمير بشير واتفق مع الدولة العثمانية لطرد الجيش المصري من الشام، وبدد شمل الأمير مجيد حفيد الأمير بشير في جبة بشري وأسره. وجهجاه هذا والد الشيخ خطار الدحداح، وجد الشيخ يوسف.



إبراهيم باشا والجيوش المصرية الى قرى الشام
(من لبنان في تاريخه وتراثه)

وقد اشتهر من بعد الشيخ منصور أولاد أخيه موسى الأربعة: ناصيف وسلوم ويوسف وابراهيم.

الشيخ سلوم الدحداح

بعد عزل الأمير يوسف سنة ١٧٨٩ مضى على بني الدحداح عشر سنوات تقلبت فيها عليهم الأحوال بتقلب الأحكام بين الأمراء حتى ثبتت في يد الأمير بشير المالطي. وكان كل من هؤلاء الحكام يعين سلوم وأخوته في ديوان الأحكام. ولما استقل الامير بشير بالحكم عين سلوم «متخدا» مديراً لأعماله، وناصيف على الأموال الأميرية في كسروان والفتوح وجبيل وسائر الجهة الشمالية. ولما كان قد عين أخاه الأمير حسن حاكماً في غزير ومراقباً على أصحاب المقاطعات في كسروان وشمالي لبنان، جعل عنده ابراهيم أخا سلوم «كتخدا» وقاضياً واتخذ أخاه يوسف سفيراً له في مخابراته مع الولاة، ولاسيما والي عكا أحمد باشا الجزار. وقد توفي سلوم في عرمون سنة ١٨٢٠ وله ثلاثة أولاد: منصور وغالب وبشير. فكان له مأتم كبير حضره المشايخ والأمراء، وحضر الشيخ بشير جنبلاط بنفسه من المختارة.



فريد الدحداح

الشيخ منصور سلوم الدحداح

لما شاخ سلوم تعين ولده منصور معاوناً له، فما زال هذا يتعاطى تدبير الأشغال حتى سنة ١٨٢٨ حيث سلم الأمير بشير شؤون حكومته إلى ولده الأمير أمين. وكان هذا اتخذ نديماً له الشاعر المعروف المعلم بطرس كرامة. فاعتزل الشيخ منصور الأعمال وعاد إلى عرمون. وقد قضى هو وأبوه في تدبير الاحكام مدة ٥٨ سنة اشتهرا في خلالها بالسياسة والخبرة والحزم والنشاط. وقد ترك كل منهما اسماً مجيداً يردده اللبنانيون. وهما اللذان زانا حكومة الامير بشير، وفي أيامهما كان عهده عهد العدل والأمان. وقد سكن الشيخ منصور بعد اعتزاله الأشغال في قصره في عرمون.

ولم يتدخل بعد ذلك بشؤون السياسة سوى أربع مرات: الأولى: لما استدعاه الأمير بشير سنة ١٨٤٠ يستشيره في أمر التسليم وترك العساكر المصرية. والثانية لما دعاه الأمير بشير قاسم ملحم المعين بدلاً من الأمير بشير الكبير فلبى طلبه ونهض برجاله ولحق بجيش الأمير لمطاردة العسكر المصري حتى وصل إلى البقاع. ومنها عاد إلى بيت الدين ثم قفل راجعاً إلى عرمون. الثالثة: لما تعين عمر باشا النمساوي بدلاً من الأمير بشير الثالث فاتخذ مديرين أحدهما مسيحي وهو الشيخ منصور الدحداح والثاني هو الشيخ خطار العماد الدرزي. وقد بقي الشيخ منصور في الخدمة مدة إقامة عمر باشا في لبنان. الرابعة لما تعين الأمير حيدر أبي اللمع سنة ١٨٤٢ قائمقام على النصارى، اتخذ الشيخ منصور بضعة أشهر مديراً ثم تركه وخاصمه واضطهده زمناً طويلاً. مات الشيخ منصور في داره بعرمون سنة ١٨٦١ عن عمر اثنين وثمانين عاماً.

ويضيف الشيخ سليم: «إن هؤلاء الثلاثة منصور الأول وسلوم وابنه منصور هم عظماء العائلة التي اشتهر منها من أبنائها كثيرون ولاسيما في عهد الأمير بشير الكبير، حيث كنت ترى تقريباً جميع مشايخ بني الدحداح في الوظائف ففي بيت الدين كان أمين بن يوسف وموسى بن ابراهيم ورشيد بن غالب كتاباً للأمير بشير، وفي غزير كان خليل بن غالب كاتباً للأمير عبد الله. وفي المقاطعات كان لويس وجهجاه ابنا حنا حاكمين على بلاد جبيل، وزعيتر وكيلا على مشايخ الجبة (هو ابن راشد بن موسى توفي سنة ١٧٤٢)، وهو والد راشد وقبلان اللذين اشتهرا في خدمة لبنان واللذين توفيا منذ بضع سنوات. وجد الشيخ يوسف راشد

أحد مدراء لبنان حالياً (أي عام ١٩٠١ تاريخ كتابة هذه المقالة) وكان الشيخ مرعي وكيلاً على مشايخ الكورة».



لوسيان الدحداح

الشيخ مرعي الدحداح

ولد الشيخ مرعي سنة ١٧٨٢، بدأ حياته العامة بصفة كاتب عند الأمير حسن (أخو الأمير بشير الكبير) في غزير ثم وكيلاً على مشايخ الكورة. ثم مديراً عند الأمير قاسم (بكر أنجال الأمير بشير الكبير) الذي خلف الأمير حسن في غزير من ١٨٠٨ إلى ١٨٢٠ حيث اضطر الأمير بشير للسفر ثانية إلى مصر. فبقي الأمير قاسم في لبنان واتفق مع خصم أبيه الأمير عباس الذي اتخذ الشيخ مرعي «كتخدا» عنده في بيت الدين. فلما رجع الأمير بشير عزل ولده الأمير قاسم وأقام بدلاً منه في غزير الأمير عبد الله (ابن أخيه الأمير حسن) وأمره بسجن الشيخ مرعي فسجنه. وقد تمكن هذا من الفرار واتفق مع الشيخ بشير جنبلاط. أما الشيخ مرعي ففر إلى داخلية البلاد العثمانية، فألقي عليه القبض في حماه وعلى ابن عمه جهجاه. ولكن أنقذهما هناك مخايل نصور كاتب المتسلم ومدير أعماله فأبقاهما في بيته ضيفين كريمين مدة ثم أذن لهما بالانصراف إلى حلب حسب رغبتهما، وبواسطته تمكن مرعي من الدخول في محل المسيو بينشوتو اليهودي قنصل دولة أوستراليا في حلب. وبعد حين لما رآه بينشوتو خائفاً على نفسه حتى في حلب من سطوة الأمير بشير، أرسله إلى مرسيليا ليكون في محله التجاري هناك. وبعد مدة أرسل مرعي يستدعي إلى مرسيليا زوجته وأولاده فسافرت سنة ١٨٣٤ مع أولادها. وقد بقي مرعي من ١٨٢٥ إلى ١٨٤٥ في مرسيليا حيث فتح لحسابه محلاً تجارياً، ولبث محافظاً على عوائد جبل لبنان في ملبوسه وزيه الشرقي. ولما وقعت مسألة ١٨٤٠ في الشرق استدعاه الملك لويس فيليب إلى باريس وقابله مراراً هو ورئيس وزرائه المسيو تيارس الشهير يستطلعا رأيه ويعرفا الحقيقة عن تلك الأحوال.

وبعد زوال سلطة الأمير بشير جاء سوريا لمشاهدة الأوطان والأهل والخلان. ولما انقسم لبنان إلى قائمقاميتين كان الشيخ أمين رئيس الكتبة عند الأمير حيدر أول قائمقام على النصارى، وابنه الشيخ يوسف معاوناً له. وكان كلاهما شاعراً بارعاً وقد اشتهر أحدهما يوسف بخطه وإتقانه التصوير. وهو الذي نقش تاريخ بناء سراي الأمير حيدر (أبي اللمع) في

بكفيا ولم يزل فوق مدخلها. توفي الشيخ أمين سنة ١٨٧٣ وله من العمر ٨٣ عاماً.

الشيخ موسى الدحداح

أما الشيخ موسى فقد سافر مع الأمير بشير الكبير إلى منفاه بمالطة ثم إلى الأستانة وعاد منها إلى لبنان سنة ١٨٤٥. وبعد وفاة الامير حيدر تعين عند خلفه الأمير بشير أحمد اللمعي مديراً فأقام برئاسة الأحكام إلى سنة ١٨٦٠ حيث كان عزل الأمير وتشكيل نظام المتصرفية. وكان مشهوراً في أيامه باسم «لسان النصارى» ممتازاً بحزمه ورصانته وحكمته وفصاحته وطلاقة لسانه واقتداره على إقناع سامعيه. وقد مات في بعلبك سنة ١٨٧٥ فشيد له مدفناً لائقاً حفيده الشيخ حصن الذي كان قد انتظم في الرهبانية البلدية باسم يوسف وعين وكيلاً أسقفياً في بعلبك. وممن إشتهروا في تلك الآونة أيضاً فرنسيس وأخوه لطوف وطنوس الذي خلف إياه ناصيف على الأموال الأميرية.

ومن الوجوه البارزة لأسرة الدحداح قديماً وجه ثقافي كبير هو الكونت رشيد الدحداح (منحه لقب كونت البابا بيوس التاسع وأورثه من بعده لاولاد). ولد رشيد سنة ١٨١٣ في قرية عرمون ـ كسروان في دار جده سلوم، وموقعها أسفل قرية عرمون بالقرب من الجديدة. وامامها ميدان واسع كبير حسب العادة المرعية حينذاك في دور الأمراء والشيوخ. والده غالب. وهو البكر بين خمسة أولاد وابنة واحدة: خليل، عباس، سلوم، امين، نقولا وراحيل. تتلمذ على يد الشماس نهرا مراد (الذي صار أسقفاً باسم المطران نقولا مراد) مع أخويه خليل وعباس، ثم تابع رشيد وأخوه خليل الدراسة في مدرسة عين ورقة. أما عباس ففي مدرسة انتشار الإيمان في روما.

بقي رشيد بضع سنوات في عين ورقة تعلم أثناءها أصول اللغة العربية والإيطالية ودرس الفلسفة والعلوم. بعدها دخل مدرسة سيدة بزمار للأرمن الكاثوليك، فدرس فيها اللغة التركية.

رشيد يغادر لبنان

في العام ١٩٣٨ عينه الأمير أمين (ابن الأمير بشير) في ديوان أبيه في بيت الدين كاتباً لأسراره. فقضى في هذه الخدمة سنتين أو ثلاثاً. وبعد نفي الأمير عاد إلى بيته في عرمون. ثم ذهب في معية عمه منصور برجال الفتوح لنجدة الحاكم الجديد الأمير بشير ملحم، ومطاردة جيش إبراهيم باشا، فوصلوا إلى البقاع ومن هناك عادوا إلى بيت الدين ثم رجع إلى بيته لا يقبل مامورية ما. ولما تعين عمر باشا النمساوي سنة ١٨٤٢ بدلاً من الامير بشير المذكور، قرّب إليه الشيخ رشيد وعرض عليه مامورية فابى. ثم رضى أن يتولى نظارة البكاليك أي الأملاك الأميرية في لبنان. وقد حصل وقتئذ من المسائل والاسباب ما دفعه إلى ترك وظيفته والعودة إلى عرمون. ولكن الحادث الأهم الذي

حمله على مغادرة لبنان والبقاء مدى العمر في ديار الغربة، هو الاشتباك الذي وقع بين الحبيشيين والخوازنة في غزير بسبب الخلاف حول المطالبة بحاكم مسيحي لبناني أو بالاحرى بحاكم وطني بدل حاكم عثماني.

اختفى رشيد عن الأنظار فترة ثلاث سنوات، أمضاها مختبئاً في مجاهل لبنان ـ على ما يقول سليم الدحداح ـ أو في صيدا في خان الإفرنج عند المسيو كونتي قنصل فرنسا. في تلك الفترة خرج من مخبأه وأتى قرية بتاتر واتفق مع المسيو نقولا بورتاليس، على أن يدفع ذوي مناصب لبنان من أمراء ومشايخ دروز وموارنة إلى الاجتماع وانتخاب الأمير أسعد قعدان (والد الأمير أفندي شهاب رئيس مجلس إدارة لبنان) الذي أصدر الامر إيذاناً بانتخابه. والشيخ هو محرر هذا الأمر، كما حرر أيضاً صك اتحاد الامراء والمشايخ من الطائفتين. ثم حضر مع الأمير أسعد قعدان إلى عاليه حيث احتفى بلقائهما مشايخ آل تلحوق. وقد تعين رشيد حينئذ «متخدا» الأمير (أي مدير أعماله) في تشرين الثاني ١٨٤٣ لكن عمر باشا لم يقبل.

وفي ٢٠ كانون الأول من العام ١٨٤٣ تفرق شمل الدحادحة. فرّ الشيخ رشيد إلى صيدا حيث بقى سنتين انصب خلالها على درس الشريعة والفقه على مذهب أبي حنيفة. ثم إستحضره قنصل فرنسا إلى بيروت وأعاده إلى لبنان (جبل لبنان) مشترطاً عليه عدم التعرض للأمور. وقد تدخلت سفارة فرنسا بناء على طلب مجمع انتشار الإيمان. فسعى القنصل بتسوية الخلاف ومساعدة رشيد واقاربه.

في نهاية العام ١٨٤٣ عاد من مرسيليا الشيخ مرعي الدحداح زائراً الوطن بعد تغيبه عشرين عاماً، فاقام مدة وجيزة.. ولما عزم على العودة اصطحب معه الشيخ رشيد. فسافر الشيخان في أواخر العام ١٨٤٥ إلى فرنسا. وتعين رشيد كاتباً في محل الشيخ مرعي ولم يعد من ذلك الحين إلى وطنه. أما الشيخ مرعي فإنه عاد ثانية إلى لبنان عام ١٨٥٤ مع أفراد عائلته باستثناء أحد أولاده الذي بقى في مرسيليا لإدارة أشغال والده. توفي مرعي في الكفور عام ١٨٦٨ ودفن في مدفن أجداده بكنيسة الكفور تاركاً ثلاثة أولاد ذكور وابنة. وهم: يوسف (١٨١٢ إلى ١٨٩١) وهو والد عزتلو اسكندر بك الدحداح ـ الياس (١٨١٧) لويس (١٨٣٦ إلى ١٨٩٠) أما الابنة فهي مرتا تزوجها رُشيد ورزق منها خمسة أولاد هم: روزا، الفونس، بولس، يوسف، وابنة توفيت صغيرة السن.

طبع قاموس المطران

في العام ١٨٥٢ ترك رُشيد محل عمه وأدار أشغالاً تجارية في فرنسا لحسابه ثم أنشأ محلاً في إنكلترا واستدعى إليه أخاه سلوماً ليساعده في أعماله. وكان رغماً من أشغاله التجارية يتعاطى العلوم ويخدم الآداب والمعارف. فطبع سنة ١٨٤٩ **«قاموس المطران جرمانوس فرحات»** في مرسيليا، بعد أن رتّبه وأصلح ما فيه من الخطأ بمعاونه سمعان شقيق زوجته، فأطنب في مديحه المجمع العلمي الفرنساوي... وأنشأ فرعاً لمحله التجاري في بيروت سلمه إلى أخيه خليل.

وفي العام ١٨٥٧ لما سقط سعر الحرير انهار اقتصادياً وكان وقتئذ في إنكلترا. فعاد إلى باريس لتعويض ما أصابه من الخسارة. ولما قنط من التجارة وقف نفسه على خدمة المعارف والعلوم. وحين عثر على شرحين لديوان الشيخ عمر الشهير بابن الفارض، أحدهما للشيخ حسن البوريني والآخر للسيد عبد الغني النابلسي، فوفق بينهما فطبع الكتاب في مرسيليا سنة ١٨٥٥.

وقد أنشأ جريدة عربية فرنسية تولى إدارتها وتحريرها في باريس مدة ثلاث سنوات وسماها: **برجيس باريس أي نسر باريس**، وقد اهتم بنشر مجموعة أشعار حكمية لأشهر شعراء العرب سماها طرب **المسامع في الكلام الجامع** طبعت في باريس ١٨٦١ وقد كانت له علاقات ومراسلات مع مشاهير أرباب المعارف منهم الأمير عبد القادر الحسيني الجزائري، ومنشئ **الجوائب** أحمد فارس الشدياق. وبين عامي ١٨٦٢ و١٨٦٤ تقرب إلى باي تونس (محمد الصادق) ودخل في معيته، فعينه الباي ترجمانه وأعطاه سلطة ونفوذاً لم يحصل عليهما قبله أحد من الأجانب في تونس. وفي سنة ١٨٦٤ عاد نهائياً إلى فرنسا واستوطن باريس. وكان قصره هناك مضافة لكبراء الشرق سواء الدينيين أوالدنيويين الذين كانوا يؤمون العاصمة الفرنسية. وفي العام ١٨٧٥ اشترى على شاطئ بحر المانش في الشمال الغربي من مقاطعة إيل وفيلان قرية صغيرة مع ما يلحق بها من الأراضي الرملية الواسعة، فأنشأ فيها بلدة هي اليوم من مرافئ فرنسا، أسماها «دينار» وشيد فيها صرحاً شاهقاً دعاه قصر الضفتين فسكنه وهجر باريس.

ومن تآليفه الأدبية والفكرية والتاريخية: **قمطرة طوامير** طبع في فيينا سنة ١٨٨٠، وكتاب **فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي**، طبع في باريس ١٨٦١ وله أيضاً **السيار المشرق في بوار المشرق، وترويح البال في القلم والمال**. وفي أيلول ١٨٨٨ فقد شقيقته راحيل قرينة الشيخ الياس ابن عمه مرعي. ولرشيد الدحداح شقيق اسمه عباس اختار الحياة الكهنوتية، سامه كاهناً المطران نقولا مراد باسم نعمة الله وفي العام ١٨٨٥ رقاه البطريرك بولس مسعد، ورسمه مطراناً على أبرشية دمشق. اشتهر هذا المطران بمساعدة الفقراء وترميم الكنائس من ماله الخاص ومن المساعدات التي كانت تأتيه من شقيقه رُشيد. توفي في ٣ تشرين الأول ١٨٩٠.

وفي أواخر سنة ١٨٨٨ أتى رُشيد إلى باريس لإنجاز بعض الأشغال فداهمه فيها المرض مدة أربعة أيام، ثم توفي في ٥ أيار ١٨٨٩.

الهجرة من عرمون

منذ العام ١٨٥٠ أخذ مشايخ آل الدحداح يهجرون عرمون، فاستوطن فريق كبير منهم ناحية الفتوح، وفريق ذهب إلى بلاط في جوار مدينة جبيل، والبعض منهم في أماكن مختلفة داخل لبنان وخارجه. وأكثر دورهم وقصورهم أصبحت اليوم أديرة: فدار الشيخ سلوم، صارت دير مار نقولا، المعروف بمدرسة العريمة، ودار الشيخ موسى اشتراها قعدان بك الخازن ثم صارت مع دار الشيخ أمين ملكاً لأبرشية بعلبك وكرسياً للأسقفية المارونية، ودار الشيخ طنوس أصبحت مدرسة المحبة.

فروع العائلة

وقبل أن أختتم هذا البحث أود أن أشير إلى أن هذه العائلة اللبنانية العربية المارونية العريقة تفرعت إلى خمسة بطون:

١- بيت أبي يونس (ابراهيم).
٢- بيت أبي ضاهر (سليمان).
٣- بيت أبي ناصيف (موسى).
٤- بيت أبي حنا (منصور).
٥- بيت أبي سركيس (وهبة).

في القرن العشرين

يعد آل الدحداح اليوم حوالى ٣٠٠ نسمة ينتشرون في بلاط منهم: الشيخ درويش بن خليل يوسف الدحداح - توظف سكرتيراً لمدير الأمن العام كولومباني، والدكتور خالد بن كنعان وهبه، اشتهر بالطب وعينه الأتراك في أثناء الحرب العالمية الأولى طبيباً للجيش التركي وله ولدان: سامي وكمال.

أما فرع عبد الله بن أسعد بن عبد الله الدحداح فيظن أنهم من بلاط والأرجح من عين سجاع، عاش أفراد هذا الفرع في الإسكندرون، وانقطعت أخبارهم. وينتشر مشايخ آل الدحداح في قرية عين سجاع ومن مشاهيرهم هناك جورج بن كايد صالح الدحداح الذي عاش في حوران ثم انتقل إلى الأردن ودخل في سلك الجيش الأردني، وأصبح من قواد هذا الجيش حيث عينه الملك حسين حاكماً على القسم الذي كان تحت ولاية الملك من مدينة القدس. وعندما احتل الإسرائيليون القدس بكاملها انقطعت أخباره.

وفي قرية الكفور انتشر آل الدحداح وتبوأ منهم كثيرون مناصب رفيعة في حقول الإدارة والتربية والقضاء والثقافة والطب. كما انتشر آل الدحداح في قرية بساتين العُصي في شمال لبنان، وفي قرية غبالة في فتوح كسروان ولهم شأن في حقول الإدارة والكهنوت والقضاء وغيرها..

أعلام من آل الدحداح

أسد أمين الدحداح

من مواليد عرمون - كسروان عام ١٨٢٥. والده أحد كتاب ديوان الأمير أمين ابن الأمير بشير الكبير. تلقى دروسه في المنزل على أساتذة إكليريكيين وعلمانيين. وكان على خلاف مع

الفرنسيين لأنهم أبطأوا في نجدة المسيحيين سنة ١٨٦٠. وكان صديقاً «حميماً» للبطريرك يوحنا الحاج. انتخب في العام ١٨٩٢ عضواً في مجلس الإدارة عن كسروان.

بدأ حياته السياسية مديراً في الفتوح على مدى ٤٥ عاماً. توفي سنة ١٩١٧.

نجيب الدحداح

ولد في بيروت عام ١٩١٥. والده: المؤرخ سليم خطار الدحداح. تلقى دروسه الجامعية في جامعة القديس يوسف، حيث نال إجازة في الحقوق. انخرط في السلك الدبلوماسي وعين سكرتيراً لمفوضية لبنان في القاهرة (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥)، وقنصلاً في الإسكندرية (١٩٤٥)، وسكرتيراً في باريس (١٩٤٦ ـ ١٩٥١)، وقنصلاً في القاهرة (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣)، وقائماً بالأعمال في الفاتيكان (١٩٥٣ ـ ١٩٥٦)، ووزيراً مفوضاً في كولومبيا، ومبعوثاً لدى معظم دول أميركا اللاتينية (١٩٥٦ ـ ١٩٥٧)، ومديراً للدائرة السياسية في وزارة الخارجية (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩)، وسفيراً في المكسيك ومعظم دول أميركا الوسطى (١٩٥٩ ـ ١٩٦٥)، وسفيراً لدى الفاتيكان (١٩٦٥ ـ ١٩٧٥).

نقل إلى الإدارة المركزية وعين أميناً عاماً لوزارة الخارجية (١٩٧٥ ـ ١٩٧٩)، وشارك في مؤتمرات عدة، كما شارك في وفود لبنان إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية. توفي في ١١ أيلول ١٩٨٤ إثر نوبة قلبية. وقد اعتمدنا على مقالته المنشورة في **المشرق** عند كتابتنا هذا البحث. له عدة مؤلفات منها:

- **تطور لبنان التاريخي** (١٩٦٤ ـ ترجم إلى الإسبانية والفرنسية).
- **حروب لبنان عبر الأيام** (في جزأين صدر عام ١٩٨٢ بالفرنسية).

إدوار الدحداح

ولد في قرية عرمون من أعمال كسروان سنة ١٨٩٨. تلقى دروسه الثانوية في مدرسة الآباء اليسوعيين في مصر وفيها درس الحقوق لسنة واحدة. وانصرف إلى العمل الصحافي متتلمذاً على خاله الشيخ يوسف الخازن، فكتب في **الأرز والبلاد والأحرار وبيروت ولسان الحال**. وكان صاحب مشروع لغوي توجه به إلى وزراء المعارف في البلدان العربية داعياً الكتاب أن يسموا بالعامية قدر الإمكان إلى مصاف اللغة الفصيحة لا أن يهبطوا بلغتهم إلى رطانة العامة. توفي في العام ١٩٤٥. من مؤلفاته:

- **سياسة لا وجدان**، مجموعة مقالات نشرها في جريدة **الأحرار** سنة ١٩٢٥ فأحدثت ضجة كبيرة لم يحدثها أي كتاب آخر في زمنه بسبب الطروحات الجريئة التي أعلن عنها.
- **مظالم الحياة** (مسرحية).

لوسيان الدحداح

من مواليد العام ١٩٢٩ في الكفور ـ قضاء كسروان. والده: منير. تلقى دراسته الابتدائية والتكميلية والثانوية في مدرسة الفرير في مدينة اللاذقية بسوريا. ونال البكالوريوس من الجامعة الأميركية في بيروت، ودرس الحقوق في جامعة القديس يوسف في وقت واحد.

درس في فرنسا في المعهد العالي للعلوم السياسية والاقتصادية. وحصل على دكتوراه من جامعة السوربون ـ فرنسا. وهو حائز أيضاً على دكتوراه في الاقتصاد من جامعة برمنغهام.

عين خبيراً ممتازاً في وزارة التصميم، ثم مديراً عاماً منتدباً لتلفزيون لبنان والمشرق.

ترك حقل الوظيفة (١٩٦٧ ـ ١٩٦٨) وأسس مكتباً لاستشارات الأعمال والصحافة والدعاية، ثم اشترى حصصاً في مجلات أجنبية.

عين وزيراً للخارجية والمغتربين والمالية والسياحة في حكومة نور الدين الرفاعي العسكرية بين ١٩٧٥/٥/٢٣ و١٩٧٥/٧/١. وفي ١٩٨٩/١/٢٥ انتخب رئيساً لمجلس إدارة مصرف المشرق ومديراً عاماً له. وانتخب في ١٩٨٩/١/٢٥ رئيساً لمجلس إدارة شركة إنترا. توفي في ٢٠٠٣/١١/٣.

فريد الدحداح

ولد في عرمون عام ١٩١٠. تزوج وداد يارد، ولهما ولدان: سليم ونبيل. تلقى دراسته الثانوية في جامعة القديس يوسف. ونال الليسانس في الحقوق من جامعة ليون (فرنسا).

زار الولايات المتحدة الأميركية وكندا عام ١٩٦٣ للاطلاع على النظم الإدارية المعمول بها فيهما. وزار فرنسا وإيطاليا سنة ١٩٦٨ وعمل خلال زيارته للوصول إلى إنشاء «مركز التوثيق العالمي» في لبنان بمساعدة منظمة الأغذية التابعة للأمم المتحدة.

عمل في السلك القضائي، وتقلب في مناصب قضائية عدة: قاض عام ١٩٣٨، مستشار، رئيس محكمة، مدع عام، رئيس محكمة الاستئناف، رئيس المحكمة الإدارية، رئيس اللجنة العليا الناظرة في قضايا الاستملاك، عضو في لجنة الإصلاح الإداري، رئيس مجلس الخدمة المدنية عام ١٩٥٩. توفي عام ١٩٧٤.

وأود أن أشير، قبل أن أختم هذه المقالة عن آل الدحداح، الى كتاب **تاريخ الكفور ـ كسروان** ـ لمؤلفه الخوري يوسف أبي صعب، وهو مؤرخ لغة في شؤون العائلات اللبنانية، وعن كتابه هذا أخذنا هذه المشجرة النسبية. يقول الخوري يوسف أبي صعب: «إن ما جاء في كتاب **أخبار الأعيان** والشجرة في **المشرق**، على أن والد الخوري يوسف هو الخوري مخايل مخطئاً. ويضيف: لأن مخايل هذا لم يكن كاهناً كما يقول عنه والده الخوري يوسف. ثم إن الخوري ابراهيم هو ابن الخوري مخايل، لا ابن الخوري يوسف كما جاء في **المشرق** استناداً إلى عدد سلسلة العائلة في **أخبار الأعيان**. وكما قال **تاريخ الأزمنة** للدويهي ـ طبعة توتل ص ٢٩٤

والمشرق ١٩٥٤: ٨١ بأن الخوري سليمان وابن عمه الخوري حنا الدحداح ابن الخوري ابراهيم ابن القس مخايل.

وأصل العائلة الدحداحية ـ على ما يقول الخوري يوسف أبي صعب يبدأ على الشكل التالي:

- مخايل ابن الخوري حنا، ابن الخوري ابراهيم، ابن الخوري مخايل بن جرجس الدحداح ولد القس أنطون والخوري يوسف.
- الخوري يوسف ولد الخوري عبد الله والخوري جرجس.
- الخوري عبد الله ولد له يوسف.
- الخوري جرجس ولد له الخوري أغناطيوس ويوسف.
- يوسف ولد له: ابراهيم، وسليمان، وموسى ومنصور ووهبه.

هؤلاء الأخوة الخمسة تفرعت منهم الأسرة الدحداحية كما مر في الشجرة.

آل عبد الملك

هي أسرة من أسر الموحدين الدروز المشايخ في بتاتر بقضاء عاليه. اختلف المؤرخون في نسبتهم على ما يقول الدكتور أحمد أبو سعد في كتابه **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات**. ذهب بعضهم إلى القول إنهم من سلالة عبّاد بن ربيعة الوائلي، وقدّر بعضهم أنهم من سلالة عبد الملك بن مالك بن بركات بن مسعود بن عوف بن الملك المنذر الخامس آخر الملوك المناذرة. وذهب أكثر من مؤرخ إلى القول إنهم يتحدرون من بني شويزان الذين قدموا مع القبائل الاثنتي عشرة من شمالي سوريا في سنة ٨٢٠ ميلادية وتوزعوا في جبال بيروت، وشملوا بنفوذهم على ما يبدو إقليم الخروب والمناصف والشوف الشويزاني والجرد والعرقوب إن لم يكن كلياً فجزئياً. واكتفى طنوس الشدياق (صاحب **كتاب أخبار الاعيان**) بالقول إن نسبهم يعود إلى عرب الحجاز، وقد وفدوا إلى لبنان مع التنوخيين من حلب. وسكنوا الكنيسة في مقاطعة المناصف ومنها انتقلوا إلى عاليه ثم إلى بتاتر وأقاموا فيها، وتولوا إقطاع جرد الشوف.

أمام هذه الإشكالات التاريخية التي أثارتها نسبة أسرة عبد الملك، نفسح في المجال لمؤرخ من أسرة عبد الملك نفسها هو عبد المجيد عبد الملك، مؤلف كتاب **تاريخ الإقطاع في لبنان** لتوضيح هذه الإشكالات والإضاءة عليها عملاً بالقول المأثور: «أهل مكة أدرى بشعابها»، فيقول في الصفحة ١٧٧ ما يلي: «ينسب المؤرخون المحدثون آل عبد الملك إلى بني شويزان كما ورد لدى طنوس الشدياق وشارلز تشرشل أو شويزاني كما ورد الاسم في كتاب صالح بن يحيى. اما هم فينسبون أنفسهم إلى جدهم الأعلى عبد الملك بن مالك بن بركات بن مسعود بن عون بن الملك المنذر الخامس آخر الملوك المناذرة. وهذه النسبة لعبد الملك لم تظهر لدينا في نص تاريخي قبل النقوش المحفورة على بوابة حصن العائلة في بتاتر وعلى مدفن قديم للعائلة على مدخل بتاتر وتواريخهما على التوالي كما هو مبين في مكانه ١٦٩٩ و١٧١٢».

ويضيف: «كتابا تشرشل وطنوس الشدياق هما أقدم المراجع التي ربطت بين النسبين. تشارلز تشرشل يقول عن التنوخيين: «انبتوا في سهل البقاع حتى بلغوا زحلة، ثم رقوا سلاسل الجبال إلى عين دارة فبنى أبو فوارس هذه القرية وسكنوا فيها، وسار جدود بنو شويزان جدود آل عبد الملك يقصدون الماء فبلغوا نهري الصفا والباروك وبنوا قرية عين زحلتا، ثم منها ساروا إلى الكنيسة، أما

بنو فوارس جدود اللمعيين، وهم أكثر التنوخيين عدداً، فساروا إلى المتن، أما بنو عبد اللـه وهلال فساروا إلى الشوف واستقروا في قرى كثيرة منها: البنيه، كفرمتى، رمطون، طردلا، عرمون، عين كسور، وعبيه»، (راجع كتاب تشارلز تشرشل: **عشر سنوات في جبل لبنان ١٨٤٢ ـ ١٨٥٢**).

ردّ وتوضيح

رد عبد المجيد على كلام تشرشل وأوضح الالتباس الذي وقع فيه بالقول: «إنه يذكر بني شويزان وبني فوارس على أنهما فخذان مختلفان من القبائل التنوخية في حين أن آل عبد الملك وهم الاعلم بنسبهم وبجدهم الأعلى، ينسبون أنفسهم إلى عبد الملك أبو فوارس، وذلك لا يمنع أن يكونوا هم أنفسهم بنو شويزان، إذ يقول نديم حمزة: «وما يجدر التوقف عنده ما رآه النسابون من جواز النسبة إلى عدة طبقات في القبيلة المقسمة إلى عمائر وبطون وأفخاذ وفصائل (راجع: **التنوخيون**، نديم حمزة، دار النهار، ١٩٨٤ ص١٦). وقال «إن تشرشل، هو من سكان بحوارة، القريبة من عاليه، كان على صلة وثيقة بمشايخ مقاطعة الجرد آل عبد الملك. ويمكن أن يكون هذا الخلط قد وقع في الروايات التي سمعها ولم يدقق بها، سيما وأنه يصف مشاهداته وهو ليس مؤرخاً ولا كتابه كتاب تاريخ».

كما رد على الشيخ طنوس الشدياق واتهمه بمحاولة طمس نسب آل عبد الملك التنوخي في أكثر من موقع، وتزوير تاريخهم وتراثهم السياسي العربي:

أولا: بقطع نسبهم عند والد جنبلاط إذ يدعوه عبد الملك مغفلاً ألفاً وماية سنة من تاريخهم، وذلك لطمس حقيقة كونهم أحد الفروع التنوخية، ولا سيما بعد المغالطة التاريخية بقطع انساب التنوخيين عند حادثة قتل الامير علي علم الدين لأفراد الأسرة التنوخية الحاكمة في عبيه (صفحة ١٧٢) علماً بأن الامير المذكور هو نفسه تنوخي، وتندرج هذه الحادثة ضمن الصراع على السلطة بين الفروع التنوخية.

ثانياً: يؤكد تزويره الأول بقوله إن الأمير حيدر الشهابي رفعهم إلى رتبة المشيخة بعد معركة عين دارة ١٧١١ تأكيداً لنفس الاتجاه في محاولة للقضاء على التراث التاريخي للجبل، وللدروز، وما يمثله من تاريخ سياسي عربي. وقال: «يتبين من التاريخ المنحوت على البوابة أنها بنيت قبل معركة عين دارة بعشرين سنة، وكما يتبين من الدراسة المعمارية، فإن القصر الخاص بآل عبد الملك (أو الحصن) بني على مراحل تعود إلى قبل ذلك بقرون عديدة أي إلى ما قبل ٩٤٤ ميلادية، كما أنه لم يرد ذكر تشييخهم من قبل الامير حيدر الشهابي أو في أي مصدر آخر.

ثالثاً: يحاول الشدياق أمرين: الاول: القول بأن الموارنة على قدم المساواة مع الدروز في ملكيتهم وتاريخهم في منطقة الجرد. ثانياً: محاولة الاستعانة بالنفوذ الفرنسي (انظر وثيقة رقم ٣، عريضة الشيخ بشارة للجنرال بوفور) والتي تم الادعاء بناء عليها بأن الجرد قسمان شمالي وجنوبي، وهو أمر نفذ في عهد المتصرفية بعد إلغاء النظام الإقطاعي. فقد قسم الجرد إلى مديريتين، ونزعت بموجب هذا التدبير كل القرى المسيحية في الجرد من أيدي آل عبد الملك وصودرت أراضيهم فيها

كتعويضات حرب، فافتقرت بذلك هذه العائلة وضعفت سلطتها ونفوذها، وذلك انتقاماً من الدور التاريخي الذي لعبته في الدفاع عن عروبة لبنان على مدى عشرة قرون، ولم تبق لهذه العائلة إلا أراض جرداء.

وتابع عبد المجيد عبد الملك حملته على المؤرخ طنوس الشدياق كاشفاً عن أسباب المغالطات التي وقع فيها، معتبراً أنها مغالطات مقصودة على ما يزعم، وأنها تتعدى مسألة تاريخ عائلة لتصيب تياراً سياسياً عاماً كان الشدياق وأمثاله يتجندون للقضاء عليه ومحو أثره، وما زال لهذا الاتجاه التزويري ممثلون».

اما أنا فأعتقد أن المؤرخ عبد المجيد عبد الملك ظلم الشيخ طنوس الشدياق حين وصفه بالمزور، وأنه عمل على طمس الحقيقة ومحو آثار العروبة التي رسختها عائلته على مدى قرون وقرون. وما هي مصلحته في ذلك؟ وهو من عائلة تحدرت من جذور عربية صافية وعرفت بانفتاحها وتعايشها مع العائلات اللبنانية الاخرى، وقد دفعت ثمن هذا الانفتاح والتعايش باستشهاد شقيقه أسعد تحت سياط التعصب الطائفي الزنيم. وشقيقه العلامة فارس (احمد فارس) في ما بعد الذي اعتنق الدين الحنيف وحمل راية التحرر والاعتدال والتآخي بين الشعوب.

حدود مقاطعة الجرد

أكتفي بهذه الملاحظة وأواصل البحث في أسرة عبد الملك حكام إقطاعية الجرد، وحدودها والقرى التي تحتويها، وكيف توزع السكان فيها (تشمل مقاطعة الجرد خمسة مرتفعات جبلية (إذا استثنينا ضهر البيدر) يبلغ ارتفاع الذروة العليا بها ما يقارب ألفاً وثلاثماية متر عن سطح البحر في منطقة «الجرد» وفي المرتفع الواقع بين بلدات بحمدون شمالاً وشانيه شرقاً، والمنصورية غرباً، وشاوي بتاتر جنوباً. وما يقارب هذا الارتفاع في رويسة النعمان بينما يبلغ أدنى مستوى لارتفاع الأرض فيها ما بين خمسماية وستماية متر. وخصوصاً في منطقة الرملية ومعصريتي المدخل الجنوبي للمقاطعة.

وقد سميت مقاطعة الجرد لأن مرتفعاتها الخمسة جرداء يقل الماء فيها والشجر، إما لوقوعها في ظل المطر كما هو حال المنحدرات الشرقية، والتي تقع على إحداها بلدة بتاتر كما ذكرنا وبلدة شارون والشاوي في المنحدر الجنوبي للمرتفع الأول، أو بفعل عوامل التعرية الطبيعية كما هو الحال بالمرتفع الممتد من المنصورية وحتى سبعل، منتصف الطريق بين المنصورية ورويسة النعمان، حيث تجد الأرض تعلوها نتوءات صخرية ذات وعورة شديدة بسبب عوامل التعرية، وكذلك فإن أغلب المنحدرات لا تصلح للزراعة لشدة انحدارها حتى لتكاد تكون في بعض المناطق صخرية عمودية، أو حرجية شبه عمودية، لذا بقيت كغابات عذراء رغم خصبها حيث يتعذر ليس زراعتها فحسب بل سلوكها كذلك. وتضم إقطاعية الجرد القرى التالية: بتاتر، شارون، بدغان، المشرفة، مجدلبعنا، شانيه، رشميا، عين تراز، شرتون، الدوير، كفرعميه، شوريت معصريتي، مزرعة النهر، مزرعة عين مرعي، الرملية بسرين، حبرمون، عين الحلزون، رويسة النعمان، عين الفريدس، التعزانية، بطلون،

بحمدون، مزرعة الأمير.

كان هذا هو الواقع الطبوغرافي للمقاطعة، أما التوزيع الديني للسكان والوظائف الاجتماعية فيها فهو على الشكل التالي:

التوزيع الديني للسكان

الموحدون الدروز، بحكم المهمات الدفاعية الملقاة على عاتقهم تمركزوا في الأماكن الاستراتيجية، وهي الأماكن الجردية المرتفعة لا يُستثنى منها سوى قريتي معصريتي والرملية. أما الأماكن الأخرى وهي الأودية وبعض المرتفعات الجبلية التي تتوافر فيها المياه السطحية فقد تركز فيها المسيحيون. فلم يكن باستطاعة الدروز وهم قليلو العدد التفرغ للعمل الزراعي بل تفرغوا للحرب والاستعداد لها والتدرب المستمر على فنونها، فكان مجتمعهم بهذا المعنى مجتمعاً عسكرياً وكونهم كذلك فهم يتحدرون من مجتمع قبلي أصلاً، أصّل فيهم روح الكره للعمل الزراعي والصناعي، وهي عادة جاهلية موروثة عن أهل المدر واحتقارهم لأهل الحضر.

وجاء تمرّس المسيحيين بالعمل الزراعي، ووجودهم بالأراضي الزراعية، ومصادرة الأراضي التي بحوزتهم وتمليكها لهم بموجب بروتوكول ١٨٦٤ كتعويض عن أضرار الحرب التي لم تلحق بمسيحيي المقاطعة، إضافة إلى قيامهم بالأعمال الحرفية، كالسكافة والحدادة والتجارة كما يظهر من أسماء عائلاتهم، كان له أثره في تطور ثروتهم، بعد زوال النظام الإقطاعي، مقابل افتقار الدروز وتناقص ثروتهم. وقد انعكس هذا الوضع بشكل عام في ما بعد على تداخل الحروب السياسية بالحروب الطائفية وبالعكس. وبناء على ما تقدم فإن قرى: عين تراز، رشميا، شرتون، الدوير، كفرعميه، شوريت، مزرعة الأمير، مزرعة النهر، مزرعة عين مرعي، بسرين، حبرمون، عين الحلزون، وهي القرى التي في الوديان، وذات الأراضي الخصبة، جميع سكانها من المسيحيين، بينما كانت قرى شارون، بدغان، المشرفة، مجدل بعنا، شانيه، وهي قرى جردية، ذات أهمية استراتيجية دفاعية، هي قرى درزية. أما قرى الغابون، معصريتي، الرملية، فهي قرى خصبة لكن سكانها من الدروز لأهميتها الاستراتيجية.

وتبقى قرى بحمدون، بطلون، التعزانية، عين الفريديس، وهي قرى جبلية، فإن سكانها مسيحيون. أما بتاتر، وهي قاعدة الإقطاعية ومركزها، فقد تمثلت فيها كل الطوائف الموجودة.

وكان الدروز يطلقون على بعض المسيحيين لقب «خواجا» وهي كلمة تركية تعني معلم صنعة، وقد تطور مع الوقت استعمال هذه الكلمة، وصارت تعني الأثرياء وأصحاب الرساميل والمعامل البورجوازية.

أربع طبقات

وانقسم الناس في المقاطعة إلى أربع طبقات هي:

١ـ طبقة المشايخ أو الأمراء، ويقومون على رأس الهرم الاجتماعي داخل الإقطاعية. وكان لكل شيخ أو أمير بضع قرى ومزارع يعيش في كنفها فلاحون (مسيحيون) يطلق عليهم اسم الشركاء يأخذون نسبة معينة من المحصول (ربع الإنتاج) مقابل عملهم في الارض.

٢ـ المشايخ العقّال: وهم طبقة من ملاك الاراضي الزراعية لا تقوم مباشرة باستغلال الأرض، إنما تستغلها بواسطة أسر ملحقة بها من العامة والفلاحين، وسلطتها دينية معنوية.

٣ـ طبقة العامة (الدروز) وهي طبقة لا تقوم إلا بأعمال الزراعة الموسمية والرعي، وتساعد المشايخ في إدارة شؤون إقطاعتهم. ومنها تشكل قوة المقاطعة العسكرية في الحرب بقيادة المشايخ.

٤ـ طبقة الفلاحين والصناع والحرفيين (معظمهم من المسيحيين). على إنتاج هذه الطبقة تقوم القاعدة الاقتصادية للمقاطعة، فهي متفرغة للقيام بالأعمال الزراعية طوال السنة. ويأخذ كل فلاح مقابل ذلك حصته من الإنتاج الزراعي، وتقع على المشايخ مسؤولية أمنه، وتأمين المساعدات العينية له في حال نفاد مخزونه من الطعام قبل المواسم.

وقد برز من هذه العائلة ـ يقول الدكتور أحمد أبو سعد ـ رجل اسمه جنبلاط اشترك سنة ١٧١٠ مع الأمير حيدر الشهابي في نزاعه مع الوالي محمود باشا أبو هرموش في موقعة غزير وموقعة عين دارة، فاقطعه الأمير حيدر مقاطعة الجرد ولقبه بالأخ العزيز (انظر **أخبار الأعيان ومعجم أعلام الدروز**).

أسرة عربية عريقة

ويضيف أبو سعد: «ومهما يكن نصيب هذا القول والأقوال التي سبقته من الصحة، فأسرة عبد الملك أسرة عربية عريقة كان لها دور فاعل في تاريخ الجبل اللبناني. وقد أخرجت عدداً من رجال الوجاهة والسياسة والبطولة والعلم. نذكر منهم: الشيخ شبلي عبد الملك أحد معاصري الأمير بشير الشهابي (١٨٢٠) ويوسف بن سليم بن كليب بن جنبلاط بن عبد الملك (ت ١٨٦٠) الذي استقدم آل برطاليس لبناء مصنع للحرير في بتاتر سنة ١٨٤٨. وأمّن لمنطقته الازدهار الاقتصادي والاجتماعي في فترة من الزمن، وكان مصنعه أول مصنع للحرير في لبنان وفيه نحو عشرين دولاباً. والشيخ ناصر الدين عبد الملك مدير مقاطعة الجرد الأعلى في أعقاب حوادث الستين (ت ١٨٩٤) وعضو مجلس الإدارة (دورة سنة ١٨٨٥) وعبد المجيد بن يوسف عبد الملك (١٨٤٠ ـ ١٩١١) مرافق السلطان العثماني عبد العزيز وحامي رأسه، وأمين بن محمد عبد الملك عضو مجلس إدارة لبنان في عهد المتصرفية، وفؤاد بن ناصر الدين بن جنبلاط بن كليب عبد الملك (١٨٧٨ ـ ١٩٥٤) مدير ناحية الجرد الشمالي سنة ١٩٠٣، وعضو مجلس الإدارة سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١١، وهو الذي وقف في وجه المتصرف نعوم باشا وألف مع بعض الزعماء الشوفيين حزباً وسطاً بين الحزبين اليزبكي والجنبلاطي حزب (الثالوث) ونجيب بن أمين بن عبد الملك (١٨٨٧ ـ ١٩٢٣) عضو مجلس الإدارة دورة ١٩١٥، وعضو وفد الحكومة الفيصلية إلى مؤتمر الصلح في فرساي ١٩١٩ وناظر المعارف في المعهد الفرنسي سنة ١٩٢٢، وابراهيم مجيد عبد الملك (١٨٨٥ ـ ١٩٤٤) وهو أديب،

شاعر ومناضل سياسي، والطبيب الدكتور توفيق بن كامل عبد الملك (١٨٩٠ ـ ١٩٤٨) والمهندس فؤاد بن أمين عبد الملك (١٨٩٨ ـ ١٩٧٤) رئيس دائرة الهندسة السابق في بيروت والمهندس أمين عبد الملك، والمحاميان سامي اميل عبد الملك وعامر سلمان عبد الملك، المفتش في الضمان الاجتماعي ونديم عامر عبد الملك، وحافظ شكيب عبد الملك رئيس منطقة لبنان الجنوبي في وزارة الهاتف وأخوه أنيس شكيب عبد الملك رئيس دائرة الشباب والتربية الشعبية في مديرية الرياضة والشباب. وأخيراً لا آخراً عبد المجيد عبد الملك مؤلف **تاريخ الإقطاع في لبنان**»، وقد اعتمدنا عليه في كثير من المعلومات عند كتابه هذا البحث.



عبد المجيد يوسف عبد الملك

(من كتاب **تاريخ الإقطاع في لبنان**)

كان بودنا أن نسجل سير هذه الشخصيات والوجوه البارزة من آل عبد الملك، ولكننا لم نتوصل إلى ذلك بسبب ندرة المصادر وقلتها، ما توصلنا إليه فقط سيرة فؤاد بك عبد الملك، وابراهيم بك عبد الملك، وجدناهما في كتاب **تاريخ الإقطاع في لبنان** وننقلهما بالنص الكامل عن المصدر المشار إليه.

فؤاد بك عبد الملك

«هو فؤاد ناصر الدين عبد الملك ولد في بتاتر حوالى نهاية العقد السابع من القرن التاسع عشر، وحصّل ثقافة عالية ودرس الحقوق في الاستانة. اشترك في الحياة السياسية حين عودته فانتخب عضواً في مجلس الإدارة (وهو مجلس أنشئ بموجب تنظيمات بروتوكول ١٨٦٤ ويضم اثني عشر عضواً مبعوثين من ٨ مناطق، وقد أضيف إليهم مندوب ثالث عشر عن مديرية دير القمر).

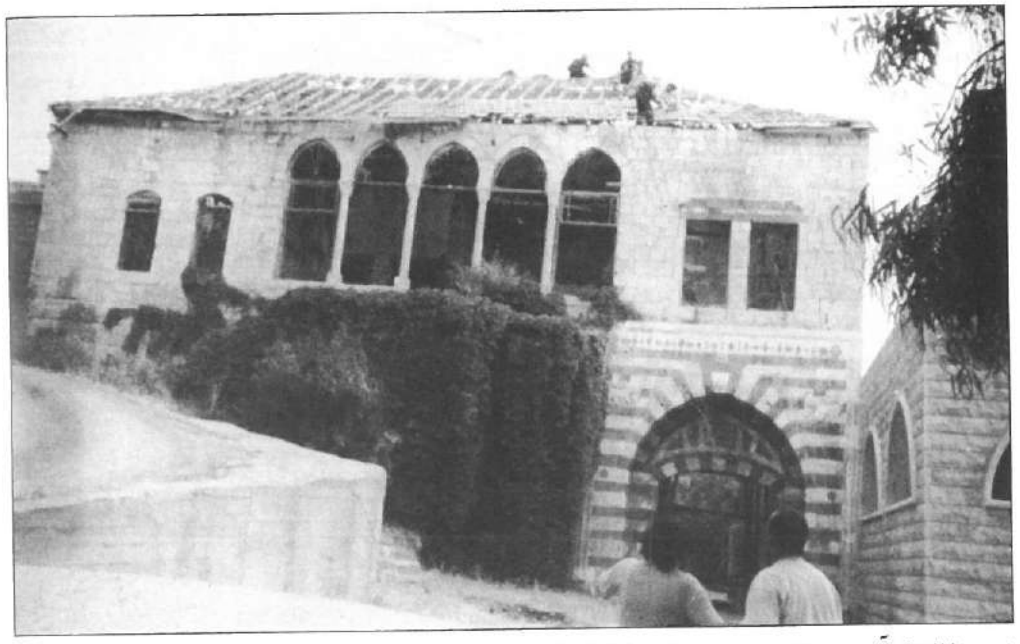
انتخب لأول مرة عام ١٩٠٥ عضواً في هذا المجلس عن الجرد. وكان مجلس الإدارة عين فؤاد بك عبد الملك وسليمان بك كنعان لإجراء تفتيش في دائرة الحقوق الاستثنائية في كانون الثاني من عام ١٩١١. وانتخب عضواً للمرة الثانية في مجلس الإدارة عن منطقة جزين في آذار من العام ١٩١١. وقد لاقى انتخابه في جزين ترحيباً واستحساناً وتجلى ذلك في كتابات وتعليقات الصحف الصادرة آنذاك. وأعيد انتخابه للمرة الثالثة عن جزين كذلك في ١٩٢٠/٢/٢٠ وبقي عضواً في ذلك المجلس، حتى أصدر الجنرال غورو قراراً بإلغائه عام ١٩٢٠. وكانت سياسته تقوم



أعضاء مجلس إدارة جبل لبنان ١٩١٩ وفي أقصى اليسار فؤاد بك عبد الملك واقفاً

على معارضة الفساد المستشري في الدولة العثمانية، وخصوصاً داخل متصرفية جبل لبنان ما أدى إلى نفيه أكثر من مرة. ولعل اللائحة الإصلاحية التي تقدم بها نعوم باشا (١٨٩٢ ـ ١٩٠٢) إلى مجلس الإدارة حين توليته متصرفية جبل لبنان، هي وثيقة صارخة على مدى استشراء هذا الفساد. ولكن الإصلاح الذي وعد به نعوم باشا لم يتم، فكانت سياسة الجناح المعارض في مجلس الإدارة، وبالأخص معارضة فؤاد بك تتسم بالعنف، والصراحة وعدم المهادنة وكان أنوفاً، عنيداً وجريئاً في الوقت نفسه. ومن مواقفه المشهودة في إحدى جلسات المجلس قوله لمظفر باشا حين صرخ في وجه أعضاء المجلس باللغة الفرنسية Tesez-vous أي اخرسوا. لانهم لم يوافقوا على مشروعه: «باسمي وباسم جميع زملائي في المجلس أرد لك كلمتك بنفس حروفها». فساد المجلس وجوم شديد وغلب الترقب عليه. انسحب مظفر باشا غاضباً فيما أخذ فؤاد بك يتمشى جيئة وذهاباً، بانتظار دعوته الدخول إلى مكتب الباشا، فدخل، دعا مظفر باشا إلى الجلوس وطلب منه أن يشاركه في تناول فنجان قهوة معه، واعتذر إليه متذرعاً بالتسرع فقبل فؤاد بك اعتذاره مشترطاً أن يقدمه للمجلس بكامل أعضائه فخرج الباشا واعتذر لهيئة المجلس، وخص بالاعتذار فؤاد بك وتابع المجلس أعماله فأسقط المشروع موضوع الخلاف.

وفي شهر آذار من العام ١٩١٥، حل مجلس الإدارة القديم وعين مجلس إدارة جديد برئاسة الأمير سليم أبي اللمع تألف من: أحمد الحسيني، سليم داود ثابت، حسين الحجار، الامير سامي أرسلان، عقل أبي صعب، الدكتور زخور العازار، يوسف برودويل، فؤاد عازوري، أسعد مخايل لحود المقدم رشيد مزهر، ابراهيم الاسود، اسكندر الخوري، وكان من نصيب فؤاد عبد الملك، وهو



في هذا المنزل لآل عبد الملك وقع إعلان استقلال لبنان

(تاريخ الإقطاع)

من أبرز المعارضين، أن ألقي القبض عليه ونفي إلى اسكيشهر في تركية وبقي تحت الإقامة الجبرية فيها. وكان أسس في هذه الفترة مع الشيخ مصطفى العماد والشيخ محمود جنبلاط حزباً سياسياً، أطلق عليه اسم «حزب الثالوث». وما لبث أن انضم إليه في ما بعد الأمير توفيق أرسلان.

وعندما دخل الأمير فيصل دمشق وانسحب الأتراك من سوريا ولبنان، ودخل الجيش الفرنسي لبنان، أرسل الأمير فيصل شكري باشا الأيوبي حاكماً على لبنان، فأعاد لمجلس الإدارة اعتباره واعتبره بمثابة حكومة مؤقتة ونصب على رأسه حاكماً مسيحياً مراعاة لبروتوكول ١٨٦٤ هو حبيب باشا السعد، وارتفع العلم العربي فوق سراي بعبدا وسراي بيروت، وعندما بلغ هذا الأمر مسامع فؤاد بك في منفاه فرّ من معتقله في اسكيشهر فلاحقته الشرطة، وتعرّفت على حقائبه في مركز الحدود التركية فتركها بعهدة الشيخ فريد العماد، فصادرتها الشرطة، واستطاع هو العودة إلى بتاتر مسقط رأسه. وعندما انحسرت سلطة الأمير فيصل على لبنان عاد مجلس الإدارة لمعارضة السلطات فاتخذ جملة قرارات جريئة منها:

- في ٩ تشرين الأول ١٩١٨ قرر إرسال وفد إلى مؤتمر الصلح في فرساي، فأوفد نجيب عبد الملك لهذه المهمة.
- في ٢٠ أيار ١٩١٩ طالب الحكومة الفيصلية بإعلان الاستقلال التام وبإنشاء مجلس نيابي.
- في ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٩ رفض المجلس تدخل السلطة الفرنسية في النظام الداخلي للمجلس.

دولة لبنان الكبير

- في ١٠ تموز ١٩٢٠ رفع سبعة أعضاء من هذا المجلس: هم سعد الله الحويك، خليل عقل، سليمان كنعان، محمود جنبلاط، فؤاد عبد الملك، الياس الشويري، محمد الحاج حسن مضبطة إلى مؤتمر الصلح في باريس يحتجون فيها على تصرف السلطة الفرنسية، ويعلنون استقلال لبنان التام المطلق، وقرّر هؤلاء الذهاب إلى دمشق والانضمام إلى حكومة الأمير فيصل، وفي الطريق إلى دمشق أصدر الجنرال غورو أمراً باعتقالهم وهم في ظهر البيدر.. أبعد فؤاد بك إلى أرواد منفياً ثم إلى كورسيكا فباريس. وبعد ذلك بيومين في ١٢ تموز ١٩٢٠ أصدر الجنرال غورو قراراً بإلغاء مجلس الإدارة، وعين لجنة إدارية مكانه مؤلفة من ١٧ عضواً برئاسة حبيب باشا السعد، وأعلن قيام دولة لبنان الكبير.

لا نعرف بالضبط المدة التي قضاها فؤاد عبد الملك في منفاه الثاني، ولكن ما عرفناه أنه بعد عودته من باريس، أضاع معظم الثروة التي ورثها بسبب مواقفه السياسية المعارضة، وبالرغم من ذلك استمر في سياسة المعارضة، فأصدر بالتعاون مع شفيق بك الحلبي جريدة **المنبر** التي كان يملكها المناضل الوطني علي ناصر الدين الذي راح يكتب المقالات العنيفة ضد الانتداب والاستعمار وقد شاركه نسيبه ابراهيم بك عبد الملك الذي كان يوقع باسم مستعار: «ابن الريف». أصدر الحاكم الفرنسي قراراً بإقفال الجريدة، وكان فؤاد بك قد أرهقه النضال وتبددت ثروته، وفقد الكثير من صحته ونشاطه فتوقف عن العمل السياسي وهو بعمر ٨٥ عاماً، فتوفاه الله، ودفن في قريته بتاتر في العام ١٩٥٤.

إبراهيم بك عبد الملك

هو إبراهيم بن عبد المجيد عبد الملك. مناضل سياسي وشاعر. ولد في بتاتر عام ١٨٨٥. والده كان ضابطاً في الحرس الامبراطوري الخاص بالسلطان عبد الحميد الثاني، وذلك حين عمل هذا الأخير على لمّ شمل الأمبراطورية العثمانية وتحقيق الإصلاح فيها، فكان من جملة إجراءاته أن استدعى عدداً من أبناء الأعيان في أرجاء أمبراطوريته، وشكل منهم حرساً خاصاً يقرب أعيان المملكة منه، فعين من آل عبد الملك: عثمان بك عبد الملك، وعبد المجيد بك عبد الملك. وقد حمل من تقلد هذا المنصب لقب «حامي رأس السلطان».

تلقى إبراهيم علومه في مدرسة الحكمة في بيروت، وكان من رفاق صباه الشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) وشبلي الملاط، ثم تابع تعليمه العالي في دراسة الحقوق. وحين شب عين مديراً للجرد الشمالي، لكن جمال باشا عزله من ضمن حملته باضطهاد الزعماء الوطنيين.. وكانت بينه وبين الأميرين شكيب وعادل أرسلان علاقة صداقة شخصية.

ومن مرويات شعره أنه في عام ١٩١٥ حضر الأمير شكيب أرسلان (وكان يومها عضواً في مجلس المبعوثان في اسطمبول) يرافقه قاسم بك اليوسف حمادة العقيلي من آل دمج إلى بتاتر.

وكانت مهمة الأمير شكيب تطويع رجال من الجرد للانضمام إلى الجيش التركي، فدعاهم الشيخ بشير علي عبد الملك إلى مائدته فارتجل إبراهيم عبد الملك هذه الابيات، متوجهاً إلى الأمير شكيب أرسلان:

يا من يجاهد في حب النبي ومن
يستقبل الحرب مسروراً وفرحانا
إن الجهـاد لديـن اللـه غايتـنا
ففي الكـتاب به الرحـمن أوصانا
فسر وأنت أمير السـيف سيده
نسـر شيـوخاً وأطفـالاً وشبانا
قد جرّد القوم فرسـاناً منظمة
وأنـت نظـمت فرسـاناً وإيمانا

استدعاه الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق بهدف توليته مسؤولية في الدولة التي فكر في إنشائها، إلا أن تسارع الاحداث وسقوط دولة فيصل بعد معركة ميسلون حالا دون ذلك، فعاد إلى لبنان، واستأنف نضاله ضد الانتداب الفرنسي. وما هي سنوات حتى نشبت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، فكان لها امتداد ثوري في لبنان تمثل في تنظيم سري يقدم المعونات ويجمع التبرعات مبشراً بانتصارها. فشارك إبراهيم في هذا التنظيم الذي كان سبباً في توطيد علاقته مع عادل بك النكدي الذي استشهد في أثناء هذه الثورة ودفن في حوران. وقد رثاه إبراهيم بقصيدة أبرزت رؤياه العربية الوحدوية، وفيها اعتداد بعروبته وإبراز لتنوخيته وانتسابه إلى هذا الجذر العربي الطيب. ومما جاء فيها:

لا فرق إن دفنوك في لبنان
أو في الجزيرة أو ربى حوران
فجميعها الوطن الفسيح ليعرب
جد التنوخيين والنعمان
ومروجها المرعى الخصيب لخيلهم
من عهد عدنان إلى غسان
وضريحك الغالي محطّ رحالهم
ومحجّة لقصيّهم والداني
وإليه حج المؤمنون وأنزلت
فيه الركائب من بني قحطان
ليت الرصاصة لم تصبك وليتها
خرقت حنايا أضلعي وجناني
وليت راميها رآك وأنت كا
لأسد الجريح تجول بالميدان

لوهت عزيمته وطار صوابه
ورست رصاصته بغير مكان

توفي في ٣ تموز ١٩٤٤، وطلب أن يحفر على شاهد قبره هذان البيتان من الشعر:

عشتُ ستين بأرض
خيّمت فيها الذلة
ليتها عشرين كانت
في بلاد مسـتقلة

نجيب أمين عبد الملك

اسمه الكامل: هو نجيب بن أمين بن محمد بن أحمد عبد الملك. ولد في بتاتر (قضاء عاليه) في العام ١٨٨٧. تلقى علومه في مدرسة عينطورة وأكملها بباريس، وفي العام ١٩١٤ نال شهادة الحقوق وتدرج في مكتب والده المحامي أمين عبد الملك. في العام ١٩١٥ انتخب عضواً في مجلس الإدارة عن قضاء جزين. وفي العام ١٩١٩ كان عضواً من الوفد اللبناني إلى مؤتمر الصلح في فرساي. وفي العام ١٩٢٢ ترشح للانتخابات على لائحة داود عمون، وعندما انسحب داود عمون وعين ناظراً للمعارف، انسحبت اللائحة وبقي بعض المنفردين. وفي كانون الأول من العام نفسه عين ناظراً للمعارف خلفاً لداود عمون.

كانت له اليد الطولى في تنظيم مدرسة الصنائع والفنون وفي تحسين مناهج التعليم. توفي في تشرين الثاني ١٩٢٣.

المراجع

١ ـ كتاب **أخبار الأعيان** لطنوس الشدياق، أعاد طبعه ووضع فهارسه الدكتور فؤاد البستاني عام ١٩١٧.

٢ ـ **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات** للدكتور أحمد بو سعد، دار العلم للملايين، ١٩٩٧.

٣ ـ **تاريخ الإقطاع في لبنان**، تأليف عبد المجيد عبد الملك، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، نيسان ٢٠٠٠.

٤ ـ **عشر سنوات في جبل لبنان: ١٨٤٢ ـ ١٨٥٢**، تأليف تشارلز تشرشل.

٥ ـ **التنوخيون**، نديم حمزة، دار النهار، ١٩٨٤.

آل تلحوق

هي أسرة من أسر الموحدين الدروز، ينسبها المؤرخ عيسى المعلوف إلى قبيلة بني عزام العربية على ما جاء في **دواني القطوف** (ص ٢٠٦)، إذ قال «ينتسب المشايخ التلحوقيون إلى قبيلة بني عزام العربية التي كانت مخيمة في الجزيرة الفراتية، برحوها مع الامير معن الايوبي إلى الشام فاستقدمهم إليه في حوران الأمير عامر الشهابي فاقاموا هناك إلى أن انتقلوا إلى وادي التيم ثم إلى بيروت سنة ١١٤٤ ثم انتقلوا إلى ما بين الشويفات وكفرشيما ثم إلى عيتات، وهناك صاروا قيسيين وتولوا بعض الشؤون. واشتهر منهم الشيخ حسين الذي لقب بلسان الدروز لفصاحته، ومنهم عزتلو ملحم بك الذي تولى دائرة الجزاء في متصرفية لبنان والبكباشي عزتلو حميد بك وغيرهم».

تاريخ المسلمين الموحدين

ويؤكد هذا الرأي ما جاء في **تاريخ المسلمين الموحدين الدروز** لمؤلفه الدكتور صالح زهر الدين (ص ١٠٠): «يعود آل تلحوق بنسبهم إلى إحدى القبائل العربية من بني عزام من عرب الجزيرة الفراتية، اتخذوا من وادي التيم مقراً لهم في أول الأمر، ثم انتقلوا منها إلى بيروت بعد خلافهم مع الشهابيين، ومنها إلى غرب كفرشيما»، حيث «دهمهم أمراء آل جمال الدين التنوخيون فقتل أفراد الأسرة ولم يبق منهم سوى أحمد الذي استقر في عيتات» (راجع محمد كامل حسين، **طائفة الدروز**، ص ١٩) كانوا حلفاء المعنيين، حتى أن أحد زعمائهم: الشيخ محمد التلحوقي عين نائباً للامير حسين بن فخر الدين سنة ١٦١١ في سنجقية إربد وعجلون (على ما يقول عيسى المعلوف في كتابه **تاريخ فخر الدين المعني الثاني** ص ٩٢ ـ ٩٣) كما وقفوا أيضاً إلى جانب الشهابيين في معركة عيندارة بقيادة زعيمهم محمد تلحوق وولده شاهين، حيث انتزع الأمير حيدر شهاب ولاية الغرب الأعلى من الامير يوسف أرسلان لانه يمني، وسلمها إقطاعاً للشيخ محمد، وتولى المشيخة بعده ابنه شاهين. ويضيف الدكتور زهر الدين: «كانوا دروزاً وتمسكوا بمذهبهم بعناد وصلابة بشخص زعيم الاسرة الشيخ حسين تلحوق، الملقب «بلسان الدروز» حيث دعاه الأمير بشير

الثاني لاعتناق الدين المسيحي، ونشره بين الدروز فرفض الشيخ ذلك الطلب مما أدى إلى اعتقاله أربعة أيام، أطلق سراحه بعدها بتدخل من محمد علي باشا والي مصر. واليوم يتخذ التلاحقة من عاليه (الغرب) مقراً لهم بعد أن كانت سيطرتهم تشمل الغرب الأعلى، عيتات، بيصور، عاليه، وراس بيروت».

معجم أعلام الدروز

وجاء في كتاب **معجم أعلام الدروز** نبذة مختصرة عن هذه العائلة: «ينتسب التلاحقة إلى بني أسد، ومنهم من ينسبهم إلى بني عزام من قبائل الجزيرة الفراتية. والذين يفضلون الانتساب إلى بني أسد يؤكدون أن الاسد كان شعار العائلة، نطمئنهم إلى أن العزام في اللغة معناه الأسد، ويبقى الشعار صحيحاً في كلا الانتسابين، وتبقى الأسرة من أصل عربي صحيح. أتى أجداد هذه الاسرة إلى دمشق مع الأمير مالك الشهابي القرشي في حملة أسامة بن زيد ولبثوا فيها مدة، ثم رافقوا الامير عامر الشهابي إلى حوران فاقاموا هناك حوالى مئة سنة واعتنقوا مذهب التوحيد، ثم رحلوا مع الشهابيين إلى وادي التيم ليستقووا بأبناء ملتهم، واستقروا في راشيا وذهب بعضهم إلى الاردن وسلائلهم اليوم هناك يعرفون بآل المجالي».

عائلة نجاح

وفي سنة ١٢٤٤ حدثت فتنة بينهم وبين آل شهاب فنزحوا باستثناء واحد منهم بقي هناك مستخفياً ثم نجح في استرضاء الشهابيين ونجح في أعماله فلقب بنجاح وإليه تنسب عائلة نجاح الموجودة الان في وادي التيم. أما الذين نزحوا فسكنوا رأس بيروت، وتملكوا أراضي امتدت من الروشة إلى ما نعرفه اليوم بجنينة الصنائع. وفي ذات يوم حدث خلاف بينهم وبين أحد أمراء الحمراء الذين ينسب إليهم شارع الحمرا الحالي، فقتلوه وانتقلوا إلى أرض الفيجانية بين الشويفات وكفرشيما وعمروها وذلك في نحو سنة ١٤٤٠ وسلموا أملاكهم في بيروت بالشراكة مع اصدقائهم من البيروتيين، اخصهم من آل عيتاني وجلول والغول ويموت وشاتيلا. وظلوا يترددون إلى بيروت لتفقد املاكهم. وحدث يوماً نزاع بينهم وبين الأمراء آل جمال الدين التنوخي فدهموهم ليلاً وقتلوا من التلاحقة تسعة رجال ونجا ثلاثة فروا إلى حومال في نحو سنة ١٥٧٠ فتوفي منهم محمد وحسين بلا عقب وبقي أحمد المكنى جنبلاط، وهو جد العائلة الموجودة حالياً.

وقدم إليه بعد ذلك بعض وجوه عائلة ابي نجم اليمنية من عيتات وقامت بينهم صداقة فطلبوا إليه بعدها أن يذهب معهم ويسكن عيتات فاستجاب إلى دعوتهم وسكن معهم ولم يلبث أن صيّرهم قيسيين مثله. وبنى اول بيت للتلاحقة في عيتات سنة ١٦٠٠ وتوفي سنة ١٦١٠. أما اسم تلحوق فالمرجح أنه نسبة إلى «تل حوق» الذي كانت تقيم عنده قبيلة بني أسد في الجزيرة العربية وهو المعروف حالياً «بجبل حوق».

حمايتهم للنصارى

عرف آل تلحوق بحمايتهم للنصارى منذ مطلع القرن الثامن عشر حتى أن الشيخ حسين علي بشير شاهين تلحوق ذهب سنة ١٧٣٠ مع الخوري صالح عبد الله الخوري والد الشيخ غندور السعد إلى روما تحضيراً لمجمع الكنائس المارونية. وقد تكللت المساعي بالنجاح وعقد المجمع سنة ١٧٣٦ في اللويزة.

وكان التلاحقة بأكثريتهم يوالون الأمير بشير الشهابي الثاني لكنهم لم يسلموا من نقمته وابتزازه من حين إلى حين. وجاء في مقدمة **تاريخ الأمير حيدر الشهابي** تحقيق أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني أن المعمرين في شملان يقولون إن التلاحقة قدموا شملان إلى الأمير حيدر أحمد الشهابي جزاء توسطه لهم في الحصول على عفو الأمير بشير عنهم».

الكلمة الفصل

أما الكلمة الفصل في أصول هذه العائلة ونشأتها وتنقلاتها واستقرارها في لبنان فيقولها ابن العائلة السفير ملحم ابراهيم تلحوق في كتاب أصدره عام ١٩٨٥. وقد استقى معلوماته على ما روى في المقدمة من «كتاب الأمير حيدر الشهابي، وكتاب الشيخ طنوس الشدياق، وكتاب إبراهيم الاسود، «وبعض الوثائق القديمة المحفوظة لدينا وغيرها من المراجع اللبنانية والأجنبية». وهو الكتاب الذي اعتمدنا في كتابة هذه الدراسة. «يقول المؤرخون وكبار العائلة مما سمعوه عن أسلافهم أن التلاحقة ينتسبون إلى قبيلة بني أسد. وقد جاء مؤسسو العائلة إلى هذه البلاد مع الامير مالك الشهابي القرشي في حملة أسامة بن زيد ولي النبي (صلعم) لفتح الشام في القرن السابع للميلاد». وبعد أن أتموا مهمتهم مكثوا في دمشق برهة من الزمن انتقلوا بعدها بصحبة الأمير عامر الشهابي إلى حوران حيث أقاموا مدة تقارب المئة سنة. وفي هذه الأثناء كان الصليبيون يحتلون وادي التيم وقد ضعفت شوكتهم فرأى الشهابيون الفرصة مناسبة لزحزحتهم فجردوا حملة إلى الوادي رافقهم فيها التلاحقة فدخلوا راشيا واستقروا فيها وحاربوا الصليبيين في حاصبيا وأبعدوهم عنها. وفي هذه الأثناء جاءت الدعوة الدرزية فاعتنق عدد من الشهابيين والتلاحقة معهم المذهب الجديد.

أما اسم تلحوق فكان قدماء العائلة يعتقدون أنه لقب وضعه للعائلة الأمير مالك الشهابي، لأن معاونه رئيس العائلة كان خلال المواقع التي أدت إلى احتلال دمشق يكثر من الترداد على كل من رجاله لعبارة «حوق التل حوق» إذ أن الموقعة الكبرى جرت في التلال المحيطة بالمدينة فلزم هذا اللقب القائد الأول وعائلته. إلا أن التحقيقات التي أجريناها أثبتت أن في الجزيرة العربية حيث تقيم قبيلة بني أسد محلة معروفة حالياً باسم «جبل حوق»، وهذا الجبل قليل الارتفاع، فكان الاقدمون يطلقون عليه اسم «تل حوق»، وأجدادنا الأسديون أصلهم من تلك المحلة، واسمهم الحالي مستمد منها، كما أن أقاربنا العماديين أصلهم من العمادية في العراق. مع العلم بأن الأسد كان دوماً

شعار العائلة. وعندما بنى أحمد أبو جنبلاط أول بيت للعائلة في عيتات سنة ١٦٠٠ غربية وضع على مدخل الدار أسدين من الحجر المنحوت أحدهما لا يزال محفوظاً إلى الآن في دار الشيخ أسعد حمد تلحوق وقد نقله معه إلى عاليه عندما انتقل نهائياً إلى هذه البلدة سنة ١٩٢٨. وقد سبق لأحد كبار رجال العائلة أن غضب من تصرف بعض أقاربه فلقب نفسه بالأسدي نسبة إلى القبيلة التي أتت منها العائلة.

عرب من بني أسد

«وهنالك روايات مختلفة عن أصل العائلة، إلا أن جميع المؤرخين اللبنانيين **ودائرة المعارف** ينسبون العائلة إلى أصل عربي فمنهم من ينسبها إلى بني عزام وهم فرع من أزد عمان مواطنهم الأصلية في الجزيرة الفراتية ومنهم من ينسبها إلى بني أسد. وعلى كل حال فإن الأصل العربي للعائلة لا شك فيه ويثبت ذلك أسماء قدماء أفراد العائلة مثل محمد وأحمد وشاهين وابراهيم واسماعيل. ورواية الانتساب إلى بني أسد هي باعتقادي أصح الروايات وقد سمعت الكثير عنها من شيوخ العائلة ولاسيما من القاضي المرحوم علي عباس تلحوق الذي كان ملماً بالتاريخ والذي توفي في العشرينات من القرن الحالي».

ويتابع السفير تلحوق تسلسل أبناء العائلة ويشير الى تنقلاتهم وتحالفاتهم وخلافاتهم، وإلى بعض المصاهرات مع سائر العائلات وتأثيرها في عملية الاستقرار على الأرض. فيقول: «انتقلت العائلة من دمشق إلى حوران، ثم جاء معظم أفرادها بصحبة الشهابيين إلى راشيا، بينما توجه عدد قليل منهم إلى شرق نهر الأردن حيث عرفوا هناك باسم آل المجالي.

وفي العام ١٢٤٤ اختلف التلاحقة مع الشهابيين في راشيا، فرحلوا عن المنطقة وتوجهوا إلى ضواحي بيروت، إلا أن واحداً منهم استخفى مع أفراد أسرته وبقي في وادي التيم، فلقبه عارفوه بالثعلب ولبسه اللقب مدة طويلة حتى تحسنت الأحوال بينه وبين الامراء الشهابيين فعفوا عنه وعاد إلى الظهور في الاجتماعات العامة، فنجح في سياسته ولقبه أصدقاؤه باسم نجاح. وعائلة نجاح معروفة حالياً في وادي التيم «وأفرادها أقاربنا».

إلى ضواحي بيروت

أما الذين نزحوا إلى ضواحي بيروت فقد اشتروا معظم الأراضي الواقعة خارج السور إلى الجهة الجنوبية، ولاسيما رأس بيروت فبنوا لهم المساكن وأشرفوا على زراعة البساتين بشجر التوت. ومكثوا في هذه المنطقة حوالى مئتي سنة انتهت بخلافات بينهم وبين أمراء بني الحمراء، فغادروا بيروت إلى الفيجانية، وهي أرض تخصهم تقع بين الشويفات وكفرشيما. وكان ذلك حوالى ١٤٤٠. لم تطب لهم الإقامة في هذه المنطقة بسبب سيطرة آل جمال الدين عليها، فقرروا الصعود إلى الجبل حيث حطوا رحالهم في حومال. كان ذلك حوالى ١٥٧٠. أقاموا في حومال

لفترة من الزمن كانوا خلالها على علاقة ودية مع أصدقائهم من عائلة أبي نجم في قرية عيتات، وقد ألح وجوه عائلة أبي نجم على أحمد تلحوق لينتقل إلى بلدتهم ويقيم فيها، ولاسيما وقد أصبح أحمد وحيداً في حومال بعد وفاة شقيقيه محمد وحسين. وافق أحمد على رغبة أصدقائه وانتقل مع جماعته إلى عيتات وأقام نهائياً فيها. توفي أحمد سنة ١٦١٠ ودفن في عيتات في مدفن أقارب زوجته، وترك ولداً وحيداً اسمه جنبلاط الذي تزوج من آل عبد الملك، وكانوا على علاقة أخوية مع والده فأنجب ولداً وحيداً اسمه شاهين. شاهين تزوج من آل عماد وأنجب ولدين: محمد وبشير. وبعد هذا الزواج تمكنت روابط القربى والمحبة بين العائلات الثلاث: عماد وتلحوق وعبد الملك. محمد توفي عن ولد وحيد اسمه شاهين ثم توفي شاهين عن ثلاثة أولاد: محمد واسماعيل وأسعد. توفي محمد وأسعد بلا عقب، أما اسماعيل فقد نقل إلى عاليه وبنى له مسكناً في الحي المعروف إلى الآن بحي المشايخ وتزوج من آل أبي مصلح فكان المؤسس لعائلة تلحوق في عاليه. وبقي في عيتات كل من بشير وحمد.

خطار بن بشير انتقل من عيتات إلى بيصور وتزوج من آل القاضي في البلدة. وهكذا تمركزت العائلة في ثلاث نقاط من الغرب الأعلى: عيتات، وعاليه، وبيصور. لم يلمع من أفراد العائلة في بيصور سوى اثنين هما: حمود بن بشير وخطار بن حمود. وقد اضمحل فرع العائلة في بيصور، إذ لم يبق منها سوى حمود بن خطار الذي هاجر إلى التشيلي وأقام هناك وله ولد طبيب اسمه عمر. أما في عيتات وعاليه فقد اشتهر من أفراد العائلة العديدون.

وتوقف السفير تلحوق أمام حوادث العام ١٨٦٠ المؤلمة ودور أبناء العائلة فيها، وعلاقتهم مع المسيحيين في منطقة عاليه، والمعروف عن هذه العلاقة تاريخياً أنها كانت جيدة جداً ومتميزة لم تشبها شائبة، ومما قاله في هذا الصدد:

سجل توزيع الأسلحة

«والمعروف عن العائلة أنها كانت معتدلة في سياستها ولها أصدقاء عديدون بين المسيحيين كما هي الحالة حتى يومنا هذا. ومن مراجعة سجل توزيع الأسلحة على المواطنين في عاليه المحفوظ لدينا يتبين أن العائلات المسيحية كانت تحظى بعدد مماثل لعدد قطع الأسلحة التي كانت تسلم للعائلات الدرزية وذلك رغماً عن أن عدد أفراد المسيحيين أقل من عدد أفراد الدروز، فنرى مثلاً في السجل: مئة بارودة بفتيل إلى العائلات الدرزية مع مئة طبنجة ومثلها إلى العائلات المسيحية». وأضاف: «كما أكد لنا قدماء المواطنين ما سمعوه عن آبائهم أن محمود تلحوق وشقيقه ناصيف عندما نزلا بجماعتهما إلى الساحل لنصرة الدروز من غضب الشهابيين، كان بين فرسانهما عدد وفير من شباب المسيحيين في عاليه». و«إنه لم يحصل في عاليه أي خلاف بين الدروز والنصارى خلال حوادث سنة ١٨٦٠ وذلك بفضل وعي أهل المنطقة ومحبتهم بعضهم لبعض، والتوجيه الحسن الذي كان يوجهه زعماء العائلة. إن هذا الموقف الذي اتخذته العائلة من النصارى في المنطقة لم يمنعها من الاشتراك

في مواقع متعددة حصلت في الساحل أو في المتن أو في البقاع لهذه الأسباب، كان لا بد من إشراك آل تلحوق في التسوية النهائية التي لمع فيها اسم حسن الكبير. وكان من نتيجتها نفي جدينا ناصيف وأسعد إلى بلغاريا حيث توفيا، أما جدنا محمود فلم يستسلم للسلطة بل انتقل إلى سوريا وتوفي في جرمانا. فاستولى مرافقو الثلاثة على الأموال النقدية التي كانت مع أسيادهم.

في هذه الأثناء قررت الدولة العثمانية تقسيم جبل لبنان إلى قائمقاميتين واحدة للنصارى في المتن والأخرى للدروز في الشوف فاجتمع أعيان الطائفة من آل جنبلاط، وعماد، وتلحوق، وعبد الملك، واتفقوا على مبايعة الأمير أحمد أرسلان من الشويفات لهذا المركز، على أن يشركهم معه في السلطة».

مشاهير آل تلحوق

أحمد تلحوق (المعروف باسم أبي جنبلاط)

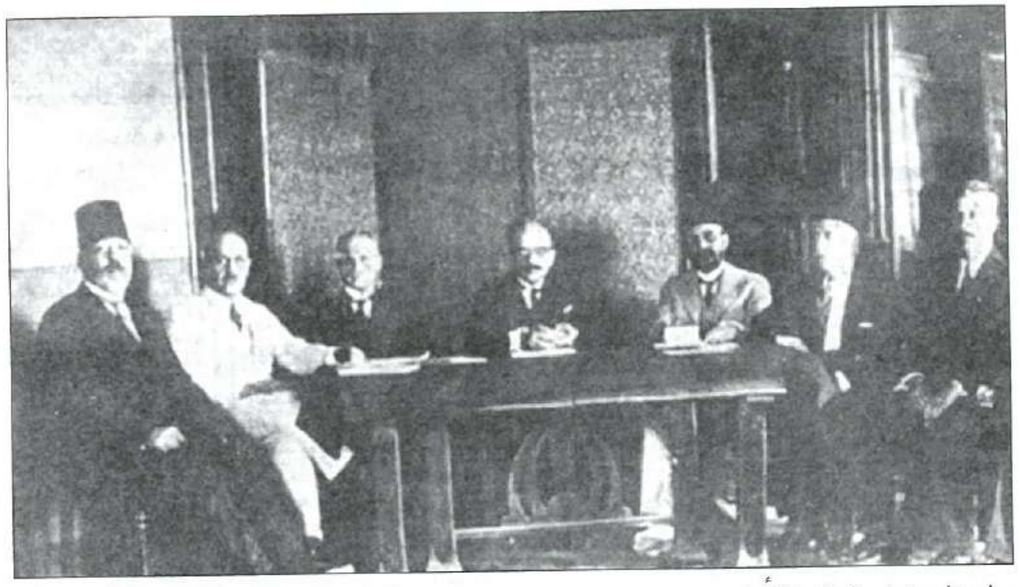
مؤسس العائلة في جبل لبنان. بنى بيت العائلة في عيتات فأصبح قبلة النظار المقاطعة الذين كانوا يتوافدون عليه ويستأنسون بمجلسه. تزوج فتاة من آل أبي نجم الذين تقربوا منه فأعطاهم اسمه، ورزق من هذا الزواج ولداً وحيداً سماه جنبلاط. توفي سنة ١٦١٠ ودفن في عيتات، ولا يزال مدفنه معروفاً إلى اليوم.

محمد تلحوق

هو محمد بن شاهين بن جنبلاط بن أحمد ولد في عيتات. ودرس اللغة العربية على أحد المشايخ السنيين الذي استقدمه والده من بيروت. وكان شجاعاً أديباً طلق اللسان. ظهرت شجاعته في معركة عين دارة الشهيرة ١٧١١ والتي انتهت بهزيمة محمود باشا أبي هرموش والحزب اليمني. كافأه الأمير حيدر على موقفه وانتزع الغرب الأعلى من يد الأمير يوسف أرسلان وأقطعه إياه بعد أن رفع مرتبته وكتب له الأخ العزيز.

شاهين تلحوق

هو ابن محمد ولد في عيتات وترعرع فيها ووصف بالشجاعة وإكرام الضيف. وقصته مع القلطقجي زعيم الانكشارية واستضافته له في عيتات ثم في عنجر أثارت العديد من الأسئلة حول براعته وأسلوبه الدبلوماسي في حلحلة العقد والأزمات من دون اللجوء إلى القوة والعنف.



سليم تلحوق في الحكومة الأولى

حسين تلحوق

هو حسين بن علي بن بشير ولد في عيتات سنة ١٨٠٠ وعرف باسم حسين الكبير نسبة إلى ابن عمه حسين فارس الذي كان أصغر منه سناً. كان صاحب رأي سديد في العشيرة اليزبكية التي كانت تجتمع في ديوانه قبل اتخاذ أي قرار هام. وكان فصيحاً فاستحق لقب: لسان الدروز. وله يرجع الفضل في بقاء الدروز في المتن الاسفل ولاسيما في بيت مري بعد حوادث العام ١٨٦٠. توفي عن اثنين وسبعين عاماً ودفن في عيتات.

حمود تلحوق

هو ابن خطار بن بشير ولد في بيصور، وكان رجلاً تقياً ورعاً. عينه داوود باشا متصرف جبل لبنان مع الأمير فندي شهاب لتخمين أملاك النصارى الذين غادروا حاصبيا وراشيا ولإعطائهم أملاكاً بديلة في حمانا، وتخمين أملاك الدروز الذين غادروا دير القمر ومبادلتها بأملاك في حاصبيا وراشيا. توفي في بيصور وهو بعمر ٧٢ عاماً.

سعيد بك تلحوق

ولد في عيتات سنة ١٨٢٧ ودرس في بيروت وعاد إلى عيتات سنة ١٨٥٧ حاملاً شهادة



فضل الله تلحوق

الحقوق. وبعد إعلان الدستور عين قائمقام على وادي التيم. ونجح في شؤون القائمقامية فعينته الدولة رئيساً لدائرة الجزاء في بعبدا حيث بقي مدة ٢٠ سنة. تزوج وأنجب ثلاثة أولاد هم محمد وجميل وعلياء. توفي في عيتات ١٩٠٣.

ملحم بك تلحوق

هو ملحم بن ضاهر بن حمد ولد في عيتات سنة ١٨٣١ ودرس في بيروت والاستانة وتخصص في علم الحقوق. عينته الحكومة العثمانية ياوراً في قصر السلطان في اسطمبول حيث بقى أربع سنوات، جاء بعدها إلى لبنان لاستلام وظيفة عضو في محكمة الحقوق في بعبدا، وعندما أحيل سعيد بك تلحوق على التقاعد عينته خلفاً له في دائرة الجزاء. أنعمت عليه الدولة بلقب بك وبوسام المجيدي الرابع. تزوج من السيدة بدر أسعد تلحوق ورزق منها سبعة أولاد هم: داود، سليم، نجيب، أمه، املي، أوجيني ولطيفة. توفي سنة ١٩٠٨ في عيتات.

حمد بك تلحوق

هو ابن أسعد بن حمد ولد في عيتات سنة ١٨٤٢. وتلقى علومه في بيروت. عين مديراً للغرب الشمالي سنة ١٨٩٠. تزوج من السيدة ندى عبد الملك ورزق ولدين: فريد وأسعد، وابنتين: أمينة وسامية. توفي في بيروت سنة ١٩٢٣ ودفن في عاليه.

عبد الحميد حسين تلحوق

ولد في عيتات، وتلقى دروسه في بيروت ثم دخل ضابطاً في الجندرمة اللبنانية، وسرعان ما أصبح برتبة بمباشي مساعد الأميرال. عين قائداً لمنطقة زغرتا فارتبط بصداقة مع قبلان بك فرنجية. كان من الدعاة للسياسة العربية والاستقلال ومحاربة النير العثماني، في العام ١٩١٤ نفته السلطة العثمانية إلى الأناضول حيث توفي فيها. متزوج من السيدة أميمه ملحم تلحوق وترك ولدين: حسين ومحمد أمين.

علي عباس تلحوق

هو حفيد حسين الكبير ولد في عيتات ١٨٦٥ ودرس في بيروت والآستانة. عينته الدولة قاضياً وسلمته رئاسة المحكمة البدائية في عاليه وبقي في هذا المركز سنوات عديدة. تزوج من السيدة سعدى حمد تلحوق ورزق ولداً وحيداً سماه وديع، وكان هذا الأخير شاعراً رفيعاً ولكنه توفي في ريعان شبابه. توفي عباس سنة ١٩٣٢ ودفن في عيتات.

جميل سعيد تلحوق

ولد في عيتات ١٨٧٢ ودرس في بيروت والآستانة حيث تخرج محامياً. مارس المحاماة، واشتغل في السياسة. تزوج ابنة عمه شبلي ورزق ثلاثة صبيان: سعيد، شبلي، وحسيب وابنة واحدة. ثم طلق زوجته وتزوج ثانية من الست أمينة ابنة حمد بك تلحوق. توفي سنة ١٩٣٠ في عيتات.

سليم تلحوق

ولد في عيتات ١٨٧١ ودرس في بيروت في جامعة القديس يوسف ثم نقله والده ملحم بك تلحوق إلى الجامعة الأميركية حيث تخرج طبيباً ثم تخصص في الخارج في فرنسا وبريطانيا وأميركا الشمالية في الجراحة العامة والعيون. تزوج اميليا حسين تلحوق ورزق محمود وعبد المنعم وعفت. عين عضواً في مجلس الشيوخ اللبناني، ثم وزيراً للصحة مرتين في حكومة أوغست باشا أديب. والثانية في حكومة الشيخ بشارة الخوري. وعين عضواً في مجلس النواب. توفي عام ١٩٥٣ في عاليه.

فريد حمد تلحوق

ولد في عيتات ١٨٧٢ ودرس في بيروت والآستانة حيث تخرج صيدلياً وعاد إلى لبنان ١٩٠١، فتح صيدلية له في بيروت في ساحة البرج. تزوج من السيدة أمينة محمد تلحوق فأنجبت له ولدين شكيب وشفيق، وابنتين خانم وسعدى. ابنه شكيب تخرج طبيباً وشفيق صيدلياً. توفي في بيروت سنة ١٩٤٧ ودفن في عاليه.

نجيب ملحم تلحوق

ولد في عيتات ١٨٧٣ وتلقى علومه في بيروت والآستانة. وتخرج صيدلياً. هاجر مع شقيقه

الدكتور سليم إلى مصر ثم عاد نهائياً إلى لبنان عام ١٩٢٥. تزوج من السيدة جمال شفيق النكدي ورزق ولداً وحيداً أسماه عمر. توفي في العام ١٩٢٩ ودفن في عيتات.

أسعد حمد تلحوق

ولد في عيتات ١٨٨٨ ودرس في الجامعة الأميركية في بيروت وتخرج فيها. سافر إلى بريطانيا لدراسة الهندسة، ولكنه لم ينه دراسته فعاد إلى لبنان واستلم إدارة أملاك والده. تزوج لطيفة محمود تلحوق وله منها ولد وحيد يدعى غالب وثلاث بنات.

محمد أمين تلحوق

ولد في عيتات ١٨٩٨. تخرج من الجامعة الأميركية طبيباً، وعين في حكومة السودان حيث أمضى عشرين سنة. عاد إلى لبنان وانخرط في «الحزب السوري القومي الاجتماعي»، فأنفق الكثير من أمواله في سبيل الحزب. في العام ١٩٣٩ أوقفه الفرنسيون في معتقل المية ومية حتى إعلان استقلال لبنان ١٩٤٣. في العام ١٩٤٤ هاجر إلى الأردن حيث عين في الجيش الاردني وأصبح برتبة زعيم معاون للطبيب الأول في الجيش. توفي في العام ١٩٧١ في الأردن.

شكيب تلحوق

ولد في بيروت ١٩٠٣ ودرس في جامعة القديس يوسف وتخرج طبيباً عام ١٩٢٧. تزوج سنية عبد اللـه تلحوق، وأنجب ولداً وحيداً سماه رجا وثلاث بنات: سلوى ومنى ومهى.

رجا شكيب تلحوق

ولد في بيروت سنة ١٩٣٧ ودرس فيها وتخصص بالأعمال الحسابية ومسك الدفاتر. متزوج من ابنة القاضي كامل بك مزهر وله منها ابنتان.

شفيق فريد تلحوق

ولد في بيروت ١٩٠٧ درس في جامعة القديس يوسف في بيروت وتخرج صيدلياً. تزوج من دمونا نجيب تلحوق ثم طلقها، وتزوج ثانية من عفت سليم تلحوق ولم ينجب أولاداً. توفي سنة ١٩٦٤ ودفن في عاليه.

محمود سليم تلحوق

ولد في مصر سنة ١٩١١ ودرس في بيروت في الجامعة الأميركية، وتخرج فيها مهندساً زراعياً واستلم إدارة أملاك والده. تزوج سلمى سامي أبو علوان، ولم ينجب أولاداً.

عبد المنعم تلحوق

ولد في مصر عام ١٩١٣ ودرس في الجامعة الأميركية في بيروت. وتخرج فيها مهندساً زراعياً. عمل أستاذاً في الجامعة الأميركية بالإضافة إلى وظيفته كعضو في مجلس البحوث الزراعية. شغل منصب مستشار زراعي في دمشق لمدة أربع سنوات. هو من علماء الزراعة المعدودين في لبنان. ألف كتاباً باللغة الإنكليزية عن **الآفات الزراعية** معتمد بين طلاب الجامعة الأميركية. أمضى في السعودية مدة تسع سنوات ألف في نهايتها كتاباً باللغة العربية عن **الآفات الزراعية في المملكة العربية السعودية**. تزوج رضا محمود تلحوق، وله منها ثلاث بنات.

عمر نجيب تلحوق

ولد في عيتات ١٩٢٧، درس في الجامعة الوطنية في عاليه. عمل موظفاً في إحدى الشركات التجارية، ثم موظفاً في مصرف سعد بعاليه ثم أصبح مديراً له. بعد توقف المصرف عمل في بنك الارز في بيروت. متزوج من ابنة الدكتور عبد المنعم تلحوق وله أربعة أولاد: رمزي، نبيل، ناجي وحسام.

خطار حمود تلحوق

ولد في بيصور سنة ١٨٦٤ ودرس فيها على بعض المشايخ من الطائفة. تزوج املي ملحم تلحوق وله ولدان: شكيب وحمود وابنتان. شكيب وحمود هاجرا إلى التشيلي. عين مديراً للغرب الشمالي سنة ١٩٠٠. توفي في عاليه ١٩٣٩ ودفن فيها.

حسين محمود تلحوق

ولد في عاليه ١٨٤٦ درس اللغة العربية في المنزل على يد أساتذة استقدمهم والده من بيروت. بعد وفاة والده كان بعمر الرابعة عشرة، فاستلم إدارة الأملاك فأحسن إدارتها. تزوج زلفا أسعد تلحوق، وأنجب ثلاثة أولاد: نسيب، ومحمود، وجميل، وثلاث بنات: لطيفة وشريفة واميليا. عين مديراً على الغرب الشمالي سنة ١٨٩٣، فشغل هذا المركز ثلاث سنوات. توفي في العام ١٩١٦.

نجيب محمود تلحوق

ولد في عاليه ١٨٥٣ ودرس اللغة على أساتذة في بيت والده. عينته الدولة مديراً للغرب الشمالي ١٨٩٦ بعد انتهاء مدة ولاية شقيقه الشيخ حسين. تزوج فريدة ملحم تلحوق وترك ولدين: فريد ورامز، وابنتين: أنيسة وأسماء. توفي عام ١٩٠٧.

ملحم ناصيف تلحوق

ولد في عاليه ١٨٥١، ودرس على أساتذة في بيت والده، ثم أنهى دروسه في معهد الحكمة في بيروت. عينته الدولة محاسباً لجبل لبنان في بعبدا، وقد ارتبط بصداقة أخوية بالسيد نمر شمعون والد الرئيس كميل شمعون. تزوج من السيدة زين أسعد تلحوق وأنجب ولدين: أمين وإبراهيم وثلاث بنات: لطيفة، فريدة وشريفة.

محمود حسين تلحوق

ولد في عاليه ١٨٧٢ ودرس في بيروت في معهد الحكمة وتخرج فيه. عين مديراً للغرب الشمالي ١٩٠٢. انتخب أول رئيس بلدية في عاليه ١٩٠٨. أعيد انتخابه لرئاسة البلدية سنة ١٩٢٧ بعد أن نجح شقيقه في النيابة. تزوج أدال محمد ناصيف تلحوق وأنجب ولدين: فضل الله وحسين وثلاث بنات: وداد، لطيفة ورضا. توفي في عاليه ١٩٦٠.

جميل تلحوق

ولد في عاليه ١٨٨٨ درس في الجامعة الأميركية في بيروت وتخرج طبيباً. ذهب إلى لندن للتخصص بالأمراض الداخلية. في العام ١٩١٤ عند نشوب الحرب الكونية الأولى عين طبيباً في الجيش العثماني. في العام ١٩٢٢ انتخب رئيساً لبلدية عاليه بالتزكية. في العام ١٩٢٧ انتخب نائباً عن المنطقة، واستمر لمدة ١٢ سنة، عين خلالها وزيراً للصحة ووزيراً للزراعة ووزيراً للتموين. في العام ١٩٥٣ انتخب مجدداً رئيساً لبلدية عاليه. أسندت إليه رئاسة الوزارة في عهد عبد الحميد كرامي. متزوج سامية حمد وله ولدان: عفيف وسامي.

نجيب محمد تلحوق

ولد في عاليه ١٨٨٢ ودرس في بيروت في مدرسة الحكمة وتخرج فيها. اهتم بإدارة أملاكه الواسعة وانتخب رئيساً للبلدية. تزوج بهية النكدي، ورزق أربعة أولاد: محمد، عمر، عبد المنعم

وخالد وابنتين: عائدة ودمونة.

إبراهيم بك تلحوق

ولد في عاليه سنة ١٨٨٤. درس في جامعة القديس يوسف في بيروت وتخرج فيها سنة ١٩٠١. عين في العام ١٩٠٥ مديراً للغرب الشمالي في العام ١٩١٦ ترك عاليه وانتقل إلى عاريا للاهتمام بأملاكه في الكحالة. عينته السلطات الفرنسية مديراً على الغرب نقل بعدها إلى مديرية الشويفات. تزوج حفيظة عبد الملك، وله منها أربعة أولاد: ملحم، ناصيف، سليم وفؤاد.

ملحم إبراهيم تلحوق

ولد في عاليه ١٩٠٨ ودرس في بيروت في جامعة الآباء اليسوعيين وتخرج فيها محامياً عام ١٩٣٢. عين أستاذاً في الجامعة المذكورة. عينه الرئيس الفرد نقاش أميناً عاماً لمجلس شورى الدولة. في العام ١٩٤٥ عينته الحكومة أول قنصل لبناني في عاصمة البرازيل بناء على اقتراح السفير يوسف السودا. في العام ١٩٥٠ نقل إلى قنصلية بور سعيد، ثم إلى الإدارة المركزية. في العام ١٩٦٠ عين قنصلاً عاماً للبنان في الإسكندرية. في العام ١٩٦٠ ترفع إلى رتبة سفير وعين في كولومبيا، وكان سفيراً في الوقت نفسه لدى حكومات الاكوادور، البيرو وبوليفيا. في العام ١٩٧٢ أحيل على التقاعد وهو يحمل عدة أوسمة. متزوج نجلا حسيب عبد الملك وله ولد وحيد توفيق، وابنة وحيدة ناديا.

سليم إبراهيم تلحوق

ولد في عاليه ١٩١٤ درس في بيروت في كلية القديس يوسف وتخرج فيها سنة ١٩٣٤. عين موظفاً في مصالح الجيش الفرنسي في العام ١٩٧٨ أحيل على التقاعد. متزوج إنعام حسيب عبد الملك، وله ولدان سمير وسامي.

فضل اللـه محمود تلحوق

ولد في عاليه سنة ١٩١٥ ودرس في الجامعة الوطنية. عين رئيس مصلحة في شركة «الأرامكو» الأميركية. في العام ١٩٦٠ انتخب نائباً عن عاليه خلفاً لعمه الدكتور جميل تلحوق. أعيد انتخابه لثلاث دورات متتالية حتى العام ١٩٧٢. متزوج وله ثلاثة أولاد: عادل ورياض وفادي، وابنتان: أدال وهالة.

حسين محمود تلحوق

ولد في عاليه ١٩١٩ ودرس في الجامعة الوطنية. وتخرج في معهد الحقوق الفرنسي في بيروت. ومارس المحاماة. متزوج من أمل حمدان وله ولد وحيد زياد، وابنتان: زلفا وهند.

عفيف جميل تلحوق

ولد في عاليه ١٩٢٥ ودرس في الجامعة الوطنية ثم في الجامعة الأميركية. عين في السفارة الأميركية لمدة قصيرة، وانصرف إلى إدارة أملاكه وأملاك شقيقه سامي.

سامي تلحوق

ولد في عاليه ١٩٢٧، ودرس في الجامعة الوطنية ثم في الجامعة الأميركية حيث تخرج بدرجة بكالوريوس علوم. في العام ١٩٥٧. سافر إلى الولايات المتحدة وتخصص بعلم الكيمياء وحصل على لقب دكتور في هذه العلوم. متزوج وله ابنتان.

توفيق ملحم تلحوق

ولد في عاليه ١٩٣٩ ودرس في مدرسة الفرير في بيروت ثم في جامعات مدريد والإسكندرية وبوغوتا وتخرج بدرجة بكالوريوس علوم. عاد إلى بيروت ونال شهادة البكالوريوس في الحقوق من جامعة القديس يوسف. ثم ترك هذه الجامعة للتخصص في الشؤون المصرفية. متزوج أمل عبد المنعم تلحوق وله ولد: إبراهيم، وابنتان: زين ومي.

منير ناصيف تلحوق

ولد في بيروت ١٩٤٧ وتخرج في الجامعة الأميركية بدرجة بكالوريوس في العلوم السياسية. عين قنصلاً في السلك الخارجي عام ١٩٢٧. متزوج زلفا حسين تلحوق وله ولد سماه جاد وابنة سماها دينا.

سمير سليم تلحوق

ولد في بيروت ١٩٥٣ وتخرج في الجامعة الأميركية بدرجة بكالوريوس علوم في التجارة وإدارة الأعمال.

سامي سليم تلحوق

ولد في بيروت ١٩٥٧ ودرس فيها سنة ١٩٧٨ تخرج في الجامعة الأميركية بدرجة بكالوريوس في علوم التجارة وإدارة الأعمال.

المراجع

١ ـ **دواني القطوف في تاريخ بني معلوف** لعيسى اسكندر المعلوف، ١٩٠٧.
٢ ـ **تاريخ المسلمين الموحدين الدروز**، للدكتور صالح زهر الدين، ٢٠٠٧.
٣ ـ **معجم أعلام الدروز** لمؤلفيه محمد خليل الباشا ونجيب البعيني، ١٩٩٠.
٤ ـ **آل تلحوق في لبنان**، تأليف السفير ملحم تلحوق، ١٩٨٥.

آل العماد

تنتسب هذه الأسرة إلى عماد الدولة حاكم مدينة العمادية في بلاد الديلم، وهي عربية وليست كردية ـ على ما جاء في كتاب **معجم أعلام الدروز** ـ لمؤلفيه خليل الباشا ونجيب البعيني ـ انتقلت هذه العشيرة في مطلع القرن العاشر برئاسة ابن عماد باتجاه الموصل، فانتشر رجالها في جوار إدلب جنوباً إلى طريق حلب أنطاكيا في أقصى الشمال من جبل باريشا المحاذي للجبل الأعلى من ناحية الغرب، وهناك لاقت خصباً وسعة ونعمة، ولما انتشرت الدعوة التوحيدية في البلاد اعتنقوها وكانوا من حماة ذمارها، لكن الاضطهاد الذي لاقاه الموحدون هناك اشتد، فرحل قسم منهم إلى لبنان، فنزلوا في منطقة مغيثة قرب ضهر البيدر ثم توزعوا. فتوجه فرع منهم إلى صليما واستقرّ فيها وهو فرع يزبك رأس الحزب اليزبكي، واستقر فرع آخر في الباروك، وفرع ثالث توجه نحو بطاح كفرنبرخ واتخذ من تلال الزنبقية مقاماً له. وهناك سكن راس الاسرة الشيخ عماد وله أخوان سرحال وبو عذرا. فمات عماد وأولاده بلا عقب، فانتقل الأمر إلى بني سرحال، فكان منهم سرحال الذي حكم الشوف في عهد أحمد باشا الكبرلي في سنة ١٦٦٠، وسرحال الذي رافق ابن عمه سيد أحمد الأمير حيدر الشهابي في هربه من امام محمود باشا هرموش، وخاضا معه موقعة عين دارة سنة ١٧١٠. وكان آخرهم في الرئاسة، فقام بعدهم بنو بو عذرا واشهرهم الشيخ سيد أحمد المشار إليه، وعادت الرئاسة إلى حفداء سرحال، قدمت هذه الأسرة للبلاد عدداً من الزعماء والأبطال ورجال العلم. إلا أن رجال هذه الأسرة لاقوا الكثير من عنت الشهابيين وخصوصاً حكم الأمير بشير الثاني الذي افقرهم واضطهدهم، وأكثر المشكلات حولهم فحملهم على النزوح إلى حوران وعكا، ومصر مدة من الزمن. وكان علم الأسرة أحمر قانياً، وكان اخص حلفائها آل تلحوق وآل عبد الملك».

قبيلة عربية

وجاء في **تاريخ المسلمين الموحدين الدروز** (لمؤلفه الدكتور صالح زهر الدين، ص ١٠٢):
«العماديون ينتسبون إلى إحدى القبائل العربية التي كانت تسكن بجوار الموصل ثم رحلوا إلى

الجبل الأعلى بجوار حلب وأقاموا في قرية اسمها طحوان، ومنها إلى قرية هناك تسمى تليتا. انتقلوا بعدها إلى مقاطعة العرقوب في لبنان وسكنوا في الزنبقية (قرب كفرنبرخ) أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى زعيمهم عماد الذي كان يسكن مدينة العمادية القريبة من الموصل. كان قدومهم إلى لبنان زمن المعنيين. وعلى أثر المنازعات والخصومات التي حدثت بينهم وبين الجنبلاطيين حيث قتل من الاخيرين عدد كبير فروا بعدها إلى مزرعة الشوف. انتقل العماديون على عين وزيه (عين وزين) قرب بتلون ومنها إلى الباروك. استطاع العماديون أن يلعبوا دوراً مهماً على مسرح الاحداث في النصف الثاني من القرن السابع عشر حيث تمكن الشيخ سرحال العماد من تولي جبل الشوف عام ١٦٦٠ من قبل أحمد باشا الكبرلي بدلاً من الأمير أحمد المعني وأخيه الأمير قرقماز.

بعيزق

في هذا الوقت تجرأ على طلب يد أميرة معنية، من المرجح أنها أخت الأمير أحمد. لكن المعنيين لم يقبلوا، وبقيت هذه الحادثة تغلي في نفوسهم حتى عودة الأمير أحمد إلى الإمارة عام ١٦٦٤ فأمر بقتله وقتل جميع أقاربه ولم يبق منهم إلا رجل واحد استطاع الفرار إلى قرية كامد (كامد اللوز) في البقاع متنكراً وأخذ يرعى البقر هناك وسمى نفسه بعيزق - على ما يقول طنوس الشدياق في تاريخ الاعيان (ص ١٥٩). ومن ذريته كثر العماديون الذين لعبوا دوراً في ما بعد مهماً في القرن الثامن عشر واحتلوا المكانة الأولى على رأس الحزب اليزبكي ضد الجنبلاطيين نسبة إلى أحد زعماء أسرتهم وهو يزبك بن العفيف الذي كان في عداد بطانة الأمير فخر الدين المعني الثاني، وبرفقة البعثة التي قدمت لبنان لتحري أحواله بعد لجوء المعني إلى أوروبا (راجع الدكتور يوسف مزهر - الجزء الأول ص ٢٩١).

من بلاد الديلم

أما الدكتور أحمد بو سعد (صاحب **معجم الأسماء والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات**) فيختلف في نسبته لهم عن بعض مؤرخي الموحدين الدروز ويقول: «آل العماد عشيرة درزية أصلها من بلاد الديلم، وتمت بصلة قربى إلى عماد الدين الديلمي الكردي الذي حكم منطقة العمادية في شمال الموصل. كان سكناها بادئ ذي بدء حوالى القرن السادس للميلاد، القسم الجبلي من بلاد جيلان شمالي بحر قزوين، ثم مالت إلى الإسلام، واعتنقته وساهمت في نشره. وحين دب الجفاف في مناطق سكناهم وساء حال الأمن اندفع رئيسهم ابن العماد للتوجه نحو الموصل وذلك في مطلع القرن العاشر، ومنه إلى الجبل الأعلى حيث انتشروا هناك في جوار إدلب وحلب وأنطاكية واعتنقوا مذهب التوحيد. غير أن تعاقب المحن على أتباع هذا المذهب خصوصاً في مناطق أنطاكية وحلب أجبرهم على الهجرة، فاتجهت فصائل منهم إلى جبال لبنان حيث استقرّت في منطقة المغيثة (ضهر البيدر) ثم تفرقت فاتجه فرع منها إلى قرية صليما واستقر فيها، وهو الفرع الاساسي

الذي لعب دوراً فعالاً في تاريخ لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني. وعُرفت العائلة هناك باسم يزبك، وكان يزبك زعيمها، أما الفصائل الاخرى فقد استقرت في تلال الباروك، واتجه بعضها إلى بطاح كفرنبرخ، واتخذوا من تلال الزنبقية مقاماً مختاراً لهم.



مصطفى بك العماد

(من تنوير الأذهان)

مع فخر الدين

وقف العماديون في لبنان إلى جانب الأمير فخر الدين المعني في كل الأزمات التي تعرض لها هو وعائلته، فتصدوا بقيادة زعيمهم الشيخ يزبك بن عبد العفيف العماد للجنبلاطيين الذين انقلبوا على الأمير المعني في أثناء غيابه في توسكانا. ولما عاد الأمير من إيطاليا ودخل في نزاع مع خصومه آل سيفا وغيرهم كانوا من مناصريه، وحين وجه إليه السلطان حملة قوية للحد من مطامحه على أثر منازلته العثمانيين في البقاع وأسر قائدهم، لبوا نداءه وعلى رأسهم الشيخ غضبان العماد الذي رافق الأمير علي المعني إلى وادي التيم، ونازل معه عساكر الكجك، غير أن الأمير وقع في كمين غادر أدى إلى مقتله، وإلى انهيار المقاومة المعنية ونفي الأمير فخر الدين. وقد نتج عن ذلك تسليم العثمانيين حكم الشوف للأمير علي علم الدين الذي اضطهد المعنيين وأنصارهم، فحاربه العماديون تحت راية الأمير ملحم المعني في المغيرية ومجدل المعوش، فانهزم أمامهم في طرابلس، ثم إلى دمشق حيث استغاث بواليها فأغاثه، ومده بالمقاتلين الذين أعادوه إلى لبنان. وعند وصوله التقاه في حدود قرية قب الياس، الشيخ سيد أحمد أبو عذرا العماد، فأخلى له الأمير علي المنزلة حتى دخل برجاله، ثم كرّ عليه وعلى من معه، وقبض عليهم وقتلهم عن آخرهم وكان ذلك عام ١٦٣٦. وفي سنة ١٦٣٨ زحف الأمير علي على الأمير ملحم في الشوف، ففرّ منه. وكان له ولدان الأمير أحمد والأمير قرقماز اللذان توليا الحكم بعده. فكتب إليهما الوالي أحمد باشا الكبرلي طالباً دفع نفقة عساكره وإلا وطئ ديارهما بجيوشه وخربها، فتعهدا له بأداء ما طلب، غير أنهما تقاعسا عن ذلك، فزحف عليهما ففرّا من وجهه هما والشهابيون واختبأوا في بلاد جبيل. وحين طمس خبرهم كتب مشايخ البلاد وفي طليعتهم سرحال العماد شيخ الباروك إلى الكبرلي يلتمسون منه العفو عن المنطقة ولاسيما بعد أن خلت من المعنيين والشهابيين ودفعوا له ما طلب، فولى الشيخ سرحال الذكور جبل الشوف والاميرين محمد ومنصور ابني الامير علي علم الدين الغرب والجرد والمتن وكان ذلك عام ١٦٦٠.



فايز بن محمد بن كنج العماد

مشروع زواج.. وكارثة

وأراد الشيخ سرحال أن يتزوج إحدى بنات المعنيين فلم يؤذن له، وأضمرها المعنيون في نفوسهم، فلما عادت الإمارة إلى الأمير أحمد المعني أمر بقتل جميع رجال آل عماد، فقتلوا عن آخرهم، ما خلا واحداً فرّ إلى قرية كامد اللوز التي كانوا يملكونها في البقاع، وعاش فيها متنكراً بزي راعي غنم بدوي، وسمى نفسه بعيزق. ثم كان أن تمرد نظراء العمادية على الأمير أحمد فتكدّر، وكان أعلموه من قبل خبر بعيزق، وإنه حي، وطلبوا منه إهلاكه، فوجد من المناسب أن يعيده، فأرسل إليه خيلاً وملابس وأسلحة ورجالاً، وكتب له كتاب أمان، وأحضره إليه مكرماً، وجعله مديراً عنده.

حزب اليزبكية

ومن ذرية بعيزق هذا كثر عدد العماديين حتى أصبح لهم شأن في الحركات الثورية التي كانت في لبنان، واستطاعوا أن يتزعموا حزب اليزبكية المناهض للجنبلاطيين. وكان السبب في ذلك أنه في أواخر القرن الثامن عشر ظهر بينهم رجل اشتهر بفصاحته وقوة حجته وإتقانه كثيراً من العلوم المختلفة هو الشيخ قاسم بن عبد السلام الذي اتفق أنه ناظر الشيخ علي الجنبلاطي، وأدى النقاش بينهما إلى مشاحنة بين الجنبلاطية والعمادية، انقسم على أثرها الدروز إلى قسمين: جنبلاطي ويزبكي. وعم هذا الانقسام الأمراء الشهابيين واللمعيين والنصارى، وصار اسم يزبكي علماً جنسياً لبني عماد وبني تلحوق وبني عبد الملك ومن والاهم. وكان زعيم اليزبكية بنو عماد وزعيم الجنبلاطية بنو جنبلاط ثم حدثت فتن بينهم وبين الشهابيين أدت إلى نزوحهم إلى حوران، غير أنهم لم يلبثوا أن عادوا بعد أن استرضوا الوالي الشهابي بأموال. وظلت الفتن على هذا النحو إلى أن غزا إبراهيم باشا لبنان، فحاربوا جيشه مع إخوانهم الدروز، ولكنه أمعن فيهم قتلاً، وهدم بيوتهم، ولم يكفّوا عن قتاله. وحاربوه مرة أخرى سنة ١٨٣٥ في وادي التيم، إلا أن الحرب انتهت بهزيمتهم وكسر شوكتهم.

من مشاهيرهم

وإن أشهر من برز من أبناء هذه الأسرة خلال وجودها في لبنان الشايخ: يزبك بن عبد العفيف عماد رأس الفرع العمادي الذي سكن صليما، وهو أصل الحزب اليزبكي ومدير الأمير فخر الدين الذي حكم صفد وبلاد بشارة مدة، وكان مشرفاً على شؤون الأمير المعني الخارجية، وسرحال عماد، أحد أجداد العائلة الثلاثة الذي حكم جبل الشوف ١٦٦٤، وبعيزق بن سرحال العماد (١٦٢٠ - ١٦٨٥) مدير الأمير أحمد كما مرّ. وعماد عماد أحد أجداد الأسرة (١٦٣٣) وعبد السلام عماد (ت ١٧٨٨) الذي كان له دور فاعل في الأحداث التي حدثت في عصره. وهو الذي قاد حركة شعبية ضد الضرائب التي فرضها الأمير يوسف الشهابي سنة ١٧٨٢، وقاسم بن عبد السلام عماد بو عذرا، رئيس الأسرة العمادية سنة ١٧٨٨، وعلي بن بشير عماد (ت ١٨٢٥) الذي تولى مقاطعة مرجعيون، وناصر الدين بو النصر عماد (١٧٨٨ - ١٨٣٨) أشجع أهل زمانه بشهادة الأمير بشير وبطل معركة وادي بكا مع إبراهيم باشا، وخطار العماد كتخدا عمر باشا النمساوي ومدير العرقوب الشمالي والجنوبي، وعجاج بن علي بن خطار عماد (توفي ١٩١٨) مدير ناحية العرقوب الجنوبي، وأمين بن بو قبلان عماد (ت ١٨٢٥) الذي قتل مع الشيخ بشير جنبلاط في عكا وجميل بن كنج عماد (١٨٦٠ - ١٩٢٠) البكباشي في الجندية اللبنانية سنة ١٨٩٩ ورئيس دائرة الجزاء (١٩٠٩) وعضو مجلس الشورى في الدولة الفيصلية (١٩٢٠) وجميل بن كنج عماد مدير ناحية العرقوب الجنوبي الذي أحرز رتبة بك بفرمان سلطاني، وتامر عماد (١٨٥٩ - ١٩٢٩) مدير ناحية العرقوب الجنوبي، وفايز بن حسين العماد (١٨٩٥ - ١٩٦١) مدير العرقوب الجنوبي (١٩٢١) والبترون (١٩٣٧) وزغرتا (١٩٣٨) وفريد بن سعيد عماد (١٨٧٣ - ١٩٦٦) أحد القادة الوطنيين الذين التحقوا بثورة الشريف حسين العربية، وقاسم بن تامر العماد (محافظ الشمال) اغتيل في طرابلس لأسباب سياسية في ٢٠ كانون الأول ١٩٧٥. والصحافي نديم العماد والدكتور زهير بن رؤوف عماد.

وأما المسيحيون من آل عماد فأصلهم من العاقورة، ومنهم هاجروا إلى عكار، وكسروان. وأشهر من عرف منهم الطبيب فيليب عماد وهو من عين السنديانة.

المراجع

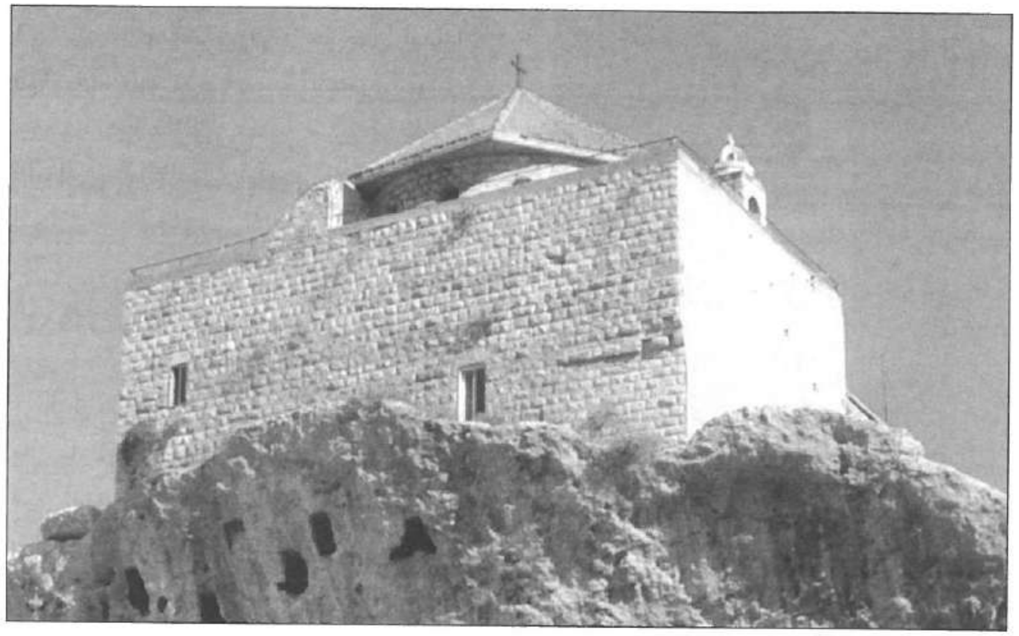
١ - **معجم أعلام الدروز** لمؤلفيه خليل الباشا ونجيب البعيني، بيروت، ١٩٩٠.
٢ - **تاريخ المسلمين الموحدين الدروز** لمؤلفه الدكتور صالح زهر الدين، بيروت، ٢٠٠٧.
٣ - **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات** للدكتور أحمد أبو سعد، دار العلم للملايين، ١٩٩٧.
٤ - جريدة «**السفير**» - المركز العربي للمعلومات - قسم الشخصيات.

آل العازار

هي أسرة لبنانية أرثوذكسية المذهب، حضر جدهم الأول من قرية أذرع من بلد حوران من بر الشام ـ على ما جاء في **قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان** لمؤلفه بطرس بشارة كرم (الجزء الثاني ص ٣١ ـ ٣٢) «حضر إلى قرية أميون التي في كورة طرابلس وسكن بها هو وأولاده من بعده، واقتنوا بها جملة أرزاق. وانعرفوا عند الجميع لاسيما عند دولة طرابلس. وحكموا ثلث الكورة شركة مع إمارة الكرد». واستقاموا على هذه الحال مدة سنين وبعده قسموا الكورة هم والأمراء المذكورون وأخذ بيت العازار الثلث وهي أميون وتوابعها. واشتد بأسهم وقويت شوكتهم عند الوزير وغيرهم عند حكام الجبل وصاروا أن يكفلوا الدولة قدام المقاطعجية، ومنهم مرعب حكم بلاد عكار سبع سنين وحده وكان من عيلة أمجاد معروفين. وتقدموا عن كافة أقرانهم في طرابلس وكان أصحاب شور ومعارف ولم يزالوا حكام في عهدتهم إلى أميون وتوابعها إلى يومنا هذا» (انتهى كلام **قلائد المرجان**).

من أذرع بحوران

ويقول المؤرخ عيسى المعلوف في **دواني القطوف** (ص ٥٦٩) «هي أسرة مشايخ أصلها من بني الحاج نعمة من أذرع بحوران. قدم رأسها الحاج صالح العازار إلى أميون الكورة وتوطنها وبنى فيها برجاً لا يزال ينسب إليه إلى يومنا. واشتهر أبناؤه بالدراية والوجاهة. وتولوا أحكام مقاطعات الكورة العليا، وكتب إليهم الحكام كما يكتبون إلى الإقطاعيين. فأطلق عليهم لقب مشايخ». ويضيف المعلوف: «في سنة ١٧٢٨ حصل بينهم خلاف على المقاطعة فتفرق أفراد منهم في جهات لبنان. بعضهم جاء إلى كسروان وهو القس جرجس، فلقب بالبناء واعتنق المذهب الماروني، وفضول جاء إلى بيروت. ومن سلالته نشأ فضل اللـه العازار الذي ولي القضاء في الكورة في أول تنظيم المتصرفية، ومن أولاده الأديب والكاتب الشاعر والمؤلف المسرحي الشيخ



الكنيسة القديمة في أميون

(من لبنان في موسوعة)

اسكندر العازار (١٨٥٥ ـ ١٩٣٠) ورحل أحدهم يوسف إلى عكا ولقب بالجاهل. ومن سلالته نشأت أسرة بهذا الاسم».

وذكر المعلوف في كتابه **تاريخ الأمير فخر الدين المعني** (ص ٤٧) أن المشايخ الموارنة في أميون يقولون إن عندهم تاريخاً بأنهم والمشايخ بيت الحنا والخوازنة الغسانيين كانوا عيلة واحدة في (نحلة) فنقل حنا إلى الحصن الذي حكمه، وحكمه بعده ولده موسى، وأبناؤهما لا يزالون حتى يومنا يتكنون بآل موسى حنا، وحنا الموسى. وانتقل عازار إلى الكورة ورحل قسم من أبنائهم إلى حاصبيا ومرجعيون وقراباش زغرتا، وحملوا اسم الأميوني نسبة إلى القرية التي جاءوا منها.

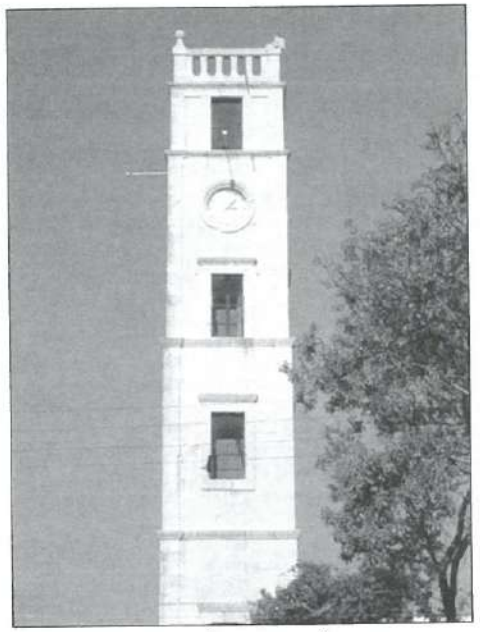
الشيخ مرعب العازار

وأشهر من برز من أبناء هذه الأسرة ممن يحملون اسم العازار الشيخ مرعب العازار الذي حكم ناحية عكار سبع سنوات وحده، والشيخ أسعد يعقوب عازار، وزخيا عازار عضو أول مجلس إدارة. والشيخان جرجس العازار (١٨٥٠ ـ ١٩٠٨) عضو مجلس الإدارة عن البترون. وزخور نقولا العازار (١٨٥٢ ـ ١٩٤٩) عضو مجلس الإدارة عن الكورة سنة ١٩١٥، والشيخ سامي العازار مدير القويطع بالكورة، والشيخ راجي العازار، عضو مجلس الإدارة

في عهد المتصرفية، وفؤاد جرجس العازار القائمقام السابق، وعضو المجلس النيابي، وجرجس العازار عضو مجلس النواب اللبناني، والقاضي سليم العازار عضو المجلس الدستوري.

في جزين

أما الأسرة في جزين فالمقول أن أبناءها وآل بارتي وعاصي من أرومة واحدة، جاءوا من أميون الكورة، ويزعم بعضهم أنهم يمتون إلى مشايخ آل العازار بصلة، فيما تروي بعض التواريخ أنهم من آل أبو عساف وأشهر من برز منهم: الأب حنا عازار الذي ترأس مجلس جزين البلدي والنائب إبراهيم عازار، عضو مجلس النواب الرابع (١٩٣٧) ورشاد عازار عضو مجلس النواب السابع (١٩٥١) والمحامي سمير إبراهيم عازار، والنائب الحالي سمير عازار، ومنير عازار رجل الأعمال المعروف وغيرهم من نوابغ الأطباء والمحامين والأعيان.



البرج القديم في أميون محدثاً.
(من لبنان في موسوعة)

أما الأسرة في غرزوز فهي أسرة ثانية لا تربطها صلة نسب بالأولى إليها ينتمي الأديب الناقد نسيب عازار (١٩٠٤ ـ ١٩٨٢) والمهندس ميخائيل عازار، والأديب سليم عازار (١٨٨٥ ـ ١٩٠١) ومنها بنو الغرزوزي الذين قدم جدهم من غرزوز إلى عاريا المتن منذ أكثر من قرنين ونسب إلى قريته وتسلسلت منه أسرة الغرزوزي. وكذلك أسرة عازار في زحلة التي هي فرع من آل صوايا، وأسرة عازار الككو التي قدم أجدادها من يانوح إلى بحديدات فبيروت ودقون، ويتكنون الآن ببني العجول.

وأما الأسرة في عرمون كسروان وحارة صخر وبعض القرى المجاورة فيروي الحتوني أن أجدادها قدموا من حتون حوالى سنة ١٦٠٥ وسموا باسم جدهم عازار كما جاء في **المقاطعة الكسروانية** (ص ٦٧) ويروي بعضهم أن أصلهم من عمشيت وهم فرع من آل لحود فيها كما جاء في كتاب **جونية عبر حقب التاريخ** (ص ٣٧٤).

وفي جديدة مرجعيون يوجد أسرة تحمل اسم أبو عازار يقال إنها من العوازرة المشايخ في أميون.

أسر مسيحية أخرى

وتحمل اسم عازار أسر مسيحية أخرى في أدما وأردة، وبشامون ودير قوبل، والبوار، وبيت الشعار وجدايل ورشميا وعين بورضاي، وعين طورة المتن، وقب الياس، وكفرقوق وكوسبا، والمنصف، ونهر الذهب ووادي قنوبين ووادي بنحلية وطرابلس الميناء، وعبيه وبكفيا ورومية وسن الفيل وجديدة الجومة، ومشموشة والقبيات والهلالية وتربل، وجون وصور وهذه الأسر لعلها من سلائل من ذكرنا. من هذه الأسرة، وأشهر من عرف منها الطبيب جوزف الياس عازار، الأستاذ في كلية الطب بالجامعة الأميركية، وإدوار الياس عازار، الدكتور في العلوم ومدير مركز الأبحاث في نورث كارولينا وعميدهم وكلاهما من بشامون، والدكتور جورج عازار وهو من طرابلس الميناء، وفؤاد عازار وهو من صور، وجورج عازار المستشار السابق في ديوان المحاسبة وهو من بيت الدين، والمهندس جوزف عيدو عازار، والأباتي موسى عازار، الرئيس العام السابق للرهبانية اللبنانية وكلاهما من عينطورة المتن.

وأبرز من يحملون اسم العازار حكام الكورة في الزمن القديم:

الشيخ اسكندر العازار

من موالي بيروت ١٨٥٥، وتعلم في مدارسها كما تعلم في سوق الغرب وعبيه ثم درس الفقه وعلم الاقتصاد. اشتغل في محلات مالية كاتباً ومديراً ثم عين في محكمة التجارة. أرسلته الدولة العثمانية إلى باريس لمفاوضة وزارة المالية بشأن توحد الدين الفرنسي. استدعته الحكومة الفرنسية على عهد غمبيتا بواسطة خليل غانم وفضل الله دباس ليحرر جريدة عربية في باريس. شارك في عدد من الصحف والمجلات. عاون أديب إسحق في **التقدم ومصر المحروسة**، وحرر في **لسان الحال والأحوال والبرق والوطن والثبات والمراقب**. من مؤلفاته: **حرب البسوس** (تمثيلية) **من أشقى الأزواج وخواطر البيت**. توفي في العام ١٩١٦.

الشيخ سليم العازار

ولد في أميون ١٩٢٥. والده سامي العازار (مدير إقليم ومفتش في البوليس في عهد المتصرفية) متزوج روزا ملحم ١٩٦٥. تابع دراسته في جامعة القديس يوسف ونال الإجازة في الحقوق. عين قاضياً منذ العام ١٩٥٣. عين عضواً في المجلس الدستوري في ١٩٩٤/١٢/٢٣. في ١٩٩٧/٥/٢١ خرج بطريقة القرعة من المجلس الدستوري. ترك القضاء، وعاد ليمارس مهنة المحاماة.

المراجع

١ ـ **قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان** لمؤلفه بطرس بشارة كرم، (جزآن) الأول صدر ١٩٢٩ والثاني ١٩٣٧.

٢ ـ **دواني القطوف في تاريخ بني معلوف** لمؤلفه عيسى اسكندر المعلوف، ١٩٠٧.

٣ ـ **معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات**، الدكتور أحمد أبو سعد، دار العلم للملايين، ١٩٩٧.

٤ ـ جريدة «**السفير**» ـ المركز العربي للمعلومات ـ قسم الشخصيات.

مطبعة دار الكتب - منطقة بئر حسن - بناية البارادايز ٠١/٨٥٣٧٥٣ dots



صقر يوسف صقر

• من مواليد قرية بجّة - قضاء جبيل في الأول من أيار من العام ١٩٢٩.

• لم يتح له أن يحمل أي شهادة جامعية، فاقتصر تحصيله العلمي على بعض ما تلقاه من مبادئ أولية في مدرسة الضيعة (وريثة مدرسة تحت السنديانة) ومنها انتقل إلى مدرسة سيدة ميفوق، التابعة للرهبانية اللبنانية، حيث أمضى ست سنوات.

• مارس التعليم الرسمي والخاص منذ العام ١٩٤٩.

• أصابته لوثة الكتابة منذ مطلع شبابه، فكتب ونشر العديد من المقالات والأبحاث في العديد من الصحف والمجلات.

• كتب في جريدة «الصحافة» و«الأحرار» و«اليوم» و«الراية» و«بيروت» و«الهدف الأسبوعي» و«الكفاح العربي» وجريدة «السفير» حالياً. ومن المجلات التي أسهم فيها: «الرسالة» و«العرفان» و«الطريق» والثقافة الوطنية، وسواها...

• لم ينتسب لأي حزب من الأحزاب، ولم ينتظم في أي حركة سياسية، ظل حرّ التفكير والاختيار.

• ظل مؤمناً بلبنان والعروبة والاشتراكية، ولم تتناقض يوماً لبنانيته مع عروبته ودعوته إلى الحرية والعدالة الاجتماعية.

• صدر له:

- **تاريخ بجّة وأسرها في لبنان وبلدان الاغتراب ١٩٨٦.**
- **حليم الحاج: سيرة إزميل ١٩٩٠.**
- **ماوتسي تونغ - العملاق الذي ترفض أميركا أن تراه عام ١٩٧١** - صدر عن ملفات **النهار** - رقم ٥٩.
- **الكنيسة المارونية - صراع اللبتنة والتراث المشرقي ١٩٩٤** (عدد خاص من مجلة معلومات رقم ١١).
- يصدر له قريباً عن المؤسسة الوطنية للمحفوظات: كتاب: **قوافل الرواد وسير أعلام وشخصيات لبنانية وعربية** (أربعة مجلدات).

السعر: L.L. 25,000

78-9-953013-76-3
9 953013 763